



مجلّة علميّة صناعيّة زراعيّة

لمنشئيها

يعقوب صرّوف دكتور في الفلسفة
وفارس نمر دكتور في الفلسفة

المجلّد التاسع والعشرون

قيمة الاشتراك في السنة ليرة انكليزية تدفع سلفاً

AL-MUKTATAF,

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

BY

Y. SARRUF, Ph. D. AND F. NIMR, Ph. D.

VOL. XXIX

Al-Muktataf Printing Office,
Cairo, Egypt.

فهرس المجلد التاسع والعشرين

المقتطف

الجزء الاول من المجلد التاسع والعشرين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٣ شوال سنة ١٣٢١

الفيلسوف هربرت سبنسر

اتانا نعيُ فريد العصر ووحيد الدهر شيخ الفلاسفة والباحثين ونابغة القدماء والمحدثين الفيلسوف هربرت سبنسر فكأنما نعي الينا اعظم فقيد في مصر كما شق منعاه على اهل كل صقع وقطر لانهُ ان كانت انكلترا قد فقدت بفقده اعقل ابنائها فقد فقد العالم بموتهِ اعظم رجالهِ وزال آخر فيلسوف من فلاسفة القرن التاسع عشر بزوالهِ وبقي مكانهُ في المجتمع الانساني فارغاً والبعد بينهُ وبين اقرب الناس اليهِ عظيماً شاسعاً فلا يعلم الاَّ الله كم عصر يمر قبل ان يرزق العالم من يقوم مقامهُ او يجود الدهر بمثلهِ من النوابغ الذين يظهرون في الارض هدًى للنفوس ومشكاة للعقول

لا حرج اذا قلت ان فقيد العالم امتاز بقوة عقلهِ وسعة عملهِ وسمو مبادئهِ وحسن سيرتهِ وكبر همتهِ وعظم جهدهِ وتمام زهدهِ وابتعادهِ عن امجاد العالم الباطلة ورغبتهِ في خدمة العالم والحقيقة والفضيلة . فقد شهد لهُ باكثر من ذلك من لا أُعَدّ في بحر علمهم قطرة ولا احسب في طود فضلهم ذرة . اشار اليهِ العلامة داروين الطائر الصيت في مشارق الارض ومغاربها بقولهِ "فيلسوفنا الكبير" وقال جون ستيورت مل الفيلسوف الانكليزي الاقتصادي في وصفهِ انهُ "دائرة للمعارف ومحيط للعلوم" ولقبهُ هنري ورد بيتشر من نوابغ الاميركيين "بملك الفلاسفة في هذا العصر" وحار الاستاذ مكوش الفيلسوف الاميركي الكبير في قوة عقلهِ فكان يقول "ان عقلهُ جبار العقول" وقال الرئيس برنارد في كلامهِ عنهُ "ولست اوفيهِ حقهُ ان قلت انهُ اشد اهل هذا العصر تبحرًا واثقبهم رأْيًا وفكرًا لانهُ اعظم من قام في الارض حجًى واوسع بني البشر عقلاً ونهًى" . ولو شئت سرد الاقوال على هذا النمط لضاق عنها المقام وسئم طولها القراءُ

ولا غرو فقد شاد سبنسر للفلسفة اسمى صروح توصلت اليها عقول البشر ففاقت فلسفتهُ

فلسفة ارسطو وسبينوزا وكنت وهيجل وشوبنهاور واوغست كونت وغيرهم من اقطاب الفلسفة الذين نبغوا في العصور الغابرة والايام الحاضرة وقد بناها على أُسس الحقائق العلمية لا على القضايا المركبة من مواد الفرض والظن والحدس والتخمين وسماها فلسفة الفهم او التركيب واودعها بطون عشرة مجلدات ضخمة فضى على تصنيفها وتأليفها ستًّا وثلثين سنة عدا الزمن الذي قضاهُ قبل ذلك على تأليف الفصول والاجزاء العديدة التي ادرجها فيها . ومدارها كلها من اولها الى آخرها على ان الارتقاء من البسيط الى المركب ومن المتماثل الى المتنوع هو سنَّة هذا الكون وان كل ما فيهِ من السديم الذي يقال ان الارض كونت منهُ الى الانسان اكمل الكائنات الارضية باقوالهِ وافعالهِ وافكارهِ وتصوراتهِ وآرائهِ ومعتقداتهِ جارٍ على تلك السنة وخاضع لها

توفي هربرت سبنسر في مدينة بريطن قرب لندن صباح الثلثاء في ٨ ديسمبر ١٩٠٣ في الرابعة والثمانين من عمرهِ ولم يكن الأَّ ممرضتهُ وكاتم سرهِ (سكرتيرهُ) حين وفاتهِ بجانب سريرهِ وكان موتهُ عاقبة الانحلال الطبيعي لا لمرض من الامراض فانهُ ضعف في اواخر عمرهِ ولزم السرير منذ اشهر ولكن لم يشتد الضعف عليهِ الاَّ قبل وفاتهِ بايام ولم يسمح بنشر شيء عن صحتهِ حتى انذر الطبيب بقرب الاجل فجعلت الجرائد اليومية تنشر النشرات الصحية عنهُ الى ان ادركتهُ منيتهُ . ولم يذع نعيهُ حتى توالت التعازي البرقية على منزلهِ من بلاد الانكليز ومن سائر الممالك والاقطار وابَّنتهُ جرائد العالم المتمدن اعظم تأبين وقد رأَينا في الاخبار الاخيرة ان ملك ايطاليا ارسل رسالة برقية الى منزلهِ يتأَسف فيها على فقدهِ شديد الاسف ويذكر ما له في نفسهِ من الوقار والاحترام وابنهُ مجلس نواب ايطاليا فتكلم فيهِ بعض اعضائهِ ثم وكيل المعارف فرئيس المجلس بلسان الدولة والامة ثم ارسل وزير المعارف في ايطاليا يأمر سفيرها في لندن بارسال رسالة تعزية بوفاتهِ

واوصى سبنسر قبل موتهِ ان تحرق جثتهُ وان لا توضع الازهار على نعشهِ ولا يلبس احد السواد حداداً عليهِ وان يؤَبنهُ صديقهُ الحميم المستر جون مورلي الفيلسوف السياسي المشهور باقوال وجيزة ساعة دفنهِ . واتفق ان مورلي كان غائباً حينئذٍ في صقلية لا يستطيع الوصول يوم دفنهِ فابنهُ المستر ليونارد كورتني من اصدقائهِ على مسمع جمهور من فطاحل العلماء ونخبة رجال الادب والفضل .

وتُشبَّه حياة هربرت سبنسر بسلسلةٍ كل حلقة من حلقاتها العديدة فعل من اعظم الافعال التي اتمها وسط الشدائد والمشقات والاهوال فقد جاهد في بدء امرهِ جهاد الابطال في قتال الفقر وقهر العسر لانهُ لم يكن ذا ثروة يعتمد عليها ويتفرغ للفلسفة آمناً شر الفقر وهمّ الحاجة وابتدأَ بتصنيف كتبهِ وطبعها وهو قليل المال فلم يقبل الناس على مشتراها كما هو شأْنهم في كل

بحث دقيق عويص نخسر بطبعها اكثر ما كان عندهُ من المال وقال في هذا الصدد انهُ لما بلغ الثلاثين من عمرهِ واراد ان يطبع كتابهُ عن الاحوال التي لا غنى عنها لسعادة الانسان لم يجد صاحب مطبعة ولا صاحب مكتبة يطبعهُ على نفقتهِ كما هو المعتاد مع المؤلفين الاوربيين لان ابحاثهُ فلسفية عويصة فطبعهُ على نفقتهِ وكان عدد نسخ الطبعة الاولى ٧٥٠ نسخة فقط فكسدت كساداً شديداً ولم تنفق الاَّ بعد اربع عشرة سنة. وبعد طبعهِ بخمس سنوات طبع كتابهُ في الفلسفة العقلية (السيكولوجيا) واهدى عدداً كبيراً من ٧٥٠ نسخة طبعها منهُ فظل ما بقي منها اثنتي عشرة سنة حتى نفد ثم طبع مجموع مقالات لهُ ولكنهُ لم يطبع غير ٥٠٠ نسخة منها حذراً من الخسارة كأَنهُ علم بالاختبار ان كتبهُ تشبه كتب مؤلفي الشرق في الرواج ومع ذلك لم تنفق هذه ايضاً الاَّ بعد مضي عشر سنوات وستة اشهر على طبعها

على ان ذلك لم يكن ليثنيهُ عن عزمهِ بل انهُ لما بلغ الاربعين من العمر عقد النية على طبع فلسفتهِ واعلن انهُ يطبع اربعة اجزاء سنويًّا منها للمشتركين ثم يصدرها في مجلدات للمشترين. فخسر على المجلدات الثلثة الاولى منها كما خسر على ما طبعهُ قبلها حتى رأَى انهُ اوشك ان يمسي صفر اليدين وانهُ واقع في الافلاس لا محالة اذا لم يتدارك امرهُ بالحكمة فاعلن للمشتركين انهُ اوقف اصدار فلسفتهِ وبقي منغَّص العيش يتحسر ولكن شاء القدر ان لا يحرم العالم ثمرات عقلهِ فاصاب مالاً بميراث فاستأنف في الحال ما كان قد اوقفهُ ولم يطل عليهِ المطال حتى اخذت كتبهُ تروج بعد طول الكساد وجعل يربح منها ما يستعين بهِ على طبع غيرها حتى استرد نفقات طبعها بعد اربع وعشرين سنة فقضى ربع قرن يجدُّ بلا اجرة ولا مكافأة ولا مطمع غير اثبات ما يعتقدهُ حقًّا وخدمة نوع الانسان

ولو كان الفقر وحدهُ خصمهُ لهان ولكن اعترض لهُ خصم اشد منهُ واعند وهو الضعف والسقام فانهُ لشدَّة ما اجهد دماغهُ بالاشغال العقلية لم يطبع كتابهُ في الفلسفة العقلية حتى اصابهُ ضعف عصبي شديد منعهُ عن الشغل العقلي مدة سنة ونصف وتركهُ بين صحيح وعليل حتى انهُ لما اعلن عزمهُ على اصدار مجلداتهِ العشرة الفلسفية بعد ذلك بخمس سنوات كان ضعف الاعصاب قد ازمن معهُ فلم يكن يستطيع الشغل غير ثلاث ساعات او اقل في اليوم ولذلك كانوا يعدون نجاز عملهِ العظيم ضرباً من المحال ولم يكد يصدر الفصل الاول من المجلد الاول منها حتى عاودهُ الضعف العصبي بشدة اضطرتهُ الى الانقطاع عن الاشغال مدة من الزمان غير انهُ قابل العلل والسقام بالاحتراس ومداراة صحتهِ وترتيب اشغالهِ ومعيشتهِ والمحافظة على قوتهِ ليبذلها كلها في شغلهِ فقضى حياتهُ يعتل احياناً اسابيع واحياناً اشهراً او

سنين ثم يعود الى التصنيف والتأليف حتى اكمل عملهُ العظيم سنة ١٨٩٦ وعاش بعد اكمالهِ اعواماً اثبت فيها فائدة الاعتناء والمداراة في حفظ الصحة والحياة وسط العلل والسقام

ويتبادر الى الوهم ان هذا الفيلسوف عاش عيشة النسَّاك لا يعاشر احدًا ولا يهتم بامور العالم ولا يبالي بما يجري حولهُ من الحوادث او ما يجدُّ من المسائل والمشاكل والواقع انهُ بقي طول ايامهِ شديد الاهتمام بحوادث الايام كثير الخوض في المسائل العمومية سياسية كانت او اجتماعية حتى انهُ لما عادهُ صديقهُ المستر ليونارد كورتني قبل وفاتهِ باربعة اسابيع جعل سبنسر يحدثهُ في السياسة المالية التي هي شغل الانكليز الشاغل في هذه الايام ويستنكر سعي البعض في تقييد حرية التجارة لانهُ مناقض للحرية الشخصية . ولما هاجت الحرب بين الانكليز والبوير انتصر للبوير على قومهِ وتحسر وتأسف على ذهاب قوتهِ وعجزهِ في شيخوختهِ عن الجهاد لمنع تلك الحرب او ابطالها قبل استفحال شرها فانهُ كان اشد الناس كرهاً للحروب لاعتقادهِ انها من اسباب تقهقر العمران ولا يجيزها الاَّ اذا كانت دفعاً للتعدي على الوطن ويكرهُ نظام الجندية بحجة انهُ من عوامل الاستبداد وانهُ يقيد الحرية ويحول دون الاستقلال ويلقي البوار في الصناعة والتجارة ويضعف حركة الاعمال . وكان ايضاً خصماً للاشتراكيين في مذهبهم يعدهُ ضرباً من الاستبداد ويقول ان كل فرد من افراد الهيئة الاجتماعية يجب ان يكون حرًّا مطلقاً من كل قيد الاَّ ما يقيدهُ عن التعدي على حرية غيرهِ

وكان يقول انهُ يجب على الانسان ان يجعل العلم والعمل واسطة لادراك السعادة والنعيم لا ان يجعلهما غاية حياتهِ . وكان يخص بعض وقتهِ بالراحة من عناء الاشغال ويقصد نادي "الاثينيوم" يتسلى فيهِ بلعب البليارد وكان مولعاً بلعبهِ ويقصد ايضاً مشاهدة التمثيل ويفضل الهزلي منهُ على سواهُ فينظر الى العاب الناس الهزلية ويغرب في الضحك . وكان يحب زيارة الاخصاء ويحدثهم حديثاً طليًّا يسحر بهِ سامعيهِ . وقد امتازت احاديثهُ ببساطتها وخلوها من كل ما تشتم منهُ رائحة الكبر والادعاء وكان مغرماً بسماع الموسيقى ويحسن التصوير والتلوين بالماء ويحب صيد السمك بالصنارة من الجداول والغدران

وكان يجري في التأليف احياناً على طريقة غير مألوفة فيذهب مع كاتبهِ الى بحيرات اسكتلندا وهناك يملي عليهِ ربع ساعة ثم يترك الشغل العقلي ربع ساعة يركب فيهِ قارباً ويجذف حتى تنشط الدورة الدموية بحركة التجذيف الرياضية ثم يعود الى الاملاء . وكذلك كان يأخذ كاتبهُ معهُ في لندن الى ساحة تلعب فيها الالعاب الرياضية فيملي عليهِ قليلاً ويلعب قليلاً . وألَّف فصولاً كثيرة من فلسفتهِ العقلية وهو يتنزه صباحاً في حديقة متحف التاريخ الطبيعي

بلندن وكان يحسب ان املاء الف كلمة صباح كل يوم شغل كاف قبل الظهر

وكان لا يقرأ كثيرًا ولكنهُ يستوعب ما يقرا وقلما كانت تفوتهُ قراءة ما لهُ علاقة بمباحثهِ. قال مرة لو كنت اكثر من القراءة كغيري لكانت معارفي قليلة كمعارفهم

غير انهُ مال الى العزلة في اواخر سني حياتهِ وامتنع عن معاشرة الناس ولم يكن يقابل غير افراد من اخص الاخصاء وبعض القصاد من اقاصي البلدان لان الكلام كان يتعبهُ ويضنيهِ فيضطر الى تقصيرهِ حفظًا لصحتهِ ولكن ظلت الموسيقى تسليتهُ العظمى فكانت سيدة من الضاربات على البيانو تأتي بيتهُ كل يوم وتضرب لهُ بعض الالحان

هذا وقد اسعدني الحظ بمقابلتهِ ومحادثتهِ غير مرة في بريطن منذ اربع سنوات . ورأيتهُ حنطي اللون اشهل العينين مستقيم الانف كبير الرأس اصلعهُ من الامام ولكن شعرهُ طويل في ما بقي يكاد يغطي اذنيهِ فيزيد منظرهُ جلالاً ووقارًا وقد اطلق عارضيهِ وكان لا يزال اشمط لم يبيض شعرهُ بالشيب تمامًا . وبقي طول ايامهِ اعزب وعاش مثالاً للعفة والفضيلة يقول ويفعل ويعمل بما يعلم ولم يحد يمنةً ولا يسرةً عن المبادئ التي كان يوصي الناس باتباعها ففاق في فضلهِ كما فاق في عقلهِ . وبقي صحيح الادراك حاد الذهن الى ان جاءتهُ ساعة النزع فغاب حينئذٍ عن وجدانهِ حتى وافتهُ المنية وحجبتهُ بحجب الابدية

وقد كتب ترجمة حياتهِ بيدهِ واوصى بطبعها بعد مماتهِ فبات العالم ينتظر التعزي بها عنهُ والتأسي عن فقدهِ بتجلي عرائس فكرهِ سليم مكاريوس

[المقتطف] وفي الرابع عشر من الشهر أُتي بجثة سبنسر الى المحرق في مدينة لندن حيث جرت العادة ان تحرق جثث الناس بوصية منهم لان ذلك انفع لصحة الاحياء من دفنها في التراب . ولم يلبس احد من مشيعي الجنازة لباس الحداد عملاً بوصيتهِ واجتمع جم غفير عند المحرق من اصدقائهِ ومريديهِ مثل مسز وورد الكاتبة الشهيرة والمستر ليونلد كورتني احد وزراء انكلترا السابقين وارملة تندل وارملة غرانت الن . ومن مشاهير العلماء السر تسلتون دير والاستاذ جمس دُوَر والسر هنري طمسن والسر ميخائيل فوستر والدكتور رتشرد غارنت والمستر فرنسيس غالتون والاستاذ ملدولا والاستاذ وليم هدصن وكثيرون غيرهم . ولما وُضع التابوت امام باب المحرق وقف المستر ليونلد كورتني وابن الفقيد بالخطبة التالية قال ما ترجمتهُ

لستُ اهلاً للقيام بهذا الواجب الاشرف الذي دعيتُ لهُ . وعليَّ ان اعترف بذلك بصدق واخلاص في فاتحة الكليات التي سأتلوها على مسامعكم . ولا يحقُّ لي ان ادَّعي بانني درست مؤلفات سبنسر الدرس الواجب ولا لي الشرف ان اكون من عداد تلامذتهِ . وانتم تعلمون

انهُ رغب اولاً في ان يكون المؤبن لهُ رجلاً آخر رجلاً نعرفهُ كلنا ونحترمهُ ألا وهو جون مورلي ولو كان هو المتكلم الآن لكان كلامهُ جديرًا بفقيدنا ومآثرهِ . ولكن اشتغالهُ الدائم اربع سنوات متواليات انهك قوتهُ واضعف صحتهُ فاضطرَّ أن يطلب الراحة والعافية بالسفر في البحر المتوسط وبلغتهُ وفاة هربرت سبنسر وهو في سواحل صقلية وقد استراح من عناء الاشغال وعاد اليهِ نشاطهُ المعتاد ولكن الشقة طويلة فيستحيل عليهِ ان يصل الى هنا اليوم لو كرَّ الينا راجعًا . فقيل لي ان الفقيد اوصى بان اقوم مقام جون مورلي اذا تعذر عليهِ حضور جنازتهِ وبلغني هذا الخبر منذ اربعة ايام وانا في العاصمة الشمالية وكنت غائصًا في بحار الاشغال منهمكًا في مهام اخرى ولكنني لم ارَ لي بدًّا من انالبي هذه الدعوة وهنذا اطلب العفو منكم عمَّا يبدو مني من القصور فاني ليخور عزمي ويعروني الوجوم حينما اتصوَّر مقدار الجماهير الغفيرة من العلماء والادباء في كل الاقطار الحاضرين معنا الآن نفسًا ان لم يكن جسدًا لكي يعربوا بملء الشكر والمسرَّة عما للفقيد من الفضل عليهم. ولكنني لا احجم عن ذكر بعض الشيء مما لهُ علاقة خاصة بالفقيد. فلقد تعرَّفت بهِ منذ سنوات كثيرة وبعد اكثر من عشرين سنة عاشرتهُ فتمكنت عرى المودة بيننا لاسيما بعد ان دخلت في عائلة كان فيها ضيفًا كريمًا وصديقًا حميمًا ورأى بناتها يجاوزن سن الطفولة فالصبوة فصرت شريكًا لهنَّ في ما يعلمنهُ من امرهِ وزادت مودتنا احكامًا وصداقتنا تمكنًا ولاسيما في السنوات الاخيرة اذ كنت ارتشد بارائهِ في اشغالي العمومية

واول ما يخطر على بال من ينظر الى حياة سبنسر هو الإعجاب بالكتب الكبيرة التي صنَّفها والشكر والمسرَّة لانهُ عاش حتى اتمها. فانهُ ما من احد من الفلاسفة ابتدأ عملاً كبيرًا مثل عملهِ واستطاع ان يقوم بهِ الى آخرهِ. حتى لقد حسب الناس ان اللائحة التي نشرها سنة ١٨٦٠ عمَّا عزم على تأليفهِ من الكتب حلم لا يرجى اتمامهُ لما قد يعترضهُ من العقبات الجمَّة. وقد اعترضتهُ هذه العقبات فقام ضعف صحتهِ في وجههِ واضطرَّهُ الى تأجيل عملهِ ان لم يكن الى العدول عنهُ . ولم يكن على ثروة طائلة تكفي للانفاق عليهِ فنفد ما عندهُ من المال سريعًا . وقد سهل التغلُّب على العقبة الثانية لانهُ حالما اعلن عزمهُ على توقيف التصنيف والنشر جاءتهُ المساعدة المالية الكافية فان قرَّاء كتبهِ كانوا قد زادوا اكثر مما ظن فاجتمع مريدوهُ في اميركا وقدَّموا لهُ مالاً لاستمرار العمل وزاد المبيع من كتبهِ حالاً فربح منها ما يكفي لطبع باقيها . اما اعتلال صحتهِ فبقي عقبة كبيرة في سبيل الاسراع في تأليفهِ لانهُ اضطرَّ ان يقتصر على ساعات قليلة كل يوم وان ينقطع احيانًا عن التأليف زمانًا طويلاً . ومن الغريب انهُ استطاع ان يؤلف ما ألَّفهُ مع ما كان في صحتهِ من الاعتلال . وقد مرَّ ست وثلاثون سنة من حين شرع في تأليفهِ

هذه الكتب الى ان اتمها . ولا غرابة في ذلك نظرًا الى اتساع نطاقها وغزارة مادتها فان كل حوادث التاريخ ومسائل العلم ومطالب الفلسفة وشعائر الاديان وكل الدرجات التي تدرَّج فيها ارتقاء الانسان جُمِعت معًا واستُنتِجت منها نتيجة بديعة ساطعة وهي كيف نشأ العالم . فبهذا الاتفاق الذي وجدهُ سبنسر بين مصادر متخالفة و بهذا الارتباط الذي بيَّنهُ بين موارد منفصلة متشعبة قامت عظمتهُ وشعر الالوف من قرَّاء كتبهِ المتتابعة باكتشاف اسلوب عظيم بديع للارتقاء لم يكن معروفًا من قبلُ . وان كان البعض قد ظنوا ان هذا البحث يصل الى حد لا يتعداهُ او انهُ قاصر عن ايضاح بعض الغوامض او ضعيف في بعض المقدمات فلا شبهة في ان جمهور القراء في العالم المتمدن كلهِ مقتنع تمام الاقتناع ان سبنسر افاد بمؤَلفاتهِ واختطَّ خطة جديدة للبحث سيكون لها شأن كبير في تعليم الناس وتهذيبهم

نعم ان اول ما نعجب بهِ في مؤَلفات سبنسر هو اتساع نطاقها وقوة حجتها وشمول النتيجة الساطعة التي وصل اليها ولكن يجب ان لا ننسى ان غرضهُ الاول والاعظم منها انما كان نفع نوع الانسان . فلما ترجَّح لهُ ان صحتهُ لا تمكنهُ من اتمام مؤَلفاتهِ كلها بادر الى اتمام الفرع الذي حسبهُ انفع من غيرهِ لنوع الانسان وهو البحث عن الاصول التي تبنى عليها المعاملات الشخصية والسياسية (العمومية) لان غايتهُ القصوى كانت اكتشاف الاصول الحقيقية التي تبنى عليها المعاملات فلما رأَى ان عمرهُ قد ينقضي في الاعمال التمهيدية فلا يصل الى مقصدهِ الجوهري تركها و بادر اليهِ. وكانت الاصول التي وصل اليها في بحثهِ التمهيدي قد فتحت لهُ السبيل للوصول الى هذا المقصد لان توازن القوى الطبيعية الذي وجد انهُ يعلل كل الحركات المادية رأَى لهُ مثيلاً في توازن القوى المتسلطة على نوع الانسان في ارتقاء جماعاتهِ . ورأَى ان المزية الكبرى هي الحرية الشخصية وان عليهِ ان يقاوم بكل جهدهِ اعتداء ما وضعتهُ الجماعات من القوانين التي تعارض مصالح الافراد . ويحق لنا ان نقول انهُ عرف ما سيؤُول اليهِ الارتقاء اخيرًا ولكننا لانستطيع كانا ان نجاريهُ في تطبيق هذه المبادىء على احوال الناس. واننا لنجهل امر المستقبل ولا نعلم من الحاضر الاَّ القليل ومع ذلك نثق ان النظام سيسود في مستقبل الايام من غير عنف وان الحرية الشخصية ستكون تامة . وعلينا في الوقت الحاضر ان نمنع كل اعتداء عليها

ورأَى في اخريات ايامهِ ما احزنهُ من سير البعض على خطة تخالف مبادئهُ ولو ظاهرًا وتكلم قُبَيل وفاتهِ مع سيدة كانت اولاً من اتباعهِ ثم مالت الى حزب القائلين بجمع رأْس المال (١) فقال لها لقد افترقنا ولكنني اعلم اننا نقصد الى غاية واحدة ولو طلبناها في سبيلين مختلفين .

(١) حزب من الاشتراكيين يقول بان راس المال يجب ان يكون ملكًا للجماعة كلها لا للافراد

فقالت نعم وقد تُكتشف طريقة اخرى للوصول الى هذه الغاية غير طريقتك وغير طريقتنا . فقال لها نعم قد يكون ذلك . ويظهر من هذا ان عقلهُ بقي حتى الاسبوع الاخير من عمرهِ مستعدًّا لقبول الآراء الجديدة

ولا بدَّ لنا ونحن واقفون امام هذا الجسد الذي سيصير بعد قليل حفنة من الرماد ان نتبع سبنسر في ما حاولهُ اخيرًا من اكتشاف حلٍ لمسائل الحياة العويصة . والفصل الاخير من كتابهِ الاخير يتعرَّض لهذه المسائل ويعرض رايهُ فيها وحكمهُ في غوامض الكون . فقد افصح فيهِ عما خامرهُ من الدهشة حينما نظر في هذا الكون الواسع الذي لا حدَّ لهُ وفي شرائعهِ الخالدة التي كانت قبل الخلق والنشوء . والآن وقف عقلهُ عن عملهِ وبطل ما يدلُّ على الشعور بالموجودات فهل يبقى وجدانهُ بعد زوال آلتهِ وهل الروح التي كانت في هذا الجسد خالدة مثلهُ غير فانية او ترجع الى القوة الازلية التي صدرت منها كما تصدر الشرارة من النار . وان كانت لا تفنى في المستقبل افليس انها لا تستطيع ان توجد من نفسها كما لا تستطيع ان تفنى . استاذنا لا يعلم ذلك ولا يدَّعي علمهُ لانهُ فوق طور العقول . وقد تزيد معارف الناس ويقل ما يجهلونهُ على توالي العصور ولكن المجهول يبقى كثيرًا جدًّا بالنسبة الى القليل الذي نعلمهُ . وقد يتصل الناس الى معرفة شيء مما يُحسَب الآن في عداد ما لا تدركهُ الافهام ويبقى السر الاعظم وراء طور العقول ولكننا لا نُعفَى من الاشتغال في النهار قبل ان يدركنا الليل . واذا امكننا الاشتغال فليكن شغلنا في ما هو شريف ونافع في ما يزيد حياة الناس قوةً واتساعاً ويعلي شان الفضيلة . هذا هو السبيل الذي سار فيهِ سبنسر فانهُ وقف نفسهُ لخدمة ابناء نوعهِ مثل افضل الرجال المنتمين الى مذهب ديني مخصوص . فالوداع الوداع ايتها النفس الخالدة الاثر التي لا تزال تكلمنا وسيبقى صوتها مسموعاً مدى العصور التالية

ولما انتهت هذه الخطبة فُتح باب المحرق وزُج النعش فيهِ ثم وقف رجل هندي اسمهُ شياماجي كرشنافرما وقال " كلمتين من رجل هندي بعد الخطبة البليغة المؤثرة التي سمعناها من الخطيب . ان اسم سبنسر يدور على لسان كل واحد من ابناء بلادي المتعلمين . وانا نفسي مديون ديناً كبيرًا لهذا الرجل العظيم الصالح الذي نندب كلنا فقدهُ . وعلامةً لاحترامي لهُ اهب هبة طفيفة دليل الشكر لهُ وهي الف جنيه اقدمها الى مدرسة اكسفرد التي تعلمت فيها يخصص ريعها لخطبة تخطب سنويًا تذكارًا لهذا المحسن على نوع الانسان . واذا لم تقبل مدرسة اكسفرد ذلك مني فاني سأعرضهُ على مدرسة لندن وارجو من اصدقاء سبنسر ان يساعدوني في اقناعها بقبول ذلك . واشكركم في الختام لانكم سمحتم لي باظهار ما للفقيد عليَّ من الفضل في هذا الموقف الرهيب "

قيمة التربية

خطبة تليت في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت وقت الاحتفال بتنصيب رئيسها

نعمة من نعم التربية الحديثة حلّت على هذا العاجز فدمجتهُ في زمرة خطباء الليلة وشرفتهُ بالمثول امامكم ليخطب في التربية ويجلي قيمتها وما هو الاَّ صوت صارخ في المنتدى فاسمعوا لهُ واعتبروا القول دون قائلهِ

اول ما جال في خاطري ان اسأل ما هي التربية وما هي الغاية من التربية وكيف يتوصل الى تلك الغاية . وعلى هذه الاسئلة الثلاثة اجيب واشرح باختصار او تطويل على ما يناسبني فان اصبت في الاجوبة عند جميعكم فقد نطقت بحقيقة راهنة لا يختلف فيها اثنان وان اصبت عند قوم واخطأت عند آخرين فقد ابديت رأياً وما اكثر الآراء والمرتئين في الدنيا . وان لم أُصب عند احد فقد صففت كلاماً وازجيت كراماً وما اكثر صافّي الكلام ومزجي الكرام

السؤَال الاول — ما هي التربية — والجواب على هذا لا يقتضي الاقتباس من اقوال العلماء والفلاسفة الذين بحثوا في التربية ووضعوا لها الحدود والاقسام فان تلك الاقوال مع ما هي عليهِ من المأثرة لا تزيد كثيرًا على معنى التربية البسيط المتعارَف الذي يتناولهُ المتعلمون والاميون . وهذا جلي في قولنا ربَّى الشجرة او الخروف او الولد ومعنى التربية في كل ذلك (المساعدة على النمو) . فان الذي يربي الشجر او الخراف يقوم بتجهيزها بالغذاء والهواء على قدر ما توصلت اليهِ معرفتهُ في فن التربية حتى تنمو وتبلغ الغاية التي يتوخاها واذ ذاك فهي لا تطلق الاَّ على ما كان ذا حياة في عالمي النبات والحيوان اذ لا يقال ربي الحجر والخشب . فالتربية اذاً المساعدة على النمو

السؤَال الثاني — ما هي الغاية من. التربية والجواب على هذا ايضاً اتناولهُ من الامثلة السابقة فان مربي الشجر او الخراف او غيرها يتولى تغذيتها وخدمتها حتى يتم لها الوصول الى النماء الكامل عندما تردّ الى مربيها ومن حولهُ جزاء اتعابهِ وثمرة خدمتهِ . فالغاية اذاً من كل تربية ايصال المربى الى كمال النماء والحياة

السؤَال الثالث — كيف يُتوصل الى تلك الغاية — هنا تتردد الافكار وتتضارب الخواطر ويقف الباحث موقف الحيران يصور فكرًا على الورق ثم يضرب على فكر حتى يستقصي في البحث ويرجح لديهِ شيءٌ مثل الحقيقة يعتصم بهِ ويبرزهُ الى عالم الظهور . لان تعريف التربية وغايتها قلما يُتنازع فيهما انما النزاع كل النزاع في كيفية الوصول الى تلك الغاية وهذا ما يهتم بهِ علماء

التهذيب والتربية في ايامنا الحاضرة ويجرون تقريرهُ . وعليهِ فانا اذكر خلاصة ما رجح عندي واترك تفصيلهُ حتى اجيء الى ذكر المدارس ولكم ان تقبلوهُ او تحوّروهُ او ترفضوهُ فاقول

يُتوصل الى غاية التربية بدرس طبيعة المربى وتجهيزهِ بما يناسب تلك الطبيعة من الوسائط الداخلية والخارجية ويقويها حتى تبلغ اشدها في وجهة الكمال . فينتج اذ ذاك ان كلما تركبت طبيعة المربى صعب القيام بالتربية . وعليهِ فتربية الانسان من اصعب التربيات وادقها وابعدها عن درجة الكمال لانها تتناول — هذا اذا كانت تربية حقيقية — طبائعهُ الثلاث معاً الجسدية والعقلية والادبية وتحاول التوفيق بينها فلا ترقي هذه على نفقة تلك ولا تقوّي واحدة لتضعف اخرى

والمطلع على تاريخ التربية الباحث في شؤونها وارتقائها يرى ان الاقدمين خبطوا فيها العشواء واساؤوا تناولها وفهمها فصرفوا هممهم الى تقوية الطبيعة الجسدية ولم يتنبهوا لغيرها . ولا غرو فقد كان تنازع البقاء في السيادة يقضي عليهم بوجوب ذلك واستمروا كذلك احقاباً متعاقبة . ثم اخذت الطبيعة الادبية تنمو وتتقوى وتستنير بالوحي والالهام فظهرت نواهي الدين واوامرهُ واعتصم الناس بالشعائر الخارجية والطقوس التقليدية ولم تنجلِ لهم الحقائق لان عقولهم كانت مظلمة ومداركهم قاصرة وما زالوا يخلطون الاوهام والسفه والاباطيل بالحقائق حتى فتح الله على بعض ذوي الادمغة الكبيرة فابصروا شعاعاً من نور العلم وتجلت لهم بعض الحقائق الطبيعية فنطقوا بما ادركوا وخلطوا فيما نطقوا وتناول منطوقهم الخلف فزاد عليهِ وناولهُ لغيرهِ وما زالوا كذلك حتى صار المنطوق مخطوطاً ثم مطبوعاً . وظهرت الفلسفة الحديثة فاصلحت تربية الطبيعة العقلية وهبَّ الاصلاح الديني فقوَّم الطبيعة الادبية وهكذا استقامت التربية على وجه مجمل لانها اصبحت تتناول طبائع الانسان الثلاث فاستقامت بذلك احوال المدنية وامتد العمران — هذا ملخص تاريخ التربية

ونرى اليوم ان البلاد التي ادركت قيمة التربية واخذت باسبابها الصحيحة واعتبرت طبائع الانسان الثلاث قد رقت في مراقي العمران الى درجة لا تدانيها فيها بلاد اخرى . والتي لم تزل ترقي طبيعة على نفقة اخرى وتنزل الاوهام منزلة الحقائق وتتبع التقليد في ذلك ولا تفسح للتربية الحقيقية مجالاً فيها قد توقف عمرانها واستولى عليها الانحطاط والمشاهَد يغني عن الشاهد هنا اقف عند هذا الحد واتناول التربية بوجه عام فاقول

التربية اول ما تكون بيتية يتولاها الوالدان او المهذبة وهي اساس التربية المدرسية وانجح ما تكون اذا اعتُبرت فيها فطرة الولد واميالهُ وقواهُ العقلية والجسدية وتكيفت على ما يوافق تلك الفطرة والاميال بحيث تقوّم اودها وتزيد في نشاطها فاذا تنبه المربي الى كل هذا ونظر بباصرتهِ

الولد الصغير ويبصيرتهِ الرجل الكبير الذي سيكون منهُ ووضع نصب عينيهِ مستقبل الولد واقام على تربيتهِ لينشئهُ رجلاً نافعاً للهيئة التي يسكن فيها حاسباً اياهُ وديعة لا ملكاً يحق لهُ مطلق التصرف فيهِ — وديعة يطالبهُ بها الخالق جلَّ وعلا وتسلمها منهُ الهيئة البشرية — فعندئذٍ يبذل مجهودهُ وجل ما وصلت اليهِ معرفتهُ ويستعين بغيرهِ ايضاً ليحسن القيام بتربيتهِ وتهذيبهِ

ولعل في هذا النادي من يتبادر الى ذهنهِ الاعتراض على مقالي ان الوالد لا يحق لهُ مطلق التصرف في ولدهِ لان الولد من بركات الله على الوالد فهو ملكهُ بشرع الطبيعة والعادة . فلمثل هذا اقول اني ارى عكس ما ترى فالوالد هو للولد ومن واجباتهِ ان ينشئهُ ويربيهُ ويقيم عليهِ حتى يشب ويقوى على العمل والاستقلال عنهُ . والى مثل هذا يرى كثيرون من عقلاء الاوربيين والاميركيين فيعتبرون بقاء الولد عيالاً على ابيهِ مضرًّا بهِ وبالهيئة ولذلك فهم يتركونهُ وشأنهُ يجاهد في عالم الاعمال ليحصل رزقهُ ويقيم لنفسهِ بنفسهِ حيزًا من المكانة والاعتبار . ويتصرف الوالد باموالهِ فينفق منها في سبل الخير والنفع العام وكثيرًا مالا يورث منها لاولادهِ الاَّ النزر

هكذا نرى العجماوات جميعها تلد اولادها وتقيم على تنشئتها فتدافع عنها بحياتها ان اقتضت الحال حتى تكبر وتقوى على الاستقلال عنها فلا تعود تعرفها . ومن هذه الحقيقة الطبيعية العامة انتقل الى النقطة المهمة في خطابي الليلة وهي ان التربية الصحيحة هي ما انشأَت في المربى القوى والصفات والاخلاق والعوائد التي تدفع بهِ الى العالم البشري رجلاً عالمًا عاملاً اميناً عارفاً نفسهُ محترماً حقوقهُ حتى يتمكن من احترام حقوق غيرهِ . وكل تربية لا ترمي الى هذه الغاية النبيلة ما هي بالتربية الصحيحة والقيمون عليها يعوزهم اصلاحها

اما التربية المدرسية فهي ايصال المعرفة الى الفرد وتدريبهُ على استخدامها والانتفاع بها . والغاية منها ان يعرف الفرد الواجب عليهِ نحو نفسهِ ونحو الخالق والمخلوق ويكون مستقيماً في معاملاتهِ صادقاً في افكارهِ واقوالهِ — مخلوق ضعيف لا يدري من الوجود الاَّ انهُ يأكل ويشرب وينام . حيوان ناطق ذو نفس لا يشعر بمطاليبها وقوًى لا يدري كيف يديرها تسوقهُ التدابير فيدخل المدرسة ويتنشق هواءها ويغتذي بغذائها ويتناول ذرائع التهذيب والتربية فيها فينمو عقلهُ وتستنير بصيرتهُ وينفتح قلبهُ وتتسع مداركهُ ويرى ما يُرى وما لا يرى حتى يحس انهُ اصبح كبيرًا قويًّا بالنسبة الى ما كان وصغيرًا ضعيفاً بالنسبة الى ما سيكون يخرج الى العالم وينخرط في مهامهِ فيبرهن عن علمهِ بعملهِ . في مثل هذا يظهر فضل التربية ومقدار قيمتها في من يتخرجون في المدرسة ثم يخرجون منها ليكونوا منائر حيثما حلوا . في من يعتمد عليهم

في ادارة الاعمال الخطيرة والمساعي العظيمة . في من يخلصون لوطنهم ويعملون على تعزيزهِ . فعليكِ السلام ايتها التربية الحقيقية القائمة بترقية البشر وايصالهم الى كمال الحياة وعلى ابنائك وبناتك الصادعين باوامرك المتولين تهذيب الولدان والشبان والشابات خير تحية . وانت ايها المفتش عن اصول التربية الصحيحة الدائب في جمع فروعها الراغب في استثمارها ارعني سمعك واصغِ الى ما اوحتهُ اليَّ تلك التربية فلعلك تسمع ما ينطبق على مبتغاك ويحقق لك مناك . وانتِ ايتها الكلية القائمة في راس بيروت الجميلة الموقع الرافعة الى عنان السماء ابنية قلاع في القوة عرائس في الجمال . المتسعة الارجاء الغنية بالمال والرجال ما هو مأربكِ والى اية غاية ترمين ؟ هل اقتِ في بلادنا للاتجار كما فعل الكثيرون ؟ او هل طويتِ نيتك على امركة السكان كما يزعم الجاهلون او حللتِ بين اظهرنا لتشربينا كرهَ لغتنا وامتنا كما فعل آخرون ؟ كفى ايتها الملكة البهية اني اقرأ جوابك في عينيك وارى مأربك في اعمالك واستجلي غايتك في رجالك . فاعلمي اذًا انهُ مهما تقوَّل عليكِ بعض الخلق ونسبوا لك من الغايات فكل عاقل مخلص يراكِ كما انت ملكة التربية وام التهذيب ومنارة المشرق ومنبت الرجال

بقي لي ان ابين قيمة التربية المدرسية وفوائد التخرج في المدارس ولذلك القي هذا السؤال — لماذا نأتي المدرسة . هل نأتي المدرسة لغاية ادخار المعرفة والاطلاع على الحقائق التاريخية والطبيعية ؟ للحصول على الانكليزية مثلاً او الافرنسية او الالمانية فقط ؟ هل نأتي المدرسة لنرقي اذواقنا في الملبس والمأكل والمشرب والمأوى فقط ؟ هل نغدو ونروح الى المدرسة كي يقال عنا انهم ابناء مدرسة من شباب العصر ؟ هذا كل ما نرمي اليهِ ؟ أهذا كل ما يعلق على اذهاننا من التربية المدرسية ؟ ان كانت هذه غايتنا وذاك تاثير المدارس علينا فبئست الغاية غايتنا ولا حبذا المدارس القائمة بتهذيبنا

اما اذا كنا نأتي المدرسة لكي نقف على ما وصلت اليهِ معارف البشر اجمالاً — لكي نعي من تلك المعارف ما يناسب مقدرتنا العقلية والجسدية ويمكننا حسن العمل في الحياة — لكي نتدرب على الترتيب وتتميم الواجب وافتداء الوقت — لكي نتعود حب المطالعة والبحث على كل ما سما قدرهُ وحسن ذكرهُ — فعندئذٍ نكون قد عرفنا قيمة التربية ونهجنا سبلها واعتصمنا باسبابها وبتنا من اهلها واعوانها . وليت شعري كم يبلغ عدد الذين يؤمون المدارس في بلادنا وهذه الغايات في رؤوسهم او بالاحرى كم يبلغ عدد المدارس نفسها التي تبلغ تلامذتها الى هذه الغايات ؟ هنا اقف واترك الجواب لكل سامع

فيا ايها الآباء والامهات والاوصياء والمعلمون والمعلمات والاساتذة وارباب المدارس القائمين

بتربية صغار الحاضر وكبار المستقبل . هل ادركتم قيمة التربية البيتية والمدرسية وشعرتم بعظم المسؤولية المتعلقة بها ؟ هل عرفتم ان سعادة الامة وشقاءها في ايديكم؟ هل حسبتم بسمو مركزكم عند كل عاقل كخدام التربية وعمالها القابضين على ازمة العقول والعواطف والاخلاق والعوائد؟ ناشدتكم الله اذاً ان توسعوا حدودكم وتتناولوا من تربون بيد المحبة والامانة والصبر ولا تنظروا الى ما يربحكم في الحال وكثيراً ما يتعبكم في المآل . بل انظروا الى صالح المربى العام — الى صالح الانسانية الكامنة فيهِ — الى ترقية الهيئة التي هو فرد من افرادها . عندئذٍ تتساهلون وتشدّدون وتقاصون وتكافئون فيكون مجمل اعمالكم آيلاً للخير والتهذيب وتكونون انتم في دائرة التربية القويمة . ولا تهتموا فقط بما يفعل المربى وهو تحت مراقبتكم لان هذا طرف من اطراف التربية لا يؤمن التشبث بهِ . واياكم وان تضغطوا عليهِ كثيراً لئلاَّ تتبدل فيهِ صفات الشجاعة والامانة وحرية الفكر الى صفات الجبن والمخاتلة والرياء ويصبح ملاكاً حين تكون عليهِ الرقباء وشيطاناً حين يخلو لهُ الجو ويأمن العيون . علموا من تربون كيف يقضون اوقات فراغهم . دربوهم على الملاحظة والاستفهام عن الغامض . عودوهم على ادراك المسؤولية التي عليهم نحو نفوسهم ونحو من حولهم ونحو خالقهم . انشئوهم حتى يدركوا ان هذه المسؤولية تكبر بكبرهم وتصغر بصغرهم وان لا نجاح بدون زيادة المسأولية . افهموهم ان كل انسان اخوهم من جبلتهم وانهُ قد يختلف عنهم بالعقيدة والعوائد وقوة الادراك ولكنهُ يبقى اخاهم في الانسانية ذا نفس خالدة وحقوق مقدسة . قولوا لهم ان الاختبار الشخصي هو الاختبار الذي يدوم وان كل من سار على الدرب وصل . لقنوهم ان البخت قد يساعد الانسان للحصول على مركز سامٍ لكنهُ قلما يساعدهُ على البقاء فيهِ . وان الرزق الذي يكتسبهُ الانسان بماء جبينهِ هو الرزق الذي يدوم ويثمر ويجعل حياة سعيدة تكتنفها الحكمة والنزاهة والاعتدال

هذه هي اسباب التربية الحقيقية وهذه هي التربية التي تعتمدها مدرستنا الكلية . وليكن معلوماً ان الكلية لا تخرج تلامذتها وترسلهم الى العالم الفسيح ليشخصوها بالعلميات فقط بل بالآداب الصحيحة والرجولة والانسانية والتهذيب العام . لان صيت المدرسة وسمعتها الحسنة لا يتوقفان على ما يضيفهُ ابناؤها الى عالم العلم والمعرفة مثلما يتوقفان على ما يفعلون بين الناس وما يظهرونهُ من ضروب الشجاعة والامانة والاستعداد والمقدرة على العمل

ها كم الامة الفرنسوية فهي مع ما اشتهرت بهِ من العلماء والفلاسفة والصناع والمخترعين على اختلاف مناصبهم قد احست حديثاً بفساد بعض مبادئها في التربية المدرسية فنهض المسيو ديمولان احد علمائها منذ بضع سنين وانتقد مبدأ التربية في فرنسا واظهر نقائصهُ في كتابهِ سر

تقدم الامم السكسونية — ذلك الكتاب الذي قامت لهُ الخواطر وقعدت وترجم الى اشهر اللغات الاوربية حالما تداولتهُ الايدي بعد نشرهِ قد ابان فيهِ مؤلفهُ ان قيمة التربية لا تقوم فقط بكثرة المواد التي تلقى في ذهن التلميذ ولا بمقدرة الاساتذة في الفروع التي يدرسونها بل بالروح التي تبثها المدرسة في التلامذة . الروح التي تفتح قلوبهم وتنير عقولهم وتجعلهم يعتمدون على ذواتهم في تطلب المجد والرفعة وتريهم ان ليس في الوطن وحدهُ يحيا الانسان بل في كل بلد من بلدان المعمور. وان الجاه والغنى والرفعة ان كانت تتأتى للفرد في وطنهِ فأحرِ بها ان تتأتى لهُ في غير وطنهِ حيث يعتمد على نفسهِ ويتفرغ لتوخي غايتهِ

من كل هذا نسج الموسيو ديمولان كتابهُ ونشرهُ في طول بلادهِ وعرضها فتجاوزها الى كل البلدان المتمدنة واحدث دويًّا في الاندية العلمية لان ناسجهُ قد طرق فيهِ بابًا لم يطرقهُ احد غيرهُ من كتبة الافرنسيس إذ ابان لامتهِ انها دون الامم السكسونية في التربية المدرسية

فمن هو الموسيو ديمولان فينا الذي يقوم ويفحص مدارس بلادنا الابتدائية والثانوية والعالية الوطنية والاجنبية وينقد طرق التربية فيها فيفرز الرديء من الجيد ويحض ارباب التهذيب على نبذ الاغراض الجنسية والتعصبات المذهبية وصرف النظر في وجهة التربية القويمة التي تنشئ للامة وللوطن وللعالم بأسرهِ رجالاً اشداء امناء نحو نفوسهم ونحو بني جنسهم . فاذا اردت ان تميز بين التربية القويمة والمعوجة فخالط القائمين بامر التربية وافحص عن شخصيتهم وقف على كيفية تدريسهم واطلع على الكتب التي يدرسونها والفروع التي يبسطونها لدى الطلبة . انظر كيف يعاملون المربى وباي روح يقدمون الارشاد واية غايات ينصبون قدام من يربون واي سلوك يستحسنون امزج كلما يستخدمونهُ في سبيل التربية وخضهُ ثم شمهُ وذقهُ فان كنت تستطيبهُ وتستطعم فيهِ طعم الرجولة الحقة فاعلم ان التربية قويمة ونتائجها حسنة مفيدة . والاَّ فهي مزيج من الاعمال والافكار القاصرة

واذا اردت تربية ابنك في مدرسة ما فاسأَل عن المدرسة التي تنزل تلامذتها منزلة بنيها لا منزلة خدامها — المدرسة التي تنير عقول التلامذة وتفتح بصائرهم بما تلقنهم اياهُ من المعارف النافعة والفوائد الجليلة . المدرسة التي تدرب تلامذتها على العمل والرياضة البدنية وتقودهم الى المعاشرة الصالحة وتقضية ساعات الفراغ بالاشياء المفيدة — المدرسة التي تشرب بنيها روح الشجاعة الادبية والمثابرة على العمل — وخلاصة القول ضع ابنك في مدرسة ترقي فيهِ ما وهبهُ اياهُ الخالق من القوى العقلية والجسدية بحيث ينشأُ لا كما شاء التعصب بل كما شاء العلم الصحيح في بحبوحة الاخاء والمساواة والحرية — والسلام

يولس الخولي

حقوق المؤلفين

لاهل العلم وارباب القلم الذين يكبون على التأليف والتصنيف حقوق يتتعون بها ويجنون منها ثمرات تعبهم العقلي وجهادهم الفكري كسائر ارباب الفنون والصنائع من مخترعين ونقاشين ورسامين ومستنبطين ونحو ذلك. وهذه الحقوق هي لهم بمقام عقارٍ يتصرفون فيهِ كيف شاؤوا من بيع واسقاط وتنازل لايجوز لاحدٍ الانتفاع بهِ بلا تصريح منهم او شراء صحيح شرعي. ولا تقتصر هذه الملكية على صنف واحد من المصنفات بل تشمل جميع المؤلفات العقلية على اختلاف انواعها واوضاعها مخطوطةً كانت او مطبوعة وتدخل فيها الروايات التمثيلية والاغاني وما كان من امثالها. وقد اعتبروها ملكية خصوصيةً منفردةً عن غيرها كل الانفراد ودعوها باللاتينية "sui generis" وتأويله الشيء الذي من جنسهِ الذي لا يختص الاَّ بذاتهِ

وقولنا منفردةً عن غيرها يعني انها ليست سوى احتكار وقتي او امتياز زمني بخلاف الملكية الجارية على بقية الممتلكات من اراضٍ وعقارات وامتعة فهي مطلقة دائمة لا تزول بمرور الزمان ولا هي خاضعة لحكم الوقت والاجل بل لعدَّة شروط الزامية او لبعض اجراءات قانونية يتحتم على ذويها تتميمها حفظاً لحقوقهم وصداً لغارات المعتدين عليها. وهي مرعية الجانب مصونة الرتبة والمقام تحميها من مطامع الطامعين جملة نصوص قانونية وبنود رسمية سواءٌ كان بقيمة التعويض التي يقتضي تعيينها للمؤلف او للمستحقين بعد وفاتهِ او بانفاذ العقوبة المنصوص عنها في القانون

كانت حكومة فرنسا في السنين الغابرة قد منحت امتيازات لجماعة المؤلفين والطباعين وخصت بهم دون غيرهم حق النشر بالطبع. الاَّ ان تلك الامتيازات كانت قابلة للنسخ والتبديل ومعرَّضةً للتعديل والتحويل وكثيرًا ما كانت تستبدل برخصة بسيطة ليس من شأنها ان تضمن للمؤلف تمام حقهِ كما هو وارد في قانونها الموضوع (اي الامتيازات) بل كانت تحفظ لهُ ضمانتهُ الى حدٍّ محدود بمعنى انهُ لم يكن ليقدم احد على نشر التأليف قبل حصولهِ على الرخصة المشار اليها. وفضلاً عن ذلك فانها اصدرت اوامر وقوانين تنطق جميعها بحقوق المؤلفين والمستنبطين وحقوق ورثائهم من بعدهم في الموضوعات العلمية والفنية وتمنع تمثيل الروايات على المراسح بغير اذن سابق من اصحابها او اتفاق معهم. وزد عليهِ أن عُقدت جملة معاهدات دولية لضمانة حقوق المؤلفين وحمايتها بالتبادل والاشتراك من سطو الساطين

واعتبر قانون العقوبات الفرنسوي نشر كل كتاب بلا اذنٍ من مؤلفهِ جنحةً وتزويرًا حيث قال في المادة الخامسة والعشرين بعد الاربعماية "كل من تجاسر على نشر كتابٍ بالطبع مخالفة

للقوانين واللوائح المتعلقة بملكية المؤلفين يُعد عملهُ هذا تزويراً وكل تزوير هو جنحة " . وفي المادة السابعة والعشرين من بعد الاربعماية "عقوبة مرتكب التزوير تقوم بدفع ماية فرنك على الاقل والفي فرنك على الاكثر . وتقوم عقوبة البائع بدفع ٢٥ فرنكاً على الاقل و٥٠٠ فرنك على الاكثر " . . . الى آخر ما جاء في المادة . وفي المادة الثامنة والعشرين منهُ بعد الاربعماية " كل مدير جوق او صاحب مرسح تمثيل وكل جمعية ممثلين تمثل على مرسحها روايات نكثاً بالقوانين واللوائح المختصة بملكية المؤلفين تعاقب بدفع غرامة ٥٠ فرنكاً على الاقل و٥٠٠ فرنك على الاكثر وبضبط الايراد الحاصل . " وفي المادة التاسعة والعشرين منهُ بعد الاربعماية " في الحالات المبينة في المواد المتقدم ذكرها يسلم حاصل الايراد المضبوط الى المالك (يعني صاحب العمل او التأليف) ليقوم مقام تعويض عن الضرر الذي يلحق بهِ . اما باقي التعويض الذي يطلب لهُ بعد حاصل الايراد (اذا كان هذا الايراد غير كافٍ) او مجموعهُ في حالة عدم بيع الاشياء المضبوطة وعدم حجز شيء من الايراد فتتخذ فيهِ الاجراءات الاعتيادية الجارية في المحاكم

والقانون الذي سنتهُ حكومة فرنسا سنة ١٧٩٣ اوجب على كل مؤلف ان يودع نسختين من تأليفهِ حفظاً لحقوقهِ ويقوم هذا الايداع بتسليم النسختين الى نظارة الداخلية او الى محافظة المدينة او الى قلم الضبطية في المراكز الاخرى تبعاً لمحل اقامة المؤلف . وجاء في احدى مجلدات البنديكت الفرنسوية Pandectes Françaises في الكلام على " الملكية الادبية الفنية الصناعية " في مادة الايداع ان الشروط المطلوب تتميمها من المؤلفين لا بدَّ منها حفظاً لحقوقهم . الاَّ ان عدم تتميمها لا يترتب عليهِ ضياع الحقوق بل ينشأ عنهُ نقص او ضعف في الانفراد بالتمتع بها . وطبقاً لقانون سنة ١٧٩٣ المذكور توجد طريقتان للايداع الاولى تقضي باجرائهِ والاَّ سقط حق المؤلف او ضاع واصبح عمومياً لا خصوصياً والثانية تقضي بان عدم اجرائهِ لا يترتب عليهِ ضياع الحق

وللمؤلف ان ينتفع بمؤلفاتهِ مدة حياتهِ ويتنازل عن حقوقهِ فيها لزيدٍ او لعمرٍو من الناس بناءً على شروط يُتفق عليها . وبعد وفاتهِ يبقى حقهُ محفوظاً مدة خمسين سنةً ثم ينتقل الى ورثتهِ (الاَّ في حالة وجود وصية او صك آخر ينفي ذلك) . وبعد مضي الخمسين سنةً يصبح حق الانتفاع بمؤلفاتهِ حقاً عمومياً . وكذا الحال اذا كانت تركتهُ قد آلت الى الحكومة حقاً واستحقاقاً دون مراعاة هذه المدة او اذا كان قبل مضي المدة المذكورة قد آل الى الحكومة الحق الذي كان محفوظاً لوكلاء تركة المتوفى . وتُستثنى من ذلك حقوق المتنازل لهم من المتوفى او من مداينيهِ .

وفي حالة وجود مساعدين للمؤلف المتوفى اشتركوا بالعمل معهُ مدة حياتهِ تجري مدة الخمسين سنة المشار اليها من يوم وفاة آخر مساعد . واذا كان حق التأليف راجعاً لاحدى الدوائر او الجمعيات العلمية او الفنية او للحكومة او لمقاطعة او معاملة من المقاطعات والمعاملات ونحو ذلك فمدتهُ طبقاً للشرائع والقوانين هي عين المدة المحدودة للفرد الواحد بمعنى ان هذا الحق يمكن ان يكون محصورًا في احدى الجمعيات لكنهُ يصير عموميًا متى انقرضت او انحلت بالكيفية المشروحة آنفاً . وهو يشمل بجزئياتهِ وكلياتهِ ناشر التأليف بالطبع اذا كان هذا التأليف غفلاً (يعني ما كان اسم مؤلفهِ مجهولاً) او اذا نشر بعد موت مؤلفهِ . اما الذي يكون قد ترجم تأليفاً حق الانتفاع بهِ عمومياً فهو شبيه بصاحبهِ الاصلي من حيث الترجمة فقط على ان لا حق لهُ اذ ذاك بمنع غيرهِ من ترجمة الكتاب عينهِ ترجمةً اخرى باللغة عينها

ونشر التأليف بلا اذن سابق من مؤلفهِ او من المتنازل لهُ عنهُ يسبب لهما ضررًا ماديًا وادبيًا و يعتبر في آن واحد جنحة بداعي التزوير فالذي يقدم عليهِ يعرّض نفسهُ للاجراءات القانونية التي تتخذ ضدهُ . اما الدعوى المدنية فحق اقامتها للمؤلف او لصاحب التنازل عن التأليف . ولكل منهما حينئذٍ ان يختار ثلاث حالات اما المحاكم المدنية او محكمة الجنح او المحاكم التجارية اذا كان العمل الذي ينشأ عنهُ النزاع تجاريًا . واصحاب الامتياز الذين يطالبون بتعويض عمّا يصيب حقوقهم من الاذى والضرر يجب عليهم حتمًا ان يثبتوا حالة الضرر غير انهُ تسهيلاً لهذا الاثبات يجوز لهم ان يقبضوا على النسخ المزورة بواسطة رجال البوليس او قضاة الصلح . واما اقامة الدعوى بالجنحة لمحاكمة المتهم بالتزوير فمن اختصاص النيابة العمومية وليست خاضعةً قانونًا لشكوى من اصابهُ الضرر . فكان للنيابة والحالة هذه ان تباشرها من تلقاء نفسها سواء قُدمت الشكوى او لم تقدم . على انهُ في الطريقة العملية الجارية لا تطلب النيابة محاكمة المتهم بالجنحة الاّ اذا طلب صاحب الحق او الامتياز ذلك وهو اذا سكت عن هذا الطلب يكون لسكوتهِ اعتباران اما انهُ قبل بان تنتفع العامة بتأليفهِ وذلك ما يقوم مقام تصريح خفيّ منهُ واما ان يكون قد اعطى هذا التصريح لاحد دون علم الاخر

وقانون الجنح الفرنسوي لا يعتبر العمل الذي نحن بصددهِ جنحةً الاّ اذا اجتمعت فيهِ هذه الشروط الثلاثة وهي اولاً نشر التاليف بطبع جزئهِ او كلهِ . ثانياً ان ينشأ عن نشرهِ ضرر للمؤلف وثالثاً ان ينوي الناشر الاضرار بالمؤلف . على ان ارباب الشرائع والقوانين قد توسعوا في تاويل هذه الحالات الثلاث فقالوا فيما يختص بطلب التعويض عن الضرر انهُ ليس من اللازم لاقامة الدعوى ان يكون الضرر قد حصل اوتمّ بل يكفي ان يعتبر حصولهُ ممكناً . وبالتالي فان

صفة التزوير تنحصر في كل عمل حرَّمهُ القانون من شانهِ الحاق الضرر بالتاليف الذي يُنتج لمؤلفهِ منفعةً مالية

انتحال اسم المؤلف او اخفاؤهُ — للمؤلف حق لا نزاع فيهِ بوضع اسمهِ على تاليفهِ ولا يجوز لاحد انتحالهُ او اخفاؤهُ بلا قبول منهُ. ومن خالف ذلك فللمؤلف الحق بان يرفع شكواهُ ضدهُ لاسترداد اسمهِ (حكم محكمة السين الصادر في ١٩ اكتوبر سنة ١٨٢٨ وحكم ٣٠ مارس سنه ١٨٣٥ والقانون الفرنسوي المسنون في ٢١ مارس سنة ١٨٨٨ الخ ...)

وهذا الحق محفوظ للمؤلف حتى في حالة تنازلهِ لاحدى المطابع عن جميع حقوقهِ في التأليف اذ لا يخفى ان الحق في هذه الحالة ليس حقًّا ماليًّا بل هو ادبي محض يمس سمعة المؤلف ويضر باسمهِ (حكم محكمة السين الصادر في ٢٤ فبراير سنة ١٨٨٨). فيتضح مما تقدم ان المؤلف ليس لهُ فقط ان يطالب بحقهِ صاحب المطبعة او صاحب التنازل لهُ عنهُ بل لهُ ايضاً ان يطالب كل شخص آخر غيرهما

والاحوال المذكورة مرعية بتمامها في حالة اشتراك احد الكتاب بالعمل مع المؤلف. فلا يجوز للمطبعة والحالة هذه او لمدير جوق التمثيل ان يحذف اسماء الذين اشتركوا بالعمل او ان يبدل ترتيب اسماء المؤلفين

واخفاء اسم المؤلف يعتبر جنحة مدنية الاَّ انهُ لا يمكن اقامة الدعوى عنهُ امام محكمة الجنح لان الامر في هذه الحالة لا يعد تزويرًا اذ من شروط التزوير افتراض حصول نشر التأليف بلا اذن المؤلف. وتغيير اسم المؤلف او ابدال اسم كاتب بآخر اشد ضررًا من اخفائهِ. كذلك لا يسقط حق المؤلف باقامة دعواهُ بسبب انقضاء مدة طويلة من تاريخ ذلك الابدال او من تاريخ عدم ذكر اسم المؤلف الحقيقي على التاليف (الاعداد ١٦٣٧ و١٦٣٩ و١٦٤٠ و١٦٤٥ من المجلد المذكور آنفاً)

وتساءل البعض عن هل اذا نشر احد كتاباً باسم مؤلف غير حقيقي يعد عملهُ هذا جنحة؟ فانكر ذلك المسيو جاستامبيد Gastambide قائلاً "ان الفاعل لا يطلب منهُ سوى التعويض عن الضرر الذي يكون قد سببهُ للمؤلف الحقيقي" وناقضهُ باتايل Pataille حيث قال: "نسبة المؤلَّف الى مؤلِّف لم يكتبهُ قصد زيادة انتشارهِ وتكثير رواجهِ لا يُعدّ عملاً تزويريًّا" وهو بازاء الجمهور يعتبر خدعةً وكذباً يدخلان في طبقة تزوير الاسماء وادخال الغش على نوع البضاعة المباعة. اما بازاء المؤلف فيعتبر انتحالاً لاسمهِ وهو اكبر ضرر يمكن ان يلحق بسمعتهِ غير انهُ قد تقرر في حكمين صادرين من محكمتي باريس والسين ان استعمال اسم الغير هو عين

التعدي على ملكية المؤلف وانهُ يجب في هذه الحالة اخفاء التأليف لانهُ نسب زوراً الى غير مؤلفهِ مع تعيين قيمة التعويض عن الضرر الناشيء. وجاء في احد الحكمين المذكورين المؤرخ في ٢٦ دسمبر سنة ١٨٧٦ما نصهُ "عمل الشيء الممنوح قانوناً يزول ويتلاشى بمجرد نشرهِ بالطبع وعليهِ يعتبر الطابع هو الفاعل المسؤول عنهُ. الاَّ انهُ لما كان الطابع قد ارتكب هذا الجرم بواسطة الكاتب الذي سلم اليهِ التأليف جاز ادخالهُ معهُ في الدعوى للحكم عليهما بالاشتراك"

ومما يحسن الالماع اليهِ ان الخطيب او مؤلف الروايات التمثيلية يجوز لهما ان يمنعا ايًّا كان من كتابة شيء ما اثناء الخطابة او التاليف (العدد ٩٥٧ من المجلد المذكور)

وفي اوربا وغيرها من البلاد المتمدنة لم يكتفِ محبو العلم والادب بوجود القوانين المسنونة من الحكومة حفظاً لحقوق المؤلفين بل نهضوا هم انفسهم فالفوا الشركات والجمعيات لحماية حقوق اولئك المؤلفين. وسبقهم الى هذا العمل الخطير مؤلفو الروايات التمثيلية وموقعو الالحان والانغام فقام منهم الكتَّاب والفوا بينهم شركة اساسية نظامية سنوا لها القوانين اللازمة دفاعاً عن حقوقهم المقدسة. فأكرم بما فعلوا وانعم وكأنهم علموا بعد الخبر والخبر ان لا شيء اقوى لديهم من اتحادهم وعقد خناصرهم على هذا العمل لحماية مؤلفاتهم وكتاباتهم والمطالبة بحقوقهم اذا مسَّت الحاجة اليها او كأنهم هبوا اليهِ مدفوعين بعامل حبّ الاعتناء على حد ما قيل "ما حكَّ جلدك غير ظفرك"

فما احقَّ جماعة المنشئين في الديار المشرقية لاسيما مؤلفي الروايات التمثيلية منهم بان يتألفوا ويتآلفوا لانشاء جمعية تفي بالغرض المقصود وتردّ عنهم غارة الاعداء الطامعين فلقد طالما سُلبت حقوقهم وتمثلت رواياتهم على المراسح العربية فابتلعت نتائجها المادية افواهُ المعتدين. ثم اذا انتبهت الحكومة المصرية الى هذه الخلة فسدتها بادخالها في قانون العقوبات بعض موادّ تتعلق بردع وتأديب المعتدين على حقوق الكتبة والمؤلفين خصوصاً في هذه الفرصة حيث التحوير والتعديل في قانوني العقوبات وتحقيق الجنايات قائمان على قدمٍ وساقٍ حلّ ذلك محل العدل والانصاف حذواً لسائر الممالك الغربية وتنفيذاً لاحكام العمران او مراعاةً لشروط المدنية

الاسكندرية سليم عوَّاد

اصل الاعتقاد بوحدانية الله

من اوضح مزايا هذا العصر واجلّ مفاخرهِ توجيه نظر علمائهِ الى البحث عن الاصول في كل ما يتعلق بالشؤون البشرية وما يدخل دوائر العلوم على اختلاف اجناسها وانواعها وتعدّد جهاتها ومناحيها . فلم يغادر اهل التحقيق والتنقيب من شعاب الاستقصاء ما لم ينضوا اليهِ الركاب ولا اغفلوا من مجاهل الاستقراء مضيقاً الاَّ سلكوهُ حتى تُمهد العقاب و ينجلي الغامض وتذلل الصعاب

وفي جملة ما وقفنا عليهِ تقصّي الاعتقاد بالتوحيد عند اشهر الامم بالارض ونشوئهِ مع نشوء القوى العاقلة في الانسان من اصل غاية في البساطة والابهام تتلبَّسهُ اوهام الحدس والترجيم حتى تجلَّت منهُ شمس اليقين واصبح حقيقةً علميةً عند ارسخ العلماء بل بديهةً عقلية بحكم جميع العقلاء

ولما كانت عمدة البحث في هذه المسائل الاستقراء فقد اجمع اكفاء المنقطعين الى درس عقائد الامم والشعوب من قبل زمن التاريخ على ما ايد الرأي المشهور ان لا امة على وجه الارض تخلو من الاعتقاد بقوةٍ او قوًى تفوق الطبقة البشرية تضبط امورها وتتولى شؤُونها عامةً وخاصة حتى تفزع اليها وتعتمد عليها رغبةً او رهبةً

والذي يستلفت نظر المنصفين من علماء الطبيعة ان عقيدة التوحيد كان منشأُها النظر الى الطبيعة نفسها حتى ان المشهور من قول سبنسر عن (القوة التي لا تُعرف) انهُ لا يفيد الاَّ ان الله سبحانهُ يجلُّ بذاتهِ وصفاتهِ عن درَك الادراك خلافاً لمن توهم في ذلك القول ارادة الكفر والإلحاد

اما بيان نشوء هذا الاعتقاد الجليل على ما انتهى اليهِ بحث المجتهدين فهو على وجه التلخيص

ان اول خاطر يمر في قلب الانسان الاعتماد على شيءٍ هو قوةٌ خارجةٌ عنهُ بنى ذلك على انهُ وُجد في عالم يحوي قوًى تفوق قوى البشر وتتسلط على حياتهم بحيث لا يستطيعون الى التصرُّف منها سبيلاً . ومهما يكن من اعتقاد الانسان الضعيف بقوَّة ارادتهِ واقتدارهِ على التغيير في مجرى بعض الحوادث والتبديل بالقليل من شؤُونهِ فانهُ يعود اخيرًا عودة العاجز الصاغر والخاضع الذليل لتلك القوى الفائقة ويرى انهُ تحت طائلة عقابها في كل ما يخالفها من فعالهِ . ثم يبدو لهُ بدليلهِ العقلي ان تلك القوى الخارجة عنهُ كانت قبل ان وُضع في مهدهِ وستبقى بعد ان يُدرج في لحدهِ . وعلى الجملة فان الانسان يُدرك بالفطرة ان الكون شيءٌ مستقل عنهُ اليهِ

اتى ومنهُ يمضي وانهُ في ذلك المجيء وهذا المضيّ وفي كل ما يصدر عنهُ معتمد على شيء غير ذاتهِ

وهذه الخواطر البديهة في النفس البشرية عامة شاملة للناس اجمعين وليس من فرق جوهري فيها بين الكبير والصغير ولا بين الانسان القديم الوحشي ولا بين الحديث المتمدن الانيس . نعم ان الاول كان عاجزًا عن تقرير خواطرهِ الساذجة وتحريرها في مثل هذا النسق كما يستطيع الثاني الاَّ ان المعنى بجوهرهِ واحدٌ في الانسانين كليهما . لان صورة هذا الوجود الذي نسميهِ بالعالم او الكون بما فيهِ من القوى البديعة النظام انما حصلت للانسان الحديث بعد مرورها على اطوار من تقليب النظر والاستدلال ولم تكن الاَّ نتيجة العلم القانوني الذي تكامل مدى هاتيك الادوار . ومع ان الانسان القديم لم يكن يرى من امور العالم المنظور الاَّ لمعةً من قبس بالقياس الى الحديث كان لديهِ عالم صغير على قدر ما كان لنفسهِ الصغيرة من مجال النظر ومبلغ المدارك والرغبات . فلم يكن يفوتهُ ان عليهِ واجبات يؤَديها لتلك القوى التي تجلُّ عن ادراكهِ بسموها وجلالها . وكان يفقهُ ان مصدر جميع افعالهِ ارادة بشرية يكنها فؤَادهُ . وجملة القول هنا ان فلسفة الانسان الاول في هذا الشأن لم تكن بعيدة عن فلسفة الانسان الحديث في جوهرها بعد ان انار لبهُ ضياء العلم والتهذيب . وكان من امكان ذلك الانسان القديم ان يدرك ايضًا ان الباعث لهُ على العمل هو الرغبة يقودها العقل . وعلى نفسهِ قاس حال الشمس والريح والجد والبرق وسائر المظاهر الطبيعية فتمثلها ذوات عاقلة فائقة في العظمة وجلالة الشأن وان لها معهُ علاقة السائد بالمسود

وقد درجت جرثومة هذه الفلسفة اللاهوتية من مهدها عند الاوائل واخذت بالنمو والانتشار فعمَّت شعوب المعمور وترسخت اصولها ودامت قرونًا الى ما بعد ازمنة التاريخ ولم تطرح ثوبها هذا الخشن الاَّ تدريجًا حتى مرَّ الانسان على اطوار تمدنهِ وبلغ من شأنهِ ذراهُ . وما زلنا الى اليوم نرى اصول هذه الفلسفة متمكنة في نفوس الامم الدنيا في مراقي المدنية والقبائل الوحشية . ففي ميثولوجيا شعوب اليونان وبلاد الهند وهنود اميركا الشمالية وسكان جزائر البحر الجنوبي كانت تُمثِّل الشمس انسانًا يحمل القوس والنبال . والغيوم جبابرة من الطير . والعواصف تنينًا فاغرًا فاهُ . ويرى اهل التحقيق ان ليست حكايات الآلهة والابطال وسيَر الغيلان والجن والعفاريت الاَّ بقايا تجمَّعت من ميثولوجيا الطبيعة وقد بقيت اصولها وراء حجب النسيان ادهارًا حتى اماطها البحث الجديد وابرزها الى العيان

ثم ان تشخيص المظاهر الطبيعية ازداد رسوخًا في اذهان اسلاف البشر القدماء باعتقاد الارواح الذي يسوغ عدهُ من اول ثمار الاجتهاد الفكري من باب الحدث والتخمين . ولقد

شهد السياح انهُ مع خلو بعض القبائل من الدين الدستوري لم تخلُ قبيلة من الاعتقاد بوجود الارواح. واصل هذا الاعتقاد على ما يرجح ان الانسان الاول تصوَّر بما استنتج من فلسفتهِ في الطبيعة ان لكل انسان ذاتاً قرينةً لهُ في الوجود (على مالا يزال اعتقاد بعض عامتنا الى اليوم) غير ذاتهِ تسمى بالذات الثانية. وبهذا يفسِّر ظهور الاباء والرفاق والاعداء في الاحلام بعد ان صاروا من سكان القبور. فكان النائم يزعم ان روحهُ في حلمهِ تلاقي روح احد اولئك الثانية فتجري معها حديث السلفاء او تشاركها في مأدبة الافتراس. ومن هذا نشأ الاعتقاد بوجود عالم دائم من الارواح وهو عامٌّ عند جميع القبائل غير المتمدنة. والظاهر ان علة تعميمهِ ورسوخهِ هي منتهى مداركهم اجمعين. وعلى هذا الاعتقاد ايضاً كانت تبنى اوهام قبائل المتوحشين بتعليل الامراض العصبية كالهستيريا وداء النقطة والخيالات والاصداء حتى صور الوجوه والاشباح المنعكسة عن سطوح المياه الراكدة

ومن هذه الخطوة في الاعتقاد خطا الاقدمون الى الاعتقاد بسكنى تلك الارواح في الريح والبرق والرعد حتى تمثلوا اشخاصاً ذوات نفوس متخلقة بما يشبه اخلاق البشر وافكارهم. والذي يؤيد حقيقة تولد هذا الاعتقاد من سابقهِ بالطبع كونهُ عامًّا بلا استثناء عند جميع قبائل الارض في اول اطوارها. وكان مما استنتجهُ الاقدمون بالضرورة ان القوة التي تستاصل الاشجار وتسوق السحاب في عرض السماء لا بدَّ ان تكون ذات نفس تشبه نفس الانسان وان النار التي تلتهم الاكواخ شخصٌ ذو قوةٍ عاقلةٍ عاقب اصحابها باحراقها فينبغي لهم استرضاؤُهُ بالذبيحة ودعاء الابتهال. والحاصل انهُ لم يكن لذلك الانسان الخشن القديم من محيدٍ عن اعتقاد النار مشاركةً للانسان بوجود النفس وقوى العقل والادراك ولم تفرق فلسفتهُ بين الروح الانسانية والهيَّة النار

ثم تبين للباحثين ان الاوائل كافةً كانوا يعتقدون بخلود روح سيد القبيلة (او قرينة ذاتهِ) بعد الموت وبدوام عنايتها بشؤُون القبيلة تردُّ عنها هجمات الاعداء وتثيب ابطال الوغى وتعاقب الخونة وانذال الرجال. فكانوا يترضونها باقامة الحفلات كما تترضى الرعية ملكها العلي الشأن ويعتقدون ان كل اساءة تقع من قبلهم كالتقصير في اداء العبادة او الهزيمة في الحرب كانوا يجازون عنها اما بسيل جارف او نار محرقة او مجاعةٍ شاملة ايذاناً بسخط ذاك السيد عليهم

وعلى هذا الوجه كانوا يشركون الارواح المتلبسة بقوى الطبيعة بارواح اسلافهم على ما يؤْخذ من خرافات (ميثولوجيا) الاقدمين. ففي اساطير السفيدا ان البيريس او الآباء تسكن الجوّ مع ياما ابي البشر الاول عاكفةً على تدبير شؤُونهم فتسوق اليهم غيوث الرحمة احياءً

للزرع والضرع او تحبسها عنهم عقاباً لهم بالجدب والقحط . ومن عقائدهم بتلك الارواح انها كانت تلازم العواصف والرياح في حركاتها كما يحف جيش الحرس بالاله وُودان جبار الصيد وكان قدماء اليونان يعتقدون بان الجو الازرق (اورانوس) ابو الالهة والناس اجمعين. وكان مزج عبادة السلف بعبادة الطبيعة شاملاً لاقدم امم الارض . وقد بقيت لهذه العبادة السيادة المتحكمة في كثير من اديان الامم الوثنية مع تقلُّب صورها على مدى الازمان كما هو مشهور في ديانة اهل الصين واليابان وقدماء الرومان . الاَّ ان الرومان في اواخر ايامهم اتخذوا الالهة المتحوّلة عن مظاهر الطبيعة معبودات لهم ايضاً مع الهتهم الخاصة في بيوتهم . غير انهم كانوا يحترمون ايضاً الهة غيرهم من الامم المعلومة لهم حتى صارت عبادة هذه الامة الفريدة المقام في تاريخ التمدُّن عبارةً عن مزيج من الاديان والعبادات المختلفة بحيث ادَّى هذا الامتزاج الى تفانيها وتلاشيها . فتمهَّد بذلك الطريق الى ظهور ديانة اوضح برهاناً واعلى سلطاناً نريد الخطوة القربى الى حقيقة التوحيد. ذلك ان الشؤُون السياسية في امة الرومان كان لها حظ في اسباب ارتقائهم الى عقيدة التوحيد الحقيقي ناشئةً عما سبقها من الاعتقاد بالارواح وتاليه الطبيعة في اطوار الانسان الاولى . وهذا دليل على ان التوحيد في نظر التاريخ الاجتماعيّ لم يرتقِ عن اصلهِ — عبادة الطبيعة والسلف — إلاَّ على سلم التدريج البطيء شان كل مظاهر الارتقاء

ومن ذلك كلهِ نرى انهُ كان من الطبيعيّ لبلوغ الفكر البشريّ هذه المحجَّة العليا من عقيدة التوحيد ان يدرك شيئاً من حقيقة السماء والارض وما بقي من مظاهر الكون . وقد تأتَّى مبلغ هذا الارتقاء وظهرت انوارهُ لامم التمدن قبل العصر المسيحي وطلع فجرهُ على عقول جماعة من عظام فلاسفة اليونان الراسخين المتبصرين حتى انهُ يقال ان مدارس الاسكندرية مدى قرنين قبل المسيح وقرنين بعدهُ كانت مناراً لمثل هذه المباحث الجليلة .وقال بعضهم ان ما ادركتهُ من تلك الحقائق الفلسفية بقي هو المعوَّل عليهِ في ما يلي من القرون الى ايام الفيلسوفين العظيمين باكون وديكارت وان قادة العقول عند اليونان منذ اناكساغوراس وسقراط وافلاطون كانوا على الحقيقة من اهل التوحيد. فانهم ما عتموا ان اعملوا النظر في حقائق المظاهر الطبيعية حتى رأَوا ان مثل الخلائق البشرية مصادر لها . ثم على توالي الاستدلال اهتدوا من طبائع الوجود ووحدتها العامة الى وحدة خالقها وضابط شؤُونها غير انهم بحكم النقص في كل بدايةٍ اسندوا اليهِ صفات طبيعية مع شيء من الصفات الانسانية

الاَّ ان النظر العقلي لم يكن هو السبب الوحيد في الانتهاء الى التوحيد بل كان يشاركهُ ايضاً الاعتقاد بحماية الالهة التي نشأَت عند قدماء اليونان بالارتقاء السياسي من عبادة السلف.

فحين كانت القبائل تنتظم امة سياسية كان ينشأ معها الاعتقاد بالالهة الحامية لها او كان الاعتقاد باله احد تلك القبائل يتغلب على غيره من شركائه حتى كان يؤول الامر الى اجماعهم على اتخاذه الهاً واحداً للامة كلها. قال بعض المحققين ان من الشواهد الجلية على ذلك ما آل اليهِ امر العبرانيين في انتهائهم الى عبادة الكائن السرمدي الحي القيوم (يهوه). قالوا ومن اشهر عقائدهم الاصلية على ما يؤخذ من توراتهم ما يشيد القول بتعدد الالهة الذي غلبت فيهِ عبادة السلف على عبادة الطبيعة . فقد كان للترافيم (والالهة الحامية للعيال) التقدم في بادىء الامر على الهة الطبيعة ثم غلبت عبادة هذه الالهة كالبعل ومولوك وغيره على الاولى. وكان عندهم ان (الوهيم) بصيغة الجمع خالق الكون وان بنيهِ يتزوجون بنات الناس على ما جاء في التاريخ السابق للطوفان وان الاله الحامي لهم يهوه احد (الالوهيم) ورب اجناد السماء. وكان من اعتقادهم فيهِ ان نبيهُ المختار يغلب بحولهِ وبيمينهِ القادرة وذراعهِ المرتفعة لان الههم هذا اعظم من الهة الامم مجاوريهم وانهُ هو الاله الحق وحدهُ ومن ذلك انتهوا الى توحيدهِ وصار اسمهُ الاعلى علماً على الوحدانية

وأمة اليهود هذه كانت من ارقى الامم فطنةً وذكاء فانهم منذ عهدهم الاول ادركوا شان الوطنية وفاقوا سائر الشعوب بشدة العصبية القومية والمبادي الادبية . وكان ما ادركوهُ من الاعتقاد بيهوه المنتشر في اسفارهم اسمى من سائر ما ادركهُ سواهم من امم الارض قبل المسيح. وكان من طبيعة الامر ان يتغلب هذا الاعتقاد تدريجاً في العالم الروماني على ما سبقهُ من تعدد الالهة. لكن لم يقوَ سلطان التوحيد العبراني على العقول ولم يحظَ باحسن القبول حتى جردهُ من ملابسات الخصائص الشعبية اليهودية يسوع الناصري واخرجهُ من قيود التحديد بولس الرسول . وهذا ما اردنا الوصول اليهِ من نشوء عقيدة التوحيد بالاستقراء وقد بقي من تاريخ ارتقائها وتحقيق صفات الوحدانية الذاتية من الوجه العلمي الفلسفي ما قد يهم الوقوف عليهِ لكننا اقتصرنا من هذا البحث على ما مرَّ وربما عدنا اليهِ

دمشق الشام

متري قندلفت

كان اذا دبَّر ماءه واقتصد في طعامهِ واكثر من الرياضة وانقطع عما يشغل البال من الاشغال والوسائل الاخرى التي تستخدم في اماكن العلاج كالحمَّامات والدلك واساليب الرياضة لا تخلو من فائدة ولكنها تفيد كذلك اينما استعملت والفائدة الكبرى من الراحة ومن الاقتصاد في الطعام على ما دون الكفاف اذا كان العقل معفىً من الاشغال والجسم مضنًى من كثرة الطعام

غرائب الطباعة

يُعذَر الكاتب اذا عاد الى هذا الموضوع مرةً بعد أُخرى لان ما كتبهُ فيهِ منذ عشر سنوات لا يفي بوصف الطباعة الآن نقول ذلك ولا نعني الطباعة في هذه البلاد ولا في غيرها من بلدان المشرق لان التغير فيها قليل والارتقاء بطيء وهو في بعضها تقهقر وانما نعني الطباعة في البلدان الراقية مراقي النجاح كانكلترا وفرنسا والمانيا واميركا ولاسيما اميركا حيث بلغ هذا الارتقاء الغاية القصوى

فقد كان في الولايات المتحدة الاميركية منذ ثلاث سنوات اكثر من اثنين وعشرين الف دار للطباعة رأس مالها ٢٩٣ مليون ريال وهي تنفق على موادها وعمالها ومستخدميها نحو ٢٧٠ مليون ريال في السنة وتربح ربحاً طائلاً جداً لم يذكر مقدارهُ ونحو نصف ربحها من الاعلانات والثلث من ثمن الجرائد والمجلات وما بقي من ثمن الكتب واجور المطبوعات

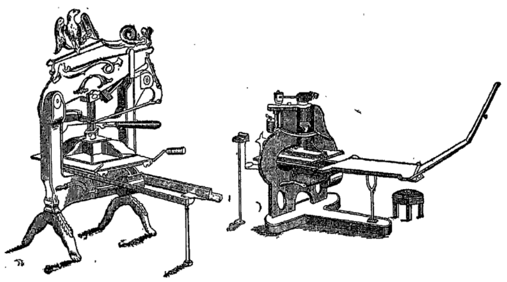
وكان عدد المجلات وصحف الاخبار حينئذٍ ٢١٢٧٢ وصفت ادارة الاحصاء ١٨٢٢٦ منها فاذا عدد الجرائد اليومية من هذه الثمانية عشر الفاً ٢٢٢٦ والاسبوعية ١٢٩٨٩ والشهرية ١٨١٧ والتي تصدر مرتين في الاسبوع ٦٣٧ والتي تصدر ثلاث مرات في الاسبوع ٦٢ والتي تصدر مرةً كل ثلاثة اشهر ٢٣٧ . واكثر هذه الجرائد والمجلات سياسي اخباري وبعضها علمي او ديني او تجاري اوزراعي او طبي

وكان يطبع من الجرائد اليومية اكثر من ١٥ مليون نسخة كل يوم ومن الجرائد الاسبوعية نحو ٤٠ مليوناً كل اسبوع ومن المجلات الشهرية نحو ٤٠ مليوناً كل شهر . ولا بدَّ من ان يكون قد زاد كل ذلك زيادة بالغة في السنوات الثلاث الاخيرة قياساً على السنوات التي قبلها. ولا نخطئ اذا قدرنا ان كل بيت من بيوت الولايات المتحدة الاميركية يصلهُ نسخة من الجرائد اليومية على الاقل وثلاث من الجرائد الاسبوعية وثلاث من المجلات الشهرية على وجه التعديل

ولم تصل الطباعة الى هذا المدى الاَّ بعد ان أُتقنت معداتها كلها اي آلات الطباعة نفسها

وآلات جمع الحروف وسبكها وآلات عمل الورق وكل فصل من هذه الفصول بالغ من الاتساع والاتقان حدًّا لا نستطيع تصورهُ في هذه البلاد ولا بالحلم فان المطابع وُجدت عندنا قبلما وجدت في اميركا ومع ذلك لا نزال نجلبها من الخارج واسرع مطبعة منها لا تطبع ثلاثة آلاف نسخة في الساعة واما المطابع الاميركية فتصنع كلها في اميركا و بلغ من سرعتها ان الواحدة منها تطبع مئة وخمسين الف نسخة في الساعة الواحدة من جريدة كبيرة فيها ثماني صفحات

وتاريخ الطباعة قديم يمتدُّ الى اواسط القرن الخامس عشر وكانت المطبوعات الاولى على تمام الاتقان في شكل حروفها واستواء سطورها وجلاء رسمها على الورق ولكن آلات الطباعة كانت غاية في البساطة والبطء ولم تبلغ درجة المكبس البسيط الاَّ في اواخر القرن الثامن عشر حين



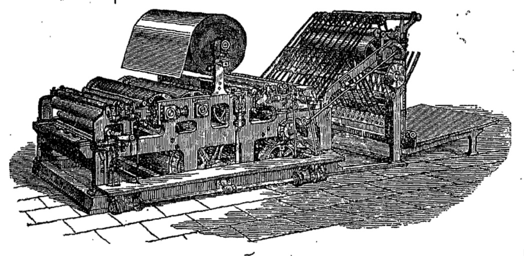
(١) آلة ستنهوب (٢) آلة كولمبيا

صنع ارل ستنهوب الآلة المنسوبة اليهِ وهي المرسومة في الشكل الاول وفيها لولب ومخل مركَّب ثم رجل اميركي الآلة المسماة مطبعة كولمبيا وهي المرسومة في الشكل الثاني ولا تزال مستعملة حتى الآن

ولو وقف الاختراع عند ذلك الحد لما تقدمت العلوم والمعارف عشر معشار ما تقدمتهُ في هذا العصر ولكن اخترعت المطبعة ذات الاسطوانة سنة ١٨١٢ واستعمل البخار لادارة مطبعة التيمس سنة ١٨١٤ واضطرَّ المستر ولتر صاحب التيمس ان ينقل اجزاء هذه الآلة سرًّا الى بناء مجاور لمطبعتهِ خوفًا من ان يراها العمال ويعلموا الغرض منها فيعتصبوا و يضربوا عن العمل او يكسروها . ولما صارت الساعة السادسة صباحًا كان الطباعون واقفين على المطابع منتظرين الطبوع فجاءهم صاحب التيمس وقال ان الجريدة قد طبعت بالبخار فاذا لجأُوا الى العنف فقد استعدَّ لهم واذا اخلدوا الى السكينة ابقاهم في خدمتهِ . وكانت تلك المطبعة

تطبع ١١٠٠ نسخة في الساعة . ثم زادت المطابع اتقانًا الى ان صنع الكولونل هو الاميركي آلتهُ المشهورة سنة ١٨٤٨ و يوضع الورق فيها لفات كبيرة فتطبعهُ ونقطعهُ وكانت تطبع خمسة عشر الف نسخة في الساعة وهي المرسومة في الشكل الثالث

ومن ثم الى الآن وآلات الطباعة تزيد تركيبًا واتقانًا حتى ان الآلة من آلات هُوْ تطبع الآن مئة وخمسين الف نسخة من جريدة فيها ثماني صفحات كما تقدَّم وهي مؤلفة من آلتين كاملتين تستعملان معًا كأنهما آلة واحدة تأْخذ كلٌّ منهما ورقها من ثلاث لفات كبيرة عرض كل لفة منها كافٍ لطبع اربع صفحات من جريدة كبيرة وبين قسمي الآلة آلة لطي الجرائد المطبوعة والصاق بعضها ببعض قبل ذلك اذا اريد الصاقها وفي كل قسم من قسمي الآلة اثنتا



(٣) آلة هو

عشرة اسطوانة قائمة بعضها فوق بعض ثلاث طبقات في كل طبقة اربع اساطين يمرُّ الورق بينها من ثلاث لفات من الورق فيطبع من كل لفة نسختان ومن اللفات الست التي في قسمي المطبعة ١٢ نسخة تطبع في وقت واحد عن اثنتي عشرة اسطوانة سبكت حروف الجريدة عليها كما سيجيء. وطول هذه الآلة ٣٥ قدمًا وعرضها ٩ اقدام وعلوها ١٧ قدمًا وفيها نحو خمسين الف قطعة مختلفة فاذا طبعت ١٥٠٠٠٠ نسخة في الساعة فكل اسطوانة من اساطينها الاثنتي عشرة تطبع ١٢٥٠٠ نسخة في الساعة وهذا ليس بالقدر الفائق في سرعتهِ لاننا شاهدنا مطابع من معمل مرينوني تطبع الواحدة منها ثلاثين الف نسخة في الساعة عن اسطوانة واحدة

ولا يخفى انهُ لا بدَّ من مطابع تبلغ سرعتها هذا الحد اذا اريد طبع جريدة يطبع منها اكثر من مليون نسخة في بضع ساعات كجريدة الدايلي ميل ونحوها . لكن الكتب والمجلات التي يراد اتقان طبعها لا تطبع على مطابع سريعة الى هذا الحد لان الزمن الذي يمد بهِ الحبر على الحروف و يلامسها

الورق غير كافٍ لجعل الطبع بالغاً حدَّهُ من الوضوح فتستعمل لها مطابع اقل سرعة واكثر دقةً

و يتلو مطابع الجرائد في السرعة مطابع اوراق الاشغال ونحوها فان منها ما يطبع خمسة عشر الفاً في الساعة عن قالب واحد من الحروف لكنها تلتقم ورقها من نفسها والمطابع العادية قلما تطبع اكثر من الفي نسخة في الساعة لان الطبيع يلقمها الورق بيدهِ وهو لا يستطيع ان يسرع اكثر من ذلك

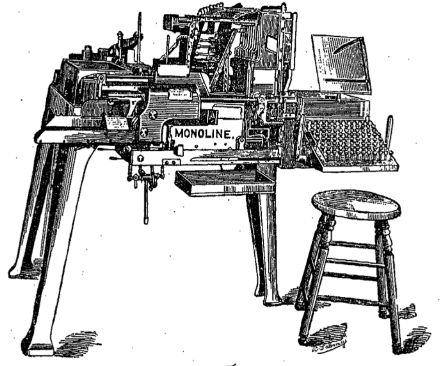
ومن آلات الطباعة ما يطبع بالوان كثيرة في وقت واحد فتخرج منهُ الصور الكثيرة التزويق خالية من كل شائبة كأنها صُوّرت بالقلم . وكانت الالوان تُطبع لوناً لوناً الواحد بعد الآخر فصارت كلها تطبع الآن بآلة واحدة كثيرة الاساطين يحبَّر كل قسم منها بلون مخصوص فلا تختلّ الالوان ولا تتمازج

نأتي الآن الى وصف ركن آخر من اركان الطباعة هو سبك الحروف وجمعها . ولو كتبنا هذا الفصل منذ عشر سنوات ما استطعنا ان نجمع بين السبك والجمع لانهما كانا صناعتين مستقلتين تمام الاستقلال كما لا يزالان في كثير من المطابع

وكانت حروف الطباعة تسبك باليد اولاً في قالب يمسكهُ السبَّاك بيدهِ ويفرغ المعدن الذائب فيهِ بملعقة ثم صار المعدن الذائب يدفع في ثقب القالب بمضخة وسنة ١٨٢٢ صنعت اول آلة لسبك الحروف ولم تتقن الاتقان الكافي الاَّ سنة ١٨٨٨ حينما صنعت آلة لعمل الامهات من كل المقاسات عن حرف واحد فسهل وجود مقاسات كثيرة من كل نوع من الحروف مما مقاسهُ نقطتان فقط الى ما مقاسهُ ٧٢ نقطة

والمطابع التي تطبع مئات الالوف من جريدة يومية لا تستطيع ان تفي بالمراد مهما كانت سرعتها فائقة اذا طبعتها عن طبع (فورم) واحد من الحروف ولذلك استنبطت طريقة لسبك طبوع كثيرة عن الطبع الواحد ووضع كلٍّ منها في آلة طباعة . والطريقة الشائعة الآن لسبك هذه الطبوع ان يمهَّد الطبع ويوضع عليهِ ورق سميك مبلل ويضغط عليهِ قليلاً فتؤثر الحروف في الورق ويصير الورق قالباً للسبك فيوضع ضمن اسطوانة مجوفة واثر الحروف فيهِ الى الداخل ويوضع ضمن هذه الاسطوانة اسطوانة اخرى تبعد عن الورق نحو عقدة ويفرغ معدن الحروف بينهما فيكون منهُ نصف اسطوانة مجوفة الحروف بارزة من محيطها فتهذَّب جوانبها وتوضع على اسطوانة المطبعة ويكرَّر ذلك مراراً عن طبع واحد من الحروف فاذا كرّر ست مرات كان منهُ ست اساطين متماثلة توضع في ست مطابع متماثلة او في مطبعة واحدة من مطابع "هُوْ" حتى اذا كانت سرعة كلٍّ منها عشرين الفاً في الساعة فسرعتها كلها مئة وعشرون الفاً في الساعة فاذا دارت خمس ساعات متوالية طبعت ستمئة الف نسخة ولولا ذلك ما كان في الامكان طبع

هذا المقدار من الجريدة الواحدة بقي امر واحد يتعلق بهذا الركن وهو ترتيب الحروف او جمعها فانهُ عمل بطيءٌ شاقٌ ويُظَنّ لاول وهلة انهُ ليس في الامكان ابدال يد جامع الحروف بآلة ميكانيكية سريعة لاتساع صناديق الحروف واختلاف الحركات التي تلزم لانتقاء كل حرف منها ووضعهِ في المصف مما لا يستطيعهُ الاَّ الانسان المتمرّن. لكن عقول ارباب الاختراع لا تقف عند حد على ما يظهر فاخترعت آلة ذات مفاتيح كمفاتيح البيانو او آلة الكتابة يحركها الصانع باصابعهِ فتجمع امهات الحروف المطلوبة وتنظمها سطرًا واحدًا وتسبك عليها ذوب المعدن فيكون منهُ سطر كامل ثم تعاد الامهات الى اماكنها وتوزع لكي تستعمل مرارًا اخرى .



(٤) آلة المونوطيب

والصانع الماهر يجمع بهذه الآلة نحو ستة آلاف حرف في الساعة فاذا عمل ثماني ساعات بلغ ما يجمعهُ بها ثمانية واربعين الف حرف اي نحو ٤٨ صفحة من صفحات المقتطف وهو لا يجمع بيدهِ غير ثلاث صفحات . ويُصنع الآن الف آلة من الآلات المسماة باللينوطيب تنفق كلها . وصار لهذه الآلة تنوعات اخرى اشهرها المونوطيب والجرانوطيب

الركن الثالث عمل الورق ولا يسعنا المقام الآن لوصف الآلات الحديثة التي استنبطت لعمل الورق وانما نكتفي بقولنا انها جارت الصحافة في السرعة والاتساع حتى ان المعمل الواحد من معامل الورق الكبيرة يصنع ٢٥٠ طنًّا من الورق في اليوم وصار اكبر اعتماد الوراقة على رب الخشب والجريدة التي يطبع منها مليون نسخة كل يوم يصنع ورقها من خشب ٢٥٠٠ شجرة

الراديوم

من مقالة للسر وليم رامسي نشرت في جريدة الدايلي مايل الانكليزية

يعذرني القراء اذا اعدت على مسامعهم قصة اكتشاف الراديوم لانها مملوءة بالفكاهة والفائدة ولانها اول فصل من مجلد سيكتب في هذا الموضوع في مستقبل الايام

يبدأ تاريخ اكتشاف الراديوم بالمسيو هنري بكرل . فان اشارة من المسيو پوانكاري الرياضي الشهير نبّهت خاطرهُ الى امر جليل . وذلك انهُ اذا لُف اللوح الفوتوغرافي بورق اسود او بغيره مما يحجز عنهُ النور ثم عُرّض للاورانيوم (وهو معدن نادر الوجود) او لمركباته اثّر هذا المعدن او مركباتهُ في اللوح الفوتوغرافي ولو كان ملفوفاً بما يحجب عنهُ النور. ووُجد ايضاً انهُ اذا دنيت هذه المركبات من الكتروسكوب مكهرب افرغت الكهربائية منهُ . والالكتروسكوب صندوق معدني جوانبهُ من الزجاج وفيهِ ثقب يدخلهُ سلك يحمل الكهربائية. والصمام الذي يسد الثقب ويمسك السلك يصنع من الكبريت او شمع الختم الاحمر او من مادة غيرها لا تنقل الكهربائية . ويعلق على طرف السلك قطعتان من ورق الذهب بحيث يراهما الناظر من جوانب الصندوق الزجاجية

فاذا هيجت الكهربائية بواسطة الاحتكاك في قطعة من شمع الختم ثم لمست بها الطرف الخارجي من السلك حمل مقداراً قليلاً من الكهربائية ونقلهُ الى الورقتين الذهبيتين فتدفع كل منهما الاخرى وتنفصلان مندفعتين بهيئة الرقم (٨) ثم اذا لمست طرف السلك نقلت يدك الكهربائية الى جسمك وارتدت الورقتان الى مكانهما الاصلي

ويمكن الوصول الى هذه النتيجة نفسها بان تضع داخل الصندوق ملحاً او معدناً يحتوي على شيء من الاورانيوم . وقد لاحظت مدام كوري البولونية نزيلة باريس ان سرعة التصاق الورقتين الذهبيتين تختلف باختلاف المعادن التي فيها اورانيوم وان هذه السرعة لا يمكن ان تكون مسببة عن اكسيد الاورانيوم وحدهُ بل يجب ان يكون لها سبب آخر وعزمت على ان تحقق ذلك عملياً فحللت هذا المعدن الى العناصر المركب منها وهي الاورانيوم والحديد والرصاص والباريوم والبزموت وغيرها وامتحنت تاثير كلٍّ منها على حدة . وظنت في اول الامر انها تأثرت قوة التفريغ الكهربائي الى مركبات البزموت ونسبتها الى عنصر فيها سمتهُ بولونيوم نسبةً الى وطنها بولونيا . وقد ثبت هذا الاكتشاف لانهُ لم يقم من ينقضهُ . ولكن مقدار البولونيوم الذي يمكن

الحصول عليهِ قليل جدًّا وفصلهُ عن البزموت من صعاب الامور . ثم اكتشفت عنصرًا ثانيًا في مركبات الباريوم فيهِ قوة عظيمة للتفريغ الكهربائي وهو اكثر وجودًا من البولونيوم. اطلقت عليهِ اسم "الراديوم"

والراديوم عنصر حقيقي مستوفٍ لكل الشروط التي يطلق عليها هذا الاسم واملاحهُ تشبه املاح الباريوم وقد شاهد كلٌّ من المسيو ديمارسي والاستاذ رنج والسر وليم كروكس طيف هذا العنصر واستنتجت مدام كوري ان ثقلهُ الجوهري يبلغ ٢٢٥ اي ان الجوهر الفرد منهُ اثقل من الجوهر الفرد من الهيدروجين مئتين وخمسة وعشرين ضعفًا . والاورانيوم اثقل العناصر من هذا القبيل فان ثقلهُ الجوهري يبلغ ٢٤٠ . وهنالك اسباب تدعو الى الظن بان ثقل الراديوم الجوهري قد يزيد على ٢٥٠ وان القطعة التي حلَّلتها مدام كوري ونظرت الى طيفها قد تكون غير خالية من عنصر الباريوم الذي لا يزيد ثقلهُ الجوهري على ١٣٧

ولما كانت هذه الابحاث جارية مجراها اكتشف زوجها المسيو كوري والدكتور شميد عنصرًا آخر من خواصهِ تفريغ الالكتروسكوب من الكهربائية . وهذا العنصر هو الثاليوم وثقلهُ الجوهري ٢٣٢ . ومن خصائص املاحهِ انها اذا أُجري عليها مقدار من الهواء اكتسب قوة التفريغ ودام كذلك وقتًا قصيرًا

ثم تناول هذا الموضوع الاستاذ رذرفورد والمستر سودي في كندا باميركا ووجدا انهُ اذا بُرّدت انبوبة بواسطة الهواء السائل ثم أُجري فيها الهواء المكتسب قوة التفريغ فقد تلك القوة. ولكن يبقى في الانبوب غاز فعَّال في تفريغ الكهربائية واذا احمي الانبوب دفع منهُ هذا الغاز. ويتولَّد من املاح الراديوم غاز مثل هذا ولكن قوتهُ على تفريغ الكهربائية ثابتة اثبت من القوة التي في الغاز المتولد من املاح الثاليوم فان ما يصدر عن املاح الثاليوم يتلاشى في بضع دقائق اما ما يصدر عن املاح الراديوم فيدوم شهرًا. وهذا الغاز يتكاثف اذا برد وينير من نفسهِ واذا اصاب جسمًا جعلهُ ينير مثلهُ .

وقد اكتشف المسيو كوري وزوجتهُ ان الراديوم يبقى دائمًا اشد حرارة مما يحيط بهِ . وهذا يدل على انهُ يخسر من قوتهِ خسارة مستمرةً واذا اذبنا قليلاً منهُ في الماء انصرف جانب من قوتهِ الى حل جزء من الماء الى عنصريهِ الاصليين الاكسجين والهيدروجين . ثم بيَّن الاستاذ رذرفورد والمستر بارنس ان ثلثي حرارة الراديوم ناتجان عن الغاز الذي يصدر منهُ. واستنتج رذرفورد وسودي ان الغازات التي تتولَّد من الراديوم تماثل الارغون في خواصها وظنا وجود مماثلة بين عنصر الهاليوم والعناصر التي تشع النور والحرارة

وقد اكتشفت الهاليوم سنة ١٨٩٥ وهو احد الغازات التي تكون مع الارغون ولما اتى المستر سودي في اوائل الصيف الماضي ليشتغل معي امتحنا صحة ما ظنهُ هو والاستاذ رذرفورد فكللت اعمالنا بالنجاح . ووجدنا ان الغازات الجديدة الصادرة عن الراديوم لا يرى فيها طيف الهاليوم ولكن حينما تبدأ بالانحلال يرى الهاليوم فيها بكميات قليلة جداً ثم تزداد شيئاً فشيئاً

ومعلوم انهُ يتركَّب من الكربون والهيدروجين مركَّبات كثيرة في واحد منها ثلاثون جوهراً من الكربون واثنان وستون جوهراً من الهيدروجين وهو اكثر المركبات المعروفة جواهر . ومن المرجح او المؤَكد انهُ لو وجد مركَّب فيهِ ٢٠٠ جوهر من الكربون و٤٠٢ من الهيدروجين لانحلَّ من نفسهِ وتولَّدت منهُ الحرارة . ومن المظنون انهُ كما يوجد حدٌّ لمقدار الجواهر التي تكون في المركبات كذلك يوجد حد للثقل الجوهري (لان الالفة الكيماوية او قوة التجاذب بين الجواهر المختلفة لا تقوى على جذب العدد العديد منها وكذلك قوة الجذب بين الدقائق الاصلية التي يتكوَّن منها الجوهر الفرد لا تقوى على جذب تلك الدقائق اذا زادت على حد محدود) فالعناصر التي ثقلها الجوهري كثير كالثوريوم والاورانيوم والراديوم (اي التي في كل جوهر فرد منها مئتان او اكثر من الدقائق الاصلية او الالكترونات) تنحلُّ جواهرها من نفسها الى ما هو ابسط منها لان قوة التجاذب فيها لا تكفي لحفظها فتتولَّد منها الحرارة والنور . ولا يُعلم من هذه البسائط التي تنحلُّ اليها الاَّ غاز الهاليوم الذي يتولَّد من الراديوم.

ولكن هل يمكن ارجاع هذه البسائط الى العناصر التي تخرج منها ذلك امر لا يعلم حتى الآن . ومعلوم ان الذهب من العناصر الثقيلة الجواهر فاذا حدث فيهِ تحويل فيكون بانحلالهِ الى فضة ونحاس لا باستحالة الفضة والنحاس اليهِ . الاَّ ان الحدس وحدهُ لا يكفي في هذا البحث ولا بدَّ من متابعة التجارب ليزداد ما نعرفهُ عن العناصر واستحالتها . انتهى

[المقتطف] وخلاصة ما تقدَّم ان الراديوم عنصر بسيط مثل سائر العناصر البسيطة كما يظهر بكل الادلة التي يستدلُّ بها على بساطة العناصر ومع ذلك تنحلُّ جواهرهُ ويخرج منها عنصر آخر لان جواهرهُ ثقيلة جداً الجوهر منها مثل ٢٥٠ جوهراً من الهيدروجين وزناً وهذا يدل على انها مؤَلفة من الكترونات كثيرة كما ابنا في مقالة اخرى موضوعها جواهر الاجسام. ومتى كثرت الدقائق ضعف التجاذب بينها فينفصل بعضها وقد اتضح ان الدقائق المنفصلة من الراديوم تكون مثل عنصر الهاليوم وهذه اول خطوة خطاها العلم في اثبات استحالة العناصر وكون بعضها مركباً من البعض الآخر

أئمة اليمن

لست اريد من هذه السطور ذكر تاريخ بلاد اليمن القديم او الحديث او ذكر ما انتاب تلك البلاد منذ عهود متوغلة في القدم لان ذلك قد بسط في المطولات من كتب التاريخ وغاية ما اريد تدوينهُ في هذه العجالة لمحة من تاريخ الائمة في بلاد اليمن

لما كانت بلاد اليمن آهلة بالزيديين فهم يسوقون الامامة في اولاد فاطمة . قال في كتاب الملل والنحل ما خلاصتهُ "الزيدية اتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهُ ساقوا الامامة في اولاد فاطمة ولم يجوزوا ثبوت امامة غيرهم الاَّ انهم جوَّزوا ان يكون كل فاطميٍّ عالمٍ زاهدٍ شجاعٍ سخيٍّ خرج بالامامة اماماً واجب الطاعة سواءٌ كان من اولاد الحسن او من اولاد الحسين . وعن هذا قالت طائفة منهم بامامة محمد وابرهيم الامامين ابني عبد الله بن الحسن بن الحسين الخ

وعلى هذه القاعدة جرى الزيديون في بلاد اليمن منذ القديم ولا زالوا على ذلك . وفي اوائل القرن العاشر للهجرة استولت دولة البرتغال على البحر الاحمر وحاربت الدولة العامرية في كثير من سواحلهِ واستولت على ركن وبعض البلاد في جهة عدن وتهامة وعمان وحينئذٍ استنجد السلطان "عامر" اليمني صاحب اليمن بالسلطان الغوري صاحب مصر على دفع دولة البرتغال فامدَّهُ في سنة ٩١٠ هـ بعمارة بحرية مؤلفةٍ من ٥٠ سفينة وبجيش كامل العدد والعدد تحت قيادة امراء من الجراكسة . فاستخلصوا البلاد من البرتغاليين ولكنهم طمعوا فيها فصدق فيهم المثل "كالمستجير من الرمضاء بالنار" . وتشبت الحرب بينهم وبين الدولة العامرية وكانت القوة الغالبة لهم فثبتوا في البلاد التي استخلصوها من ايدي البرتغال ومنها امتدوا الى داخل الجزيرة فملكوا الحديدة ولحيَّة وزبيد وقمران وباقي جهات عسير وتهامة وفتحوا صنعاء . وكل البلاد التي دخلت في حوزة الدولة العثمانية اخيرًا . على ان اولئك الجراكسة بقوا في حروب وقلاقل مع الاهالي والامراء العامريين الى ان انقطع عنهم المدد من مصر حين زوال الدولة الغورية واستيلاء السلطان سليم خان الثالث عليها كما ان العصبة العامرية ضعفت ايضاً بتوالي الحروب والاحن وكادت تنحل فثبت الجراكسة عدة سنين في اليمن بعد انقراض اصل دولتهم في مصر الى ان قام في اليمن شرف الدين الحسيني وبايعهُ الناس على الامامة وانبثت دعاتهُ في انحاء اليمن وعدن وتهامة وبايعوا لهُ الامراء والقبائل فاجتمعت عليهِ الكلمة وانعقدت لهُ القلوب فنادى

بالحملة على الجراكسة وساق عليهم جيوشهُ واخرجهم من البلاد كلها فتم لهُ الاستقلال في جميع انحاء اليمن ونجران وتهامة وعمان . ثم فشى الطاعون في مكة المكرمة وهو المعروف بالطاعون الكبير وبقي عدة سنين مات فيهِ خلق كثير حتى خلا ثلثا صنعاء قاعدة الامامة من السكان وامسى كثير من المدن والبلاد قاعاً صفصفاً لاساكن فيهِ

وفي خلال ذلك ارسلت الدولة العثمانية جيشاً واسطولاً الى البحر الاحمر واستولت على سواحلهِ بلا معارض وتم لها الاستيلاء على عسير وتهامة بكل سهولة

ثم تجرد الامير مظهر لاسترداد البلاد واضافتها الى "حضرموت" من جهة واستولى اخوهُ على معظم تهامة من جهة اخرى وبقي والدهما الامام في صنعاء معتزلاً الامارة الى سنة ٩٧٥ ه حين اتمّ الامير مظهر استرداد البلاد بحيث لم يبقَ في حوزة الدولة العثمانية سوى الساحل الاسفل من عسير وذلك الى سنة ١٠٤٥ ه وحينئذٍ تركت الدولة العلية الخطة اليمنية كلها واستقل الامراء الحسينيون في الولاية على البلاد واحداً بعد واحد ونخذاً بعد نخذ اولهم الامام محمد المؤيد بن قاسم من سنة ١٠٤٦ الى سنة ١٠٥٤ ه

ثم الامام المتوكل اسمعيل الى سنة ١٠٧٨

ثم الامام المؤيد الثاني ابن المتوكل الى سنة ١٠٩٧

ثم الامام الناصر الى سنة ١١٢٧

ثم الامام حسين بن قاسم الى سنة ١١٣٠

ثم الامام قاسم بن حسين الى اوائل سنة ١١٣٩

ثم الامام منصور الى نهاية سنة ١١٣٩

ثم الامام عباس بن الامام ناصر الى سنة ١١٨٩

ثم الامام منصور بن عباس الى سنة ١٢٢٩

ثم الامام عبد الله المهدي الى سنة ١٢٤٦

ثم انتقلت الامامة الى علي بن المهدي فخلع وبعدهُ الى ناصر بن عبد الله فقتل . وبعدهُ الى محمد بن المتوكل الى سنة ١٢٦٢

وآنئذٍ اختلَّ امر الامامة والامارة بدخول العساكر العثمانية الى تلك الجهات وبعد محاربات امتدت الى سنة ١٢٨٨ استتب الامر للعثمانيين في البلاد كلها . على ان اهاليها لا يزالون ينادون بالامامة وزعيمهم الآن امامهم حميد الدين

طرابلس الشام حكمت شريف

الدكتور فنسن والعلاج بالنور



ذكرنا بين الاخبار العلمية في الجزء الماضي ان الدكتور فنسن أُعطي جائزة نوبل الطبية ومقدارها مئتا الف فرنك . وقد اعطيها لانهُ اكتشف طريقة جديدة للعلاج جاءت وافية بالغرض المقصود منها . وقد ذكرنا هذا الاكتشاف وتدرُّجهُ في مراقي الكمال من حين ظهر الى الآن كما يعلم القراء ورأينا ان نلخص ذلك الان ونضيف اليهِ ما تتم بهِ الفائدة

ان الدكتور فنسن يدير الآن خمسة مستشفيات في كوبنهاغن بنتها حكومة الدنمارك للمعالجة بالنور. وقد عكف منذ سنة ١٨٩٠ على البحث عن فائدة النور العلاجية واول نتيجة وصل اليها فائدة النور الاحمر في الجدري وقد ثبتت هذه النتيجة بتوالي التجارب وشاع استعمال النور الاحمر في كل مكان فازال الصديد الذي يتكوَّن من بثور الجدري وقلَّل الندوب التي تبقى منهُ وقصَّر مدتهُ . ثم وجد ان للاشعة الكيماوية فائدة كبيرة في شفاء الذئب الآكَّال ونحوهِ من الآفات الجلدية . واخيرًا اكتشف اكتشافهُ المشهور وهو معالجة الامراض الميكروبية التي تصيب سطح الجلد باشعة النور الكيماوية وهذا الاكتشاف مبنيٌّ على الحقائق التالية وهي

اولاً ان الاشعة الكيماوية ولاسيما الاشعة البنفسجية والتي فوقها تميت الميكروبات فقد وجد ان نور الشمس وقت الظهيرة يميت الميكروبات في ساعات قليلة . والنور الكهربائي الساطع (القوسي) يفعل فعل نور الشمس من هذا القبيل ولكن نور الشمس والنور الكهربائي لا يقويان على قتل الميكروبات العائشة في الجلد ولو قويا على قتلها لكانت الامراض الجلدية الميكروبية

تشفى كلها في فصل الصيف . فوجد انهُ يجب جمع النور وتركيزهُ بواسطة آلة خاصة حتى يكون فيهِ المقدار الاكبر من الاشعة الزرقاء والبنفسجية وما فوقها لكي يستطيع قتل الميكروبات . فان هذا النور المجموع المتركز سواء كان نور الشمس او نوراً كهربائياً يقتل الميكروبات في بضع دقائق بعد ان كان لا يقوى على قتلها الا في بضع ساعات . ثانياً ان الاشعة الكيماوية تسبب التهاباً في الجلد . ثالثاً انها تستطيع خرق الجلد والوصول الى اللحم

وتقسم معالجة فنسن الى نوعين المعالجة بنور الشمس والمعالجة بالنور الكهربائي ففي المعالجة بنور الشمس يكون في الآلة بلورة مقعرة قطرها ٢٠ سنتمتراً الى اربعين ومعها لوح زجاجي مستوٍ وبينها وبينهُ محلول كبريتات النحاس النشادري الازرق فيكون جانب من هذا السائل مسطحاً والجانب الآخر محدباً اي يكون منهُ عدسية محدَّبة من احد سطحيها ومستوية من الآخر

ولا بدَّ من تبريد النور بنزع اشعة الحرارة منهُ لكي لا يحرق الجلد وهذا تفعلهُ هذه العدسية لانها ماء سائل كما تقدم والماء يمتص اشعة الحرارة واللون الازرق الذي فيهِ يمتص اكثر الاشعة الحمراء والصفراء وتبقى الاشعة الزرقاء والبنفسجية وما وراءهما وهذه هي الاشعة الفعالة في العلاج ولا يزول منها شيء كثير بمرورها في السائل الازرق . ويسهل رفع العدسية وخفضها وجعلها افقية او عمودية حتى تقع الاشعة التي تجتمع بها حيثما يراد ان تقع من الجلد

واذا احتجبت الشمس بالغيوم يستعمل النور الكهربائي بدلاً منها فان القنديل المعد لذلك تتفرع منهُ اربعة فروع كلٌّ منها كالتلسكوب وفيهِ بلورات من الكوارتز لانهُ اصلح من الزجاج لمرور الاشعة التي وراء البنفسجي وهي اقتل من غيرها للميكروبات . ولكن لا يمكن تبريد الاشعة الكهربائية بالماء الازرق لانهُ يمتص الاشعة التي وراء البنفسجي فتبرَّد بالماء المقطر ويكون الماء جارياً حتى لا يسخن كثيراً ومع هذه التدابير لتبريد نور الشمس والنور الكهربائي يبقى فيهما من الحرارة ما يضرُّ الجلد فلا بدَّ من تبريدهِ ايضاً . والاساليب المستعملة لذلك مختلفة والقناديل مختلفة ايضاً وثمن القنديل منها من ثلاثة جنيهات الى خمس مئة جنيه

وقد افاد العلاج بالنور في انواع الذئب والاكنة والحمرة والقروح الخبيثة وكل الذين شفوا بهِ لم يعاودهم الداء الذي شفوا منهُ . وكان المصابون يعالجون بعد ان يتمكن الداء منهم اما الآن فيعالجون حالما يظهر الداء فيهم فيكون شفاؤُهم اقرب منالاً

وقد بلغ عدد الذين عرضوا للعلاج في مستشفى فنسن ٨٠٤ شفي منهم ٤١٢ شفاء تامًّا وشفي ١٩٢ شفاء غير تام . ويظهر من ذلك ان اكثر من سبعة اعشار الذين عولجوا بالنور استفادوا من العلاج بهِ والذين يعالجون بهِ في بداءة العلة يشفون كلهم

لهم بالبسالة والحنكة حتى اذا انتظم عقد الجمع قيل لهم ان الامير دخل مجلسهُ وهو يدعو زعماء العشائر اليهِ فتقاطروا الواحد بعد الآخر حسب مقاماتهم وكانوا ينزعون اسلحتهم قبل دخولهم والامير يرحّب بهم على جاري عادتهِ . وقدمت لهم القهوة والمرطبات والشبقات ولكن كان الخوف والوجوم سائدين على الجميع كانهم يتوقعون امرًا ذا بال. ثم نهض الامير وخرج من المجلس وتبعهُ الشيخ بشير جانبلاط والمشايخ بنو عماد واراد النكدية ان يتبعوهم فأُقفل الباب في وجههم وأُخرجوا وقتلوا واحدًا واحدًا (٢). فهابت البلاد الامير وخلدت الى السكينة وزاد سكونها لان الجزار شُغل عنها بمجيء الفرنسوية الى مصر سنة ١٧٩٨ ومجيء البوارج الانكليزية الى عكاء لحمايتها منهُ سنة ١٧٩٩ ثم مجيء بونابرت اليها بجيوشهِ فامسى الجزار محتاجًا الى مساعدة الامير ورجال لبنان وكتب اليهِ يستنجدهُ فاعتذر بعدم طاعة اهل البلاد لهُ اذ بلغهم تولية اولاد الامير يوسف بدلاً منهُ

وكتب السلطان سليم منشورًا عامًا اتهم بهِ الفرنسويين بالكفر والفجور والطغيان واستنهض همة رعاياهُ لمحاربتهم. وقد اثبت تاريخ الامير حيدر هذا المنشور برمتهِ. وكتب السلطان ايضًا الى نائب طرابلس الشام منشورًا يقول فيهِ

" ليكن معلومًا ان الفرنسويين صمموا على اخذ مصر القاهرة وما يليها من البلاد والآن قد اختلسوا يافا وغزة والرملة وملحقاتها وعلى زعمهم الفاسد يريدون تدمير امة الاسلام وهدم كعبتها وجوامعها فاقتضت صداقة المحب الصادق والخل الموافق اجلّ الاحباب وكريم الانساب سعادة اخينا المحترم سلطان الانكليز المفخم المتحد معنا باخلاص الطوية على تدمير الامة الفرنسوية انهُ لغزير مكارمهِ ووافر مراحمهِ قد سيَّر مع عمارتنا الهمايونية عمارة انكليزية واقام عليها ساري عسكر افتخار الامراء الكرام في الطائفة المسيحية وعظيم الكبراء الفخام في الملة العيسوية جناب محبنا المحترم السنيور بلام سدني سمث الاكرم فوجهناهُ من لدنا بالتفويض الخاقاني والتوقيع السلطاني مشيرًا مطلقًا في نظام تلك الديار كما يراهُ بعين الاعتبار فليعلم الخاص والعام حسن صداقتهِ مع الاسلام والاعانة لنا على الدوام . اعلموا ذلك واعتمدوهُ غاية الاعتماد والسلام

وظن اهالي لبنان ان الفرنسويين جاءوا لينقذوهم من ظلم الجزار خصوصًا وظلم الولاة العثمانيين عمومًا ففرحوا بقدومهم وباعوهم الطعام والخمر وكذلك فرح المتاولة حكام بلاد بشارة وبلاد صفد الا ان الدروز سكان لبنان انقسموا الى قسمين قسم ظاهر الفرنسويين وقسم عاداهم

(٢) ويظهر من تفصيل تاريخ الاعيان وتاريخ الامير حيدر ان الذين قتلوا من آل عماد حينئذٍ خمسة لا عشرة ثم قتل خمسة آخرون بعد ايام

فزاد الشقاق بينهم. وكتب بونابرت الى الامير بشير يطلب منهُ نجدةً فلم يجبهُ بشيءٍ فكتب اليهِ ثانيةً يعاتبهُ لانهُ لم يردَّ جواب كتابهِ الاول ووقع هذا الكتاب الثاني في يد متسلم صيداءَ فارسلهُ الى الجزار فعلم انهُ اساءَ الظن بالامير

ووصل السر سدني سمث الى عكاءَ بالبوارج الانكليزية في ١٥ مارس سنة ١٧٩٩ وابلى رجالهُ بلاءً حسناً فرسخ في عقول الاهالي والحكام ان الانكليز ابطال حرب واهل نجدة فيحسن الالتجاءُ اليهم والاعتضاد بهم. واتفق ان رجلاً من اهالي لبنان كان آخذاً خمراً الى الجنود الفرنسوية فقبض عليهِ التلاحقة من مشايخ لبنان قرب نهر الدامور وسلموهُ لمتسلم بيروت فانزلهُ في سفينة وارسلهُ الى الجزار فرأى سفينة انكليزية قادمة الى بيروت فوقف يستغيث بمن فيها وكان السر سدني سمث في تلك السفينة فأمر باطلاقهِ وسألهُ عن شأنهِ فقال لهُ انهُ من جبل لبنان فسألهُ عن حاكم الجبل فقال لهُ انهُ الامير بشير ووصف لهُ مكارم اخلاقهِ. فكتب السر سدني سمث كتاب مودة الى الامير وارسلهُ مع هذا الرجل وطلب منهُ ان يرسل اليهِ رجلاً يعتمد عليهِ ليوقفهُ على ما في نفسهِ. فسرَّ الامير بهذا الكتاب وارسل اليهِ رجلاً من اهالي الشوف اسمهُ حسن ورد ومعهُ هدية فاخرة وكتاب يعرب فيهِ عن اخلاصهِ وثقتهِ بالامَّة الانكليزية وطلب منهُ ان يحميهُ من جور الجزار. قال تشرتشل ان السر سدني سمث طلب حليفاً قويًّا فوجدهُ يستغيث بهِ لينقذهُ من جور والٍ ظالم لكن ذلك لم يحط من منزلة الامير في عينيهِ لانهُ علم ان مقامهُ السيامي كتابع للجزار اوقعهُ في هذا الضعف فاكرم رسولهُ غاية الاكرام ووعدهُ بان يكون واسطة بينهُ وبين الجزار ولا يدع الجزار يتعرض لهُ بسوءٍ وارسل اليهِ هدية مع الرسول وكان ابن اختهِ قد جُرح في حصار عكاءَ فارسلهُ معهُ ليستشفي بهواء لبنان فلقي من العناية والتجلَّة والاكرام ما اقنع السر سدني سمث بصدق ولاءِ الامير فصار من اقوى انصارهِ

وقال صاحب تاريخ الاعيان وحضر القبطان سمث (السر سدني سمث) الى بيروت فتوجه اليهِ ابن اختهِ وحدَّثهُ بما صنعهُ الامير معهُ من الجميل والكرامة. ثم ان الامير كتب اليهِ يدعوهُ الى دارهِ فاجابهُ ان يوافيهُ الى الطريق فحضر الامير الى عين عنوب وارسل اليهِ بعضاً من الامراءِ والمشايخ للاقاتهِ واصحبهم بخيل لركوبهِ وركوب اصحابهِ فجاءَ الى عين عنوب بمئتي جندي من جماعتهِ والتقاهُ الامير باطلاق البارود واحتفل بهِ احتفالاً عظيماً وقدَّم لهُ هدايا نفيسة فهاداهُ بانفس منها وطاب نفساً وبقي عندهُ ثلاثة ايام ثم ودَّعهُ وسافر الى عكاءَ وكلم الجزار في امرهِ فلم يجبهُ الى شيءٍ فتركهُ مغتاظاً وسافر الى الاسكندرية

وكتب منها الى الصدر الاعظم والتمس منهُ ابقاء الامير بشير والياً على لبنان وردع الجزار عن اذاه . الاَّ ان الجزار عاد الى مصادرة الامير وعزم على خلعهِ وتولية اولاد الامير يوسف . وفي اثناء ذلك قدم يوسف باشا ضيا الصدر الاعظم بالجيوش العثمانية الى حلب فكتب اليهِ الامير بشير وارسل اليهِ خيلاً جياداً مع رجلين من اعوانهِ قدماها لهُ وطلبا منهُ صفو خاطرهِ على الامير وردع الجزار عن المظالم في جبل لبنان . ولما وصل الوزير الى حماه بعث الامير اليهِ هدية اخرى ولما بلغ دمشق بعث اليهِ هدية ثالثة فانعم عليهِ بولاية جبل لبنان ووادي التيم وبلاد بعلبك وبلاد البقاع وبلاد المتاولة واعداً اياهُ بانهُ يبقى والياً عليها يرسل اموالها الى خزينة الدولة رأساً كما كانت الحال في عهد الامراء المعنيين ولا يكون لولاة سورية سلطة عليهِ . لكن هذه المواعيد كانت عرقوبية ولعلَّ الباب العالي اوجس خيفة من كتابة السر سدني سمث عن الامير بشير فعضد الجزار على مقاومتهِ فعاد الى دس الدسائس في الجبل وعادت نار الحروب الاهلية الى الاستعار . وبعد معارك يطول شرحها تمكَّن الجزار من ايصال اولاد الامير يوسف الى دير القمر مع ستة آلاف جندي من الجنود العثمانية وذلك في اواخر سنة ١٧٩٩ فاضطر الامير بشير ان يهرب من وجههم باعوانهِ ولجا الى كسروان وبلغ السر سدني سمث ذلك فكتب اليهِ كتاباً عربياً اثبتهُ الامير حيدر في تاريخهِ وهذه صورتهُ

من سميث ساري عسكر سلطان بلاد الانكليز ونائب حضرة السلطان سليم الى الاخ الحبيب الامير بشير الكلي الشرف والاحترام

اما بعد فانني لما وصلت الى بيروت سأَلت عن احوالك يا اخي وصديقي المحبوب فبلغني ما توقع لك من احمد باشا الجزار فانهُ قد ولَّى مكانك اولاد الامير يوسف وطردك من الولاية التي انعمت بها عليك الدولة العثمانية عن نصرها لحالاً صرت اتوجه الى غزة لمواجهة اخينا الصدر الاعظم وقائم مقام الدولة العلية . وان شاء الله عن قريب تصل مني الاخبار التي تسرك . ولا تظن يا اخي الحبيب ان انقطاعي عنك لسبب غير كثرة الحروب والاتعاب التي حصلت لي في ابي قير والاسكندرية وذلك لعدم اسعاف الجزار باشا اياي لانهُ تعهد انهُ يوجّه اليَّ الاسعاف بالمراكب والذخائر وآلات الحرب ونكث وعدهُ وعهدهُ . والآن قد صار عدوًّا لي وللدولة العلية لان العهد بيننا ان عدو الدولة عدو الدولتين وصديق الدولة صديق الدولتين . وانت يا اخي كن براحة بال ان شاء الله قريباً تنال كل ما ترغب فيهِ . وقد تركت لك مركباً في بيروت لاجل كل ما يلزمك من الذخائر وغيرها . وان شاء الله لا ابطئ عنك في الاخبار . وانا اعلم ان بعض الوشاة في دولتك يوصلون صورة كتابتي هذه الى جزار باشا . ولكن فليعلم

انهُ سيحل بهِ الندم وتنزل عليهِ النقم وقد حررت لك هذه الاسطر من ظهر الطامور في ٥ كانون الاول (دیسمبر) ولا بد ان تخبرني دائمًا عنك والسلام

وحضر امر من عبدالله باشا العظم والي دمشق بهذه الصورة "صدر المرسوم المطاع الواجب القبول والاتباع الى امراء ومشايخ وشيوخ عقل وعقال ورعايا جبل الشوف بوجه العموم كي يعلموا . انهُ قد طرق مسامعنا ما ارتكبتموهُ من العصاوة في قبولكم اولاد الامير يوسف ولاةً عليكم وبلغنا ان البعض منكم قد اشتركوا معهم في القيام بهذه المهمة مع انكم تعلمون ان جناب ولدنا الامير بشير المحترم معين من لدن الدولة العلية اعز الله انصارها ورفع شوكة اقتدارها . وان كل من خرج من تحت اوامرهِ يكون قد وقع تحت غضب حضرة مولانا السلطان نصرهُ العزيز الرحمن . ولاجل ذلك قد اصدرنا اليكم مرسومنا هذا في حال وقوفكم عليهِ يجب ان تتركوا ما عندكم من العصيان . وتذكروا ما حلَّ بقومكم في سالف الزمان . وكيف سبيت النساء وقتلت الاطفال لما عصى الدولة الامير فخر الدين ابن معن في ايام الكجك احمد . وسوف ترد اليكم العساكر كالبحار الزواخر ان لم ترجعوا الى جناب ولدنا المشار اليهِ طائعين . وتكونوا لاوامرهِ سامعين . واعلموا انهُ هو المؤيد عليكم وانهُ قد صار من رجال الدولة العلية . ويجب على العاقلين منكم ان يفتكروا في عواقب الامور ولا تكونوا كمثل قوم غدروا بانفسهم . وان لم تفعلوا ما امرتكم بهِ تندموا حيث لا ينفعكم الندم وتكون خطيئة النساء منكم والاطفال في اعناق الرجال فاحذروا من الخلاف . واعتمدوا مرسومنا هذا غاية الاعتماد والسلام"

قال الامير حيدر في تاريخهِ ان الامير بشيرًا لم يكترث لكتاب عبد الله باشا لعلمهِ ان اهالي البلاد لا يعبأون بهِ لخوفهم من الجزار ولان انقسامهم لعجزهم عن مقاومتهِ . ثم اتاهُ رسول من قنصل الانكليز في طرابلس بكتاب من السر سدني سمث يطلب منهُ ان يأتي الى غزة لمواجهة الصدر الاعظم ويقول لهُ انهُ ارسل اليهِ سفينة الى طرابلس ليركب بها فركب السفينة وسار الى غزة ولما وصل الاسكندرية رحَّب السر سدني سمث بهِ والتقاهُ باطلاق المدافع ورحَّب بهِ الصدر الاعظم ايضًا وقال لهُ انت اعز رجال الدولة وخصيص مولانا السلطان وقد بلغني انك صاحب حمية وحماسة وغيرة فكن طيب الخاطر . ثم دعاهُ مدبر الصدر الاعظم اليهِ واجلسهُ بجانبهِ واقسم لهُ ان الصدر الاعظم قد اتخذهُ بمنزلة ولد لهُ

وعاد الامير بشير من الاسكندرية ومرَّ على يافا وبيروت ووصل الى قبرص وصوَّر الانكليز صورتهُ حينئذٍ واهدى اليهِ السر سدني سمث مالاً طائلاً لنفقاتهِ . وكان الصدر الاعظم قد كتب الى والي قبرص ليكرمهُ غاية الاكرام فبقي فيها نصف سنة وعاد بهِ السر سدني

سمت الى الاسكندرية ومنها الى طرابلس فاقام في بلاد عكار الى ان اشتدَّ غيظ اهالي الجبل من ابني الامير يوسف لشدَّة ما ارهقاهم بهِ ولجأوا الى الثورة وامتنعوا عن دفع الاموال الاميرية . ورأى الامير بشير ان كل ما نالهُ من الصدر الاعظم والاميرال الانكليزي لا يجديهِ نفعاً ما لم يسترضِ الجزار بالمال فعاد الى استرضائهِ لكن الجزار لم يرضَ الاَّ بعد حروب كثيرة كادت تقضي على ما بقي في الجبل من الرمق كأنَّ غرضهُ الاول بعد ابتزاز اموال العباد تقليل عددهم حتى لا ينصروا امة اجنبية . ودرى اهالي الجبل بذلك فاتفقوا بعد خراب البصرة على ان يكون الامير بشير والياً على لبنان كلهِ ولا يكون للاميرين ابني الامير يوسف الاَّ بلاد جُبيل وتمَّ الصلح بينهم على هذهِ الصورة وبلغ الجزار ذلك فتمزَّق غيظاً وعاد الى دس الدسائس في البلاد وبعث بالجنود لنصرة ولدي الامير يوسف ومدبرهما جرجس باز فاستعرت نار الحرب واحتدم لظاها اياماً كثيرة الى ان رأى جرجس باز " انهُ اذا ملك البلاد بسيف الدولة لا يقدر على تقدمة الذخائر والنفقات والدولة لا تقنع منهُ بالقليل ولا بالكثير وان باص البلاد مثل العادة رحل الناس منها وتولاَّها الدمار " فراسل الامير بشيراً في العود الى الصلح وخادع الجزار حتى استرجع جنودهُ . واجتمع الامير بشير واعوانهُ بجرجس باز واعوانهِ في عيناب وتصالحوا وتصافوا وساروا الى دير القمر وبقي الامير هناك وذهب جرجس باز الى جبيل لان شروط الصلح تقضي بان يكون الامير حسين بن الامير يوسف والياً على بلاد جبيل وجرجس باز مدبراً لهُ . وعلم الجزار بهذا الاتفاق فخاف عاقبتهُ لانهُ لا يستطيع ان يسود على لبنان الاَّ بالشقاق فجعل ينتظر الفرص لذلك فسنحت لهُ حالاً لان بعض الشهابيين رغبوا في الولاية وانحاز اليهم العمادية وكتبوا الى الجزار يلتمسون الولاية للامير عباس اسعد فاجابهم الى ذلك . وبلغ الشيخ بشير جانبلاط ما فعلوهُ فاتفق مع الامير قعدان وارسلا الى الجزار يطلبان الولاية للامير سليمان فاجابهم الى ذلك ايضاً وكأن لسان حالهِ يقول اذا كثرت الاحزاب كثر الراشون وامنَّا شر اجتماع الكلمة

وكانت بلاد الشام كثيرة الخير في ذلك الوقت لانها كانت طريق التجارة من اوربا الى الهند ومن الهند الى اوربا فصبرت على تلك الرزايا السود ولولا ذلك ما استطاعت البقاء بضعة سنوات ونار الحروب الاهلية دائمة الاستعار

وذهب الامير عباس الى عكاء ومعهُ العمادية فرحَّب الجزار بهِ والبسهُ خلعة الولاية وانفذ معهُ عسكراً الى صيداء واعطاهُ كتاباً الى سليمان باشا واليها ليكون قائداً للعسكر وانفذ الشيخ فارس العماد بالفرسان الى البقاع ونشبت نار الحرب بين جنود الامير بشير وجنود الجزار

فدارت الدائرة على جنود الجزار فعاد الى دس الدسائس في الجبل وايقاع الفتن فيهِ فنجح بعض الشيء ثم وافتهُ منيتهُ في اوائل سنة ١٨٠٤ واستراحت البلاد منهُ ولكنها لم تسترح من غيرهِ من الولاة ولو لم يبلغ احد مبلغهُ في الظلم والبطر · وخلف الجزار رجل اسمهُ اسمعيل باشا اراد الاستقلال وخلع نير الدولة فكتبت الى الامير بشير تثبت ولايتهُ على لبنان وما ولاهُ من البلاد وقالت انهُ تحقق لها صدق خدمتهِ وحسن استقامتهِ وعلو همتهِ وامرتهُ ان يساعد ابرهيم باشا والي دمشق على طرد اسمعيل باشا من عكاء · وكتب اليهِ يوسف باشا ضيا الصدر الاعظم بمثل ذلك فجمع ستة آلاف مقاتل عاون بها ابرهيم باشا فدارت الدائرة على اسمعيل باشا فقتل وولي سليمان باشا بدلاً منهُ فكتب الى الامير انهُ وجد صكوكاً كثيرة عليهِ وعلى اقاربهِ باموال طائلة فاجابهُ الامير مقرًّا بصحة الصكوك لكنهُ قال ان الجزار كان يُدفَع اليهِ المال فلا يعطي بهِ بيانًا بل كان يقول اني امرت بتقييدهِ الى نهاية الحساب . وبعد مراجعات شتى واقامة البينات الكثيرة تمَّ الاتفاق على مبلغ يدفعهُ الامير مخالصة فاستدان حرير اقاربهِ وباعهُ واوفى بهِ ما تمَّ الاتفاق عليهِ

ومرَّت ثلاث سنوات وامور الجبل بين بين لا صفاء ولا كدر لكن الضغائن بقيت كامنة والخصوم يتحينون الفرص ورأى الامير بشير انهُ لا بدَّ من وقوع الشقاق بينهُ وبين اولاد الامير يوسف ما دام جرجس باز في قيد الحياة لان الرجل كبير النفس ولهُ حزب كبير في البلاد فعزم على الايقاع بهِ ولو غدرًا

قال الامير حيدر في تاريخهِ ما ملخصهُ

ان جرجس باز قام بخدمة الامراء اولاد الامير يوسف الشهابي حتى اقامهم على ولاية البلاد ثم شاطرهم الامير بشير الحكم فاقتصروا على ولاية بلاد جبيل وما يليها وكانوا قاصرين في السن والرأي وكان جرجس باز مدبرًا لهم خادماً في القول ومخدوماً في العمل لانهم كانوا يأتمرون بامرهِ في كل افعالهم لا يصدرون امرًا الاَّ باذنهِ وكان لهُ السلطة المطلقة عليهم حتى في ملابسهم وخيلهم وسلاحهم ونفقاتهم ولم يكن في يدهم امر ولا نهي ولا خاتم يختمون بهِ ما يكتب باسمائهم من رقاع الديوان بل كانت اختامهم بيدهِ يكتب ويختم كما يشاء بغير اذن منهم فكان لا يُسأل عما يفعل وهم يُسأَلون . وكان هذا الرجل حاذقًا كريم النفس والبد سلس الاخلاق طيب الحديث يأْخذ لقاؤهُ بقلوب الناس فيميلون اليهِ · وكان متلافاً يستهلك الاموال غير محتفل بها في الشدة والرخاء وكان للناس طمع بكرمهِ حتى ربما أُهدي اليهِ فرس او سيف او ثوب فيتناولهُ بعض حاشيتهِ قبل ان يراهُ ثم يخبرهُ بهِ فيقول لهُ بارك الله لك فيهِ · وكان

طروبًا يحب الملاهي والغناء فلا يخلو محله من منشد الا نادرًا وفيهِ تيه واقدام فلا يبالي بامر ولا يراعي جانب من يراعى جانبهُ . وكان اخوهُ عبد الاحد باز يقرب منهُ في هذه الصفات الا انهُ لم يكن يجاريهِ في النباهة وكان مسرفًا كثير البذخ في الملابس يستبدل في اليوم الواحد خمس حلل كاملة من العامة فما يليها . وطابت لهما الايام زمانًا طويلاً وعظمت منزلتهما ومال اليهما كثيرون من عمد البلاد فاستطالا ولم يكن للامير بشير حرمة عندهما فكان يضمر لهما السوء

واتفق في تلك الايام ان المشايخ بني تلحوق اغاظوا الامير فارسل اليهم رسلاً يطلب منهم اموالاً طائلة وكذلك اغتاظ من المشايخ بني عبد الملك فارسل عليهم رجالاً يضيقون عليهم تأديبًا لهم وكان جرجس باز يحرضهُ على الانتقام منهم فرحلوا من منازلهم ونزلوا على اخيهِ الامير حسن في غزير وسألوهُ ان يتوسط في امرهم فأتى دير القمر ليتوسط بينهم وجرى حديث جرجس باز بين الامير واخيهِ لان جرجس باز كان يغريهِ بالايقاع بهم واراه كتبًا كتبوها الى والي عكاء وشاية بهِ وكان والي عكاء قد اطلعهُ عليها او سلمهُ اياها فتم الاتفاق بين الاميرين على الايقاع بالاخوين في يوم واحد وهو الخامس عشر من شهر ايار (مايو) سنة ١٨٠٧ وكان جرجس باز في دير القمر واخوهُ عبد الاحد في جبيل وتحوط الاميران لذلك تحوطًا يدل على مقدرة الاخوين وكبر حزبهما في البلاد وما لهما فيها من الجاه والكلمة النافذة فتظاهر الامير بشير بالغيظ من العمادية والتلاحقة واوعز اليهم ان يلجأوا الى جرجس باز ليتوسط امرهم فلجأوا اليهِ فاجابهم حياء وكرم اخلاق وخاطب الامير في ذلك فاجابهُ ان يكتبوا صكًّا على انفسهم بالمال المطلوب منهم الى مضي شهر فكتبوا الصك وكان الامير قد اخبرهم بما اطلعهُ عليهِ جرجس باز من امر المكاتيب التي ارسلوها الى عكاء واتفق معهم على ان يوقع بهِ و يعفيهم من الاموال التي طلبها منهم فحالفوهُ على ذلك وحسب جرجس باز انهُ فاز في استرضائهِ واصطنع اولئك المشايخ وذاع الامر في البلاد . ثم قام المشايخ الى جبيل مدعين انهم ذاهبون اليها ليلتمسوا من الامراء اولاد الامير يوسف ان يتوسطوا لهم في ترك ما تعهدوا بهِ للامير في الصك وبلغ جرجس باز ذهابهم فارسل كتابًا الى اخيهِ عبد الاحد الا يقبلهم . ولما وصلوا الى غزير سار معهم الامير حسن الى جبيل وارسل رجالاً من خدمهم يلهون من في باب المدينة بالشراء واللعب مخبرين عن قدوم مشايخهم نزلاء على الامراء اولاد الامير يوسف لكي لا يقفل بابها في وجوههم فلما اقبلوا على المدينة حذَّر احد خدام الامراء عبد الاحد قائلاً ان هؤلاء القادمين جم غفير فيخشى ان يكونوا قاصدين شرًّا فليقفل باب المدينة في وجوههم او اخرج انت منها بمواليك فاجابهُ ان هؤلاء هم المشايخ اليزبكية وقد قدموا نزلاء علينا واراه

كتاب اخيهِ وظلَّ في غفلتهِ . ووصل المشايخ الى باب المدينة وهجموا برجالهم على دار عبد الاحد وهجم الامير حسن برجالهِ على القلعة وفيها الامراء اولاد الامير يوسف فلما راى عبد الاحد الهاجمين على دارهِ ايقن بالهلاك فتقلَّد سلاحهُ حالاً وجعل يطلق الرصاص على الهاجمين عليهِ فقتل رجلاً منهم وجرح آخر ولما رأَى تكاثر خصومهِ عليهِ القى بنفسهِ من نافذة فادركوهُ وقتلوهُ ونهبوا دارهُ . ودخل الامير حسن القلعة وقبض على اولاد الامير يوسف

وفي الساعة التي دخل فيها الامير حسن مدينة جبيل استدعى الامير بشير جرجس باز للنظر في بعض المهام فحضر وجلس عنده ساعة . ثم خرج الامير من مجلسهِ واغلق الباب وامر اعوانهُ الدروز ان يدخلوا ويقتلوهُ فدخلوا وخنقوهُ وامر ايضاً بقتل مدبرهِ واثنين من اعوانهِ لانهُ كان يخشى شرهم فهاج اهالي دير القمر وماجوا وهجموا على سراي الامير بشير فالتقاهم من فيها بالبنادق فاضطروا ان يعودوا عنها

قال الامير حيدر وتأَسف الناس على جرجس باز لانهُ كان كريماً قاضياً للحاجات وكان اصحابهُ يخشون من مثل هذا الامر ويحذرونهُ وينذرونهُ ووُجد في منطقتهِ كتاب من الشيخ طاهر عطا الله ينصحهُ فيهِ من غائلة الامير بشير وهو لا يلتفت الى ذلك حتى قضي الامر فصحَّ فيهِ قول الشاعر

وإذا رأَيت مقدَّرًا من قادر وفررتَ منهُ فنحوهُ كان السرى
ان المقدَّر كائن لا ينجي وللك الامان من الذي ما قدَّرا

وجار الامير بشير على الامراء اولاد الامير يوسف وسمل اعينهم ومنعهم من التزوج خوفاً من اعقابهم واستصفى املاكهم وعيَّن لهم من ريعها نفقةً معلومة ووضع عليهم حرَّاساً يمنعونهم من مواجهة الناس فوقعت رهبتهُ في القلوب وبسم لهُ الدهر . وتوفي اخوهُ الامير حسن سنة ١٨٠٨ وعمرهُ ثلث واربعون سنة ووصفهُ تاريخ الاعيان بانهُ "كان عاقلاً فطناً فصيحاً محبًّا للعلم والعلماء كريماً سديد الرأي شديد البأس ابيَّ النفس صعب القياد وكان ركناً لاخيهِ في كل امر" فالتمس الامير بشير ولاية بلاد جبيل لابنهِ الامير قاسم من والي طرابلس فقلدهُ اياها . اما العمادية فندموا على قتل جرجس باز لانهم لم ينالوا شيئاً بقتلهِ فهاجر زعماؤهم الى مصر . وقدم عبد الله بن مسعود الوهابي التميمي من الحجاز الى حوران فاستنجد سليمان باشا والي عكاء بالامير بشير فانجدهُ بخمسة عشر الف مقاتل من اهالي لبنان لكن ابن مسعود عاد من حيث اتى من غير قتال . وسيأتي تتمة حديث الامير بشير في الجزء التالي

الحرفة وتوابعها

في الفروق بين الحِرْفة والصناعة والخِدْمة والمهنة والسيطرة والولاية والمصلحة

قد يتردَّد المستعمل حتى يحار وتطول حيرتهُ في مواضع استعمال هذه الكلمات على التعيين فرأيت ان اجمعها واحرِّر معانيها في هذه النبذة وهذا ما ظهر لي فيها

١ً (الحِرْفة) في الصحاح الحِرفة الصِناعة والمحترِف الصانع وفلان حرّيفي (بتشديد الراء بشكل القلم لا نصًّا وهو يقتضي كسر الحاء ايضاً حتى يكون كصِدّيق) اي معاملي وهو يحرف لعيالهِ اي يكسب من ههنا وهنا . والحُرْف بالضمّ الاسم من قولك رجل محارَف بفتح الراء اي منقوص الحظّ وكذلك الحِرفة بالكسر . اه

قلت والذي يفهم من السياق ان الحريف اي المعامل اي الذي يعمل بما تعمل بهِ انت حَريف بفتح الحاء وكسر الراء مخفَّفة كشريك وكذلك ذكرهُ المصباح والقاموس كما سيجيء . واما الحرّيف بتشديد الراء فهو ما يلذع اللسان بحرافتهِ كما ذكرهُ هو (الصحاح) قبيلهُ بقولهِ والحُرْف بالضم حبّ الرشاد ومنهُ قيل شيءٌ حرّيف بالتشديد للذي يلذع اللسان بحرافتهِ وكذلك بصل حرّيف ولا تقل حريف

وفي القاموس . الحِرفة بالكسر الطُعْمة والصناعة يُرْتزَقُ منها وكل ما اشتغل الانسان بهِ وضَرِيَ يسمَّى صَنْعةً (صوابهُ صِناعة) وحِرفةً لانهُ ينحرف اليها . وحرِيفكَ (بتخفيف الراء بشكل القلم لا نصًّا) معاملك في حرفتك والمحرِف والمحترَف الموضع يحترف فيهِ الانسان ويتقلب ويتصرَّف اه .

قلت ويتحصل منهما ان الحرفة اعمّ من الصناعة لقول الصحاح يحرف لعيالهِ يكسب من ههنا وهنا وقول القاموس الحرفة الطعمة فتكون الحرفة عبارة عن كل وجه يتقلب الانسان فيهِ ويتصرَّف للكسب حتى تشمل التجارة والزراعة ووكالات الدعاوي وتعليم العلوم والسمسرة والدلالة والطبابة والقبالة وفتح الحمَّامات والقهاوي والمتفرَّجات والطباخة في السوق وشواية اللحم ودقّ الحمص وكواية الثياب وتشقيق الحطب بالاجرة ودلالة الدليل في الطرقات وكيالة الحبوب والقبانة حتى كناسة الاسواق والطرق لمن يتعيش منها . وكثير من هذه المذكورات لا يُسمَّى صناعة كما سيجيء

٢ً (الصِناعة) في الصحاح الصناعة حرفة الصانع وعملهُ الصنعة بفتح الصاد وسكون النون (اي ما يكون من عمل الصانع كالخزانة والصندوق من عمل النجار يسمَّى صنعةً) ورجل صنيع

اليدين وصنِع اليدين صانع حاذق وامرأَة صناع اليدين اه . وفي القاموس صنَع الشيء صنعاً عملهُ والصناعة ككتابة حرفة الصانع وهو صنع اليدين وصَنَعُ اليدين وصنيع اليدين وصناعهما حاذق في الصنعة من قوم صنعَى الايدي بضمةٍ وبضمتين وبفتحتين وبكسرة واصناع الايدي وامرأَة صنَاع اليدين ماهرة بعمل اليدين وامرأَتان صناعان ونسوة صُنُع ككتب والاولى كقذال وقُذُل كما في الصحاح اه

تنبيهات . في كلام القاموس هذا اولاً قولهُ حاذق في الصنعة صوابهُ في الصناعة لان الصنعة ما يخرج من عمل الصانع كالصندوق من عمل النجار وانما يقال فلان حاذق في النجارة لا حاذق في الصندوق . وثانياً ان قولهُ رجل صناع اليدين لم يقلهُ غيرهُ والمعروف ان هذه الصفة خاصة بالمرأَة كحصَان ورزَان . وثالثاً قولهُ هو من قوم صنعى الايدي بضمَّة فيكون وزنهُ (فُعلَى) وبضمتين فيكون (فُعُلَى) وبفتحتين فيكون (فَعَلَى) وبكسرة فيكون (فِعلَى) ولا شيء منها معدود ولا معروف في ابنية جموع التكسير فكلها تساهل منهُ رحمهُ الله والصحيح اصناع كما قالهُ اخيرًا وافعال ياتي جمعاً للصفات المستعملة استعمال الاسماء فيكون صِنع كنكِس وصَنَع كبَطَل وصَنِيع كشريف وكلها تجمع على افعال ولو كان (صنعَى) هذا معروفاً لما قالوا ليس لنا من الجموع على فِعلَى سوى حِجلى وظِرْبي

قلت ويتحصَّل من الصحاح والقاموس ان الصناعة عبارة عن عمل يدويّ يجريهِ الصانع في صَنعتهِ ويكون مما يغيّر في ذات المصنوع كالطحانة والخبازة . والطباخة او في صفتهِ كالنجارة والحدادة والصياغة . وفي هذه وامثالها يسمَّى المصنوع باسم غير اسم مادتهِ وقد يكون عمل الصانع مما يغيّر في صنعة المصنوع حتى يصير صنفاً من نوعهِ يتميز عنهُ بتلك الصنعة ويكسبهُ اسماً خاصاً كعمل الصبَّاغ ومجلّد الكتُب وكوَّاء الثياب ومن ثمَّ يكون الخطّ والنقوش بالحفر والتصوير بالشمس وبالالوان صناعة

واعلم انهُ وان كانت الصناعة في الاصل لما هو عمل بالايدي فقد توسعوا في استعمالها واطلقوها ايضاً على العمليَّات وهذا مما يشملهُ قول القاموس وكل ما اشتغل الانسان بهِ وضرِي يسمَّى صنعة (اي صناعة) وحرفة" وقولهُ ايضاً " رجل صنعُ اللسان محرَّكة ولسان صَنَع يقال للشاعر ولكلّ بليغ" انتهى كلام القاموس . وفي فروق حقي الصناعة بالكسر العلم الحاصل بالتمرُّن قال السيوطي الصناعة حرفة الصانع وعملهُ الصنعة وكل علم مارسهُ الرجل سواءٌ كان استدلاليًّا او غيرهُ حتى صار كالحرفة لهُ يسمَّى صناعة . وقال صاحب الكشَّاف في تفسير قولهِ تعالى (لبئس ما كانوا يصنعون) لا يسمَّى كل عامل صانعاً ولا كل عملٍ يسمَّى صناعة حتى يتمكن فيهِ

ويتدرَّب وينسب اليهِ . وقال التفتازاني في حواشي الكشَّاف معلومات العلم ان حصلت بالتمرُّن على العمل فربما خُصَّت باسم الصناعة · او بمجرَّد النظر والاستدلال فبالعلم . وقد يقال الصناعة لما تدرَّب فيهِ صاحبهُ وتمكن او لما يكون المقصود الاصليُّ فيهِ هو العمل · وبالجملة للصناعة تعلُّق بالعمل ولذا قالوا الصناعة ملكة نفسانية يقتدر بها الانسان على استعمال موضوعات ما نحو الغرض من الاغراض صادراً عن البصيرة بحسب ما يتمكن فيها · انتهى كلام الفروق

٣ (الخدمة) الخدمة عبارة عن عمل الخادم وتصرُّفهِ في حاجات مخدومهِ فهي غير الصناعة. واصحاب الصحاح ومختارهِ والمصباح والاساس لم يضبطوا الخدمة نصًّا واطلاقهم يرجح الكسر او يعينهُ لانها مثل الحرفة واما القاموس فقال خدمهُ خدمة بالكسر ويفتح · قلت ولا يجري على الالسنة في لفظ الخدمة سوى الكسر وجمعها خدَم كسدْرة وسدَر وهو يدل على اصالة الكسر فيها

واعلم اولاً ان خدمة الخادم ان كانت في عمل معين من حاجات مخدومهِ مما هو من قبيل الصناعة كالطباخة والخياطة للمخدوم خاصة يصحُّ ان تُسمَّى ايضاً حرفةً وصناعة واما اذا لم تكن في عمل معيَّن او كانت في عمل معين ليس من قبيل الصناعة كشترى الحاجات من السوق مثلاً وصف السفرة وجمعها فيصحُّ ان يسمى حرفة ولا يسمَّى صناعة

وثانياً ان الخادم من قبيل الصفة المطلقة الغير الملحوظ فيها التذكير والتأنيث كالنصَف والايم والعانس وان شئت فقل مما جرى مجرى الاسم. ففي الصحاح الخادم واحد الخدَم غلاماً كان او جاريةً وفي القاموس هو خادم وهي خادم وخادِمة واختدم خدم نفسهُ وفي المصباح هو خادم غلاماً كان او جاريةً والخادمة بالهاء قليل

وثالثاً انهُ لم يجئْ جمع خادم الاعلى خدَم وخدَّام ومقتضى ذلك انهُ لا يجمع على خدمة ككتبة وهو الواقع

٤ (المهنة) في الصحاح المهنة بالفتح الخدمة وحكى ابو زيد والكسائيّ المهنة بالكسر وانكرهُ الاصمعيّ وفي المصباح المهنة اخصُّ من المهن مثل الضربة والضرب وقيل المهنة بالكسر لغة وانكرها الاصمعيّ . وفي القاموس المهنة بالكسر والفتح والتحريك وككلمة الحذق في الخدمة والعمل . وقالوا كلهم مهنهُ خدمهُ والماهن الخادم وامتهنت الشيءَ ابتذلتهُ . وتفرَّد المصباح بقولهِ وهو في مهنة اهلهِ اي في خدمتهم وخرج في ثياب مهنتهِ اي في ثياب خدمتهِ التي يلبسها في اشغالهِ وتصرفاتهِ

واعلم انهُ من مادَّة (مهن) يأتي مهن بفتح العين ومضارعهُ كيمنع وينصر ومصدرهُ المهن كالضرب ومنهُ المهنة والماهن . ومهُن بضم العين ماضياً ومضارعاً ومصدرهُ المهانة ومنهُ المهين

بمعنى الحقير والضعيف والقليل والمبتذل· ومن ثم يكون الامتهان بمعنى العمل والحذق فيهِ في قولك امتهنت العمل الفلاني اي اتخذتهُ مهنةً من مهن المفتوح عين الماضي . ولا شيء فيهِ من الصغار· والامتهان بمعنى الابتذال والاذلال والاحتقار في قولك امتهنت فلاناً او الثوب من مُهن المضموم العين ولا شيء فيهِ من الحذق

ويتحصل مما تقدَّم اولاً ان المهنة تطلق على الخدمة والصناعة غير انها لا تطلق عليهما الاَّ مع اعتبار الحذق فيهما فيكون الماهن في خدمة الحاذق فيها والماهن في صناعة الحاذق فيها

وثانياً ان مثل التجارة ووكالة الدعاوي والخطابة والتأليف وانشاء ما ينشر في الجرائد وسائر امثال هذه المذكورات ادخل في معنى المهنة منها في معنى الحرفة — واذا اطلقت المهنة على نحو الرياسة والوزارة والامارة وقيادة الجيوش والقضاء وادارة المعامل والقيام على المهام الدولية او العمومية فلا يكون اطلاقها هذا باعتبار العمل البدنيّ ولكن باعتبار ما تستلزمهُ من اعمال النظر والامر والنهي بحسب ذلك

وثالثاً ان انكار الاصمعيّ كسر ميم المهنة غير وجيهٍ اولاً لانهُ نقلهُ ابو زيد والكسائي وهما امامان مثلهُ بل ابو زيد اعرف واوثق منهُ في اللغة · وثانياً لان القياس يقتضيهِ فهي كالحرفة والخدمة وهما بالكسر · وثالثاً لان جمعها مِهَن كسدرة وسدر وهو قياس جمع فعلة بالكسر وجاء ايضاً مُهَن كغُرَف والضم فيهِ من تناوب الضمة والكسرة المحل الواحد. واما جمع فَعْلة بالفتح فقياسهُ الفِعال بكسر الفاء كحربة وحراب وما جاء منهُ على فِعَل كبدرة وبِدَر نادر لا يقاس عليهِ وان اعتبر فيها بناء المرَّة كما يلمح من كلام المصباح تعين جمعها على فعلات كجلسة وجلسات وكلها ادلَّة على بطلان انكار الاصمعي

٥ً (الوِلاية) بالكسر والفتح وان كان الكثير على الالسنة الكسر عبارة عن السلطة والإمرة على عملٍ ما من الاعمال البدنية او المعنوية فهي غير الحرفة وغير الخدمة لدلالتهما على العمل البدني دونها وانما هي تدل على الإمرة على العمل امرًا ونهياً في الشيء المولَّى عليهِ

٦ً (السيطرة) عبارة عن السلطة على العمل بمعنى الاشراف عليهِ وتعهدهِ وكتابة وحفظ ما يجرى فيهِ من زيادة ونقص وتجديد وازالة ونحو ذلك ويرادفها الآن في اصطلاح السياسة الدولية النظارة وفي لسان العامَّة الخوْلية

٧ً (المصلحة) عبارة عمَّا يترتب على الفعل (من الخير والنفع) وما يبعث على الصلاح ومن هذا سمي ما يتعاطاهُ الانسان من الاعمال الباعثة على نفعهِ مصلحة لهُ · قلت وعلى هذا فالمصلحة اعمُّ من كل ما ذكر من هذا القبيل · والله اعلم

ظاهر خيرالله الشويريّ

مصادر جديدة للقوة

زاد استعمال الفحم الحجري في هذه الايام ايام المعامل الكبيرة زيادة عظيمة حتى بلغ ما ما يُحرَق منهُ سنويًّا اكثر من سبع مئة مليون طن فيُخشى ان تنفد مصادر الفحم وتفرغ المناجم التي يستخرج منها فتتعطل المعامل ويتوقف العمل ويقضى على التمدن الحديث بالتقهقر والانحطاط. ولا بدَّ من ان يزيد ثمن الفحم قبل ذلك زيادة تمنع كثيرين من استعمالهِ ولذلك حوَّل الناس انظارهم نحو مصادر جديدة وابواب غير مطروقة لعلهم يتمكنون من استبدال الفحم بشيءٍ اقل منهُ نفقة او يتوصلون الى طرق جديدة يقتصدون بواسطتها في ما يحرقونهُ منهُ

ولا يخفى ان الجانب الاكبر من الفحم الذي يحرق في المعامل او في البيوت يذهب سدًى في شكل دخانٍ وغاز وحرارةٍ فيطير الغاز السام الى الهواء فيفسدهُ ويسقط الدخان على المنازل فيسودها وتتفرق الحرارة في الفضاء فلا يستفيد احد منها . فلا مشاحة ان ثروة عظيمة تنتظر المخترع الذي يتوصل الى اكتشاف طريقة يقتصد بها في ما يُحرَق من الفحم

ومصادر القوى الطبيعية كثيرة والفحم واحد منها وتتلوهُ القوة المائية اي قوة انحدار الماء ونفقاتها اقل من الطفيف الآن تحويلها الى كهربائية ونقلها الى الاماكن البعيدة يستوجب نفقات طائلة وزد على ذلك ان الماء المنحدر لا يوجد في كل مكان ولا في الاراضي المستوية

ويمكن استخدام قوة الرياح الاَّ ان حركتها غير منتظمة وتقتصر فائدتها على ادارة المطاحن ورفع المياه وقد استعملت لذلك منذ زمن طويل

وزيت البترول قد يقوم مقام الفحم الحجري فيُستغنى بهِ عنهُ ولكنهُ لا يقل عنهُ كثيرًا في النفقة وهو مع ذلك يستعمل في بعض المعامل الكبيرة

ولا يخفى ان الحديد يسبك من حجارتهِ بصهرها في اتاتين عظيمة تحمى نهارًا وليلاً . وقد كان الغاز الناتج من اشغال الفحم فيها ينبعث بمقادير عظيمة الى الهواء المجاور فيفسدهُ ويلبس الارض والمنازل المجاورة لون الحداد . اما الآن فقد تنبه ارباب الاختراع الى هذه الخسارة فبادروا الى تلافيها . فترى امام بعض المسابك الكبيرة آلات عظيمة مما قوتهُ مئة حصان الى ما قوتهُ ١٥٠٠ حصان تتناول هذا الغاز الذي كان يذهب ضياعًا وتحولهُ الى قوةٍ ثم تنقل هذه القوة بصفة كهربائية الى البلدان المجاورة فتدير المعامل وتضيء المنازل . ولم تزل المعامل التي تستخدم غاز المسابك فتحولهُ الى كهربائية قليلة العدد الآن الاَّ انها في ازدياد دائم فلا تمضي سنوات قليلة حتى تصبح ذات شأن كبير في العمران . والغازات المنبعثة من المسبك الواحد

التي كانت تضيع سدًى تكفي لتسيير خمس قاطرات الى عشر . وتخسر بريطانيا وحدها من مسابكها قوةً تعادل قوة ستمئة الف حصان يوميًا . وتخسر الولايات المتحدة اكثر من ذلك وهذا شأن كل مسابك الحديد في المسكونة . فلو استعملت هذه القوة الضائعة حق الاستعمال لقلَّ ما ينفقهُ الناس الآن على الفحم قلة بالغة

وقد بدت منافع الآلات الغازية فانتشر استعمالها انتشارًا عظيمًا وقامت مقام كثير من الآلات البخارية ولذلك فقد تحولت انظار اصحاب الثروة نحو انشاء معامل كبيرة لاستخراج الغاز الرخيص لتدار بهِ الآلات البخارية بدلاً من الفحم

ومن مصادر القوة القليلة النفقة الغاز الحديث الاستعمال المسمى غاز موند . فانهُ يستخرج من كسر الفحم الرخيص الذي لا يزيد ثمن الطن منهُ على سبعة شلنات . ويستخرج منهُ غاز ومواد اخرى تباع باثمان غالية وفي هذا زيادة اقتصاد في نفقة استخراج الغاز . وعلى افواه مناجم الفحم الحجري مقادير كبيرة من هذا الفحم الناعم الرخيص الثمن الذي يمكن تحويلهُ الى قوة باقل نفقةٍ فتحوَّل هذه القوة الى كهربائية وتنقل الى المدن والمعامل والمركبات الكهربائية

ويمكن ايضًا حرق فضلات المدن وتحويل حرارتها الى قوة تدار بها الآلات وتسير بها المعامل كما يُفعل في بعض المدن الان . والمستقبل امام هذه القوة واسع لان فضلات المدن كثيرة يضيق بها السكان ذرعًا فيرحبون بكل سبيل يزيلها ويحولها الى قوة نافعة

واستخدام حرارة الشمس من اهم ما يحث فيهِ الباحثون في هذا الصدد وهي مسألة قديمة العهد الأ ان طريقتها لم تخرج بعد من حيز الامتحان الى حيز العمل التجاري . وقد صنع بعضهم مرآةً مخروطية الشكل واسعة السطح تعرَّض لاشعة الشمس فتعكسها وتجمعها على مرجل نحاسي ملآن ماء فيغلي الماء في المرجل بالحرارة المصبوبة عليهِ فيتولد منهُ البخار ويدير آلة بخارية . وتدار هذه المرآة بآلة كالساعة فتبقى متجهة الى الشمس ويبقى وجهها مصوَّبًا نحوها . وقد تبين ان كل مئة قدم مربعة من سطح هذه المرآة يجمع من حرارة الشمس ما يعادل قوة حصان واحد . ويعترض على الآلات الشمسية ان الشمس تحتجب بالغيوم اياماً واسابيع في بعض الاماكن ولا يسهل استعمالها في البلدان الحارَّة كالقطر المصري وبلاد السودان حيث تشرق الشمس دوامًا لكثرة العواصف التي تثير الغبار والرمال وتغشي بها سطح المرآة

وجوف الارض مخزن عظيم للحرارة وقد اشار بعض العلماء باتخاذ الوسائل التي تمكن الانسان من استخدامها . فقال بعضهم بحفر آبار عميقة في الارض وسكب الماء فيها واستخدام البخار المتولد منهُ وقد يظهر ان هذا العمل مستحيل لذاتهِ ولكن ستبدي لك الايام ما كنت

جاهلاً والمستقبل ابو العجب فلا بد من ان يكشف الانسان ابواباً يتوصل بها الى استخدام حرارة الارض . فاذا تم لهُ ذلك وجد فيها مخازن قوة لا تنفد

وفي المد والجزر ميدان واسع لبحث المهندسين ويقول الخبيرون ان فيهما من القوة ما اذا عرف البشر كيفية استخدامهِ قام مقام كل القوى التي يستخدمها الانسان من الفحم والغاز والبترول وغيرها . والذي يسعدهُ الحظ فيصل الى استنباط لاستعمال هذه القوة يجد فيها اوسع ابواب الثروة . واقرب الطرق المعروفة للآن ان تقام آنية كبيرة في مكان عالٍ يصل اليهِ المدُّ فيملاها ثم ينصب الماء منها وقت الجزر رويداً رويداً فيكون من انصبابهِ قوة عظيمة حسب مقدارهِ وارتفاع آنيتهِ

والامواج مصدر آخر ولا بد ان يتصل الناس الى استخدام قوتها . وحينئذٍ تبنى المعامل على شواطيء البحار فتستخدم قوة الامواج المتلاطمة لتسيير آلاتها وتستغني عن دخان الفحم ورائحة المداخن او تحوَّل قوة الامواج الى كهربائية وتوزع في البلاد فتضيء المنازل وتدير المعامل وتجر المركبات كما تفعل الشلالات



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

تصحيح وهم

بينما كنت أُطالع الجزء التاسع من المجلد الثامن والعشرين من مقتطفكم الازهر وارشف منهُ زلال العلوم والمعارف اذ وقع نظري على عنوان (بحث في الكامل) للكاتب الفاضل محمد افندي كرد علي فوجدتهُ بحثاً جليلاً وعنواناً نبيلاً نجلت في معمعانهِ وانست من قطف الخوانهِ حتى عثرت في اثناء البحث على قولهِ منظومةُ اي منظوم كتاب الكامل للمبرد في صحيفة ٧٢٥ وهذه عبارة الموميِ اليهِ بعينها

يظهر ان المبرد طالع كثيرًا من دواوين العرب وانتقى طرفًا صالحًا منها فجاء ما وقع اختياره عليه زبدة الزبد كما هو الشأن في ديوان الحماسة الذي اختاره ابو تمام الطائي من شعر العرب العرباء. ومن الانموذجات ما نقلهُ من طريف شعر الحرث بن ظالم من قوله وكأنهُ شعر معاصر

فلما فقدت الصوت منهم واطفئت مصابيح شبت بالعشي وانور

الى تمام ما اوردهُ من هذه القصيدة التي هي لعمر ابن ابي ربيعة المخزومي الذي ولد ليلة وفاة عمر ابن الخطاب رضي الله عنهُ فقيل اي حق رفع واي باطل وضع واول القصيدة

امن آل نعم انت غاد فمبكر غداة غد ام رائح فمهجر

وهي اشهر من نار على علم وفاتحة ديوان المخزومي بها فالعجب من حضرة الكاتب المنتقد كيف نسبها لشاعر جاهلي واعجب بطلاوة شعره بقوله وكأنهُ شعر معاصر ولو علم ناظمها لما اخذهُ العجب اذ صاحب نعم لهُ في رقة الشعر وعذوبته شأن سامى كيوان وجل نظمه على هذا النمط وان تكن هذه القصيدة سيدة شعره. وكأني بحضرة الفاضل توهم مما اوردهُ المبرد بالكامل في شرح ابيات لعمر في الجزء الاول من كتابه صحيفة ٣٨٢ من قصيدة اولها

قال لي صاحبي ليعلم ما بي أتحب القتول اخت الرباب

الى قوله بها

ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد النجم والحصى والتراب

فوصل الى شرح هذا البيت وقال وها كلامهُ بعينه

وقولهُ عدد النجم والحصى والتراب فيه قولان احدهما انهُ اراد بالنجم النجوم ووضع الواحد في موضع الجمع لانهُ للجنس كما تقول اهلك الناس الدرهم والدينار وقد كثرت الشاة والبعير وكما قال الله عز وجل ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وقال الشاعر

فبات يعد النجم في مستحيره سريع بايدي الآكلين جمودها

يريد النجوم والوجه الآخر ان يكون النجم ما نجم من النبت وهو مالم يقم على ساق والشجر ما يقوم على ساق واليقطين ما انتشر على وجه الارض قال الله جل وعز والنجم والشجر يسجدان وقال الحرث ابن ظالم للأسود ابن المنذر ابن ماء السماء

اخصيَّ حمار بات يكدم نجمة ايؤكل جيراني وجارك سالم

ثم قال ومن ظريف شعره. والضمير راجع الى عمر لا الى الحرث اذ بيتهُ استشهاد على ما ذكرهُ من شرح بيت عمر المذكور آنفًا ليس غير. ولو اردت سرد كتب الأدب لأتيت بدلائل جمة على صحة ما نمقتهُ وحسبي الآن ما رسم اقوى دليل وبرهان

ولما كنت اضن بكاتب بليغ نظير محمد افندي كرد علي ان يكتب شيئاً لم يسبره بمسبار التروي والامعان خصوصاً في مجلة مثل المقتطف هي طليعة المجلات جئت بكلماتي هذه الانتقادية كي تكون تنبيهاً وصوناً للشعر الشهير عن اختلاف النسب واضاعة الحسب على اني لا انكر ان الجواد قد يكبو والحسام قد ينبو وللرجل في عالم الادب مكاناً اعلى وفي عقوة الانشاء شجاعة من البيان اجلى منتقد عارف

دوران الارض

محاورة واستفتاء

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

جرى حديث بيني وبين احد ادباء طرابلس الافاضل امين افندي عز الدين اتينا فيهِ على ذكر حركة الارض ودورانها فقال حضرتهُ ان ذلك لم يزل بعدُ ظنياً ولم يرتقِ الى درجة القطع واليقين وربما اتى زمن يرجعون فيهِ عن القول بحركة الارض ودورانها . فقلت لهُ ان ما ذكرتهُ هو زعم غير علماء الفلك في عصرنا الحاضر اما هم فصريح عباراتهم القطع واليقين . فانكر ذلك واكد لي انهم غير قاطعين وان ذلك ظاهر في اقوالهم حتى ان اصحاب المقتطف انفسهم كانوا اشاروا الى ذلك في بعض الاجزاء الاخيرة من مقتطفهم . فقلت لهُ ان تلك الاجزاء عندي وسأنظر فيها ثم تصفحت المجلد ٢٦ من المقتطف وراجعت ما ذكرتهُ دائرة المعارف على كلمة (ارض) وكتبت اليهِ وكتب اليَّ . والكتابان طي كتابي هذا

لم ارد فيما كتبت الى ذلك الاديب سرد الادلة وبيان جهة دلالتها ومحاولة اقناعهِ بان الارض تتحرك او تدور وانما اردت نقل بعض اقوال علماء هذا الفن من حيث تشف عن الجزم بحركة الارض ودورانها

فابى حضرتهُ الاَّ الخوض في تلك الادلة وتزييفها وبيان جهة الضعف فيها ففعل ونسب للمقتطف نصاً استنتج منهُ ان الارض ثابتة عند اصحابهِ كما ترون في كتابهِ . فما حقيقة هذا النص؟ وما هو القول الفصل في المسئلة ؟ وهل ان نقض ذلك الاديب للادلة المذكورة مقبول عند العلماء وينطبق على اصولهم

الحديث في ان الارض ثابتة او متحركة ان عدَّهُ قوم من قبيل اللغو او الهزل نظراً لاعتقادهم الجازم بحركتها فهو عند آخرين لم يزل في طور الحدس والتخمين وان القول بامكان ثباتها جِد وما هو بالهزل كما يظهر من كلام ذلك الاديب

فهل يتسع صدر المقتطف الاغر لدرج الكتابين فيهِ موافاة لرغبة ذلك الفاضل ثم يبين لنا الحق فيما ذكر بحيث يعقلهُ القارئ بلا تعب و يتناولهُ الذهن عن كثب · واقبلوا احترام احد مشتركي مجلتكم باسكلة طرابلس الشام عبد القادر مغربي

الكتاب الاول

عزيزي امين افندي

راجعت اجزاء السنين الاخيرة من المقتطف فوجدت في الجزء التاسع من المجلد السادس والعشرين الصادر في اواسط سنة الثلاثمائة والتسع هجرية صحيفة ٧٦٣ ما نصهُ

(حركات الارض) يظن عامة الناس ان الارض ثابتة لا تتحرك " والحقيقة " انها تتحرك اثنتي عشرة حركة وهي (١) دورانها على محورها مرة كل ٢٤ ساعة (٢) دورانها حول الشمس مرة كل (٣٦٥ ١/٤) يوم . ثم اتى على ذكر بقية الحركات واحدة فواحدة

وراجعت في دائرة المعارف كلمة (ارض) فوجدت اصحابها يقولون تحت عنوان (آراء المتأخرين) ما نصهُ

والارض في الظاهر مستقرة و" بالحقيقة " سابحة غير معلقة بسلاسل ولا مرفوعة على عمد محاطة بالاجرام الفلكية والفضاء — وتقطع اكثر من الف ميل في الدقيقة

فانت ترى ان لفظ " الحقيقة " ورد في العبارتين المذكورتين · ولا جرم انها تدل على كون حركة الارض مقطوعاً بها عند المتاخرين من علماء هذا الفن· فهل يطمئن الفاضل لهذين النصين ويحكم معي بان المتأخرين يذهبون الى حركة الارض على وجه القطع واليقين لا الظن والتخمين او يبقى متردداً في الامر واني اعيذ انصافهُ من اختيار الخطة الثانية

ان اصحاب الدائرة اسهبوا في بيان حركات الارض وانواع الحركات ومما قالوهُ في هذا الصدد ما يأتي : ومن اهم الادلة " المحسوسة " على حركة الارض ودورانها حول الشمس انحراف النور المنبعث من الاجرام الفلكية الخ· ومن الادلة على دورانها الآلة المسماة جيروسكوب الخ ومن براهين دوران الارض على محورها ميل الاجسام الساقطة من محل مرتفع جداً ميلاً قليلاً الخ وقد ثبت هذا بالامتحانات المتتابعة في الاماكن العديدة من الاشخاص الكثيرين وحاصل الكلام ان الارض وبقية السيارات تدور حول الشمس

فان كان وراء هذا كلهِ لدى حضرة الاديب الفاضل نصوص تفيد ان حركة الارض لم تتعدَّ بعدُ طور الظن والتخمين فليتحفنا بها فنكون لهُ من الشاكرين وفوق كل ذي علم عليم

عبد القادر مغربي

الرد

الحمد لله وحدهُ والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبهِ اما بعد فقد كان آخر العهد بيننا فيما تذاكرنا من دوران الارض ان قلت للاخ حفظهُ الله ان دورانها ظنيٌّ وان اصحاب المقتطف اشاروا الى ذلك في احد الاجزاء الاخيرة وانكرت قطع الاخ بدورانها من غير نظر في الادلة او اعتماد على استفاضة صحيحة . ثم اتاني من لدنك كتاب فيهِ نصان وبعض دلائل على دورانها وفيهِ ما عدا ذلك دعوتي الى القطع بدوارانها وتعويذي من اختيار غيرهِ كأن الكتاب جاء بسلطان مبين مع انهُ لم يصعد بالمسألة من حيزها الظنيّ قامة خنصر وليصغَ الاخ الى ما اقول

اما انحراف النور المنبعث من الاجرام الفلكية فهو ناشيءٌ من سير الاجرام فوق الارض منحرفةً ولذلك فان اشعة الشمس لا تنحرف في الصيف لسيرها فوق الارض عمودية وذلك هو سبب الحر صيفاً والبرد شتاء وقد نص عليهِ المقتطف فقال ان الشمس تسير فوق الارض مائلةً نحو الجنوب في فصل الشتاء وتسير عمودية على الارض في فصل الصيف الخ ولعلهُ يعين لكم الجزء الذي ذكر ذلك فيهِ ان سألتموهُ . فقد رأيتم منشأ انحراف النور وسمعتم نص المقتطف في سير الشمس فوق الارض فهو ظاهر في ثبوت الارض لان احداً لم يقل بسير الشمس حول الارض مع القول بدورانها حول الشمس والقائلون بدوران الارض ذاهبون الى ان الشمس تدور على محورها لا فوق الارض منحرفةً وهانا اعيذك من ان يخفى هذا عليك

واما ميل الاجسام الساقطة فلم اكن احدس ان سببهُ يخفى على مثل الاخ قبل اليوم فان ذلك شيءٌ فرغت منهُ اقلام العلم الطبيعي ولو كان هذا من امارات دوران الارض لمال كل ساقط مع ان الساقط في الخطوط السمتية لا يميل قطعاً وانما يميل ما سقط في غيرها لانهُ حينئذٍ يكون نتيجة قوتين احداها متصلة وهي جاذبة الثقل والاخرى منقطعة وهي المسقطة . ونتيجة هاتين القوتين خط منحنٍ كما بين في محلهِ ولا نعلم فيهِ منازعاً حتى الساعة

واما الآلة المسماة جيروسكوب فانَّى لنا ان نقتنع بها او نقطع بمكتشفها ونحن نعلم في كثير من المسائل التي بحثت عنها الآلات والمراصد خلافاً او رجوعاً عنها بعد ذلك ولعلك تذكر الاختلاف في تعيين ميل المنطقة وفي حجم الكواكب وفي تعيين مدة دوران الزهرة او تذكر الرجوع عن اشتمال الشمس على غاز الاكسجين او غير ذلك مما لست على ذكر من جميعهِ ولا اجد من حاجة لمراجعتهِ فامرهُ عليك فكم من مسألة قطع بها القوم ثم عادوا للظنون

واما لفظ (الحقيقة) التي جاءت في نصي المقتطف ودائرة المعارف في جانب الدوران

فهي كما لا تصلح حجةً على مدعي التخمين والظن فيدعى الى تغيير معتقده لا تشهد على قائلها هنا بقطعهِ في اضافتها اليهِ شهادةً واضحةً لانهُ يجوز ان يكون جاريًا في تقريرها على الضجة الاخيرة ويؤيد ما قلناهُ ما ذكرناهُ عن المقتطف من النص في دوران الشمس والاشارة الى ثبوت الارض . ومن العجب في هذا الفصل ان الاخ قطع بهذين النصين ان المتاخرين من العلماء قاطعون بدوران الارض مع انهما لا يتم بهما الاستقراء وليس فيهما ذكر الاجماع ولعل الذي اعجلهُ ان يقول ذلك لذة الرد عليَّ اذ قلت ان المسئلة لم تزل في حيز التخمين حتى ان من علماء اوربا من ينازع بذلك . واما ما طلبتم من النصوص على مدعاي فقد قلت لكم اني لا اذكر اين وجدت ذلك في المقتطف وليس عندي الآن مما انا منهُ على ذكر الاَّ ما في صفوة الاعتبار من ان المسئلة ظنية وان اصحابها مقرُّون بذلك . وانا لا اجد حاجة لسرد النصوص ان كانت المسئلة يراد الوقوف عليها من طريق البصيرة فان مجرد تزييف الدلائل على دورانها كافٍ للقطع بظنيتها . ولكم ان تبعثوا اليَّ ما تجدونهُ من الدلائل فان وجدت ما ابطلهُ بهِ نصًّا كما رأَيتم الآن او اجتهادًا بما قرأْتهُ من فن الهيئة فعلت والاَّ رجعت الى القطع بدورانها خضوعًا للادلة ولا ابالي بعد ذلك لو اجمعت اوربا على خلافهِ . ذلك ما اختارهُ لنفسي في جميع المسائل العصرية فان كان لكم في ذلك اقتناع فيها وان ابيتم الاَّ الاقتناع بالنصوص فقد كفاني في تصحيح دعواي نصًّا ما نقلتهُ عن صفوة الاعتبار والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اخوكم

محمد امين عز الدين

[المقتطف] يظهر مما كتبهُ هذان الفاضلان انهما مختلفان في كون علماء الفلك من الاوربيين قاطعين بدوران الارض على محورها ودورانها حول الشمس او غير قاطعين وفي ان المقتطف قاطع معهم بهما او غير قاطع . والذي نعلمهُ ان علماء الفلك قاطعون بذلك مقتنعون بصحتهِ ونحن مقتنعون معهم . ولا نتذكَّر اننا خالفنا ذلك في كل ما كتبناهُ في هذا الموضوع الاَّ اذا راعينا الظاهر احيانًا ووصفنا سير الشمس كأَنها هي الدائرة من الشرق الى الغرب

والادلة على دوران الارض على محورها كثيرة نذكر منها خمسة ونفرض ان القارئ مسلِّم بكروية الارض لاننا لا نظن ان احدًا من قرَّاء المقتطف ينكر ذلك الآن

الدليل الاول انهُ اذا وقعت اجسام ثقيلة كرصاص البنادق من اماكن عالية لا بقوتين بل بقوة واحدة وهي القوة الجاذبة نحو مركز الارض كأَنْ كانت مربوطة بخيوط دقيقة وقطعت الخيوط بمقراض او بلهب شمعة فانها لا تصل الى سطح الارض الذي تحتها في خط مسمتي تمامًا

بل تنحرف الى الشرق دواماً. ولا يُعلَّل انحرافها الاَّ بدوران الارض على محورها من الغرب الى الشرق فانها اذا دارت كذلك فكل ما هو متصل بها دائر معها كما ان كل ما في السفينة يسير معها في سيرها وكل ما على ظهر الفرس يجري معهُ في جريهِ ولكن النقطة العالية عن سطح الارض تكون اسرع من الواطئة في هذا الدوران لانها تكوّن دائرة اكبر من دائرة النقطة الواطئة والدائرتان تدوران دورتيهما في وقت واحد فالعليا اسرع من السفلى. ولما كانت قطع الرصاص في المكان العالي كانت مشاركة لهُ في دورانهِ السريع حول محور الارض ويقضي ناموس الاستمرار بان تبقى على سرعتها فاذا وصلت الى المكان الواطئ كانت سرعتها الى الشرق اشد من سرعتهِ فتتجاوزهُ وتقع شرقيهُ والتجارب تؤيد ذلك

والثاني ان الانهار الجارية من الشمال الى الجنوب او من الجنوب الى الشمال تميل مياهها الى الاعتداء على ضفافها الشرقية او الغربية حسب كونها سائرة من اماكن قريبة من خط الاستواء الى اماكن بعيدة عنهُ او بالعكس. فنهر النيل مثلاً يعتدي على ضفتهِ الشرقية حتى بلغ الجبل الشرقي في جانب كبير من واديهِ. وهذا شأن سائر الانهر ويعلل ذلك في نهر النيل بان مياههُ الجارية من الجنوب الى الشمال متحركة مع الارض ايضاً الى الشرق. والجهات الجنوبية من القطر المصري اسرع في حركتها الى الشرق من الجهات الشمالية لان الاولى اقرب الى خط الاستواء من الثانية وسرعة الارض عند خط الاستواء نحو الف ميل في الساعة وعلى ستين درجة من العرض ٥٠٠ ميل فقط ففي جريانها من الجنوب الى الشمال تميل الى الشرق ايضاً لان سرعتها الى الشرق اشد من سرعة الاماكن التي تصل اليها. ولو كان نهر النيل جارياً من الاسكندرية الى الخرطوم لاعتدى على ضفتهِ الغربية ونحرها حتى يصل الى الجبل الغربي من واديهِ

والثالث ان الرياح الهابَّة من الشمال الى جهة خط الاستواء ومن الجنوب الى جهة خط الاستواء ايضاً تنحرف الى الغرب وهي الرياح التجارية التي تسير بسفن التجار الشراعية من اوربا الى اميركا . وسبب انحرافها ان سرعتها بدوران الارض الى الشرق وهي في جهات القطبين ابطأ من سرعة الارض الى الشرق في جهات خط الاستواء فتتأخر عن الجهات التي تصل اليها وتصير جهتها غربيةً ولا يعلل سيرها كذلك الاَّ بدوران الارض على محورها

والرابع تقدير المدفعية الذين يطلقون المدافع دوران الارض حين يطلقون مدافعهم من الشمال الى الجنوب او من الجنوب الى الشمال. فاذا كانوا واقفين في طرابلس مثلاً واطلقوها من الجنوب الى الشمال اضطروا ان يسددوها الى نقطة غربي الغرض فتقع عليهِ والاَّ فان سدَّدوها الى الغرض تماماً وقعت شرقيهُ واذا اطلقوها من الشمال الى الجنوب فعلوا ضد ذلك

والخامس دليل فوكول في تجربتهِ المشهورة وهي انهُ اذا عُلق جسم ثقيل كرقاص الساعة بسلك دقيق جدًّا وحُرّك حتى يخطر شمالاً وجنوبًا لم يبقَ خطرانهُ في سطح واحد بل ينحرف سطح الخطران رويدًا رويدًا بالنسبة الى ما يوضع تحتهُ ولا يعلل ذلك الاَّ بدوران الارض على محورها

وعليهِ فدوران الارض على محورها امر مقرَّر يحسب الناس حسابهُ في بعض اعمالهم . والادلة عليهِ اثبت علميًّا من الادلة على وجود ما نراهُ امامنا من المرئيَّات فانك اذا رأَيت رجلاً امامك من غير ان تلمسهُ او تشمهُ او تسمع صوتهُ فالدليل الوحيد على وجودهِ رؤْيتك لهُ لكنك حينما تراهُ انما تشعر بالصورة المنقولة الى دماغك . وهذه الصورة قد تكون واردة الى عينيك من الشخص نفسهِ او من صورتهِ المعكوسة عن مرآة او تكون صورة قديمة محفوظة في ذاكرتك رأَيتها بتهيج عصبي كما يرى الناس الخيالات والتخيلات ولا حقيقة لها في الخارج

ثم ان تعاقب الليل والنهار لا يعلَّل الاَّ بامر من امرين احدهما دوران الارض على محورها مثل السيَّارات الاخرى التي تدور على محاورها والثاني بقاء الارض ثابتة ودوران الشمس والسيارات والنجوم كلها حول الارض مرةً كل اربع وعشرين ساعة . ويُعلم من ادلَّة رياضية قاطعة ان جرم الشمس اكبر من جرم الارض ٣٣٢ الف مرةً وبُعدها عنها نحو ثلاثة وتسعين مليون ميل وكذلك كلٌّ من المشتري وزحل ونبتون واورانوس اكبر من الارض كثيرًا وابعد من الشمس عنها . والنجوم الثوابت شموس كلٌّ منها اكبر من الشمس وابعادها شاسعة جدًّا عنا حتى ان النور على سرعتهِ الفائقة يقتضي وصولهُ منها الينا سنين كثيرة ففرضُنا دوران هذه الشموس والكواكب حول الارض مرةً كل اربع وعشرين ساعة ابعد عن المعقول من فرض الوف من الكرات النارية الكبيرة كل منها قدر كرة الارض تدور كلها حول حبة من الرمل لتنيرها نهارًا وليلاً

نعم لو كانت الشمس كرة صغيرة كالبطيخة والكواكب والنجوم نقط صغيرة وبعدها كلها عن كرة الارض بضعة اميال لما كان في تصوُّر دورانها حول الارض اقل صعوبة بل كان دورانها الظاهر حقيقيًّا . اما وقد قامت الادلة الرياضية القاطعة على ان الشمس وكل نجم من النجوم اكبر من الارض الوفًا من المرات وابعادها عن الارض شاسعة جدًّا تقدَّر بالملايين الكثيرة من الاميال فالعقل الذي يعلم ذلك كلهُ لا يستطيع ان يسلم بدوران الشمس والنجوم حول الارض مرةً كل اربع وعشرين ساعة

اما دوران الارض حول الشمس فالدليل العلمي عليهِ انحراف نور الكواكب الواصل الى

الارض فاذا كانت الارض لا تدور حول الشمس فالكواكب تظهر في اماكنها المعينة لها بالحساب وان كانت تدور في فلكها حول الشمس فهي تقطع ١٩ ميلاً في الثانية من الزمان (و يعلم ذلك بقسمة محيط فلكها على عدد الثواني في السنة) والنور يقطع نحو ١٩٢ الف ميل في الثانية واذا بلغ كوكب سمت الراس لم يظهر فيهِ في الثانية التي يبلغهُ فيها بل يظهر منحرفاً عنهُ ٢٠ً من القوس. وليس لذلك علة معقولة سوى انحراف النور في الثانية من الزمان نحو ٢٠ً من القوس كما يظهر بحساب المثلثات ولا سبب لهذا الانحراف سوى سير الارض في فلكها ١٩ ميلاً في تلك الثانية وهذا غير ميل اشعة الشمس باختلاف الفصول

وهناك امور اخرى كثيرة كمبادرة الاعتدالين والكبو وانتقال نقطتي الرأس والذنب لا تعلل كلها تعليلاً معقولاً الاَّ بدوران الارض حول الشمس

الكوليرا بين طرابلس وحماه

لا تسل ان تدُر كؤوس النفادِ فامور الحياة طوع النفادِ
يزعم الجاهلون ان لا يصدّ الداء فضل النهى وحسن العتادِ
واشد الفساد ان تجد العقل مطيعاً لداعيات الفسادِ
فاذا اشتدت النوائب امسى الحمق في الرأي مالكاً للقياد
لا ارى هذه البسيطة الاَّ سهلَ حربٍ لعسكر الاضدادِ
وبقاء الحياة فيها دليلٌ لثباتٍ وقوةٍ في الجلادِ
والذي يرهبُ المنية يسعى نحوها وهو راغبٌ في البعادِ
وعذابُ الاجسادِ في الناس ضعفٌ في نفوس الاجساد يوم الجهاد
انَّ دون الفلاح للجبن خرطاً سهلهُ كان مثل خرط القتادِ
أرأيت الانسان يسلك في الارض احتفاظاً بهِ سبيل الرشادِ
ثمَّ يهوي فريسة الداء والداء ضعيف القوى بهذا الطرادِ
انما الداء سائرٌ نحو مرمىً وهو الجهلُ واشتداد العنادِ
فاذا امنّا فلا بدع ان يفني الوفا من هذه الاجسادِ
جاءنا ساعياً كما جاء ظمآ نُ مياهاً في قاحلات البوادي
وعجيبٌ في الضيف ان لا يطيل المكث والناس في رضىً ووداد
مهدوا في سبيلهِ السبل حتى خيل ان الزوار" جندُ الجهادِ "

وَذَرُوهُ لفعلهِ يتمادى فالى ما يزدادُ هذا التمادي
يا مليك العباد رفقًا فانا احوج الناس يا مليك العبادِ
دقَّ فتكُ الحمام في القوم أوتاد هلوعٍ أطنابها في الفؤادِ
بطلَ السعي في جميع النواحي وعلا في الجميع سوق الكسادِ
واستتبت للنائبات عروشٌ آهِ من بطش تلكمُ الاجنادِ
يلهبُ المرء فقرهُ فكأَنَّ الضيف في قلبهِ كوري الزنادِ
يتركُ البيتَ اهلهُ في سهادٍ والطوى قد نعى لذيذ الرقادِ
هائمًا في دجى الظلام وقد أعلى الظلام خيام جيش السوادِ
يطلب الموت اذ يرى الموت خيرًا رُبَّ موتٍ حلاَّهُ ضيق الايادي

انيس الياس الخوري

استلفات نظر

قد يدور من الكلام في المجالس الخاصة ما ينبه الفكر الى انشاء مقالات تقتضي الحال ان تنشر في مجلة ذات شان تنبيهاً للعوام وايقاظاً لهم من سبات الغفلة والغرور وكشفاً لحجاب الخطاء عن بصائرهم

ورأيت الناس يزدرون من يخالف عادة جارية في البلاد ولا يزدرون من يخالف وصية من وصايا الشريعة المعترفة عندهم . فلو زاروا غنيًّا وقدَّم لهم (سيكارةً) من الخر الدخان الجبيلي واطيبهِ لخرجوا من عندهِ وهم يقولون ما ابخلهُ وما اشحهُ يا لضياع الغنى عندهُ ماذا يفعل بكل هذا المال ايستصحبهُ الى القبر ام ينفقهُ وهو تحت التراب من يشرب اليوم دخانًا بلديًّا الاَّ البخلاء فان اهل الحرف والخدام بل والحمالين في الاسواق لا يشربون الاَّ الدخان الاسلامبولي

وكذا لو رأوا غنيًّا حاملاً بيدهِ شيئًا الى منزلهِ قالوا بعدًا لمثل هذا ومحقًا ان دخلهُ كذا وكذا في السنة من فائدة مالهِ او من ربح تجارتهِ او من أُجر دورهِ ومخازنهِ وهو مع ذلك يفعل هذا

وكذا اذا عرفوا انهُ مكبٌّ على الاعمال مثابر على الاشغال لا يكثر من قصد المتازه العامة ولا يجلس مجالس المقامرة ولا يهتمُّ بمجاراة الزيِّ في ثيابهِ واثاثهِ صبوا على رأسهِ الفاظ الذم والطعن وهكذا يفعلون بهِ لو رأوهُ عند احد من جيرانهِ في صميم الحرّ في القباء بغير جوارب ويرمونهُ بالهمجية والخشونة

ليت شعري من الذين ينتقدون مثل هذه المخالفات . وينكرون مثل هذه المغايرات . م اهل هذا العصر الذي يسميهِ الصغير والكبير عصر الحرية . فان صحَّ انهُ عصر الحرية وان صحَّ ايضاً ان المرء حرٌّ ان يفعل ما لا يخرج بهِ عن حدود الشريعة حرٌّ ان يفعل ما لا يضر بغيرهِ فبأيِّ وجهٍ ينفخون في ذمهِ بالابواق واي شريعة تأذن لهم ان يقيموا قيامتهُ ويتعاونوا التشنيع عليهِ والازراء بهِ وتسويد صيتهِ ولم يات محرَّماً ولم يفعل منكرًا

نعم في طباع البشر ان يستنكروا ما شذَّ عن العادة وندَّ عن المألوف ولو الى ما هو اصلح وانفع لهم مما اعتادوا والفوا فهم يحملون اعباء العادة وربما رزح الكثير منهم تحتها ولا يجرؤون على كسرها محاذرة ان تنطلق عليهم الالسن بالطعن والتنديد وتصبح مغايرتهم قصة المتسلين واحدوثة المتسليات هذا يقول ما احط نفسهُ وهذه تقول هذا دون

قد علمت ماذا يفعلون بمن يحيد عن اصطلاح لهم معروف ومنهج عندهم مالوف . وعرفت كيف يقذفون عليهِ قذائف الامتهان والاحتقار لكن قد بقي ان نذكر لك انهم لا يبالون بمن يشذُّ عن شريعةٍ يكفل لهم حفظها بالسعادة ويمدّ عليهم الاعتصام بها ظلَّ الأَمن والراحة فنقض العهود ونكث الوعود والحنث في الايمان اذا ادَّت الى ان تكسب الواحدة عشرة وتخسر الآخر الفاً اجترأ عليها طمعاً في العشرة ولم يبالِ بمن عاهدهُ او وعدهُ او اقسم لهُ . فان كان ليّن الطباع اخترع لصاحبهِ عذراً كاذباً ليخلص من تبعة عتابهِ ومؤاخذتهِ وان كان فظَّ الاخلاق انكر العهد والوعد والحلف وقال لهُ متى عاهدتك او وعدتك او حلفت لك . انت تدَّعي عليَّ ذلك لتعرّف الناس اني لا اقف عند قولي لست دوناً مثلك فافعل مثل هذا . فيحسب ان هذا الانكار يدفع عنهُ الملام ويلقي التبعة على صادق يطالبهُ بعهد ابرمهُ معهُ او وعدٍ حدَّدهُ لهُ . وكلاهما اي المعتذر عن نقض ميثاقهِ ونكث ميعادهِ او المنكر لما يهجم على ذلك لا يتهيب فضيحة ولا يخاف هتيكةً ولكنهُ اذا قدَّم لزائرهِ سيكارة جبلية تعتريهِ حمرة الخجل فيملأ الدنيا اعتذاراً من هذه الزلة الكبيرة والجريمة الغليظة واذا وقف يوماً بخادمهِ امام دكان الجزَّار ليقطع لحمة بيتهِ يقيم لمن يراهُ هناك من معارفهِ او اصحابهِ الف سبب اضطرَّهُ الى اتيان هذا المنكر والف حجة الجأتهُ الى فعل هذا القبيح كأن وراءهُ الاسقاط من الحقوق البشرية والحطَّ عن رتبة الانسانية

وقد تكون في ذمة هذا المتناهي في المدنية ومجاراة العادات العصرية حقوق للناس فيهتضمها او مكافأة على ايدٍ لهم عليهِ فيهملها او مناصرة لذي حق فيخذلهُ

على انك اذا اطلت النظر في حالة هذه الايام ربما عذرتهُ لان قوام التهذيب والمدنية

اليوم انما هو التدقيق في متابعة الازياء والتزام المظاهر المجحفة براحة الحياة الجارَّة التنغيص على العدد الاوفر من عباد الله

فياما احرى اصحاب الجرائد والخطباء ان يكثروا من نشر المقالات والقاء الخطب في هذا الشأن عسى ذلك ان يحرك الجمعيات الادبية ويبعثها لاتخاذ الوسائل المنقذة من هذا الوباء الجارف فهم اقدر الناس على بث الآراء ونشرها في الاطراف البعيدة

واني على ثقة ان كلامهم في هذا الباب لما يروّح القلوب ويجرّئ النفوس ويزيد الجرائد والكتّاب والخطباء رفعة قدر ويجعل لهم مرتبةً عاليةً في الصدور فيستميلون الناس بلين مقالهم ولطف كلامهم وقوة برهانهم الى التخلص من هذه الآفة المهلكة فيسمعون الثناء عليهم بكل لسان ويشيع لهم في الناس هذا الاحسان . الا وان العوام والخواص من الرجال والنساء والادباء والاديبات قلَّ ما يخلو لهم مجلس من شكوى التشبه وكثرة النفقات التي تستثقلها كواهل ارباب البيوت المتوسطي الحال وكفى بذلك دليلاً على ان الكلام في هذا الامر لا يذهب سدًى

هذا واعلم ان ليس الغرض مما قلنا ان يعيش الموسر عيش المعسر ولا ان يدع الوجيه العالي المقام مهامَّهُ ويذهب كل يوم الى السوق في قضاء حوائج بيتهِ فان عندهُ من الخدَم ما يغني في ذلك غناءهُ بل جلُّ القصد ان يُعاب من يتجاوز حدود الشرائع ويشذ عن سنن الآداب وان يراهُ القوم في المنزلة التي انزل نفسهُ فيها وعليهِ ما نسج لذاتهِ من ثياب الخزي وذلك حتى لا تنكسر شكيمة الاخلاق العالية ولا تمتهن الفضائل الغالية وحتى لا تذل الامانة وتعزّ الخيانة وحتى لا يكرم الجهل ويحتقر العلم لامور اشد ما يستنكر منها انها تشير الى الشح او رقة الحال والله الهادي الى سواء السبيل

عفيفة

سعيد الخوري الشرتوني

المخللات والمربيات

حضرة السادة الافاضل اصحاب مجلة المقتطف

ان المخلل الذي نصنعهُ في بيوتنا لا يصير مثل المخلل الافرنجي لان الافرنجي يبقى مدة طويلة بدون ان يتغير ومخللنا لا يبقى كذلك وايضاً المخلل الافرنجي تبقى لون الاثمار والخضر فيهِ على حالها الطبيعية فالخيار يبقى اخضر اللون والجزر يبقى احمر ايضاً بخلاف مخللنا وكذلك المخلل الافرنجي يكون اشد حموضة من مخللنا فيكتفي الانسان منهُ بشيءٍ زهيد لا يثقل على المعدة فنرجو ان تذكروا لنا كيف يعمل المخلل الافرنجي وكذلك نرجو ان تذكروا لنا كيف نعمل

المربيات الافرنجية فقد رأَينا بعض الاثمار معقدة بالسكر وموضوعة ضمن علب من تنك (صفيح) كأَنها في حالتها الطبيعية كذلك ان تكتبوا لنا فصولاً بهذه المواضيع في باب تدبير المنزل فانها تفيد اكثر السيدات

ربة بيت

(المقتطف) لقد كتبنا فصولاً كثيرة في هذه المواضيع وسنعيد الكتابة فيها قريباً

باب الزراعة

مغازل القطن في العالم

نشر مجلس التجارة في اميركا الجدول التالي ذكر فيهِ عدد مغازل القطن في الدنيا وزيادتها من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٠٣

	سنة ١٨٩٩	سنة ١٩٠١	سنة ١٩٠٣
بريطانيا العظمى	٤٥ ٤٠٠ ٠٠٠	٤٦ ١٠٠ ٠٠٠	٤٧ ٢٠٠ ٠٠٠
بقية اوربا	٣٢ ٥٠٠ ٠٠٠	٣٣ ٣٥٩ ٠٠٠	٣٤ ٠٠٠ ٠٠٠
المجموع	٧٧ ٩٠٠ ٠٠٠	٧٩ ٤٥٠ ٠٠٠	٨١ ٢٠٠ ٠٠٠
الولايات الاميركية الشمالية	١٤ ٢٩٠ ٠٠٠	١٥ ٠٥٠ ٠٠٠	١٥ ٢٠٠ ٠٠٠
الولايات الاميركية الجنوبية	٣ ٩٨٧ ٧٣٥	٥ ٨١٩ ٨٣٥	٧ ٠٣٩ ٦٣٣
المجموع في الولايات المتحدة	١٨ ٢٧٧ ٧٣٥	٢٠ ٨٦٩ ٨٣٥	٢٢ ٢٣٩ ٦٣٣
الهند	٤ ٧٢٨ ٣٣٣	٥ ٠٠٦ ٩٣٦	٥ ١٠٠ ٠٠٠
اليابان	١ ١٨٧ ١٥٩	١ ٢٥٠ ٠٠٠	١ ٤٥٠ ٠٠٠
الصين	٦٠٠ ٠٠٠	٦٠٠ ٠٠٠	٦٠٠ ٠٠٠
مجموعها في الهند والصين واليابان	٦ ٥١٥ ٤٩٢	٦ ٨٥٦ ٩٣٦	٧ ١٥٠ ٠٠٠
كندا	٦٣٨ ٢١٢	٦٨٠ ٠٠٠	٧٠٠ ٠٠٠
المكسيك	٤٩١ ٠٠٠	٥٠٠ ٠٠٠	٥٠٠ ٠٠٠
مجموعها	١ ١٢٩ ٢١٢	١ ١٨٠ ٠٠٠	١ ٢٠٠ ٠٠٠
مجموع العالم كلهِ	١٠٣ ٨٢٢ ٤٣٩	١٠٨ ٧٥٦ ٧٧١	١١١ ٧٨٩ ٦٣٣

ويظهر من هذا الجدول ان الزيادة مستمرَّة في عدد المغازل فزادت من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٠٠ نحو مليوني مغزل ومن سنة ١٩٠٠ الى ١٩٠١ نحو ثلاثة ملايين مغزل ومن سنة ١٩٠١ الى ١٩٠٢ نحو مليوني مغزل ومن سنة ١٩٠٢ الى سنة ١٩٠٣ نحو مليون ومئة الف مغزل وجملة الزيادة نحو ثمانية ملايين مغزل او نحو ثمانية في المئة من مجموع المغازل كلها ونصف هذه الزيادة في الولايات المتحدة الاميركية فانها بلغت فيها اربعة ملايين مغزل والنصف الآخر في انكلترا وبقية البلدان

زراعة القطن

من مقالة للمستر فودن سكرتير الجمعية الخديوية (تابع ما في الجزء الحادي عشر)

❖ في البرازيل ❖ كان القطن يزرع في بلاد البرازيل ويعتمد عليهِ فيها الى ان ناظرتها الولايات المتحدة الاميركية. واراضي البرازيل صالحة لزرع القطن ولكن طرق النقل فيها غير مسهلة . وقطنها جيد نوعاً ولكن الاهالي لا يعتنون بجمعهِ وحزمهِ. والهمة مبذولة الان لتلافي ذلك ولا يبعد ان يزيد زرعهُ فيها ويزيد الاعتناء بهِ ايضاً

❖ في المكسيك ❖ يبلغ محصول القطن من بلاد المكسيك الان نحو ٢٥٠ الف قنطار لا غير الأ ان الهمة مبذولة للاكثار من زرعهِ. وقطن المكسيك نظيف وشعرتهُ ضاربة الى الصفرة ولكنها خشنة

❖ في بيرو ❖ يرسل قطن بيرو الى الولايات المتحدة والى انكلترا . وشجرهُ فيها يبقى في الارض سبع سنوات وشعرتهُ متوسطة متينة لكنها خشنة مجعدة كالصوف فيسمَّى بالصوف النباتي ويمزج بالصوف في بعض المنسوجات وتباع كأنها صوف صرف. والمنسوجات الصوفية التي فيها من هذا القطن لا تشمر كثيراً كالصوف الصرف. وبعض هذا القطن يكاد يكون احمر في لونهِ ويتوقف سعرهُ على سعر الصوف ويبلغ حاصلهُ نحو ٢٥٠ الف قنطار في السنة يرسل أكثرها الى انكلترا . وينبت في بيرو ايضاً نوع جيد من القطن مثل قطن مي ايلند وشعرتهُ طويلة ولكنها ليست جيدة كالقطن الاميركي الذي من هذا النوع . وينبت فيها نوع آخر من بزر القطن الاميركي

❖ قطن افريقية وغيرها ❖ مصر اوسع البلدان الافريقية في زراعة القطن والمظنون ان القطن يجود في اماكن اخرى من قارة افريقية كما في اوغندا والسودان وقد جُرِّب زرع القطن

المصري في السودان من العفيفي والعباسي واليَنوفتش فيبلغ حاصل الفدان اربعة قناطير الى خمسة . ويمتحن زرعهُ الآن في اماكن كثيرة

❖بقية البلدان❖ ويزرع قليل من القطن في جاوى وغينيا البريطانية وفي بلاد اليونان واسبانيا وايطاليا ومالطة وصقلية وازمير وما جاورها من اسيا الصغرى وبعض الاماكن في استراليا

هذا وكل شعرة من شعر القطن مثل انبوب دقيق ضُغط حتى التصقت جوانبهُ وفُتل حتى صار كلولب وعلى فتلهِ هذا تتوقف مزية القطن في النسج لانهُ يشتبك بعضهُ ببعض حينما يغزل فتصير خيوطهُ متينة واذا لم ينضج القطن جيداً لا يكون فيه هذا الانفتال فلا تكون خيوطهُ متينة ولذلك فشعر القطن الجيد يكون مفتولاً فتلاً منتظماً على طولهِ

ثم ان القطن الجيد يقتضي ان تكون شعرتهُ طويلة متينة دقيقة حسنة اللون من ثخن واحد ويكن القطن خالياً من العفاشة والنفاشة

اخص الانواع التجارية من القطن

❖السي ايلند❖ هذا اجود انواع القطن وهو يزرع في اميركا على جزائر رملية صغيرة عند ساحل كارولينا الجنوبية وجورجيا وعلى بعض السواحل في تينك الولايتين وفي ولاية فلوريدا . واذا زرع بعيداً عن البحر لم يبقَ في جودتهِ . ومحصولهُ قليل جداً فيقوم غلاء ثمنهِ مقام كثرة المحصول . ولا يُعلم اصلهُ بالتحقيق ولكن يعلم انهُ حينما أُدخل الى اميركا لم يكن كما هو الآن وقد بلغ ما بلغهُ من الجودة بالانتقاء والاعتناء . ومقدار محصولهِ قليل لا يزيد على ٤٠٠ الف قنطار مع ان محصول اميركا من القطن يبلغ ٥٠ مليون قنطار او ٥٥ مليوناً . والقطن الطويل الشعر محصور في هذا القطن والقطن المصري . ويختلف طول شعرتهِ من عقدة ونصف الى عقدتين ونصف وهو اسمر ضارب الى الصفرة ولكن سمرتهُ اقل من سمرة القطن المصري . والشعرة دقيقة جداً متينة حريرية فتلها منتظم نوعاً . ويستعمل هذا القطن لغزل خيوط الخياطة وحبك الخرج وغزل الخيوط الدقيقة جداً والخيوط المتينة التي ينسج منها شراع المراكب وبطانة اطر البيسكل واكياس البريد . وبزرهُ نظيف لا كبزر القطن الاميركاني ولذلك يحلج كما يحلج القطن المصري . ويعتنى بجمعهِ وحلجهِ وحزمهِ اعتناء خاصاً ليبقى نظيفاً . وقد يبلغ ثمن القنطار منهُ اربعين ريالاً والغالب ان ثمنهُ يزيد خمسين في المئة الى مئة في المئة على ثمن القطن الاميركاني فان كان ثمن القطن الاميركاني ١٤ ريالاً فثمنهُ ٢٠ الى ٣٠ ريالاً . ومن المحتمل انهُ يمكن ابلاغ القطن المصري الى درجة هذا القطن بالاعتناء والانتقاء وسنعود الى هذا الموضوع

❖القطن الاميركاني العادي❖ ويسمى بالابلند وهو يزرع في الولايات الجنوبية وعليهِ اعتماد

الغزالين في كل مكان لان اكثر قطن الدنيا منهُ . ومنهُ تنسج اكثر المنسوجات القطنية . وشعرتهُ قصيرة يبلغ طولها من عقدة الى ثلاثة ارباع العقدة ويختلف طولها باختلاف الاماكن واختلاف الرطوبة والجفاف في المكان الواحد . ولونهُ ابيض وشعرهُ منتظم طولاً اي انهُ من طول واحد تقريباً ويحلج بمحالج ذات مناشير لانهُ شعرهُ لاصق ببزرهِ . والهمة مبذولة الآن في اميركا للوصول الى نوع من القطن شعرتهُ اطول من شعرة هذا القطن وذلك بالانتقاء والتجنيس

والقطن الذي يزرع في وادي المسسبي طويل الشعرة نوعاً يشبه القطن المصري من هذا القبيل فيبلغ طول شعرتهِ ٨/١ ١ الى ٢/١ ١ عقدة ويبلغ محصولهُ الآن نحو نصف مليون قنطار ولكنهُ يحلج بالمحالج ذات المناشير فيتقطع شعرهُ . ونوعهُ احط من نوع القطن المصري فلا هو لامع مثلهُ ولا هو اسمر مثلهُ . والسمرة ضرورية في ما يستعمل لهُ القطن المصري كالجوارب والقمصان المحبوكة حبكاً ولذلك لا يخشى ان هذا القطن يقوم مقام القطن المصري . وعلى القطن الاميركاني العادي المعوَّل في اسواق القطن

﴿ القطن المصري ﴾ ليس في الامكان زيادة ما يزرع م القطن المصري حتى يناظر القطن الاميركاني ولكن تبقى المنزلة الاولى للقطن المصري من حيث نوعهُ . وقد كان القطن يزرع في القطر المصري قبل سنة ١٨٢٠ ولكن كانت زراعتهُ قليلة ضيقة النطاق وكان نوعهُ وطنياً وفي تلك السنة أُدخل الى القطر المصري قطن جديد يسمى قطن محو او جومل . ثم أُدخل قطن السي ايلند ويقول البعض انهُ أُتي ايضاً ببزر من قطن بيرو الشديد السمرة فنتج من هذه الانواع كلها النوع المسمى بالاشموني نسبة الى اشمون ثم تولدت من القطن الاشموني انواع جديدة اهمها القطن العفيفي وزراعتهُ اكثر انتشاراً من غيرهِ

والقطن المصري طويل الشعر طول شعرتهِ من قيراط وربع الى قيراط وخمسة اثمان القيراط فهي اقصر قليلاً من شعرة قطن السي ايلند واطول من شعرة القطن الاميركاني العادي (ابلند) وفيها تجعُّد قليل ومزيتها في لونها ولا يُعلم من اين اتاها اللون الاسمر ويقال في اميركا ان القطن المصري متحصل بتجنيس القطن السي ايلند بقطن بيرو الاسمر . واذا زرعت تقاوي القطن المصري في بلاد اخرى زال منها اكثر لونها . وشعرة القطن المصري منتظمة في ثخنها ويغزل منهُ خيوط الخياطة وتحبك منهُ القمصان والجوارب وتنسج منهُ المنسوجات التي يلزم ان تكون صقيلة ناعمة لان ملمسهُ حريري ويمزج بالحرير في كثير من المنسوجات الحريرية . وكلما زاد الطلب على المنسوجات الرفيعة زاد الطلب على القطن المصري . والاميركيون انفسهم

يأخذون جانباً كبيراً من القطن المصري فيستعملون ثلثهُ في نسج المنسوجات الدقيقة وثلثهُ في حبك القمصان والجوارب والثلث الباقي في غزل خيوط الخياطة والخيوط التي تستعمل في نسج المنسوجات المخلوطة من الحرير والقطن او من الصوف والقطن

ويقال جملة ان شعر القطن المصري طويل دقيق متين حريري لامع منتظم ولكنهُ لا يستعمل في كل ما يستعمل لهُ القطن الاميركاني ومزيتهُ الكبرى في لونهِ الاسمر

﴿القطن الهندي﴾ هذا القطن حقير في نوعهِ ولا يستعمل الاَّ للمنسوجات الرخيصة الثمن وقلما يبلغ طول شعرتهِ سبعة اثمان العقدة والغالب ان طول شعرتهِ ثلاثة ارباع العقدة ولونهُ الغالب ابيض لكنهُ خشن ووسخ واساليب زرعهِ غير متقنة فاذا اتقنت فلا يبعد ان يجود نوعهُ

﴿انواع اخرى﴾ وقد بقيت انواع اخرى من القطن كالقطن الرومي وطول شعرتهِ عقدة وهو نظيف ولونهُ جيد . والقطن الصيني وطول شعرتهِ من نصف عقدة الى ثلاثة ارباع العقدة وهو خشن ولكنهُ نظيف . والقطن الياباني وهو مثلهُ . والقطن البرازيلي وهو متوسط في طول شعرتهِ وقد يبلغ طولها احياناً عقدة وثمن عقدة ولكنهُ خشن ولونهُ ضارب الى الصفرة ويمزج احياناً بالقطن الاميركاني ويقال انهُ يزيدهُ متانةً وقطن المكسيك خشن مصفر وشعرتهُ اقصر من شعرة القطن البرازيلي

وقطن بيرو مختلف الانواع فالنوع المسمى قطن بيرو مي ايلند طويل الشعر حريريهُ متينهُ ولكنهُ ليس نظيفاً ويبلغ طول شعرتهِ ١ ١/٢ عقدة . والقطن الخشن خشن جداً ويمزج بالصوف

زرع القطن في اميركا

يزرع القطن في ولايات فرجينيا وكارولينا الشمالية والجنوبية وفلوريدا والاباما ومسسبي ولويزيانا وتكساس واركنساس وتنسي وطول هذه البلاد من الشرق الى الغرب ١٣٠٠ ميل وعرضها من الشمال الى الجنوب ٥٠٠ ميل وفيها سهول واسعة جداً يمكن اعدادها لزرع القطن والارض التي يزرع فيها القطن الآن كانت حراجاً فقطع الشجر منها ونقبت وحرثت وفي كل مزرعة من مزارع القطن ارض مصلحة يزرع القطن فيها وارض غير مصلحة لا يزال الشجر نامياً فيها ويقتضي تصليحها قطعةً قطعةً منها . والارض المعدة للزراعة ضيقة جداً بالنسبة الى الارض التي لم تعدَّ لها . ففي الجهات الشرقية ارض مساحتها نحو ٣٤ مليون فدان تعلو ٦٦ متراً من سطح البحر نصفها اراضٍ زراعية ولكن لا يزرع منها الاَّ عشرها ووراءها ارض تعلو ١٣٠ الى ١٤٠ متراً من سطح البحر مساحتها ٤٠ مليون فدان سدسها اراضٍ زراعية ولكن لا يزرع منها الاَّ

ربعها وقس على ذلك سائر الاراضي الزراعية اي ان المزدرع قليل جداً بالنسبة الى غير المزدرع او غير المعد للزراعة

والاماكن التي يزرع القطن فيها قليلة السكان جدًا في الميل المربع منها حسب احصاء سنة ١٨٩٠ نحو ٢٤ نفساً وسكان الميل المربع في القطر المصري ٩٣٠ نفساً وفي بلاد بلجكا وهي اكثر البلدان الاوربية سكاناً ٦٠٠ نفس . ويتحصل مما تقدم ان القطن الاميركاني يزرع في بلاد واسعة جداً مساحتها ٤٠٠ مليون ميل مع ان زراعتهُ لا تزيد على ٢٩ مليون فدان ولو اكثر السكان هناك وامكن استخدام العدد الكافي منهم لزرع القطن وخدمتهِ لزاد محصولهُ جداً لان الاراضي التي تصلح لزراعتهِ واسعة جداً ويقال انهُ يمكن ان يتضاعف محصولهُ

والاباعد التي يزرع فيها القطن هناك صغيرة جداً قلما تزيد مساحة الابعدية منها على مئة فدان ونحو نصف الاطيان يزرعهُ مالكوهُ والنصف الآخر يؤَجر ويزرعهُ المستأجر . والسكان هناك بعضهم بيض وبعضهم سود لكن البيض اكثر من السود في اكثر الاماكن . وحيث يكثر البيض تكون الاباعد كبيرة وحيث يكثر السود تكون الاباعد صغيرة مساحة الابعدية منها خمسون فداناً فاقل والاباعد الكبيرة آخذة في القلة والصغيرة في الكثرة

ومتوسط ثمن الفدان من الاطيان التي يزرع القطن فيها ١٢٥ غرشاً والقطن يزرع في نصفها فقط فكأن ثمن الفدان منها ٢٥٠ غرشاً والغالب ان ايجار الفدان يبلغ ثمانين غرشاً فيبلغ ثلث ثمن الارض والغالب ايضاً ان زارعي القطن فقراء يستدينون ثمن السماد واجرة الانفار ولا يستطيعون ان يخدموا الارض الخدمة الواجبة لكن هذه الاحوال آخذة في التحسن

وكان زارعو القطن يقتصرون على زرع الارض الواحدة سنة بعد سنة حتى تضعف ولا تعود تأتي بمحصول كافٍ فيتركونها وينتقلون الى غيرها اما الان فصاروا اكثر اعتناء بالحرث والتسميد حتى لا تخور الارض من توالي الزرع وزادت الاموال بين ايادي المزارعين حتى لم يعودوا يستدينون كما من قبل . ولكن لا تزال قلة الانفار مانعاً يمنع التوسع في زراعة القطن

والارض التي يزرع القطن فيها كان اكثرها حراجاً فقطعت اشجارها ونقبت وأُعدت لزرعهِ ولا تزال قرامي الاشجار في بعضها واذا أُريد ان تتسع الارض الصالحة لزرعهِ فلا بدَّ من قطع الاشجار منها

ومتى قطعت الاشجار من الارض تحرث وتزرع اولاً ذرةً ثم قطناً . ويختلف مقدار النفقة اللازمة لقطع الاشجار منها واعدادها للزراعة من مئة غرش الى ثمانمئة غرش لكل فدان اي ان قطع الاشجار من الارض يزيد على ثمنها في الغالب لكن الخشب الذي

يقطع منها يباع في بعض الاماكن فيفي بجانب من نفقات قطعهِ .ولا تجود الزراعة في الارض الجيدة الاَّ في السنة الثالثة او الرابعة بعد تصليحها

والارض التي يزرع فيها القطن مختلفة من الرملية الخفيفة الى الطفالية الثقيلة . ومن الرقيقة الجافَّة الى العميقة الرطبة . ولكنها لا تصلح كلها له على حدٍّ سوى ففي الارض الرملية يكون النبات صغيرًا ومحصوله قليلاً وفي الارض الثقيلة يكون المحصول كثيرًا ولكن اذا زاد ثقل الارض صار قطنها خشنًا واذا كثر ريها اما بوقوع المطر الغزير او بالري الكثير كبر شجر القطن وقلَّ محصوله. واحسن الاراضي لزرع القطن هناك الاراضي الرملية الطفالية التي طبقتها السفلى طفالية تمنع صرف الماء منها بسرعة

ويروى القطن غالبًا بماء المطر فيقع منهُ في اشهر الصيف من مايو الى سبتمبر نحو ٢٢ عقدة وهي تعدل ٢٢٠٠ طن لكل فدان وذلك يعادل ست ريَّات او سبع ريات في القطر المصري . ونجاح القطن هناك يتوقف على مقدار الماء وتوزيعهِ مدة شهور الصيف وعلى شدة الحر. ولابدَّ من ان يكون الهواء حارًّا رطبًا حتى يجود القطن ولا يكون الفرق بين حرارة النهار والليل كثيرًا

ونقسم حياة القطن الى قسمين الاول زمن النمو والثاني زمن البلوغ ففي الزمن الاول يستفيد القطن من الحرارة فاذا تغير الهواء بغتةً من الحر الى البرد اضرَّ بهِ ووقف نموهُ . فاذا بلغ النبات اشدَّهُ وانتهى الزمن الاول صار البرد مفيدًا على ما يقول الاميركيون وكذلك ازدياد الفرق بين النهار والليل في الحرارة لان ذلك يساعدهُ على تحويل الغذاء الى لوز وقطن . اما في القطر المصري فالحرارة لازمة لنا في الخريف لانضاج اللوز كلهِ واذا خفنا من زيادة نمو القطن امكننا ان نوقف نموهُ بمنع الماء عنهُ اما في اميركا فالماء من المطر وهو غير خاضع لهم . والمطر الغزير في اول نمو القطن الاميركاني يضرُّ بهِ كما يُضرُّ القطن المصري بالري الغزير في اول نموهِ . والمزارعون في اميركا تحت رحمة المطر فقد يقع غزيرًا جدًّا في اول الزرع فيضر بالموسم وقد يقع غزيرًا جدًّا في اواخرهِ فيضر بهِ ايضًا

❊ تعاقب الزرع ❊ ويزرع القطن في بعض الاماكن سنة بعد سنة بعد اخرى ولا تترك الارض لتستريح الاَّ في فصل الشتاء بين الزرعة والزرعة ولا يزال محصولها على حالهِ لحسن خدمتها وتسميدها بل هناك اراضٍ زُرع القطن فيها اربعين سنة متوالية ولم ينقص محصولها . والبعض يزرعون القطن مرةً كل سنتين والبعض مرة كل ثلاث سنوات

وفي الاماكن التي لزرع قطن السي ايلند يزرع القطن مرة كل سنتين وتترك الارض بينهما

بورًا فتنبت فيها الاعشاب البرية وترعاها المواشي الى فصل الشتاء من السنة التي يزرع القطن فيها فتخدم استعدادًا لهُ . ولا تُزرع ذرة ولا حنطة بين سنتي القطن لان الاراضي المعدَّة لزرع الحنطة والذرة واسعة جدًّا ولان الانفار قلال والاجرة غالية فلا يزرع الناس هناك من الحبوب الاَّ ما يلزم لمعيشتهم ومعيشة مواشيهم

ويقال انهُ ظهر بالامتحان ان زرع القطاني لا يفيد اراضي القطن الاَّ اذا زرعت مرةً كل اربع سنوات فتزرع قطنًا في السنة الاولى وتبوَّر في الثانية وتزرع قطنًا في الثالثة وقطاني في الرابعة . والقطاني التي تُزرع نوع من الباميا او اللوبياء فيتعرش على اشجار القطن وترعاهُ المواشي ويقول الناس هناك ان زرع القطاني يفسد نوع القطن ويؤَخر جنيهُ . وهذا يدعوني الى ذكر شيءٍ يتعلق بالقطر المصري من هذا القبيل وهو ان الارض الضعيفة اذا زرعت برسيمًا قبل القطن فلا شبهة في ان زرعهُ فيها يفيدها . ولكن الارض القوية تستفيد من تبويرها او من زرع الذرة فيها قبل القطن اذا سُمدت جيدًا اكثر مما تستفيد من زرع البرسيم قبل القطن لان القطن يحتاج الى ارض مخدومة جيدًا محروثة قبل زرعهِ بمدة وهذا يتعذر اذا كانت الارض مزروعة برسيمًا . والغالب ان القطن الذي يزرع بعد البرسيم يكون شديد النمو والخصب ولكن لا يكون محصولهُ كبيرًا

واذا زرعوا القطن كل سنة ثالثة فيكون التعاقب بين المزروعات هكذا — يُزرع في السنة الاولى قطن وفي الثانية ذرة واوت وفي الثالثة ذرة وباقياء او باقياء وحدها وفي الرابعة قطن وهكذا

والغالب ان هذا التعاقب يتبع ثلاث مرات مدة تسع سنوات ثم تصير الارض تزرع قطنًا سنة بعد سنة على التوالي . وقد شاع الان الميل الى زرع القطاني علفًا للمواشي عساها تغني عن السماد

﴿ اعداد الارض لزرع القطن ﴾ الجميع متفقون في اميركا على وجوب حرث الارض وخدمتها جيدًا . ويقولون ان الحرث يجب ان يكون والارض جافة على قدر الامكان لكي لا تتكوَّن فيها القلاقيل . ومتى حرثت الارض جيدًا تخطط ويجعل البعد بين الخط والخط اكبر مما يجعل في القطر المصري فانهُ يُجعَل مترًا ونصف متر اي يجعل نحو اربعة خطوط في كل قصبتين . ويجعل البعد بين الخطوط في القطن العادي (الابلند) ١٣٠ سنتمترا اي نحو خمسة خطوط في القصبتين . اما في القطر المصري فالبعد بين الخطوط من ٩٠ سنتمترًا الى ٨٠ او اقل من ذلك فيكون في كل قصبتين ثمانية خطوط الى تسعة وفي الاراضي الضعيفة يجعل عشرة خطوط في القصبتين

ولا بدَّ من ان يكون البعد بين اشجار القطن كافياً لنموها وان يكون قليلاً على قدر الامكان حتى لا يقل مقدار الشجيرات في الفدان عما يحتملهُ . فيتوقف مقدار البعد على حالة الارض

ويبعدون الخطوط في اميركا ولكنهم يقربون الاشجار بعضها من بعض في الخط الواحد فيجعلون البعد بين الخط والخط ١٣٠ سنتمتراً والبعد بين الشجرة والشجرة في الخط الواحد ٣٠ سنتمترًا الى ٤٠ في الارض الضعيفة و٤٥ سنتمترا في الارض القوية

وفي السهول التي في وادي المسسبي حيث يكبر شجر القطن يجعل البعد بين الشجرة والشجرة ٦٠ او ٧٠ سنتمترًا وهناك يجود القطن في بعض الاراضي الجيدة حتى يبلغ محصول الفدان الواحد عشرة قناطير . ونحن مقتنعون ان القطن المصري يجود جداً اذا جُعل البعد بين الخطوط نحو متر في الارض الجيدة و٨٥ الى ٩٠ سنتمترًا في الارض الضعيفة . ويجعل البعد بين شجر القطن ٥٠ سنتمترًا في الارض القوية و٤٠ سنتمترًا في الارض الضعيفة

ويحسب الاميركيون انهُ اذا زاد البعد بين الخطوط وقلَّ بين الاشجار في الخط الواحد بكَّر جني القطن وزادت تصافيهِ ولذلك اذا تأخروا في زرع القطن لسبب من الاسباب ضيقوا البعد بين اشجارهِ لكي يعوضوا عن تأخر الزرع

وقد امتحنت الحكومة الاميركية امتحانات كبيرة في ولاية جورجيا مدة خمس سنوات حيث يزرع القطن في ثلاثة ملايين فدان فوجدت ان المحصول الاكبر يكون متى كان البعد بين الخطوط ١٣١ سنتمترًا فقط . وكان حاصل الجنية الاولى من القطن القريب ٥٩٣ رطلاً وحاصل الجنية الاولى من القطن البعيد ٢٢١ رطلاً ثم زاد الحاصل في الجنية الثانية من القطن البعيد وقل من القطن القريب . وتدلُّ التجارب كلها على انهُ تحصل فائدة للقطن المصري من زيادة البعد بين الخطوط وعدم زيادتهِ بين الشجيرات في الخط الواحد

وتخطط الارض كما تقدم بمحراث شبيه بالمحراث المصري يجرهُ بغل واحد ويعاد حرثها في الخطوط انفسها حتى يصير عمق كل خط ١٢ عقدة (بوصة) ويلقى السماد في الخطوط . واذا كان كثير الكمية ضعيف الفعل كالسماد البلدي بسط على الارض كلها قبل تخطيطها ولكن هذا السماد قليل فيستعمل السماد الكيماوي كما تقدم يوضع في عربة صغيرة تجرُّ فوق الخط فيقع السماد منها فيهِ ثم يشق جانبا الخط بمحراث فيقع التراب منهما على السماد ويتألف من ذلك المسطبة التي يزرع القطن فيها . ويكرر هذا الحرث الجانبي حتى تتكوَّن خطوط المساطب التي يزرع فيها القطن والغرض من ذلك كلهِ خدمة الارض جيدًا وتنعيم ترابها بالحرث المتوالي

حتى ان الخط الواحد يحتاج الى مرور المحراث احدى عشرة مرة ومن حيث ان البعد بين الخطوط ١٣٠ سنتمترًا فيمر المحراث في الفدان الواحد في هذه الحرثات الاحدى عشرة مسافة طولها ٢٢ ميلاً والبغل الواحد يسير في نهارهِ ١٧ ميلاً وهو يجر محراثًا خفيفًا فالمحراث الواحد يحرث ويخطط ١٩ قيراطًا الى ٢٠ قيراطًا من الفدان في النهار او ٢٠ فدانًا في الشهر وعندهم ان البغل الواحد يكفي لزرع عشرين فدانًا من القطن

ومساطب القطن في اميركا اعرض من مساطبهِ في القطر المصري واوطأ فالمجال فيها اوسع لنمو الجذور . وارتفاع المسطبة عن الارض ١٥ سنتمترًا وعمق الخط الذي بين المساطب ١٥ سنتمترًا عن الارض فيكون ارتفاع المسطبة عن الخط الذي بجانبها ٣٠ سنتمترًا . واذا أُريد زرع القطن سنة بعد سنة جعلت مسطبة القطن في السنة الثانية في منتصف المسافة التي بين كل مسطبتين بعد ان يوضع السماد فيها

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

الفصل الثالث

الربائط والربط

يُستعمل الرباط لثلاثة اغراض ١ً لسند الاعضاء ٢ً لتثبيتها بعضها مع بعض ٣ً لتضميدها

وتُصنع الربائط من مواد مختلفة بحسب ما يُقصد منها . ومن هذه المواد : —

الفلانلا — وتستعمل غالبًا في داء المفاصل (الروماتزم) حيث يُراد الليونة والراحة في تضميد العضو تحت جبار الجبس

والبفت الابيض — ويستعمل لنظافتهِ

والبفت الاسمر — وهو ارخص ثمنًا

والشاش — ويستعمل في جبار الجبس وهو متين ومرن وجزيل الفائدة في الدثيء

قواعد رئيسية للربط

١ً قف مقابل المصاب والعضو الذي تريد ربطهُ

٢ً ابدأ بلف الرباط من طرف العضو وسر بهِ نحو القلب

٣ً ليكن ضغطك على العضو متساويًا واذا لزم ان يكون الضغط غير متساوٍ فابدأ بالرباط مشدودًا وانتهِ بهِ رخوًا

٤ً اجعل الوجه الخارجي من اللفافة نحو العضو

٥ ابدأ دائمًا من داخل او مقدم العضو ولف الرباط الى الجهة الخارجية

٦ أحكم دائمًا تثبيت الغيار حينما تبدأ

٧ دع اللفافة قريبة من العضو على قدر الامكان فيمكنك بذلك ان تساوي في الضغط على العضو

٨ لا تشد مرة وترخِ اخرى

٩ لا تلف الرباط طاقًا فوق طاق بل لتغطِ كل لفة حول العضو ثلث ما قبلها

١٠ كلما حسن منظر الرباط زادت الراحة الناتجة عنهُ اذ يظهر للمصاب انهُ قد أُحسن استعمالهُ

ملاحظة · يمكنك دائمًا مشترى الربائط من الاجزاخانات ويمكنك ان تستحضرها في البيت من المواد التي ذكرتها لك وهي البفت والشاش والفلانلا · ويبلغ طول لفافة الرباط العادية نحو ثماني اذرع ويختلف عرضها باختلاف الاعضاء المقصود لفها بها فلتكن لفافة الضلع بعرض ست اصابع ولفافة الساق اربع والذراع ثلاث والرأس اصبعين ولفافة الاصبع عرض الابهام

الربط

اسهل طرق الربط استعمال الرباط المثلث الشكل المعروف باسم رباط اسمرك الجراح الالماني · وقد يكون هذا الرباط من اية مادة اردتها ويختلف حجمهُ من المنديل المطوي بشكل مثلث الى قطعة قماش طولها اربعون عقدة ومقطوعة بشكل مثلث · ويمكن طيهُ على اشكال مختلفة واستعمالهُ لاي عضو كان من الجسم · فقد يستعمل كرافعة للذراع وقد يستعمل للراس او لليد او للرجل الى غير ذلك · فاذا اردت استعمالهُ لربط الراس فضع الطرف الواحد الى الامام فوق الجبهة وأتِ بالطرفين الآخرين واربطهما في الامام ثم خذ الطرف الاول وارجعهُ الى الوراء فوق الرباط واشكلهُ بدبوس ليثبت

ولربط القدم ضعها في وسط المثلث موجهًا اصابع القدم نحو رأسهِ · ثم اطوِ هذا الراس الى ان يصل الى الكاحل واربطهُ بالطرفين الآخرين · وطرق استعمال هذا الرباط المثلث

عديدة لا حدَّ لها ولاسيما في العوارض التي تعرض للانسان

نبحث الآن في طرق الربط العادية ونبدأ بلفافة الاصبع

الاصابع — لف الرباط اولاً حول المعصم من الجهة الانسية الى الوحشية ثم اوصلهُ من جهة المعصم الانسية (الامامية) الى طرف الخنصر ومن هناك لفهُ حولهُ بشكل لولبي الى ان تبلغ اصلهُ ثم لفهُ حول المعصم وعد بهِ الى الاصبع الثاني وافعل كما فعلت بالاول وهكذا حتى تلف العدد الذي تريدهُ من الاصابع

الابهام — اذا كان ما تريد ربطهُ من الابهام الجهة الامامية منهُ فلف الرباط حول المعصم مبتدئاً من الجهة الانسية (الامامية) الى الجهة الوحشية (الخلفية) ثم حول الابهام . واذا كانت الجهة الخلفية هي التي يراد ربطها فلف الرباط حول المعصم من الجهة الخلفية الى الامامية ثم لفهُ حول الابهام مبتدئاً من طرفهِ الى اصلهِ بشكل لولبي واعقد الرباط عند المعصم

المعصم والساعد — ابدأ بان تضع طرف الرباط على المعصم على جانب الابهام ثم لفهُ حول راحة اليد بين الابهام والبنصر ثم حول المعصم ثم حول الراحة ثم على الساعد

المرفق — ثبّت الرباط اولا بان تلفّهُ مرةً حول الساعد تحت المرفق ثم ادنهِ من المرفق حتى يمس طرفهُ ثم لفهُ مرّة فوق المرفق ثم مرّةً تحتهُ ثم فوقهُ وهكذا حتى تنتهي ثم لفهُ مرة حول الذراع وثبتهُ هناك وحين تربط المرفق ليكن الذراع بشكل زاوية

الكتف — ابدأ بلف الرباط مرةً حول الصدر ثم لفهُ حول الذراع الى ما فوق حتى تدنو من الكتف على مسافة اصبعين ثم حول الابط المقابل ثم عد الى الذراع ولف الرباط حولهُ ثم حول الكتف

الثدي — لف الرباط مرة حول الجسم تحت الثدي الذي تريد تضميدهُ ثم اجز الرباط فوق الثدي الى الجانب الاخر من العنق الى ما وراء الظهر ثم حول الجسم ثانية ثم فوق الثدي كما في المرة الاولى وهكذا الى ان تنتهي . وان اردت ان تضمد الثديين معاً فخذ رباطاً ثانياً وابدأ بهِ من الجانب الآخر وافعل كما فعلت في الاول ولا تنسَ ان ترفع الثدي وتثبتهُ وقت لفهِ

ويربط الثدي اما لسبب خراجات فيهِ وفي هذه الحال يجب ان يكون الرباط رخواً غير مشدود او لايقاف اللبن وفي هذه الحال يجب ان يشد الرباط شدًا ثابتاً

العنق (مؤخرهُ) . قد ينمو في مؤخر العنق دمامل وخراجات ومن الامور الصعبة ربطها لان الرباط هناك معرض للزلق . وهذه كيفية وضع الرباط . قف وراء المصاب مواجهاً الدمامل ولف الرباط مرةً حول عنقهِ ثم حول جبهتهِ على مساواة حاجبيهِ ثم حول عنقهِ ثانيةً

ثم فوق الحاجبين ثم لفهُ عدة مراة حول رأسهِ وثبتهُ بدبوس الامن

العينين . حين ربط العينين لا تنسَ ان تجعل الضغط على الجبهة وليس عليهما . فاذا اردت وضع الرباط على العينين فابدأ اولاً بتثبيتهِ حول الجبهة ثم اجز اللفافة تحت الاذن ثم ارفعها ولفها حول العين

الساق . اذا كان القسم الاسفل من الساق هو المراد ربطهُ فابدأ بظهر القدم لتثبيت الرباط حتى لا يزلق الى فوق . واذا كان القسم الاعلى فابدأ بتمكين الرباط من تحت الركبة

الركبة . ابدأ بلف الرباط مرةً تحت الركبة ثم اجزهُ منحرفاً الى ما فوق الركبة ولفهُ مرة ثم عد الى تحت الركبة ولفهُ مرةً ثانية ثم اجزهُ الى فوق الركبة كما في المرة الاولى وهكذا الى ان تتم وضع الرباط ثم مكنهُ فوقها

اربية الفخذ . لف الرباط مرةً منحرفاً حول البطن ثم فوق الوركين ثم بين الساقين وعلى الاربية واجزهُ من جهة الظهر ثم لفهُ ثانية حول البطن وثبتهُ

المخللات

تنتقى الخضر والبقول التي يراد حفظها في الخل وتغسل جيدًا بماء بارد نقي وتنقع في الماء والملح مدة ثم تجفف وتوضع في زجاجات واسعة الفم ويصبُّ عليها الخل بعد اغلائهِ وتطييبهِ

والخل المستعمل لذلك يجب ان يكون من النوع الجيد المستقطر من العنب ويفضَّل الخل الابيض على الاحمر ويضاف الى كل رطل منهُ نصف اوقيةٍ من الملح النقي . واذا اريد تطييبهُ اضيف اليهِ قليل من الفلفل والزنجبيل وجوز الطيب فاذا كان مقدار الخل الف درهم وجب ان يكون الفلفل ١٢ درهماً والزنجبيل ستين درهماً واربع جوزات من جوز الطيب المقطع توضع كلها في الخل ويسخن على النار قبل وضع الخضر فيهِ

ويصب الخل على الخضر وهو سخن وتسدُّ الزجاجات التي يوضع فيها سدًّا محكماً بفلين جيد ويربط فوقها غشاءٌ كغشاء المثانة او ورق صفيق مزيَّت وحينما يبرد ما في القنينة تغط الفلينة في شمع الختم الذائب لكي لا يدخلها الهواء

واذا كانت الخضر من الكرنب والقنبيط وما اشبه فيصب الخل عليها باردًا او فاترًا ولا يصب سخناً . ولا داعي لنقعها في الملح قبل وضعها في الخل او تنقع فيهِ وقتاً قصيرًا

ولا توضع المخللات في الآنية المعدنية ولا في آنية الخزف المدهون بدهان رصاصي . ويجب حفظ المخلَّلات من الهواء على قدر الامكان . ولا تنزع من آنيتها بملعقة معدنية . والغالب ان

الخللات تكتسب اللون الاخضر من اضافة املاح النحاس اليها او من اغلائها في آنية نحاسية وكل ذلك ضار بالصحة . ويمكن ان تكتسب لوناً اخضر بوضع اوراق العنب معها او اوراق الاسبانخ ويحسن ان تضاف ملعقة صغيرة من زيت الزيتون الى كل زجاجة فيها مخلل فان الزيت يمنع وصول الهواء الى المخلل . وسيأتي تفصيل عمل كل نوع من المخللات في الجزء التالي

حساب البيت

البيت مملكة صغيرة لا تحسن ادارتهُ ما لم يكن عند ربتهِ دفتر تقدّر فيهِ ميزانية السنة بالاتفاق مع زوجها وتعين ما يلزم للنفقة الشهرية من ثمن طعام وكساء واجرة خدم ومنزل ومدارس وما اشبه وتترك فضلةً او مالاً احتياطيًّا لما يمكن ان يزيد على ذلك اجرة الطبيب وثمن الدواء . ثم تبذل جهدها حتى لا تتجاوز في النفقات اليومية والشهرية القدر الذي عينتهُ لذلك حسبما يسمح بهِ دخل زوجها . وعليها ان تكتب كل يوم كل ما تصرفهُ فيهِ بالتفصيل وتراجع اسعار ما تشتريهِ او يشتريهِ الخدم وتقابلها على اسعار السوق حتى تمنع كل غش وحيف . فاذا فعلت ذلك من اول السنة الى آخرها انتهت السنة وميزانيتها على غاية الضبط

ولا يخفى انهُ ليس من الحكمة ان ينفق اهل البيت اكثر من ثلثي دخلهم مهما كان قليلاً ويترك الثلث الثالث الى حين الشيخوخة والضيق والمرض . واذا كان الدخل كبيرًا يكفي نصفهُ او ربعهُ لنفقات البيت فليس من الحكمة ان تزاد النفقات فوق ذلك سدًى لان المال الذي يوفر قوةٌ يلجأُ المرء اليها بل تلجأُ البلاد اليها حتى ان عظمة الممالك تقاس بعدد من فيها من الاغنياء وبمقدار ثروتهم فانهم هم عماد عزها وبثروتهم تعمل الاعمال الكبيرة النافعة كالسكك والترع والخزانات وما اشبه

ولا يُنتظر من الرجل ان يتولى حساب بيتهِ مع حساب اعمالهِ بل ينتظر من زوجتهِ ان تتولى هذا الحساب وتقتصد في النفقات على قدر جهدها

نصائح للامهات

لا تظهري لاولادك انكِ تحبين واحدًا منهم اكثر مما تحبين غيره لان ذلك يلقي النفرة بينهم ويوقد الغيرة والبغض

لا تعدي اولادكِ بشيء وتتأخري عن انجازهِ ولا توعديهم بقصاص اذا اذنبوا وتعدلي عنهُ

لا تدعي اولادكِ ينسبون اليك قلة الانصاف بمؤاخذتكِ بعضهم ومسامحتكِ البعض الآخر بل عامليهم كلهم على السواء

لا تخرجي الطفل في مركبتهِ للنزهة الاَّ اذا كان الهواء حارًّا او معتدلاً واما اذا اشتدَّ البرد فحمل الطفل على الذراعين خير من اخراجهِ في مركبة

لا ينام المرء اذا كانت قدماهُ باردتين جدًّا وكذلك الطفل الصغير لا ينام وقدماهُ باردتان فافركي قدميهِ بيديكِ حتى تسخنا ثم لفيهما بطرف قميصهِ اذا كان طويلاً ويجب ان يكون من الفلانلا او البسيهِ جوربين من الصوف وذلك خير من وضع زجاجة ماء سخن في فراشهِ

اذا بكى الطفل فقد يكون من عطش لا من جوع فاعرضي عليهِ الماء بملعقة صغيرة ففي تسع مرات من عشر يشرب الماء ويطفئ عطشهُ و يسكت



المكاري والكاهن

قصة فكاهية ادبية وضعها شاب سوري بل شاعر اوربي في صيغة من النثر العربي ضاقت الفاظها على معانيها فلجأ كاتبها الى التراكيب العامية احياناً كثيرة ومع ذلك بقي فيها من صور الخيال ودقائق المعاني ما لا يستوضحهُ الاَّ من مارس لغةً اجنبية ولا غرابة في ذلك فان الكاتب شاعر ولكن بلغة اجنبية أَلاَ وهو امين افندي ريحاني مترجم رباعيات ابي العلاء

ومدار الرواية على مكارٍ لبناني ركب مع كاهن في مركبة واخذ يعيبهُ ويندِّد بهِ ويتهمهُ بالنفاق والرياء الى ان ثارت سورة الغيظ في رأس الكاهن فطرح رداء الكبر بل رداء الرياء وظهر فيهِ الانسان الغضوب بكل مظاهرهِ فرفع عصاهُ وضرب المكاري بها فهش لهُ المكاري حينئذٍ وقال لهُ اذاً قد صرت مثلي فانت الآن اخي وارشدهُ من حيث لا يدري الى ان الناس كلهم اخوة ولا يحسن ان تفرّق بينهم القلانس والطيالس ومن قوله لهُ حينئذٍ " اضرب ثانياً وثالثاً اضرب ايها الاخ العزيز ها هو خدي الاسير . قد برهنتَ لي الآن انك انسان ولستَ كاهناً ولذلك صرت احبك واعتبرك . اضربني او عانقني . ارمني خارج العربة او ضمني الى صدرك . . . انا اخوك وانت اخي ولستَ ابي . ابونا الذي في السموات هو ابو الجميع " . فترك الكاهن ما كان فيهِ وعكف على عمل المبرات وبعد اسبوعين درى بهِ رؤساؤُهُ وقالوا ان بهِ جنة فقبضوا عليهِ ووضعوهُ في دير يسجنون فيهِ المجانين . قال

الكاتب هذه قصة الكاهن الذي لم يسمح لهُ ان يكون صالحاً اكثر من اسبوعين لكن برّ ساعة خير من حياة طويلة تقضى في النفاق والتمويه على عباد الله

وحبذا لو اعيد تنقيح هذه القصة وحذف منها ما يؤلم بعض القرّاء فانها قد تفيد اكثر من المجلدات الضخمة

كتاب دليل الفردوس

هو خطب ومواعظ انشأها وجمعها حضرة الاب المحترم الخوري افرام ايض وكيل بطريرك السريان بمصر وقال انهُ حذا فيها حذو خطباء القرن التاسع عشر والعشرين. الاّ ان ما قرأناهُ من خطب خطباء هذين القرنين قلما ينطبق على بعض ما وقع نظرنا عليهِ من هذهِ المواعظ كقولهِ "من قال ان الزيجة افضل من البتولية فليكن محروماً". وكقولهِ "ان التاريخ يثبت دخول الارواح الخبيثة في البشر. وان الله يسمح بذلك تمجيداً لكمالاتهِ ونفعاً لكل طبقات البشر". وفي هذه المواعظ كثير من النصائح الادبية الواجبة الاتباع وهي في مجلدين كبيرين مطبوعة طبعاً حسناً

رواية الميت الحي

هذه الرواية من تأليف الكاتب الشهير اسكندر دماس عرَّبها حضرة الكاتب الفاضل محمد افندي لبيب امين الكتبخانة الخديوية والتزم فيها السجع وقال في خاتمتها ان المؤلف قصد بها ان يشرح شهوات النفس الامّارة بالسوء ويشير الى انها ليست مما يرشد اليهِ العقل السليم بل مما يوسوس بهِ الشيطان الرجيم. والرواية مختصرة جداً تجيء في اربعين صفحةً

كتاب زجر النفس لهرمس الحكيم

الكتاب قديم ومؤلفهُ مجهول وقد وقف حضرة الاب الفاضل الخوري فيلمون الكاتب على النسخ التي وجدت منهُ وهي اثنتا عشرة نسخة فاستخلص منها نسخةً اسد واضبط واشكل باصلها فعلّق عليها شرحاً وحواشي تفسر غامضها وتبين مقاصدها وطبعها ونشرها فاستحقّ الشكر الجزيل. والكتاب صغير فيهِ اربعة عشر فصلاً كلها مخاطبات للنفس وزواجر عما يضرُّها ومرغبات في ما ينفعها على منهاج الفلاسفة الاولين كقولهِ "يا نفس ان من غرس شجرة الصبر اثمرت لهُ ثمر الظفر وفاز بالغلبة وان اسعد السعداء من سما الى شيء فظفر بهِ ومن غرس

شجرة الفشل اثمرت له ثمر الحرمان وان اشقى الاشقياء من سما الى شيء فحرمهُ . يا نفس اقتني الصبر والتعب في عبادة الله الواحد فهو هناء لعيشك وغناء لراحتك وصفاء لحياتك . — واحذري ان يحوطك الملل والضجر فتخرجي عن حد الوحدانية وتكثر آلهتك ومن كثرت آلهتهُ كثرت خدمتهُ واشتدَّ تعبهُ ونصبهُ وتوفرت همومهُ وتشعثت نفسهُ فهلك " . والكتاب كلهُ على هذا النسق

الباكورة السورية

في اللغة الالمانية

هو كتاب مسهب وضعهُ حضرة الاديب اسبر افندي ضومط احد معلمي مدرسة الايتام السورية بالقدس الشريف جمع فيهِ كل ما يلزم لتعليم اللغة الالمانية لابناء اللغة العربية مستعيناً على ذلك باجدّ مؤلفات الالمان واحسنها وقد ضمنهُ قواعد اللغة الالمانية وتمارين كثيرة يتمرَّن بها الطالب والحقهُ بقاموس عربي والماني فيهِ اكثر من اربعة آلاف كلمة فنهنئ حضرتهُ بما وُفق اليهِ من تأليف هذا الكتاب وعسى ان ينتفع بهِ طالبو اللغة الالمانية

الآداب

خطبة نفيسة لحضرة الكاتب الاديب جرجي افندي نقولا باز تلاها في جمعية شمس البر في بيروت في اوائل العام الماضي وقد طبعها واهداها الى حضرة الكاتب المجيد فرح افندي انطون منشئ مجلة الجامعة . وفيها كثير من الشواهد المقتبسة من اقوال كبار الحكماء والكتّاب شرقاً وغرباً . وقد قال في خاتمتها ان التربية الادبيَّة هي السبيل الوحيد لنهوضنا من سبات الجهل والتأخر . والتربية الادبية منذ الحداثة اهم واثمن شيء في العالم. وافتتحها وختمها بقول الشاعر

لكل شيء زينة في الورى   وزينة المرء تمام الادب

نتيجة ديوان المساحة

هي نتيجة او رزنامة لسنة ١٩٠٤ وضعها ديوان المساحة باللغة الانكليزية وجمع فيها اشتات الفوائد التي لا يستغنى عنها ولاسيما في دوائر الحكومة كاوقات الاعياد الرسمية ومواعيد دفع الاموال الاميرية وعوائد الاملاك واسماء معتمدي الدول وقناصلها واسماء المديريات والمراكز والبنادر والمدن والمستشفيات والاسواق والموالد الى غير ذلك مما يطول شرحهُ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) ترجمة كتب سبنسر

دسوق · نخله افندي نحاس هل تُرجمت كتب الفيلسوف هربرت سبنسر الى العربية واين تباع اذا كانت ترجمت وطبعت

ج · لم تترجم ولكن اعلن حضرة نجيب بك شقرا المحامي انهُ ترجم كتاب سبنسر في التعليم وسيشرع في طبعهِ قريباً

---

(٢) ماء الكلب

مصر · الخواجا ميخائيل بساراتي جاء في الجزء الاول من حياة الحيوان الكبرى بهامشهِ هذهِ العبارة وهي "بئر الكلب الكلِب بقرية من قرى حلب اذا شرب منها من عضهُ الكلب الكلِب برئ وانها مشهورة قال بعض اهل القرية اذا لم يجاوز المكلوب اربعين يوماً وشرب منها برئ اما اذا جاوز الاربعين مات ان شرب · وذكر انهُ شاهد ثلاثة انفس مكلوبين فشربوا فشفي منهم اثنان كانا لم يبلغا الاربعين ومات الثالث وكان قد جاوز الاربعين واهل القرية يشربون من هذهِ البئر" · فهل يوجد ماء يشفي من عضة الكلب الكلِب وهل يمكن ان توافونا باسم القرية لكي نجلب الماء منها

ج لم نجد الكلام الذي نقلتموهُ في النسخة التي عندنا من حياة الحيوان الكبرى وحبذا لو اخبرتمونا في الكلام عن اي حيوان ذُكر · ثم ان الكلاب الكلِبة نادرة جدًّا فمن عشرة كلاب يزعم انها كلِبة قد لا يوجد كلب واحد كلِب · والذين تعقرهم الكلاب الكلِبة لا يكلبون كلهم بل يكلب منهم نحو خمسة في المئة اذا لم يعالجوا العلاج الشافي · فترون من ذلك ان مجال التدجيل واسع جدًّا في مداواة الذين تعقرهم الكلاب لان اكثرهم لا يكلبون فيزعم ان العلاج الذي عولجوا بهِ شفاهم من الكلَب ولذلك كثرت علاجات الكلَب وتنوَّعت في كل البلدان وعند كل الامم وليس منها علاج معقول مؤيَّد بالامتحان الَّا علاج باستور · والدميري غفر الله لهُ ذكر في كتابهِ حياة الحيوان الكبرى من الخرافات والاوهام ما لا يصدقهُ عاقل حتى نظن ان كثيرًا من ذلك مقحم فيهِ غير مذكور في

اصلهِ على عادة البعض من كتابة ما يعثرون عليهِ في حواشي ما عندهم من الكتب ثم يأتي الناسخ فيدخل تلك الحواشي في المتن وهي ليست منهُ

---

(٣) حبة حلب

كفر الزيات . ناشد افندي ابرهيم . شاهدنا عائلة حلبية في وجوه جميع افرادها شامة "خال" الاَّ صغيرهم المولود في مصر ويزعمون ان ذلك حادث من تأثير الاستقاء من مياه حلب فهل لزعمهم شيءٌ من الصحة ام تلك العلامة وراثية

ج لم نسمع بوجود خال في وجوه الحلبية ولكن يكون في وجوههم غالبًا اثر حبة حلب المشهورة وهي تصيب اكثر سكان حلب والبلاد المجاورة لها

(٤) ضرر المياه المقطرة

ومنهُ . ذكرتم في عدد سابق ان المياه المرشحة ترشيحًا دقيقًا مضرَّة بالصحة لما يفقد منها من الاملاح فاي مرشح تستحسنون استعمالهُ طبيًّا لتنقية المياه

ج لم نقل ان المياه المرشحة مضرَّة بل نقلنا ان المياه المقطَّرة مضرَّة والفرق كبير بين التقطير والترشيح فيراد بالتقطير تبخير الماء بالحرارة كما يتبخر في الآلة البخارية ثم تبريد البخار حتى يعود ماء فان الماء اذا تبخَّر لم يصعد مع بخارهِ شيءٌ من الاملاح الذائبة فيهِ والماء الذي يتكوَّن من بخارهِ يكون خاليًا من الاملاح ومن هذا القبيل ماء آلات التقطير وماء المطر وهي التي قيل انها مضرة اما الترشيح بمرشح باستور وبالازيار المصرية فلا يزيل الاملاح من الماء بل تبقى فيهِ لانها ذائبة ولذلك لا يكون شربة مضرًّا

(٥) كفاية العوام

ومنهُ . افيدونا عن اسم كتاب طبي عربي يصح استعمالهُ عند غيبة الطبيب ويكون وافيًا بالمراد

ج وجدنا ان كتاب الدكتور ورتبات كفاية العوام من احسن الكتب الموضوعة لذلك وهو وافٍ بالمراد

(٦) حرق جثة سبنسر

ومنهُ . ما الذي حمل سبنسر على توصيتهِ بحرق جثتهِ وما هو مذهبهُ الديني

ج حملهُ على ذلك مراعاة صحة الاحياء على ما يظهر لان دفن الجثث في المدافن وتعريضها للفساد المستمر الى ان تنحلَّ كلها لا يمنع انتشار الغازات الفاسدة منها في الهواء واضرار الاحياء الذين يتنفسونهُ . والفساد الطبيعي في القبر نوع من الاحتراق لكنهُ بطيءٌ جدًّا والاحتراق بالنار سريع . الاَّ ان الذين لم يألفوا عادة حرق الموتى ولا قويت فيهم قوة التغلُّب على العادات والمعتقدات السابقة يستقبحون هذه العادة . ولم يكن سبنسر يدين بدين من الاديان المعروفة لكن رجال

الدين المسيحي أبنوهُ في كنائسهم بعد وفاتهِ احسن تأبين وقالوا انهُ انتقل بالبحث الفلسفي المجرَّد الى اثبات وجود الخالق النسبي لاتدركهُ العقول وانهُ كان مثالاً للفضيلة والتقوى

(٧) الالكترون والبروتوبلازم

ومنهُ . ما علاقة الالكترون بالبروتوبلاسم وهل يستطيع الطبيعيون ان يكوّنوا مادة حية تتولَّد منها اشكال حيوية

ج يظهر من بحث بعض العلماء الاميركيين ان للالكترونات شأناً في تكوُّن البروتوبلازم او في جمع دقائقهِ بعضها مع بعض واظهار ظواهر الحياة فيها من غير تلقيح لكن لا يزال هذا البحث في بداءتهِ ولا سبيل للحكم بان تكوين الحيوان من المواد غير الحية ميسور للانسان . وان تيسر تكوين الاحياء الدنيا البسيطة التركيب جداً لا يتيسر تركيب الاحياء العليا الكثيرة التراكيب لان كثرة تراكيبها تقتضي زمناً طويلاً جداً

(٨) تأثير الكواكب

ومنهُ . ما هو تأثير الكواكب في الناس

ج لا يظهر انها تؤثر فيهم تأثيراً يشعر بهِ لبعدها الشاسع وقلة القوة الواصلة منها الى الارض ما عدا الشمس فان كل القوى الارضية واصلة الينا منها ويصلنا من القمر شيءٌ قليل جداً من القوة المستمدة اصلاً من الشمس

(٩) تأثير الطلاسم

ومنهُ . بما تعللون ظواهر الطلاسم

ج ان كانت الطلاسم تؤثر في احد فيكون التأثير للوهم اي ان علتهُ داخلية لا خارجية . ثم ان اكثر ما يروى عن تأثير الطلاسم اذا بُحث عنهُ البحث المدقق وُجد غير صحيح

---

(١٠) النخل في اميركا

كفر البطيخ . ميخائيل افندي الياس نعمان . هل ينمو نخل البلح في اميركا ولا يتغيَّر طعمهُ كما يتغير طعم العنب

ج ان ديوان الزراعة الاميركي مهتم بنقل النخل الى اميركا وزرعهِ فيها وقد لقينا احد علمائهم منذ مدة فسألنا عن الاساليب الممكنة لنقل شجر النخل الى اميركا وزرعهِ فيها حيث الاقليم حار يماثل اقليم القطر المصري . اما العنب الذي زرع هناك فقد بلغنا من السوريين الذين ذاقوهُ انهُ طيب الطعم مثل العنب الشامي

---

(١١) موقع الفردوس

منتريل بكندا . الخواجه جرجس حنا جرجور . اين موقع الفردوس الذي كان فيهِ آدم وحواء في ابتداء الخليقة وكم سنة مضت من ابتداء الخليقة الى يومنا هذا ومن خلق آدم الى الآن ومن هي امرأة قايين بن آدم

ج ليس لهذه المسائل جواب علمي .

وعلماء الديانة المسيحية فريقان الفريق الواحد يقول ان كل ما ذكر في سفر التكوين بل في اسفار موسى الخمسة منقول عن البابليين او عن احاديث قديمة كانت متواترة عند اليهود ولا دليل على صحتها غير التواتر والفريق الثاني يقول ان المذكور في اسفار موسى صحيح ولكنهم مختلفون في تطبيقهِ على الواقع وهم مذاهب شتَّى . ومما يراهُ جمهور العلماء ان الانسان وجد على هذه البسيطة منذ اكثر من عشرة الآف سنة ويرجح كثيرون منهم انهُ وجد منذ الوف كثيرة من السنين . والذين يقولون بصحة ما جاء في اسفار موسى مختلفون في تعيين موقع الفردوس وادلتهم كلها من قبيل الظنون او الترجيحات . اما امرأة قايين فيجب ان تكون اختهُ حسب مدلول التوراة

(١٢) صقل الحديد

بيروت . كامل افندي بطرس هلال . ما هي الطريقة التي يصقل بها الاوربيون الفولاذ فيجيء لامعاً بهذا المقدار

ج هي الصقل بالسنباذج (السنفرة) يبدأ بالسنباذج الخشن ثم يتدرَّج الى انعم انواعهِ واخيراً يتم الصقال بالجير (الكلس) البندقي او الروج او اكسيد القصدير الابيض . والغالب ان السنباذج يمسك بقطعة من معدن الاجراس او من الرصاص ويمسح الفولاذ من الروج اخيراً بقطع من الخبز ثم بفرشاة ناعمة

(١٣) تلبيس الحديد

ومنهُ . هل يلبَّس الفولاذ بمعدن آخر قبل صقلهِ

ج يلبَّس احياناً بالنكل فيظهر لونهُ كالفضة اذا صُقل وذلك بالبطرية الكهربائية من مغطس فيهِ مذوب كبريتات النكل النشادري وقد بطل استعمال البطريات الكهربائية الآن في معامل التلبيس الكبيرة وابدلت بمحرك كهربائي (دينامو) . وطرق التلبيس بالنكل معروفة وقد شرحناها غير مرة في بعض الاجزاء الماضية

---

(١٤) الطبعات الكثيرة

مصر . جرجس افندي بشارة . رأيت رواية باللغة الفرنسوية قيل فيها انها طُبعت ٣١٥ مرة منذ سنة ١٨٩٥ الى الآن فهل ذلك صحيح وهل توجد كتب اخرى طبعت هذا المقدار من المرات

ج يحتمل ان يكون ما ذكر في هذه الرواية صحيحاً لان بعض الروايات الشهيرة يطبع كل اسبوع تقريباً وقد بيع من الرواية الواحدة مليون نسخة فلا عجب اذا طبعت مئات من المرات . ويحتمل ان لا يكون صحيحاً لان طابعي الكتب قد يبقون صفحات الكتاب معدة للطبع وكلما نفدت الف نسخة او اكثر منها كرروا طبعهُ وكتبوا انهُ طبع جديداً وقد رأينا اصحاب الجرائد اليومية في

جنيفًا يبقون جرائدهم على المطبعة وكلما ورد تلغراف جديد ادخلوهُ في الجريدة وقالوا انها صارت طبعة جديدة حتى يرغب الناس فيها

(١٥) صورة القاتل

ومنهُ . يقال انهُ اذا قُتل شخص ونُظر في عينهِ قبل مضي ساعة ترى صورة القاتل مطبوعة في انسان العين فهل ذلك صحيح

ج اذا رأى المقتول القاتل قبلما اغمض عينيهِ ترتسم صورتهُ على شبكية عينهِ ولكنها لا تلبث الأ لحظة ثم تزول

(١٦) عيدان الكبريت

ومنهُ . قرأت في بعض الجرائد ان عود الكبريت يمر تحت يد ستين الف عامل او ستة آلاف عامل قبلما يصل الى يد الجمهور أليس في ذلك مبالغة

ج اذا عُدَّ كل الذين يعملون في استخراج الفصفور والكبريت والغراء وقطع الخشب وتقطيعهِ وعمل العيدان منهُ ثم تغطيسها في الغراء والكبريت والفصفور وعمل العلب لها وجمعها ورزمها وحزمها فلا يبعد ان يُعَدّ عدد العمال بالمئات ان لم يكن بالالوف ولكن اذا اريد عمال العيدان فقط في معامل الكبريت فعددهم قليل جدًّا . فقد شاهدنا معملاً في سويسرا يصنع فيهِ كل يوم ٢٥٠٠٠ صندوق من صناديق الكبريت وليس فيهِ سوى ٢٥ عاملاً واكثرهم من النساء والآلاتهُ كلها تدار بآلة بخارية قوتها ١٥ حصانًا

(١٧) اشهر مؤلفات سبنسر

المنيا . حنا افندي بطرس . ما هي اشهر مؤلفات سبنسر

ج

المبادئ الاولى	First Principles.
مبادئ البيولوجيا مجلدان	Principles of Biology.
مبادئ السيكولوجيا مجلدان	Principles of Psychology.
مبادئ علم الاجتماع ثلاثة مجلدات	Principles of Sociology.
مبادئ الادبيات مجلدان	Principles of Ethics.
درس السسيولوجيا	The Study of Sociology.
علم التعليم	Education.
مقالات شتى ثلاثة مجلدات	Essays.
الانتظام الاجتماعي	Social Statics.
الانسان ضد الحكومة	The Man v. The State.
السسيولوجيا الوصفية في ثمانية مجلدات كبيرة	Descriptive Sociology

ولهُ ايضًا . كتب الشعائر الدينية والسياسية وكتب اخرى ومقالات شتى واكثر هذه الكتب طبع مرارًا كثيرة فكتاب التعليم طبع ٣٢ مرة وكتاب المبادئ الاولى سبع مرات



الظواهر الفلكية لشهر يناير

	اليوم	الساعة	الدقيقة	
البدر	٣	٧	٤٧	صباحًا
الربع الاخير	٩	١١	١٠	مساءً
الهلال	١٧	٥	٤٧	"
الربع الاول	٢٥	١٠	٤١	"

عطارد نجم المساء في اوائل الشهر ويقترب من الشمس في الخامس عشر منهُ حتى لا يعود يرى ثم يصير نجم المساء

الزهرة تشرق قبل الشمس بنحو ثلاث ساعات

المريخ يبقى ظاهرًا بعد غياب الشمس ساعتين

المشتري يرى جليًا في اوائل الليل

زُحل يرى في اوائل الشهر ولكن موقعهُ لا يصلح لرصدهِ

وفي الساعة التاسعة مساءً يكون برج الثور قرب سمت الراس والنهر قرب الافق

السينماتوغراف في الطب

استعمل مدرسو الجراحة في باريس السينماتوغراف لاظهار الاعمال الجراحية امام طلبة علم الجراحة فتصوَّر العملية الجراحية في كل درجاتها من اولها الى اخرها وتظهر هذه الصور امام الطلبة على التوالي فيخالون انهم واقفون في غرفة العمليات الجراحية يرون العملية كما يعملها الجرَّاحون

اتساع العلوم

قال الرئيس اليوت ان نطاق المعارف صار اوسع من ان يحيط بهِ الانسان ولو عاش مئة عمر وقد اتسع في القرن التاسع عشر اكثر مما اتسع مدة ثلاثين قرنًا قبلهُ فصار يستحيل على الانسان ان يعرف كل شيءٍ وغاية ما يمكنهُ تعلمهُ جيدًا علم واحد او بعضهُ وشيءٌ من الالمام ببقية العلوم

صوت الرعد

ظهر من التجارب في اميركا ان صوت الرعد القاصف ناشئٌ اكثرهُ عن انحلال بخار الماء وطولهُ يتوقف على ما في الهواء من الرطوبة قال الاستاذ تروبردج انهُ استعمل بطرية فيها عشرون الف حلقة وكان يفرغها بين قطبين من الخشب بعد ان لفهما بالقطن وبلَّهُ بالماء فاذا كان البعد بين القطبين عشرة سنتمترات مرَّ الشرر بينهما متواصلاً ولهُ صوت يصمُّ الآذان حتى اضطرَّ المجرّب ان يسد اذنيهِ حذر الصواعق فلم يكفهِ ذلك فربط رأسهُ ايضًا برباط سميك من الصوف . ولعلَّ

الصوت حادث من احتراق غاز الهيدروجين والاكسجين اللذين انحلَّ اليهما الماء بواسطة الكهربائية . ولذلك فصوت الرعد حادث اكثره من انحلال البخار الى عنصريهِ واشتعالهما

الهواء في جسم الطيور

كتب بعضهم الى جريدة السينتفك اميركان يقول انهُ سلخ كثيرًا من الطيور فوجد تحت جلودها خلايا كثيرة يجتمع فيها الهواء وقال ان الطيور تتحكم بهذا الهواء كما تتحكم بالهواء في رئاتها بالتنفس فيعينها على الطيران لاسيما وانهُ خفيف جدًّا لان ابدانها تسخنهُ

الماس جنوبي افريقية

بلغت قيمة الماس المستخرج من مناجم ده بيرس في جنوبي افريقية في العام الماضي خمسة ملايين وربع من الجنيهات وربحت الشركة منها مليونين وثلث مليون من الجنيهات

مرض المواشي

يظهر من تقرير مصلحة الصحة ان مرض المواشي فتك بنحو اثنين وعشرين الفًا من البقر الى آخر العام الماضي . هذا ما اتَّصل علمهُ برجال الحكومة ولكن يظهر ان المرض افتك من ذلك كثيرًا ولاسيما بمواشي الوجه القبلي حتى ان كثيرين من الذين عندهم سبعون او ثمانون ماشية لم يبقَ عندهم الا ثلاث او اربع منها وقام كبار المزارعين يهتمون بجلب وابورات للحرث من اوربا واميركا

نور الحباحب

لاحظ السر اوليفر لدج ان الحباحب تطفئ نورها قبلما يومض البرق بنحو ثانية او ثانية ونصف من الزمان ثم تنيرهُ بعد ذلك بثانية او ثانية ونصف . وطلب من الباحثين في الامور الطبيعية ان ينتبهوا لذلك عساهم يروا ما رآهُ

الجوائز العلمية

تعطي فرنسا كل سنة من الجوائز العلمية للمشتغلين بالعلم ما يبلغ ٣٧١٥٠٠ فرنكًا اي ١٤٨٦٠ جنيهًا وهذه الجوائز مختلفة من مئتي فرنك الى مئة الف فرنك . وعندها جائزتان قيمة كلٍّ منهما مئة الف فرنك الواحدة جائزة غزمن وهي من ريع مال وقفهُ لمن يكتشف طريقة لمخاطبة مَن في السيارات غير المريخ فاذا لم يحدث ذلك فتعطى مئة الف فرنك لمن يكتشف اهم اكتشاف في علم الفلك . والثانية جائزة برين وقد وقف المال الذي تؤْخذ المئة الف فرنك من ريعهِ لمن يكتشف دواءً للكوليرا او طريقة لاتقائها . والجوائز العلمية تعطى للرجال والنساء على حدٍّ سوى وللفرنسويين ولغيرهم من غير تمييز ففي سنة ١٨٩٥ اعطيت جائزة خمسين الف فرنك للورد ريلي والاستاذ رامسي الانكليزيين لانهما اكتشفا عنصر الارغون وسنة ١٨٩٧ أُعطي الدكتور ولز جائزة باركن وهي ٣٤٠٠

فرنك على مقالة قدمها لمدرسة الطب والجراحة

واكبر الجوائز العلمية جوائز نوبل الاسوجي مخترع الديناميت وهي خمس كل منها ثمانية آلاف جنيه تعطى سنويًا كما ابناه غير مرة. وقدوهب المستر كارنجي داره العلمية بوشنطون مليوني جنيه لتنشيط العلوم ولا يبعد ان يعطى جانب كبير من ريعها جوائز للعلماء

والجوائز العلمية شائعة في كل الممالك الاوربية لكن مقدارها قليل حتى في البلاد الانكليزية التي ينتظر ان تفوق غيرها بسبب غنى اهلها

الماء والمغنطيس

يقال ان في ولاية انديانا باميركا ثلاثة ينابيع اذا وضع الحديد في مياهها صار مغنطيسًا . ومياه هذه الينابيع تحوي كثيرًا من غاز الحامض الكربونيك فاذا عُرّضت للهواء خرج الغاز منها ورسب فيها اكسيد الحديد المغنطيسي فاذا زال الغاز كلهُ من الماء لم يعد الحديد يتمغنط بوضعهِ فيهِ . ويظن ان الحديد موجود في هذا الماء بصورة الكربونات وهو الذي يكسب القوة المغنطيسية لما يوضع فيهِ من قطع الحديد

الوراثة والوسط

ذكر السر صموئيل ولكس في جريدة اللانست الطبية انهُ انتقل الى منزل تنمو شجرة كبيرة بجانبهِ فتحجب النور عنهُ فقطعها ولما نظر في خشبها رأى ان لبها ليس في وسط الساق بل قريب من الطرف المحاذي للبيت وحلقات الخشب التي حولهُ صغيرة ضيقة في جهة البيت وكبيرة واسعة في الجهة الاخرى . ومقتضى الطبع في الاشجار كلها ان يكون اللب في وسط الساق تمامًا وتكون حلقات الخشب منتظمة حولهُ على السواء لكن الوسط الذي نمت فيهِ هذه الشجرة جعلها تخالف مقتضى الطبع وتتسع في الجهة التي يأتيها منها النور والهواء وتضيق في الجهة المحاذية للبيت حيث يقل النور والهواء . وهذا شأن الانسان فان قانون الوراثة او قانون الطبع يخضع للوسط الذي يعيش فيهِ وللعشراء الذين يعاشرهم واذا لم يشب اولادنا مثلنا ولا شبوا على ما نريد فاللوم علينا لاننا ربيناهم في وسط غير الوسط الذي ربينا فيهِ وسمحنا لهم ان يعاشروا اناسًا على غير ما نحب

الكهربائية بدل البخار

يظن كثيرون من المهندسين انهُ اذا حُولت قوة البخار الى كهربائية في محطات سكك الحديد الكبيرة ثم سيرت قطرات سكك الحديد بالكهربائية بدلاً من تسييرها بالبخار كان من ذلك اقتصاد كبير في النفقات . وقد ثبت هذا الامر بالامتحان مدة ثلاثة اشهر في سكة من سكك الحديد العلوية في نيويورك فكانت نفقات التشغيل ٢٨٠ الف

جنيه فهبطت الى ٢٦٠ الف جنيه وكان الدخل ٥٧١ الف جنيه فصار ٦٥٤ الف جنيه فزاد الربح اكثر من مئة الف جنيه في ثلاثة اشهر وكانت زيادة الدخل من زيادة السرعة لانها زادت ٢٥ في المئة . فعسى ان تنتبه ادارة سكة الحديد المصرية الى ذلك لعلها تجد فيهِ ما يقلل النفقة ويزيد الربح

التلغراف الارضي

استنبط اثنان من الالزاس تلغرافاً تنقل الاشارات البرقية بهِ لا بالاسلاك المعدنية كالتلغراف العادي ولا بالاثير المنتشر في الجو كتلغراف مركوني بل بالارض نفسها فينزَّل القطبان في الارض فتتكوَّن حولها امواج كهربائية تنتشر الى بعد شاسع حسب قوَّة المجرى الكهربائي . ويصح هذا الاستنباط اذا كانت الامواج الكهربائية تندفع الى الجهة الامامية فقط لانها اذا كانت تندفع الى الجهات الجانبية ايضاً تمَّ الاتصال الكهربائي بين القطبين في المكان الذي تتولد فيهِ ولم تنتقل الى المكان الآخر

الزرنيخ في البيض

اثبت المسيو غوتيه ان الزرنيخ موجود في كل الاجسام الحيَّة فقال المسيو غبريل برتران انهُ اذا كان الزرنيخ موجوداً في الاجسام الحية فهو موجود في البيض ايضاً لان فراخ الطيور تتكوَّن منهُ ولا تتناول شيئاً من غيرهِ وجعل يبحث في بيض الدجاج فوجد فيهِ شيئاً قليلاً من الزرنيخ في المح والزلال والقشر الرقيق المحيط بهِ . وعليهِ فاكتشاف الزرنيخ في معد بعض الناس الذين يقال انهم ماتوا مسمَّا بهِ ليس دليلاً على انهم ماتوا مسمومين بهِ الاَّ اذا كان مقدارهُ كبيرًا

عجائب الالكتروفون

للخطيب المستر تشمبرلين خطبتهُ المشهورة في برمنهام منذ عهد قريب نقلت الخطبة كلها بنصها الى جرائد لندن وطبعت فيها ونشرت بعد ان اتمَّ تلاوتها بسبع وعشرين دقيقة لا غير والبعد بين برمنهام ولندن ١١٣ ميلاً . شرع الخطيب في الخطابة الساعة ٨ والدقيقة ١٠ مساء واتم خطبتهُ الساعة ١٠ والدقيقة ٥ ونُقل كلامهُ حرفاً حرفاً بالالكتروفون الى جرائد لندن بالتدريج فبلغها آخرهُ الساعة ١٠ والدقيقة ٢٠ وعند الساعة ١٠ والدقيقة ٣٢ كانت الخطبة كلها قد جمعت حروفها وسبكت وطبعت في الجرائد وعرضت للبيع . وتم هذا العمل العجيب بوضع آلات الالكتروفون امام الخطيب في النادي الذي كان يخطب فيهِ ووصلت هذه الآلات باسلاك التلفون المتصلة بالخط الاصلي الواصل الى مدينة لندن ومنهُ الى مكاتب الجرائد وقام في كل مكتب عشرة يسمعون الكلام ويكتبونهُ كتابة مختصرة ويتراوحون كل دقيقتين ومتى كتب الواحد

منهم ما سمعهُ يمضي بهِ حالاً ويكتبهُ كتابة عادية ويسلمهُ لجامعي الحروف باللينوتيب فظهرت الخطبة في تلك الجرائد قبلما اوصلها التلغراف الى غيرها بساعة وخمس دقائق وهذا من اعجب ما ذكر عن نقل الاخبار

القوة ومياه المطر

نشرنا بين مقالات هذا الجزء مقالة عن القوى الطبيعية وفاتنا ان نذكر بينها قوة مياه المطر لو جمعت في خزانات تبنى لها على جوانب الجبال فاذا بنيت هذه الخزانات على ارتفاع سبع مئة متر فقط عن سطح البحر جمع فيها من الماء ما قوة انحدارهِ تساوي عشرة آلاف مليون حصان تشتغل يوماً بعد يوم على مدار السنة وعلى توالي السنين. وكل الفحم الحجري الذي يستخرج من الدنيا سنويًّا لو حرق في آلات بهذه القوة لما كفاها اكثر من نصف يوم

الترع البحرية الكبيرة

(١) ترعة السويس شُرع فيها سنة ١٨٥٩ وتمت سنة ١٨٦٩ وبلغت نفقات حفرها واتمامها نحو ٢٠ مليون جنيه ما عدا اعمال السخرة . بلغ محمول السفن التي مرَّت فيها سنة ١٨٧٠ نحو ٦٥٥ الف طن وبلغ محمول السفن التي تمرُّ بها الان سنويًّا نحو ١٤ مليون طن وتوزع ربحًا على حاملي اسهمها اكثر من مليوني جنيه كل سنة

(٢) ترعة كنستات وبطرس برج شرع فيها سنة ١٨٧٧ وتمت سنة ١٨٩٠ وبلغت نفقاتها مليوني جنيه

(٣) ترعة كورنثس شرع فيها سنة ١٨٨٤ وتمت سنة ١٨٩٣ وبلغت نفقاتها مليون جنيهٍ

(٤) ترعة منشستر تمت سنة ١٨٩٤ وبلغت نفقاتها ١٥ مليون جنيه وبلغ صافي دخلها السنوي الآن نحو ستمئة الف جنيه

(٥) ترعة القيصر ولهلم بين بحر البلطيك والبحر الشمالي تمت سنة ١٨٩٥ وبلغت نفقاتها ثمانية ملايين جنيهٍ وبلغ دخلها نحو مئتي الف جنيهٍ

مؤتمر البعوض

عُقد مؤتمر في السادس عشر من دسمبر الماضي في مدينة نيويورك للبحث عن افضل الطرق لاستئصال البعوض من الدنيا تخلصاً من شرهِ . فمن لنا بمصور ماهر قوي المخيلة يصور بني آدم بخيلهم ورجلهم يجمعون قواهم على هذه الحشرات الصغيرة وهي تغالبهم وتقوى عليهم وقد يجدون بعد اللتيا والتي ان البعوض يضرُّ من وجه وينفع من وجوه اخرى فيأكل من الميكروبات ما لو بقي في الهواء لابتلى الناس باشد مما يبتليهم بهِ البعوض

نعل من غير مسامير

استنبط احد الاميركيين نعلاً لحاسيور

من الحديد تشد بها في اعلى الحافر فيحذى الفرس بها من غير مسمار وتنزع حينما يراد نزعها كأنها الحذاء يلبسهُ الرجل ويخلعهُ

الراديوم والنور

يظهر انهُ لا حدَّ لغرائب الراديوم فقد ظهر الآن من غرائبهِ انهُ يؤثر في بعض المركبات الكيماوية فيغير لونها ولو لم يغير تركيبها. فاذا وضع انبوب فيهِ بروميد الراديوم في ملح الطعام صار لون الملح برتقاليًّا واذا وضع في كلوريد البوتاسيوم صار لونهُ بنفسجيًّا واذا وضع في بي كربونات الصودا او متا بيسلفيت البوتاسيوم صار لونهما بنفسجيًّا ضاربًا الى الحمرة ذلك كلهُ من غير ان يمتزج بها

آثار مصرية

اكتشف المسيو ليفرن المفتش في مصلحة الآثار المصرية تمثالاً من الغرانيت في هيكل الكرنك عليهِ صورة حاكم مدينة طيبة وامرأتهِ وبينهما ابنتهما وذلك في عهد تولية الملك تحوتمس الثالث وامنوفيس الثاني · والتمثال بديع النقش متقن الرسم وهو مملوء بالكتابات الهيروغليفية الواضحة. واكتشف ايضاً آثارًا للملك امنوفيس الاول · ويظهر ان تحت هذه الآثار آثارًا أُخرى لدول قديمة

دار الآثار العربية

احتفل بافتتاح دار الآثار العربية في ٢٨ من شهر دسمبر بمشهد كبير حضرهُ الجناب الخديوي ونظار حكومتهِ وجناب اللورد كرومر وكثيرون من الكبراء الوطنيين والاجانب ووقف سعادة مدير الاوقاف رئيس لجنة حفظ الآثار العربية وتلا خطبة وجيزة ابان فيها اهتمام الامم المتمدنة بحفظ آثار قدمائها وقال ان الديار المصرية جارتها الآن في هذا المضمار لكي تحفظ للمدنية العربية تلك الايادي التي طالما طوقت بها جيد العالم المعاصر فاهتمت بجمع شتات ما تفرَّق من الآثار العربية وزادت عنايتها بتلك البقايا الاثرية فالَّفت لحفظها والنظر في شؤونها لجنة جمعت من كبار رجال الاعمال وصفوة القوم ما قلَّ ان يجتمع مثلهُ. ثم شكر الجناب الخديوي على اتمام هذه الدار وطلب من سموه ان يفتتحها رسميًّا فاجابهُ الجناب الخديوي شاكرًا لهُ ولحضرات اعضاء اللجنة وافتتح الدار رسميًّا · فدخلها الحضور وتفرقوا في غرفها يشاهدون ما فيها من بقايا الصناعة العربية من الرخام المنقوش والمجوَّف والخشب المحفور والمطعَّم والآنية الزجاجيَّة والنحاسيَّة وادوات العظم والعاج والعقيق والكهرباء والمنسوجات المختلفة بعضها حسن يدل على مهارة في الصناعة تفوق ما وصل اليهِ ابناء هذا القطر الآن كالآنية الزجاجية الملونة بالمينا والازيار الرخامية وبعضها في حد السذاجة والخشونة كبعض المنقوشات الخشبية والحجرية. وسنأتي على وصفها بالاسهاب في الجزء التالي

اتلاف الآثار

كنا نطالع بالامس تاريخ الامير حيدر الشهابي الذي طبع حديثاً فعثرنا فيهِ على وصف بعض اثار كشفت قرب بعلبك قال "وفي هذه السنة (١٨٠٠) مر اناس بالقرب من مدينة بعلبك الى جهة الجنوب في مكان يقال لهُ عمود الذهب فرأَوا حفرة في الارض فتأَملوها واذا فيها علامات توهم انها كنز وكانوا ثمانية انفس فحفروا في ذلك المكان حتى انتهوا الى باب من حجر عليهِ صخرة فرفعوها ودخلوا واذا مغارة منحوتة في صخر وسعها نحو سبع اذرع وفي جانبها ناووسان كبيران من حجر طول الواحد منهما اربع اذرع ونصف وعلى كل واحد منهما غطاء من حجر على هيئة قبة مثلثة وفوق الغطاء سلسلة من حديد مقفولة بقفل مستدير قد علاهُ الصدأ من تمادي الايام فكسروهما ولم يقدروا على رفع الغطاء حتى كسروهُ فوجدوا في الناووس الواحد ميتاً قد بلي وصار تراباً الاَّ عظامهُ وعلى وجههِ غشاء من ذهب رقيق جدًّا وفي يدهِ خاتمان من ذهب حجر الواحد منها احمر والثاني ازرق منقوش عليهِ صورة طائر وفي الناووس الاخر ميتاً كالاول وعلى وجههِ غشاء من ذهب ايضاً وفي يدهِ خاتم من ذهب وحجرهُ اخضر فاخذوا الجميع . ثم اتوا الى الجانب الاخر من المغارة فوجدوا ثلثة نواويس من رصاص ثخن الواحد منها ثلثة اصابع وطولهُ ذراع وربع وفوقها اغطية من حجر عليها كتابة مجهولة فكسروا تلك الاغطية واذا في النواويس موتى قد صاروا تراباً . ولم يجدوا عليهم شيئاً ولكن وجدوا بين ذلك التراب قطعاً من الذهب صغيرة كالعدس . ووجدوا ايضاً في الجانب الاخر من المغارة ناووساً صغيرًا جدًّا من رصاص وعليهِ كتابة مثل تلك فكسروهُ ولم يجدوا فيهِ الاَّ شيئاً كالتراب . واخذوا تلك النواويس الرصاصية ورجعوا الى بعلبك واقتسموها فكانت قنطارًا واربعين رطلاً والذهب واحدًا وعشرين مثقالاً فباعوا الرصاص للمكارين بثلاثين من الفضة . وتلك الكتابة التي على النواويس فلم يعرفها احد من الافرنج ولا من الاروام ولا من اليهود . واما حجارة الخواتم فقالت الصاغة ان الازرق منها فيروز والاحمر عقيق" وعليهِ فاتلاف الآثار الذي كان جارياً في القطر المصري واشار اليهِ عبد اللطيف البغدادي كان جارياً ايضاً في القطر الشامي

رواية المقتطف

سنشرع من الجزء التالي في نشر رواية ادبية فكاهية تناسب موضوع المقتطف

فهرس الجزء الاول من المجلد التاسع والعشرين

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد التاسع والعشرين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٤ ذي القعدة سنة ١٣٢١

سبنسر وفلسفتهُ

تمهيد

اقلُّ ما ينتظرهُ منا قراء المقتطف ان نفي سبنسر حقهُ من الوصف وفلسفتهُ حقها من التبيين لاسيما وان اكثر الذين كتبوا في المواضيع الفلسفية والاجتماعية والطبيعية منذ اربعين عاماً الى الآن كانت كتب سبنسر مرشداً لهم او للذين ارتشدوا بهم . ولا يبعد اننا كنا نحذو حذوهم مراراً كثيرة اما باعتمادنا على ما رسخ في ذهننا من مطالعة كتب سبنسر او على كتاب نقلوا عنهُ او حذوا حذوهُ فلهُ على المقتطف فضل لا ينكر . ولم نتصدَّ قبل الآن لكتابة شيء مسهب عن فلسفتهِ بنوع خاص لان الخوض فيها عسير وتصفُّح كتبهِ بالامعان ليس مما يرتاح اليهِ كثير الاشغال لوعورة مسالكها وصعوبة اسلوبها . الاَّ اننا عثرنا في هذه الايام على كتاب مختصر لاحد مريديهِ (١) وصفهُ فيهِ وصفاً دقيقاً ولخص فلسفتهُ تلخيصاً وافياً بالمراد . فاتخذناهُ دليلنا في كتابة الفصول التالية وقد بسطناها بسطاً يقربها من اذهان جمهور القراء الذين لم يألفوا المباحث الفلسفية

حال العلم والفلسفة حينما قام سبنسر

كانت اوربا جارية مجرى بلاد الشرق في هذه الايام من حيث العقائد والعادات وكان العقل مقيداً بقيود التقليد اذا حاول فكها رُشق بالكفر والحرمان فنهض رجال الثورة الفرنسوية وكسروا تلك القيود وهدموا مباني الفلسفة القديمة والعقائد التي تملكت النفوس قروناً كثيرة فسدَّت انقاض ما هدموهُ سبل العقول وكادت تعيد الناس الى الهمجية لولا ان العلماء

(١) هو المستر مكفرصن مؤلف كتاب كارليل وآدم سمث

الذين هدموا حاولوا البنيان ايضاً فان فُولتر وديدرو واضرابهما اهتموا باكتشاف حقيقة الانسان وما تأَول اليهِ حالهُ بعد الموت حتى يضعوا لهُ قواعد وفرائض بدل الاحكام الدينية التي نقضوها . الاَّ ان معارف الناس كانت قليلة جدًّا حينئذٍ لا تكفي لتكون اساساً لما ارادوا بنيانهُ . وكل علم لا يبنى على اساس وطيد لا يثبت . وزد على ذلك ان العقائد القديمة كانت راسخة في النفوس حتى ان اولئك العلماء ادمجوها في ما ارادوا ان يجعلوهُ مستقلاًّ عنها . ومع ذلك لهم فضل لا ينكر في انهم نقضوا كثيرًا من الاوهام والخرافات وعتقوا العقل من قيود الاستعباد ومهدوا السبيل للذين جاؤُا بعدهم وشأْنهم شان من يهدم بناء قديماً ويزيل انقاضهُ من الارض ويهيئها لبناء جديد يبنى مكانهُ

وقد قام هذا البناء الجديد وُضع اساسهُ في منتصف القرن التاسع عشر وهو الاكتشاف العظيم الذي اوضحهُ سبنسر وداروِن وجاراها وولس وهيكل أَلاَ وهو ناموس النشوء ناموس تولد الموجودات بعضها من بعض جريًا على سنة ثابتة لا تتغير . الناموس الشامل لكل شيءٍ حيًّا كان او غير حي ولكل رأْي وعقيدة ومذهب ونظام ولغة وعمل وصناعة . بل كلّ انسان مهما كانت طبقتهُ ناشئ جسدًا وعقلاً حسب ناموس النشوء ولو اجتمعت القوى التي ولَّدتهُ والمواد التي تولَّد منها في مكان مثل مكانهِ لولَّدت انساناً آخر مثلهُ . هذا هو الناموس الذي لسبنسر اليد الطولى في ايضاحهِ واقامة الادلة على تأْييدهِ وتطبيق احوال الناس عليهِ وهو اساس فلسفتهِ كما سيجيءُ

ولد سبنسر في السابع والعشرين من شهر ابريل سنة ١٨٢٠ وكان ابوهُ معلماً وقد عرف بالاختبار ان شحن المعارف في عقول الصغار ليس منهُ كبير فائدة فلم يهتم بتعليمهِ صغيرًا ففاتتهُ المعارف التي تقتضي حفظاً وتمرُّناً لكنهُ برع في ما يستدعي استعمال العقل وما يدعو الى درس الطبيعة كجمع الحشرات وتربية الفراش والديدان . وكان لابيهِ واعمامهِ نظر في المسائل الدينية والسياسية والاجتماعية فكانوا يتذاكرون فيها امامهُ غير مقيدين بقيود التقليد . ثم ان والديهِ كانا على مذهب واحد ديني وهو مذهب المثودست (٢) فمال ابوهُ الى مذهب آخر واعتنقهُ وبقيت امهُ على مذهبها ولا بدَّ من ان يكون قد سمعهما يتناظران في افضلية كلٍ من المذهبين على الآخر ورآهما يتساهلان فيهما لانهُ كان يتبع اباهُ في صباح الاحد الى كنيستهِ وامهُ في مسائهِ الى كنيستها وهما راضيان بذلك . ونزوع ابيهِ عن مذهب وُلد فيهِ الى مذهب آخر اضعف سلطة المذاهب الدينية من نفسهِ فشبَّ غير مقيَّد بقيودها ولا يدرك ما يشعر بهِ غيرهُ من الذين ربوا تحت سلطتها

(٢) فرقة من البروتستانت منتشرة في انكلترا واميركا

ولما بلغ الثالثة عشرة من العمر ائتُمن عمهُ على تعليمهِ وكان قسًّا من قسوس الديانة ومن حزب الاحرار المتطرفين المهيجين على الحكومة المنتصرين للشعب عليها وكان من تلامذة كمبردج ومن انبغهم فجعل سبنسر يتعلم منهُ وكان ضعيف الذاكرة ينفر من الدروس القانونية ويكره درس اللغات واذا حفظ منها شيئًا اليوم نسيهُ في الغد اما الدروس التي تقتضي استعمال قوة الادراك والحكم والقياس فبرع فيها وفاق اقرانهُ في الرياضيات وعلم الآلات وشغف بالمبادىء العلمية ومحبة البحث والتحليل

وكان عمهُ يود ان يُعدَّهُ للدرس في مدرسة كمبردج الجامعة فلما رأى منهُ ذلك عدل عن عزمهِ وتركهُ يجري في الدرس حسب هواهُ فخسر بذلك نصرة ابناء المدارس لهُ وكسب عداءهم لانهُ لو ربي في مدرسة من مدارسهم الكبرى لانتصر لهُ ابناؤها وشاعت آراؤهُ باسرع مما شاعت . ولكنهُ لو فعل ذلك لالفَ الطريقة المدرسية على الراجح ولم يتحرَّر من كل قيود التقليد

ولما شبَّ ولم يكن قد تعلم حرفة ولا استعدَّ لتعلم حرفة سعى ابوهُ لهُ فجُعل مساعدًا لمعلم مدرسة وكان اهلاً للنجاح في حرفة التعليم لانهُ كان مقتدرًا على ايضاح المعاني وتبيين المقاصد على اسلوب قريب المأخذ . هذا في الكلام اما في الكتابة فاسلوبهُ دقيق ولا يسهل ادراكهُ الاَّ على من مارسهُ . ولكنهُ لم يبقَ في حرفة التعليم طويلاً بل عُرض عليهِ ان يكون مهندسًا لفرع من سكة الحديد التي بين لندن وبرمنهام فاقام ثماني سنوات مهندسًا واهتمَّ بعلم الهندسة وكتب مقالات كثيرة فيهِ نشرها في جرنال الهندسة المدنية . واستنبط آلة تقاس بها سرعة القاطرات . ثم ضعفت شركات سكك الحديد فقلَّ الطلب على المهندسين فخرج من منصبهِ وعمرهُ ٢٦ سنة وعاد الى بيتهِ ولا عمل لهُ ولكن كان عقلهُ قد تخطى حدود الهندسة الى علم سياسة البلدان فانشأ مقالات شتَّى موضوعها ماهية الحكومة ونسبتها الى الامة . واكثر من الدرس والبحث ولكن الدرس لا يشبع الجوف فرأى ان لا بدَّ لهُ من ان يتعاطى عملاً يكتسب بهِ ما يقوم بمعيشتهِ فالتفت الى الصحافة ودُعي ليكون محررًا ثانيًا في جريدة الايكونومست (المقتصد) وكان ذلك سنة ١٨٤٨ فانتقل الى مدينة لندن وبقي في تحريرها الى سنة ١٨٥٣

وكان قد قرأ كتاب ليَل الجيولوجي في مبادىء الجيولوجيا وعمرهُ عشرون سنة وسلَّم بما علَّ بهِ ذلك العالم الكبير وهو ان الموجودات الارضية نشأت بعضها من بعض ولم يخلق كل نوع منها على حدتهِ لكنهُ لم يكن يفهم كيف حدث هذا النشوء ولا ما هي حقيقتهُ

وكان العلم الطبيعي قد سلَّم الناس مقاليد بعض القوى الطبيعية وسهَّل لهم اسباب الغنى

نخضعوا لصولتهِ واضطرَّ علماء الدين ان يكفُّوا عن مقاومتهِ بل صار المطلب المبتغى يسعى اليهِ الجميع ليستنيروا بنبراسهِ ويستعينوا بمكتشفاتهِ . وأُنشئ مجمع ترقية العلوم البريطاني فصار كعبة العلماء يحجون اليها كل عام وكثر نشر الكتب العلمية واعتمدت الصناعة على العلم فكثرت المكتشفات والمخترعات وتشعبت المذاهب والآراء لان فريقاً من الناس لا يقتصر على الماديات بل يطلب معها الادبيات ولولا ذلك لالقت الماديات على الادبيات ستاراً كثيفاً وضؤُل نور العلم واحتجب عن الابصار

وكانت كتب الفيلسوف كُنْت قد انتشرت واقبل الناس على مطالعتها ثم ظهر كتاب هويول في تاريخ الفلسفة وكتاب الكون لحمبلت فجعل العقلاء يقرأُون هذه الكتب ويتساءلون عن حقيقة هذا الكون وما فيهِ . ولم يكن قد عُرِف شيءٌ مما يعرَف الآن بحفظ القوة وتغيُّر الانواع ونشوء الموجودات الآلية ولا من ماهية الحرارة وكونها ضرباً من الحركة ولا كان الرأي الحويصلي[٢] معروفاً الأَ في المانيا لكن كان العقلاء يفكرون في هذه المواضيع كلها ولا يعوزهم الأَ الكلام الوضعي للتعبير عنها

وكان جمهور الناس يحسب ان الانسان خُلق كما نصَّت التوراة على خلقهِ وكذلك سائر الموجودات وجدت كما جاء عنها في الفصل الاول من سفر التكوين حتى ان كبار العلماء الذين عرفوا من نواميس الكون اكثر مما عرف غيرهم بقوا مستمسكين بهذه العقيدة يجمعون بينها وبين ما كاشفتهم الطبيعة بهِ من اسرارها . ولم يكونوا يرون صلة بين العلوم المختلفة ولا يحسبون انها ناشئة بعضها من بعض بالارتقاء المستمر فلما ظهر من مكتشفات العلوم الطبيعية ان وجود الكون لا يفسَّر على ما في سفر التكوين قال الناس ان العلم والدين خصمان لا يتفقان وعسر على العقلاء تعليل وجودهما معاً ونسبة كلٍّ منهما الى الآخر فقام الفيلسوف كُنْت وبيَّن نسبة العلوم الدينية الى العلوم الطبيعية في ارتقاء الانسان واظهر مزية العلوم الطبيعية لانها تعتمد على الملاحظة والامتحان ثم بيَّن ان العلوم كلها حلقات متصل بعضها ببعض ومبنيٌّ بعضها على بعض لكنهُ اخطأَ في انهُ اوجب قصر البحث على المعلولات ولم يلتفت الى العلل حاسباً ان البحث عنها من قبيل العبث ولا اهتمَّ بالفروض التي تعلَّل بها الظواهر الطبيعية فاعتبر في حكم المجهول جانباً كبيراً مما يعدُّ الآن في حكم المعلوم . ولو قال بالعلَّة الفاعلة في كل المعلولات وهي القوة التي لا تزول ولا تنقص بل تحوّل المادة من صورة الى اخرى وتتحوَّل معها من شكل الى آخر لحلَّ محل سبنسر وسبقهُ الى فلسفتهِ

---

(٢) يراد بهِ تكون انسجة الحيوان والنبات من حويصلات دقيقة

وجملة القول ان الناس كانوا ينظرون الى الكون قبل سبنسر كأنهُ آلة كبيرة جداً صُنع كل جزء منها على حدتهِ وأُحكم صنعهُ لغاية واحدة قائمة في عقل الصانع الاعظم مدبر الكون لا في مادة الآلة نفسها. ولم يحسبوا ان الوحدة موجودة في هذه الآلة ولا حسبوا انهُ يمكن اكتشافها لو كانت موجودة . حتى ان الفيلسوف جون ستورت مل كان يقول ان ما نحسبهُ من الضروريات قد لا يكون ضرورياً في عالم آخر فالاثنان والاثنان اربعة عندنا ولكن قد لا يكون مجموعها اربعة في عالم آخر . وليس من الضرورة ان ما يوجد الآن يكون موجوداً ولا ما يمنع الخالق من تغيير نظام الكون وقلب كل ما فيهِ رأساً على عقب وقتما يشاء وان كل ما قيل عن العجائب والمعجزات ممكن اذا قامت الادلة على حدوثهِ(٤)

هذا كان حال العلوم الطبيعية وتصور الناس لها حينما اخذ سبنسر ينظر فيها . اما الفلسفة ويراد بها البحث عن حقيقة الموجودات كما يراد بالعلم الطبيعي البحث عن حالة الموجودات فكانت قد صارت مادية قبيل الثورة الفرنسوية وقال اصحابها انهُ لا يوجد شيءٌ حقيقي الاَّ المادة والقوة . هذا كان مذهب ديدرو واتباعهِ وبهِ فسَّروا كل شيء من حركات الاجرام السموية الى افعال النفس الانسانية . فلما ختم عصرهم بمذابح الثورة الفرنسوية اقشعرَّت فرائص الناس من مذهبهم ناسبين اليهِ كل ما حدث من الجرائم فطرحوا ما فيهِ من الصواب مع ما فيهِ من الخطإ وحسبوا ان كل مذهب ماديّ يأول اخيراً الى محو الدين والآداب والحكومات . ولاشبهة بوجود الخطإ في مذهب الماديين على ما كانوا عليهِ وفي ان لهُ يداً في تلك الجرائم لانهُ اعتبر الانسان آلة صدرت من تجمع الدقائق المادية على اسلوب مخصوص . والعقل شعوراً مرتقياً من شعور الحيوانات . والآداب صورة من طلب المنفعة الذاتية . والديانة نتيجة الهواجس والتخيلات . والحكومة اتفاقاً بين الملوك الطغاة والكهنة المحتالين على استعباد الشعب . فلما حدثت الثورة الفرنسوية بفظائعها تقوضت اركان الفلسفة المادية وجعل الناس يفتشون عن فلسفة اخرى او عن مبادئ اولية يبنون احكامهم عليها و يشغلون عقولهم بها ويجعلونها اساساً ثابتاً للاحكام والنظامات الاجتماعية فوجدوا هذه المبادئ في المانيا في الفلسفة الروحية او الدينية . ولكن لم تكد الفوضى

(٤) وقد قال مكنزمن ان هكسلي جارى مل في ذلك والراجح في ذهننا ان هكسلي لم يقل ان العجائب تثبت بمجرد قيام الادلة على حدوثها ولو خالفت نواميس الطبيعة بل قال انهُ اذا قامت الادلة القاطعة على حدوثها لا تكون مخالفة لنواميس الطبيعة بل تكون من نتائجها اللازمة عنها فاذا قامت الادلة القاطعة على ان الشمس وقفت ساعتين او على ان الارض وقفت ساعتين لم تدُر فيهما على محورها فيكون ذلك لان حركات الارض والنظام الشمسي كلهِ تقتضي وقوف الارض في الوقت الذي وقفت فيهِ

تزول من فرنسا وتستتب الاحكام فيها تحت سلطة ما يعرف بالاتحاد المقدس حتى ضرب الجور والاستبداد اطنابهما وصارت الاماكن التي كانت ملجأ للثوار سجناً للنفوس ورأى العقلاء ان هذه الفلسفة لا غرض لها الا حفظ النظامات القديمة وتأييد العقائد الشائعة واذا طولبت بدليل لجأت الى ما تعدُّهُ من البديهيات والاوليات التي لا تحتاج الى دليل فرموها بسهام الانتقاد وزعزعوا اصولها وتجاوزوا الحد في ما نقضوهُ منها حتى ان إمامهم الفيلسوف جون ستورت مل شكَّ في كل شيء وانكر البديهيات وقال ان كل علم متولدٌ من الاختبار وفاتهُ ان الاوليات الهندسية مثلاً يدركها الانسان بالبداهة ويقول بها قبل الاختبار وقبل الامتحان

هذا كان حال العلم وحال الفلسفة حينما ظهر سبنسر واخذ ينظر في الموجودات . وسنبين كيفية نظرهِ فيها في الفصل التالي

قلة المواليد واسبابها

كتب الدكتور بوشي الاميركي في مجلة العلم العام الاميركية مقالةً موجزة في اسباب قلة المواليد قال فيها ان معدل مواليد الاميركيين الوطنيين وخصوصاً المتخرجين من المدارس العالية آخذ في التناقص في بعض الولايات وانهُ توصل بعد البحث الطويل الى النتائج الآتية وهي

اولاً ان معدَّل الزواج بين الاميركيين الوطنيين اقل منهُ بين الدخلاء وذلك الى سن ٤٥

ثانياً ان نسبة النساء المتزوجات اللواتي لم يلدنَ هي اكثر في الوطنيات منها في الاجنبيات

ثالثاً ان معدل مواليد الوطنيات اقل من معدل مواليد الاجنبيات اي ان النساء الاجنبيات الاصل يلدن اكثر من النساء الوطنيات الاصل

رابعاً ان من سنة ١٨٨٥ الى ١٨٩٧ كانت نسبة المتزوجات الوطنيات اقل من نسبة المتزوجات الاجنبيات

وعليهِ فمعدَّل مواليد الاميركيين الوطنيين اقل من معدل مواليد الدخلاء وخصوصاً المهاجرين حديثاً

ويظهر من ذلك لاول وهلة ان اميركا تكاد تشبه فرنسا في ان عدد مواليدها آخذ في التناقص والفرق بينهما ان مواليد كل اهالي فرنسا آخذ في التناقص واما في اميركا فالنقص محصور في مواليد الاهالي الذين طال عهدهم فيها

ولقد اتصل الباحثون في موضوع المواليد الى معرفة بعض النواميس الجارية عليها واكثرها

مبنيٌّ على تأثير العوامل الطبيعية مما لا يمكن ان يصدق على المواليد الاميركية الاَّ قليلاً . وقال البعض ان قلة المواليد تصير وراثية مع الزمن حتى ينقرض النسل لكن ذلك لا محل لهُ في الولايات الاميركية لان شعوبها لا تزال جديدة بالنسبة الى غيرها . واكبر سبب لقلة النسل هو السبب الاجتماعي الذي بيَّنهُ المسيو دومون احد علماء فرنسا وهو مبنيٌّ على ما يشبه ناموس التنازع . وبيان ذلك ان للشعوب المتمدنة ولاسيما في الحكومات الجمهورية ميلاً شديداً الى تحسين احوالها المعاشية وحفظ مقامها في الهيئة الاجتماعية فينتج من ذلك الميل او الجهاد مباراة بين الطبقات المختلفة تقضي بتقليل النسل لانهُ اذا قلَّ اولاد الانسان امكنهُ ان ينفق عليهم عن سعة اكثر مما لو كانوا كثاراً وعلى ذلك تكون عيشة المدن باعثاً على قلة النسل وتكون العيال في المدن اصغر منها في القرى والمزارع .

وقبل البحث في ناموس دومون يجب مراعاة احوال الشخص واحوال المملكة التي هو فيها . فانهُ اذا سهل على المرء تحصيل معيشتهِ من غير تعب او بقليل من التعب لم يجد ما يعوقهُ عن الاكثار من الاولاد . والفقراء الذين لا يرون مناصاً من ورطة الفقر ولا مركز لهم يخشون على فقدانهِ يكثرون من النسل ايضاً . ويشاهد هذا خصوصاً في الممالك التي تكون فيها الامة مقسومة الى طبقات او في الممالك التي تكون حكومتها مطلقة كروسيا فان الفقراء فيها يتناسلون بكثرة لانهم لا يهتمون بامر مستقبلهم . ولكن متى برقت لهم لائحة الامل وتحسنت احوالهم ولو قليلاً كان ذلك اغراء لهم على متابعة الجد في زيادة تحسينها فيجعلون يهتمون بتقليل نسلهم حتى لا يعوقهم عن ذلك . واذا كثر نسل الموسرين والفقراء نجمت عنهُ مباراة وتنازع للحياة فيقف هذا التنازع صداً في سبيل اكثار النسل اذ يعمد الانسان حينئذٍ الى تقليلهِ لحفظ مقامهِ فيبتدئ دور النقصان في معدل المواليد نتيجة المباراة والمزاحمة في معترك الحياة

ويرى ناموس المباراة على معظمهِ في القسم الشرقي من الولايات المتحدة حيث ازدحم السكان فقلَّ معدل الزواج بسبب المنافسة وتنازع الاثرة . ولما لحظ الفتيات العزبات ذلك ورأين سوق الزواج قد كسدت واوصدت ابوابها في وجوههنَّ اندفعنَ الى مباراة الرجال في الاعمال ليعشنَ بعرق الجبين ولكن الآخرة كانت شراً من الاولى فازدادت المزاحمة وزاد معدل الزواج نقصاناً

قلنا ان الدكتور بوشي بحث عن قلة المواليد في اميركا . ولكن يظهر ان هذا الداء منتشر في كل البلدان التي يسكنها شعب الانجلوسكسون . فقد ورد في جريدة الدايلي مايل الانكليزية احصاءات عديدة تدل على نقصان المواليد في انكلترا ايضاً وفي جميع مستعمراتها تقريباً . قالت هذه الجريدة انهُ منذ ست عشرة سنة قام احد العلماء الانكليز ونادى بوجوب

وضع حد لسيل المواليد الانكليزية الذي كان يتدفق يومئذٍ بعزم ولكن اليوم قد انقلبت تلك الآية فضعف ذلك السيل الجارف حتى كاد ينضب وتهدد انكلترا وجميع مستعمراتها بما يشبه الدمار . وهذه العبرة هي التي حدت بالرئيس روزفلت الى القاء الخطب العمومية في هذا الموضوع على الرجال والنساء في اميركا وهي التي دعت المستر كوغلان الاوسترالي ليضم صوتهُ الى صوت روزفلت وينادي من على المنابر بصوت جهوري محذرًا الذين داسوا الشريعة القائلة انموا واكثروا . وقد شعرت انكلترا خصوصاً بعد حرب الترنسفال بانها يجب ان تصب سيول مواليدها على تربة افريقية لحفظ الشوكة البريطانية والاَّ جثت الراية الانكليزية لغيرها من الرايات الاجنبيات

ان معدل المواليد في انكلترا قلَّ عند بزوغ فجر القرن التاسع عشر حينما كانت المدافع الانكليزية تقابل المدافع الفرنسوية في وجه بونابرت وقوّادهِ . وبعد ان انكشفت غمائم تلك المدافع وانتشرت راية السلم فوق سهول اوربا بدأ دور الزيادة فزاد معدل المواليد الانكليزية وظلَّ في ازدياد حتى بلغ معظمهُ في السنين التي تلت الحرب الالمانية الفرنسوية المعروفة بحرب السبعين فبلغ في سنة ١٨٧٦ نحو ٣٦,٤ في الالف وهو اعظم معدل ذكر في تاريخ مواليد انكلترا منذ عرفت فيها الاحصاءات المدققة وبعد تلك السنة ابتدأ الهبوط تدريجاً في انكلترا وفي اكثر مستعمراتها ايضاً

ولا ريب في ان الحروب من اعظم البواعث على تقليل السكان ولكن تأثيرها في معدل الزواج يكاد لا يشعر بهِ . ففي سنة ١٩٠١ مثلاً لما كانت تربة افريقية الجنوبية تفلج بالقنابل لتزرع بجماجم البوير وتسقى بدماء الانكليز لم يشعر الانكليز بوطأة الحرب في تقليل معدل الزواج بينهم فقد كان معدلهُ ١٥,٩ في الالف ولم يكن في السنوات الاربع التي سبقت هذا يزيد على ١٦ في الالف . وقبل سنة ١٨٩٦ لم يتجاوز ١٥,٧ في الالف

ومما يجب ذكرهُ ان معدل المواليد في الشرق الاقصى كاليابان والصين في زيادة مستمرة على خلاف ما هو في اميركا وفرنسا وانكلترا فهل تستمرُّ هذه الزيادة سنين كثيرة وهل تكثر الشعوب الشرقية حتى تضيق عليها بلادها فتزاحم الشعوب الاوربية والاميركية على غير المعمور من الارض وعلى المعمور ايضاً . وهل تعلم الشعوب الاوربية ذلك فتدس الدسائس للشعوب الشرقية حتى يقع بعضها في بعض وتقطع رأسها بيدها وتبقى منزلتها من الشعوب الاوربية منزلة العبد من السيد والتابع من المتبوع — ذلك كلهُ مما يسهل تصوُّرهُ ولكن يعسر اقامة الدليل عليه

اليابان ووصية سبنسر لها

لقد وفقت اليابان اكثر مما وفقت دولة شرقية اخرى الى تعليم بعض ابنائها في مدارس اميركا وانكلترا والمانيا حيث قرأوا كتب كبار الفلاسفة وتخرجوا منها واسعي المدارك احرار الافكار يسعون في مصلحة بلادهم على اسلوب يفيدها ولا يضرُّ بها . ومن هؤلاء الرجال رجل اسمهُ البارون كنتارو كانيكو وقد أُعطي لقب بارون بعدئذٍ مكافأَة لهُ . فانهُ درس في مدرسة هارفرد الجامعة باميركا ولما عاد الى بلادهِ تقلَّب في كثير من مناصبها وكان اليد اليمنى للمركيز ايتو وزير الصين الاعظم ولهُ الشأن الاكبر في تنظيم البارلمنت الياباني . انتخب سنة ١٨٩٠ عضوًا في مجمع الشرائع الدولية او حقوق الدول الذي يعقد عادة في مدينة جنيڤا بسويسرا وكانت اليابان ترقب هذا المجمع لترى ما يكون رأيهُ في اشتراكها مع الدول الاوربية . ومن المقالات التي تليت فيهِ مقالة للسر ترافرس توس المعدود في الطبقة الاولى بين علماء القوانين الدولية اشار فيها على الممالك الشرقية ان تبقى منفصلة عن الممالك الاوربية فقصد البارون كانيكو ان يناضلهُ ويبين لهُ ولعلماء القوانين المجتمعين هناك ان اليابان حرية بان تعامل معاملة خاصة فتنتظم في سلك الدول الاوربية وتعطى حقوقها . واستأذن حكومتهُ في المجيء الى جنيڤا لهذه الغاية ليحضر اجتماع هذا المجمع سنة ١٨٩٢ . وكان قد قرأ كتب هربرت سبنسر واستقى من معين فلسفتهِ وودَّ ان يراهُ وجهًا لوجه ويسألهُ رأيهُ في بعض المسائل الهامة . ومرَّ باميركا في طريقهِ الى اوربا وطلب من الاستاذ جون فسك الاميركي كتابًا الى الفيلسوف هربرت سبنسر ليقابلهُ بهِ فابى فسك لعلمهِ بانقطاع سبنسر عن مقابلة الناس لكن البارون لحَّ عليهِ في الطلب فاجابهُ الى طلبهِ وسلمهُ الكتاب فسار بهِ الى انكلترا وارسلهُ الى سبنسر مع كتاب آخر منهُ بيَّن لهُ فيهِ غرضهُ من طلب زيارتهِ فجاءهُ الجواب من سبنسر حالاً يدعوهُ الى بيتهِ واستمرَّت المقابلة الاولى ساعتين فان سبنسر كان قد جمع امورًا كثيرة متعلقة بتاريخ اليابان وسياستها وعادات اهلها واديانهم واخلاقهم فجعل يسأل البارون كانيكو عن كل صغيرة وكبيرة منها وسرَّ بذلك جدًا حتى انهُ ركب معهُ واعادهُ الى النزل الذي كان فيهِ وعرض عليهِ ان ينتظم في عضوية نادي الاثينيوم لكي يراهُ كل يوم لانهُ كان عضوًا في ذلك النادي وكان يتغدَّى فيهِ . وبعد قليل أُعلن للبارون كانيكو انهُ قُبل عضوًا في ذلك النادي ودعاهُ سبنسر للغداء في اليوم التالي

وذهب البارون كانيكو الى جنيڤا وتلا مقالة بليغة في مجمع الشرائع الدولية طلب فيها ان تعطى اليابان حقوق الدول الاوربية وذاكر اعضاءهُ واقنع كثيرين منهم بصحة طلبهِ وعاد

الى انكلترا يسعى لدى رجال الحكومة الانكليزية في تحقيق امنيتهِ وقابل سبنسر وهو ينتظر منهُ كل تعضيد فرآهُ على ضد ما انتظر يشير عليهِ بان تبقى اليابان منفصلة عن الدول الاوربية جهدها · واحتدمت نار الجدال بين الاثنين لكن الغلبة كانت لسبنسر لانهُ جمع من اخبار الممالك وحوادث الامم ما تضيق بهِ الكتب وعرف من اخلاق الناس وعاداتهم ومعتقداتهم ما اوصلهُ الى احكام مقررة لا تتغير · ثم كتب لهُ الكتاب التالي جامعاً فيهِ زبدة ما اشار بهِ عليهِ وارشدهُ اليهِ وهذا تعريبهُ

"سيدي العزيز · اني اجيبك الى ما طلبتهُ وهو ان ترسل ترجمة كتابيَّ الى الكونت ايتو وزير اليابان الجديد فافعل ما تريد · اما من جهة المسائل الاخرى التي سألتنيها فاقول بوجه عام ان سياسة اليابان يجب ان تكون ابعاد الاميركيين والاوربيين عنها ولو قيد ذراع · فان موقفكم حرج والخطر المحدق بكم مزمن لوجود امم اخرى اقوى منكم فابذلوا اقصى جهدكم في منع الاجانب من ان يتمكنوا في بلادكم

"ويظهر لي ان المعاملات التي تفيدكم ولا تضرُّ بكم انما هي المعاملات اللازمة لتبادل الحاصلات الطبيعية وغير الطبيعية من صادرات وواردات · فلا تمنحوا امتيازات لامم اجنبية وخصوصاً الامم التي هي اقوى منكم الاَّ ما كان لازماً منها لهذه المعاملات · فاني ارى انكم تريدون من تنقيح المعاهدة التي بينكم وبين دول اوربا واميركا ان تفتحوا سلطنتكم كلها للاجانب ولاموالهم فساءتني هذه السياسة لانها الضربة القاضية عليكم · فاذا اردتم ان تعلموا ما سيحلُّ بكم فاقرأوا تاريخ الهند · أنيلوا احدى الدول القوية موطئ قدم في بلادكم ومسنداً تستند اليهِ فتتحول الى الاعتداء عليكم بمر الزمن ويفضي الامر الى وقوع النزاع بينها وبينكم فتشيع ان ذلك النزاع انما هو اعتداءٌ منكم عليها فيجب ان تثأر لنفسها منكم · فتضع يدها على قسم من بلادكم وتستعمرهُ بابنائها وتتخذهُ قاعدة تحمل منها عليكم لاخضاع سائر السلطنة اليابانية · نعم انكم تجدون المصاعب العظيمة في تجنُّب هذا الخطر ولكن اذا منحتم الاجانب امتيازات غير التي ذكرتها سهَّلتم عليهم ما يسعون اليهِ

"ولتفصيل هذا الاجمال اقول جواباً عن سؤالكم الاول انهُ يجب ان تمنعوا الاجانب من امتلاك ارض في بلادكم ومن استئجارها الى مدة طويلة وانما تسمحون لهم باستئجارها سنة فسنة

"واقول جواباً عن السؤال الثاني امنعوا الاجانب من التعدين في مناجم حكومتكم منعاً تاماً لان ذلك قد يفضي الى وقوع النزاع بين الاوربيين او الاميركيين الذين التزموا المعادن وبين الحكومة فيستنجد الملتزمون بدولهم ويطلبون منها ان ترسل الجنود لانصافهم وانالتهم ما يطلبونهُ

مهما جاروا في طلبهم. والعادة عند الاوربين ان يصدقوا جميع ما يقول وكلاؤهم وعملاؤهم الذين في الخارج .

"واقول جواباً عن السؤال الثالث انهُ يجب عليكم ان تبقوا تجارة سواحلكم في ايديكم ولا تجعلوا للاجانب يداً فيها اما الاصناف التي تأتيكم من الخارج ويباح للاجانب ان يأتوكم بها فليكن موزعوها والمتاجرون بها في البلاد منكم لا من الاجانب الذين ياتون بها الى بلادكم لئلا يفضي ذلك ايضاً الى خصومات كثيرة تجر التعدي على املاككم

"اما سؤالكم الاخير المتعلق بالتزوّج من الاجانب وهو السؤال الذي يشغل علماءكم وساستكم وتعدونهُ من اصعب المسائل كما قلتم في كتابكم فليس بالصعب حقيقة وجوابي عنهُ ان تمنعوا مزاوجة اليابانيين والاجانب . وهذه المسألة ليست من شأن الفلسفة الاجتماعية بل من شان علم الحياة (البيولوجيا) . فانهُ ثبت من تزاوج اصناف البشر المختلفة وتزاوج اصناف الحيوانات المختلفة انهُ اذا زاد الاختلاف بين الاصناف المتزاوجة عن حد معين كان النتاج ضعيفاً وقد سمعت ما يؤيد هذا الامر منذ نصف ساعة فقط فاني نازل هذه الايام ضيفاً على رجل معروف في الجبل وخبير بتربية المواشي وقد اكد لي انهُ اذا تزاوج صنفان من الغنم يختلف احدهما كثيراً عن الآخر كان نتاجها ضعيفاً جدًّا وخصوصاً في العقب الثاني . وهكذا يحدث بين البشر كما ترون في المتولدين بين الهنود والاوربيين . والسبب الفسيولوجي في ذلك هو على ما يظهر ان كل صنف من الاصناف يكتسب على مر الايام مزايا وصفات تؤهلهُ لحالة خصوصية من حالات الحياة فاذا تزاوج صنفان مختلفان اختلافاً عظيماً في اصلهما وفي احوال الحياة التي اعتاداها جاء نتاجهما فاقداً المزايا كلّ منهما غير صالح لحال من احوال حياتهما . ومهما يكن من ذلك كلهِ فوصيتي لكم ان تمنعوا تزاوج اليابانيين والاجانب

"وبناءً على ما تقدم استصوبت القوانين التي سنتها اميركا لتقليل مهاجرة الصينيين اليها ولو استطعت لقللت مهاجرتهم اليها ما امكن وذلك لانهم اذا استمروا على المهاجرة فاما ان يحافظوا على قوميتهم ولا يزاوجوا الاميركيين فيكونوا كالعبيد بينهم . واما ان يزاوجوهم فيأتي نسلهم ضعيفاً فالنتيجة ضرر على الاجتماع الانساني في الحالين وبالتالي صيرورة هذا الاجتماع فوضى وهذا ما يحدث اذا تُرك الاوربيون والاميركيون يزاوجون اليابانيين . فترى من ذلك ان وصيتي تقضي العزلة من كل وجه . واختم كتابي بما بدأتهُ وهو ان تبعدوا الامم الاخرى عنكم ما استطعتم . هذه هي نصيحتي اسرُّها اليكم راجياً ان لا تذاع في حياتي لاني لا احب ان اهيج ابناء وطني ولا ان استخطهم عليَّ"

هربرت سبنسر

"صح قلت اني اروم ان يبقى كتابي هذا سرًّا ما دمت حيًّا ولكن لا يخفى عليكم اني لا أُريد بذلك القول ان تكتموهُ عن الكونت ايتوبل اريد ان تطلعوهُ عليهِ ليحلهُ محل النظر والاعتبار"

وتاريخ هذا الكتاب ٢٦ اغسطس سنة ١٨٩٢ ويقول المطّلعون على احوال اليابان انها جعلتهُ قاعدة لسياستها وجرت عليهِ تمامًا فلم تشارك الدول الاوربية في شيءٍ الاَّ بعد ان قوي ساعدها ولم تعد تخشى اعتداءهم عليها. ثم لما رأَت ان هذه المشاركة قد توقعها في مشاكل لا تقوى عليها وحدها تحالفت مع الدولة التي تنتظر منها المساعدة الكبرى في بلادها النائية وهي انكلترا سيدة البحار فحالفتها ووقفت في اقاصي المشرق عزيزة الجانب تناظر روسيا وتتحدَّاها

وخلاصة وصية سبنسر ان الضعيف يجب ان يتعلم من القوي ويتجنبهُ الى ان يقوى ويصير بمأمنٍ منهُ . ولكن لو عمَّت حقوق الدول لصارت المالك الضعيفة في غنًى عن هذه الوصية وهذا التجنُّب فان في اوربا ممالك صغيرة لا تتجنَّب المالك الكبيرة التي حولها ولا تخشى من اعتدائها عليها لانها خاضعة كلها لما يُعرَف بقانون حقوق الدول

سكان مصر الاقدمون

ان تاريخ مصر المسطَّر في كتب المؤَرخين الاقدمين وفي ما كشف من الكتابات المصرية يمتد الى عهد الملك مينا وهو اول ملك من ملوك الدولة الاولى التي قامت قبل المسيح بنحو ٤٤٠٠ سنة على ما استنتجهُ العلاَّمة برغش او قبل المسيح بنحو ٥٠٠٠ سنة على ما استنتجهُ العلاَّمة ماريت لكن سكنَ القطر المصري امم كثيرة قبل زمن الملك مينا كُشفت آثارها فيهِ منذ عهد قريب . واقدم هذه الآثار موجود في الصحراء على جانبي وادي النيل واكثرها من الظران اي قطع الصوان التي كان الاقدمون يكسرونها ويسوُّونها لتكون نصالاً للسهام وسكاكين للقطع وادوات للحرب

وقد كان هذا القطر منخفضًا بفعل طبيعي بركاني وكان ماءُ النيل يغمرهُ ويعلو مئات من الاقدام فوق الحد الذي يبلغهُ الآن . ثم اخذت ارضهُ ترتفع رويدًا رويدًا بفعل طبيعي والنيل ينحسر عنها وينخفض بارتفاعها الى ان بلغ الحد الذي يبلغهُ الآن

ويظهر من تقدير الطمي الذي يرسب في النيل سنويًّا ان الزمن الذي ابتدأَ فيهِ ماءُ النيل ينحسر عن واديهِ وتظهر الارض الزراعية ليس بعيدًا جدًّا فقد قال الاستاذ بتري انهُ كان قبل المسيح بنحو سبعة آلاف او ثمانية آلاف سنة ومن رأْيهِ ان الانسان هاجر الى هذا القطر

حينما ابتدأ ماء النيل ينحسر عن الاراضي الزراعية فسكن المرتفعات التي حولها وكان يعيش من صيد سمكها واقتناص طيورها ويصنع الظران من صوان الصحراء ولم تزل مصانعهُ فيها الى الآن . وعندهُ ان الانسان الذي قصد القطر المصري اولاً من بقايا الاقوام الذين سكنوا اوربا في العصر الحجري القديم فان قطع الصوان التي وجدت من آثارهم في هذا القطر مثل القطع التي وجدت في المدافن القديمة في فرنسا وانكلترا . ولم يظهر من آثارهم في اوربا ما يكفي للدلالة عليهم لان الامطار والسيول جرفت عظامهم من مدافنهم او فتتتها ولكن يرجى ان يكشف من آثارهم في هذا القطر ما يدلُّ عليهم دلالة واضحة فقد كُشف في اقدم مدافنهم المصرية عظام تدلُّ على انهم كانوا من شعبين مختلفين الواحد دقيق العظام مثل الاقوام الساكنة الآن في سواحل بحر الروم والثاني غليظ العظام مثل الشعوب الافريقية المعروفة بالبشمن الساكنة في جنوبي افريقية . ثم ان آثار هذا الشعب الاخير زالت سريعاً كأن الشعب الدقيق العظام كان ارقى منهُ حضارة واوفر حيلة فتغلب عليهِ وطردهُ من وجهِهِ فلجأ الى مجاهل افريقية وما زال يوغل فيها امام الشعوب المرتقية الى ان وصل الى جنوبيها

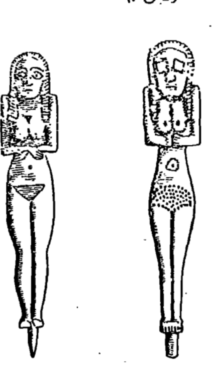
وقد كُشفت الوف من قبور هؤلاء الاقوام في القطر المصري وعُلم من البحث في آثارهم ما يأتي ملخصاً مما كتبهُ الدكتور بدج حديثاً في هذا الموضوع

اولاً . ان هذا الشعب القديم او "الشعب الجديد" كما سماهُ بتري سكن القطر المصري قبل المصريين الذين نشأت منهم الدول المصرية المعروفة . واول من حقق ذلك واقام الادلة الكثيرة عليهِ هو المسيو ده مورجان الذي كان منذ بضع سنوات مديراً لدار التحف المصرية في هذا القطر

ثانياً . انهم مثل سكان شمالي افريقية وكانوا بيض الابدان شقر الشعور او ان شعرهم كان اسود ولكن ملح الارض التي دفنوا فيها جعلهُ يشقرُّ . رؤُوسهم مستطيلة من الامام الى الوراء كرؤُوس الاوربيين وشعرهم قصير رجالاً ونساء ولحاهم طويلة مستدقة ووجوههم بيضية الشكل وشفاههم بارزة قليلاً وعيون نسائهم طويلة لوزية الشكل وحواجبهنَّ طويلة مقوسة وقامات الرجال والنساء طويلة واجسامهم نحيفة وكانوا يشمون اجسامهم بصور الحيوانات ويقيمون عراةً لا يلبسون ثياباً ولكن رؤساءهم كانوا يترددون بجلود الحيوانات من المعزى والغزلان يصنعونها تبابين ومآزر ويربطونها حول احقائهم ويبقون اذنابها معلقة بها تتدلَّى من ورائهم وبقي ذلك شائعاً في عهد الدول المصرية . ثم صار نساؤهم يلبسنَ قميصاً يصل من الوسط الى الكاحل وسائر الجسم يبقى عارياً . وقد علم ذلك كلهُ من عظامهم ومن تماثيل العظم والعاج التي وجدت في مدافنهم . والصورتان التاليتان من صورهم وهما مصنوعتان من العاج وتمثلان امرأتين وكانت الصور الاولى

تمثلهنَّ من غير شعر ثم صرنَ يطلقنَ شعورهنَّ ويقصينها كما ترى في هذين الشكلين وكان للشكل الاول منهما عينان من اللازورد كأنهُ اريد بهِ الدلالة على ان العينين كانتا زرقاوين

ولم يكونوا يعرفون نسج المنسوجات لانهُ لم يكشف اثر لها بين آثارهم لكنهم كانوا يعرفون قطع الحجارة وصقلها فان نساءهم كنَّ يتقلدنَ بقلائد من العقيق واليشم والصوان والصدف وعرق اللؤلؤ وكانوا يصنعون الدمالج من الصوان على ما في عملها من الصعوبة والمهارة ٠ ووجدت بين آثارهم امشاط من العظم قصيرة الاسنان طويلة المقابض منقوشة من رؤُوسها كالامشاط التي يشكل النساء شعورهنَّ بها الآن



(الشكل الاول) تمثالا امرأتين مصنوعان من العاج

ومن آثارهم الغريبة التي وجدت في مدافنهم قطع من العاج في اشكال التماثيل مجوفة ولها غطاء صمغي وفيها مسحوق ملون كالكبريت او كالانتيمون كأنها كانت مكاحل للنساء ٠ ولعلَّ المثل العربي القائل صارت عظامهُ مكاحل مأخوذ عن هذه العادة ٠ وكانت مساكنهم اكواخاً من القصب واغصان الاشجار مثل الاكواخ المستعملة في بعض جهات السودان الآن

وكانوا يدفنون موتاهم ملفوفين بجلود الحيوانات وهذا يدل على اشتغالهم بالصيد ٠ ثم ان كثرة وجود العاج بين مصنوعاتهم يدلُّ على ان الفيل كان كثيراً في القطر المصري وقد سميت جزيرة ابو او جزيرة الفيل الفنتين باسمهِ لان معنى "ابو" الفيل ٠ ولم يكن صيد

الحيوانات الكبيرة كالفيل والكركدن والنعامة بالامر الصعب عليهم لان هذه الحيوانات تجمع في الجزائر التي تحيط بها مياه النيل بعد الفيضان

وكانت اسلحتهم من الظران اي قطع الصوان المصنوعة في اشكال النبابيت والفؤوس والحراب والسهام . وقد وجد كثير منها في مدافنهم وتدل اشكالها المرسومة في الشكل الثاني على انهم كانوا يعتنون بعملها وقد مهروا في ذلك مهارة فائقة فصنعوا بعضها في شكل النصال وبعضها في شكل رؤوس الكباش وقرونها . وبقي المصريون يستعملون الظران بعد ان اكتشفوا عمل الادوات من المعادن

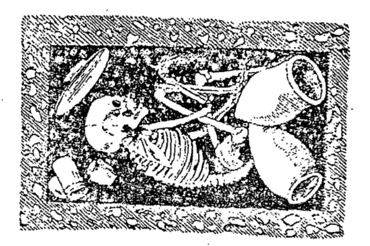


(الشكل الثاني) ادوات الظران رؤوس حراب وسهام

وتفننوا في عمل الادوات من العظم والعاج والحجر وعملوا منها آنية مختلفة . ولم يتركوها سادجة بل نقشوا ظاهرها بخطوط لولبية وخطوط متموجة . واتصلوا الى عمل الخزف وآنيتهم الخزفية متقنة الصنع نوعاً وجهها صقيل كأنهم كانوا يصقلونها بقطع الصوان . ولون خزفها اسود او احمر وبعضهُ ملون وعليهِ صور الناس والحيوانات وتصويرهم للحيوانات متقن لاسيما الغزلان

اما مدافنهم وهي العمدة في آثارهم فالمتوغلة منها في القدم محفورة في الصحراء والغالب ان تكون الحفرة مستديرة وقريبة بعضها من بعض حتى قد تتصل رمة الدفين الواحد برمة الدفين الآخر . يوضع الدفين فيها على جانبهِ الايسر ويوجَّه رأسهُ الى الجنوب غالباً وترفع ركبتاهُ حتى توازيا صدرهُ وتوضع يداهُ امام وجههِ كما في الشكل الثالث ويوضع حولهُ آنية مختلفة من الخزف وادوات من الصوان والعظم والعاج . وقد يلف جسمهُ بجلد غزال ويربط بسرائد منهُ . او يوضع على حصير من

القصب. ولم يكونوا يحنطون موتاهم. ثم صاروا يبنون القبر او يبطنونهُ بالحجارة او بالاجر ويحرقون الميت كلهُ او بعضهُ فاذا حُرق كلهُ طرحوا ما بقي من عظامهِ في القبر من غير انتظام واذا حرقوا



(الشكل الثالث) قبر قديم وضع الميت فيهِ على جنبهِ الايسر والقبر مبطن بالاجر وفيهِ آنية خزفية مختلفة

بعضهُ دفنوهُ دفناً كما يدفنون الميت الذي لم يحرق ويحتمل ان هذه الاجسام المحروقة كلها او بعضها لم تحرق عن قصد بعد موتها بل حرقت في الاكواخ بنار شبَّت فيها فجمعت منها ودفنت



(الشكل الرابع) قبر فيهِ عظام كثيرة مجردة من لحمها

وقد توجد العظام في القبر مفصولة بعضها عن بعض كما ترى في الشكل الرابع ويظهر لنا انها عظام اناس قتلوا في الحرب فجمعت ودفنت بعد ان اكلت السباع لحمها

. هذه خلاصة ما عرف عن هؤُلاء الاقوام وسنأْتي في الجزء التالي على ما يُظَنّ من امر الامة التي دخلت القطر المصري ونشأَت منها الدول المصرية الاولى

فوائد في العوائد

"كل امرىءٍ وما تعود" حديثٌ سلمت بهِ البداهة وحكمٌ ايدهُ الاختبار ومعناهُ ان من تملكت فيهِ عادة من العوائد ظهرت في خلال اعمالهِ بلا قصد ولا تكلُّف . والعادة في شرع العارفين ليست كالخلُق لان الثاني يشترط فيهِ ان يكون غريزيًّا مخلوقًا في نفس المرء كما قال حسان الانصاري عن قومهِ :

قومٌ اذا حاربوا ضروا عدوهمُ او حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا
سجيةٌ تلك منهم غير محدثةٍ ان الخلايق فاعلم شرُّها البدعُ

وذلك بخلاف العادة فانها تؤخذ بالممارسة والتكرار . اما التخلُّق او التكلُّف فليس بخلق لانهُ ليس طبيعيًّا موضوعًا في الفطرة ولا بعادة لانهُ ليس مستمرًّا . قال الشاعر

فيهِ الكرامة خلقٌ لا يزايلهُ ليس التخلُّقُ بالاخلاق كالخُلُقِ

ووجود مثل هذه الصفة في الناس دليل العجز والجبن ولذا لا اتعرض للبحث عنها

وقد قالت علماء الاخلاق ان المرء مجموع عادات ومعناهُ ان قيمة الانسان ومقدار نفعهِ يتوقفان على ما يبديهِ من الحركات الاختيارية التي تظهر فيهِ بغير جهدٍ او تكلُّف فان كانت حسنةً وثق بها الآخرون واتبعوها وان كانت غير ذلك هجوها وهجروها

والعوائد المقتبسة اذا ثبتت في نفس الانسان وامتزجت بصفاتهِ الباطنية وظهرت في كل حين منهُ بلا تعسُّف كان حكمها فيهِ حكم الغريزة وامكننا ان نطلق عليها لقب سجية او خلق. وقد يتحف الانسان بعادةٍ او سجية مضرة بغير تروٍ تنطرق اليهِ من باب المعاشرة والقدوة فتصير ملكةً فتتسلط على اعضائهِ تسلط الرأس على البدن فيقع في حبائل اهمالهِ ويحصد نتيجة تغافلهِ . ولذا كان التروي من اوجب الامور واستعمال الحكمة من الزم الوسائط للحذر من الوقوع في اشراك العوائد المضرة

لنتصور انسانًا أُلزم بحكمٍ ان يحمل طوقًا من الحديد المطروق الثقيل حول رقبتهِ او سلسلة حول معصمهِ وان لا يلقي عنهُ هذا الحمل ما دام حيًّا . فكم يصيبهُ من الالم والعذاب وكم يئنُّ ويتنهد لانهُ لا يرى لهُ مناصًا من هذا السجن الابدي ولا امل لهُ بالنجاة من اوصاب هذا القيد المستمر ؟ هكذا يكون حكم العادة في الانسان فان سلطانها ليس باخف وطأة من هذا السلطان . فما احرج هذا المسلك — مسلك اختيار العادات — ولا يخفى ان الانسان سهل الالتحاف بالعادات حتى قيل انها "تجري اليهِ على مزلقٍ منحدر" خصوصًا ما كان منها رديئًا لان

المرء ينجذب بحبائلها على ابعد مسافة وباقل الفواعل . نعم انهُ لا ينقاد اليها لاول وهلة الاَّ انهُ مع ذلك ينبغي ان يكون على حذر منها لانها تقوى عليهِ بقانون الطبيعة شيئاً فشيئاً حتى يعنو اليها صاغرًا . فالحبل الذي يستعملهُ الملاحون في جر اعظم السفن ثقلاً مركب من خيوطٍ دقيقة الى الغاية والياف واهية جدًا . وهذا الحبل ترتمي تحت قدميهِ اعظم السفن هولاً وتنقاد اليهِ اعلاها جسماً وفخامةً . هكذا تكون العادات فان ما يظهر حقيرًا فيها بالتجزئة تنقاد اليهِ الهامات الرفيعة والنفوس العالية

ولا بد من العوائد للانسان لانها كما نعلم المجرى الذي تسير فيهِ الاعمال والافكار والاحساسات ولا فرق بين ان كانت رديئةً او صالحةً لانها لا بد من ان تتحد بطبائع الانسان حتى تصير جزءًا منها او "طبيعة ثانية لهُ" . قيل ان رجلاً انكليزيًا كان لا يشعر بدفء النار قريبة منهُ الاَّ اذا وضعت في محلٍ قديم تعوَّد ان يدفأ فيهِ نحوًا من ستين سنة . وقيل ان رجلاً قضى في سجن الباستيل ردحاً من الزمان فبعد ان خرج منهُ طلب ان يرجع اليهِ ليقضي باقي عمرهِ فيهِ لانهُ تخلق في السجن باخلاق لم يستطع تغييرها وهو خارجهُ

والشبان الذين اخاطبهم الآن لا بد انهم يهتمون باتخاذ عوائد تنطبق على افكارهم واعمالهم وربما كان اكثرهم الآن في جهادٍ متواصل في استعمال الاختبار والعقل لاتخاذ اسلم العوائد التي ينالون من ورائها السعادة والنفع . اني لا استغرب انهم يبذلون هذا المقدار من الاهتمام بهذا الامر الخطير ولكني استغرب لان هذا الاهتمام لم يصل الى حدهِ الواجب لانهُ ينبغي ان يكون عمل الحياة المستمر

افرض يا هذا انهُ قُدّر عليك ان تختار نوعاً من الملبوس لا تغيرهُ مدى الحياة فكم من الفكر والتمييز يلزمك لتنتقي ذلك الملبوس . ولو أُمر عامل ان يستعمل فأساً كل ايام حياتهِ فاي حكمة وتمعن يلزمانهِ لانتقاء تلك الفأس . هذه المفروضات اقل خطرًا من انتقاء العوائد النافعة

فكما تريد ان تحلي جسمك بملبوس مريح مناسب مقبول اي ليس ضيقاً يمنع نمو الجسم ولا هو فوق ما يناسب احوالك ولا مستهجناً في ذوق العقلاء هكذا ينبغي ان تتروى بكساء العوائد التي تضمن لجسمك نموًا ولصحتك اعتدالاً ولثروتك ازديادًا ولآدابك ارتقاءً وامتدادًا . وكما ان الجسم يظهر بهاؤهُ واعتدالهُ في الرداء المنتظم المريح هكذا جمال النفس وبهاؤها يظهران في العوائد السليمة الصالحة والسجايا الكريمة الفاضلة

ولا ارى من صعوبة في اقتباس العوائد الصالحة متى وجدت الرجولية الحقيقية والثبات الواجب " فمن تعود البطالة من صغرهِ يقدر ان يعمل عشر ساعات في النهار في حمل الحجر

اذا ابتدأ ذلك بجدّ مع المثابرة والاَّ فكيف يقوم العامل اليومي بهذ العمل الشاق ان كان الامر غير ممكن · وما يقال في الامور المادية يقال في غيرها

ولا اريد ان اتعبك ايها القارئ بان اذكر لك كثيرًا من العوائد التي ارى الحاجة ماست اليها ولكني اخص ما كان منها هامًا للشبان والامل ان يكون منهم كثيرون ممن يقرأون باهتمام هذه الجمل البسيطة لاني قصدت ان اجعلها موجزة للغاية ومحدودة الالفاظ خالية من التنميق حرصًا على وقت القارئ ومع ذلك فربما لا اتمكن الآن ان اكتب الاَّ في عادتين

واول عادةٍ اجعلها بيتًا لقصيد البحث هي هذه : —

❊ عيّن ما ينبغي ان تفعل في يومك ❊ · العمل اليومي خطوة في سبيل حياة السعادة التي يقصدها عقلاء القوم ولا يوجد سبيل محفوف بالمخاطر وملآن بالمعاثر نظير هذا السبيل · ولذا يحتاج السائرون فيهِ الى تمعن تام وحكمةٍ عظيمة وتدبر جدير بمن يطرقون سبيلاً كهذا

السائرون في النجود والسهول يحتاجون الى خريطة معينة موثوق بها تكون رائدًا لهم ومرشدًا لا يتجاوزون حدوده وبهذا المعنى يقال ان العامل او الساعي يحتاج في سعيهِ الى رائدٍ يعلن لهُ اعمال يومهِ حتى يتدبرها

وحياة الانسان طالت او قصرت ينبغي ان توجه اعمالها الى غاية واحدة · والمرء الذي يسعى لغير غاية يهوي بنفسهِ الى مهاوي الضلال والجهالة ومثلهُ كمثل سفينة في الاوقيانوس لها قوة للسير ولكن لا وجهة لمسيرها تلعب بها الرياح وتخبطها الامواج حيث شاءت · هكذا الانسان الذي يعمل كثيرًا و يستفيد قليلاً — فهو كثير الكارات قليل البارات · فالى مثل هذا يقال خير لهُ ان يعين غايةً يسعى اليها وآمالاً يرقبها وهذا لا يتأتى الاَّ بتعيين اعمال كل يوم على حدتهِ

من الناس من يخرج من بيتهِ لغاية غير معروفة او على الاقل غير معينة فيمشي كثيرًا ويرى اصحابًا كثيرين ويتكلم كثيرًا وعندما يحاسب نفسهُ على فراشهِ يجد ما اقل ما افاد بهِ او استفاد منهُ والسبب لانهُ لم يعين لخروجهِ عملاً خاصًا وربما قضي اكثر وقتهِ يتأمل في نوع الفائدة التي يبغيها

كان رجل عالمٌ اذا سألتهُ عن مسألةٍ يحتاج الى جوابها دقيقةً اجابك " لا وقت لي للجواب لاني لم احسب لها حسابًا قبل خروجي من بيتي " فلا غرابة ان صار لهذا العالم وامثالهِ المكان الاول بين البشر قاطبةً لانهم يقدرون الحياة ويرتبون اعمالها فينتفعون او ينفعون بها · اما ما يظهر فينا من التقصير في هذا الامر فهو علة انحطاطنا وسبيلنا ان ننهض الى اتخاذ هذا المبدإ لانهُ من اشرف وانفع مبادئ الحياة بل ان تعيين الاعمال اليومية مما يجهز القوى

العقلية بفعل التنبُّه الى الشروع فيها بسهولة و يعطيها فرصةً لزيادة الامعان وثبات العزم . قال احدهم " لم اقدم على عمل من خمسين مما عملت بتدبير سابق ولكني ندمت على كل عمل اكملتهُ بدون تدبُّر "

٢ ❖ اشغل وقتك بالعمل والجد ولا تجاوزهُ الى آخر حتى ينتهي ❖

" الاجتهاد يمين النجاح " حديث المفلحين في كل العصور . لم يقل " المواهب " او الفرص يمين النجاح لانها قد تكون بيد الكسول كاللؤلؤة بيد الجاهل لا يعرف قيمتها ولا يحسن التصرف فيها . والاختبار يؤيد ان اكثر اصحاب المواهب العظيمة ليسوا اصحاب جد وامانة ولو استعملوا مواهبهم حسب هذا المبدإ لاستفاد العالم منهم فائدة تذكر ولكنهم كما يؤيد الاختبار يستعملون مواهبهم العظيمة كعكاز يتوكأون عليهِ للراحة والخمول لا ليطرقوا بهِ ابواب المجد والنجاح وبهذا تصير المواهب التي لهم كقطعة من الحديد تترك بلا استعمال الى ان تتأكسد في الهواء وتصدأ بفعل الطبيعة حتى تأكلها العوارض وتفنيها الايام

والاجتهاد لا يشترط فيهِ ان يصحب المواهب السامية لانهُ وحدهُ كافٍ لنيل اسمى اغراض الحياة . وقد يجلب لاهلهِ ما لا تجلبهُ المواهب السامية بأسرها . والاجتهاد الذي اقصدهُ ليس من مستغربات الطبيعة او من الامور غير الممكنة لان معناهُ ان يشغل الانسان فراغ وقتهِ بعمل يتدبرهُ لينال من ورائهِ اتمام غاية حياتهِ السامية ولذا فهو ميسور لجميع الناس

ينتج من ذلك انهُ لا عذر للضعفاء في تقصير آمالهم بالحياة ربما منهم ان قواهم لا تكفي لنيل تلك الآمال لان كنوز المجد والسعادة ترحب بكل مجتهد

فاذا وعد غنيٌّ بجائزة من يقطع مسافة معلومة ورأيت بين الاصحاء اعرج يخمع على فخذهِ قاصداً قطع تلك المسافة علمت ان الغني لا يتأخر عن مكافأة هذا الرجل بنفس ما كافأ بهِ غيرهُ ولو وصل بعدهم بزمن . بل ربما كافأ الاعرج اضعاف ما يكافئ بهِ غيرهُ . هذا عين ما يجدهُ الذين يطرقون باب الآمال بيد الاجتهاد لا بيد المواهب ومساعدة الفرص ... قال المثل الايطالي من يسر متمهلاً يسر طويلاً وقال الشاعر

لاستهلنَّ الصعبَ او ادرك المنى فما انقادت الآمالُ الاَّ لصابرِ

نستغرب كثيراً حينما نرى او نسمع بعدد المجلدات الضخمة التي الفها كتَّاب العصور الماضية . لكن اذا علمنا ان سر تلك الاعمال هو استعمال الاوقات بالاجتهاد زال استغرابنا لان الحياة المشغولة بالاعمال تستطيع ان تملأ العالم من الفوائد . وهذا عين ما امتاز بهِ النجار بن مريم الذي استعمل كل فرصة للعمل والفائدة فغير العالم روحياً وادبياً وغرس اصول الفضيلة واسس قواعد المدنية

بعض الشبان معرضون حينما يبتدئون بعمل لان يظهروا جهدًا فائقًا ولكنهم لا يلبثون ان يملوا ويميلوا الى قضاء وقت اطول مما يلزم في الراحة من عناء ذلك التعب · وفي هذا الطريق من الخطر ما لا يخفى

وغيرهم عرضةٌ لان يحبوا العمل الجديد فيأتونهُ بكل القوة ثم يمقتونهُ ويؤثرون الكسل على العمل بهِ · هولاء لا يجنون شيئًا من اتعابهم · يزرعون كثيرًا ولا يحصدون شيئًا . يقال ان الذي يمشي مستعملاً كل قوتهِ ثلاث ساعات كل يوم دار حول الكرة الارضية في سبع سنوات وذلك بفعل الاستمرار فاذا قضى عشر ساعات يدور حول الارض في نحو سنتين وهو زمن قليل في ذاتهِ وكثيرٌ باعتبار المثابرة وعدم الانقطاع . هكذا يقدر من اراد ان يقطع اي فلاةٍ من فلوات المعارف والتقدم

الهنود يؤثرون المثل الآتي على غيرهِ من الامثال وهو " المشي خير من الجري والوقوف خيرٌ من المشي والجلوس خيرٌ من الوقوف والنوم خير من الجلوس " · وكان هذا المثل وحدهُ علة لانحطاط الامة عمومًا فلينتبه القارئ

ولا يخفى ان الله جعل للمرء عمرًا محدودًا واعدَّ لهُ من الازل عملاً يناسب ذلك العمر ولذا يلوح لي ان من لا يستعمل كل وقتهِ فاما انهُ يستجهل الله لانهُ اطال عمرهُ بغير قصد واما انهُ يدل على تقصيرهِ في اتمام ما قصد الله ان يتممهُ بهِ ونظير هذا انسان لا يستطيع عند ما يبرح هذه الحياة ان يقول " اكملت السعي "

اكد احدهم لصاحبهِ في جواب لهُ انهُ لم يمضِ عليهِ يومٌ لم يكتب فيهِ شيئًا من مؤلفات او يقرأ جانبًا من المطولات وان هذا كان سببًا في رفعتهِ وداعيًا لعلو شأنهِ · وقد قرات الان عن رجل كان عظيم النفوذ بين قومهِ يدعي (رونرفورد) لم تكن لهُ لذة الاَّ في الاتعاب ولا سعادة الاَّ في العمل كان يلقي كل يوم خطابًا دينيًا او موعظة ادبية مكتتبة ويطلع مقالات احدى الجرائد قبل الطبع ويزور المرضى ويفتقد بعض العائلات ويعلّم في احدى الكليات ويقضي وقتًا مع بعض الشبان لحثهم على الاهتمام باعمال الحياة الخطيرة وفوق هذه الواجبات اليومية وُجد بعد موتهِ ان لهُ من المؤلفات ما يزيد عن المائة مجلد في مواضيع مختلفة حتى يخال للمتأمل ان حياتهُ كانت اقصر من ان تكفيهُ لكتابة تلك المجلدات وكانهُ لم يكن يعوزهُ وقتٌ للاكل والنوم والراحة والرياضة نظيرنا

وقد يظن كثيرون انهُ لا يجوز ان تنهك القوى دائمًا بالعمل لان ذلك يحرم الانسان السعادة والحال ان العمل بعكس ذلك يقوي البنية الادبية والمادية ويلذ للنفس ويهذب

الصفات ويرقّي المدارك وان شئت فقل ان عدم العمل هو الذي يضعف القوى العقلية والجسدية . فقد سأل مرة المركيز سبينولا السر هوراس لِمَ مات اخوك فاجابهُ مات لعدم العمل يا سيدي فقال ذاك نعم فان ذلك كافٍ لقتل العلم والفضيلة بأسرها . وقد قالت الاتراك في امثالها "الرجل العامل يحاربهُ شيطان واحد اما الكسلان فيحاربهُ الف" وقال المثل الاسباني "العامل يجربهُ الشيطان اما الكسلان فيجرب الشيطان" . فكم تكون حياتك ايها الشاب العزيز سعيدة اذا شغلت وقتك بالعمل

ويوجد مانع عظيم يؤخر نجاح المشتغلين ويذهب باتعابهم ادراج الرياح وهو سرعة التنقل من عمل الى آخر قبل ان ينجز . فقد يشغلون كل اوقاتهم بالعمل ومع ذلك فتركهم الاعمال كالاثمار الغير الناضجة تجعل لهم زرعاً كثيراً متعباً بلا حصاد مفرح . فالبعض يقرأُون او يسمعون سيرة رجل عظيم فتأْخذهم الغيرة الطبيعية ويرتاحون الى محبة الاقتداء بالصفات الجليلة التي كانت سرًّا لنجاحهِ فيؤثرونها على غيرها الى حين ولكن اذا ما انكشفت لديهم صعوباتها هجروها ولازموا طريقاً آخر . قال احدهم "اعرف رجلاً سمع عن عالم كتب على بابهِ ينبغي للزائر ان يشترك مع اهل البيت في اعمالهم فكتب هو ايضاً ذلك على بابهِ بحروف واضحة وانكبَّ زمناً على اعمالهِ اليدوية وبعد قليل سمع بعضاً يمتدحون مؤَلفات العالم بلاخستون فرأى المصنوعات التي في يدهِ غير كاملة واخذ يقرأُ مؤَلفات ذلك العلامة وبعد ان سرَّ بها في البداءة ورأى متاعب المطالعة سمع رجلاً يقول ان المرء يستفيد من المحادثة اكثر من المطالعة (وهي حقيقة مشكوك فيها عند العقلاء) فترك مطالعتهُ وابتدأ يجول من بيت الى آخر ومن صاحب الى آخر ليلتقط المعارف المزعوم نيلها بهذه الصورة وهكذا سار كل حياتهِ عطشاناً والماء تحت رجليهِ . فرجل كهذا قلما تستفيد منهُ الهيئة الاجتماعية

الرجل الذي يتدبر العمل بحكمة هو الذي يبداهُ بجدّ معتدل واهتمام عظيم ويتقدم فيهِ حتى ينجزهُ واذا حالت سحائب الصعوبات دونهُ تهب نسمات الثبات والشهامة الحارة فتقشع تلك السحب ويظهر بعدها جوُّ المعالي والآمال صافياً رائقاً . اما الرجل الذي يبدأ بعمل ولا يتمهُ ويؤَجل عمل اليوم الى غدهِ والذي يقضي وقتاً في التأمل فيما ينبغي ان يفعل اولاً فهو رجل قليل التدبر عديم الالمام بقيمة الوقت الثمين واعمال الحياة الخطيرة فيحتاج ان يعوّد نفسهُ هذه العادة الثمينة التي كانت سرًّا لنجاح كثيرين وفاتحة لخير عظيم على العالمين وسبباً في تعظيم الحياة وهي ان يشغل وقتهُ بعمل ولا يتجاوزهُ الى آخر حتى ينتهي

عياد عبد الله

دفع وهم

من ساح في الارض وضرب في آفاقها واستطلع آراء الامم واستشف افكار القبائل رأى من غرائب الوهميات فوق ما يرى من بدائع المحسوسات فكم من وهم راج في امة رواج الحق وكم من خطإ تقضت عليهِ قرون وهو يعد صواباً وكم من اسطورة نزلت منزلة الحقيقة فتوارثها الخلف عن السلف وكرَّ عليها المئون من السنين ولها رونق الحق وكرامتهُ لم يمسها قلم بنقد ولم يخزها لسان بطعن ولا تجسسها عقل . فكأنما مزجت الغرائز البشرية بالارتياح الى الاوهام والهشاشة للاضاليل وما تكاد تفيق العقول من سكراتها وتستيقظ من غفلاتها حتى تعود اليها . فها قد ودَّعنا القرن التاسع عشر قرن النور واظلّنا القرن العشرون وفي هذه النواحي من اهل الاطلاع والمعرفة باللغة الاعجمية من يعتقدون ان الفقه الاسلاميّ مأخوذ عن الفقه الرومانيّ وهو وهم قد عشش في اذهانهم وفرّخ وليس فيهم من يرتاب في صحتهِ فيتكلف التفحص عنهُ بل هو عندهم حقيقة بلغت من الثبوت ان كادت تصير في حكم ما يلمس باليد وينظر بالعين حتى صاروا يستخفون بمن ينكرها ويستقلون اطلاعهُ ويستضعفون عقلهُ

رويدك لا تعجب من ذلك فقد انتشرت الكتب المنادية بالله ونطقت الكائنات ولا تزال ناطقة بوحدانية المكوّن ولم يبرح الوثنيُّ عاكفاً على وثنهِ والمجوسيّ ساجداً لنارهِ والهنديُّ عابداً لنهرهِ لا يريد واحد من هؤلاء من معبودهِ بديلاً

اما بعد فقد جمعني ولوذعيًّا مكثرًا من مطالعة كتب الافرنج منزل صديق فدار التخاطب والتحادث في امور عدةٍ وشؤون شتى كما هي العادة عند تلاقي الاصحاب فتكلمنا في التجارة وما طرأ عليها من آفات الافلاس هذه السنة ثم في الصناعة واحتياج البلاد اليها ثم في المدارس وكثرتها وما زلنا ننتقل في اشباه هذه المباحث التي تعوّد التحادث فيها في المجالس والمجامع اهل المطالعة والتجار والسائرون تحت راية العلم من قطان بيروت ولبنان حتى افضى بنا الكلام الى العلم الذي يُرجع اليهِ في المعاملات ويُعوَّل على قواعدهِ في فصل المنازعات العلم الذي اذا حصلهُ المرءُ كان لهُ امنع شكةٍ علم الفقه فاطرات ائمتهُ الاربعة ابا حنيفة النعمان المتوفى سنة ١٥٠ هـ والامام الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ والامام مالكاً المتوفى سنة ١٧٩ هـ والامام احمد ابن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ هـ واخذت في بيان ما لهم من الفضل في استنباطهِ . فقال ذلك الرجل مع توقُّد فؤادهِ وسعة اطلاعهِ ما وقع عندي موقع الاستغراب من ان هذا الفقه مأخوذ عن الرومانيين فانكرت ذلك عليهِ وطالبتهُ بالدليل فلم يكن دليلهُ سوى اعادة دعواهُ

فسألتهُ هل طالعت الفقه الروماني وعارضت ابوابهُ بابواب الفقه الاسلامي فتبينت من هذه المعارضة ان هذا الفقه مستمدٌّ من ذاك حتى قلت ما قلت فقال " لا لكن الواقع كما قلت لك اصلهُ من الرومانيين " فلما كان تعليلهُ من باب قول يونس " ايْ كذا خلقت " وعدتهُ ان اطالع الفقه الروماني واقابلهُ بالفقه الاسلامي باباً باباً وانشيءَ في هذا الصدَد مقالة احسر بها اللثام عن محيا الحقيقة حتى لا يبقى في هذه الديار من يجهلها او من يدَّعي هذه الدعوى ولا يكون من يردّ دعواهُ بالدليل القاطع وقد وقفت على كتاب فقهٍ روماني فلم يظهر انهُ اصلٌ للفقه الاسلامي البتة فأخذت حينئذٍ في كتابة هذه المقالة استأصل بها شأفة شبهةٍ شائعة بين مطالعي الكتب الاوربية ومن يعاشرونهم ويعتقدون صحة اقوالهم وسداد آرائهم وقد اتيت بالحجج القاطعة مما بين الفقهين من التباين ولا بدّ ان أُقدم تلك الحجج بتمهيد يتسنى بهِ لاصحاب هذه الدعوى وجه عذرٍ في تسلط هذا الوهم عليهم فاقول

ان للفقه الروماني مقاماً سنيًّا حتى في اذهان المشارقة لمكان ان الرومانيين بسطوا سلطتهم على المشرق وخفقت اعلامهم فوق مدائنهِ وانقاد اهلهُ لسلطانهم . وانتشرت في أرجائهِ رسومهم واحكامهم وعليها اعتُمد في القضاء وبتّ الحكم عند الخلاف كل تلك القرون التي ملكوا فيها الاقطار الشرقية وهي قطعة من الدهر تناهز سبعمائة سنة . وقد تولى هذه الديار بعدهم العرب المسلمون وهؤلاء لم يلووا على شيء من احكام الرومانيين وشرائعهم ليس الاحكام الفطرية التي يشترك فيها الناس اشتراكهم في الصورة الانسانية فان الدولة الغالبة توّاقة الى ان تمحو من لوح الوجود آثار الدولة المغلوبة وترسم في مكان هاتيك الآثار آثارها حبّ ان لا يبقى للسابقة ذاكرٌ بخيرٍ . هذا مع اتحاد الدين بين الدولتين فما ظنك بهما مع اختلافهِ كما هو الامر بين دولة العرب المسلمين ودولة الرومانيين

اما الحجج المبطلة القول بان الفقه الاسلامي مأخوذ عن الفقهِ الروماني فهي

(الحجة الاولى) ان بين الفقه الاسلامي والفقه الروماني من الاختلاف في تقسيم المواد وتبويب الابواب ما يدفع هذا الوهم . ومن عارض ابواب الفقهين وقابل مواد الشرعين لم يجد بينهما اتفاقاً الاَّ فيما لم يختلف فيهِ البشر ولن يختلفوا من نحو طلب الشهادة لاثبات الدعوى والرهن او الكفالة للاطمئنان على الحق والمعاقبة على الجنايات

فلو صحَّ هذا الوهم لرأيت بينهما من المشابهة مثل ما بين المتابع والمتابَع والحال ليس بينهما الاَّ شبه ما بين الافرنجي والصينيّ . ألا وان الاختلاف بين الشرائع لا يتعدَّى حدَّ ما بين افراد النوع من الاختلاف . فأنت ترى ان لكل فردٍ صورةً تشخصهُ وهيئةً تميزهُ عن سائر

افراد نوعهِ وافراد النوع تجمعها الحقيقة النوعية فزيدٌ وعمروٌ وخالدٌ واحدٌ بمعنى ان كلاً منهم انسان مستوفٍ ما بهِ قوام الصورة الانسانية. وهم ثلاثة من حيث ان كلاً منهم شخص مستقلٌّ بخلقهِ وخلقهِ وفكرهِ وذوقهِ واهوائهِ

(الحجة الثانية) ان الفقه الاسلاميَّ مبنيٌّ على الكتاب والسنة والاجماع والقياس وقد بسط الكلام في ذلك ابن خلدون في المقدّمة وهذا نصّ ما هنالك " اعلم ان اصول الفقه من اعظم العلوم الشرعية واجلها قدرًا واكثرها فائدةً وهو النظر في الادلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الاحكام والتكاليف. واصول الادلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة المبينة لهُ فعلى عهد النبيّ صلى الله عليهِ وسلم كانت الاحكام تتلقى منهُ بما يوحى اليهِ من القرآن وبينهُ بقولهِ وفعلهِ بخطاب شفاهيّ لا يحتاج الى نقل ولا الى نظر وقياس. ومن بعدهِ صلوات الله وسلامهُ عليهِ تعذّر الخطاب الشفاهيّ وانحفظ القرآن بالتواتر. واما السنة فاجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على وجوب العمل بما يصل الينا منها قولاً او فعلاً بالنقل الصحيح الذي يغلب على الظنّ صدقهُ وتعينت دلالة الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ثم تنزَّل الاجماع منزلتهما لاجماع الصحابة على النكير على مخالفيهم ولا يكون ذلك الاَّ عن مستندٍ لان مثلهم لا يتفقون من غير دليل ثابت مع شهادة الادلة بعصمة الجماعة. فصار الاجماع دليلاً ثابتاً في الشرعيات ثم نظرنا في طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة فاذا هم يقيسون الاشباه بالاشباه منهما ويناظرون الامثال بالامثال باجماع منهم وتسليم بعضهم لبعض في ذلك فان كثيرًا من الواقعات بعدهُ صلوات الله وسلامهُ عليهِ لم تندرج في النصوص الثابتة فقاسوها بما ثبت والحقوها بما نصّ عليهِ بشروط في ذلك الالحاق تصحح تلك المساواة بين الشبهين او المثلين حتى يغلب على الظن ان حكم الله تعالى فيهما واحد وصار ذلك دليلاً شرعياً باجماعهم عليهِ. وهو القياس. وهو رابع الادلة

" واتفق جمهور العلماء على ان هذه هي اصول الادلة وان خالف بعضهم في الاجماع والقياس والحق بعضهم بهذه الاربعة ادلة أُخرى لا حاجة بنا لذكرها لضعف مداركها وشذوذ القول فيها. فكان اول مباحث هذا الفن النظر في كون هذه ادلةً. اما الكتاب فدليلهُ المعجزة القاطعة في متنهِ والتواتر في نقلهِ فلم يبقَ فيهِ مجال للاحتمال. واما السنّة وما نقل الينا منها فالاجماع على وجوب العمل بما يصح منها كما قلناهُ معتضدًا بما كان عليهِ العمل في حياتهِ صلوات الله وسلامهُ عليهِ من انفاذ الكتب والرسل الى النواحي بالاحكام والشرائع آمرًا وناهياً واما الاجماع فلاتفاقهم رضوان الله تعالى عليهم على انكار مخالفتهم مع العصمة الثابتة للامة واما

القياس فباجماع الصحابة "

قد عرفت على اي شيء بني فقه المسلمين فأنى يكون منقولاً عن فقه الرومانيين وهو مبنيٌ على رسوم مدونة او عاداتٍ جارية . اما الرسوم المدونة فهي كتاب الشرع ومراسم مجالس الاعيان واوامر الملك ورسوم القضاة وفتاوي المفتين

(الحجة الثالثة) أيصحُّ في المعقول ان فقهاً توفر على وضع قواعدهِ وتحرير مسائلهِ خلقٌ من العلماء والفضلاء واشتغل باستنباط فروعهِ واجتهد في تنقيحهِ وتوضيحهِ مدةً طويلةً يكون منقولاً عن فقه امةٍ سالفةٍ مضبوط الاحكام محرر المسائل

وان كان ذلك فعلى مَ كل هذا الجهد ولمَ لم يتهيأ لهم اتمامهُ لوقتٍ قصير بل كيف اقتضى ذلك نحواً من قرن ونصف قرن حتى عظمت امصار الاسلام وذهبت الأُمية من العرب بممارسة الكتاب وتمكن الاستنباط وكمل الفقه واصبح صناعةً وعلماً كما قال ابن خلدون

(الحجة الرابعة) ان الفقه انقسم الى طريقتين طريقة اهل الرأي والقياس وهم العراقيون ومقدَّمهم ابو حنيفة . وطريقة اهل الحديث وهم الحجازيون وامامهم مالك بن أنس والشافعيُّ من بعدهِ

وان اهل البيت شذُّوا عن الجمهور بمذاهب ابتدعوها وفقهٍ انفردوا بهِ وبنوهُ على مذهبهم في تناول بعض الصحابة بالقدح وعلى قولهم بعصمة الأئمة ورفع الخلاف عن اقوالهم . وان الخوارج شذُّوا بمثل ذلك ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم بل اوسعوها جانب الانكار والقدح فلا نعرف شيئاً منها ولا نرى كتبهم ولا اثر لشيء منها الاَّ في مواطنهم فكتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت دولتهم قائمةً في المغرب والمشرق واليمن والخوارج كذلك ولكلٍ منهم كتب وتآليف وآراء في الفقه غريبة كما قال ابن خلدون

فيا ليت شعري من اين وقع كل هذا الخلاف بين المسلمين في الاحكام الفقهية والقواعد الشرعية ان كانوا قد اخذوا الفقه الروماني وكيف اغلق اهل السنَّة باب الاجتهاد وهو لم يزل عند اهل الشيعة مفتوحاً فهل من ناظر في هذا يقبل هذا الوهم

(الحجة الخامسة) ان الفقه الروماني يجيز التبني ويقرّر لهُ احكاماً وهو في الدين الاسلامي مرفوض اذ قد جاء في القرآن "وما كان محمدٌ ابا احدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين"

(الحجة السادسة) ان الفقه الروماني يوجب على السارق ان يردّ اربعة اضعاف المسروق فمن سرق مائةً يغرم للمسروق لهُ اربعمائة وفي الفقه الاسلامي "اذا سرق البالغ العاقل الناطق

البصير عشرة دراهم جياد او ما قيمتهُ عشرة دراهم من حرز لا شبهة فيهِ ولا تأويل وجب عليهِ القطع . فمن ذا الذي يصحّ عندهُ ان هذا من ذاك

(الحجة السابعة) ان الفقه الروماني يحكم بقتل من يقتل ابنهُ ويقضي عليهِ بان يولج هو وكلب وديك وافعى وقرد في كيس جلد ويخيط عليهِ مع هؤلاء الندماء الاربعة ويرمى بهِ في البحر او في اقرب نهر اليهم

اما الفقه الاسلامي فلا يقتل الرجل بابنهِ لقول النبي "لا يقاد الوالد بولدهِ" كما في شرح القدوري ولم يجز قتل الاصل بفرعهِ من الائمة الاَّ مالك قال اذا ذبح الرجل ابنهُ ذبحاً كما في الدرّ المختار

(الحجة الثامنة) ان الامم السابقة الاسلام كانوا يورّثون الذكور دون الاناث واما الاسلام فجعل الانثيين كالذكر ميراثاً لما في سورة النساء "للذكر مثل حظّ الانثيين"

هذا وقد بقيت حجج اخر تتكفل بابطال هذا الزعم ودفع هذا الوهم اعرضت عنها ابتغاء الاختصار وفي النية ان اترجم مختصر الفقه الروماني باللسان العربيّ وهو مع ما اعلّق عليهِ من الحواشي لا يتجاوز ثلاث مقالات تنشر في ثلاثة اجزاء من مجلة المقتطف الجليلة

سعيد الشرتوني

نسخة شعر ملتن

كان ملتن الشاعر الانكليزي المشهور ضريراً كابي العلاء المعري فلم يكن يكتب اشعارهُ بيدهِ بل كان يمليها على كاتب يكتبها لهُ . وقد حفظت النسخة الاصلية من شعرهِ المعروف بالفردوس المفقود وستعرض للبيع في شهر مارس المقبل . فقامت الجرائد الانكليزية الآن تحث الامة على ابتياع هذه النسخة مهما بلغ ثمنها وحفظها في البلاد الانكليزية او في المتحف البريطاني لئلاَّ يشتريها الاميركيون وينقلوها الى بلادهم . وربما بلغ ثمنها المئات من الجنيهات مع ان ملتن نفسهُ باع هذه النسخة وحق طبعها بخمسة جنيهات لا غير ولما نفدت الطبعة الاولى باع حق طبعها ثانيةً بخمسة جنيهات اخرى . لكن الذين طبعوها بعد ذلك ربحوا منها الوفاً من الجنيهات ولا يبعد ان تكون قد طبعت حتى الآن مئات من المرات وان تكون النسخ التي انتشرت بين ايدي الناس تعدُّ بالملايين لاننا لا نظن ان قراءة اشعار ملتن فاتت احداً من ابناء اللغة الانكليزية

حكم وامثال

نقلت عن الانكليزية بقلم الدكتور يوحنا ورتبات

الحكيم يستفيد من اعدائهِ اكثر مما يستفيد الجاهل من اصدقائهِ

قيمة الشيء ما يأتي بهِ

اشد الجروح خطرًا ما نزف الى الباطن

احتقار الناس واطراؤُهم كلاهما خطأٌ

لا خداع كخداع من تأتمنهُ فيخونك

لا رفعة بلا جهاد صادق ولا عظمة بلا اجهاد النفس

لكل داء دواء لو عرفناهُ

المفتاح المستعمل لا يصدأُ

اباطيل الحياة نهر ذاهب ابدًا وآتٍ ابدًا

فضل الفلاح بالعفة وفضل الشدة بالعزم

سبيل النجاة من الكبائر الحذر من الصغائر

طريق بغداد لا يوصلك الى مصر

سبيل السلامة ان لا تامن

ليس للضعيف الاَّ الفشل

قد تمدُّ يدان الى صحن واحد واما الى كيس واحد فلا

انما الخائف من لجأَ الى السلاح اولاً

لا حاجة لخيشين بسمسار

يختصم كلبان على عظم فيهرب بهِ كلب ثالث

اذا اصاب الضيق اثنين كان الضيق اخفّ

عصفوران على سنبلة واحدة لا يتفقان

اثنان يخشى منهما حسد الصديق وبغض العدو

الغضبان غضبهُ عليهِ لا لهُ

ليس للصدق والامانة حاجة الى التأكيد

الحقّ والزيت يرتفعان ابدًا

الحق لا يخاف التحقيق

الحق اصل كل فضل

الحق قد يضعف ولكنهُ لا يهلك

الحق لا يحتاج الى كلام كثير والبطل حكاية طويلة

ليس من الحكمة ان يُعلَن الحق دائمًا

جرّب صديقك بأكذوبة فاذا اسرَّها فبح لهُ بالسرّ

جرّب مهارتك اولاً بماء الذهب ثم بالذهب

الفضيلة والسعادة امٌّ وبنتها

الفضل وحدهُ نسب كريم

اذا لم يكن الفضل في محلهِ فهو وهم

الفضل يُكسب المرء في الارض شهرةً وفي القبر ذكرًا وفي السماء خلودًا

الفضل قد يحجب احيانًا ولكنهُ يسطع اخيرًا

النذور زمن السوء تُنتسى عند زوالهِ

ترقّب الزمان والمكان في ما تقصدهُ ولا تعجل

لا خير في شجاعة بلا فطنة

في الرذيلة قصاصها وقد يكون بروُّها

شرّ ما في الرذيلة اذا تردّت برداء الفضيلة

الفضل وحدهُ سعادة الدنيا

الخطوة الاولى نحو الفضيلة الامتناع عن الرذيلة

جياد السمك في الشبكة يزيدهُ عرقلةً

قد تصطاد السمكة بالشبكة اذا لم تصد بالصنارة

ربّ حماقة انسان تكون خيرًا لغيرهِ

من قبض على الثعلب فهو احيَل منهُ

القبر مجتمع عام

اعظم اعمال الحياة التأهب للموت

اشره الناس من يعيش على النميمة فانهُ لا يشبع ابدًا

اشدّ البغض ينشأ من اشدّ الحب

اعظم ما تغيظ بهِ حاسدك حسن العمل

قلب المرأة ثروتها فقلما لايكون دليلاً لها

بقدر ما يكون القرطاس ناصع البياض تكون اللطخة اظهر

كثيرًا ما يكون الطريق الطويل اخصر الطرق للوصول الى البيت

يحزن الاب على موت ولدٍ اكثر مما يفرح لولادة اولاد كثيرين

لا تركننَّ الى نصرة العظام ولا الى مدح الناس

الخوف من الحرب شرٌّ من الحرب

مصفاة المصائب تفصل بين الاصدقاء الصادقين والغثاء

النسمة الاولى بدء الموت

الجرعة الاولى لارواء العطش والثانية لاكتفاء الطبع والثالثة للذة والرابعة للجنون

الذنوب الاولى لمن يرتكبونها والثانية لمن يسمحون بها

كان اول الناس بستانيًّا وفلاحًا وراعي غنم

العالم شرير ونحن منهُ

خير للانسان ان يحتمل الشر من ان يعملهُ

بالمقابلة يسعد الانسان او يشقى

السقوط في الشرك سهل ولكن الخروج منهُ عسير

حفظ الصديق اسهل من ردّهِ بعد فقدهِ

من العبث كلام العقل حيث لا يسمع

لا يولد المال الاّ المال

بالفعل لا بالقول يجنى الثمر

الخير والشر في النية لا في العمل

لا تترك نصح نفسك ولو كثر الناصحون لك

ارقب عدوك كأنهُ اسد ولو كان فارة

الخبر اما يسرّ او يحزن

الزمان والتأمل يخففان اعظم الاحزان

الزمان يفترس كل شيء

الزمان يمحن كل شيء

اخف الشرور ما جاء وحدهُ

التهكم على الخصم دليل ضعف الحجة

من يلعب بالسيف يجرح
من يفتش عن ذنوب الناس لا يرى غيرها
من لا عيب فيهِ فهو من عجائب الدنيا
متى بلغت النوائب حدها زالت
ما يناله الانسان بالعناء تطول اقامتهُ
ما يناله الانسان بالحرام فعاقبتهُ وخيمة
تأمل كالحكيم وتكلم كما يتكلم الناس
تأمل كثيرًا وتكلم قليلاً واكتب اقل مما تتكلم
من يسيء الى الغير نمَّ بهم ليستر ما بهِ من الشر
الحبة لا تملأُ العدل ولكنها تشارك في ذلك
قد يبرأُ الجرح وتدوم الندبة
قد يفقد الذئب انيابهُ ولكنهُ لا يفقد اخلاقهُ
لرجل الاقدام يصير الاحتمال ترجيحًا والترجيح تأكيدًا
البكاء الكثير على الميت اهانة للاحياء
الى اين يذهب الثور الأَ الى الفلاحة
من بحتَ لهُ بسرّك فقد صرت لهُ اسيرًا
يعسر احتمال الانقلاب العظيم السريع ولو كان نافعًا
اذا فاتت الفرصة فات زمن الحزن
التأكيد الشديد محل للشبهة
اذا كثرت المشورات ارتبك الانسان
التفريط في الرفق تفريط في الدهاء

من الف شيئًا ازدراهُ
التجارة امُّ المال
التجارة لا تعرف صديقًا ولا قريبًا
السفر مصلحة للعاقل ومفسدة للجاهل
لا تستأمن ثقلاً عظيمًا لخيط ضعيف
لا تأمن حافر الفرس وناب الكلب
لا تأمن صديقًا جديدًا ولا عدوًّا قديمًا
درهم الفقير اذا غضب كأن جمرة نار في كيس الغني
المسرف يسلب ورثتهُ والبخيل يسلب نفسهُ
دواء الضرر الاغضاء عنهُ
توبيخ الصديق يجب ان يكون قسطًا عادلاً لا متواترًا
البحر لا يرفض نهرًا
قد يكون مرض الجسد شفاء النفس
احذق الناس بلا مال محتقر
اسعد الحياة حين لا حاجة للكماليات ولا للضروريات
المعدة تحكم على الجسد
المهارة في تكثير الاصحاب دون المهارة في الاستغناء عنهم
المستقبل كالماضي ليس لنا
حب العلاء شرك لحسيب الاصل
شدائد الحياة تجاريب لما فينا من الفضل
اذا سقطت الشجرة ركض اليها كل واحد بفأسهِ
انما الجديد ما ادهش الناس

اعمالك لا نجاحك ما يبقي لك ذكرًا

تدبير السفينة بالحذق لا بالقوة

القشة الاخيرة تكسر ظهر الجمل

غنى العقل يغني ويسعد

الزمان والكلام والعمل تعلن شأن الانسان

من الحكمة ان يتجاهل الانسان احيانًا

اذا اردت الاسم الحسن فكن كما تريد ان تظهر

الفضل في عمل الصلاح واتقان العمل

اليوم تلميذ الامس

اذا فسد الذوق صار الحلو مرًّا

الشتيمة تستثير الشجاعة

ثلاثة تحفظ الصديق اكرامهُ اذا حضر ومدحهُ اذ غاب وعضدهُ في الضيق

ارسلهُ وبرغوث في اذنهِ

الكلام بلا تفكير كرمي السهم بلا تصويب

اذا كثرت معارف الرجل كثر الطمطمنة

اذا كثرت القوانين كثر المذنبون

الذهب في فم الصباح

شمس الصباح لا تدوم كل النهار

الذّ المسرات مملول اذا لم يكن فيها تشكيل

الله يعلم ويصبر وجاري لا يعلم شيئًا ويلوم

كثرة المذنبين حماية لهم

انفع دواء للضرر النسيان

لا تعد البومة حكيمة لاعتزالها

طاعة الاولاد للوالدين اساس جميع الاحكام

تستحسن البومة صغارها

متى تعب الثور ثبتت خطواتهُ

اذا اصفرَّ وجه الربان انذر بالعاصفة

سبيل الفضيلة سبيل السلامة

قلم اللسان يجب ان يغط بمداد القلب

الناس يعبدون العجل اذا كان من ذهب

تزول المسرات اذا تمنى المرء ما هو اكثر منها

اعلى الغصون ليس آمنها للتعشيش

المرائي يخدع الناس بدفعهِ الزكاة لله

يقضى على القاضي متى قضى ببراءة المذنب

الكاس تطفح من النقطة الاخيرة

الكسلان اخو الشحاذ

حياة الانسان يوم شتاء وطريق شتاء

ليس في الاسد نصف العتو الذي ينسب اليهِ

اطول الحياة ضمة من الدقائق

الحب الذي ليس لدوامهِ الأ اجمال قليل الدوام

ينفق على رذيلة واحدة اكثر مما ينفق على عشر فضائل

العاقل يجاهد ابدًا في طلب الحكمة والجاهل يظن انهُ قد وجدها

السعيد في كل شيء اندر من العنقاء

للطغام رؤوس كثيرة لا عقل فيها

لا تصبر حتى تزول الشدائد فان الفخر في التغلُّب عليها

اذا لم تثمر الشجرة في الربيع لم تثمر في الصيف

همز الفرس في غير حينهِ يعطبهُ

استعمل الوسائط واتكل على الله

لكل جرح بلسم

في البحر من خيار السمك مثلما يخرج منهُ

بين الكاس والفم عثرات

لا دواء للخوف

لكل شيء سبب

لا فرح بلا حزن

من لهم اصدقاء صادقون فهم الاغنياء

ما من قاعدة الاَّ ولها شذوذ

اقبح اللصوص الكتاب القبيح

ما من شيء يعود على النفس بالسرور كعمل المعروف او الكلام اللطيف

الصباغ الاسود يسود الصوف مهما كان بياضهُ ناصعاً

لا يخدع الاَّ من كان كبير الثقة

الفرح بالاولاد اقل من الحزن على فراقهم

لم يكن الكبار لو لم يكن الصغار

الاشرار يبغضون الشر في غيرهم

الزوجة مفتاح البيت

في العقل فراغ اعظم مما يظن اكثر الناس لو شغلوهُ بالفوائد

دم الجندي مجد القائد

الغصون الحاملة اكثر الاثمار اخفض مما سواها

حيَل الثعلب قلما تجدي نفعاً اذا لاعبت كف الاسد

الهمُّ الذي يجيء من عدم التروي يجب ان يحمل بالصبر

غرفة المريض معبد

ليست غاية الانسان العظمى ربح المال

امرأة الاسكاف حافية

التملق اكثر البضائع رواجاً

سبيل الغرام لا يكون سهلاً

شرك الشيطان للشاب الجمال وللبخيل المال وللعالِم الضلال

كل شيء يخرج من الارض ثم يعود اليها

الجزر يعود بما أَتى بهِ المدّ

المساء يأْتي بالكل الى البيت

العين لؤْلؤَة الوجه

مراقبة السيد افعل من يديهِ

يضرُّ نفسهُ من يضرُّ غيرهُ

من يخاف الانغلاب فقد غلب

من يخبئ شيئًا يجدهُ

من يضحك دائماً ومن يضجر دائماً سواء في الحماقة

من لا قيمة للمدح عندهُ لا يعمل شيئًا بهِ جديراً

اكبر الناس يموت اخيراً

آفة المعامل

من رأى العمال في معامل الحرير ببلاد الشام وهم صفر الوجوه نحاف الابدان وعلم انهم يقضون نهارهم وبعض ليلهم في اماكن مزدحمة فاسدة الهواء قليلة النور والاجور التي يأخذونها لا تزيد على حاجاتهم اليومية يتضح له ان المعامل آفة على العمال

وهذا الشر الذي دخل بلاد الشام وانحصر في معامل الحرير لانهُ لم ينشأ فيها معامل غيرها شائع في البلاد الاوربية والاميركية لكثرة المعامل فيها على اختلاف انواعها. وقد كنَّا نظن انهُ في اميركا اخف وطأة منهُ في غيرها لما هو مشهور من انها جنَّة العمال كما هي جنَّة النساء لكن قامت في هذه الاثناء سيدتان اميركيتان وطافتا في المعامل وانتظمتا في سلك عمالها حتى وقفتا على احوالهم تماماً ثم الفتا كتاباً وصفتا فيهِ حالهم فيها وصفاً تقشعر له الابدان. وقد سرَّ المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة بهذا الكتاب وقدَّر منهُ نفعاً عظيماً وكتب له مقدمة بنفسهِ لانهُ اذا ظهر الداء واتضح سهل علاجهُ

اختارت احدى هاتين السيدتين مدينة بتسبرج الكثيرة المعامل فان فيها مئة الف عامل من الرجال ومئة الف عاملة من النساء والبنات ودخلت معملاً منها تُصنع فيهِ المخللات وجعلت نفسها في عداد العمال ولم تُقبل فيهِ كذلك الأ بعد الجهد وكتبت تقول عما عملتهُ في اليوم الاول "وقفت منتصبة على رجليَّ عشر ساعات متوالية ملأتُ فيها ٤٠٠٠ اناء بالمخللات وسددت ١٣٠٠ بالفلين". وبعد ان قضت اسبوعاً تعمل هذا العمل اخذت ترتقي في مصاف العمال شيئاً فشيئاً. وقد استنتجت مما رأتهُ بالاختبار في هذا المعمل ان اجرة المرأة مهما ارتفعت لا تزيد على اقل اجرة يعطاها الرجل. وان النساء تعمل الاعمال التي يترفَّع عنها الرجال وان المرأة مهما برعت في عملها لا تزيد اجرتها على ريال في اليوم ولا تبلغ هذا الحد الأ بشق النفس وبعد ان تنهك قواها العضلية والعصبية

ثم انتقلت من معمل المخلل واستخدمت في معامل القمصان والخياطة باليد وقالت في وصفها وجدتُ الفتيات العاملات هنالك يكثرن من الاعتناء بزينتهنَّ وحسن بزتهنَّ اما اطعمتهنَّ ومساكنهنَّ فمخالفة للقواعد الصحية وهنَّ سريعات الاحساس خاليات من العواطف. وكثيرات منهنَّ لسنَ في حاجة الى العمل في المعامل فقد قالت احداهنَّ: "ان والدي يقدّم لي كل ما احتاج اليهِ ولكن ليس كل ما اطلبهُ". فهنَّ يشتغلنَ ليحصلنَ ما يبذلنهُ في الدخول الى الاجتماعات العمومية والمراقص والمراسح. ويبالغنَ في ضروب الزينة

والزخرفة فالمناطق الحريرية الملونة تحيط بخصورهنَّ والشرائط الزاهية تتدلّى من اعناقهنَّ والرياش والعصافير والازهار تموج فوق برانيطهن والقنع تغطّي وجوههنَّ والكفوف البيضاء تستر اياديهنَّ واكياس النقود الفضية تتدلّى من فوق ثيابهنَّ

ثم قالت هذا هو السبب الذي من اجلهِ تذهب كثيرات من الفتيات الاميركيات ليعملنَ في المعامل طول نهارهنَّ . ولهن رغبة شديدة في الذهاب الى مراسح التمثيل فيلبسن ما فوق طاقتهنَّ من الثياب المزخرفة حتى يستنتج الناظر اليهنَّ انهنَّ يترددنَ على المراسح ليس تشوقاً لمشاهدة التمثيل بل ليتبارينَ بالازياء ومع انهنَّ يكتسبنَ من الاجرة اكثر مما يكتسب امثالهنَّ في انكلترا وغيرها من بلدان اوربا فهنَّ لا ينتفعنَ بهِ حق الانتفاع

وذهبت السيدة الثانية الى معمل الاحذية في مدينة لين فرأت احوال العمال هناك لا تختلف كثيراً عما هي في المعامل المذكورة آنفاً . اما في معامل القطن في كارولينا الجنوبية فالمعيشة واحوال الحياة مما يقضي بالدهشة والرعب . فان العامل هناك ليس سوى رقيق ابيض قلَّما يفرق عن الرقيق الاسود . خذ مثالاً لذلك المعمل العظيم المدعو اكسلسيور الذي يعمل فيهِ نحو ثلاثة آلاف عامل . فانهُ مبني على رمال قاحلة وراءها القرية التي يقطنها العملة . وقد حلت الاوبئة في تلك القرية ضيفاً ثقيلاً لا تفارقها والاقذار والاوساخ تملا الازقة والشوارع لعدم وجود من ينقلها فتنبعث منها رائحة كريهة تغثي منها النفس وتتخدر الاعصاب . اما المعمل فبعيد عن القواعد الصحية في موقعهِ وكيفية بنائهِ وطرق المعيشة فيهِ . فالهواء الذي يتنفسهُ العملة مملوء بدقائق القطن وخيوطهِ الدقيقة وهم يتناولون السعوط من اكبرهم الى اصغرهم فتبرش افواههم وتسود اسنانهم . ويشكون من الامراض الرئوية كالسل والتهاب الرئة . واكثرهم ليسوا من المدن والقرى المجاورة بل يؤتى بهم من الاماكن البعيدة بواسطة المقدمين الذي يطغونهم ويعدونهم المواعيد الكاذبة حتى يأتوا بهم الى ذلك المعمل

والذين يعملون في معمل لف الغزل يعيشون في هواء انقى من هواء معامل الغزل لخلوهِ من دقائق القطن الاَّ ان الغزل يبقى هناك رطباً دائماً فيشكو كثير من العملة امراض القلب. وفوق ذلك فالملاريا تفتك بهم فتكاً ذريعاً

ويقوم الرجال والنساء والاولاد في الصباح من ابن خمس فصاعداً ويتقاطرون افواجاً الى المعامل ليقضوا نهارهم بالعمل والكدح ثم يعودون في المساء الى بيوتهم منهوكي القوى فيرتمون على فرشهم القذرة بثياب العمل وينامون الى الصباح . ويأتي في الصباح رجل راكباً جواداً يجري عليهِ من بيت الى اخر يستخدمهُ اصحاب المعمل ليأتي بالمتأخرين الذين انهك قواهم التعب

فلازموا فرشهم ليستريحوا . يأتي فيقتلعهم من فرشهم و يضطرهم الى الذهاب للعمل. وترى اطفالاً يساقون الى المعامل ليعملوا فيها ثلاث عشرة ساعة كل يوم وعليهم ثياب قذرة رثة لا تتغير صيفاً ولا شتاء . فلا يذوقون لذة ايام الصغر ولا الايام المدرسية بل يغمرهم بحر من الشقاء والبؤس يعملون من الساعة السادسة صباحاً الى السابعة مساء ولا يستريحون الا ثلاثة ارباع الساعة عند الظهر يتناولون فيها طعامهم فلذلك تراهم منهوكين ابداً اذا انقطعوا دقيقة عن العمل وقعوا فيها في سبات عميق

ومساكن هؤلاء العملة اكواخ حقيرة لم تراعَ في بنائها اصول النظافة والصحة والراحة والمياه التي يشربونها قذرة يغطي وجهها غشاء كثيف وتكثر فيها جراثيم الحميات . وليس هناك ازهار تنعش رائحتها القلوب بل روائح الاقذار المجتمعة في الازقة والشوارع تملأ الفضاء. ولامدارس للاولاد ولا حدائق للتنزه . والعامل الذي يستيقظ في الساعة الرابعة صباحاً و يعمل الى ما بعد مغيب الشمس لا يبقى فيه من النشاط والحياة الاّ ما يرتمي به على وسادته الى الصباح التالي . والامراض واسعة الانتشار والموت كثير ولا تعتني تلك الولاية باحصاء المواليد والوفيات

فلا غرابة اذاً ان تظهر الهيئة الوحشية القبيحة على وجوه اولئك الناس الذين يعملون تلك الاعمال الشاقة و يسكنون تلك الاكواخ الحقيرة القذرة المخالفة للصحة ويتناولون الطعام السخيف و يشربون الماء الفاسد . واذا دخلت فتاة او امرأة تلك المعامل وعليها شيء من ملامح الجمال اضطهدها النظار والمديرون حتى يقبح وجهها و يصير كوجه رفيقاتها . والزواج هناك لعبة والحب حلم والبيت بمعانيه الشريفة مفقود من عالم الوجود فليس للوالدين وقت يعتنون فيه باولادهم ويربونهم بل يستصحبونهم معهم الى المعامل من سن الخامسة والسادسة

وليس العامل في تلك المعامل الاّ رقيقاً ابيض . والغريب ان العملة كثيرو اللطف والحنان ولم يزل فيهم بعض الاميال الشريفة فيحبون الازهار و يتشوقون الى الحصول عليها واستنشاق روائحها العطرية . ويحبون الموسيقى ولكن لا يسمعونها الاّ نادراً . وفي ايام الاحاد يبقى اكثرهم نياماً في اكواخهم لانتهاك قواهم وعجزهم عن النهوض . وهناك حديقة مقفرة يذهبون اليها في بعض الاحيان

هذه حال بعض العمال كما وصفتها هاتان السيدتان في كتابهما . ولا شك في انهُ متى اطلع جمهور الاميركيين على حقيقة الامر ينهضون نهضةً واحدة ليدافعوا عن اخوانهم وينصفوهم من اصحاب المعامل الذين يسوقونهم سوق الانعام . وعسى ان لا ينتشر داء المعامل عندنا لانهُ مهما كثرت فائدتها لاصحابها فضررها بالعمال يفوق كل فائدة

فوز الاحداث

حدُّ الحداثة لا يقف عند حد . فالولد البالغ الثامنة من عمرهِ ينظر الى الرجل البالغ الثلاثين ويحسبهُ شيخاً طاعناً في السن ولكنهُ حينما يبلغ هو سن الثلاثين يعتذر بصغر سنهِ عما يبدو منهُ من الطيش ونزق الشباب . والفتاة البالغة السادسة عشرة من عمرها تلوم المرأة البالغة الاربعين اذا اهتمت بشيءٍ من زينة الدنيا ولكنها متى بلغت هي هذا السن تعدل عن رأيها الاول فتحسب انها لا تزال في سن الشبيبة وريعان الصبا ويحق لها الجمال والدلال

وهذا القول يصدق اجمالاً على الهيئة الاجتماعية فان سن الحداثة يتقدم بتقدمها . وقد لقَّب البعض هذا العصر بعصر الشبان على اننا لم نرَ فيهِ من الشبان النوابغ من اتى من الاعمال الجيدة ما هو خليق بان يُقابل باعمال داود والاسكندر وبونابرت وغيرهم

انتخب احد الاميركيين بالامس عضواً في مجلس النواب ولهُ من العمر سبع وثلاثون سنة فقام كثيرون يعترضون على هذا الانتخاب لصغر سن المنتخب وفي ظنهم ان الحكومة تعرّض نفسها لاخطار شديدة باعتمادها على رجل صغير السن قليل الخبرة مثلهُ . وقد كان جيمس فكس الانكليزي منذ قرن ونصف وزيراً للبحرية وكان الملك جورج الثالث يخاف بأسهُ وهو لم يناهز الحادية والعشرين . وكان وليم بت خصمهُ اللدود وزيراً لمالية الدولة الانكليزية وهو في الثالثة والعشرين من عمرهِ ثم صار رئيساً لوزارة انكلترا في السنة التالية

ويذكرون الآن حداثة ملك اسبانيا ويلقبونهُ "بالملك الصغير" وقد كان الاسكندر يغوص بحار المعارك وهو في الثامنة عشرة من عمرهِ ايام كان العالم في حداثتهِ ولم نسمع انهم كانوا يلقبونهُ "بالامير الصغير" . وكان البرنس ادورد الانكليزي الملقب بالامير الاسود في الثامنة عشرة من عمرهِ لما انتصر على الفرنسويين سنة ١٣٤٦ في معركة كريسي الشهيرة فاكسب امتهُ شهرةً لا يمحوها كرور الزمان . ولم يكن قد ناهز السادسة والعشرين من عمرهِ لما قاد الجيش الانكليزي في معركة بواتيرس العظيمة فدحر جيوش الفرنسويين ونال نصراً مبيناً

واذا قابلنا بقية نوابغ هذا العصر الشبان بنوابغ العصور الماضية نرى فرقاً كبيراً من حيث السن الذي اشتهروا فيهِ . فقد ظهر في الولايات المتحدة منذ سنتين نابغة في فن الموسيقى والضرب على الكمنجة ولهُ من العمر عشرون سنة فاعجب بهِ الناس وقالوا انهُ متى جاوز العشرين صار لهُ شان كبير في فن الموسيقى وقد كان موزار منذ مئة عام مديراً لجوق الموسيقيين

وهو لم يناهز السادسة عشرة من العمر ولما كان عمرهُ ست سنوات ضرب على البيانو هو واختهُ امام ماريا تريزا امبراطورة النمسا

ومن اهل هذا العصر من يدعو الامبراطور غليوم الثاني امبراطور الالمان شابًّا مع ان اولي الامر يبحثون في مسألة زواج ابنهِ . ومنهم من يحسب المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة شابًّا وبذلك فهو غير كفوءٍ للمنصب العظيم الذي رقي اليهِ ويحسب اللورد كورزن حاكم الهند شابًّا مع انهُ بلغ الاربعين من عمرهِ

واذا تصفحنا التواريخ القديمة نراها مفعمة باسماء النوابغ الشبان الذين عملوا اعمالاً مجيدة تتوق من يأتيهِ نوابغ هذا الزمان . فالملك داود النبي جُعل ملكًا على اسرائيل وهو في الثامنة عشرة من عمرهِ . والاسكندر المكدوني اضاف كل العالم الشرقي الى المملكة اليونانية وهو لم يناهز الثالثة والثلاثين . والملك شارلمان دانت لهُ فرنسا وهو في الثلاثين من العمر . والقائد كورتز فتح بلاد المكسيك في الثلاثين من عمرهِ . ونبوليون بونابرت اكتسح بلاد ايطاليا وطرد الجيوش النمساوية منها وهو لم يناهز التاسعة والعشرين . ثم اذا حولنا انظارنا عن ارباب السيف وقواد الجنود الى ارباب العقول السامية ممن نبغوا في الاختراعات والفنون نراهم لا ينقصون عنهم في الشأن والعدد . فان جيمس وط رأى قدر جدتهِ تغلي على النار فيتحرك غطاؤُها بقوة البخار وهو فتى صغير السن فتوصَّل الى اختراع الآلة البخارية . ورفائيل المصور الشهير مات في السابعة والثلاثين بعد ان خلَّد اسمًا لا يموت على كرور الايام . وشلي الشاعر الانكليزي عدّ من نوابغ الشعراء وهو في الخامسة والعشرين . وجون رسكين الشاعر والمؤلف الانكليزي الشهير بلغ اقصى ذرى الشهرة وهو في الرابعة والعشرين من العمر

واشهر قصص الشبان العظام قصة الملك داود الفتى الراعي الذي غادر آكام يهوذا حيث كان يغني لقطعانهِ ويسامر النجوم ليحمي ذمار قومهِ ويدفع عنهم شرّ جليات الفلسطيني الجبار . فتى غض الاهاب جميل المنظر بارز اعظم جندي في ذلك الزمن واكبر الجبارين هامةً ابتدرهُ بحجر من مقلاعهِ اصاب جبهتهُ فرماهُ صريعًا ثم صار ملكًا على بني اسرائيل

واعظم فاتح في الزمان القديم الاسكندر المكدوني . كان قائدًا عظيمًا وهو شاب فهاجم اعظم ملوك عصرهِ واكبر جيوشهم كأنهُ القضاء المبرم فلم يقف في وجههِ عدَد ولا عُدد . خاض غمرات الردى غير هيَّاب ولا وجل فاكتسح تراسيا واليريا واضافهما الى الاملاك المكدونية وهو في الحادية والعشرين من عمرهِ . وافتتح مدينة طيبة ودمرها في الثانية والعشرين واستولى على مدينتي صور وغزة وافتتح مصر وبنى الاسكندرية وهو في الرابعة والعشرين . ولقي جيوش الفرس

فكسرها شرّ كسرةٍ وذلل ملكها وهو في الخامسة والعشرين ثم اغار على بلاد الهند وافتتح جانباً كبيرًا منها فقضى عمرهُ ولم يذق الاّ حلاوة الظفر ولذة الانتصار

ورسائل الاسكندر الى الملك داريوس محفوظة بين كنوز الرسائل والمؤلفات الشهيرة. فانهُ لما هزم جيش الفرس البالغ ست مئة الفٍ عدًّا في معركة اسوس سنة ٣٣٣ واسر زوجة داريوس وامهُ وابنهُ وكتب لهُ داريوس يعرض عليهِ الصلح ويطلب منهُ استرجاع عائلتهِ اجابهُ وقد سكر بخمرة الانتصار فقال: "خاطبني كملك اسيا ولا تخاطبني كما يخاطب النظير نظيرهُ واطلب مني ما تشاء كما يطلب المرؤُوس من رئيسهِ والاّ فلا تجد مني الاّ الشرّ. وان كنت تنكر عليّ حق التملك على بلادك فتربَّص في مكانك واستعدَّ لحربي ولا تفرّ من وجهي والاّ فسأتبعك حيثما تفرّ"

ولما كان الاسكندر يحاصر مدينة صور بعث اليهِ داريوس يعرض عليهِ ان يتخلى لهُ عن كل البلاد غربي الفرات ويدفع اليهِ عشرة آلاف وزنة ويزوجهُ بابنتهِ ويكون حليفاً لهُ ولا يطلب منهُ بدل ذلك كلهِ الاّ ان يردَّ اليهِ امهُ وزوجتهُ واولادهُ. وقرأ الاسكندر هذا الكتاب في مجلس من قوادهِ فقال لهُ بارمنيون كبير القواد لو كنتُ انا الاسكندر لصالحت داريوس على ما طلبهُ فقال لهُ الاسكندر وانا لو كنت بارمنيون لفعلت ذلك ولكن لكوني الاسكندر فجوابي الان هو جوابي الاول. ثم كتب الى داريوس يقول "لقد عرضت عليَّ قسماً من املاكك وانا سيدها كلها ولو شئت ان اتزوج بابنتك لفعلت ذلك من غير ان استشيرك". وبعد كتابة هذه الاسطر عاد الى تعبئة الجيوش واعداد المعدات لكي يتم اخضاع الفرس فتم لهُ ذلك في المعركة المعروفة بمعركة اربل. هناك قوّض دعائم مملكة الفرس العظيمة وهو لم يناهز الخامسة والعشرين واستولى على كنوز الدولة الفارسية وخزائنها وما فيها من مئات الملايين

اما تتمة حياة الاسكندر فلا تقابل باعمالهِ المجيدة وفتوحاتهِ السابقة. اسكرتهُ خمرة الظفر فشمخ وتكبر وطغى وتجبر فطلب ان يُعبد كالاله ولم يعد يقبل مشورة احد. وامر بتعذيب صديقهِ فيلوتاس وهو يشاهدهُ ويقهقه ضحكاً وبقتل بارمنيون وزيرهِ وقائد جيشهِ وبتعذيب كالستنس ابن اخ الفيلسوف ارسطوطاليس استاذهِ لانهُ ابى ان يقدم لهُ الاكرام اللائق بالآلهة. وطعن وهو سكران صديقهُ كليتوس الذي نجى حياتهُ من الهلاك في معركة غرانيكوس

وقد قام في اوائل القرن الماضي رجل فاق الاسكندر المكدوني في قيادة الجيوش واساليب الحروب وهو نابوليون بونابارت. الاسكندر ورث الصولة وتاج الملك من ابيهِ وغاية ما

فعله انهُ وسع ملكهُ الموروث توسيعاً عظيماً . واما نابوليون فوُلد من السوقة ثم مهد الصعاب بعزمهِ وحزمهِ وتغلب على المصاعب واستخدمها لبلوغ مآربهِ . وُلد في جزيرة كورسكا من عائلة لا ثروة لها ولا جاه ودرس في احدى المدارس الحربية ثم ارتقى رويدًا رويدًا الى ان صار امبراطوراً على فرنسا وسيدًا على اوروبا وهو في الخامسة والثلاثين من عمرهِ . وخطر لهُ وهو في الثامنة والعشرين من عمرهِ ان يناوئ انكلترا ويستخلص منها املاكها الشرقية فاستولى على مصر استعداداً لهذا العمل العظيم . ولكن الاسطول الانكليزي تتبَّع اسطولهُ وحطَّمهُ في ابي قير وارتد عسكرهُ عن اسوار عكاء مقهوراً فخابت مساعيهِ في الشرق وعاد الى فرنسا وكانت الاحوال على غير ما يشتهي فتغلب عليها ومهد الصعاب فدانت لهُ وقلب الحكومة الدستورية مدعياً انها هي السبب في عجز الفرنسويين عن حفظ الاملاك التي اكسبهم اياها بانتصاراتهِ وفتوحاتهِ وجعل نفسهُ قنصلاً

والذي فعل كل هذه الافعال الخطيرة لم يكن سوى شاب قصير القامة قليل الكلام فخور يحب الرفعة الى درجة لم ينازعهُ فيها احد ثم اقام نفسهُ امبراطوراً على فرنسا ووطئ بجيوشها اوربا وهو من اصل ايطاليّ

ومن غرائب الامور ان فرط الذكاء والنجابة اذا بكّرا في الظهور كلفا الانسان ما لا يطيقهُ وادّيا بهِ الى عاقبة وخيمة على حد قول الشاعر

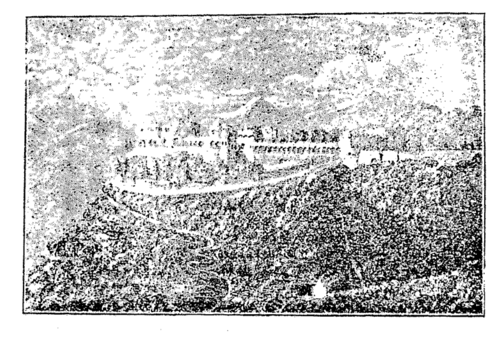
واذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الاجسام

فاذا رجعنا الى التاريخ وجدنا فيهِ اصدق الشواهد على ما قلنا . فان الاسكندر الفاتح الكبير عاش حتى وجد الموت احلى من الحياة . وداود اضطر ان يحارب ابنهُ ويراهُ قتيلاً امام عينيهِ . ونابوليون قضى زمن الكهولة سجيناً في جزيرة . وتشترتون النابغة الانكليزي ادهش اوربا بالاشعار البليغة التي كان ينظمها وينسبها الى قس عاش في القرن الخامس عشر فانطلى هذا الخداع على العلماء والمؤرخين واهتموا لهُ اهتماماً شديدًا حتى تبين لهم اخيرًا ان تشترتون هو الناظم . وضاقت بتشترتون سبل المعاش وسدّت في وجههِ ابواب الرزق فلعن حرفة الادب وشتم صناعة الشعر وشرب السم فمات ولهُ من العمر سبع عشرة سنة وتسعة اشهر . انتهى ملخصاً من مقالةٍ لروبرت وليمس في مجلة منسي الاميركية

الامير بشير الشهابي

ختمنا الكلام في الجزء السابق في ما كان من مقتل جرجس باز واخيهِ والتنكيل بابني الامير يوسف . ولا بدَّ من ان يكون اهالي لبنان قد ساءهم غدر الامير برجلين لهما منزلة كبيرة في نفوسهم وباميرين لم يرتكبا وزرًا ولابيهما اليد البيضاء عليهِ لكن خدم السعد الاميرَ حتى انساهم ما فعل فان رجوع الوهابيين من وجههِ من غير قتال احلَّ اللبنانيين محل الظافر والظفر يجلو صدأ القلوب. ثم زاد تعلقهم بالامير اذ ادخلهم دمشق الشام ظافرين واخرجهم منها غانمين ذلك ان الدولة العثمانية ولَّت سليمان باشا والي عكاء على دمشق الشام وتركت لهُ امر الوصول الى تلك الولاية وتخليصها من يد واليها يوسف باشا فدعا سليمان باشا الامير بشيرًا وخلا بهِ واطلعهُ على فرمان الولاية واستشارهُ في كيفية دخول دمشق والاستيلاء عليها لانهُ كان يعلم ان يوسف باشا عزيز الجانب لا يترك الولاية طوعًا وهو كثير المال والرجال فلا يستطيع ان ينزعها منهُ كرهًا وقال للامير بشير ان كنتَ تساعدني فدعنا نسر الى دمشق حالما يخرج يوسف باشا الى الحج. فقال لهُ الامير لبيك انا ورجالي في خدمتك. وكتب سليمان باشا من ساعتهِ الى جميع الاعمال التابعة ايالة دمشق يعلمهم بذلك ويدعوهم اليهِ. وفي الغد رجع الامير بشير الى مرج عيون وارسل وجمع اعوانهُ من لبنان فاجتمع رجالهُ ورجال سليمان باشا عند حاصبيا وساروا نحو دمشق . وبلغ يوسف باشا ذلك وهو في المزاريب على طريق الحج فرجع الى دمشق من فورهِ وتحصَّن فيها . فارسل سليمان باشا الى اهالي دمشق يعلمهم بان الدولة العلية انعمت عليهِ بالولاية. قال تاريخ الاعيان فخرج اليهِ بعضهم ووقفوا على الفرمان الذي بيدهِ فاشار عليهم الامير بالتسليم قائلاً اني آخذ بيد مولاي واجلب عليكم عساكر مثل قطع الغمام ولا احول حتى اسلمهُ المدينة ولو خرابًا فان قبلتم نصيحتي فاطردوا يوسف باشا من عندكم ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة. ولما رأى الدماشقة توارد عساكر لبنان اضطربوا وطلبوا المهلة ثلاثة ايام فامهلهم وعادوا الى يوسف باشا فاخبروهُ بما رأوا وسمعوا واشاروا عليهِ بالتسليم

ونشب القتال بين جنود يوسف باشا ورجال لبنان فانكسر يوسف باشا وعصاهُ جنودهُ لانهُ كان قد مطلهم في دفع رواتبهم فهجم قوادهم على امواله ونهبوها ففر هاربًا الى طرابلس الشام وسار منها الى مصر ودخل سليمان باشا والامير بشير المدينة فالتقاها الدماشقة بالاجلال والاكرام وجلس سليمان باشا في دار الوزارة واطلق الامان وعيَّن الولاة على الاقاليم وجعل الامير قاسماً بن الامير بشير واليًا على بلاد جبيل واخاهُ الامير خليلاً واليًا على البقاع وجعل



سراي بتدين (بيت الدين) كما كانت منذ ستين سنة

على دمشق رجلاً اسمهُ الكنج احمد فقام عليهِ الدماشقة لانهُ كان قد ظلمهم في عهد الجزار فاغلقوا ابواب القلعة ووجهوا مدافعها الى دار الوزارة و بلغ سليمان باشا ذلك فاضطرب وارتبك في امرهِ فدعا الامير بشيراً واستشارهُ في ذلك وفوَّض اليهِ التدبير فعزل الكنج احمد وارسلهُ متسلماً الى القدس واقام مكانهُ رجلاً يميل الدماشقة اليهِ فسرُّوا بذلك وزالت الفتنة . وعاد الامير بشير الى بلادهِ . وكان لقدومهِ بهجة عظيمة في البلاد ومدحهُ المعلم نقولا الترك بقصيدة ليست من جيد الشعر ذكر فيها قيام الوهابية وعبثهم ببلاد العرب ومجيئهم الى بلاد الشام الى ان قال

وقاموا بهذا العام يبغون بعدهُ دمشقَ وفي ارض المزاريب جمهروا
فبادرَ والي امرها الكنج يوسف الى صدهم لما اتاهُ المخبِّرُ
ومن حصن عكا سار للحرب مسرعاً سليمانها الشهم الوزير الغضنفرُ
ونادى باقطار البلاد الوحى الوحى الى مشهدٍ فيهِ الفتى ليس يخسرُ
فلبَّى الندا بحر الندى قاهر العدى شهاب الهدى ذاك السعيد المظفرُ
بشير الملا بالنصر واليمن والعلا امير بهِ اعتزَّ الولا والتأمرُ
وسار ومن احزاب قيسٍ امامهُ رجالٌ كآساد الفرائس تزأرُ
قرومٌ صناديدٌ قرونٌ اماجدٌ اسودٌ صعابٌ للوغى قد تصدَّروا
امامهمُ الشيخ الذي شاع بطشهُ امام شديد البأس في الحرب مشهرُ
هو الجنبلاطيُّ البشير الفتى الذي هو الركن فيهِ طود لبنان يعمرُ
لديهِ رجال كالشواهين ان سطت ترى القوم منها كالعصافير تنفرُ
فقل لاسود البدو ترتد خشَّعاً فقد جاءهم ليثٌ هزبر يزمجرُ
اميرٌ لهُ سيفٌ بكل نقعٍ وغارةٍ فعالٌ واهوالٌ الى الحشر تذكرُ
اذا غشيَ الهيجاء وانقضَّ هاجماً على الجيش قالوا ما دريدٌ وعنترُ
لهُ في الوغى للفتك باعٌ مشرَّعٌ وساقٌ لخوض النائبات مشمرُ
صبورٌ على الجلَّى وان طال جورها حزومٌ شديد الرأي لا يتعسَّرُ
باقبالهِ قد طاب قلب وزيرنا فبات يذيع الحمد عنهُ ويشكرُ
ولما سرت اخبارهُ للعدى نأَوا ومن بعد اقدام لووا وتأخروا

ثم استطرد الى تولية سليمان باشا على دمشق وزحفهِ عليها مع الامير بشير وانتشاب نار القتال بين جنودها وجنود يوسف باشا ودخولها دمشق ظافرين وعودة الامير الى لبنان الى ان قال

فعاد الى الاوطان عودة ظافرٍ بعز الى يوم القيامة يذكرُ
ولاح علينا منهُ اشراق طلعةٍ من الكوكب الوضّاح ابهى وابهرُ
وشرّف اوطانًا بهِ طاب عيشها وانشا لها شأنًا الى الدهر يذخرُ

وحدث بُعيد ذلك حادث محلي جاء مؤيدًا لما يعتقدهُ اهالي الجبل من علو همة الامير وحسن رأيهِ وتدبيرهِ وذلك ان الجراد اقبل على البلاد وانتشر فيها وغرز في الارض وباض فامر الاهالي ان يستخرجوا بيضهُ ويحرقوهُ وفرض على كل رجل نصف مد من بيضهِ فجمعوا منهُ اكثر من خمسين غرارة . وفقس الباقي قبل استيفاء جمعهِ وسعى في اراضي الساحل وكان كثيرًا فامر ان يبادر اليهِ الناس ويحفروا لهُ خنادق في طريقهِ يُطرَد اليها ثم يطمر فيها فاهلكوا منهُ كثيرًا والباقي بلغ اراضي صلبة لا يمكن حفر الخنادق فيها فامر ان يجمعوا في طريقهِ اغصانًا يابسة وهشيمًا ويكسوها باغصان مورقة ويطردوهُ اليها ثم يحرقوها ففعلوا وابادوهُ كلهُ ونجت البلاد منهُ . وهذه الاساليب الثلاثة التي استنبطها الامير بشير حينئذٍ خير الاساليب المتبعة الى الآن لابادة الجراد

وصفا الزمان لهُ فاخذ يزيل المغارم من البلاد وكان اول مغرم ازالهُ الخفارة التي كانت تؤخذ من قوافل التجار في اماكن مختلفة من البلاد وامر ان تسير القوافل في جميع الطرق بالامان من غير ان تغرم بشيء فكان ذلك رحمة عظيمة للناس ومسهلاً لسبل التجارة . وجعل الولاة يخاطبونهُ بعبارات التبجيل والاكرام ويطلعونهُ على اخبار الولايات كما حدث لما تغلّب طوسون باشا بن محمد علي باشا والي مصر على الوهابية في الحجاز وتملك المدينة المنوَّرة وجدَّة سنة ١٢٢٨ فان سليمان باشا العظم والي دمشق كتب الى الامير بشير يخبرهُ بهذا النصر وهذه صورة الكتاب نقلاً عن تاريخ الامير حيدر

افتخار الامراء الكرام ذوي القدر والاحترام جناب ولدنا الاعز الامجد الامير بشير الشهابي زيد مجدهُ . بعد التحية والسلام . بمزيد الاعزاز والاكرام . نبدي اليك انهُ يوم تاريخهِ قد ورد لنا كتاب من سعادة الاخ الافخم والي مصر القاهرة المحترم يخبرنا ان سعادة ولدهِ طوسون باشا بعد استيلائهِ على المدينة المنورة . توجه بعساكرهِ المظفرة الى مكة المطهرة . وقطع دابر الطائفة الوهابية الكافرة ودارت عليهم الدائرة . بقدرة ملك الدنيا والاخرة . وتطهرت منهم تلك الرحاب الشريفة . والديار المنيفة . واستولى على مكة المعظمة وجدة وتلك البقاع المكرمة . ولم يبقَ احد في تلك الديار من اولئك الكفار . وبما ان هذه البشارة تجلب السرور التام الى جميع الاسلام . ارسلنا اليكم مرسومنا هذا لكي تشهروهُ على الخاص والعام . وتستجلبوا

الدعوات الخيرية لحضرة مولانا السلطان الذي هو ظل الملك العلاّم وخليفة سيد الانام . ولنا ولجميع المسلمين من الرعايا وولاة الاحكام وليكن ذلك معلوماً عندكم تعتمدونهُ والسلام

وصار اذا قصد عكاء لقي فيها وفي طريقهِ اليها كل حفاوة واكرام . قصدها سنة ١٢٣٠ فلما وصل الى جسر صيداء التقاهُ قاضيها ومفتيها واكابرها وادخلوهُ الى صيداء باحتفال عظيم فبات تلك الليلة عندهم وخرجوا معهُ في الصباح وشيعوهُ الى عين القنطرة ثم ودعوهُ ورجعوا ولما وصل الى جسر القاسمية التقاهُ ابرهيم آغا متسلم قلعة هونين وبلاد المتاولة ومعهُ مشايخ تلك البلاد وقدموا لهُ الذخاير وضربوا لهُ الخيام ومشوا قدامهُ اليها ثم شيعوهُ الى اطراف بلادهم ولما اقبل على مدينة صور التقاهُ متسلمها واكابرها ودخلوا بهِ باحتفال عظيم وخرجوا معهُ في الصباح الى خارج المدينة ولما قارب عكاء التقاهُ متسلمها عبد الله بك بجميع رجال الحكومة وضباط الجيش ومعهم الموسيقى العسكرية وساروا امامهُ الى عكاء ولاقاهُ سليمان باشا الوالي الى باب ديوانهِ واعتنقهُ واجلسهُ بجانبهِ وبالغ في اكرامهِ واعدَّ لهُ منزلاً لنزولهِ وزارهُ في اليوم الثالث في هذا المنزل . واقام في عكاء خمسة ايام على الرحب والسعة واهدى اليهِ عبد الله باشا هدايا نفيسة من الجياد والاسلحة فهاداهُ الامير بانفس منها ولم يحصل لامير قبلهُ ما حصل لهُ من الاكرام . وذاعت شهرتهُ في الديار الشرقية واقبل الشعراء على بابهِ ومنهم بطرس كرامة الشاعر الحمصي المشهور جاءهُ من عكار ومدحهُ بالقصائد الغراء وتداول اهالي لبنان اشعارهُ يتلونها في المدارس والاندية وكان من باكورة قولهِ فيهِ

بَسَمَ السرور فسرَّت الاحياءُ ... وسمت بسامي سعودَك العلياءُ
وروت عن الشرف الرفيع محاسنٌ ... طابت بنشر حديثها الارجاءُ
اضحى الفخار بجيد فضلك باهياً ... واعتزَّ في باهي علاكَ علاءُ
والى شهامتك السنية اذعنت ... رتب العلى والهمة القعساءُ
ياحبذا لبنان قد صدحت بهِ ... طرباً بواقر حلك الورقاءُ
شهد الورى لما ظهرت بانهُ ... طود الاماني ملجأً وحماءُ

فجعلهُ الامير نديماً لهُ ومعلماً لولدهِ الاميرامين وكاتباً للخارجين عن بلادهِ وكأنهُ احلهُ محل وزير الخارجية فاعرب بذلك عن حسن ذوقهِ وقدرهِ رجال الفضل قدرهم . وعاش بطرس كرامة في نعمة واسعة من كرم الامير ولم تزل دارهُ في دير القمر شاهدة بذلك كما تشهد قصائدهُ الغراء التي نظمها في مدحهِ

ومما يشهد لهُ ايضاً بحسن الذوق وصفاء الذهن ومحبة الابهة والجاه وما شاكل من لوازم

الامارة بناؤهُ الدار البديعة في بتدين (بيت الدين) التي لم تزل حتى الساعة دارًا لحكومة لبنان.
قال الكولونل تشرتشل في هذا الصدد ما تعريبهُ وبلغ الامير من الكهولة السن الذي تزري فيهِ قوة الشباب بضعف الشيخوخة وتبلغ القوى العقلية والادبية والجسدية اوجها من النمو والارتقاء في من كان مخلوقًا صحيح الجسم قوي البنية. ورأى ان الزمان قد صافاهُ وانالهُ كل ما تطيب بهِ الحياة وتسعد الايام وان دخل امارتهِ زاد زيادة تسهّل لهُ العمل بما فطر عليهِ من اكرام الضيوف مهما كان عددهم وعديدهم الخلق الذي يمتاز بهِ المشارقة ويشترك فيهِ ملوكهم وصعاليكهم وينتشر منهُ البهاء في القصور والاكواخ ويرفعها كلها من وهدة الانحطاط الادبي الذي انحطّت اليهِ بما استولى عليها من العادات الفاسدة والشرائع الظالمة التي تسحق اشرف عواطف النفس وتخمد انفاس المطالب النبيلة من صدور ابنائهِ. وانهُ حاز من الشهرة ما اخرس السنة الوشاة واطفأ نار الحسد من افئدة الاحزاب المعادين والقى الرعب في قلوب الدانين منهم والقاصين وصارت كلمتهُ تقيم الناس وتقعدهم في كل البلاد المجاورة من دور الولاة الى مضارب العرب. وان الوالي الاكبر الذي بيدهِ تدبير الامور في بلاد الشام كلها صار صديقًا لهُ بل حليفًا يجري على حسب مشيئتهِ — لما رأى ذلك كلهُ وقف بين اندادهِ ومناظريهِ كأنهُ طود من الاطواد لا تنالهُ نوائب الدهر بمكروه

ولا غرابة والحالة هذه ان تطمح نفسهُ الى انشاء قصر فخيم مثل قصور الملوك يكون عنوانًا لمجدهِ ومظهرًا لما فُطر عليهِ من الكرم وحب الابهة فاختار قنة بيت الدين المشرفة على دير القمر مقرًّا لهذا القصر. واستطرد الكولونل تشرتسل الى وصف هذه القنة والقصر الذي بناهُ الامير بشير. والظاهر من تاريخ الامير حيدر وتاريخ الاعيان ان الامير انما جرّ ماء نبع القاع المجاور لنهر الصفا الى بتدين حينئذٍ لانهُ كان في دارهِ نحو ثلاثة آلاف من الاعوان والخدم عدا الخيل والبغال ولم يكن الماء كافيًا لهم. وقرَّظ بطرس كرامة ذلك بموشح من ابلغ ما نظم من نوعهِ قال فيهِ

صاح قد وافى الصفا يروي الظما بشراب كوثريّ العس
وافاض الشهد في روض الحما لجلا الغم وبرء الانفس

دور

حبذا الفوّار منهُ حين راق فارانا ماؤهُ ذوب اللجين
نزّه القلب عن الهم وراق بسنا صافي صفاهُ كل عين
نثر الدرَّ بفيض واندفاق وسقى الوارد اهنى الاطيبين
قد جرى عذبًا فاغنى الندما بزلال عن رحيق الاكوس

وعلى الاغصان التي النغا فزهت مثل ندامى العرُس

دور

جاء باسم الله مجراهُ الى بيت دين المجد منقادًا مطيع
كانفجار الصبح يبدو من على ذلك السفح الى الروض البديع
وتباهى جاريًا يعلو على كل طودٍ شامخ الانف منيع
مُلئت منهُ السواقي وطما دافقًا كالعارض المنبجس
فغدا بالخصب يزهو منعما كل ربع مقفرٍ مندرس

دور

دار في دارِ السنى مثل العريس يتهادى في رداء جوهري
حولهُ السرو كعشاقٍ تميس في رداء من حريرٍ اخضرِ
تبتغي لثم محياهُ النفيس والحيا يمنعها بالنظرِ
خلتهن قائماتٍ خدمًا حولهُ منعطفات الارؤس
وعليهِ ساهرات هيمًا تلتوي اعناقها بالنعس

والموشح طويل فيهِ خمسة وعشرون دورًا من نفيس الشعر ومطربهِ

ولم يكد يتم جلب الماء الى بتدين حتى اشتدت رغبتهُ في البناء والزخرفة فظلَّ اربعين سنة ينشئ البناء بعد البناء واتى بالبنائين والمرخمين والنقاشين من دمشق وحلب . ومهَّد ميدانًا امام السراي يلعب فيهِ مئة فارس وبنى اصطبلاً يسع خمس مئة جواد واقام المقاصير الفخيمة يتلو بعضها بعضاً ورصف بعضها بالمرمر والفسيفساء وكان يشارف هذه الاعمال بنفسهِ ويخاطب رؤساء العمل لا كما يخاطب الرئيس المرؤوس بل كما يخاطب العاميُّ الصانع الماهر. وكثيرًا ما كان ينتقد شيئًا من عملهم ويشير بتغييرهِ فلا يلتفتون الى مشورتهِ بل يبينون لهُ وجه الخطإِ فيها فيسرُّ بذلك ولا يستاء منهُ . ودام على هذا المنوال الى ان صارت سراي بتدين اعظم مباني جبل لبنان ولاسيما بعد ان انشأ فيها حمَّامًا افرغ فيهِ صنَّاع دمشق مهارتهم في الرسم والنقش كأن المرمر خشب في يدهم وبنى قصور اولادهِ وغرس حولها الحدائق والجنات لكن لم يقدَّر لهذا الصفاء ان يدوم طويلاً كما سيجيء

ولم يقصر همتهُ على بناء القصور لهُ ولاولادهِ بل بنى الجسور (الكباري) على الانهر لكي يتيسر للسابلة المرور عليها في كل حين كجسر نهر الكلب وجسر نهر الصفا وجسر نهر الدامور واظهر في بنائها علو همتهِ وصدق عزيمتهِ ولم يزل بعضها قائمًا الى الآن مع ما مرَّ عليهِ من السنين

خزان اصوان وبحيرة مورس

من خطبة للسر وليم ولككس تلاها في الجمعية الجغرافية المصرية في السادس عشر من شهر يناير

النيل خير ما تلجأُ اليهِ الديار المصرية اذا طلبت التوسُّع في الثروة فانهُ لم يخيّب لها رجاء من غابر الازمان الى الآن من حين قام فراعنة مصر وحاولوا التحكم في الفيضان في عهد الدولة الثانية عشرة من الدول المصرية حتى لا يغرّق الماء البلاد الى هذا العصر الذي حاولنا فيهِ خزن هذا الماء الى حين الحاجة اليهِ . اما في العهد القديم فكان المشكل الاكبر في اتقاء مياه الفيضان . واما في هذا العهد فالمشكل الاكبر في خزن الماء الكافي لا في اتقاء فيضانهِ والامران لازمان على حدٍ سوى اي اتقاء الغرق واتقاء الشرق ومرادي ان ابين لكم كيف يمكن ان تنال الامرين في وقت واحد على اهون سبيل

ان كل الذين حكموا مصر واهتموا بدفع غائلة الغرَق والشرَق عنها حققوا الخير والسعادة لاهاليها وابقوا لهم في التاريخ احسن ذكر . وقد حذا محمد علي حذوهم لما اهتم بري هذا القطر وسار في خطوات اعظم الملوك السالفين واسس عظمة البلاد على اساس متين فسارت في سبيل العمران الذي اختطهُ لها والآن نحن مهتمون بتعميم الري الصيفي الذي ادخلهُ اليها وفي حفظها من غوائل الغرَق الذي يتهددها في بعض السنين

رايتُ في الاعوام الاولى التي كنتُ فيها في خدمة الحكومة المصرية ما راعني من تجمُّع المياه في الاطيان التي تروى ريًّا صيفيًّا وبقائها فيها حتى تتلف ووددتُ لو امكن العود الى ري الحياض الذي جرى عليهِ المصريون الاقدمون ولكن لما أُنشئت المصارف وكثرت في البلاد زال الضرر الذي كنتُ اراه' واخشى تفاقمهُ . ثم رأَيت الناس يهتمون بتعاقب المزروعات وتسميدها والحكومة تهتم بانشاء المصارف واعطاء الماء بالمناوبات وذلك كلهُ جارٍ جريًا حثيثًا حتى صارت الارض تأْتي بمحصولين او ثلاثة في السنة من غير ان يتولاَّها الكلال . وفي المستقبل ستنشأُ المصارف قبل الترع فلا يبقى خوف من الري الصيفي مهما اتسع نطاقهُ

والاطيان التي يمكن ريها في القطر المصري تبلغ مساحتها ستة ملايين فدان وربع مليون . والربع المليون يروى في زمن الفيضان فقط وهو حد الصحراء وسيبقى ريّهُ كذلك ابد الدهر ليبقى حاجزًا حصينًا بين رمال الصحراء ووادي النيل [1] وثمن هذه الاطيان خمسة ملايين من

(١) [المقتطف] لا ندري كيف يمنع رمال الصحراء عن ان تسفي على وادي النيل وهو محروم من الري الصيفي ولا يمنعها اذا روي ريًّا صيفيًّا . وعسى رجال الري ان يروا سبيلاً لجلب الماء الصيفي الى هذه الاطيان لانهُ ليس من العدل ان تدفع من الاموال الاميرية ما يدفعهُ غيرها وتحرَم ما تتمتع بهِ سائر اطيان القطر

الجنيهات . واربعة ملايين فدان تروى ريًّا صيفيًّا ومتوسط ثمن الفدان منها الآن ٥٥ جنيهاً فثمنها كلها ٢٢٠ مليونًا من الجنيهات . والباقي وهو مليونا فدان ثلثاهُ يرويان في زمن الفيضان فقط والثلث الباقي لا يروى مطلقًا ومتوسط ثمن الفدان من هذين المليونين ٢٥ جنيهاً فثمنها كلها ٥٠ مليونًا من الجنيهات وثمن كل الاطيان المصرية الآن ٢٧٥ مليونًا من الجنيهات . واذا امكن ارواء الالفي فدان الاخيرة ريًّا صيفيًّا زاد ثمن الفدان منها ثلاثين جنيهاً وبلغت الزيادة ٦٠ مليونًا من الجنيهات

وعلينا الآن ان نرى كيف يمكن ان يتوفَّر الماء لري هذه المليوني فدان ريًّا صيفيًّا حتى يزيد ثمنها ستين مليونًا من الجنيهات

ظهر بالحساب ان كل الف مليون متر مكعب من الماء في هذا القطر تكفي لري نصف مليون فدان ريًّا صيفيًّا فاذا اريد ري المليوني فدان وجب ان يخزن لها اربعة آلاف مليون متر مكعب

كان محمد علي مهتمًّا اهتمامًا شديدًا بزرع القطن في القطر المصري . والقطن ينمو في فصل الصيف ويحتاج الى الري الصيفي ولذلك انصرف همهُ الى ابقاء ماء الري كافيًا على مدار السنة وبلغهُ ان القدماء كانوا يخزنون ماء الفيضان في بحيرة مورس فامر لينان باشا رئيس مهندسيهِ ان يحذو حذوهم فجعل يفتش عن موقع هذه البحيرة ثم حسب ما يقتضي ايصال ماء الفيضان اليها من المال فوجد انهُ ليس مما تحتملهُ الخزينة المصرية حينئذٍ واشار ببناء القناطر في النيل عند جبل السلسلة وجر الماء من فوقها بترعة عالية ولكن ظهر العيب في بناء القناطر الخيرية فضعف عزم الحكومة المصرية واحجمت عن بناء قناطر اخرى مثلها

واشار الكونت دلاموت سنة ١٨٨٠ ببناء سد عند جبل السلسلة يخزن الماء فوقهُ وان يدخل ماء النيل الى منخفض واسع شرقي كنبشة فيكون خزانًا آخر للماء . وبعد نحو سنتين اشار المستر كوب هويتهوس باستعمال وادي الريان خزانًا لماء النيل وكان لينان باشا قد اشار الى هذا الوادي او المنخفض لكن الضيق المالي الذي كانت فيهِ الحكومة المصرية وما ظهر من الخلل في القناطر الخيرية منعاها من الاهتمام بمسألة خزن الماء حينئذٍ لا سيما وانها لم تكن قادرة على التحكم بالماء الذي تحت يدها ولكن لما نجحت في تقوية القناطر الخيرية سنة ١٨٨٧ عادت الى النظر في امر خزن الماء وارسل السر كولن سكوت منكريف الكولونل وسترن الى وادي الريان ليبحث في مشروع المستر كوب هويتهوس ويعلم مقدار ما يسعهُ وادي الريان ويرى في هل يمكن استخدامهُ لخزن المياه . ونشرت الحكومة المصرية سنة ١٨٨٨ تقرير الكولونل وسترن

عن وادي الريان ومناسبهِ ونفقات عملهِ خزانًا ومقدار ما يخزن فيهِ من الماء . وأُرسلتُ انا للبحث عن مشروعَي الكونت ده لاموت فلم ارَ مناسبتهما لانني لم اجد منخفضاً قرب كلبشة يمكن وصلهُ بالنيل ولا وجدت صخرًا يمكن ان يبنى السد عليهِ . والمنخفض الوحيد قرب كلبشة يسمَّى بركة طخام وهو يعلو مئة متر عن سطح النيل وقت الفيضان. وسبرت الارض في مضيق السلسلة فوجدتها رملاً حتى تحت الحد الذي ظن ده لاموت وجود الصخر فيهِ بعشرة امتار . فلما بلغ تقريري القاهرة اشار المسيو برونت بجعل مجرى النيل نفسهِ خزانًا عند كلبشة . وغادر الكلونل وسترن القطر المصري سنة ١٨٩٠ وجُعلتُ مديرًا عامًا للبحث عن الخزانات . وظن المسيو برونت ان الصخر موجود في كلبشة على اربعة امتار تحت سطح ماء التحاريق فسبرت الارض الى عمق ٣٦ مترًا ولم اجد صخرًا . وسبرت الارض في كل مكان يمكن عمل الخزان فيهِ بين الفيوم ووادي حلفا واستعلمت مناسبها وقدَّمت تقريري سنة ١٨٩٤ ورفضتُ كل مشروع يراد بهِ بناء سد اصم واشرت ببناء سد ذي عيون في اصوان حاسباً انهُ يفي بالغرض المطلوب . ووافق السر وليم جارستن والسر بنيامين باكر والسنيور طوريشلي على المكان الذي اخترتهُ وعلى الرسم الذي رسمتهُ لهُ. وسدُّ اصوان هذا جديد في بابهِ واذا نجح فسيغير كيفية بناء السدود على الانهر الكبيرة في البلدان الحارَّة

ويسع خزان اصوان الآن الف مليون متر مكعب من الماء وهي تكفي لري نصف مليون فدان ريًا صيفيًا فتزيد ١٥ مليون جنيه في ثروة القطر . وقد تم هذا الخزان في آخر سنة ١٩٠٢ ومع ذلك استُخدم ماؤُهُ كلهُ لاماكن مخصوصة حتى اضطرت الحكومة ان تردَّ كل الذين طلبوا منها ماء للري وهذا امر لم تنتظرهُ البلاد بعد ان انتظرت بناء الخزان ست سنوات . والعالم في اشد الحاجة الى القطن الطويل الشعر المختص بالقطر المصري ومع ذلك يضطر اصحاب مليون ونصف من الفدادين الصالحة لزرع هذا القطن ان ينتظروا الماء سنين كثيرة على ما يظهر مع ان كل بلاد تحت الشمس يمكن زرع القطن فيها باذلة جهدها في زرع القطن المصري . والثلاثة آلاف مليون متر مكعب من الماء قريبة المنال والبلاد قادرة على خزنها كما يظهر من الارقام التالية المنقولة عن تقرير اللورد كرومر

ان المال الاحتياطي العمومي في خزينة الحكومة المصرية يبلغ ٢٩٣١٠٠٠ جنيه والمال الاحتياطي الخصوصي ١٦٧٨٠٠٠ جنيه والاموال المتوفرة بتحويل الدين ٤٩٩١٠٠٠ جنيه وفي صندوق الدين العمومي ٨٧٧٤٠٠٠ جنيه ولهذا المبلغ الاخير ريع يبلغ ٢/١ ٣ في المئة في السنة فاذا أُنفق نصفهُ في خزن الماء ووقاية البلاد من الغرق زادت ثروتها ٤٥ مليون

جنيه ويكون ريع الزيادة بمعدل سبعة في المئة في السنة

والرجال الذين بنوا خزان اصوان لا يمكن ان يبقوا مترددين في الامر والبلاد كلها محتاجة الى الماء والماء الغزير ينصبُّ من النيل في بحر الروم كذَوب النضار

قلت انهُ لا صعوبة في وجود المال الكافي لخزن ثلاثة آلاف مليون متر مكعب من الماء ومرادي الآن ان ابين ان خزن هذا المقدار من الماء ليس مما يتعذَّر عملهُ

منذ ست سنوات رأى قليلون بعين البصيرة ما يُرى الآن بالباصرة وليس بين هؤلاء القلائل من هو اقوى ثقة بمستقبل القطر المصري من السر ارنست كاسل فاتى بالاموال سنة ١٨٩٨ واخذ مشروع الخزان بعد ان مضى عليهِ اربع سنوات مدفونًا في زوايا النسيان واستعان بالسر جون ايرد وشركائهِ المقاولين والسر بنيامين باكر المهندس المستشار وانشأ خزان اصوان وقناطر اسيوط وسلَّمها للحكومة المصرية في ختام سنة ١٩٠٢

وسد الخزان في اصوان من الغرانيت طولهُ الفا متر وهو يقطع النيل عند الشلالات من ضفة الى اخرى في خط مستقيم وفي اعلاهُ طريق عرضهُ اربعة امتار وارتفاع السد ٣٧ مترًا حيث يبلغ ارتفاعهُ اعظمهُ واكثر عمق بلغ اليهِ اساسهُ ١٢ مترًا تحت الصفر بمقياس اصوان والطريق المشار اليهِ آنفًا ٢٥ مترًا فوق ذلك الصفر. وفي السد ١٤٠ عينًا طول كل عين منها ٧ امتار وعرضها متران لمرور مياه الفيضان و٤٠ عينًا اخرى طول العين منها ثلاثة امتار ونصف وعرضها متران لكي يمر منها ماء الخزان حينما يكون عاليًا. والى الجهة الغربية من السد ترعة للملاحة لها اربعة اهوسة طول الهويس منها ٨٠ مترًا وعرضهُ ٩ امتار. ويمكن رفع الماء بهذا السد في حالتهِ الحاضرة حتى يصير ارتفاعهُ ٢٢ مترًا فوق الصفر بمقياس اصوان فيكون من ذلك حوض فيهِ الف مليون متر مكعب. واذا كان الفيضان على اعلاهِ فالماء الجاري في النيل يبلغ ١٢٥٠٠ متر مكعب في الثانية من الزمان واذا كانت ايام التحاريق في الصيف والماء على اقلهِ بلغ الجاري منهُ في الثانية من الزمان ٢٠٠ متر مكعب فقط

وفي وقت الفيضان تفتح العيون كلها فيجري منها الماء كلهُ من غير ان يرسب الطمي منهُ واذا انقضى زمن الفيضان وراق الماء نوعًا تقفل العيون تدريجًا فيملأ الخزان. واذا شُرع في ذلك في شهر دسمبر امتلأ الخزان في مئة يوم. والغالب ان يتم امتلاؤهُ في اول شهر مارس والماء الجاري في النيل بين اول مارس واول ابريل يكفي الان للزراعة التي تكون حينئذٍ. واذا زاد زمام الاطيان التي تزرع زراعة صيفية مست الحاجة الى زيادة الماء منذ اول ابريل وتزيد الحاجة في مايو ويونيو وحينئذٍ يساعد الخزان النيل. واذا تأخر الفيضان بقيت الحاجة

ماسة الى ماء الخزان حتى العاشر من شهر يوليو واذا بكَّر الفيضان استغني عن الخزان في العشرين من يونيو كما حدث سنة ١٩٠٢ وهي اول سنة مرت على الخزان . فتزيد فائدة الخزان بتأخر الفيضان . وحينما يحمرُّ ماء النيل تكون العيون السفلى والعليا قد فتحت كلها فتجري منها المياه الحمراء من غير عائق . وقد قدرت فائدة المياه الحمراء للاطيان بما يساوي تسعين غرشاً من اسمدة لكل فدان يروى بها في زمن الفيضان

وقد مضى الآن سنة على خزان اصوان فظهر انهُ وافٍ بما ينتظر منهُ فانهُ لما كانت التحاريق على اشدها في شهر مايو الماضي بلغ كل الماء الجاري في النيل مع كل الينابيع التابعة فيهِ من اصوان الى بحر الروم ٤٠٠ متر مكعب في الثانية من الزمان فمدَّهُ الخزان بمئتي متر مكعب كل ثانية فصار مقدار الماء المنيسور للري ٦٠٠ متر مكعب كل ثانية من الزمان اي ان الخزان قدَّم ثلث الماء اللازم للري الصيفي فهو يكفي لري نصف مليون فدان ريَّا صيفيًا

وقد رُسمت بناء سد الخزان جعلتهُ قابلاً لان يُعلَّى ستة امتار أُخرى فيخزن فيهِ مضاعف ما يخزن فيهِ الآن فاذا رفع بناؤُهُ ستة امتار اخرى وطولت عيونهُ وسدودها فتكون النفقات اللازمة لذلك كلهِ نصف مليون جنيه

ويسهل قسمة كل هويس من الهويسين الاولين الى اثنين لان طول الهويس منهما ٨٠ مترًا فيصير طول كل قسم من قسميهِ ٤٠ مترًا وهو يكفي للملاحة لان اكبر الذهبيات في القطر طولها ٣٠ مترًا وبذلك يقل ضغط الماء لانهُ يتوزع على ستة ابواب بدل من كونهِ الآن على اربعة

ونصف مليون الجنيه المطلوب لتعلية السد ستة امتار اخرى يكفي ايضاً لتقوية السدكاه فيصير امتن مما هو الآن والالف مليون متر التي تزيد في الخزان تزيد بها الزراعة الصيفية نصف مليون فدان فيزيد ثمن الاطيان التي تروى كذلك خمسة عشر مليون جنيه

وقد سمعت البعض يعترضون على تعلية سد الخزان بان ضغط الماء على اسفل البناء يزيد حينئذٍ على ٥ كيلوغرامات لكل سنتمتر مربع وهو اعظم ضغط اقرَّت عليهِ اللجنة الدولية وقد اشار بذلك السنيور طوريشلي لان السد جديد في نوعهِ فلا يصح تحميلهُ ضغطاً شديدًا قبلما يمتحن وتثبت متانتهُ . لكن هذا الضغط في سد جيلب ببلاد البلجيك ١٠ كيلوغرامات على السنتمتر المربع وفي سد خميس ببلاد الجزائر ١١ كيلوغراماً . ومن رأي الاستاذ رنكن انهُ لا خوف من ضغط ٣ /٧/١ كيلوغرام الى ١٠ على سد ارتفاعهُ ٤٨ مترًا . ولما عين السر بنيامين باكر مهندساً مستشارًا للخزان سألتهُ عن رأيهِ في ذلك . فقال "يجب ان يكون السد مستريحاً في كل اجزائهِ وانا لا اعبأ بما على قاعدتهِ من الضغط وانما تعبهُ يكون من التمدُّد والتقلُّص" (ستأتي البقية)

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

اللغة العربية في المدرسة الكلية

سيدي الاخ احد ابناء العصر الذهبي

اشكر لكم كل الشكر على انتقادكم اللطيف على خطابي "تاريخ اللغة العربية في المدرسة الكلية السورية الانجيلية" المندرج في المقتطف الاغرّ تحت عنوان "المدرسة الكلية واللغة العربية"

على انهُ لا بدَّ لي بعد تقديم تشكراتي من ان استلفت انتباه حضرتكم الى ان موضوع خطابي لم يكن "لماذا او ما هو السبب الحقيقي الذي من اجلهِ استبدلت عمدة المدرسة ودائرة مديريها لغة التعليم فجعلتها الانكليزية بدلاً من العربية" ولا خطر في بالي ان ابحث في هذا الشأن لان موقفي كان لا يجوّز لي ذلك لياقةً كما لا يخفى على حضرتكم

نعم اني في اثناء بحثي التاريخي انسقت الى ان اسأل "هل اصابت العمدة في هذا الاستبدال ام لا" وفي جوابي اقمت الدليل — لكن بقطع النظر عن الداعي الذي دعا العمدة الى هذا الاستبدال — على انها اصابت والذي اعتقدهُ وارجحهُ ان دليلي في كل ما ذكرتهُ كان يمشي على رجلين قويتين كما يتضح ذلك بعد المراجعة والروية

ثم اني على ما يقتضيهِ موضوعي قسمت تاريخ اللغة العربية في المدرسة الكلية الى ثلاث مدَّات احداها مدة انحطاط العربية ما بين سنة ١٨٨٠ و ١٨٩٥ وتصدَّيت لبيان اسباب ذلك الانحطاط وانصراف نفوس الطلبة عن هذه اللغة الشريفة فذكرت ان من جملة تلك الاسباب تمس استبدال العربية بالانكليزية . ومنها الحوادث العرابية . ومنها المهاجرة. ومنها ومنها الى آخر ما ذكرتهُ . فارجو ان تراجعوا النظر مرةً ثانية

ويعلم العارفون انهُ كان في المدرسة ما بين سنة ثمانين واربع وثمانين اساتذة درَّسوا اللغة العربية لم يوجد قبلاً مثلهم ولا اقدر على التدريس ولا امهر منهم فيهِ وكان لهم فوق ذلك في نفوس التلامذة من المكانة ما لم يبلغها احدٌ كان قبلهم ولا بلغها من جاء بعدهم ومع كل ذلك كانت نفوس التلامذة بشهادتهم هم منصرفةً عن اللغة العربية وليس لهذا من سببٍ ظاهر الاَّ الاسباب التي ذكرتها فلمَّا زالت هذه زال اثرها فانتعشت اللغة وعاد اليها شيءٌ من رونقها القديم باقبال الطلبة عليها وتجدُّد رغبتهم فيها

وهنا لا يسعني اغفال ما كنت اغفلتهُ اما سهوًا او اضطرارًا لضيق الوقت وهو ان من أكبر الاسباب التي اعانت على انتعاش اللغة العربية في مدرستنا وعود الرغبة فيها ان تلامذتها المتاخرين لم يروا لاحدٍ من اخوانهم السابقين شهرةً تستحق ان تذكر الاَّ ان يكون من المجيدين في معرفة العربية ومن البارعين في الكتابة فيها تلك الكتابة البديعة المعروفة باسم السهل الممتنع الظاهرة في مقالات المقتطف ومقالات الادباء فيهِ الذين حذوا حذو صاحبيهِ في ترك التعمُّل ومجاراة الطبع والذوق السليم

ايها الاخوة ابناء العصر الذهبي ومن اقتفى خطواتهم من ابناء هذه الكلية واخصُّ استاذيَّ الكريمين الدكتور صرُّوف والدكتور نمر لي ايها الاخوة كلمة اطراء اوجهها اليكم صراحة وهي هذه انكم كنتم ولا تزالون من جملة الاسباب التي سببت انتعاش اللغة العربية في مدرستكم الكلية ومن اهم تلك الاسباب ايضًا لانكم كنتم اعظم باعث لاخوانكم المتأخرين على معاودة الرغبة فيها والاقبال عليها بما رأوهُ من نجاحكم الباهر واستطارة شهرتكم في العربية بما خدمتم وتخدمون بهِ ابناءها فجزاكم الله وجزى امثالكم من كتابنا الكرام احسن الجزاء انهُ السميع المجيب امين

جبر ضومط

رباعيات ابي العلاء

حضرة منشئي "شيخ" المجلات العربية

اطلب اليكما ان تدرجا اذا امكن هذه الاسطر في احد اعداد مجلتكما الغراء تعميمًا للفائدة لا غير

جاء في كلامكم على ترجمة رباعيات ابي العلاء المعري للشاعر الاديب والعربي الغيور امين افندي ريحاني ما حرفهُ : ... ولم يكن عمر الخيام الاَّ تابعًا لابي العلاء المعري مقتبسًا منهُ او ناسجًا على منوالهِ ومع ذلك لم يقدم احد على ترجمة اشعار المعري الى اللغات الاوربية

الاَّ الآن حينما هزت الاريحية وطنينا الاديب امين افندي ريحاني . . . " فيستفاد من هذه العبارة ان اول من اقدم على ترجمة شيء من اشعار ابي العلاء المعري الى احدى اللغات الاوربية هو الاديب المذكور وهذا خلاف الواقع فان لبعض المستشرقين من الاوربيين وغيرهم ابحاث جليلة عن هذا الشاعر العربي والبعض الآخر تراجم لاشهر اشعاره الفلسفية التي تجلت فيها صورتهُ النفسانية واعتقاداتهُ الدينية . هذا ولا حاجة هنا الى سرد جميع اسماء هؤلاء الكتبة وما ترجموهُ من اشعار ابي العلاء ونحو ذلك مما تراهُ مذكورًا في حاشية لمقدمة ترجمة رسائل ابي العلاء التي نشرها عام ١٨٩٨ في اللغة الانكليزية المستر مرغوليوث (وقد ذكرتم ذلك في بعض اعداد مجلتكم الغراء ووعدتم ان تنشروا رسالتين لابي العلاء لم تضمهما مجموعة المستر المذكور واظنكم لم تفعلوا) انما اقتصر هنا على ذكر واحد من هؤلاء العلماء وهو المستشرق الشهير النمساوي Von Kremer الذي وضع للبحث عن ابي العلاء وافكاره جملة مقالات نشرها في بعض المجلات الجرمانية وغيرها منذ عشرين عامًا او اكثر ثم كتابًا خصوصيًّا (Über die philosophischen Gedichte des Abul'alâ Ma'arry. Wien. 1888 = اشعار ابي العلاء الفلسفية) وقفهُ للبحث عن اراء ابي العلاء الفلسفية ونقل فيهِ نثرًا اكثر من مئتي بيت من رباعيات شاعرنا العربي وغيرها (ربما تطاولنا الى تعريب هذا الكتاب ونشره تباعًا في مجلتكم الغراء ان سمحتم بذلك) والذي يهمنا هنا هو ان الرباعيات التي نقلها الآن وطنينا الغيور الى اللغة الانكليزية كان قد نقلها قبلاً مع غيرها العالم النمساوي المذكور ونشرها نظمًا عام ١٨٧٧ في اعداد المجلة الجرمانية الاسيوية الذائعة الصيت

فنستخلص مما ذكر ان اوّل من بحث عن اشعار ابي العلاء المعري بحثًا علميًّا وترجم نصيبًا منها الى احدى اللغات الاوربية هو الكاتب النمساوي المذكور لا ابن وطننا العزيز كما جاء سهوًا في عبارتكم السابقة . اما عن رقة الترجمة ومتانة الفاظها وعدم تصرف المترجم بشيء من معاني الاصل فيمكنكم ومن لهُ المام باللغة الجرمانية ان تحكموا ولو بما يأتي :

(١) اراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث

لفقدي ناظري ولزوم [illegible] وكون النفس في الجسد الخبيث

Mich hält ein dreifach Gefängni[illegible] [illegible]fangen
Trage nach der Erklärung kein [illegible]angen! –
Blind bin ich, auf's Krankenlager [illegible]bettet,
Und [illegible]ie Seele ist an den Körper [illegible]tet.

(٢) جاءت احاديث ان [illegible] [illegible]نا شأنًا ولكن فيها ضعف اسنادِ

فشاور العقل واترك غيره هدرًا فالعقل خير مشير ضمهُ النادي

Die Traditionen, die man uns lehrt, wären wichtig, wenn echt
Nur die Bürgschaft dafür ist ziemlich schlecht
Zieh den Verstand zu Rath, allem andern entsage
Der Verstand ist der beste Rathgeber in jeder Lage.

(٣) سبح وصلِّ وطف بمكة زائرًا سبعين لا سبعًا فلست بناسكِ
جهل الديانة من اذا عرضت له أطماعهُ لم يلفَ بالمتماسكِ

Bete und verrichte in Mekka die Pilgerpflichten
Siebzig—, nicht siebenmal, trotzdem bist du ein Frommer mit nichten!
Es sündigt gewiss der, wenn die Begierden ihn treiben,
Es nicht versteht dennoch enthaltsam zu bleiben.

روسيا بندلي صليبا جوزي

[المقتطف] نشكر فضلكم على هذه الفائدة فاننا لم نكن نعلم ان العلامة فون كريمر ترجم هذا المقدار من اشعار المعري الى اللغة الالمانية ولا انتبهنا الى ما ذكرهُ الاستاذ مرغوليوث في هذا الشأن . وقد رأينا قبلاً ترجمة بعض المقاطيع ولكنها قليلة متفرقة ولا نتذكر الان اين مظانها الاَّ ترجمة البيتين المشهورين

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ويهود حارت والمجوس مضللهْ
اثنان اهل الارض ذو عقلٍ بلا دينٍ وآخر دينٌ لا عقل لَهْ

فقد ترجمهما الى اللغة اللاتينية العالم كرليل J. D. Carlyle الذي كان استاذًا للعربية في مدرسة كمبردج الجامعة في اواخر القرن الثامن عشر وترجم الى الانكليزية البيتين التاليين

والكبر والحمد ضدان اتفاقهما مثل اتفاق فتاء السن والكبرِ
يجني تزايد هذا من تناقص ذا والليل ان طال غال اليوم بالقصرِ

نور القمر والكوليره

مضى على بلدتنا طرابلس الشام نحو خمسة اشهر والهواء الاصفر قد حلَّ فيها ضيفًا غير محتشم وقد راقبتهُ فرأيتهُ يشتد في المحاق ويخف عند ما يكون القمر بدرًا او يكاد يتلاشى وهذه المراقبة امتدت تلك الشهور الخمسة فهل لنور القمر تأثير في ميكروب الكوليره كنور الشمس ارجو وضع هذه المسألة في باب البحث والتنقيب فلعل منها فائدة علمية تعود بالنفع على الهيئة الاجتماعية

طرابلس الشام حكمت شريف

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

رجاءُ مصر في شاباتها

خطبة القتها السيدة زاهية جندي من متخرجات مدرسة البنات العالية الانجيلية بأسيوط مساء ٢٤ دسمبر ١٩٠٣

وقفتُ بينكم وفيَّ نفسٌ تحيا بانوار اهل الذكاء . وفؤاد يطرب بانتظام عقد الادباء . فان صمتَ اللسان فالنفس ناطقة وان كذبت الظواهر فالجواهر صادقة

وبعد فبينما كنت اقلّب الفكرَ فيما كان عليهِ الشرق من الرفعة في غابر الازمان وما وصل اليهِ الغرب من العمران في هذا الآن واذا بهاتفٍ يقول حيّاك الله ايها الغرب فقد اصبح اهلوك سندًا للعلم والعرفان . وعضدًا للحضارة والعمران ونبراسًا يضيء كالشمس على سائر الاكوان . وسقاكِ غيث الرحمة يا مصرُ عروس الشرق . فقد سحرتِ عقول الاقدمين فتاهوا في معاني فنونك وآدابك . وخلبتِ الباب رجال هذا الزمان فسعوا يؤمُّون مغاني جلالك وعليائك . فوإن زالت ظواهر جلالك العظيم فلدينا من مآثر اهليكِ الاقدمين ومفاخر ابنائكِ السالفين. ما سيجعل ابناءك العصريين يريقون دماء المُهج سعيًا وراء ذلك المجد الباهر الذي اشرق في ايامكِ الخوالي . وغيرةً على ذلك الشرف الاثيل الذي عبثت بهِ ايدي الايام والليالي . وخوفًا من ان تفقد مفاتيح ابواب رجائك فتقفل قابضةً على بقايا تلك السلالة الشريفة وذلك العنصر السامي . فتنهّدتُ وقلتُ رويدَك ايها الهاتف هلاّ افدتني اين ذلك الرجاء . وفي اي مكانٍ من مصر نتطلّبهُ . فاجابني لديكم شاباتكم ففيهنَّ رجاءُ بلادكم . أجل فالامر جلل والعليل يحييهِ ولو بارقٌ من الامل وان ما ترجوهُ مصر ليس من الامور التافهات ولا من الاماني المستحدثات المستحيلات بل هو مطلبُ كلِّ امةٍ دبّت فيها روح الحياة فتعلّقت بهِ تعلق غريق وجد غصنًا فتمسك بهِ طلبًا للنجاة. وهذه ام الغرب بما فيها من عزّ يناطح السماك . وتقدّم باهر ينازع في ظهوره الافلاك لم تقم قائمتها بهذا المجد المقيم الاَّ بشابات تهذبنَ واستلمنَ ادارة العائلات فمرحَ العزُّ في ربوعهنَّ واشرف السعدُ على نجوعهنَّ . وبلغ بهم السُّرى الى ما اذنك تسمع وعينك ترى والامر واضح ان شابات مصر اليوم هنَّ ربات بيوتها غدًا اللواتي سيقمن بتدبيرها وترتيبها .

و يتكفلنَ براحتها وسعادتها ويحيينَ كمالاتها وفضائلها . والعائلات اساس الوطن وعليها قيامُ بنائهِ . كيف لا وشابات مصر اليوم هنَّ امهاتُ رجالها غداً وليس يخاف ان الولد يتناول من امهِ غذاءَ لجسمهِ وقوةً وحياةً لنفسهِ فهي توحي اليهِ عواطفها واحساساتها وتلقنهُ مع اللبن عوائدها واخلاقها. وربَّ عاطفةٍ تبثها الامُّ في صدر ولدها بين قبلات الحنو والحب فتصيرُ هذا الولد اديباً كريماً وعاطفةٍ يشربها الطفل من امهِ فيصير بها شقياً لئيماً . وعليهِ اكرر القول ان رجاء مصر في شاباتها ولكن ترى من ايّ شابات يرجى لمصر خيرٌ هل ترجو مصر خيراً من شاباتٍ اهمل والدوهنَّ تربيتهنَّ فاظلمت منهنَّ العقول وخشنت الطباع وساءت الاخلاق وسادت الاوهام فلما دخلنَ البيوت لم يحسنَّ ادارتها بل هل ترجو مصر خيراً من شابات لا همَّ لهنَّ في الدنيا غير صقل الشعور والتضمخ بالطيوب وعبادة المرآة وجرّ الذيول والاذناب . كلاَّ فمصر ترجو الخير من شابةٍ حسنت تربيتها وتطهرت اخلاقها وتهذب عقلها وعرفت ما لها من حقٍ وما عليها من واجب . بل مصر ترجو الخير من امرأة احسنت ادارة بيتها وتربية اولادها وقد جعلت زينتها تهذيبها وعطرها آدابها ومرآتها اعمالها وجمالها اقتصادها

فيا شابات مصر ما بالكنَّ تعثرنَ ولا تنهضنَ وتبصرنَ ولا تعتبرنَ وتسمعنَ ولا تصغينَ وبين حركات الايام وسكنات الليالي عبرٌ خليق بكنَّ اعتبارها واصواتٌ جديرٌ بكنَّ اجابة ندائها بل آمال تُجلى لكنَّ فتحسبنها اوهاماً عابرات او احلاماً كاذبات . كلاَّ كلاَّ فتلك آمال مصر المستقبلة لم تزل كالحمامة الهائمة ترفرف فوق رؤوسكنَّ ولا تستطيع الدنو خشية ان تطأ ارجلها شعوركنَّ الصقيلة فتزلق وتسقط الى الحضيض بل خوفاً ان تؤخذ برائحة طيب ملابسكنَّ فتدركها النشوة فتهبط وتهوي الى الهلاك . ويا رفيقاتي الفاضلات تأكدنَ ان رجاء مصر فينا اكثر مما هو في رجالها ونحن وان كنَّا دونهم في القوة البدنية فضعف قوّتنا ولطافة جبلتنا لا يقفان في سبيل واجبنا فالصواعق تصدرُ عن رقيق السحاب والزلازل عن لطيف البخار ومراكز الهيئة الاجتماعية لا تتوقف على قوة اللحم وكبر العظم بل على العقول الثاقبة والآراء السديدة والعواطف الرقيقة التي اشتهرت بها النساء فكم لدماثة اخلاقهنَّ من مآثر تذكر فتشكر وكم من جماحٍ ارتاض بلطفهنَّ فصار ذلولاً . فلا بدع اذا ذلّت لهنَّ الاسود في آجامها وارتاض لهنَّ جماح عقول الرجال فهنَّ القابضات على زمامها . فمصر التي ربينا في مهادها وارتوينا من مائها ترجو منا هذا الخير فلنحققنَّ لها هذا الرجاء ولنحسننَّ صنعاً بما نأتيهِ من جميل الفعال فيبسمُ لنا ثغرُ الزمان عن ثنايا السعادة ووجهُ الحياة يتدفق بانوار المجد والاقبال حقق الله فينا وبنا تلك الآمال

تمريض المرضى

الفصل الرابع

العمليات الجراحية

تمتلئ قلوب الكثيرين بالرعب عند ذكر العمليات الجراحية ولا عجب فانها خطر شديد يمر على الانسان او على احد اصدقائهِ واحبائهِ . واذا كان المحتاجون الى عملية جراحية في اوربا فقراء معوزين فانهم يقبلون حالاً في احد المستشفيات واذا كانوا اغنياء فيمكنهم باشارة واحدة ان يستخدموا ممرضة متمرنة فتعدّ كل ما يلزم او قد يمكن للمريض ان يذهب الى ما يسمونهُ "بيت العمليات الجراحية" . اما في هذه البلاد حيث المستشفيات الخصوصية والممرضات الخاصات مجهولة او نادرة الوجود فعلى اهل المريض ان يتكلوا على انفسهم وعلى مشورة الطبيب ولكن الاطباء ليسوا ممرضين بل التمريض من وظائف النساء وهو فنٌّ يحتاج الى درس وتعليم

ذهبت يوماً وكنت لم ازل تلميذة في فن التمريض لعيادة صديقة لي قبل ان تُعمَل لها عملية جراحية . وكان اهلها قد استدعوا ممرضةً متمرنةً فاعدّت كل ما يلزم الى ان يأتي الطبيب وبينما كانت صديقتي في غرفةٍ اخرى دخلت الى غرفتها حيث كان الطبيب عازماً ان يعمل العملية الجراحية فرايت كل شيءٍ نظيفاً وناصع البياض حتى اثرت فيَّ تلك الغرفة وتلك الممرضة تاثيراً لا انساهُ ابداً . كان السرير ملاصقاً للحائط حتى لا يعيق احداً في سيرهِ وعليهِ الملاءَات البيضاء النظيفة وزجاجات الماء الحار حاضرة لتوضع في الفراش لتدفئة الرجلين عند الحاجة . وكان في وسط الغرفة طاولة عليها فراش مغطًّى بمشمع وفوقهُ ملاءة بيضاء نظيفة ووسادة . وتحت الطاولة ملاءة بيضاء ممكنة الى السجادة بالدبابيس . وعلى مقربة منها طاولة اخرى اصغر من الاولى مغطاة بغطاء ابيض وعليها آنية كبيرة تحتوي على محلول من الحامض الكربوليك بنسبة ١ الى ٢٠ لتطهير آلات الطبيب الجراحية . وقد نقل من الغرفة كل الاثاث الذي لا لزوم لهُ كالصوز والتحف وغيرها وفرش على طاولة اللبس وعلى صندوق الجوارير الملاءَات البيضاء حتى انك كيفما التفت ترى الاغطية البيضاء النظيفة . وكان على المغسلة طسوت واباريق ملئى بالماء الفاتر . وكان عليها ايضاً اناءَان للصابون فيهما الواح الصابون الجديدة وفي كل منهما فرشاة جديدة ليدي الجراح واظافرهِ وعدد وافر من المناشف النظيفة وسطلان للماء الوسخ وهنالك ايضاً ابريقان آخران ملآنان بالماء الغالي ومغطيان بقطعتين من الشاش النظيف المندّى بمحلول الحامض الكربوليك . وكانت الممرّضة مرتدية بثياب بيضاء وردية اللون وعليها مريول ابيض وطاقية بيضاء وكمان ابيضان . وكانت خفيفة الحركة جميلة

الوجه تبدو عليها دلائل الادب والتهذيب فكان لها اعتبار عظيم في عيني

وقد ذهبتُ لعيادة صديقتي بعد ذلك بايام قليلة فوجدتها مضطجعة على فراش جميل في غاية النظافة وعلى وجهها دلائل الراحة والمسرة · وقد تغيرت غرفتها عما كانت عليهِ قبل اجراء العملية فاعيد اليها كل الاثاث والرياش والصور ووضعت فيها آنية الزهور الجميلة فكانت تنتشر منها الروائح الزكية فتعطر الارجاء · وعلمت من صديقتي ان ممرضتها لم تكن تسمح لخدام بدخول غرفتها بل كانت تخدمها بنفسها وتكنس الغرفة وتنفض الغبار عن الاثاث وتنظف المغسلة بكل خفة ونشاط · فلا عجب ان بدت على وجه صديقتي دلائل العافية والنقه ولا غرو ان نهضت من فراش المرض في وقت قصير وقد اعتنت بها وسهرت عليها ممرضة اتصفت بالتهذيب والنشاط والمهارة

استعداد المريض قبل اجراء العملية

علمت كيف تعد الغرفة للعملية الجراحية بملاحظة تلك الممرضة الحاذقة التي هي مثال للمرضات والان ابين لك كيف يعد المريض لهذا العمل الخطير

على المريض ان يغسل بالماء الحار قبل اليوم الذي تجرى فيهِ العملية وان يمسح جسمهُ مسحاً جيداً بالفرشاة والصابون · ثم تأتي بزجاجة من الايثر فتبل بهِ قطعةً من القطن المندوف وتمسح بهِ العضو الذي ستجري فيهِ العملية فترى القطن يسود بما يزيلهُ من الوسخ الذي لم يزل بالاغتسال · وعود ذلك مراراً الى ان ينظف العضو تماماً · ثم غطس قطعة كبيرة وسميكة من القطن المندوف في محلول من الزئبق بنسبة جزء الى الف جزء وضعها على مكان العملية وغطها بقطعة من مشمع الحرير ثم ضع فوق هذه قليلاً من القطن المندوف واربطها جيداً ·
وعلى المريض ايضاً ان ياخذ مسهلاً قبل يوم العملية · ويجب ان يحقن قبل العملية ببضع ساعات وهذا الامر ضروري جداً في كل الحوادث البطنية وفي النزيف الدموي وغيرها · وفائدة تفريغ الامعاء وتنظيفها ان ذلك يمنع تأثير الكلوروفورم في بنية المريض · ولا بدَّ من بقائهِ في السكون التام مدة الايام الاولى بعد العملية فلا يضطر الى النهوض من فراشهِ لقضاء حاجاتهِ وازعاج نفسهِ بل يلزم السكون ويتحاشى الحركة وهذا يزيد رجاءهُ في نجاح العملية ويقصر مدة ملازمتهِ للفراش ·

ويعطى المريض قليلاً من المرق الجيد قبل مباشرة العملية باربع ساعات ويُمنع بعد ذلك عن تناول اي شيءٍ كان حتى عن تناول جرعة من الماء · ويلبس الثياب الواسعة بحيث يسهل على الجراح الوصول الى المكان الذي تجرى فيهِ العملية · ويجب ان لا يربط شيءٌ حول وسطهِ

وان تحل العرى من حول عنقهِ. ولكن ثيابهُ دافئة تقيهِ البرد فكم من مريض اثَّر فيهِ البرد وهو على طاولة الجراح

المعالجة بعد اجراء العملية

املإِ الزجاجات بالماء الحار وضعها بين قدميهِ في الفراش لتدفئهما ولفها قبل وضعها بقطع من الفلانلا لئلا تحرقهما. ولفّ المريض بملاءة دافئة ولكن انزع الملاءة والزجاجات اذا شكا كثرة الحرارة لان ذلك يدل على انهُ لم يعد لزوم لها

لا تترك المريض وحدهُ. ولا تقدم لهُ طعامًا الاَّ اذا طلبهُ فاعطهِ حينئذٍ شيئًا من الشاي او القهوة القوية او الماء الفاتر ثم اعطهِ شيئًا من الخبز والتبن او الرز واللبن وبعد ذلك يمكنك ان تناولهُ شيئًا من الطعام العادي. واذا كان مصابًا بالحمى فاياك ان تعطيهُ ماء ليشرب مهما اشتكى من شدة العطش. واذا دامت الحمى عليهِ وارتفعت درجتها فاعطهِ قطعةً من الجليد يمتصها او ماء حارًّا ليشربهُ وهذا يغسل معدتهُ. ويمكنك ان تضع على معدة المريض لزقة من الخردل

وانظر اذا تبع العملية نزف دم ولا سيما اذا كانت قطع اللسان او بتر عضو من الاعضاء وهذا امر تسهل معرفتهُ ويرى حدوثهُ بالعين. واما اذا كان النزف داخليًا فعليك ان تراقب الاعراض والدلائل. وهذه الاعراض هي اصفرار الوجه والاغماء وحركة غير منقطعة بحيث ترى المريض يرمي ذراعيهِ بغير انقطاع الى هنا وهنالك وابيضاض اليدين والاظافر والشفتين والانف. ويسرع النبض في ضرباتهِ سرعةً عظيمة الاَّ انهُ يصير خفيفًا يصعب الشعور بهِ فيزفر المريض ويتنهد عوضًا عن ان يتنفس تنفسًا طبيعيًا

فاذا كان النزف داخليًا عجز المداوي عن توقيفهِ ودفع شرهِ وليس في طاقتهِ الاَّ ان يحقن المريض بالماء الحار ويضع زجاجات الماء الحار بين رجليهِ وحول جسمهِ. وفي هذه الاحوال افتح النوافذ ليتجدد الهواء

واذا كان النزف خارجيًا فضع قليلاً من القطن المندوف الجديد فوق الجرح واربطهُ الى ان يأتي الطبيب. والممرضة الخبيرة تعرف كيف توقف النزف بان تضغط على الشريان او بان تنزع الرباط وتضغط على الجرح نفسهِ حتى يصل الطبيب

ولا بد ان يتأثر الجسم بعد اجراء العملية الجراحية فترتفع درجة الحرارة قليلاً ولكن اذا لم يزد هذا الارتفاع على درجةٍ واحدة فلا داعي للحذر والتخوُّف

وابقِ المريض هادئًا ولا تقلق راحتهُ وخلِّ عنك اظهار الحنوّ والعواطف الحبية في مثل

هذه الاحوال. مثال ذلك اني لما كنت في مستشفى القديس جاورجيوس في بيروت اتاني البواب يوماً وهو حائر في امره وقال لي : " عفواً سيدتي فان كل اقارب الرجل الذي عُملت له العملية الآن دخلوا المستشفى رغماً عني " . وقد ساءني ذلك منهُ جداً وخرجت مغضبة ولكني عذرتهُ لما رأيت حول سرير المريض جمهوراً كبيراً من اقاربهِ بلغ عددهم سبعة عشر شخصاً . فلا غرو اذا عجز البواب عن مقاومتهم جميعاً . وقد كان المريض يئن ويتوجع ويرمي بذراعيهِ الى هنا وهناك وينادي " اني سأموت اني سأموت ومن يهتم بأولادي " ولم يكن من العملية خطر ولكنها كانت مؤلمة فاعطيناه شيئاً من المورفين المسكن الالم ولذلك كنت متيقنة انهُ لم يكن يشكو الماً البتة

ووقفت برهةً اتأمل في ذلك الجمهور المحيط بسرير المريض وهو يضج ضجيجاً فيقلق جميع المرضى ويسلب راحتهم ثم تقدمت من امرأة وقلت لها من انتِ ؟ . اجابت انا ابنة عمهِ . فقلت لها اذا كنت تحبين ابن عمك فتكرمي بالخروج من غرفتهِ . وقلت لرجل من انتَ ؟ قال انا احد جيرانهِ . فاجبتهُ اذا كنت تحب جارك فخلهِ وحدهُ . وسألت ثالثةً ومن انتِ ؟ اجابت اني سلفتهُ زوجة اخيهِ . وكان البعض منهم ينظرون اليَّ شزراً وغيرهم يقهقهون ضحكاً فاخرجتهم من غرفة المريض واخبرتهم ان العملية ليست خطرة ولكنهم اذا ارادوا ان يعتنوا هم بمريضهم فالاحسن ان ينقلوهُ الى بيتهِ ويفعلوا ذلك هناك . فلما سمعوا كلامي خرجوا من غرفتهِ

هذه مرة من المرات العديدة التي التقيت بها بالجماهير من اصدقاء المرضى واقاربهم الذين يزورونهم زرافات على اثر اجراء عملية لهم ليظهروا لهم حبهم واكرامهم فيزعجونهم ويقلقونهم ويضرونهم اكثر مما ينفعونهم

وكنت ارى بعض المرضى يضعون بصلةً في منديلهم ويشمون رائحتها كأنها وردةً او باقةً من البنفسج . وهم يعتقدون ان رائحتها تطرد الروائح الكريهة والميكروبات من الجراح وتعجل في شفائها غير حاسبين حساباً للوسائل الصحية العاجلة كالنظافة والهواء النقي والمواد المضادَّة للفساد التي استعملت اثناء العملية وبعدها في تضميد الجراح وربطها

الفصل الخامس

التمريض في العمليات الجراحية الخصوصية

يلقى المريض على فراشهِ بعد اجراء العملية الجراحية مستلقياً على ظهرهِ وتوضع وسادة واطئة تحت رأسهِ ويمال رأسهُ الى الجهة الواحدة وتوضع منشفة تحت ذقنهِ وطست بجانبهِ

ليكون قريباً منهُ اذا اراد التقيوء . فان اراد ذلك فلا ينهض في فراشهِ بل ضع يدك تحت رأسهِ وارفعهُ قليلاً بلطف وتأنٍ

ومن العمليات ما تقتضي على المريض بتغيير هذا الوضع وهنا تظهر فائدة فن التمريض ومعرفة اصولهِ لان طريقة الاعتناء بكل عملية من هذه العمليات تختلف عما هي في غيرها . ويجدر بنا ان نلاحظ بعض هذه العمليات التي قد تحتاج المرضة الى تمريضها مبتدئين من الرأس

العينين

الكتركتا او الماء الازرق ١ — وهو نمو بشكل العدسة ينمو في العين فيغشيها اولاً ثم يزيل نظرها . ولا يستطيع الطبيب استئصال هذه الغشاوة حتى يتم نموها وتصير صلبة وقد لا يتم ذلك الأ في سنة او سنتين . فعلى المصاب ان يتذرع بالصبر الجميل ويحتمل هذه المصيبة بالحزم والتأني . والعملية نفسها قصيرة المدة وسهلة الأ انها تستدعي حذقاً ومهارة من الطبيب . وهي ايضاً نظيفة لا تستدعي التحوطات الكثيرة اذ لا ينزف الدم منها . ويعطى المصاب شيئاً من الكوكايين قبل اجراء العملية فتتخدر اعصاب العين ولا يعود يشعر بالم البتة . واهم شيء في هذه العملية الاعتناء بالمصاب في الايام الاوائل بعد اجرائها فيجب ان تعصب عينيهِ وان يضطجع على ظهرهِ مستوياً ويتحاشى كل حركة عدة ايام . ولكي لا يحرك فكيهِ يعطى الاطعمة السائلة في الايام الاولى ثم الاطعمة اللينة كالخبز المبلول بالحليب او المرق او الرز او البيض وما شابه ذلك وعليهِ ان لا ينهض من فراشهِ في الايام الاولى فان اضطر الى ذلك فتقدم لهُ كرسي الفراش

ولا تنسَ ان تعطيهُ مسهلاً قبل اجراء العملية وان تحقنهُ قبل العملية ببضع ساعات

ويمكنك ان تصلح فراشهُ وهو عليهِ بان تزيحهُ من جانب الى آخر منهُ

ولا تنسَ في فعالك هذا ان تسند رأسهُ لكي لا ينزعج . واذا قلق في الليل وجعل يتقلب في فراشهِ ولا ينقطع عن الحركة فانزع عنهُ ثياب النوم والبسهُ غيرها واصلح لهُ فراشهُ فتعاودهُ راحتهُ اذا لم يكن يشكو المًا . وقد يشكو المًا في ظهرهِ فامدد يدك الى تحت ظهرهِ وافركهُ بالسبيرتو واصلح ثياب نومهِ والملاءة التي تحتهُ وفوقهُ فيستريح

ولا يجوز لاحد البتة ان ينزع رباط العينين الأ اذا كان طبيب العيون او ممرّضة خبيرة

الحمية — قد يصاب الجفن الاعلى من داخلهِ ببزور صغيرة تحتوي غالباً على مادة صديدية تسبب الهيجان والالم الشديد . واذا لم تنجح المعالجة في ازالة هذه البزور فعلى الطبيب ان يزيلها بالحك والكشط . ويسيل اثناء هذه العملية مقدار كبير من الدم ولذلك يحسن اتخاذ التحوطات اللازمة كمدّ غطاء من المشمع فوق الوسادة اثناء العملية وبعدها الى ان ينقطع الدم . ويشعر

المصاب بالراحة التامة حالاً بعد العملية اذ يزول النخز المؤلم المزعج للحال وعلى الممرضة ان تغسل الجفن بالماء الفاتر مراراً متعددة في اليوم الاول والثاني الى ان يزول الالتهاب . وقد يمسح الطبيب الجفن بعد ذلك بمحلول قوي من الزئبق

التراخيتوما (الشعرة) — من الامراض التي تصيب العين ان ينثني هدبها الى داخلها فينخزها نخزاً مستمراً يسبب فيها قروحاً ويحدث الماً مبرحاً . ولتقويم الهدب طرق مختلفة نتركها للطبيب لانها من عمله ولكنهُ اذا استعمل طريقة تطعيم الجفن من داخله فعلى المصاب ان يبقى هادئاً ويتحاشى كل حركة في الايام الاول بعد اجراء العملية . واني اعرف امرأةً ازالت بدموعها كل الاجزاء المطعمة في الليلة الاولى بعد العملية . وهنا اقول انهُ اذا كان الوسخ في سائر العمليات الجراحية يسبب تسمماً في الدم حتى قد يعقبهُ الموت فقلة النظافة في عمليات العين وتمريضها تؤدي الى العمى وفقد البصر من غير ريب فلا تستعمل الاَّ الماء النقي المغلى في آنية نظيفة

عملية استئصال اللسان

استئصال اللسان اذا كان لا بدَّ منهُ امر محزن جداً الاَّ انهُ قد يكون الواسطة الوحيدة لحفظ حياة المصاب وتخفيف آلام الموت . ولا يُقطع اللسان الاَّ اذا اصيب بداء السرطان . ومن كبار الاطباء من يستاصل اللسان استئصالاً كلياً اذا رأى عليهِ بقعة من السرطان لا يزيد حجمها عن حجم حبة العدس فينجي حياة المصاب من الموت الزؤام ويريحهُ من الآلام المبرحة . وينمو السرطان في اللسان بسرعة غريبة ويسبب اوجاعاً شديدة فيموت المصاب بهِ من الاختناق والجوع . فاذا علم المصاب ذلك تبين لهُ ان استئصال اللسان وان كان امراً محزناً مؤلماً فهو افضل واسهل واسطة لنجاتهِ من الموت ألماً وجوعاً واختناقاً

ومتى تمَّ اجراء العملية فلا يلقى المصاب على ظهرهِ مستلقياً بل يُسند بعدة وسادات حذراً من نزف الدم وهو صاعد الى الرأس

وهذه العملية خطيرة جداً وفيها مجال واسع للمرضة لتبدي خبرتها وحسن تصرفها . فيجب ان لا يترك المصاب وحدهُ في الايام الاول بعد اجراء العملية بل يُراقب بالمناوبة ليلاً ونهاراً حذراً من نزف الدم وعلى الممرضة التي تسهر على المريض ان تكون قد اخذت حاجتها من النوم والطعام والراحة والهواء النقي قبل السهر والاَّ فهي لا تصلح لذلك لانها قد تنام عند اشد الحاجة اليها عندما يكون النزف قد بدأ والمصاب تعرض لخطر الموت . وعليها ان تراقبهُ بدون ان تدعهُ يعلم ذلك فيمكنها مثلاً ان تأخذ كتاباً تقرأهُ او ثياباً تخيطها وتنظر اليهِ اثناء قراءتها او عملها مرة بعد مرةٍ

فاذا حدث النزف فارسل عاجلاً واعلم الطبيب بذلك واوضح له حقيقة الحال لكي يأتي مستعداً لعمل ما يجب عمله. واما انت فضع اصبعيك الاماميتين الوسطى والسبابة على اصل اللسان واضغط عليه وعلى الفك الاسفل حتى ينقطع النزف الى ان يأتي الطبيب. ومن الجراحين من يربط الشريان الكبير بخيط ويبقيه مربوطاً اياماً قليلة بعد اجراء العملية ففي مثل هذه الحال ليس على الممرضة الا ان تأخذ الخيط وتشده بتأنٍ

الطعام. يتناول المصاب الطعام في الايام الاول بعد اجراء العملية بطرق منها:

اولاً. ان يحقن في المستقيم اي القسم الاسفل من الامعاء بالسائلات المغذية كالمرق القوي والشاي والبيض واللبن او غير ذلك مما يصنعه له الطبيب وتجده في الاجزخانات

ثانياً. ان تدخل انبوبة من الكوتشوك في حلق المصاب وتسكب فيها الطعام السائل المغذي

ثالثاً. ان تدخل انبوبة دقيقة جداً من الكوتشوك في انف المصاب وتدليها الى حلقه وتسكب فيها الطعام السائل وهذا يستدعي الخبرة والحذاقة

فاذا استعملت طريقة الحقن في المستقيم فلا تنس ان تحقن بالماء الفاتر كل يوم

ويحفظ الفم نظيفاً بان يحقن مرات متوالية بمحلول خفيف جداً من برمنغنات البوتاسيوم المعروف بسائل كوندي او بمحلول الحامض البوراسيك. والا فان المواد الفاسدة التي تتجمع في الفم تعمل كالسم وتجعل الحياة في خطر شديد

اشهر المخللات

الخيار

الطريقة الاولى — ينتقى الخيار الصغير او المعتدل الحجم وينقع اسبوعاً في الماء الكثير الملح ثم يصب ماء الملح عنه ويغلى (الماء) ويصب عليه ثانية وفي اليوم التالي ينزع الخيار من ماء الملح ويوضع على منخل حتى يجف ويمسح ويوضع في زجاجة واسعة ويضاف اليه قليل من الحوارق كالزنجبيل والفلفل الحار والفلفل الاحمر ويصب عليه حالاً خل قوي وهو يغلي ويترك حتى يطيب في اناء مسدود

الطريقة الثانية — خذ اوقية من الزنجبيل المرصوص ونصف اوقية من الفلفل غير المدقوق وربع اوقية من الألسبيس واربعاً من كبش القرنفل وورقتين من غلاف جوز الطيب وقليلاً من الشفطة او الفلفل الاحمر الحار. وهذا المقدار من الزنجبيل والفلفل الخ يكفي لنحو اقة من الخل انقع الخيار الصغير في الماء والملح ثلاثة ايام الى اربعة ثم اخرجه من الماء والملح وامسحه

حتى ينشف وضعهُ في اناء كبير واغلِ الخل مع الزنجبيل والفلفل وسائر المواد المذكورة فوق وصبَّ منهُ على الخيار حتى يغمرهُ وغطهِ بورق العنب وضع صحفة او شيئاً ثقيلاً فوق ورق العنب حتى لا يظهر الخيار فوق الخل وضع الاناء الذي فيهِ الخيار والخل قرب النار او في مكان دافيء الليل كلهُ . وفي الصباح صب الخل عن الخيار واغلِ الخل وصبهُ على الخيار ثانيةً وغطهِ بورق جديد من ورق العنب واتركهُ حتى يبرد ثم اربط على وجه الاناء غشاء صفيقاً كالمثانة او نحوها او سدَّ الاناء اذا كان زجاجياً بفلينة والحمها بشمع الختم . والمراد منع الهواء من الدخول الى المخلل فيطيب جيداً في شهر من الزمان ويكون حاذقاً حاراً طيب الطعم كالمخللات الافرنجية . والالسبيس المذكور بين البهارات نوع من بهار جمايكا طعمهُ يشبه القرفة وجوز الطيب وكبش القرنفل معاً

المخلل الهندي

يؤخذ ست حصوص من الثوم وفجلتان من الفجل البري الحار (فجل الحصان) وربع رطل من الزنجبيل المرصوص واوقيتان من الفلفل الاسود غير المدقوق واوقية من قرون الفلفل الاحمر واوقية من الالسبيس و ١٢ كبشاً من القرنفل واوقيتان من بزر الخردل واوقية من جذر الكركم . وهذه البهارات تكفي لثلاث اقات من الخل . ثم يؤخذ من الكرنب (الملفوف) الابيض والقنبيط والفجل الافرنجي واللوبياء والخيار الصغير والبصل الصغير والفلفل (الثليفلاء) والكرسون (الجرجير) والفلفل الاحمر او الشفطة ما يراد تخليلهُ . ونقطع اوراق الكرنب قطعاً صغيرة وكذلك القنبيط وتوضع في اناء واسع ويذر عليها الملح وتترك فيهِ يومين ثم تنفض وتنشف وتوضع في اناء كبير لعمل المخلل ويوضع معها الثوم والكراث والزنجبيل حسب المقادير المذكورة فوق بالنسبة الى الخل ويغلى الخل الكافي لتغطيتها ويصب عليها اما المواد الاخرى كالخيار واللوبياء والبصل والفجل والفلفل الخ فتضاف الى الكرنب والقنبيط كلما امكن الحصول عليها ولا بدَّ من غسلها بالخل البارد قبل اضافتها الى اناء المخلل ويجب ان يغطيها الخل كلها حتى لا يبقى منها شيء ظاهراً فوقهُ . واذا لم يكن الخل كافياً واريد ان يضاف اليهِ خل جديد وجب ان يغلى قبلما يضاف . ومتى تم جمع كل المواد التي تريد تخليلها امزجها جيداً وضعها في زجاجات واسعة من غير الخل ثم اغلِ الخل وصبهُ عليها حتى تمتلئ الزجاجات واضف اليها البهارات بعد مزجها بالقليل من الخل البارد ويصب الخل على هذه المواد وهو غالٍ ومتى برد تسد الزجاجات سداً محكماً بالفلين وشمع الختم او بجلد المثانة لكي لا يدخلها الهواء . واذا اريد استعمال المخللات حالاً يغلى لها الخل مرتين اي يغلى اولاً ويضاف اليها ومتى برد يصب عنها

ويغلى ثانية ويعاد اليها . والاحسن ان يصنع هذا الخلل في سنة ويؤكل في التالية ويمكن حفظهُ سنوات كثيرة واكثر الخللات الافرنجية مصنوع على هذه الصورة



زراعة القطن

من مقالة للمستر فودن سكرتير الجمعية الخديوية الزراعية (تابع ما قبله)

اذا أُعدَّت الارض على ما تقدَّم في الجزء الماضي يشرَع في زرعها حالما تسمح احوال الجو بذلك من اواسط مارس الى اول مايو حسب الاقاليم وعندهم ان التبكير خير من التاخير واذا بكَّروا في زرع القطن جعلوا عمقهُ قليلاً جدًّا لكي تصل اليهِ حرارة الشمس . واذا بكَّر الزرع طالت مدة اقامتهِ في الارض وزاد جناهُ . والحال كذلك في القطر المصري على ما يظهر ولذلك اشتد الميل هنا الى التبكير

والقطن المزروع باكرًا ينمو بطيئًا ويكون نموُّهُ منتظمًا ويفرّع اكثر من القطن المتأخر على ما نظن لان الحر يكون قليلاً في صغرهِ فلا يميل الى الارتفاع الكثير كالقطن المتأخر وغلتهُ اكثر من غلة القطن المتأخر لانهُ يقيم في الارض اكثر منهُ

وتجلد الارض في اميركا في فصل الخريف ويخشى المزارعون من الجليد الاول والاخير لانهما يقتلان الزرع فاذا زرع القطن قبل تجلد الارض في فصل الربيع انضر منها وكذلك ينضرُّ اذا جاء الجليد في الخريف قبلما يجمع كلهُ

وحالة الجو في القطر المصري اصلح منها في اميركا وقد يبرد الهواء او يقع المطر بعد زرع القطن ولكن الغالب ان يكون الهواء موافقًا للقطن المبكر . ويقال في اميركا ان القطن المبكر لا يكون كثير الخشب ولا خشنًا كالقطن المتأخر

كيفية الزرع — ويزرع بزر القطن في اعلى المصطبة لا في جانبها كما في هذا القطر وذلك لان الارض لا تروى في اميركا كما تروى في القطر المصري بل تعتمد على المطر

فيشق اولاً تلم صغير في اعلى المصطبة عمقهُ عقدتان (بوصتان) او ثلاث ويلقى البزر فيهِ ويغطى بالتراب الى عمق عقدة او عقدتين ويشق هذا التلم بمحراث صغير يجرهُ بغل وكذلك تغطية البزر . ورجل ومعهُ بغل يزرع ٦ افدنة الى ثمانية في اليوم والزرع يكون بآلة خاصة تلقي البزر على

انتظام تام ويتم ذلك كلهُ في وقت واحد وبآلة واحدة تشق التلم وتضع البزر وتغطيهِ بالتراب وقد يكون بيد رجل آخر يجري وراء الحارث يضع البزر في التلم ويغطيهِ بالتراب . وآلة الزرع كعربة اليد يوضع البزر فيها وحينما يدور عجلها يفتح ثقباً صغيراً يقع البزر منهُ ثم يسيدهُ ثم يفتحهُ وهلم جرًّا

اما السود من سكان اميركا فلا يستعملون آلة الزرع (الزراعة) بل يضعون البزر في انبوب طويل من الصفيح طولهُ خمس اقدام او ست وهو واسع من اعلاهُ كالقمع فيحمل الزارع البزر في كيس كالمخلاة يعلقهُ بكتفهِ ويضع البزر منهُ في الانبوب فيقع رويدًا رويدًا في التلم ويغطى بواسطة لوح يجرُّ فوق التلم

والارض الجيدة التي لا تحتاج الى سماد كثير يمزج السماد لها مع البزر ويشترط ان يكون السماد قليلاً والاَّ اضرَّ بالبزر

وقبل استعمال آلة الزرع كانوا يزرعون بزر القطن كما يُزرع الآن في القطر المصري كانت النساء تزرعهُ فتزرع المرأة فدانًا كل يوم وذلك يقتضي استعمال بزرًا كثيرًا اكثر مما يستعمل بواسطة آلة الزرع اما آلة الزرع فتلقي البزر والبعد بينهُ عقدة عقدة ثم يخفف بعد ما ينبت

انتقاء البزر او التقاوي ضروري جدًّا فانهُ لا يمكن ان يكون محصول القطن جيدًا الاَّ اذا كانت تقاويهِ منتقاة ومن صنف واحد

ففي الوجه البحري من القطر المصري يزرع الآن ثلاثة اصناف من القطن وهي العفيفي والعباسي واليونوفتش فالبعض يزرعون صنفًا واحدًا والبعض صنفين والبعض يزرعون الاصناف الثلاثة فيصعب على المزارعين ان يبقوا هذه الاصناف مفصولة بعضها عن بعض واذا فصلوها في الزراعة لا يستطيعون الفصل بينها عند جنيها وتخزينها وكذلك يعسر الفصل بينها تمامًا في وابورات الحلج . ثم هب ان اصناف القطن فُصلت بعضها عن بعض فصلاً تامًا وزرع كل صنف على حدةٍ في طينين متجاورين فالنحل يحمل اللقاح من الصنف الواحد ويلقح بهِ الصنف الآخر فيتولد بينهما صنف ثالث وهلمَّ جرًّا

وينتقى البزر الان بواسطة غربال في وابورات الحلج يغربل الحبوب الضامرة من بين الحبوب الجيدة ولكنهُ لا يفصل صنفًا عن آخر

ولا شبهة ان بعض التجار ينتقون البزور من الجنية الاولى ويغربلونها بغرابيل خاصة وبزرهم احسن جدًّا من البزر غير المنتقى ولكن ما من احد منهم يعرض للبيع بزر القطن العفيفي ويحقق انهُ عفيفي صرف لا يخالطهُ بزر آخر وليس اللوم كلهُ على تجار البزر بل على المزارعين لانهم يمزجون القطن في زرعهم فلا يتيسر للتاجر ان يفرق بينهُ

وقد برع الاميركيون في انتقاء بزر القطن المعروف بالسي ايلند وبلغوا في تأصيلهِ حدًّا

فائقاً جداً فلا يختارون البزر (التقاوي) الا من الشجرات النامية الكثيرة اللوز الكثيرة التصافي حاسبين ان صفات الشجرة التي يختارون التقاوي منها تنتقل الى الاشجار التي تنبت من هذه التقاوي وقد تزيد جودة لان النبات اذا مال الى السير في طريق الجودة او الفساد زاد جودة او فساداً على توالي الاعقاب . فاذا كان منتقي البزر ماهراً عرف الجهة التي يكون النبات متجهاً فيها حتى اذا كان مائلاً الى الجودة قوّاها بالانتقاء حتى تصير صفة متمكنة فيهِ . وقد يختار من بزر الشجرة الواحدة ما تظهر فيهِ هذه الصفة دون غيره لانها لا تظهر في كل البزر على حدٍ سوى مثال ذلك البزر النظيف الذي لا يكون شعر القطن لاصقاً بهِ فانهُ قد يكون في الشجرة الواحدة بزرات قليلة نظيفة من شعر القطن وما بقي لاصق شعرهُ بهِ فيختار البزور النظيفة ويزرعها ويترك غيرها . ولذلك فانتقاء التقاوي يستلزم الوصول الى شجرات القطن كل شجرة على حدتها بل يستلزم الوصول الى اللوز لوزة لوزة والى البزر بزرة بزرة ولا يقتصر على الحوض او على الذراع منهُ

وقد ذكرتُ هذا الكلام مقدمة لما يفعلهُ الاميركيون في انتقاء تقاوي قطن السي ايلند الذي هو اجود انواع القطن كلها وثمنهُ مضاعف ثمن القطن المصري

لما أُدخل هذا القطن الى اميركا كان معمَّراً كالاشجار اي كان يبقى من سنة الى سنة ولم يكن لوزهُ ينضج في السنة التي يزرع فيها . فاول شيء قصد تغييرهُ فيهِ جعل لوزهِ ينضج في السنة التي يزرع فيها فشرعوا ينتقون التقاوي من الشجرات التي ينضج لوزها قبل غيره واستمروا على ذلك وعلى الاعتناء بالحرث والخدمة والسماد حتى ولّدوا صنفاً من هذا القطن ينمو سريعاً وينضج لوزهُ سريعاً وشعرتهُ على غاية الجودة

ولذلك فالقطن المعروف بالسي ايلند تولّد بالانتقاء وقد بلغ اعلى درجة بين اصناف القطن ولكن لا يمكن حفظهُ في هذه الدرجة الا بمداومة الانتقاء واذا اهملوا انتقاءهُ عاد نوعهُ ففسد وصار كما كان قبل الانتقاء لكن الذين يزرعونهُ يعلمون ذلك فلا يهملون امرهُ

ونحن في القطر المصري عندنا القطن الذي يتلو السي ايلند في الجودة ولكن الفرق كبير بين اهتمامنا بانتقاء تقاويهِ واهتمام الاميركيين بل يجب علينا ان نقول اننا لا نهتم اقل اهتمام بانتقاء تقاوي القطن . وفي السنوات الاخيرة اهتمَّ البعض بزرع اجود ما عندهم من البزر ولكن كثيرين لم يفعلوا ذلك فاجود ما عندنا من القطن حقير جداً من جهة التقاوي

ثم اذا نظرنا الى القطن في حوض واحد فاننا نجد فرقاً بين شجراتهِ ولو كانت من صنف واحد وكانت صفاتها العامة مشتركة فنجد ان بعضها ينضج قبل البعض وبعضها ينمو اكثر من البعض وبعضها يفرّع اكثر من البعض ولوز بعضها اكبر من لوز البعض الآخر وهذا الاختلاف

بين الشجرات المختلفة هو اساس الانتقاء فنختار التقاوي من الشجرات التي رأينا فيها الصفات المطلوبة فاذا اردنا قطناً فيهِ صفة مخصوصة وجب ان نفتش عن الشجرات التي فيها تلك الصفة مثال ذلك اذا اردنا كبر المحصول وجب ان نفتش عن الشجرات التي فيها لوز اكثر من غيرها لان التقاوي المأخوذة منها ينتظر ان يكون محصولها اكثر من محصول التقاوي المأخوذة من غيرها · واذا اريد جودة القطن لا كثرة محصولهِ تنتقى التقاوي من اللوزات التي قطنها اجود من قطن غيرها فيكون قطن الشجر النابت منها اجود من قطن غيرهِ · واذا اريد التبكير في المحصول تختار التقاوي من اللوزات التي تنضج قبل غيرها فينتظر ان الشجرات التي تنبت منها تنضج قبل الشجرات التي تنبت من تقاوي اخرى · وكما ان الفرس الاصيل تنتج خيولاً اصيلة كذلك القطن الجيد يتولد منهُ نبات ينتج قطناً جيداً

ويقصد في انتقاء التقاوي الى غرضين مهمين الاول الحصول على المقدار الاكبر من القطن والثاني الحصول على النوع الاجود منهُ ولا يمكن اختيار الامرين معاً في وقتٍ واحد ولكن اذا زرعت اجود انواع التقاوي التي يمكن الحصول عليها ثم أُخذت التقاوي من الشجرات التي كان منها المحصول الاكبر فالمنتظر ان يكون محصولها كبيرًا وجيدًا والقاعدة المطردة ان يفتش المزارع عن كبر المحصول مع جودتهِ والطريقة المتبعة في اميركا لانتقاء التقاوي هي هذه

تختار قطعة من اجود انواع الارض الصالحة للقطن ويزرع فيها اجود انواع التقاوي التي يمكن الحصول عليها وتخدم احسن خدمة وتسمد باحسن سماد ثم يفحص شجرها شجرة شجرة من حيث كثرة اللوز وكبرهِ وشكل الشجر ويختار اجودها ولنفرض الشجرات المختارة بلغت خمسين شجرة فتوضع لها علامات تعرف بها · ثم يمر عليها ثانية ويختار من هذه الخمسين شجرة خمساً وعشرين اجودها ويوضع عليها اعداد من ١ الى ٢٥ وحين الجمع يجمع قطن كل شجرة على حدة ويوضع بزر كل شجرة وحدهُ ويوزن ويُقابل بعضهُ ببعض وينتقى اجودهُ ويوضع في أكياس خاصة بحيث يكون بزر كل شجرة في كيس على حدة · هذا هو انتقاء السنة الاولى

وفي السنة الثانية يزرع بزر كل شجرة من هذه على حدة والغالب ان بزر الشجرة الواحدة يبلغ من ٥٠٠ الى ٢٠٠٠ ومتى كبر الشجر النابت منهُ وبلغ اشدهُ يمرُّ المنتقي عليهِ ويفتش عن الصفات الخاصة التي كانت في النبات الاصلي ليرى هل هي ظاهرة في النبات المتولّد من بزرهِ فاذا وجدها ظاهرة اختار التقاوي منهُ والاَّ اهملهُ والشجرات التي ظهرت فيها الصفات المطلوبة تدل على ان تلك الصفات قوية فيها والغالب ان تؤخذ الشجرة التي ظهرت فيها تلك الصفات على اشدها وتؤخذ التقاوي منها وما بقي من الشجرات التي من صنفها يحلج وحدهُ ويزرع بزرهُ

وحده وهو يكفي خمسة افدنة في السنة الثالثة اي ان الشجرة التي تنتقى في السنة الاولى يخرج منها من التقاوي في السنة الثانية ما يكفي لزرع خمسة افدنة في السنة الثالثة

وفي السنة الثالثة يزرع بزر الشجرة التي انتقيت في السنة الثانية وحده ويدقق النظر في الشجر الذي يتولد منهُ فاذا ظهرت الصفة المطلوبة فيهِ كلهِ أُخذت التقاوي من اجود شجراتهِ والاَّ اخذت من اجود شجرة فيهِ وبزر الشجرات الباقية يستعمل تقاوي لجانب من الارض وتختار منهُ تقاوي بقية الاطيان للسنة الخامسة اما تقاويها في السنة الرابعة فتكون من محصول الخمسة افدنة المذكورة آنفاً

وفي السنة الرابعة تزرع تقاوي الشجرة الوحيدة التي اختيرت في السنة الثالثة في مكان خاص وتختار التقاوي من احسن شجرة تنبت منها وهلمَّ جرًّا

لنفرض ان رجلاً يزرع القطن في خمسين فدانًا فيكون انتقاؤُه للتقاوي على هذه الصورة

السنة الاولى	السنة الثانية	السنة الثالثة	السنة الرابعة	السنة الخامسة
تختار شجرة واحدة	يزرع منها ٥٠٠ شجرة	يزرع منها خمسة فدن	يزرع منها ٥٠ فدانًا	
	تختار شجرة واحدة من الخمس مئة	يزرع منها ٥٠٠ شجرة	يزرع منها خمسة فدن	يزرع منها ٥٠ فدانًا
		تختار شجرة واحدة من الخمس مئة	يزرع منها ٥٠٠ شجرة	يزرع منها ٥ فدن
			تختار شجرة واحدة من الخمس مئة الخ	يزرع منها ٥٠٠ شجرة
				تختار شجرة واحدة من الخمس مئة الخ

ولا بدَّ من اختيار اكثر من شجيرة واحدة اذ قد يحدث احيانًا ان التقاوي الناتجة من الشجيرة لا تكون جيدة مثلها بل تكون دون المتوسط ولذلك يحسن ان يختار كل مرة عدة شجيرات وتؤخذ التقاوي من بزورها فاذا اخذت خمس شجيرات في السنة الاولى حصل منها تقاوي كافية لزرع ٢٥ فدانًا في السنة الثالثة

وقد بلغ قطن السي ايلند مبلغًا فائقًا جدًّا من الجودة حتى لقد يباع القنطار من الجيد منهُ باربعين ريالاً او خمسين حينما يباع القنطار من باقي قطن السي ايلند بعشرين او خمسة وعشرين ريالاً

واذا كان المزارعون في مصر لا يستطيعون هذا الانتقاء وجب ان يفعلهُ غيرهم لهم ومع ذلك نشير بطريقة اسهل مراسًا وسيأتي وصفها في الجزء التالي

ثمن القطن المصري

نكتب هذه السطور وقد بلغ ثمن قنطار القطن في الكنتراتات ١٩ ريالاً او اكثر والمظنون انهُ يبلغ عشرين او يزيد عليها . ويظهر من ارتفاع سعرهِ المتدرج انهُ ارتفاع تجاري يقصد بهِ ابقاؤُهُ على هذه الدرجة او على ما يقاربها ولذلك لا عجب اذا بيع القنطار من الموسم المقبل باربعة جنيهات او اكثر كما بيع هذا العام ولو جاد المحصول الاميركاني لان الصعوبة التي تجدها المعامل الآن في رفع ثمن مصنوعاتها تقلُّ رويدًا رويدًا اذ يألف الناس زيادة غرشين او ثلاثة في ثمن الليبرة من القطن المغزول والمنسوج كما الفوا ثمن القطن لما بلغ اضعاف ما بلغهُ الآن وقت حرب اميركا

ثم انهُ اذا تضاعف ثمن القطن لا يتضاعف ثمن المنسوجات لان جانبًا كبيرًا من ثمن المنسوجات اجرة عمال وهذه الاجرة تختلف من خمسين في المئة الى اكثر من مئة في المئة فاذا كان ثمن بضاعة مئة غرش وكان ثمن قطنها الاصلي ثلاثين غرشًا ثم تضاعف ثمن القطن فصار ستين غرشًا يكون ثمن تلك البضاعة قد صار مئة وثلاثين غرشًا فقط اي زاد ثلاثين في المئة لا مئة في المئة كما زاد ثمن القطن

ولا يخفى انهُ اذا غلا القطن كثر الراغبون في زرعهِ في كل مكان يمكن زرعهُ فيهِ ولكن لا ينتظر ان يرخص ثمنهُ كثيرًا حينئذٍ لاسباب كثيرة منها ان خدمة القطن كثيرة النفقات فلا يستطيع زارعهُ ان يبيعهُ بثمن بخس الاَّ اذا زرعهُ في ارض جيدة قريبة من مراكز التجارة حتى يسهل نقلهُ اليها و يقتضي ان تكون صالحة لزراعتهِ صلاحية غير عادية والاَّ فلا

ربح منهُ فان الاراضي الاميركية التي الف الاميركيون زرع القطن فيها لم يبلغ متوسط محصوله فيها قنطارين حتى الآن . وكان الزراعون في فقر مستمر قبل ارتفاع اسعاره فاذا هبطت الاسعار ثانيةً ساءت حالهم ولم يعودوا يستطيعون زرع ما يزرعونهُ منهُ الان

ثم ان القطن الجيد الذي مثل القطن المصري لا يسهل الوصول اليهِ في بلاد اخرى الاَّ بعد سنين كثيرة او لايمكن الوصول اليهِ مطلقاً فيبقى لهُ المقام الاول بعد قطن السي ايلند في الدنيا كلها

طاعون المواشي والتعويض عنها

لم تبقَ شبهة في ان طاعون المواشي فتك بمواشي القطر المصري اكثر كثيراً مما بلغ مصلحة الصحة . ويقدّر الخبيرون انهُ فتك حتى الآن بمئة وخمسين الفاً على الاقل اي بنحو عشر كل المواشي التي في القطر وكان فتكهُ في بعض الاماكن ذريعاً جداً حتى انهُ لم يبقِ على ثور ولا على بقرة فيها . وقد خفّت وطأتهُ قليلاً ولكنهُ اذا استمرَّ شهرين آخرين على ما هو عليهِ الآن فتك بخمسين الفاً اخرى من المواشي

ويفكر ارباب الزراعة في طريقة تقوم مقام المواشي التي تنفقت فيظن البعض انهُ يمكن جلب المواشي من السودان ولكن مواشي السودان غير كثيرة كثرةً تمكن من جلب المقدار الكثير منها وهي معرضة لهذا الداء مثل مواشي القطر المصري او اكثر

ويفكر غيرهم بجلب المواشي من جهات سورية وبر الاناضول ولكن بلغنا الآن انهُ ظهر مرض مثل طاعون المواشي في سورية وفي بر الاناضول ايضاً ولا يحتمل ان تكون تلك المواشي مما لا يصاب بهذا الطاعون

وقد اتجهت افكار المزارعين الكبار الى المحاريث البخارية . والشائع من هذه المحاريث الآن محراث فولر المؤلف من وابورين يقفان على جانبي الدواع ويجران المحاريث ذهاباً واياباً ويتقدمان قليلاً ثم يجرانها وهلمَّ جرَّا . وهذا المحراث غالي الثمن جداً يبلغ ثمنهُ من ثلاثة آلاف الى ثلاثة الآف وخمسمائة جنيه ونفقاتهُ كثيرة ومقدار ما يحرثهُ من الارض في الساعة ليس كثيراً وتقلُّ نفقات الحرث بهِ عن نفقات الحرث بالمواشي ولكن ليس كثيراً ولا يمكن استعمالهُ الاَّ في الزراعات الواسعة جدًّا وحيث يمكن انشاء السكك لسيره

وقد جُرّب محراث آخر يسير في الاراضي الزراعية و يعزقها عزقاً فتخطط بعد ذلك بمحراث بلدي تجرهُ المواشي فوفق بالغرض في الاراضي الجافة

واتبه البعض الآخر الى المحاريث المختلفة المستعملة في اميركا . فان اميركا بلاد زراعية تكتسب من الزراعة اكثر مما تكتسب غيرها من البلدان واجور الناس فيها غالية جداً فاستخدمت الآلات البخارية في اكثر الاعمال الزراعية وفي جملتها حرث الارض وصنعت محاريث مختلفة الاشكال والاقدار مما قوتهُ عشرون حصاناً الى ما قوتهُ مئة حصان ومما يحرث فداناً في الساعة الى ما يحرث عشرة افدنة ومما ثمنهُ خمس مئة جنيه الى ما ثمنهُ الفا جنيه . واراضي اميركا الزراعية مختلفة الاشكال والاوضاع ولكن قلما تكون اسهل من اراضي القطر المصري واخلى منها من الحجارة وجذور الاشجار وكل العوائق التي تعيق المحاريث البخارية . فاذا كانت المحاريث البخارية تفلح فيها فليس ما يمنع فلاحها في القطر المصري على ما يظهر . واذا ثبت بالامتحان انها تحرث الارض ولو لزرع الغلة والذرة وفت بأكثر المراد ونجا بها القطر من بلية تتهددهُ بالخراب

باب التقريظ والانتقاد

الخواطر العراب في النحو والاعراب

كنا بالامس نتأفف من كتاب في علم الصرف والنحو وآخر للمطالعة اختارتهما نظارة المعارف المصرية للتعليم في مدارسها والمدارس الجارية مجراها . وقد اعطيا لولد عمرهُ اثنتا عشرة سنة وتكاد معانيهما ان تكون مغلقة علينا بعد ان مارسنا هذه اللغة تعلماً وتعليماً وكتابة وتحريراً السنين الطوال ولكن لم يطل تأففنا حتى جاءنا البريد بالملازم الاولى من كتاب في علم النحو وضعهُ صديقنا الفاضل الاستاذ جبر ضومط استاذ العربية في المدرسة الكلية في بيروت فاذا هو قد جرى فيهِ مجرى اقليدس في كتاب الاصول ومجرى الحسابيين في كتب الحساب والجبريين في كتب الجبر يتقدم من البسيط الى المركَّب ومن الجزئي الى الكلي بعبارة بسيطة يدرك الطالب معناها من غير مرشد وعلى اسلوب كثير الاسهاب والتمارين المنتقاة حتى ترسخ القواعد في الذهن وتصير اللغة الفصحى ملكة في اللسان كما يظهر من الامثلة التالية المنقولة عن هذا الكتاب

في احكام المعربات بالحركات

وهي الاسم المفرد — ويُرفَع بالضمَّة كقولك : زارني رجُلٌ عالِمٌ : ويُنصَب بالفتحة

كقولك: رَأَيتُ رجلاً عالمًا: ويجرُّ بالكسرة كقولك: تعرَّفتُ برَجُلٍ عالمٍ الاَّ ما لا ينصرف فانهُ يجرُّ بالفتحة

وجمع التكسير — ويُرْفَع بالضمَّة كقولك زارني رجالٌ لا أعرفُهم: ويُنصَب بالفتحة كقولك: رأيتُ رجالاً لا اعرفهم: ويجرُّ بالكسرة كقولك: مررتُ برجالٍ لا أعرفُهم: الاَّ ما لا ينصرف فانهُ يجرُّ بالفتحة.

وجمع المؤنث السالم — ويُرْفع بالضمَّة كقولك هُنَّ مؤمناتٌ باللهِ كافراتٌ بالطَّاغوتِ: ويُنصَب ويجرُّ بالكسرة كقولك: لم أرَ مؤمناتٍ باللهِ وهُنَّ غيرُ كافراتٍ بالطاغوتِ. ولم أرَ من نساء فاضلاتٍ مهذَّباتٍ تقيَّاتٍ كهندٍ وأُختيها:

في التنوين

قُلتَ في الاسم المفرد إنهُ يُرْفَعُ بالضمَّة ورأَينا عليهِ فيما مثلتَ بهِ ضمتين. ويُنصَب بالفتحة ورأَينا عليهِ فتحتينِ. ويجرُّ بالكسرَة ورأَينا عليهِ كسرتينِ وهكذا فيما جاء من امثلة جمع التكسير وامثلة جمع المونث السالم فكيف ذلك ؟

والجواب انَّ الاولى من هاتين الضمتين او الفتحتين او الكسرتين هي علامة الاعراب واما الثانية فهي في اصطلاح الكتابة نون ساكنة زائدة في آخر الاسم المعرب وتسمَّى تنويناً. وعليهِ فاللفظان (رَجُلٌ عالِمٌ) في المثل الاوَّل و(رَجُلاً عالمًا) في المثل الثاني و(رجلٍ عالمٍ) في المثل الثالث لو كتبا كما يلفظان لكتبا هكذا رَجلُنْ عالمُنْ. رَجلَنْ عالمَنْ. رَجلِنْ عالمِنْ. فالضمة علامة الرفع والفتحة علامة النصب والكسرة علامة الجرّ والنون الساكنة هي التنوين الاَّ ان اصطلاح الكتابة لا يجوّز اصلاً ان تكتب بصورتها الحرفية بل بتكرار رسم الحركة المقترنة بها

فان قلت فمن اين جاءت الأَلفُ في قولك رايتُ رجلاً عالمًا قلنا ان من اصطلاح الكتابة الذي لا يجوز الاخلال بهِ ايضاً ان تزيد الفًا بعد التنوين في الاسم المنصوب الاَّ ان يكون آخرهُ تاءٌ مربوطةً او همزةً بعد الف فان الالف يمتنعُ زيادتها حينئذٍ ويكتب التنوين بتكرار رسم الحركة فقط كقولك: رايتُ في زيدٍ شدَّةً او حدةً او قوَّةً او رزانةً او خفةً. وشربتُ ماءً او دواءً وكانوا اعداءً وكتبتُ تاءً او هاءً: وهلمَّ جرًّا.

العائد على الموصول

هو الضمير الذي يرْجع من الصلة الى الموصول. وهو ممَّا لا بدَّ منهُ فانَّ قولك: جاء من سفرهِ من يركنُ زيدٌ: جملة لا تحصلَ لما خلوِّها من العائد. فاذا زِدتَهُ فيها بأَن قلتَ: جاء من سفرهِ من يركنُ زيدٌ اليهِ: استقامت وتمَّ معناها

والاصل في العائد ان يكون ضميرًا غائبًا الاَّ انهُ اذا وقع الموصول خبرًا عن متكلمٍ او مخاطبٍ جاز فيهِ اي في العائد ان يكون غائبًا فيطابق لفظ الموصول كقولك : نحن الذين مصَّروا الامصار . وانتم الذين شادوا مجدًا لم يشدهُ غيرهم : وجاز ان يكون متكلمًا او مخاطبًا فيطابق معناهُ كقولك : نحن الذين مصَّرنا الامصار . وانتم الذين شدتم مجدًا لم يشدهُ غيركم : ومثل الاخبار عن مخاطب ان يقع منادًى او تابعًا لمنادًى فاعلم ذلك

تمرين مطلوب فيهِ

(١) ان تعين العائد في الصلة (٢) ان تعين المواضع التي يجوز فيها ان يطابق العائد لفظ الموصول ومعناهُ (٣) ان تذكر ايهما طابق (٤) ان تذكر الصورة الاخرى الجائزة واليك الامثلة الآتية

(١) الذي يزرعهُ الانسانُ اليومَ يحصدهُ غدًا

(٢) ما انتمُ الذين يهربون من الحق

(٣) ايها الذي تتكاسل في الشبيبة قل لي متى تجتهد

(٤) انا الذي تعرفهُ يا حارث

(٥) يا ذا الذي ولدتك أُمك باكيًا والناس حولك يضحكون سرورا

(٦) يا من تبدل كل يوم حلة أَنّى رضيت بحلةٍ لا تنزعُ

(٧) وانتِ التي كلفتني دلج السرَى وجُون القطا بالجهلتين جثومُ

وانتِ التي احفظتِ اهلي فكلهمُ بعيد الرضى داني الصدود كظيمُ

والجهلتين اسم مكان . وجثوم جمع جاثم . واحفظ اغضب

(٨) انتم الذين تتمنون ولا تفعلون ونحن الذين لا نتمنى ونفعل

(٩) اتقِ الله في نفسك يا من تعلّمُ ولا تتعلمُ وتعظ ولا تتعظُ

(١٠) ياذا الذي خط العذار بخدهِ خطين هاجا لوعةً وبلابلا

ما كنتُ اقطعُ ان لحظكَ صارم حتى رأَيتَ من العذار حمائلا انتهى

والكتاب كلهُ على هذا النسق من البسط والابانة وقد طُبعت فيهِ القواعد بحرف كبير والشروح والامثلة والتمارين بحرف اصغر منهُ وضُبط كلُّ ذلك بالشكل حتى لا يخفى شيء على الطالب فصار في المدرسة الكليَّة الآن ثلاثة كتب على هذا النسق كتاب طيب العرف في فن الصرف لسعيد بك شقير وداود افندي افتيموس وهذا الكتاب والخواطر الحسان في المعاني والبيان وهو للاستاذ ضومط ايضًا

مجموعة لجنة حفظ الآثار العربية

هي المجموعة السابعة عشرة عن سنة ١٩٠٠ ومن فوائدها الكثيرة وصف مدفن شجرة الدر زوجة السلطان نجم الدين الايوبي فانها اخفت وفاة زوجها سنة ١٢٤٨ لما كانت رحى الحرب دائرة بين المصريين والصليبيين ما بين دمياط والمنصورة الى ان حضر ابنهُ الملك المعظم توران شاه من الشام لكنهُ قُتل بعد مجيئهِ فاقرّ رجال الدولة على تمليكها. وهي اول ملكة في الاسلام ولكن حكمها لم يطل لان الخليفة المستنصر بالله لم يقلدها الملك فتنازلت لعز الدين ايبك وتزوجت بهِ وبقيت السلطة في يدها وكانت الآمرة الناهية. واراد عز الدين ان يتخلص منها فتخلصت منهُ وقتلهُ خصيانها سنة ١٢٥٧ فاغتاظ منها امراء المماليك وملكوا نور الدين علي بن ايبك من احدى حظاياهُ فقبض عليها وسلمها لامهِ وهي سلمتها لجواريها فجعلن يضربنها بالقباقيب حتى ماتت وطرحت جثتها في خندق القلعة فاكل الكلاب نصفها ثم دفن النصف الباقي بقرب مشهد السيدة نفيسة على ما قالهُ ابن اياس

ولم يزل مدفنها هناك وهو يحتوي على قاعة مربعة تعلوها قبة قالبها من اقدم القوالب المعروفة بمصر وداخل القاعة حنايا مجوفة او صفف تشتمل على اشكال حلزونية متداخلة في حروف الكتابة وفي صفة المحراب فسيفساء من قطع صغيرة وزجاج احمر وازرق مذهب وهي الفسيفساء البزنطية الحقيقية فهي من اتقن ما يوجد من نوعها في القطر المصري ولا مثيل لها الأ في جامع ابن طولون والمدرسة الطيبرسية والمدرسة الاقباغية في الجامع الازهر

وبعد شرح طويل لما في هذه القاعة استنتج كاتب هذا الشرح ان شجرة الدر بنت هذا المدفن لنفسها سنة ٦٤٨ للهجرة (١٢٥٠ للميلاد) وتولتهُ يد التخريب والتدمير بغضاً لها وانتقاماً منها ثم قام من اراد احياء ذكرها فاصلح فيهِ وكتب كتابات اخرى

وفي المجموعة ثلاثة رسوم لمدفن شجرة الدر ورسوم اخرى لغير ذلك من الآثار وهي غاية في الاتقان

سياحة في مصر

Journal for an Egyptian Tour by Col. S.B. Bevington V.D., J.P.,

انسنا في الشتاء الماضي بلقاء الكولونل بفنجتون وكان قد جاء الى القطر المصري سائحاً ولم يخطر لنا انهُ من ارباب الاقلام حتى اهدى الينا هذا الكتاب وقد جعلهُ رسائل اثبت فيها ما رآهُ في هذا القطر وما استنتجهُ من نجاحهِ وذلك بعبارة سلسلة منسجمة

كتاب التمرين

على التبيان والتبيين

هو فصول منتقاة من كتب الادب العربية او منسوجة على منوالها وكلها من بدائع الانشاء ولطائفهِ مثال ذلك فصل عن الارنب قيل فيهِ

الارنبُ واحدةُ الأرانب وهو حيوان يشبه العناقَ قصيرُ اليدين طويلُ الرجلين عكس الزرافة يطأُ الارضَ على مؤخَّر قدميهِ وهو اسم جنس يطلقُ على الذكر والأُنثى وانما يميز باسم الاشارة كالعقاب فيقالُ للذكر هذا الأرنبُ وللأُنثى هذه الأرنبُ

ومن امثالهم المشهورة المتعلقة بالأرنب قولهم: "في بيتهِ يؤتى الحكَم" وهو مما زعمتهُ العربُ على أَلسنة البهائم

قالوا إنَّ الأرنبَ التقطت تمرةً فاختلسها الثعلب فأكلها — فانطلقا يختصمان الى الضبِّ — فقالت الأرنب يا ابا حِسْل قال سميعاً دعوتِ

قالت أتيناك لنختصم اليك قال عادلاً حكيماً

قالت فاخرج الينا قال في بيتهِ يؤتى الحكَم

قالت إني وجدتُ تمرة قال حلوةً فكليها

قالت فاختلسها الثعلبُ قال لنفسهِ بغى الخير

قالت فلطمتهُ قال بحقكِ أَخذتِ

قالت فلطمني قال حرٌّ انتصر لنفسهِ

قالت فأَقضِ بيننا قال قد قضيتُ

والكتاب كلهُ على هذا النسق وقد عني بجمعهِ العلاَّمة المحقق الشيخ طاهر الجزائري وجعل ثمنهُ غرشاً ونصفاً لا غير تسهيلاً لاقتنائهِ

تدريب اللسان

على تجويد البيان

لقد احسن حضرة العلامة المحقق الشيخ طاهر الجزائري في تأليفهِ هذه المختصرات القريبة المأخذ لتلامذة المدارس كما احسن حضرة الفاضل احمد افندي حسن طبارة في طبعها ونشرها وقطعهِ لها ثمناً رخيصاً جداً . وقد جمع هذا الكتاب زبدة ما في صحف المتقدمين عن تجويد القراءة والبيان ورجع في مخارج الحروف الى ما قالهُ المتقدمون واقتصر عليهِ وقال " ان اللازم

على من اراد ان ينطق بحرف على وجههِ ان يتلقاهُ عن اهل هذا الفن فانهُ لم تجتهد فرقة في فنهم مثل اجتهادهم ولا اتصل اسناد فرقة في امر مثل اتصال اسنادهم وقد صرَّح سيبويه في كتابهِ بان الحروف لا تتبين الاَّ بالمشافهة فلا يتيسر النطق بحرف بمجرد البيان والوصف وهذا ظاهر للعيان عند اهل كل لسان". الاَّ ان ابناء هذا العصر اتصلوا الى وصف مخارج الحروف وصفاً تشريحيًّا مع تصوير اجزاء الحلق التي تستخدم في لفظها. والظاهر ان المؤلف يحسب لفظ الجيم كان اصلاً كما يلفظهُ المصريون لا كما يلفظهُ السوريون فقد قال انها "من الحروف الشديدة التي تنحصر اصواتها في مخارجها انحصاراً تامًّا فلا تجري جرياناً سهلاً كما في الثلج فانك اذا وقفت عليها تجد صوتها محصوراً حتى لو رمتَ مدَّ صوتك لم يمكنك والحروف الشديدة ثمانية يجمعها قولك (اجد قط بكت)" وواضح ان الجيم كما يلفظها السوريون رخوة مثل الشين او بين بين مثل الراء فحبذا لو اسند المؤلف ما قالهُ عنها فيكون ذلك فصل الخطاب في مسألة طال الخلاف فيها

البابية

كتب الينا الحاج حسينقلي جديد من بغداد يقول "كنت يوماً عند السيد شكري افندي الوسي زاده فتذاكرنا في احوال الملل والاديان حتى انتهى حديثنا الى فرقة البابية فقال ان جريدة المقتطف قد ذكرت فصلاً من فضائلهم واتى بمجلة من مجلاتها وقرأ عليَّ فعجبتُ من كاتب تلك السطور كيف غشَّ صفحات المقتطف المقدَّسة باكاذيب نزهة واباطيل مشوهة. والفقير الى الله كنتُ من اهل افتقار وحققت امور البابية وجمعت كتبها ورسائلها ثم كتبت كتاباً اسمهُ منهاج الطالبين فارسيًّا وعربيًّا فطلب اليَّ مولانا شكري افندي ان ارسل نسخة منهُ الى حضرتكم لتطلعوا عليهِ وتصلحوا ما نشرتموهُ عن البابية خطأً"

هذا وقد وصلنا الكتاب وفيهِ فصول كثيرة عربية يقول انها منقولة عن كتب البابية حرفاً حرفاً فان كان النقل صحيحاً فهي من اغرب ما قرأناهُ مثال ذلك "بسم الله الابهى الابهى بالله الله البهي البهي الله لا اله الاَّ هو الابهى الابهى الله لا اله الاَّ هو البهي البهي الله لا اله الاَّ هو المبتهي المبتهي الله لا اله الاَّ هو هو المبهي المبهي .... قل الله ابهى فوق كل ذي بهاء من يقدر ان يمتنع عن بها بهيانهِ من احد لا في السموات ولا في الارض ولا ما بينهما انهُ كان بهاء باهياً بهيًّا قل الله ابهى فوق كل ذي ابهة لن يقدر ان يمتنع عن بهى بهيان ابتهائهِ من احد" وهلمَّ جرًّا. ومثالهُ في صنعة الاكسير "قل ولتمكنَّ ما يقولون الاعجمون في اسمهِ عدد الديَّان فان هذا ممَّا انتم بهِ الذهب تشهدون قل لهُ ورق قدر ذلك الخاتم بل اصغر

عليهِ حيوان صغير مر وان ذلك الحيوان اكسير لما يخلق من ذلك الورق في الجبال انتم تشهدون" والمقتبسات كثيرة وكلها على هذا النسق والعجب العجاب في انها منقولة عن كتب قوم رأينا بينهم اناساً اذكياء العقول واسعي الاطلاع ماهرين في اساليب المعاملات

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسألتهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) جحود الفلاسفة

مصر. ج. ا. نرى ان اغلب الفلاسفة رجعوا بعد الجحود الى الاعتراف بوجود الخالق عزَّ وجلَّ فهل هم مساقون الى ذلك بعامل المداراة او باعتقاد حقيقي ثابت امتحنوهُ قبل ان جاهروا بهِ وما هي اقوالهم في الاثبات

ج انا لا نعرف فيلسوفاً كان جاحداً ثم اعترف بوجود الله حتى نجيبكم عمَّا طلبتم لكن من الفلاسفة من قال مثل هربرت سبنسر ان العقل البشري لا يدرك وجود الله ومات على هذا القول. ومنهم من قال مثل هكسلي انهُ لم يجد دليلاً يقنعهُ بوجود الله او يقنعهُ بعدم وجودهِ ومات على هذا القول. والرجلان كانا مثالاً في الاستقامة وهما اكثر الفلاسفة تطرفاً في الجحود وما منهما من انكر وجود الله وغاية ما انكراهُ الدعوى بانهما يدركان وجودهُ ويعرفان شكلهُ وصفاتهِ وما يقولهُ في قلبهِ وما ينويهِ للناس في الدنيا والآخرة من خير وشر

(٢) دوران الارض والانهر

ومنهُ. ع. ان دوران الارض على محورها سبب لاعتداء نهر النيل على ضفتهِ الشرقية وهذا لكونهِ آتياً من الجنوب الى الشمال فما قولكم في الانهر التي تجري من الشرق الى الغرب ومن الغرب الى الشرق وما حالتها مع دوران الارض

ج اذا كان جريها من الشرق الى الغرب توَّاً او من الغرب الى الشرق فلا يؤَثر فيها دوران الارض اقل تأثير لان ماءها يجري في عرض واحد ولكنها اذا انحرفت شمالاً او جنوباً أثَّر فيها دوران الارض بعض التأثير على ما تقدم في الجزء الماضي

(٣) دين مصر

المنيا . حنا افندي بطرس . في ايام مَن من الخديويين بدأ الدين المصري وكم المطلوب لكل دولة الآن

ج ابتدأ الدين المصري في عهد سعيد باشا و بلغ نحو ثلاثة ملايين جنيه قبل وفاته ثم زاد في ايام اسمعيل فبلغ ٩٤ مليون جنيه وهو ليس لدولة من الدول بل سنداته شائعة تباع في السوق لكل مشترٍ ولكن للفرنسويين والانكليز الجانب الاكبر منها ولا سيما لبيت روشيلد الفرنسوي والانكليزي ويتلوهم الروسيون فان لهم جانباً كبيراً ايضاً

---

(٤) هل العمر محدود

كندا . الخواجه جرجس حنا جرجور الماردينيهل عمر الانسان محدود او غير محدود

ج هو محدود بمعنى انهُ مفعول للفواعل التي تعمل بهِ وهذه الفواعل جارية على سنن ثابتة لا تتغير . وغير محدود بمعنى انهُ لا يبقى على حالة واحدة بل يزيد متوسطهُ بزيادة الاعتناء بالصحة ومعالجة الامراض . فالذين لا يعتنون بصحتهم ولا يعالجون امراضهم متوسط عمرهم عشرون سنة او اقل فلا تزيد مواليدهم على وفياتهم ولذلك لا يزيد عددهم بل يبقى على حال واحدة عاماً بعد عام وقرناً بعد قرن او يقلُّ عددهم بزيادة الوفيات على المواليد كما حدث في القطر المصري منذ مئات من السنين الى نحو اربعين سنة مضت . والذين يعتنون بصحتهم ويعالجون امراضهم تقل وفياتهم وتزيد مواليدهم عليها فينمون ويكثرون كما كثر الانكليز والالمان وكما كثر المصريون حتى كادوا يتضاعفون منذ خمس وعشرين سنة الى الآن

---

(٥) المعيشة وطول العمر

دمشق . السيدة سوره دمر . هل للمعيشة في حالة الحضارة تأثير في طول العمر او قصره اكثر من المعيشة البسيطة الخالية من الاهتمام بالمأكل والمشرب والملبس والاجتماعات وما شاكل

ج لا شبهة في ان الاهتمام الشديد يضرُّ بالصحة فيقصر العمر ولكن الذين يهتمون بالمآكل والمشارب والملابس يهتمون ايضاً بدفع العوارض ومعالجة الامراض فينجو كثيرون منهم ويزيد متوسط عمر الجماعة منهم ولو لم يزد عمر الافراد مثال ذلك بلاد البلاد الواحدة جرت على اساليب الحضارة الحديثة فاذا دخلها الهواء الاصفر قابلتهُ بعزل كل المصابين عن الاصحاء والاقتصار على شرب الماء النقي فلا يفتك بنفر قليل من اهاليها واذا دخلها الجدري وجد كل اهاليها متطعمين فلا يفتك باحد منهم واذا جاء الصيف بحرهِ وجد اطفالها يرضعون اللبن النقي فلا يصابون باسهال الاطفال ولا يموت

احد منهم واذا اشتدَّ البرد وجد ملابس اطفالها كلهم دافئة فلا يصاب احد منهم بذات الرئة ولا بداء الجنب فتقل الوفيات في تلك البلاد ويبلغ متوسط العمر فيها اربعين سنة او خمسين ولكن الذين يبلغون الثمانين او التسعين من اهاليها قد لا يزيدون على واحد في المئة

والبلاد الثانية باقية على حال البداوة فاذا دخلها الهواء الاصفر فتك باهاليها فتكاً ذريعاً واذا دخلها الجدري لم يجد احداً متطعماً فيفتك بالبعض ويشوّه البعض الآخر واذا اشتدَّ الحر فسد اللبن الذي يشربهُ اطفالها فاصيبوا بالاسهال ومات كثيرون منهم واذا اشتدَّ البرد اصاب كثيرين من اهاليها بالامراض الناتجة من شدَّة البرد فيكون متوسط العمر فيها عشرين سنة او اقل ولكن الذين ينجون من هذه الآفات اما لاعتنائهم الخاص بصحتهم او لمناعة قوية في اجسامهم او لانهُ اتفق ان الآفات لم تعرض لهم يعمرون طويلاً ثمانين او تسعين او اكثر وقد يكون عدد هؤلاء اكثر من واحد او اثنين في المئة

---

(٦) الخرس

الفيوم . يعقوب افندي خليل رأيت بنتاً عمرها اربع سنوات تفهم ما تكلمها بهِ فاذا قلت لها اسقيني ذهبت واحضرت لك الكوبة ولكنها لا تنطق بكلمة فما هو داؤُها وهل يوجد لهُ دواء

ج يتأخر بعض الاولاد في النطق بسبب عدم نمو مركز النطق في الدماغ او بسبب آفة عرضت لهُ وهم صغار فاذا كان الاول فلا يبعد ان يتم نمو مركز النطق رويداً رويداً فيتمكنون من النطق بعد ذلك وان كان الثاني فالامل بشفائهم قليل وليس لذلك دواء غير المقويات العمومية للصحة

---

(٧) خسارة الراديوم

حلوان . ي . ب قرأنا في المقتطف ان عنصر الراديوم يشعُّ نوراً وحرارةً وينبثق منهُ دقائق صغيرة جداً على الدوام وقد قال مكتشفهُ انهُ لا ينقص في عشرة ملايين من السنين سوى جزء من الف من وزنهِ . اما اشعاعهُ النور والحرارة بلا نقصان في وزنهِ فامر يسلم بهِ العقل مع غرابتهِ المتناهية واما تطاير الدقائق منهُ مهما صغر حجمها مع بقاء وزنهِ على حالة واحدة تقريباً فمسألة فيها نظر فافيدونا عن حقيقة الامر

ج نرجح ان الباحثين في طبائع هذا العنصر وجدوا الآن ان وزنهُ يقل اكثر مما ظنوا اولاً اذ ثبت لهم او كاد يثبت ان الدقائق التي تصدر منهُ هي عنصر آخر اسمهُ الهاليوم ومع ذلك يبقى نقصانهُ قليلاً جداً لان الدقائق اذا كانت الكترونات فكل الف مليون مليون مليون الكترون منها لا تزن غراماً واحداً فاذا فرضنا انهُ يخرج

منهُ الف الكترون كل ثانية من الزمان فيخرج منهُ في السنة نحو مليوني مليون الكترون وفي عشرة ملايين سنة نحو ٢٠ مليون مليون مليون وهي تزن جزءا من خمسين مليون جزء من الغرام فاذا كان وزن الجواهر التي تصدر منهُ مثل وزن جواهر الهيدروجين فيصدر منهُ في عشرة ملايين سنة ما يزن جزءا من خمسين مليون جزء من الغرام

(٨) علاج السرطان

اسيوط. قرابت افندي حكيميان قرأت في الجزء الثاني عشر من المقتطف في باب الاخبار العلمية ان الدكتور اتو شمت الالماني اكتشف دواء للسرطان فارجو ان تكرموا عليَّ بعنوان الدكتور المشار اليهِ لجلب الدواء منهُ

ج لا نعلم ما هو عنوانهُ ولكن يظهر ان دعواهُ غير صحيحة لان الباحثين عن علاج السرطان لم يقولوا بصحتها ولا يعلمون دواء حتى الان للسرطان غير الاستئصال

(٩) الختان الطبيعي

طنطا. احمد افندي رضوان. لي اخ عمرهُ نحو اثني عشرة سنة كان من غير طهارة (ختان) وبينما كنا نستعد لتجهيز ما يلزم لختانهِ نام ذات ليلة واصبح مختونًا فما سبب ذلك

ج نرجح ان الغلاف كان قصيرًا منذ ولادتهِ ولم تنتبهوا لذلك الا حينما اردتم ختنهُ والا فقصر الغلاف دفعةً واحدة في ليلة واحدة امر يبعد تصديقهُ لغرابتهِ ولو نسبتهُ العامة الى الملائكة. ولا نتذكر ان احدًا من العلماء رأى امرًا مثل هذا وبحث عن سببهِ

(١٠) الغناء في التمثيل

مصر. جرجس افندي بشاره. شرط التمثيل الصحيح ان يلقي الممثل العبارة نطقًا واشارة حسب وضعها الطبيعي بدون تكلُّف ولكننا نرى ان اشهر الروايات التمثيلية الاوربية شعري ويمثَّل غناء وهذا مخالف للوضع الطبيعي وكذلك نجد في الروايات العربية اشعارًا واغاني في غير وضعها ولا تدعو الحال اليها فلماذا هذا الخروج عن الوضع الطبيعي

ج لقد الف الناس الغناء والكلام الموزون من اول عهدهم وهو ذوق تشاركهم فيهِ العجماوات كما ترون في تغريد الطيور والاصوات الرخيمة الموقعة توقيعًا موسيقيًّا تؤثر في اعصاب السمع تأثيرًا خاصًّا تلتذ بهِ النفس متى النتهُ لان دقائق الاعصاب التي تتأثر بهِ تتركَّب على اسلوب موافق لهُ فلا تعود تنفر منهُ فاذا سمعت غناء حيث تنتظر ان تسمع كلامًا غير موقَّع فانك تنفر منهُ في اول الامر لانك لم تألف ذلك فتقاوم دقائق مراكز السمع ما لم تالفهُ ولكنك اذا سمعتهُ مرة بعد مرة بعد اخرى في مثل ذلك الموقع ترتبت

الدقائق في اعصاب سمعك على اسلوب يوافق ما تسمعهُ من الغناء فيزول النفور اولاً ثم تصير تشعر بلذة. ويمكن ايضاح ذلك بهذا المثل افرض ان شعرك طويل جداً ومشتبك بعضهُ ببعض فاذا اردت مشطهُ فان المشط يقطع بعضهُ ويقتلع البعض الآخر في اول الامر فتتألم من ذلك ولكنك اذا كررت المشط انسدل الشعر وزال الاشتباك منهُ فيصير المشط يجري فيهِ بسهولة فلا تعود تتألم واخيراً تصير تشعر بشيءٍ من اللذة وانت تمشطهُ. فالميل الى الشعر والغناء طبيعي في النفس ومنهُ لذة واذا كان الشعر والغناء في غير محلهما نفرت منهما النفس اولاً ثم تألفهما بالتكرار فيزول النفور ويبدل باللذة



الظواهر الفلكية في فبراير

	يوم	ساعة	دقيقة
البدر	٠١	٠٦	٣٣
الربع الاخير	٠٨	١١	٥٦
الهلال	١٦	٠١	٠٥
الربع الاول	٢٤	٠١	٠٩

يكون عطارد والزهرة نجمي الصباح الشهر كلهُ

ويظهر المريخ والمشتري في المساء الاول ساعة ونصفاً والثاني ساعتين

تجارة القطر المصري

بلغت قيمة الصادرات من القطر المصري سنة ١٩٠٣ حسب تثمين الجمارك المصرية لها ١٩١١٨٤٨٧ جنيهاً مصرياً وقيمة الواردات الى القطر المصري ١٦٧٥٣١٩٠ ومجموع قيمة التجارة الخارجية من صادر ووارد نحو ٣٦ مليون جنيه مصري اي اكثر من تجارة الممالك العثمانية كلها الخارجية واكثر مما بلغتهُ في اية سنة من السنين الماضية

التيفويد والاصداف البحرية

تكررت الشواهد الدالة على ان الذين يأكلون حيوانات الاصداف والابواق البحرية يصابون احياناً كثيرة بالحمى التيفوئيدية وقد ثبت الآن بالبحث الميكرسكوبي في ابدان هذه الحيوانات انها تكون احياناً ملأى بالمبرزات المنصبة في البحار من مجاري المدن المتصلة بها ويكون ميكروب التيفويد كثيراً فيها. والغالب ان الناس يأكلون هذه الحيوانات من غير ان يسلقوها سلقاً كافياً لان السلق الكافي يفسد طعمها بل يضعونها في ماء

بخر دقائق قليلة حتى تنفتح الاصداف ويسهل اخراج الحيوان منها. فيبقى ميكروب التيفويد حيًّا فيهِ يصيب من يأكلهُ بالحمى التيفويدية. وقد بيّن الدكتور كلين البكتيريولوجي الشهير انهُ اذا سلقت الاصداف بالبخار مدة خمس دقائق فقط مات ميكروب التيفويد منها ولم يفسد طعمها فيفي سلقها بالبخار بالغايتين معًا

جوائز كارنجي العلمية

وزعت جوائز كارنجي العلمية على المشتغلين بالعلم فبلغ مجموع ما وزع منها في العام الماضي اربعين الف جنيه ومن الذين نالوا هذه الجوائز الاستاذ بوص الفلكي وقد نال الف جنيه والاساتذة بوص وهايل وكبل الف جنيه ونالوا ثمانمئة جنيه اجرة . لما اعدّ في مرصد لك. والدكتور روبرت فلتشر الفي جنيه لطبع فهرست كتب الطب. والمستر بنتم الف جنيه لطبع كتاب عن الجمعيات العلمية . والمستر كنراد ١٦٠٠ جنيه لدرس نباتات الصحراء. والمستر ليونردولدو ٩٠٠ لدرس برنز الالومنيوم. والمستر بيلي ١٣٠٠ جنيه لبحثهِ في البلاد الواقعة عبر بحر قزبين . والاستاذ تشمبرلين ١٢٠٠ جنيه لدرسهِ مبادئ الجيولوجيا الاساسية. والاستاذ اتوتر الف جنيه لامتحاناتهِ في التغذية. والدكتور غامجي ١٢٠٠ جنيه لتقريرهِ في فسيولوجية التغذية

والجوائز التي تقل قيمة الجائزة منها عن ٥٠٠ جنيه كثيرة جدًّا . وعلى هذا النسق يعضد العلم والعلماء

الهيدرويون

استنبط الدكتور فون لورنز النمسوي وعاء سماهُ الهيدرويون ينقل السمك بهِ حيًّا من مكان الى آخر وهو حوض يوضع فيهِ الماء والسمك وفي الحوض وعاء فيهِ اكسجين منضغط ولهُ ثقب يخرج منهُ رويدًا رويدًا الى الماء فيبقى الماء صالحًا لمعيشة السمك فيهِ ولو كان قليلاً لان السمك يتناول الاكسجين من الماء كما نتناولهُ من الهواء فاذا لم يجدد الماء لهُ اولم يُدخل اليهِ اكسجين بدل ما تناولهُ السمك منهُ مات السمك اختناقًا كما يموت الحيوان في الهواء اذا قلَّ الاكسجين منهُ

غنى الانكليز

حسب بعضهم انهُ اذا قُسم مال الامة الانكليزية على جميع افرادها بالسوية اصاب الفرد الواحد نحو ٣٠٠ جنيه . وان متوسط دخل الفرد منهم ٣٣ جنيهًا في السنة ومتوسط ما يوفرهُ الفرد ٣ جنيهات في السنة وان في السلطنة الانكليزية نحو مئة شخص يملك الواحد منهم مليون جنيه فما فوق و ٤٠٠ شخص يملك الواحد بين نصف مليون جنيه ومليون جنيه . ونحو الف شخص يملك الواحد بين ربع مليون جنيه ونصف مليون ونحو

خمسة آلاف شخص يملك الفرد منهم بين مئة الف جنيه و٢٥٠ الفاً. وقال احد الاغنياء ان كل شاب عمرهُ عشرون سنة ويحصل جنيهاً واحداً في الاسبوع ويوفر منهُ فقد يصير صاحب ثروة قدرها مئة الف جنيه حينما يبلغ السبعين من عمرهِ

حصان طويل العرف

رأينا في السينتفك اميركان صورة فرس طول شعر عرفها اثنا عشرة قدماً او نحو خمسة امتار ونصف متر اشتراها مالكها منذ سبع سنوات وكان عمرها ثلاثاً ولم يكن شعر عرفها اطول مما يكون عادة وبعد سنة اخذ يطول بسرعة فوضع في شبكة حفظ فيها من التلف فبلغ هذا الحد العجيب من الطول. ولما مهر يظن انهُ سيفوقها في طول عرفهِ

وصية سبنسر

اوصى سبنسر ان تباع ممتلكاتهُ وكتبهُ وحقوق طبعها ويقسم المال الناتج من ذلك بين الجمعيات العلمية الانكليزية وهي الجيولوجية والجغرافية والنباتية والانثربولوجية والزولوجية والانتومولوجية والفلكية والرياضية والطبيعية والكيماوية ومجمع ترقية العلوم البريطاني والمدرسة الملكية. ويستخدم فيها لابتياع الكتب والادوات وتوسيع المباني وتصليحها ولكن لا يعطى شيء منهُ هبة لاحد

واوصى ايضاً انهُ اذا ارادت الحكومة الانكليزية ان تدخل النظام العشري في الموازين والمقاييس والمكاييل الى بلادها كرهاً ان يُطبع الكراس الذي الفهُ في هذا الموضوع حسب نسخة نقحها وتركها في صندوقهِ ويوزع على اعضاء مجلس الاعيان والنواب مجاناً. وقد ابنّا غير مرة انهُ يذهب الى عدم صلاحية النظام العشري ويفضل النظام الاثني عشري عليهِ لان الناس يفضلون ان تقسم مكاييلهم ومقاييسهم الى انصاف واثلاث وارباع وهذا ممكن في الاثني عشر ولكن لا يمكن في العشرة فيكون النظام العشري عائقاً لهم

تصورات الناس في القمر

اذا رأى الانسان شيئاً لم يتبينهُ جيداً تخيل لهُ صورة من ذهنهِ مما اعتاد رؤيتهُ. وعلى ذلك يرى كثيرون من الناس صورة وجه في القمر وقد كتب فلوطرخس المؤرخ اليوناني كتاباً عن صورة انسان قال انها ترى في القمر. وقال الصينيون ان ما يرى في القمر صورة حمار يطحن ارزاً. وقال الهنود انهُ يشبه الارنب. وقال الفرس انهُ صورة معكوسة عما في الارض من البر والبحر كأنهُ مرآة انعكست عنها صورة الارض

ويختلف الناس في تقدير القمر كما يرونهُ بعيونهم فيراهُ البعض بحجم الريال وهو اصغر تقدير لهُ ويراهُ غيرهم بحجم عجل المركبة وهو اكبر تقدير. ويراهُ الاكثرون بحجم صحفة

الطعام فالجمهور يحسب ان بعده عنهم نحو مئة قدم · وحجمهُ الحقيقي على ما يُرى بالعين نحو نصف درجة ولذلك يُحجب بقلم الرصاص اذا وضع بينهُ وبين العين

الراديوم في تراب لندن

كتب الاستاذ رامسي الى جريدة الدايلي مايل يقول ان القمحة من الراديوم تساوي الآن ٨٠٠ جنيه والاوقية لو امكن الحصول عليها لساوت ٧٥٠ الف جنيه وان في مدينة لندن معملاً كيماوياً يستخرج فيهِ عنصر الاورانيوم الذي يلوَّن بهِ الزجاج بلون اصفر ضارب الى الخضرة وترمى الفضلات التي يستخرج الاورانيوم منها ولكن هذه الفضلات تحتوي على الراديوم فاذا امكن استخلاصهُ منها فقد يوجد فيها ما يساوي مليونًا من الجنيهات

فاعترض عليهِ الخواجات ارثر وشركاهم وقالوا انهم يبيعون المليغرام من بروميد الراديوم بجنيه وشلن فاذا كان عندهم اوقية منهُ باعوها باقل من ثلاثين الف جنيه

اكبر بالون

صنع الدكتور برتن الانكليزي بالونًا كبيرًا جدًا وهو اكبر بالون صنع حتى الآن طولهُ ١٧٦ قدمًا وقطر ثخنهِ ٤٣ قدمًا ويسع ٢٣٥ الف قدم مكعبة من غاز الهيدروجين فيرتفع بقوة ١٦٤٥٠ رطلاً ويتصل بهِ طيارات او سطوح طيَّارة تساعدهُ على الطيران والسير في الهواء كأنها شراع لهُ ووضع فيهِ ثلاث آلات بخارية تدار بالغازولين قوة كل منها خمسون حصانًا

اشراق الواح التصوير

كتب بعضهم الى جريدة ناتشر يقول انهُ وضع لوحًا من الواح التصوير الشمسي المغشى بالبروميد في مذوب المظهر بيروصودا عشر دقائق ثم رفعهُ منهُ وغسلهُ واطفأ المصباح الاحمر فرأى اللوح قد اشرق في الظلام وكذلك السائل الذي كان فيهِ ولكن اشراقهما لا يدوم الاَّ دقيقة او دقيقتين

نفع الترامواي الكهربائي

ادَّعى احد العلماء الايطاليين ان الشرر الذي يتولَّد وقت سير الترامواي الكهربائي يصلح هواء المدن لانهُ يحول جانبًا من اكسجين الهواء الى اوزون والاوزون يطهر الهواء ويزيل منهُ ميكروبات الامراض

استخراج الراديوم

لما ثبت ان الراديوم يفيد كما تفيد اشعة رنتجن تمامًا وان جزءا من الف جزء من الغرام موضوعًا في انبوب دقيق كريشة الاوز يغني عن آلة كبيرة من آلات رنتجن تألفت الشركات في المانيا وفرنسا لاستخراجهِ وقد زاد طلب الاطباء لهُ حتى فاق ما يمكن ان يستخرج منهُ

ويظن البعض ان القدماء كانوا يعرفون

الراديوم او انهم اكتشفوا مكاناً يوجد فيهِ قصنعوا منهُ مصابيح تنير دواماً ومنها المصابيح التي يقال انها كانت تنير في بعض الميا كل والمصابيح التي استخدمها المصريون القدماء في حفر مدافنهم ونقشها

طيارة ريط

صنع المستر ولبور ريط الاميركي آلة طيارة وضع فيها آلة بخارية قوتها ١٦ حصاناً وطار بها في السابع عشر من شهر دسمبر الماضي عن كثيب رمل ارتفاعهُ ميئة قدم فطارت اولاً قرب سطح الارض ثم ارتفعت في الجو وسارت ضد ريح سرعتها عشرون ميلاً في الساعة فكانت سرعة الطيارة فيها ثمانية اميال في الساعة . ثم نزل بطيارتهِ حيث اراد . والمظنون ان نجاحهُ اول خطوة حقيقية في سبيل ركوب الهواء

اثمن الاراضي

ان اراضي الاسمعيلية في القاهرة التي كانت تعطى مجاناً في عهد اسمعيل باشا يباع المتر منها الآن بنحو ثمانية جنيهات ويساوي اكثر من ذلك في بعض جهاتها ولكنهُ مهما غلا لا يعدُّ غلاؤُهُ شيئاً في جنب ما يبلغهُ ثمن الارض في بعض المدن الاوربية والاميركية فقد بيع المتر المربع في كليفورنيا باميركا باربعة وستين الف جنيه وثمن المتر المربع في قلب مدينة لندن ١٢٠٠ جنيه

ثروة ركفلر

اكثر ثروة ركفلر من زيت البترول الاميركي المعروف باسم ستندرد فان لهُ وحدهُ ثلاثة اخماس اسهم شركاتهِ وزادت قيمة هذه الاسهم ٣٠ مليون جنيه في شهر واحد فزادت بها ثروة ركفلر ١٨ مليون جنيه . ويقال انهُ اذا خط بقلمهِ كلمة واحدة زاد بها ثمن الجالون من الزيت نصف غرش زادت ثروتهُ ستة ملايين من الجنيهات . وهو مع ذلك يعيش عيشة من لا ثروة لهُ فلا ينفق على طعامهِ وشرابهِ ولباسهِ مئة جنيه في السنة و يا تيهِ كل يوم مكاتيب كثيرة يتهدَّدهُ اصحابها بالقتل والاغتيال . واذا دفع المبالغ الطائلة للاعمال الخيرية تهكمت عليهِ جرائد اميركا قائلة انهُ يسلب الالوف من اموال الفقراء ويعطيهم العشرات بدلاً منها

ملوحة بحيرة لوط

بحيرة لوط اشد البحيرات ملوحة وقد عُلل سبب ملوحتها بان الامطار تذيب الملح من الارض المجاورة لها وتجري اليها ثم تتبخر ويبقى الملح فيها وبانها كانت اوسع مما هي الآن ثم ارتفعت البلاد كلها بفعل جيولوجي فجف اكثر الماء وكثر الملح في ما بقي منهُ . وقد ذكر العالم اكرويد لهذه الملوحة سبباً ثالثاً وهو ان الرياح تمرُّ على بحر الروم وتحمل منهُ جانباً من الملح فيمتزج بماء المطر الذي يصل الى بحيرة

لوط وهذا يحدث في كل البلدان القريبة من البحار لكن البحيرات التي فيها تكون متصلة بالبحر فتجري المياه منها اليهِ ولا يتراكم الملح فيها واما بحيرة لوط فلا اتصال بينها وبين بحر الروم فيبقى الماء محصوراً فيها يتبخر ويبقى الملح الذي كان فيهِ . وقد حلل صخور الارض التي حول بحيرة لوط فلم يجد الملح فيها اكثر منهُ في غيرها وحلل ماء المطر فوجد الملح فيهِ اضعاف ما يمكن ان يذوب من ملح الصخور

الجرائد الانكليزية

ظهر بالاحصاء ان ثمانية وستين في المئة من جرائد الدنيا ينشر باللغة الانكليزية فللانكليز والاميركيين ثلثا الجرائد كلها ولبقية امم الارض الثلث

المغالاة باللآلئ

بلغ ثمن اللؤلؤ في هذه الايام مبلغاً لم يبلغهُ من قبل لقلة المستخرج من مغاوصهِ وقد كان اللؤلؤ الكبير الحجم التام الاستدارة الكثير الاشراق غالياً في كل العصور فقد ذكروا ان اللؤلؤة التي اهداها يوليوس قيصر الى ام بروتس تساوي ٣٥ الف جنيه. وسنة ١٦٣٣ دفع شاه ايران ٦٤ الف جنيه ثمن لؤلؤة مستديرة قطرها نحو سنتمترين ونصف . ويقال ان اتم اللآلئ شكلاً ولمعاناً الآن لؤلؤة في متحف روسيا بمدينة موسكو ثقلها ٢٨ قمحة

واكبر اللآلئ المعروفة لؤلؤة هوب وهي في شكل كمثراة طولها نحو ستة سنتمترات وثقلها ١٨٠٠ قمحة

وقد شاهدنا في معرض باريس تسع لآلئ منتظمة بعضها مع بعض في شكل صليب كذا وجدت في صدفتها وكل لؤلؤة منها كالحمصة الكبيرة وثمنها كلها عشرة آلاف جنيه وعند بعضهم لؤلؤة في شكل القلب تماماً ثقلها ٦٧٢ قمحة وثمنها ٥٦ الف جنيه . ومنذ عهد قريب بيعت لؤلؤة من لآلئ لادي ددلي ثقلها ٢٠٦ قمحات بستة عشر الف جنيه . واذا استمرت المغالاة باللؤلؤ الكبير على ما هي عليهِ الآن يزرى الناس في ثمنهِ

الالكحول من المبرزات

استنبط احد الالمانيين طريقة لاستقطار الالكحول (السبيرتو) من المبرزات وهو مثل الالكحول المستقطر من العنب وغيرهِ من الاثمار. فهل يعلم شاربو المسكرات ان عنصرها الالكحول المعروف بماء الحياة قد يكون مستقطراً من اقذر الاشياء

اثر تل الشهاب

اكتشف الاستاذ سمث حجراً في تل الشهاب ببلاد حوران عليهِ كتابات مصرية من عهد الملك ستي الاول يستدلّ منها على ان بلاد حوران كانت في حوزة المصريين في عهد ذلك الملك

فهرس الجزء الثاني من المجلد التاسع والعشرين

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد التاسع والعشرين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٤ ذي الحجة سنة ١٣٢١

الحرب بين الروس واليابان

نكتب هذه السطور وقد تفاقمت الخطوب في الشرق الاقصى وقامت اليابان بنت الامس في العمران الحديث تتهدَّد روسيا المنيعة الجانب الشديدة الصولة التي يدين لها مئة وثلاثون مليونًا من النفوس وتخفق رايتها على نصف اسيا واكثر من نصف اوربا . وتحسب اليابان انها تعود من هذه الحرب ظافرة غانمة لانها اعدَّت من الاساطيل في بحرها وبحر الصين ما هو اقوى من الاسطول الروسي الذي هنالك ولأنها معتمدة على محالفها مع انكلترا . وقد ضربت الضربة الاولى قبل ان تعلن الحرب رسميًّا فبيتت الاسطول الروسي وباغتتهُ فاستغرب الناس منها هذه الجرأة ولامها انصار السلم على ذلك اعتقادًا منهم انها لو ضربت اجلاً لانتهاء المخابرات والشروع في القتال اذا لم تُجَب الى مطالبها لتساهلت روسيا لها فامتنعت الحرب او لاستعدَّت للقائها فما تركتها تفوز في اول واقعة فتغترّ ويحملها الغرور على مداومة القتال

وكان الاقدمون يحتفلون باعلان الحرب احتفالاً عظيمًا ولا تفتح امة على امة حربًا ما لم تنذرها مرارًا . فكان عند الرومان طائفة من النذراء لا عمل لها الاَّ اعلان الحرب للخصوم قبل الشروع فيها وجرت اوربا على هذه الخطة حتى انهُ لما عزم لويس الثالث عشر ملك فرنسا على محاربة اسبانيا في اوائل القرن السابع عشر بعث نذيرهُ الى بلاط ملك اسبانيا ينذرهُ بذلك. ثم لما عزم كارلُس العاشر ملك اسوج على محاربة الدنمارك لم يسر خطوةً قبلما وصل نذيرهُ الى عاصمة الدنمارك وانذر ملكها بعزمهِ على محاربتها

ولما نشبت حرب القرم بعثت روسيا تنذر الباب العالي بذلك قبل وقوع القتال بثلاثة ايام ثم لما حاربتهُ ثانيةً سنة ١٨٧٧ انذرتهُ بالحرب يوم عبرت جنودها تخوم رومانيا . وكذلك لما

عزمت فرنسا على محاربة المانيا امرت وكيلها في برلين ان يعلن بسمارك بذلك . الا ان الحروب التي ابتدأت قبل اعلانها اكثر من الحروب التي ابتدأت بعد اعلانها حتى جرى عندهم القول المأثور اضرب ثم اعلن

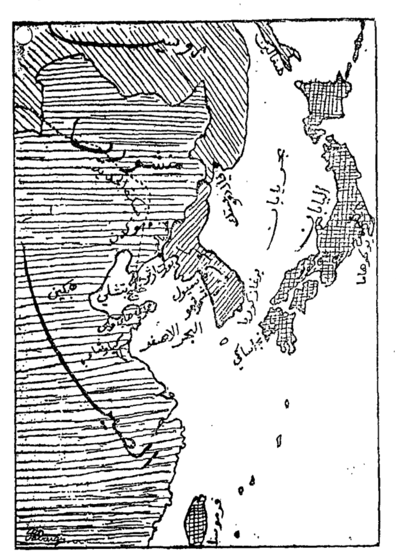
واسباب هذه الحرب طمع الدول الاوربية في مملكة الصين الوسيعة فان كل دولة منها تخاف ان تستأثر غيرها بنصيب اكبر من نصيبها ولذلك اتفقت كلها على الامتناع عن تجزيئها وعلى منع ارتقائها . ومدت روسيا سكة الحديد في سيبيريا واوصلتها الى منشوريا وهي الجزء الشمالي الشرقي من بلاد الصين وابلغتها بحر الصين وادعت ان الصين لا تستطيع حفظها لاختلال الاحكام فيها فاحتلت منشوريا كلها بحجة المحافظة على هذه السكة . فانذرتها الدول مرارًا بالجلاء عنها وفي جملتها دولة اليابان فلم تجلِ ورأت اليابان ان بقاء روسيا في منشوريا يتهدد بلاد كوريا ولليابان مصالح جمة في تلك البلاد فطلبت منها الجلاء عن منشوريا او تنصل الحرب بينهما فمطلتها روسيا في الجواب ولعلها قصدت ان يجتمع لها اسطول كبير هنالك قبل ذلك فلم تستطع اليابان صبرًا وقطعت العلائق السياسية مع الروس في ٥ فبراير وارسلت جنودها الى شمولبو مرفإ سيول عاصمة كوريا في ٨ فبراير وامرت اسطولها بالهجوم على اسطول الروس في بورت ارثر . وبورت ارثر هذا مرفأ شرقي باكين تنتهي فيهِ سكة منشوريا وقد استأجرهُ الروس من الصينيين وحصنوهُ وجمعوا اسطولهم فيهِ فهجم عليهِ الاسطول الياباني في الثامن من فبراير واستأنف الهجوم في التاسع منهُ وقد وصف مكاتب الدايلي مايل هذه المعركة وصفًا مسهبًا قال

معركة بورت آرثر

وصلت في ١٠ فبراير الى ينهو (بمنشوريا) في قطر خصوصي من بورت ارثر وكتبت رسالتي هذه وانا فيهِ حتى لا ابطئ في ارسالها فاني لم اجد سبيلاً الى الخروج من بورت ارثر قبلاً ولا الى ارسال تلغراف طويل كهذا اذ قد منعوا السفن كلها عن السفر من بورت آرثر منذ حدوث المعركة امس الثلثاء وخصوا تلغراف سكة الحديد برسائل رجال البحرية والجيش وغيرهم من موظفي الروس دون سواهم

هذا وفي صباح يوم الاثنين (٨ الجاري) صدرت الاوامر الخصوصية الى جميع الضباط وصف الضباط والعساكر البحرية التي في السفن الروسية والمستشفى العسكري البحري بالانتقال الى البوارج الروسية الراسية خارج مدخل الميناء في بورت ارثر وهذا المدخل يغلق كل ليلة . وفي منتصف الليل استيقظ اهل بورت ارثر على اصوات المدافع الكبيرة فاسرعتُ الى بطرية

التل واشرفت منها على البحر فرأيت ست نسافات يابانية (سفن الطربيد) قد اقتربت من الاسطول الروسي حتى صارت على بعد نصف ميل منهُ فقط وقد حاكت بوارج الروس في انوارها ومداخنها واشاراتها واعلامها كل المحاكاة ودنت منها جدًّا قبل ان تشعر بها . ثم اطلقت كلها طرابيدها عليها فاصاب ثلثة منها البارجتين الروسيتين زاروتش ورتفيزان والطراد



الروسي بلاّده وطاشت البقية . فعادت هذه البوارج الثلاث الى مدخل الميناء حذرًا من الغرق اذا بقيت في الماء العميق واطلقت البوارج والحصون الروسية نارًا حامية متواصلة على النسافات اليابانية لكن اربعاً منها نجت من نارها واصيبت الخامسة فغرقت واشرفت السادسة على الغرق ففرَّ بحارتها منها ونجوا بانفسهم ثم استحوذ الروس عليها قبلما تغرق وبعد ما ولَّت النسافات اليابانية سارت الطرادات الروسية بقيادة الاميرال البرنس اختومسكي للبحث

والاستكشاف ثم عادت وانتهت المعركة الساعة الثالثة بعد نصف الليل وقد خسر الروس فيها ثمانية قتلى و٢٠ جريحاً ولم تصب العمارة الروسية ولا حصون الروس بضرر كبير ما عدا تعطيل البارجتين والطراد التي مرَّ ذكرها وكان في الميناء نسافات روسية كثيرة وكذلك مدمرات روسية ولكنها لم تكن مستعدة حينئذٍ لدفع هجمة النسافات اليابانية . فقد فاجأ اليابانيون الروس بهجومهم وادهشوا النائمين بخفة حركاتهم وما بدا من جرأتهم وشجاعتهم

وفي صباح الثلثاء (٩ الجاري) جاءت الاخبار من دالني (مدينة بالقرب من بورت آرثر) انهم رأَوا الاسطول الياباني متوجهاً غرباً مصطفّاً في شكل الهجوم وقبل الظهر بساعة رأيناه مقبلاً وقد اصطفت بوارجه صفين وهي خمس عشرة ست بوارج وستة طرادات من الطراز الاول وثلثة من الطراز الثاني . وكان للروس حينئذٍ خارج الميناء ثلاث عشرة من البوارج والطرادات الكبيرة بقيادة الاميرال ستارك وهذه غير الثلاث التي عطلت واستقرت على الارض في مدخل الميناء الداخلي . وكان الجزر حينئذٍ

فدار القتال وابتدأَت المعركة باطلاق البطرية البرية لمدافعها الكبيرة وكانت الريح تهب خفيفة والدخان يحجب ما يجري عن العيون ولكني رأيت كل ما يرى عن تل هناك مقابل مدخل الميناء . فوقعت قنبلتان بالقرب مني ونحو عشرين قنبلة في القسم القديم من المدينة والميناء الغربي حيث كانت بواخر كثيرة راسية من بواخر الامم التي على الحياد . ولما ابتدأَت المعركة فرَّ اهلُ المدينة منها الى تل يقيهم شر القنابل وانفجرت قنبلة كبيرة من قنابل اليابانيين فدمرت بعض المحلات الكبيرة والبنك الرومي الصيني . وكان الناس قد هجروا الشوارع ووقف رجال البوليس يحفظون النظام واظهرت النساء والاطفال شجاعة عظيمة وتقاطرت العساكر من التكنات المجاورة لتحتل اماكن منيعة وتصد اليابانيين عن النزول الى المدينة اذا حاولوا النزول اليها

وجرت بوارج اليابانيين تمخر غرباً حتى اذا قابلت البارجة منها بوارج الروس على بعد اربعة اميال اطلقت مدافعها عليها وكانت بوارج الروس على بعد ميلين من الشاطئ . واشتبك القتال بين الاسطولين بالمدافع فعددت اكثر من ٣٠٠ قنبلة من قنابلها لم يصل منها الى الغرض الاَّ القليل وبعضها لم ينفجر وانتهى اطلاق المدافع عند الظهر وجرت البوارج اليابانية جنوباً بعد ما خسرت بارجة واحدة وعُطِّل طراد كبير منها وطارد الطراد الرومي نوفيك سفينة صغيرة يابانية واغرقها ثم اصابتهُ قنبلة عند حد الماء ولكنهُ وصل الى الميناء سالماً فهنأ الاميرال ستارك ربانهُ القبطان اسن بالاشارة قائلاً احسنت احسنت وهتفت لهُ بوارج الروس كلها

بالتهانيء . وكانت السفن الثلاث التي عطلت تطلق مدافعها على اليابانيين ايضاً مع سائر البوارج الروسية ساعة المعركة ثم جاء مدّ البحر فطفت احداها زاروتش وقطرت الى الحوض الكبير حيث تصلح الآن واما الطراد بلاده فقد اصلح ما عطل فيهِ بنفسهِ وانضم الى الاسطول واما البارجة رتفيزان فكانت لا تزال مستقرة على الارض عند خروجي من بورت آرثر . واصيبت الباخرة كازان من بواخر الاسطول المتطوع بقنبلة في الميناء الداخلي . وعاد السكون كما كان في الساعة الاولى بعد الظهر وجيء بالجرحى الى المستشفى انتهى . ثم اتضح من الاخبار التي وصلت بعد ذلك ان مدافع اليابانيين اصابت بارجة وثلاثة طرادات روسية في ذلك اليوم وان الروس خسروا في هذه المعركة ٩٠ نفساً بين قتيل وجريح ويقول اليابانيون انهم خسروا ٥٨ نفساً

وهجم اسطول ياباني آخر في ٩ فبراير على مرفإ شمولبو غربي كوريا وكان فيهِ طرّاد روسي ومدفعية روسية وجرى بينهُ وبينهما معركة هائلة وصفها مكاتب الدايلي مايل في سيول عاصمة كوريا فقال

معركة شمولبو

ان السفينتين الروسيتين الحربيتين وهما الطراد فارياق والمدفعية كوريتز حصرتا في مرفإ شمولبو فلم تجدا الى النجاة سبيلاً وحاولت المدفعية كوريتز الخروج من المرفإ بعد ظهر الاثنين (في ٨ الجاري) فرأت امامها الاسطول الياباني وهو مؤلف من ستة طرادات ومتلفتين وثماني نسافات فاضطرت ان تعود الى مكانها

وانزل اليابانيون جنوداً من سفن النقل ثم اعلنوا قومندان السفينتين الروسيتين بالحرب وبانهم يهاجمونهُ في المرفإ اذا لم يخرج منهُ حتى ظهر يوم الثلثاء واعلنوا ايضاً قومندانات بقية السفن الحربية التي على الحياد (بابتداء الحرب)

وفي الساعة السابعة من صباح الثلاثاء تفاوض قبطان الطراد فارياق مع رؤساء السفن الانكليزية والفرنسوية والايطالية على ظهر السفينة تلبت الانكليزية وطلب حمايتهم في خروجهِ من المرفإ فلم يلبوا طلبهُ فعاد الى سفينتهِ . وللحال اخذت السفينتان فارياق وكوريتز تخففان حملها بطرح ما فيهما من الخشب ونحوهِ في البحر واجتمع بحارتهما وانشدوا النشيد الروسي الوطني وكانت الموسيقى تصدح فيهما وهما سائرتان الى نزال الاسطول الياباني

ووقف الضباط والبحارة في السفن الانكليزية والايطالية والفرنسوية وجعلوا يحيون البحارة الروسيين باعلى اصواتهم وسار زورق انكليزي الى سفينة الاميرال الياباني وسلم اليهِ رسالة

قبل القتال فيها الاحتجاج على ما يفعلهُ . وكان الاسطول الياباني بقيادة الاميرال اوريو على ستة اميال من السفن الاجنبية التي في المرفإ . وقبل الظهر بعشر دقائق اطلق طراد ياباني قنبلة قطرها ثماني بوصات على السفينتين الروسيتين وهما خارجتان من المرفإ ثم اطلق قنبلة ثانية وثالثة وحينئذٍ اجابهُ الروسيون وكان المدى بينهم وبينهُ ٢٤٠٠٠ قدم

واصطف الاسطول الياباني للقتال وعند الظهر اشتركت سفنهُ كلها في اطلاق المدافع اطلاقاً متواصلاً على السفينتين الروسيتين وكان اكثرها مسدَّدًا على الطراد فارياق وحاول الروس الخروج من خط النار ولكن اصابت الفارياق خمس قنابل الواحدة بعد الاخرى وكانت مدافع اليابانيين الرشاشة تحصد رجالهُ حصدًا واصابت قنبلة منها رجال مدفع فقتلتهم او جرحتهم كلهم الاَّ واحدًا واصابت قنبلة اخرى مدفعاً فاحرقت الذخيرة كلها ومزقت قنبلة خشب المرقب وحرقتهُ فاضطر المدفعية ان يبطلوا اطلاق المدافع نحو خمس دقائق لان الفارياق صار شعلة من نار وكانت القنابل تشويهم شيًّا وتمزق اعضاءهم تمزيقاً ولكنهم بقوا امام مدافعهم يطلقونها بالاحكام

اما المدفعية كوريتز فلم يلحق بها ضرر كثير ولم يصب احد من بحارتها على ما يظهر وحاول الفارياق الاحتماء بجزيرة هناك ولكن اصابت قنبلة آلتهُ التي تدير الدفة فعزم قبطانهُ ان يعود بهِ الى المرفإ ويلقيهُ على البر حتى لا يأسرهُ العدو ولكنهُ اضطر ان يتأخر في رجوعهِ الى المرفإ لان الكوريتز بطيئة السير وظل يطلق مدافعهُ على العدو في رجوعهِ الى ان دخل المرفأ ورسا على ٩٠٠ قدم من السفينة الانكليزية وحينئذٍ بعثت اليهِ السفن الراسية في المرفإ بالجراحين وقد قتل من رجالهِ اربعون رجلاً وضابط واحد وهو الكونت نيارد وجرح منهم ٦٤ وضابطان اما الذين اصيبوا من رجال الكوريتز فقلال جدًّا وادعى اليابانيون انهُ لم يصب منهم احد وان القنابل الروسية لم تصب سفنهم

واعلن قبطان الفارياق عزمهُ على نسف طرادهِ والمدفعية كوريتز فنقل رجالها الى السفن الاجنبية الراسية في المرفإ ونسف المدفعية كوريتز في الساعة الرابعة تماماً وفتح ابواب الماء في الطراد فارياق واغرقهُ بعد ان اشعل ما فيهِ من الذخيرة وحرقهُ لكي لا يقع في يد اليابانيين وحرق ايضاً الباخرة الروسية شنغاري لكي لا تقع في يدهم

ولم يذكر هذا المكاتب ولا مكاتب النيويورك هرالد الذي شهد هذه المعركة ووصفها وصفاً مطولاً ايضاً ما لحق ببوارج اليابان من الضرر ولكن المسيو باولوف الذي كان سفير روسيا في كوريا قال ان السفينتين الروسيتين اغرقتا طرادًا يابانيًّا وعطلتا آخر تعطيلاً كليًّا

حتى غرق قبلما حرقتا وغرقتا واما اليابانيون فينكرون ذلك . وفي ذلك اليوم احتلّ اليابانيون مدينة سيول عاصمة كوريا

وفي ١١ فبراير مر الاسطول الروسي الذي كان في فلادفوستك ببرأي من جزيرة يزو اليابانية واحرق سفينة تجارية يابانية . وفي ذلك اليوم مست الباخرة الروسية ينيسي التي تركب الالغام لغماً عرضاً فنسفها واغرق ٥٦ نفساً فيها

وفي ١٣ منهُ عادت بعض النسافات اليابانية الى بورت آرثر واطلقت بعض طرابيدها على البوارج الروسية ثم رجعت وهي تظن انها اصابت بارجة بطرابيدها والروس يكذبون ذلك ويقولون انهُ في ١٤ الجاري مست قنبلة سفينة من سفنهم المتطوعة فلم تلحق بها ضرراً يذكر

وفي ٢٣ فبراير عاد اليابانيون يرومون سد مدخل الميناء في بورت آرثر فاحبط الروس سعيهم في ذلك وتفصيل الخبر ان اليابانيين ارسلوا اسطولاً من نسافاتهم تحت جنح الظلام مع اربع بواخر مشحونة مواد مفرقعة وملتهبة قاصدين ايصال تلك البواخر الى مدخل الميناء واغراقها فيهِ لسدهِ فدنوا من المدخل بعد نصف الليل بساعتين و٤٥ دقيقة وهم يحسبون ان الروس نائمون او لاهون كما وجدوهم في هجمتهم الاولى ولكن الروس احسوا بهم قبل ان يبلغوا المدخل فابتدروهم بالقنابل من البارجة رتفيزان ومن المدافع التي على البر حتى اذا اصبح الصباح وجدوا انهم قد دمروا البواخر الاربع وان ثماني نسافات يابانية قفلت راجعة الى الاسطول الياباني فجد ثلاثة طرادات روسية في اثرها ثم عادت والظاهر انها لم تدركها وانهُ لم يسفك دم في هذه المعركة . وقد بقي مدخل الميناء مفتوحاً كما كان وعاد اليابانيون بخسارة البواخر الاربع . هذه هي رواية الاميرال الكسيف الرسمية ويستدل من رواية هافاس ان الفضل في رد اليابانيين على اعقابهم كان للبارجة رتفيزان التي عطلتها النسافات اليابانية بالطربيد في هجمتها الاولى على بورت آرثر

واستأنف اليابانيون الهجوم على بورت آرثر مراراً بعد ذلك لكي يسدوا مدخلهُ ويحصروا العمارة الروسية فيهِ فلم يفلحوا حتى اليوم الاخير من شهر فبراير حين كتابة هذه السطور

هذه خلاصة ماجرى بحراً واما برًّا فاهم ما طيرهُ الينا البرق ان الاميرال الكسيف انتقل باركان حربهِ الى خربين حتى اذا ظفر اليابانيون في المستقبل بتخريب سكة الحديد وحصار بورت آرثر كان هو واركان حربهِ خارجها . وان الجنود اليابانية التي احتلت عاصمة كوريا زحفت قاصدة نهر يالو الفاصل بينها وبين منشوريا وان الجنود الروسية تسير قاصدة ذلك النهر وقد عبرهُ بعضها استعداداً لملاقاة الجنود اليابانية . وان الاسطول الروسي الذي مرَّ

بالسويس منذ مدة ووصل الى جيبوتي بقيادة الاميرال و يرينيوس عاد بامر من حكومته راجعاً الى روسيا ولكنهُ لم يعبر قنال السويس حتى الآن

وقد اغتاظ الروس من فعل اليابان غيظاً شديداً ونشرت حكومتهم منشوراً رسميًا في ١٨ فبراير قالت فيهِ

"لقد مضى ثمانية ايام منذ اهتزت روسيا كلها سخطاً وحنقاً على عدو قطع المفاوضات فجأة ورام ان ينال فوزاً هيناً في حرب طالما تمناها بمهاجمتنا غدراً . فالامة الروسية تروم الانتقام العاجل بذاهب الصبر وتنتظر اخبار الشرق الاقصى باهتمام لا مزيد عليهِ . وكل من تدبر اتحاد الشعب الروسي وقوتهُ لا يبقى عندهُ ريب في ان اليابان ستلقى العقاب الذي تستحقهُ على غدرها واثارتها للحرب حين كان قيصرنا المحبوب باذلاً جهدهُ في تأييد السلام بين الامم

"على ان الاحوال التي تجري هذه الحرب فيها تضطرنا الى الصبر والانتظار حتى تأتينا اخبار انتصار جنودنا وذلك لا يكون قبل ان يحارب الجيش الروسي العدو في معارك فاصلة ولبعد ساحة الحرب عنا ورغبة القيصر في المحافظة على السلم لم نستعدَّ لهذه الحرب قبل وقوعها بزمان طويل . فلا بد من مرور زمان طويل على روسيا حتى تضرب اليابان الضربات التي تليق بقدرها وتناسب قوتها وتؤدب تلك الامة التي استفزتها الى هذه الحرب التأديب الذي تستحقهُ مع بذلنا الجهد في حقن دماء ابنائنا . فلا بد لروسيا الآن من انتظار ذلك بالصبر الجميل موقنة ان جيشنا ينتقم لنفسهِ مئة ضعف من عدونا . ولا بد من انتظار الحرب براً مدة ايضاً وكذلك اخبار الحرب لا تأتينا من ساحة الحرب باكراً . ولا يليق بعظمة روسيا وقوتها ان تسفك دماء ابنائها على غير جدوى . هذا وان بلادنا تظهر من الاتحاد والرغبة في افتداء مصلحة الامة بنفسها حتى ان كل خبر حقيقي يأتينا من ساحة القتال يكون حقاً للامة كلها فتطلع عليهِ حالاً"

وقد اطلعنا على وصف مسهب للاسطول الروسي والاسطول الياباني في جريدة السينتفك اميركان التي يعوَّل عليها في هذه المسائل فنشرنا خلاصتهُ في باب الاخبار في هذا الجزء . وفضلنا نشر هذا الفصل عن الحرب هنا على نشر ما كنا نريد نشرهُ من فلسفة سبنسر لان للحرب الحاضرة اكبر شأن في مصالح البشر وعليها وسيكون مدار المناظرة القديمة العهد بين الشرق والغرب . فان فازت روسيا ومحقت دولة اليابان بقي الفوز للغرب على الشرق قروناً كثيرة وان فازت اليابان ولم تعارضها اوربا في إنهاض بلاد الصين فلا يبعد ان يعود الفوز للشرق في بلاد المشرق في القريب العاجل

لباس الرأس

اذا ألف الانسان عادة وتأصلت فيهِ تصبح لديهِ في حكم الاعمال المقدسة فيعدّ الاستماتة في الدفاع عنها من الباقيات الصالحات والاستهانة بشأنها من السيئات المرديات

والناظر في الاديان السماوية الشائعة لا يعثر في تضاعيف اسفارها على ما يحتم عليهِ ان يتمسك بهِ من العادات اللهمّ الاَّ ما كان لهُ علاقة بالاخلاق والآداب اذ الديانات ما جاءت الاَّ لتدعو الى معرفة الصانع المبدع وتكفّ من تعادي البشر وتردعهم عن سُبُل الغواية وتطهر نفوسهم واعدة بمعادٍ ثانٍ كلّ من اصلح اعمال قلبهِ ونقرّب بانواع الزُلفى من ربهِ . وما ظهرت الاديان لما وهم الواهمون لتعريف العلوم وتحديد الصناعات وما يحتاجهُ الناس في هذه الحياة الدنيا

ولقد لغط بعضهم هذه الآونة في مصر والشام بفتوى استصدرها احد سكان الترنسفال في الرخصة بلبس المسلمين القبّعة [1] مجاراةً لمواطنيهم من الافرنج وتفاديًا من ان ينالهم اذًى اذا ظلوا محتفظين بشعار رأسهم حتى كاد يوقن من لا يعرف الاسلام ان لبس القبّعات من الطامات وان ماتواطأ اهل هذا العصر على ستر رؤُوسهم بهِ من الصوف او الفرو او القش او الحرير او القطن على اختلاف اشكالهِ هو عماد الدين وأُسّ اساس اليقين . على ان الامر اقلّ مما توهموهُ واكبروهُ يناقضهُ ما ورد في الحديث الصحيح من ان الشارع الاعظم قال كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إِسراف ولا مخيلة . وقال ابن عباس كلْ ما شئت والبس ما شئت ما خطئتك اثنتان سرف او مخيلة

وقد ثبت انهُ عليهِ الصلاة والسلام لبس الجبة الرومية مع انها من لباس النصارى واكتسى الطيلسان [2] الكسروي وهو لبوس مجوس الفرس وكذلك الصحابة لم يتحرجوا من لبس اهل البلاد التي افتتحوها نصارى كان اهلها ام مجوسًا . وصحّ ان الناس نساء ورجالاً لبسوا البرانس [3]

(١) القبعة كقبرة خرقة تخاط كالبرنس كان يلبسها الصبيان وقد اطلقت على « البرنيطة » لما بين الاولى والثانية من الشبه . جاء في تاج العروس وصاحب القبيع مصغرًا لقب الشريف عمر بن احمد الاهدل الحسيني لانهُ كان يلبسهُ دائمًا على راسهِ وهو مثل القلنسوة من خوص النخل

(٢) الطيلسان مثلثة اللام وليس عربيًا اصلهُ بالفارسية تالسان قال في التاج ومن المجاز يقال في الشتم يا ابن الطيلسان اي انك اعجمي لان العجم هم الذين يتطيلسون والجمع الطيالسة

(٣) جاء في التاج البرنس بالضم قلنسوة طويلة وكان الناس يلبسونها في صدر الاسلام قالهُ الجوهري او هو كل ثوب راسهُ منهُ ملتزق بهِ دراعة كان او جبة او ممطرًا قالهُ الازهري وصوبوهُ وهو من البرس بالكسر القطن والنون زائدة وقيل انهُ غير عربي

اول الفتح من غير نكير مع انها من لبوس اهل النصرانية . وقد سئل مالك عن البرنس وكان من لباس الرهبان فقال لا بأس بهِ قيل لهُ فانهُ من لبوس النصارى قال كان يلبس ههنا . وقال عبدالله بن ابي بكر ما كان احد من القراء الاَّ لهُ برنس رواهُ بن حجر . وجاء في سفر السعادة للفيروزابادي انهُ صلى الله عليهِ وسلم لبس السراويل ولبس العمامة بغير قلنسوة (٤) ومع القلنسوة والقلنسوة بغير العمامة وكان يجعل العذبة بين كتفيهِ في اكثر الاحوال . قال وكان يلبس الثوب المعلم والثوب الساذج والثوب الاسود والفرو المعلم على اطرافهِ بالسندس وكان لهُ جبة خسروانية مفرّجة عليها مجنف من الديباج مخيطة واما الطيلسان فانهُ كان يلبسهُ حال الحر كما في اليوم الذي امر فيهِ بالهجرة فانهُ جاء في نصف النهار الى بيت ابي بكر وهو مطيلس واما حديث انس كان يكثر القناع يعني يلبس الطيلسان كثيرًا فحملهُ بعضهم على اوقات الضرورة وفي السفر

ويروى ان ابا يوسف من اصحاب ابي حنيفة ارتأى تخصيص العلماء بزيّ خاص في الملبس ليُعرفوا فيطاعوا وتكون كلمتهم العليا اينما حلوا فتابعهُ على هذا الرأي بعضهم واراد ان يبرّر هذا التجوز ويجعل لهُ مأخذًا من الدين . قال محمد صديق حسن خان في حسن الاسوة في تفسير قولهِ تعالى "يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين من جلابيبهنّ ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين" : واستنبط بعض اهل العلم من هذه الآية ان ما يفعلهُ علماء هذا الزمان في ملابسهم من سعة الاكمام والعمة ولبس الطيلسان حسنٌ وان لم يفعلهُ السلف لان فيهِ تمييزًا لهم وبذلك يعرفون فيلتفت الى فتاواهم واقوالهم . قال السبكي ومنهُ يعلم ان تمييز الاشراف بعلامة امر مشروع ايضاً انتهى . واقول ما ابرد هذا الاستنباط وما ابعدهُ وما اقلّ نفعهُ وجدواهُ لاسيما بعد ما ورد في السنة المطهرة من النهي عن الاسراف في اللباس وإطالتهِ وقد منع من ذلك سلف الامة وائمتها فاين هذا من ذاك وانما هو بدعة قبيحة شنيعة مردودة على صاحبها احدثها علماء السوء ومشايخ الدنيا ومن هنا قال عليّ القاري في معرض الذم لاهل مكة لهم عمائم كالابراج وكمائم كالاخراج . وما ذكرهُ من ان زيّ العلماء والاشراف في هذا الزمان سنة ردّهُ ابن الحاج في المدخل بانهُ مخالف لزيهم في زمن النبي وزمن الخلفاء الراشدين وبعدهم من خير القرون فان قيل انهم بهِ يعرفون قيل انهم لو بقوا على الزيّ الاول لعرفوا بهِ ايضاً لمخالفتهِ لما عليهِ غيرهم الآن اهـ

(٤) القلنسوة والقلنسية اذا فتحت القاف ضمت السين واذا ضمت القاف كسرتها تلبس في الراس ج قلانس وقلانيس وقلنس

وليس لدينا الآن من مستند اكيد يُنبئنا بتبدُّل اللباس حيناً بعد آخر الاَّ بقايا مما نُفد في المتاحف العامة من تماثيل الناس وعُرض من ازيائهم على اختلاف العصور والاقطار. قال احدهم اذا اردت ان تعرف العالم فانظر الى بيتك وعلى من احب الوقوف على ازياء أمة ان ينظر الى حالتها الحاضرة ويقيس الحاضر بالغابر فالتاريخ يعيد نفسهُ وما اشبه الليلة بالبارحة

وإنك لترى المغربي اليوم يلبس من الثياب ما لا عهد للمصري بهِ ولهذا من الازياء الخاصة ما يباين لباس العراقي والشامي. وللفارسي والطاغستاني ازياء يختلف بعضها عن بعض على قرب الجوار وكذلك البلوجستاني والافغاني والصيني والهندي والبخاريّ والجاويّ واليمانيّ والزنجباريّ والسوداني والصومالي فلكل من هؤلاء الاجناس زيّ خاص برؤوسهم وابدانهم فمن برنس الى عمامة خضراء او بيضاء الى طربوش اسود او احمر الى عقال وكوفية الى لبادة وقبعة قش او صوف الى قلنوسة وعرقية وكلها تدور على وقاية الرأس من لافح الحر ونافح البرد

وقد يختلف هذا الزي في القطر الواحد نفسهِ والبلد الواحد ولا يُعلل ذلك الاَّ بتشتت الاهواء واختلاف التربية والملكات خصوصاً في اهل قطر قضي عليهِ ان يكون مزيجاً من اجيال الناس وعناصر بني آدم. حتى ظن مرة احد سياح الافرنج وهو يجول في شوارع دمشق وقد رأى اختلاف الناس في ازيائهم وهندامهم وشاهد انواع الالبسة والاكسية ان عند القوم مرفعاً (كرنفال) لبس لهُ كلٌّ ما يغش بهِ صاحبهُ لتنقلب سحنتهُ وسيمتهُ لما رأى من وجه الشبه بين سكان تلك الحاضرة واهل بلادهِ في اكتساء بعض ابنائها اكسية غريبة للاستضحاك والمزاح في ايام معلومة من السنة

سرى داء الازياء في اهل هذه البلاد وخصوصاً المسلمين منهم فكان لباسهم مدة ثلاثة عشر قرناً وربع قرن تابعاً لفواعل الزمن وعوامل الحكام والاعاظم. ومن العادة ان يتشبه المغلوب بشعار الغالب ومن العادة ان يسنّ علية الناس العادات ويتشبَّه بهم سائر طبقات القوم اذ يعتقدون الحسن والمصلحة فيما يصدر عن الكبير ويزعمون الخير في تقليدهِ . وقد عقد ابن خلدون فصلاً في ان المغلوب مولع ابداً بالاقتداء بالغالب في شعارهِ وزيهِ ونحلتهِ وسائر احوالهِ وعوائدهِ فما قالهُ فيهِ وانظر الى كل قطر من الاقطار كيف يغلب على اهلهِ زيّ الحامية وجند السلطان في الاكثر لانهم الغالبون لهم حتى انهُ اذا كانت امة تجاور اخرى ولها الغلب عليها فيسري اليهم من هذا التشبه والاقتداء حظ كبير كما هو في الاندلس لهذا العهد من ام الجلالقة(٥)

(٥) جليقية كافريقية بلد بالروم متاخم للاندلس واليهِ ينسب عبد الرحمن بن مروان الجليقي من الخارجية بالاندلس والجلالقة جيل من الناس (تاج)

فانك تجدهم يتشبهون بهم في ملابسهم وشاراتهم والكثير من عوائدهم واحوالهم حتى في رسم التماثيل في الجدران والمصانع والبيوت

لاجرم ان تغيير الازياء جرى على ما اقتضتهُ حالة المجتمع والسياسة والذوق الخاص بل تصرف على قاعدة بقاء الانسب وارتقاء الازمان. فان المنصور لما رأى الحاجة ماسة الى الاتحاد في لباس الرأس وكانت بدأَت المدنية تدبُّ في اعصاب أُمتهِ ودولتهِ الزم الرعية على ما روى الذهبي بلبس القلانس الدنّية مشبهة بالدن [٦] في طول شبرين تعمل من ورق على قصب وتغشى بالسواد قريبة الشبه من الشربوش. قال ابن الاثير وسنة ١٥٣ اخذ المنصور الناس بتلبيس القلانس الطوال المفرطة الطول فقال ابو دلامة

وكنا نرجّي من إمام زيادة فزاد الامام المصطفى في القلانسِ
تراها على هام الرجال كانها دنان يهود جُلِّلت بالاطالسِ

ولما عزم السلطان محمود العثماني على استبدال البسة الجند والعمال باللباس الاوربي والاستعاضة عن العمائم العجراء والقواويق بالطرابيش استصدر فتوى من باب المشيخة الاسلامية في لباس السراويل القصيرة على شرط ان لا تكون ضيقة لئلا يحصل التشبه بالافرنج ثم ضاق السراويل على طول المدى واصبح كسراويلات الافرنج ومعاطفهم «جاكيتات» وتحسنت حالة الطربوش الى ما نراها عليهِ لهذا العهد وتنوسي انهُ من لبوس الروم

وبعد فان تغيير العادات من شاقّ الاعمال لا يعمل فيها الاَّ الأُسوة والقدوة وحب التقليد والزينة فلا تؤَثر فيها القوانين الدينية ان وجدت ولا المدنية ان وضعت. قال مونتسكيو في كتابهِ روح الشرائع اذا اراد الحاكم تغيير عادات امة وطبائعها يجب ان يكون ذلك باستبدالها بغيرها لا بقوة القوانين لان القوانين من وضع الحاكم وخاصة بهِ اما الاخلاق والعادات فهي من وضع الامة عامة. وضع بطرس الاكبر احد اعاظم قياصرة الروس قانونًا قضى بهِ على امتهِ ان يحلقوا لحاهم ويلبسوا ثيابًا قصيرة كالاوربيين فاقام الجند تكمن في الطرق لتقبض على من خالف هذه الاوامر وتقصر الثياب الطويلة الى قبيل الركبة. قال مونتسكيو وتلك طريقة مجحفة لانهُ لم يكن من حاجة لهذا الملك ان يضع قانونًا توصلاً الى هذا التغيير بل كان يتأَتى لهُ الاكتفاء بفعلهِ هو بنفسهِ ليتخذهُ الناس مثالاً

(٦) قال صاحب القاموس دنية القاضي قلنسوتهُ شبهت بالدّن والدن الراقود العظيم او اطول من الحب او اصغر لهُ عسعس لا يقعد الاَّ ان يحفر لهُ قالهُ الشريشي في شرح المقامة التاسعة للحريري ان اصل الدنية الدنينة كسفينة وهي قلنسوة محددة الاطراف يلبسها القضاة والاكابر وليست من كلام العرب وهي عراقية

وقال بنثام الانكليزي في اصول الشرائع وغرض بطرس الاكبر من هذا الامر اما ان يكون ارضاء لهواه الخاص لاستقباحهِ لباس امتهِ القديم واستحسانهِ لباس الاوربيين واما ان يكون قصد الى تهذيبهم وجعل اخلاقهم وطباعهم على مثال الاخلاق الاوربية التي كان يعتقد انها احسن طريق توصلهم الى السعادة فرأى ان التشبه في الاخلاق يلزم ان يتقدمهُ التشبه في اللباس ليتجانس الفكر بين الاثنين . وقال ان مجلس النواب الانكليزي اصدر قانوناً سنة ١٧٤٥ يقضي بهِ على سكان جبال ايكوسيا ان يخلعوا لباسهم المليّ وكان الغرض من هذا القانون امرًا سياسيًا لان هؤلاء الجماعة تعلقوا بهذا اللباس واحتقروا سكان السهول لاكتسائهم الاكسية الاوربية من عهد بعيد فلما لبس زعيم اولئك الجبليين هذا اللباس العتيق اهتزوا طرباً منهُ وانضووا تحت لوائهِ وثاروا على الحكومة فاخضعتهم واطفأت ثائرتهم وطمعت حينئذٍ في ابطال هذا اللباس وكان يهيج في نفوسهم افكارًا قديمة تجعلهم حزباً واحدًا وما كان هذا الامر لينسيهم ذاك اللباس بل كانت ذكراهُ تتجدد على المدى ودام العمل على هذا خلال نصف قرن تقريباً حتى ظهر للحكومة ان لا فائدة فيهِ وثبت لها وجه ضررهِ فالغتهُ واصبح رجال هاتيك الجبال من اعظم ابطال الجنود واهل الاخلاص من رجال السيف عند الانكليز ولا يبعد ان تفتر هممهم وتضعف عزائمهم لو عاملتهم انكلترا بالاكراه والقسر

نتج من هذه القواعد ان الحاكم اذا اراد احداث تغيير مهم في الامة يجب عليهِ ان يسير الهوينا ويتجانب الطيش والتطرف تفادياً من ايقاد ثائر الشهوات وتحريك النفوس على الانتقاض مما عساهُ يغضبهُ ويوغر صدرهُ وليجتهد ما استطاع ان لا يوجد لهُ اعداء شملهم اليأس . والاشبه بهِ ان يلاطف الجميع ويوفق بين غرضهِ ومرضاتهم ويحترم المنافع كافة ويعوض على الخاسرين ويتحد مع الزمان كيفما كان لان الزمان اكبر مساعد على كل تغيير فهو كالكيماوي يوافق بين المتضادات ويذلل عامة العقبات ويجذب قلوب المخالفين ولا ينبغي للانسان متى كانت القوة الحقيقية في قبضتهِ ان يستخدمها ليريها الناس بل الاجدر بهِ ان يكشف عنها نصف الغطاء لان ذلك ادعى الى النجاح . انتهى

وجملة القول فان اللباس ذوقيّ حاجيّ تعمل في تغييرهِ السادات والعادات لا الشرائع والنظامات . والجهاد يغلب فيهِ الاقوياء ويجبن الضعفاء . وما ابعد ان من قدروا ان يصرّفوا على المشرق ضروباً من مذاهبهم وملابسهم ومطاعمهم ومشاربهم يتسنَّى لهم يوماً ان يصبغوا العالم كلهُ بصبغتهم في كل حال من احوالهِ ليساووهم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل او يأتي على الجامدين تيار مدنية الغرب فيجعلهم صرعى كاعجاز نخل خاوية

محمد كرد علي

الخصومة والقضاء عند العرب

كان العرب في جاهليتهم يتماجدون ويتنافرون ويتفاخرون وكل ذلك عندهم خصومة تقتضي قضاء. والماجدة او المجاد ان يدعي كلٌّ من الخصمين انهُ اعزُّ شأناً من الاخر ويتباريان في ذبح الجزور وذلك نظير ما حدث بين حاتم وبني لام الطائيين . وكان من عجز عن مباراة خصيمهِ يعدُّ مغلوباً وذلك لان الماجدة تقتضي مناجدة الاهلين ومن كان اغنى عصبةً واعزَّ ناصراً كان جانبهُ الاقوى . واليك مماجدة حاتم وبني لام . خرج الحكم بن ابي العاصي بن امية (وهو ابو مروان مؤسس الدولة المروانية) يريد الحيرة ومعهُ عطر وكان في الحيرة سوق يجتمع اليها العرب كل سنة وكان النعمان بن المنذر ملك العرب قد جعل لبني لام الطائيين ربع الطريق طعمةً لهم وذلك لان بنت سعد بن حارثة بن لام كانت زوجة لهُ . ومرَّ الحكم بن ابي العاصي بحاتم الطائي فسألهُ الجوار في ارض طي حتى يصير الى الحيرة فاجارهُ . وعلم بذلك بنو لام فارادوا خفر ذمتهِ سعياً وراء منفعتهم الخاصة فثار الخصام بينهم وبين حاتم وابتدروا اليهِ بالنصال فناجزهم وترك في بعضهم اثراً واسرع القوم اليهم فحجزوا بعضهم عن بعض وقال بنو لام بيننا وبينك سوق الحيرة فنماجدك ونضع الرهن . ففعلوا ووضعوا تسعة افراس ثم خرجوا حتى انتهوا الى الحيرة وسمع بذلك اياس ابن قبيصة الطائي فخاف ان يعينهم النعمان ويقويهم بمالهِ وسلطانهِ فجمع رهطهُ من بني حية وقال لهم ان هؤلاء القوم ارادوا ان يفضحوا ابن عمكم في مجادهِ فقال منهم رجل عندي مئة ناقة سوداء ومئة ناقة حمراء ادماء وقال آخر عندي عشرة حصن على كل حصان منها فارس مدجج لا يرى منهُ الاَّ عيناهُ وقال حسان بن جبلة الخير قد علمتم ان ابي قد مات وترك مالاً كثيراً فعليَّ كل تمرٍ او لحم او طعام ما اقاموا في سوق الحيرة . ثم قام اياس فقال عليَّ مثل جميع ما اعطيتم كلكم . ثم ان اياس قال احملوني الى الملك النعمان وكان بهِ نقرس فحمل حتى أُدخل عليهِ فقال انعم صباحاً ابيت اللعن . فقال النعمان وحيَّاك الملك . فقال اياس اتمدُّ اختانك (اي انسباء زوجتك) بالمال والخيل وجعلت بني ثعلٍ في قعر الكنانة اظنَّ اختانك ان يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوين ولم يشعروا ان بني حية بالبلد فان شئت ناجزناك حتى يسفح الوادي دماً فليحضروا لمجادهم غداً عند مجمع العرب . فقال النعمان يا احلمنا لا تغضب فاني ساكفيك . وارسل النعمان الى اختانهِ انظروا ابن عمكم حاتماً فارضوهُ . فخرج بنو لام الى حاتم ونزلوا لهُ عمَّا بينهم وبينهُ . والمتحصل من هذه الرواية المنقولة باختصار عن ديوان حاتم ان الفئتين المتماجدتين كانتا تتحاربان بدليل

قول احد نصراء حاتم " عندي عشرة حصن على كل حصان فارس مدجج لا يرى منهُ الأ عيناه " فلو لم يكن هناك اختبار فراسة وبأس لما اقتضى التدجج

اما المنافرة ويراد بها المحاكمة لدى قاضٍ في من من الخصمين اعزّ نفرًا كقول النجاشي

وان شئتمُ نافرتكم عن ابيكمُ الى مَن اردتم من تهامٍ ومنجدِ

ويسمّى النفار منافرة ومن ذلك ما كان بين جرير بن عبدالله البجلي وخالد بن ارطاة الكلبي وهما انهما اختلفا ايهما اعزّ نفرًا فقال خالد لجرير ما تجعل قال الخطر في يدك قال خالد الف ناقة حمراء في الف ناقة حمراء قال جرير الف قينة عذراء في الف قينة عذراء وان شئت فالف اوقية صفراء لالف اوقية صفراء . قال خالد من لي بالوفاء قال جرير كفيلاك اللات والعزى واساف ونائلة و يعوق ونسر فمن عليك بالوفاء . قال خالد ود ومناة وقلس ورضا[1] قال جرير لك بالوفاء سبعون غلامًا يوضعون على ايدي الاكفاء من اهل الله . فوضعوا الرهن من بجيلة ومن كلب على ايدي عتبة بن ربيعة بن عبد شمس في اشراف من قريش وحكّموا الاقرع بن حابس وكان عالم العرب في زمانهِ . فقال الاقرع ما عندك يا خالد فقال تنزل البراح ونطعن بالرماح ونحن فتيان الصباح[2] فقال الاقرع ما عندك يا جرير قال نحن اهل الذهب الاصفر والاحمر المعتصر نخيف ولا نخاف ونطعم ولا نستطعم ونحن حيٌّ لقاح نطعم ما هبّت الرياح نطعم الشهر ونضمن الدهر . فقال الاقرع واللات والعزى لو فاخرت قيصر ملك الروم وكسرى عظيم فارس والنعمان ملك العرب لنفرتك عليهم

واشهر منافرة في الجاهلية منافرة عامر بن الطفيل مع علقمة ابن الاحوص حين قال لهُ علقمة الرئاسة لجدي الاحوص وانما صارت الى عمك ابي براء من اجلهِ وقد استسنّ عمك وقعد عنها فانا اولى بها منك وان شئت نافرتك . فقال لهُ عامر قد شئتُ والله لانا اشرف منك حسبًا واثبتُ نسبًا . واطول قصبًا . فقال علقمة انافرك واني لبرٌّ وانك لفاجر . واني لولود وانك لعاقر . واني لوافٍ وانك لغادر . فقال انافرك اني اسمى منك سمةً . واطول قمةً . واحسن لمة . واجعد جمة . وابعد همة . فقال علقمة لا انافرك اني انا جميل وانت قبيح ولكني انافرك اني اولى بالخيرات منك . فخرجت ام عامر فقالت نافرهُ ايكما اولى بالخيرات ففعلوا على ان جعلوا مئة من الابل يعطيها الحكم الذي ينفر عليهِ صاحبهُ . فخرج علقمة ببني خالد بن جعفر و بني الاحوص ومعهم القباب والجزر والقدور ينحرون في كل منزل و يطعمون وخرج عامر ببني مالك وقال انها لمقارعة

---

(١) كلها اسما اصنام كانت العرب تعبدها (٢) البراح المتسع من الارض لا زرع بها . كناية عن كثرة عددهم . وفتيان الصباح اي فتيان الغارات لان اكثر الغارات تقع صباحًا كناية عن بأسهم

عن احسابكم فاشخصوا بمثل ما شخصوا بهِ وقال لعمهِ ابي براء اعني فقال سبني فقال كيف اسبك وانت عمي فقال وانا لا اسبُّ الاحوص وهو عمي · ولم ينهض معهُ فجعلا منافرتهما الى ابي سفيان بن حرب بن امية ثم الى ابي جهل ابن هشام فلم يقولا بينهما شيئاً ثم رجعا الى هرم الفزاري فقال نعم لاحكمنَّ بينكما فاعطياني موثقاً اطمئن بهِ ان ترضيا بحكمي وتسلما لما قضيت بينكما ففعلا · فاقاما عندهُ اياماً ثم ارسل الى عامر فاتاهُ سرًّا فقال قد كنت احسب ان لك رأياً وان فيك خيرًا وما حبستك هذه المدة الاَّ لتنصرف عن صاحبك أَتنافرُ رجلاً لا تفخر انت ولا قومك الاَّ بآبائهِ فما الذي انت بهِ خيرٌ منهُ · فقال عامر نشدتك الله ان لاتفضل عليَّ علقمة فوالله لئن فعلتَ لا أُفلح بعدها ابدًا هذه ناصيتي فاجزها واحتكم في مالي فان كنت لابدَّ فاعلاً فسوِّ بيني وبينهُ · فقال انصرف فسوف ارى من آرائي · فانصرف عامر وهو لا يشك انهُ ينفرهُ عليهِ ثم ارسل الى علقمة سرًّا فقال لهُ ما قال لعامر وقال لهُ اتفاخر رجلاً هو ابن عمك في النسب وابوهُ ابوك وهو مع ذلك اعظم منك غناءً واحمد لقاءً واسمح سماحاً فما الذي انت بهِ خير منهُ · فردَّ عليهِ علقمة ما ردَّ بهِ عامر وانصرف وهو لا يشك انهُ ينفر عامرًا عليهِ · فارسل هرم الى بنيهِ وبني اخيهِ وقال لهم اني قائل فيهم غدًا مقالة فاذا فرغت فليطرد بعضكم عشر جزائر (٣) فلينحرها عن علقمة وليطرد بعضكم مثلها فلينحرها عن عامر وفرِّقوا بين الناس لا يكونوا بينهم جماعة . ثم اصبح هرم فجلس مجلسهُ واقبل عامر وعلقمة حتى جلسا فقال هرم انكما يا ابني جعفر قد تحاكمتما عندي وانتما كركبتي البعير تقعان الارض وليس فيكما واحد الاَّ وفيهِ ما ليس في صاحبهِ وكلاكما سيدٌ كريم · ولم يفضل واحدًا منهما على صاحبهِ لكيلا يجلب بذلك شرًّا بين الحيين ونحر الجزر وفرَّق على الناس · وقد زعم الاعشى انهما حكماهُ وانشأ قصيدة من غرر الشعر جاء بها على بعض ما يعدونهُ مولي الاثرة بالشرف منها

ان الذي فيهِ تماريتما بُيِّنَ للسامع والناظرِ (٤)
علقم لا تسفه ولا تجعلنْ عرضك للوارد والصادرِ (٥)
علقم ما انتَ الى عامرٍ الناقض الأَوتار والواترِ
ان ترجع الحقَّ الى اهلهِ فلست بالمسدي ولا النائرِ (٦)

(٣) جمع جزور لما يذبح من الابل (٤) تماريتما تنازعتما (٥) عرضك استعارة كنائية اراد بها منهلاً ولذلك ذكر الوارد والصادر استعارة تخييلية (٦) المسدي هو السدى بالنخ والقصر وهو ما مد من الثوب النائر اسم فاعل من نرت الثوب نيرًا اي جعلت لهُ نيرًا وهو علم للثوب وهدبه ولحمتهُ وهذا هو المراد هنا وهذا مثل يضرب في التبري من الشيء كقولهم لا في العير ولا في النفير

ولستَ بالسلم بذي نائلٍ ولستَ في الهيجاء بالجاسر
ولستَ بالاكثر منهم حصًى وانما العزّة للكاثر (٧)
ولستَ في الاثرين من مالكٍ ولا ابي بكر اولي الناصر (٨)
هم هامة الحي اذا ما دُعُوا ومالك في السؤددِ الفاخرِ (٩)
سدت بني الاحوص لم تعدهم وعامرٌ سادَ بني عامرِ
سادَ وألفى قومهُ سادةً وكابرٌ سادوك عن كابرِ
فاصبر على حظك مما ترى فانما الفلج مع العابرِ (١٠)
حكمتموهُ فقضى بينكم ابلج مثل القمر الباهرِ
لا يأخذ الرشوة في حكمهِ ولا يبالي غبن الخاسرِ
وأوّلَ الحكم على وجههِ ليس قضائي بالهوى الجائرِ
قد قلتُ شعري فمضى فيكما فاعترف المنفور للنافرِ

وكانوا يسمّون الدعوى قضية قال الصلتان العبدي في فصلهِ بين الفرزدق وجرير

انا الصلتان والذي قد علمتمُ متى ما يحكّم فهو في الحكم صادعُ
اتتني تميم حين هابت قضاتها واني لبالفصل المبيَّن قاطعُ
كما انفذ الاعشى قضية عامرٍ وما لتميم عن قضائي رواجعُ
ولم يرجع الاعشى قضية جعفرٍ وليس لحكمي آخر الدهر راجعُ

ومن هذا القول نستخلص ان الحكم عندهم كانت اعادةُ النظر فيهِ جائزةً وذلك بمثابة استئنافهِ وتمييزهِ عندنا ولكن بعض الاحكام كان لا رجوع فيها كما قال الصلتان "وليس لحكمي آخر الدهر راجعُ" وكما قال ذو الاصبع العدواني

ومنّا حكَم يقضي فلا يُنقض ما يقضي

وهذا اشبه بحكم الحكمين في هذا العصر اذا اشترط في تحكيمهم ان لا استئناف ولا تمييز يتعقب حكمهم وهو وجه شرعي معمولٌ بهِ قديمًا وقد نصَّ عليهِ دستور الاحكام العثماني وقد افادنا الصلتان بقولهِ "اتتني تميم حين هابت قضاتها" ان بعض القضاة كانوا يستعفون

(٧) الحصى مجاز مرسل يراد بهِ العدد والمراد بهِ هنا عدد الاعوان
(٨) الاثرين جمع اثرى اي ذي ثروة · ومالك هو جد عامر بن الطفيل بن مالك · وابو بكر عم جدهِ وهو عبيد بن كلاب بن ربيعة (٩) هامة القوم استعارة تحقيقية اي اشراف القوم
(١٠) الفلج الفوز وهو استعارة تهكمية كما قال الحطيئة في هجاء الزبرقان

من القضاء في بعض الدعاوي وقد جرى ذلك كثيراً عندهم ومن ذلك ما ورد معنا في منافرة عامر وعلقمة انهما جعلا منافرتهما الى ابي سفيان والى ابي جهل فلم يقولا شيئاً اي انهما استعفيا

اما مقاطع الحكم عندهم فقد ذكرها زهير بن ابي سلمى المزني في قوله

فانَّ الحق مقطعهُ ثلاثٌ يمينٌ او نفارٌ او جلاءُ

وهذه المقاطع هي قوام احكام الشريعة الاسلامية ولذلك قال عمر بن الخطاب لو ادركت زهيراً لوليتهُ القضاء . فالجلاء الاقرار والنفار الشهود واليمين معروف ولا مقطع بعد

وكانوا يضعون وضع اليد بالمنزلة التي تضعها فيهِ احكام هذا العصر ولذلك احتجَّ بهِ سنان ابن الفحل الطائي في خصومة على بئر قال

فانَّ الماء ماء ابي وجدي وبئري ذو حفرتُ وذو طويتُ

اما قضاة العرب فكانوا من ساداتهم المشاهير فلا ينال هذه المرتبة الاَّ من عرف بالمروءة وعلوّ الهمة وسداد الرأي قال زهير بن ابي سلمى يمدح سنان بن ابي حارثة المري

متى يشتجر قوم يقل سرواتهم هُمُ بيننا فهم رضى وهمُ عدلُ (١)

هم جدَّدوا احكام كل مضلة من العقم لا يلفى لامثالها فصلُ

بعزمة مأمور مطيع وآمرٍ مطاع فلا يلفى لحزمهم مثلُ

وقد ورد معنا اسماء بعض من كانوا يتقاضون اليهِ ومنهم ايضاً القلمس وفيهِ تقول هند بنت الخس الايادية احدى شهيرات نساء العرب وقد تحاكمت اليهِ هي واختها جمعة

اذ الله جازى منعماً بوفائهِ فجازاك عني يا قلمس بالكرمْ

ومما يجدر بي ان اذكرهُ انهم كانوا يجيزون للحكَم ان يحكم قبل ان يسمع كلام الخصمين وشاهد ذلك ما ورد عن منافرة هاشم بن عبد مناف وابن اخيهِ امية بن عبد شمس بن عبد مناف فانهما تنافرا الى الكاهن الخزاعي في خمسين ناقة سود الحدق ينحرها ببطن مكة والجلاء من مكة عشر سنين فخرج كلٌّ منهما في نفرٍ فنزلوا على الكاهن فقال قبل ان يخبروهُ خبرهم والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما بالجو من طائر وما اهتدى بعلمٍ مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم امية الى المفاخر . فنفر هاشماً وقال لامية تنافر رجلاً هو اطول منك قامة واعظم منك هامة واحسن منك وسامة واقل منك لامة واكثر منك ولداً واجزل منك صفداً . فقال امية من انتكاث الزمان ان جعلناك حكماً

امين ظاهر خير الله

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانت لعمري الطاعم الكاسي

(١) اشتجر قوم اختلفوا وسرواتهم ساداتهم . ورضى مرضيون وعدل عادلون .

مدارس الأمة في المانيا

في نصف القرن الأخير تقدمت الأمة الالمانية تقدماً عظيماً نادر المثال في تاريخ الشعوب وارتقت الى ارفع الدرجات في العلوم والمعارف والصنائع والفنون والحياة العائلية والاجتماعية والسياسية الى غير ذلك وهذا التقدم السريع يعزى الى اسباب اخصها مدارسها والمدارس العالية من جامعة وكلية وفنية والمدارس الابتدائية البسيطة التي يدخل فيها ويخرج منها تسعة اعشار اولاد الشعب. الى هذه المدارس الاخيرة وجهت الامة الالمانية من عهد بعيد مزيد اهتمامها ورعايتها عالمة انهُ اذا زرع في هذه الحقول بزور العلم والفضيلة والاجتهاد والامانة ومحبة الوطن والاعتماد على النفس لا بد ان تنمو وتزهو وتاتي باثمار يانعة تعود بالخير العميم على الامة والوطن. ولقد اصاب وأجاد احد الفرنسويين بقولهِ للالمان بعد حرب السبعين "لم تغلبونا انتم انما غلبتنا امهاتكم ومدارسكم"

ان تاريخ المدارس والتدريس في المانيا لحد زمن الاصلاح الديني الذي نشأ في القرن السادس عشر سقيم جدا. فلم يكن فيها لحد ذلك الحين الأ مدارس قليلة العدد مبنية على الغالب الى جانب بعض الاديرة وكان يعلّم فيها القراءة والكتابة وما يلزم لممارسة الخدمة الدينية في الكنائس وكان اكثر المدرسين وقتئذٍ على جانب عظيم من الجهل والجفاوة يعاملون الصغار احيانًا معاملة بربرية

ثم قام المصلحون وفي مقدمتهم لوثيروس الشهير واقنعوا الامراء والحكام والاهلين بان مسئوليتهم عند الله عظيمة من جهة تعليم الاحداث وتهذيبهم وبوجوب فتح مدارس كثيرة في كل مدينة وقرية فوقعت مناداتهم احسن موقع وشيدت الوف من المدارس وتحسنت اساليب التعليم نوعاً. ولكن الطالع انتشبت بعد ذلك الحروب الدينية الدموية التي دامت عشرات من السنين ودمرت البلاد تدميرًا وصيرتها خرابًا بلقعاً فذهبت بكل حياة ادبية وعقلية ومحت آثار المدارس الحديثة النشأة من البلاد. ثم بعد ان القت الحرب اوزارها وساد السلام لم يستطع الاهالي ارجاع ما سلف الأ رويدًا رويدًا نظرًا لفقرهم واضطرارهم الى ترميم ما تهدم من البيوت. غير ان الميل الى فتح المدارس كان قد غُرس في الصدور ومن ذلك الحين اخذ امراء المانيا ولاسيما ملوك بروسيا يهتمون مزيد الاهتمام بالمدارس وفريدرك الكبير اوّل من جعل التعليم الزاميًا في بلادهِ والَّف بمساعدة احد العلماء نظاماً مدرسياً لايزال يعمل بهِ في اهم موادهِ. وقد قام في بلاد المانيا افاضل كثيرون نظير كومينيوس وبستالوتسي وديسترفك وضحوا النفس والنفيس في تحسين المدارس وترقية شأنها واختراع احسن الاساليب للتعليم

ودرس طبائع الاولاد واحوالهم النفسية درساً مدققاً والفوا من ذلك كله علماً نفيساً في بابه سموهُ البيداغوجيا ويندرج تحتهُ علم البسخولوجيا (علم الظواهر العقلية والنفسية) واصول التربية والتعليم واساليب التعليم القديمة والحديثة وتاريخ المدارس والتدريس يدرسهُ المعلمون كما يدرس المهندس فن البناء وكما يدرس الطبيب فن الطب

ومما تمتاز بهِ المانيا تهذيب معلميها احسن تهذيب في مدارس خصوصية سميت سميناري

وقد علم بالاختبار ان ليس كل عالم او علاَّمة يصلح ان يكون معلماً كما ان ليس كل من عندهُ مواد البناء كالحجارة والجير والرمل يصلح ان يسمَّى بناءً ماهراً. ولقد اصاب من قال "كم من علاَّمة كبئرٍ مختوم بلا نفع وكم من عويلم كنهرٍ جارٍ كثير الفائدة". ان العالم يتكلم غالباً امام الاولاد الصغار عن افكارهِ الرفيعة بكلام يعلو عن مداركهم وافهامهم فلا يستفيدون منهُ وان استفاد احد شيئاً فرمية من غير رام. وقد وجد ايضاً بالاختبار ان تدريس الاولاد كما يجب ان يكون من اصعب الامور. وهذه الصناعة قلما يتعلمها الانسان من تلقاء نفسهِ دون ان يسقط في اغلاط كثيرة سقط فيها غيرهُ قبلهُ ويختبر اختبارات تذهب بلذتهِ من التعليم وذلك كان الداعي قبل نحو مئة سنة الى انشاء مدارس خصوصية لتعليم المعلمين افرزت عن سائر المدارس العالية. من هذه المدارس نيف وسبعون مدرسة في بلاد المانيا يدخلها التلامذة في سن الخامسة عشرة ويدرسون فيها خمس سنوات متوالية العلوم الدينية والطبيعية والرياضية واللغوية والموسيقى والتصوير وفن التعليم علماً وعملاً والى جانب كلٍّ منها مدرسة ابتدائية يقبل فيها اولاد الفقراء مجاناً وفيها يتمرَّن المنتهون في السنة الاخيرة على التعليم بارشاد معلمين ماهرين في التدريس يعلّمون احياناً امام التلاميذ مثائل لتمثل بها ويطلب من كلٍّ من التلامذة ان يكتب مثائل في كل فروع التعليم كلها فكلمة ثم يلقيها على استاذهِ ورفاقهِ

اما المدارس الابتدائية في المانيا فقد بلغت درجة عالية من الكمال وهي جديرة بان يتمثل بها وقد شادتها الحكومة الالمانية على نفقتها مراعية صحة الاولاد وراحتهم ورفاهتهم وجهزتها احسن تجهيز بما لا غنًى عنهُ في تعليم الاولاد نظير المقاعد والمكاتب والخرائط والالواح وغيرها وطبعت الكتب المدرسية في مطابعها وجعلت اثمانها رخيصة جداً حتى لا يتعذر على اولاد الفقراء اقتناؤُها. والمعلمون العاملون فيها هم مستخدمو الحكومة يتناولون رواتبهم منها وقد حفظت لنفسها حق مراقبة المدارس والمعلمين. والتعلم فيها الزامياً فمن لا يرسل ابنهُ الى المدرسة يقع تحت طائلة العقاب. ويدخل فيها الاولاد في سن السادسة او السابعة وينتهون في الثالثة عشرة او الرابعة عشرة وساعات التعليم فيها اربع قبل الظهر واثنتان بعدهُ ما عدا

الاربعاء والسبت وفي كل مدرسة لائحة سياق الدروس من السنة الاولى الى الاخيرة ويطلب من المعلم في بداءة السنة ان يعين الدروس المزمع ان يدرّسها لكل اسبوع ولكل يوم وساعة. ويقتضي ان يستعد استعداداً كافياً لكل درس . ويعاب على المعلم ان يتقيد بالكتاب او ان يقرأ الدرس منهُ قراءة . ومما يعني بهِ كثيرًا تعليم الاحداث والغالب ان يوكل تعليمهم لامهر المعلمين واكثرهم اختبارًا ولا يقصد بالتعليم دس مقدار معين من العلوم والمعارف في عقول التلامذة بل تهذيب كل قوى الانسان الادبية والعقلية والبدنية وايقاظ الفضائل والمواهب المكنونة في التلاميذ وانماؤها واماتة الاميال الفاسدة والافكار الاثيمة . ونظرًا لتديُّن الشعب الالماني جعل للعلم الديني المقام الاول في كل المدارس الابتدائية وفضلاً عن ذلك يعلَّم فيها لغة البلاد جيدًا من قراءة وصرف ونحو وانشاء والخط والحساب ومبادئ التاريخ والجغرافية والطبيعيات والترتيل والتصوير والرياضة البدنية . ويندر ان يعلم فيها لغة اجنبية كالافرنسية او الانكليزية ويبذل المعلمون غاية الجهد في جعل التعليم ملذًا ومفرحًا للاولاد

واساليب التدريس الحديثة تختلف اختلافًا كليًا عن الاساليب القديمة ففي القراءة مثلاً وجدوا ان ذكر اسماء الحروف وقت التهجئة يلقي الاشكال في ذهن الولد الصغير ولكن يسهل عليهِ القراءة اذا ذكرت لهُ اصوات الحروف فقط . وكانوا يشرعون في تعليم الحساب في سنة التعليم الثالثة او الرابعة بجمع اعداد كبيرة فصاروا يبدأُون في سنة التعليم الاولى بتعليم الاعداد الاولى من الواحد الى التسعة وبتعليم الجمع والطرح والضرب باعداد قليلة ويرى الصغار كل ما يحسبونهُ ممثلاً امامهم على الاصابع او على محسبة (آلة حسابية) . وفي الجغرافية كانوا يبدأُون بالكرة الارضية فالقارات فالبحار فصاروا يبدأُون بالمدرسة فالبلدة فالمدينة فالولاية فالمملكة فالممالك فالكرة الارضية . وفي الخط لا يبدأُ بكتابة حروف وكلمات بل تمرَّن اليد اولاً ساعات متوالية على رسم خطوط مستقيمة ومنحنية ودوائر وغيرها وقس على ذلك في سائر العلوم . وقد وضعت للتعليم هذه القاعدة الذهبية وهي: من السهل الى الصعب ومن القريب الى البعيد ومن البسيط الى المركب ومن المعلوم الى المجهول ومن النظري الى العقلي

ومما يسر ويبهج ان تنظر الى مدرسة حسنة الترتيب فيها معلم امين يحترمهُ التلاميذ ويحبونهُ كاب حنون وكلهم عيون ناظرة وآذان صاغية يلتقطون من فيهِ درر الفوائد والآداب والفضائل

وحبذا لو كان اولياء الامور في بلادنا يهتمون بالمدارس الابتدائية ويختارون لها احسن النظامات المدرسية عند ارقى الامم الاوربية ويهتمون باعداد المعلمين في احسن المدارس فترتقى المدارس الابتدائية وبها ترتقى الامة والوطن

بيت لحم ابرهيم م عطا

خزان اصوان وبحيرة مورس

(تابع ما قبلهُ)

اذا أُعلي خزان اصوان يوجَّه الالتفات الى وادي الريَّان ويستخدم كما استخدمت بحيرة مورس في عهد الفراعنة فيخزن فيهِ الفا مليون متر مكعَّب من الماء تستخدم لامداد النيل في زمن التحاريق.

ويعترض على وادي الريان انهُ اذا جُعل خزانًا مدَّ النيل كثيرًا في ابريل ومايو وقليلاً في يونيو واقل من ذلك في يوليو فلم اشر باستخدامهِ في تقريري الذي رفعتهُ الى الحكومة المصرية سنة ١٨٩٤ ولكن اذا تم خزان اصوان وصار يخزن فيهِ الفا مليون متر مكعب من الماء امكن حينئذٍ استخدام وادي الريان كما تسمح بهِ حالة النيل فان خزان اصوان مرتفع عن سطح النيل ويمكن اجراء الماء المخزون فيهِ رويدًا رويدًا او بمقدار كبير واما وادي الريان فجريان الماء منهُ الى النيل متوقف على الفرق بين سطحهِ وسطح النيل في الارتفاع لان ارتفاع سطح الماء فيهِ عن سطح ماء النيل قليل جدا فيقل الجاري منهُ الى النيل رويدًا رويدًا بتقدُّم فصل الصيف ولا يكون في آخر الصيف ربع ما كان في اولهِ

لنفرض ان الخزان تمَّ حسب المراد ووادي الريان صُنع خزانًا لماء الفيضان وانهما كليهما امتلأا ماء وكان ذلك في اول ابريل فيفتح خزان وادي الريان ويمدُّ النيل بكل ما يراد ان يمدَّ بهِ في ذلك الشهر ولا يُفتح خزان اصوان حينئذٍ. وفي شهر مايو يجري كل الماء المطلوب من وادي الريان ولا يجري الاَّ شيءٌ قليل من خزان اصوان. وفي يوليو يجري كل الماء المطلوب من اصوان وقليل جدًّا من وادي الريان فيكون خزان اصوان ووادي الريان متممين احدهما للآخر فيفيان كلاهما معًا بحاجة القطر المصري

ووادي الريَّان منخفَض في الصحراء جنوبي الفيوم مفصول عنها بجرف من الصخر الكلسي وقد اشار الكولونل وسترن بعملهِ خزانًا سنة ١٨٨٨ ووافقهُ الكولونل روس على ذلك وهو اول مفتش عام للري. ولما غادر الكولونل وسترن القطر المصري فوّض اليَّ درس هذه المسألة وأُرسل المستر هيوت والمستر كلفتن لعمل التصميم النهائي ونشرت الحكومة المصرية الرسوم والتقادير سنة ١٨٩٤. وقد اضطررت حينئذٍ ان ارفض هذا المشروع بسبب الخلل الوحيد الذي اشرت اليهِ آنفًا لكن هذا الخلل يزول باتمام خزان اصوان وهذا هو الذي اشير بهِ والحُّ بعملهِ

وقد كان عند القدماء خزان مثل وادي الريان وهو بحيرة مورس كان معدودًا من عجائب الدنيا السبع وقد ابان السر هنبري برون في كتابهِ عن الفيوم وبحيرة مورس ان تلك

البحيرة كانت تغطي مديرية الفيوم. واول من وصفها هيرودوتس المؤرخ الذي كان قبل المسيح بنحو ٤٥٠ سنة فقال ان في بلاد مصر بحيرة كبيرة تسمى بحيرة مورس تستحق ان تسمى بحراً لكبرها ولونها كلون البحر ينصب اليها ماء النيل وقت فيضانه فتمنع تغريقهُ للبيوت والجنائن وحينما يحط النيل يعود الماء منها اليهِ من مجريين ويستخدم للري وعلى المجريين قناطر موازنة للتحكم في الماء وهو جار الى البحيرة وراجع منها

وقال ديودورس الصقلي في نحو ذلك الوقت ان الملك مورس حفر بحيرة كبيرة جدًّا لان فيضان النيل لا يجري دائمًا على وتيرة واحدة وزراعة البلاد تتوقف على انتظام فيضانه فحفر البحيرة لكي ينصبَّ اليها الماء الزائد وانشأ لها ترعة من النيل طولها ٨٠ غلوة وعرضها ٣٠٠ قدم يجري الماء بها ذهاباً واياباً

وقد اختلف الناس كثيراً في موقع هذه البحيرة ولكن كتاب السر هنبري برون ازال كل ريب فقد بيَّن فيهِ انها كانت تغطي كل مديرية الفيوم تحت الحد المرتفع عن سطح بحر الروم ٢/١ ٢٢ متر. ولا تزال اصداف النيل موجودة بكثرة على هذا الحد. ويبلغ حد الفيضان الآن في حوض قشيشة ٢/١ ٢٦ متر فوق سطح بحر الروم وقد كان حدهُ اوطأ من ذلك اربعة امتار في عهد الملك امنمهات منذ اربعة آلاف سنة اي كان ٢,١ ٢٢ متر فوق سطح بحر الروم وهو الحد الذي كان يمكن ان تبلغ البحيرة اليهِ حينئذٍ. الا ان وادي النيل ارتفع عشرة سنتمترات كل مئة سنة من ذلك الحين الى الآن ثم تجمع الطمي في تلك الترعة على مر الزمان فانسدت بعد ان بقي الماء يجري فيها الفي سنة

وقد كان الاتصال بين بحيرة مورس والنيل موجوداً في عهد الملك مينا كما اخبرني الاستاذ سايس ولكن الملك امنمهات من الدولة الثانية عشرة وسَّعهُ وعمَّقهُ وازال الحواجز الصخرية منهُ وجعل البحيرة بحراً يعدّل فيضان النيل. لقد كان اولئك الفراعنة جبابرة في اعمال الري وكانوا حكماء كما كانوا اقوياء

وقد وصف السر هنبري برون تلك البحيرة فقال ان مساحة سطحها كانت ٢٥٠٠ كيلومتر مربع واذا كان الفيضان عظيماً انصبَّ اليها منهُ عشرون الف مليون متر مكعب من الماء فتعدّل الفيضان مهما كان عالياً. واذا كان الفيضان قليلاً ولم تستعمل الدقة في اجراء الماء اليها فقد يحرم الوجه البحري من التنيل اي تبقى ارضهُ شراقي ولم يكن حينئذ ري غير التنييل

ولقد قلت مراراً ان المستر كوب هويتهوس اصاب في قوله ان هوار الهكسوس هو هرم هوارة الموجود الآن حيث يوجد هرم اللغز وحيث كانت قناطر الموازنة لدخول المياه الى

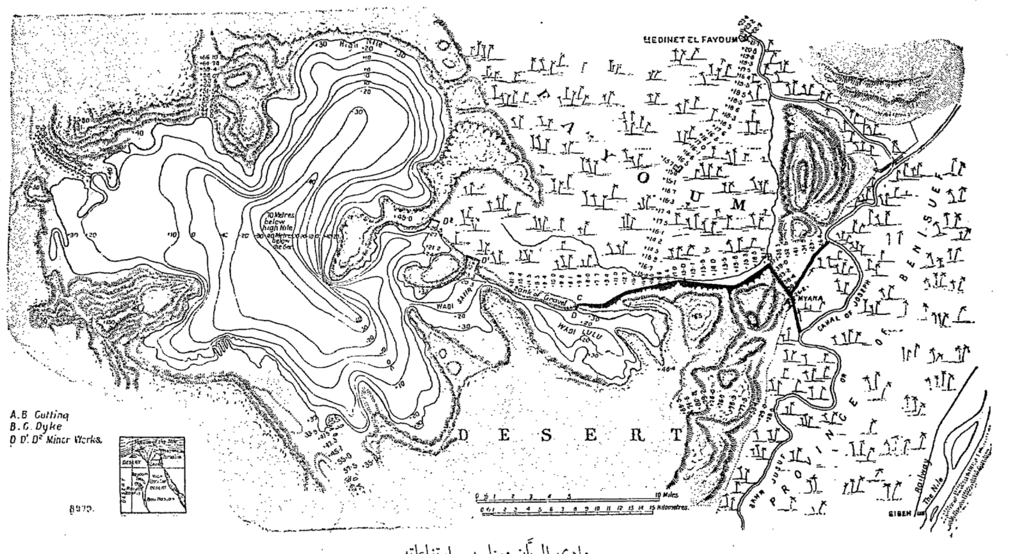
بحيرة مورس . وقناطر الموازنة كانت اثنتين الواحدة في اللاهون وهرم اللاهون عند طرفها الشمالي وهناك الآن قرية هوارة عجلان وقرية اللاهون والثانية بجرى محفور في الصخر حيث يوجد بحر يوسف الآن وهناك جسر كبير وقرية هوارة المقطع وهرم هوارة عند الطرف الشمالي وبينهُ وبين الجسر اللغز او هيكل القناطر (لبيروهنت) وهو مثل حصن تقيم فيهِ حامية تمنع من يحاول الوصول الى الجسر وقطعهُ وعلى الجانب الآخر من الجسر هوارة المقطع وكانت جزيرة حصينة يحيط بها الماء وكان بين الموازنتين عشرة كيلومترات وعليهِ كانت موازنة هوارة مفتاح مصر ومن يتسلط عليها يتحكم في ري الوجه البحري

(وافاض الخطيب هنا في بحث تاريخي الى ان قال) ولنترك الآن بحيرة مورس القديمة التي صارت ارضاً زراعية مساحتها ٤٠٠٠٠٠ فدان وقيمتها اكثر من ٨٠ مليون جنيه ولنرجع الى بحيرة مورس الحديثة اي وادي الريان الذي يمكن ان يصير بحيرة كبحيرة مورس القديمة يدفع عن القطر غائلة الغرق ويمدُّ النيل وقت التحاريق

وادي الريان كما قلت سابقاً منخفض في الارض جنوبي الفيوم تبلغ مساحة سطحهِ على ٢٩ متراً فوق سطح البحر ٧٠٠ كيلومتر مربع اي نحو ربع مساحة بحيرة مورس القديمة واسفلهُ اوطأ من سطح البحر بواحد واربعين متراً فاذا ملئ ماء بلغ عمق الماء فيهِ ٧٠ متراً ولكن لا ينصرف منهُ حينئذٍ الاَّ ما عمقهُ اربعة امتار او خمسة او نحو ثلاثة الآف مليون متر مكعب وهو يساعد على تخفيف وطأة الفيضان الزائد ومنع الغرق ولكن فائدتهُ الكبرى في امداد النيل وقت التحاريق لاجل الري الصيفي لانهُ يمدهُ بالفي مليون متر مكعب وهي كل ما يلزم لادخال الزراعة الصيفية الى القطر المصري كلهِ

وقد ابنت كيف تكون هذه البحيرة عوناً لخزان اصوان ومرادي ان ابين الآن كيف يجري الماء اليها وكيف يعود منها الى النيل وكم هي النفقة اللازمة لذلك وفي كم سنة تمتلئ ويمكن استعمالها

يمكن جعل هذه البحيرة تمد النيل بثلاثة آلاف مليون متر مكعب او جعلها تمدهُ بالفي مليون متر مكعب ففي الحالة الاولى يجعل ارتفاع الماء فيها ٢٩ متراً عن سطح بحر الروم وفي الحالة الثانية يجعل ارتفاع الماء فيها ٢٧ متراً فقط فوق سطح بحر الروم وفي الحالين يجري الماء منها الى ان يصير ارتفاعهُ فيها ٢٤ $\frac{1}{2}$ متر فوق سطح بحر الروم واذا اريد ان يؤْخذ منها ماء اكثر من ذلك فيمكن بآلات رافعة ترفع منها ٢٠٠ متر مكعب كل ثانية من الزمان ويبلغ ثمنها ونفقات وضعها ٢٥٠٠٠٠ جنيه ونفقات تشغيلها ٣٥٠٠٠ جنيه كل سنة والآلات الكبيرة الى هذا الحد لم تكن معروفة منذ اثنتي عشرة سنة



وادي الريان ومناسيب ارتفاعاته

فاذا اريد ان تكون تخزن ثلاثة آلاف مليون متر مكعب تفتح لها ترعة طولها ٣٠ كيلو متراً يجري بها الماء اليها من عند الشرعونة حتى اذا كان الفيضان غزيراً جداً امكن ان تأخذ من النيل الف متر مكعب كل ثانية من الزمان مدة خمسين يوماً فيخفض سطحهُ ثلاثين سنتمتراً في تلك الايام

والترعة الاصلية تقطع الصحراء امام الميانا وتدخل وادي الريان عند طرفهِ الشرقي وبها يعود الماء من الوادي الى النيل وقت التحاريق ولكنها تتصل بالنيل في رجوعها جنوبي بني سويف . وطول الفرع الاول من هذه الترعة ١٦ كيلومتراً وطول الفرع الثاني ٢٠ كيلومتراً (يرى ذلك واضحاً في الرسم المقابل) ويكون عرض كل ترعة من الترعتين اربعين متراً وعمق الواحدة ١٠ امتار والثانية ٧ امتار ويكون لها قناطر موازنة على النيل ومحارات تحت الابرهيمية وبحر يوسف وقناطر موازنة عند الاتصال بوادي الريان

فاذا اريد ان يخزن في وادي الريان ثلاثة آلاف مليون متر مكعب من الماء فالاعمال اللازمة لذلك تقتضي مليونين وستمئة الف جنيه ويصير مقدار الماء المنصرف في كل ثانية من الزمان امتاراً مكعبة هكذا

	الجاري في النيل والنابع فيه	المنصب من خزان اصوان	المنصب من وادي الريان	الجملة
في ابريل	٥٥٠	...	٣٥٠	٠٩٠٠
في مايو	٥٠٠	١٠٠	٤٥٠	١٠٥٠
في يونيو	٤٠٠	٤٥٠	٢٥٠	١١٠٠
من ١ الى ١٠ يوليو	٤٥٠	٥٥٠	١٠٠	١١٠٠

وهذا المقدار من الماء يكفي تماماً لكل فدان يزرع الآن او يمكن زرعهُ في المستقبل من الاراضي الصالحة للزراعة

ويحسن ان لا تحفر الترعتان في وقت واحد معاً بل يكتفى اولاً بالترعة الثانية التي يجري بها الماء من الوادي فيجري بها الماء الى الوادي مدة اربع سنوات ومتى امتلأ يعتمد على بحر يوسف لجر الماء الى الوادي من ١٥ اكتوبر الى آخر فبراير وحينئذٍ تعمق الترعة بين الصحراء وضفة النيل فتصير مخرجاً للماء المنصرف من الوادي الى النيل

واذا أريد خزن الفي مليون متر مكعب فالنفقات اللازمة لذلك مليونا جنيه ويصير الماء الجاري كل ثانية من الزمان هكذا

	الجاري في النيل والتابع فيهِ	من خزان اصوان	من وادي الريان	المجموع
في ابريل	٥٥٠	٠٠٠	٣٥٠	٩٠٠
في مايو	٥٠٠	٢٠٠	٢٥٠	٩٥٠
في يونيو	٤٠٠	٤٣٠	١٢٠	٩٥٠
من ١ الى ١٠ يوليو	٤٥٠	٥٠٠	٥٠	١٠٠٠

والمشروع الكبير يتم في ثلاث سنوات ونصف ويمتلئ الوادي في ثلاث سنوات ونصف والمشروع الصغير يتم في ثلاث سنوات فقط ويمتلئ الوادي بهِ في اربع سنوات وباستخدام هذا الوادي لمساعدة الخزان وقناطر اسيوط والقناطر الخيرية يتم الري الصيفي في كل مصر بعد سبع سنوات من ابتداء العمل

وليس في العالم الآن مشروع اتم من هذا المشروع او انفع منهُ فانهُ اذا أُنفق نصف مليون جنيه على تعلية خزان اصوان ومليونا جنيه على وادي الريان بلغ الربح الناتج من ذلك ٤٥ مليون جنيه فهو اربح الاعمال ماليًّا وانفعها لجمهور كبير من الناس ويشبه العمل العظيم الذي عملهُ امنمهات منذ اربعة الآف سنة وموقعهُ على مقربة من موقع بحيرة مورس التي انشأها ذلك الملك. والصحراء التي بينهُ وبين الاراضي الزراعية يمكن ان تصير اراضي زراعية فيضاف عشرون الف فدان كل سنة الى الاراضي الزراعية يساوي الفدان منها خمسين جنيهاً . ويمكن ايضاً رفع الماء في وادي الريان الى علو ٣٠ او ٣١ مترًا فوق سطح البحر واذا لم يتيسَّر ري كل الاطيان من ديروط الى القناطر الخيرية بترعتين طويلتين امكن انشاء قناطر أُخرى عند الجسر الجنوبي من بني سويف فيصير ري الفيوم والجيزة امرًا سهلاً وكذلك ري الصحراء الواقعة شمالي القاهرة

ولا بدَّ من ان اشير الى عمل آخر عظيم انشأهُ الملك امنمهات منشئ بحيرة مورس فان العالم لبسيوس اكتشف مقياسًا للنيل صنعهُ هذا الملك في سمنة عند الشلال الثاني من شلالات النيل . وحد الفيضان المرسوم عليهِ يعلو عن حدهِ الحالي ثمانية امتار. والنيل عند سمنة تسهل اقامة السد فيهِ ولذلك خطر لي ان امنمهات اقام سدًّا هناك ليجعل فوقهُ خزانًا لخزن المياه في مسيل النيل نفسهِ ثم عجز خلفاؤهُ عن اتمام هذا العمل فعاد النيل الى مجراهُ القديم

اما الاربعة الاف مليون متر التي قلت ان خزان اصوان ووادي الريان يخزنانها الى حين الحاجة فتفي بالحاجة تمامًا معها كانت حالة النيل فتزيد بها مساحة الاطيان التي تروى ريًّا صيفيًّا مليونًا ونصف مليون من الفدادين ويبقى منها ما يغزر بهِ ماء الري المستعمل الآن للري الصيفي فلا يستعمل بالشح

ثم اذاً اردنا ان تبقى الترع مملوءة بالماء على مدار السنة وجب علينا ان نتحكم بالماء في البحيرات الاستوائية حيث مصادر النيل وفي المستنقعات التي يمر فيها هناك وحينئذٍ نروي بهِ كل الاراضي الواقعة بين الدرجة ١٠ والدرجة ٢٤ من العرض الشمالي ونوصله الى مصر غزيراً كافياً لريها . لهذا الغرض ذهب السر وليم جارستن الى اعالي السودان مرتين . اما ري القطر المصري وحده فالخزانان يكفيان له واذا اعتدى احد على النيل في زمن التحاريق وسدَّ مجراه شهراً او شهراً ونصفاً فالخزانان يغنيان عنهُ الى ان تفرج الازمة و يزال السد و يكون نفعهما حينئذٍ فوق كل تقدير اما الخزانات التي يمكن ان تنشأ في اعالي السودان فلا تغني فتيلاً بل قد يكون منها ضرر لهذا القطر

اتضح مما تقدَّم ان توسيع نطاق الري الصيفي حتى يعم القطر المصري ليس مما يتعذر عمله لا من حيث المال ولا من حيث المصاعب الطبيعية فلا يقتضي من النفقات اكثر من مليونين ونصف من الجنيهات وليس هذا المبلغ بالشيء الكثير على حكومة اقرضت حكومة السودان بالامس مليوني جنيه لانشاء سكة حديدية بين سواكن وبربر . وتحقيق الري الصيفي للقطر المصري كلهِ انفع له من سكة سواكن مئة مرة ولا احد يعلم ذلك اكثر من اللورد كرومر كما انهُ ليس لري القطر المصري صديق اصدق منهُ

والعمل الذي اشير بهِ يمكن الشروع فيهِ حالاً واعلاء الخزان يعترضهُ هيكل انس الوجود واذا لم يُعلَ فلا سبيل للعمل الآخر وهو خزن الماء في وادي الريان

والذين اعترضوا على اعلاء الخزان يظنون ان ما يحلُّ بالحجارة من التلف اذا كانت في ارض رطبة يحل بها ايضاً اذا غمرتها المياه بضعة اشهر من السنة وهذا خطأ لان الماء اذا غمر الحجر حفظهُ من البلى ولا يبلى منهُ الاَّ ما يبقى مكشوفاً فوق حد الماء فغمر الهيكل واسطة لحفظهِ

ولقد احسن المستر ونستن تشرتشل في وصفهِ غيظ اهالي هذا القطر من اعتراض علماء الآثار على اعلاء الخزان فقال " ان تضحية ١٥٠٠ مليون متر مكعب من الماء لهاثور التي كانت تُعبد في ذلك الهيكل هو اثمن الضحايا التي قُرّبت على مذبح ديانة كاذبة واشدها ظلماً واكثرها جوراً فانهُ يقضي على الحكومة المصرية بالخسران وعلى الامة بالتضوُّر جوعاً وذلك كله لكي يتهلل علماء الآثار ويكتب السياح اسماءهم على حجارة الهيكل "

و يسهل على ادارة الآثار ان تنقل هيكل انس الوجود الى جزيرة البيجة على ما اشار بهِ السر وليم جارستن ولا تكون نفقات نقلهِ مئتي الف جنيه . وجزيرة البيجة على رمية سهم من جزيرة انس الوجود وارفع منها واصلح لقيام الهيكل

والهيكل كما هو عليهِ الآن في حالة يرثى لها وكلما رأيتهُ اتصوَّر هاثور واقفة هناك رجلاها في الماء وثيابها ملطخة بالاوحال تتوسَّل لتنقل الى جزيرة البيجة . والمئتا الف جنيه التي وعد بها السروليم جارستن يكفي نصفها لنقل الهيكل الى جزيرة البيجة والنصف الآخر لترميم هياكل طيبة ولقصر و كرنك وابيدوس

رأينا في ما تقدم كيف انهُ يمكن ان يعم الري الصيفي القطر كلهُ فيزيد ثمن اطيانهِ من ٢٧٥ مليون جنيه الى ٣٣٥ مليون جنيه والآن نلتفت الى امر آخر هامّ مثل الامر الاول وهو الاحتفاظ بهذه الثروة بعد الحصول عليها . فان النيل يعلو فوق واديهِ حين فيضانهِ متراً في الوجه القبلي ومترين في المديريات الوسطى وثلاثة امتار ونصف متر في بعض الاماكن على فرع رشيد وذلك في الفيضان الزائد . وفرع دمياط لا يصلح لجريان النيل في الفيضان الزائد فيجدر بالحكومة ان تحسب فرع رشيد النيل كلهُ وتجعل فرع دمياط ترعةً من الترع

حينما اتينا القطر المصري وجدنا الطريقة المتبعة للتصرُّف بماء الفيضان توزيعهُ في فرعي النيل وترعهِ واقامة الالوف من انفار العونة على الجسور لحفظها فغيَّرنا ذلك وحصرنا ماء الفيضان في فرع رشيد وفرع دمياط واقمنا الحرس عليهما . والآن تمكنا باعمال السر هنري يرون من التحكم بالماء في فرع دمياط فلم يبقَ علينا الاَّ حراسة فرع رشيد

وقد حدثت قطوع كبيرة في فرع دمياط سنة ١٨٦١ و١٨٦٣ و١٨٦٦ و١٨٦٩ و١٨٧٤ و١٨٧٨ ولم يحدث قطع كبير في فرع رشيد الاَّ سنة ١٨٦٣ لكن كان ضررهُ بالغاً جداً فانهُ غرَّق النصف الغربي من الوجه البحري ولم يترك للناس ملجأً يلجأون اليهِ فمات كثيرون منهم غرقاً . ويحدث مثل ذلك الآن اذا حدث قطع كبير في فرع رشيد ويكون الضرر اشد لأن البلاد اكثر سكاناً وقد عمرت اطرافها الى حد البرلس فاذا حدث قطع كبير في الجسر الشرقي من فرع رشيد او الجسر الغربي من فرع دمياط تحت القناطر الخيرية الى بعد مئة كيلومتر كان منهُ خراب عام

واذا جاء الفيضان عالياً جداً القى الرعب في البلاد كلها فترى الخيام منصوبة على جسور النيل كل خمسين متراً وفي كل خيمة منها غفيران والسرج موقدة الليل كلهُ وعلى كل نقطة ضعيفة خمسون نفراً الى مئة والقوارب والبواخر تسير في النيل مملوَّة بالاكياس واللبش والحجارة . واللبش يوضع على جانبي الجسر لمنع فعل الامواج بهِ . رأيت سنة ١٨٨٧ حادثة عند برنبل شمالي المنصورة كانت تحدث حينئذٍ اكثر مما تحدث الآن . حدث قطع هناك وبلغ خبرهُ اهالي القرية المجاورة فهرعوا الى الجسر باولادهم ومواشيهم وكل مقتنياتهم واجتمع النساء حول

قبر وليٍّ هناك يضربن صدورهنَّ ويتوسلن اليهِ ويزعقنَ زعيقاً يصمُّ الآذان والرجال يركضون ويخطفون كل ما تقع يدهم عليهِ ليسدوا بهِ القطع ووقف جمهور منهم في الماء كتفاً لكتف وجعلوا يلقون فيهِ كل ما يتناولونهُ من الابواب والاخشاب والحطب الى ان سدوا القطع ٠هكذا كان الناس يسدون قطوع النيل من اول عهدهم. شكرت احد الموظفين مرة على الهمة التي ابداها في سد قطع حدث سنة ١٨٨٧ فقال لي انهُ كان فتى سنة ١٨٧٨ وحدث حينئذٍ قطع في مت بدر فارسل اسمعيل باشا تلغرافاً بأمر بطرحهِ هو والمهندس في القطع لكن المأمور ابقاهُ اثنتي عشرة ساعة فايضٌ شعرهُ خوفاً ثم عفي عنهُ

فاذا استخدم وادي الريان خزاناً انخفض بهِ ماء الفيضان ٣٠ سنتمتراً مدة خمسين يوماً فتضعف وطأة الفيضان العالي جداً عن البلاد كلها من بني سويف الى بحر الروم. ولا بدَّ من وضع الموازنة على فرع دمياط وجعلهِ مثل بقية الترع وحصر المراقبة والعناية في فرع رشيد (وهنا اسهب الخطيب في كيفية العناية بالنيل حتى تحفظ جسورهُ وينتفع بالرمال التي على جوانبهِ حسب طريقة المهندس ايدس الاميركي)

جبّار الاخطبوط

كتبنا منذ بضع سنوات فصلاً في النوتيلس والاخطبوط ذكرنا فيهِ ان الديكابود (ذا العشرة الاذرع) قد يبلغ وزنهُ عشرة قناطير مصرية وطول كلٍّ من ذراعيهِ الطويلتين ٢٤ قدماً وان هذا الحيوان كشف سنة ١٨٧٤ على شاطئ الارض الجديدة. وقد اطلعنا الآن على مقالة للدكتور هارفي مكتشف هذا الحيوان نشرها في جريدة الوَيْد ورلد وصف فيها كيفية اكتشافهِ وصفاً بديعاً. فقد روى القدماء والقصَّاصون روايات غريبة عن هذا الحيوان حتى زعم بعضهم انهُ يقبض على السفينة ويجذبها الى قاع البحر فظن العلماء ان كل ما رواهُ عنهُ الراوون من قبيل الخرافات الموضوعة وان الحقيقة دون ذلك بمراحل فكبَّرها الوهم وجسمها التخيُّل واخرجها من حيز الاوهام الى ان اتيح للدكتور هارفي هذا كشف القناع عن محيا الحقيقة واظهارها للعيان

وقد تم هذا الاكتشاف منذ ثلاثين سنة ولم يمضِ عليهِ وقت قصير حتى دوت لهُ اندية العلماء وتداولتهُ الالسنة ولم تبقَ جريدة حتى نشرت تفصيل ذلك الاكتشاف. الاَّ ان ابناء هذا العصر لم يطلعوا على تفصيل ذلك وهذا ما حدا بالدكتور هارفي الى نشر التفصيل التالي لما فيهِ من الفكاهة والفائدة قال ما خلاصتهُ :

"في الشاطئ الشرقي من جزيرة نيوفوندلند (الارض الجديدة) خليج جميل يكثر فيه السمك فيتخذ السكان صيده مهنة لهم. وفي القسم الجنوبي من هذا الخليج جون صغير يسمى جون البرتغال باسم وطن مكتشفهِ

وفي السادس والعشرين من شهر اكتوبر سنة ١٨٧٣ كان صيادان في زورقهما يصيدان الاسماك في جون البرتغال ولاحدهما ابن لهُ من العمر اربع عشرة سنة وهو يدير دفة السفينة وبينا كان كلٌّ من الثلاثة منهمكاً في عملهِ رأَوا عن بعدٍ جسماً كبيراً عائماً في الماء فظنوهُ قطعة من سفينة منكسرة وجذفوا نحوهُ وضربهُ احدهم بمجذافهِ وللحال تحرك ونهض فوق الماء واراهم منظراً مريعاً تقشعر لهُ الابدان وحشاً بحرياً ضارياً بعينين كبيرتين تتأَلقان غضباً ومنقارٍ عظيم اعقف كمنقار الببغاء ثم انقضَّ على الزورق وضربهُ بمنقارهِ وفي اقل من طرفة عينٍ نشبت منهُ ذراع طويلة دقيقة كالحبل والتفت حول الزورق ثم تبعتها ذراع اخرى اقصر منها ولكنها اغلظ والتصقت الذراعان حول الزورق فجعل الماء يدخلهُ واشرف على الغرق. فذهل الصيادان وايقنا بدنو الاجل الاَّ ان الفتى لم يفقد رشدهُ بل بادر الى فأس صغيرة كانت في قاع الزورق فرفعها وضرب بها ذراعي الحيوان فقطعهما. ولم يُعدِ الحيوان الكرَّة على الزورق بل تركهُ وافرز مقداراً كبيراً نحو ثماني اقات من سائل كالحبر رائحتهُ تشبه رائحة المسك صبغ الماء المجاور لهُ ثم غاص في البحر ولم يعد يرى ثانية. وعاد الصيادان بزورقهما الى الشاطئ وهما يرتجفان خوفاً واما الفتى واسمهُ توما بيكوت فنزع الذراعين عن القارب وعاد بهما الى الشاطئ كما يعود البطل الظافر بغنيمتهِ ولم يخطر على بالهِ انهُ اتى امراً خطيراً فرمى الذراع القصيرة الغليظة الى الكلاب فتناوشتها الى ان التهمتها واما الذراع الطويلة فانهُ اخذها الى بيتهِ حاسباً انها اذا جفَّت صارت حبلاً يربط بهِ قاربهُ. وسمع قسيس القرية بتفصيل الحادثة فاشار على توما ان يبادر اليَّ ويريني تلك الذراع فاتاني في الصباح التالي وحكى لي القصة فاشتريت الذراع منهُ بمبلغ من المال فعاد يطفر فرحاً. واما انا فلم اكن دونهُ فرحاً وحبوراً فقد علمت انني وجدت اغرب غرائب مملكة الحيوان وان بين يديَّ مفتاح سرٍ غامض تناظر العلماء طويلاً في حقيقة وجودهِ منذ قرون. وتيقنت انهُ سيضاف بواسطة اكتشافي فصل جديد الى التاريخ الطبيعي الاَّ ان فرحي كان يمازجهُ الكدر الشديد لفقد الذراع الغليظة. ولكنني كنت اعلل نفسي بانهُ يمكن تصوير الحيوان كلهِ من معرفة ذراعهِ الواحدة فقط كما فعل كيفيه وغيرهُ فانهم صوَّروا بعض الحيوانات من رؤية عظم واحد من عظامها. على ان الحظ اعدَّ لي ما لم اكن انتظرهُ ولا احلم بهِ كما سيجيء

وبعد ان دققت البحث في هذه الذراع استنتجت ان طول هذا الحيوان بين خمس عشرة وعشرين قدماً وان طول كل من الذراعين الطوال خمس وثلاثون قدماً او اربعون وعرض رأسهِ اربع اقدام وان ثقلهُ لا ينقص عن الف او الف ومئتي رطل وكان محيط الذراع لا يزيد على ثلاث بوصات ونصف الاَّ انها كانت متينة جداً ولونها احمر ضارب الى الصفرة . وتتسع عند طرفها فتصير شبه مجذاف ويصير محيطها ست بوصات وهذا القسم المتسع مسلَّح بممصات قطر اكبرها بوصة وربع وحولها اسنان دقيقة حادة . فاذا التصق الممص بحيوانٍ غرزت هذه الاسنان في لحمهِ واصبح افلاتهُ مستحيلاً . وهذه الممصات في صفين في كل منهما اثنا عشر ممصاً. وهنالك ايضاً عدد كبير من الممصات الصغيرة وكلها تحيط بها الاسنان الصغيرة

وللديكابود ذراعان طويلتان وثماني اذرع اخرى قصيرة وهي اغلظ من الذراعين الطويلتين . وكلها اطوع لهذا الحيوان من اليد للانسان والمخلب للاسد فتنشب بسرعة البرق حتى لا يمكن للعين ان تتبعها في حركتها وتنقضُّ على الفريسة فتجذبها الى فم الحيوان فيفترسها

ولم يعد يظهر اثر لهذا الحيوان الغريب والراجح انهُ نزل الى اعماق البحر ليموت منفوداً كما تفعل الاسماك اذا اصيبت بجراح والاَّ فقد هاجمتهُ رفاقهُ لما احسَّت بعجزهِ وافترستهُ لان السمك يأكل بعضهُ بعضاً من غير حساب

ولم يمضِ على هذه الحادثة ثلاثة اسابيع حتى ذاع ان الصيادين امسكوا اخطبوطاً كبيراً في خليج لوجي على ثلاثة اميال من مدينة سنت جون في الارض الجديدة . فاسرعت الى ذلك المكان فرأيت الصادين حول الحيوان وهم يريدون تقطيعهُ واستعمالهُ سماداً للارض . وكان سليماً من كل عطب الاَّ ان الصيادين اضطروا ان يقطعوا رأسهُ فاتلفوا عينيهِ . وكنت قد درست كل ما يتعلق بهذا الجنس من الحيوان فتحققت ان ليس في متحف من متاحف العالم حيوان كامل مثلهُ بل كان العلماء يرتابون في وجود ما هو كبير مثلهُ وللحال اشتريتهُ بعشرة ريالات ونقلتهُ الى منزلي ووضعتهُ في وعاء كبيرة مملوءة بالماء والملح

وكان هذا الحيوان اصغر من الاول وقد ظننت انهُ انثى الحيوان الاول نفسهِ حلَّ بها اليأس حين فقدت الفها فالقت بنفسها الى التهلكة . وذلك ان الصيادين كانوا في زورق يصيدون السمك بالشباك وبينما هم كذلك احسوا بثقل غير اعتيادي في شبكتهم فابرقت اسرتهم وظنوا انهم اصابوا شيئاً كثيراً من السمك ولكن لما قربت الشبكة منهم احسوا باختباط شديد فيها كاد يمزقها ويذهب بها فجمعوا قواهم وتعاضدوا على سحبها فلما بدا لهم ما فيها هالهم منظرها اذ رأوا عينين كبيرتين تتقدان غضباً حولها اذرع كبيرة تتلوى داخل الشبكة وتتخبط لتتملص

منها . ثم نشبت ذراعان من هذه الاذرع وخرجت من الشبكة واهتزت في الهواء الاَّ انهما لم تصلا الى الزورق بل عادتا الى مكانيهما . وقد هال الصيادين هذا المنظر وارادوا ان يتركوا الشبكة وما فيها الاَّ انهم صمموا اخيرًا على قتل هذا الحيوان ليأمنوا شرَّهُ وتناول احدهم سكيناً حادةً فقطع بها رأسهُ من تحت العينين واصاب العينين ففقأهما وترك حجاجيهما فارغين وللحال انقطعت حركة الحيوان فسهل على الصيادين اخراجهُ الى البر

وقد كانت هذه الحادثة من حسنات الطبيعة وغرائب الاقدار . فان الطريقة التي بها قُبض على ذاك الاخطبوط هي الطريقة الوحيدة التي يمكن بها القبض عليهِ من غير ان يلحق بهِ ضرر وبالقابض عليهِ اذًى

وقد قستهُ فوجدت طول جسمهِ ثماني اقدام ومعظم محيطهِ خمس اقدام ونصف قدم . ويتشعب منهُ عشر اذرع اثنتان منها طويلتان طول كلٍّ منهما اربع وعشرون قدماً ومحيطها ثلاث بوصات . وهذه تشبه الذراع التي أُتي اليَّ بها من جون البرتغال وفيها على الطرف المتسع نحو ١٦٠ ممصاً ويبلغ طول كلٍّ من الاذرع الباقية ست اقدام ومعظم قطرها ١٢ بوصة وعلى سطحها الاسفل صفان من الممصات . ويبلغ عدد كل الممصات على الاذرع العشر نحو ١١٠٠ ممصٍ . ومحيط حجاج العين المفقوءة ١٢ بوصة والمنقار صلب يشبه منقار الببغاء في الانعكاف وحجمهُ كحجم الكف المقبوضة وحولهُ كيس لحمي في وسط الرأس . ويبلغ طول الحيوان من طرف الذراع الواحدة الى طرف الذراع الاخرى ٥١ قدماً

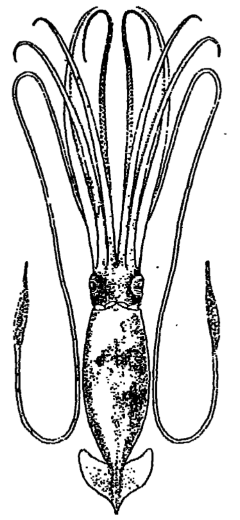
وللاخطبوط انبوبة وراء رأسهِ واليها تُنسب حركاتهُ السريعة في الماء . وكيفية ذلك ان الانبوبة متصلة باعضاء التنفس يدخلها الماء من صمَّامين بواسطة تمدد جسم الحيوان . فاذا اخذ الدم من الماء الاكسجين اللازم له انضغط الجسم على الماء فاخرجهُ من الانبوبة بقوة شديدة واندفع الحيوان بسرعة . هذه هي الطريقة التي بها يسير الاخطبوط عادةً وذنبهُ مثلث الشكل يقوم مقام دفةٍ يدور بها كيف شاء ويسير بهِ الى الامام بسهولة تامة

وفيهِ كيس للحبر يفرغ الحبر منهُ الى هذه الانبوبة بقناة مخصوصة فاذا داهم الاخطبوط عدو افرز كمية من هذا الحبر الى الماء المجاور فيحيط نفسهُ بستار من الظلام الحالك يجعلهُ في مأمن من كل طارئٍ مفاجئ

وليس للاخطبوط سلسلة فقارية كما لسائر الحيوانات العليا بل لهُ لوح صلب يشبه العظم ويقوم مقام السلسلة . ويرتإي الدكتور هارفي ان الاخطبوط وحية البحر شيء واحد ويشاركهُ في هذا الرأي جمهور من العلماء الثقات فاذا صحَّ ذلك كان للدكتور هارفي الفضل في كشف

القناع عن هذين السرين الغامضين ووضعها على اساس علمي متين .

ولما كانت غايتهُ ان ينتفع العلم باكتشافهِ ارسل الحيوان الى الاستاذ ڤرل في مدرسة يال الجامعة وكان هذا النوع من الحيوان درسهُ الخاص . فدرسهُ درساً مدققاً ونشر نتيجة بحثهِ فيهِ . وقد سمَّى الحيوان باسم مكتشفهِ " اركيتوثس هارفيابي " اي الاخطبوط العظيم



الاخطبوط الطويل الذراعين كما تممهُ الاستاذ ڤرل

الذي اكتشفهُ هارفي . وسماهُ غيرهُ باسم " ميغاتولوثس هارفايي " تذكاراً للخدمة التي بها خدم هارفي العلم

والاخطبوط الكامل محفوظ الآن في الكحول في وعاءٍ كبير بمدرسة يال الجامعة . والذراع الاولى التي قطعها توما بيكوت محفوظة في متحف مدرسة سنت جون في جزيرة الارض الجديدة

اسمعيل باشا سري والري الصيفي

لما افتتح البارلمنت الانكليزي بالامس وخطب فيهِ ملك الانكليز ذاكرًا اهم المسائل الخطيرة اطال الكلام على زرع القطن وامَّل ان المساعي المبذولة لاتساع مساحة الاراضي التي يزرع القطن فيها تكلَّل بالنجاح

وما يهتم بهِ الآن ملك عظيم الشان مثل ملك الانكليز اهتمَّ بهِ محمد علي باشا منذ اعوام كثيرة ولا يزال اعظم ما يهتم بهِ اهالي هذا القطر وهو الغرض المقصود من توسيع نطاق الري الصيفي ومن "المشروعات المستجدة" التي عملها اسمعيل باشا سري في المديريات الوسطى من هذا القطر او لا يزال آخذًا في عملها فيها . وقد اطلعنا الآن على رسالة لاديب رأى هذه الاعمال ووقف على تفاصيلها فنقلنا عنها الفصل التالي قال :

في اول مارس سنة ١٨٩٩ وهو تاريخ يجب ان ينقش على افئدة جميع اهالي مصر الوسطى صدرت الاوامر الى سعادة اسمعيل باشا سري بتركهِ اشغال تفتيش ري القسم الثاني والقيام الى المنيا لتحضير مشروع لتحويل الاراضي التي كانت تروى في ايام الفيضان فقط الى نظام ري صيفي اي الى نظام ري مستديم

فظن بعض من لا يدركون دخائل الامور ولا يفسرون الحوادث الا بظواهرها ان سعادتهُ ترك منصب مصر وسكناها ونُقل الى الصعيد ابعادًا لهُ لاخلاء الجو لغيرهِ . وبقي هذا الظن متسلطًا على افكارهم الى ان اخذت اعمال المشروعات تبرز من حيز الفكر الى حيز الوجود وعند ذلك حدث شبه رد فعل في الافكار وعلم الجميع ان كبار موظفي الري قد اعطوا القوس باريها وان المشروع المجيد الذي انتدب صاحب الترجمة لاجلهِ اعظم مشروع من نوعهِ عمل في القطر السعيد من يوم جرى فيهِ نهر النيل المبارك . ولكي يدرك القارئ خطارة هذا المشروع الجليل وماهية الاعمال التي تعمل ومقدار الفوائد التي تعود على البلاد والعباد ابحث في الموضوع بحثًا تفصيليًّا فاقول

علم الخاص والعام ان الخزان العظيم الذي عمل في اصوان كان الغرض من تشييدهِ اولاً خزن المياه في اواخر الفيضان وحفظها ذخيرة ثمينة تهادى بها اراضي القطر في مدة الصيف ايام تكون مياه النيل شحيحة والزراعة الصيفية في اشد الحاجة اليها . والغرض الثاني منهُ اعطاء المياه الصيفية اللازمة لمساحات كبيرة من الاراضي التي كانت تروى ري حياض فقط . وري الحياض هذا هو ان المياه تعمُّ الاراضي في مدة النيل وتبقى فوقها مدة نحو ٤٠ يومًا ثم تصرف عنها ويزرعها الاهالي الزراعة الشتوية وتبقى الارض بعد حصدها خاوية خالية كانها لاساة

اثواب الحداد على عزها الماضي وحرمانها من ثوبها الاخضر القشيب. والاراضي التي كان في عزم نظارة الاشغال تغيير نظام ريها عند انتداب صاحب المشروع تبلغ مساحتها نحو ٣١٢٠٠٠ فدان وهي واقعة في اقاليم مصر الوسطى بين قناطر تقسيم ديروط جنوباً وصليبة حوض قشيشة شمالاً وبين مجرى البحر اليوسفي المشهور غرباً وجسر المحيط الغربي شرقاً. وسلسلة الحياض هذه تمتد في ثلاث مديريات وهي مديريات اسيوط والمنيا وبني سويف.

قلنا ان المياه اللازمة لري هذه الاراضي صيفاً تيسرت بعمل خزان اصوان لخزن المياه ولكن وجود المياه ليس كاف وحده لضمانة الري وتوصيل الماء الى الاراضي ولذلك بنيت قناطر حجز على النيل في اسيوط كمساعد لخزان اصوان يرفع منسوب مياه النهر لكي يدخل المقدار الكافي منها في الترعة الابرهيمية التي تنقل المياه الى المنطقة الصيفية القديمة والمنطقة الصيفية الجديدة التي هي موضوع كلامنا. بقي اذاً بعد ان تيسرت المياه الكافية وصار في الامكان توصيلها الى الاراضي شتاء وصيفاً عمل الاعمال اللازمة لتوزيعها على تلك الاراضي بتمام الترتيب والنظام وهذه هي اعمال المشروعات العظيمة

تقدم القول ان صاحب المشروعات حضر الى المنيا في اوائل سنة ١٨٩٩ وبعد حضوره رأى ان من مصلحة اعماله الجديدة مشاهدة بعض اعمال الري المهمة في اوربا لا سيما ما عمل منها في شمالي ايطاليا لما اشتهر عنها من ترقي الري فيها وانتظامه فطلب من نظارة الاشغال ان تأذن له ليذهب بصفة رسمية الى تلك البلاد فاذنت له في ذلك عن طيبة خاطر وسافر اليها في صيف سنة ١٨٩٩ وبعد ان قضى مدة شهر يطوف في تلك الاقاليم ويشاهد اعمال الري فيها عاد الى مصر واتحفها بمؤلف عن رحلته كتبه باللغة الانكليزية وسماه «الري في وادي نهر البو» جاء فيه على كل ما جل نفعه وعظمت فائدته ووصف حالة الري في شمالي ايطاليا وصفاً وافياً فحق له ان يقول عن ذلك التقرير كما قال الفيروزابادي عن قاموسه «خذوا ايها الايطاليون وصف ريكم من رجل مصري»

وبعد عودته الى المنيا قضى بقية عام ١٨٩٩ والعام الذي يليه مكباً على درس المشروع وتحضيره فعمل تصميمات الترع والفروع اللازمة لضمانة ري جميع الاراضي رياً وافياً وقد اعطى للمصارف وفروعها حقها من الالتفات فلم يخطط ترعة لزيادة الحياة في الارض الا وخطط بجانبها مصرفاً لحفظ تلك الحياة وضمانتها ووضع ايضاً تصميمات قناطر الموازنة لحفظ المياه على منسوبات معلومة ووضع رسومات افمام الترع وقناطر الصرف لاعطاء المياه وصرفها عن الاراضي بمقادير قانونية وقرر مواقع قناطر المرور تسهيلاً لحركة الاهالي فجاء المشروع كافياً وافياً وارسله الى

نظارة الاشغال العمومية فصادقت عليهِ كما هو بدون تغيير ولا تبديل وشرع في تنفيذهِ في اوائل سنة ١٩٠١ وبوشر العمل في القسم الشمالي من مديرية اسيوط وهو القسم الواقع شمالي قناطر حجز ديروط ومساحتهُ نحو ٥٨٠٠٠ فدان .

فوزعت الاعمال من انشاء ترع وحفر مصارف واقامة قناطر وتشييد ابنية على المقاولين واستمرَّ العمل مدة سبعة اشهر واهالي تلك المنطقة يظنون ان زمان الاستبداد قد عاد وان الحكومة تقطع اراضيهم قصد اتلافها وبقية اهالي مصر لا يدرون ماهية ذلك العمل العظيم ولا يدرون اي روح جديدة تبث في جسم بلادهم الى ان جاء اليوم العاشر من شهر اغسطس سنة ١٩٠١ وهو اليوم الذي تقرر رسميًّا لفتح افمام الترع التي انشئت في تلك المنطقة ودخول المياه اليها بانتظام لاول مرة في حياتها فاطلقت المياه في الترع في صباح ذلك اليوم في حفلة حافلة حضرها اكابر القوم واعيان مديريات اسيوط والمنيا وبني سويف وعدد كبير من الاهالي وكان من الحضور مديرو جرجا واسيوط والمنيا وبني سويف والفيوم وباشمهندسو المديريات التي ذكرناها فأُنشدت قصائد المديح وتليت خطب الثناء على المشروع وصاحبهِ ولكن انَّى لقرائح الشعراء ان تفي ذلك المشروع وصاحبهُ حقهما من المدح والثناء وانى لالسنة الخطباء ان تفيض بوصف تلك الاعمال العظيمة ونتائجها العجيبة وكل من جال في انحاء تلك الحياض في الاعوام الماضية ورأَى كيف ان مياه الفيضان كانت تغرقها مدة ثلثة اشهر من السنة وحرارة الشمس تحرقها مدة اربعة اشهر أُخرى ثم جاء وشاهدها الآن ورأَى الزراعة فيها تتلو الزراعة والحصول يجيءُ بعد المحصول والاراضي تنبت زبرجدًا والزبرجد يزهر فضة ويثمر ذهبًا ويفيض على السكان بالخيرات التي لم يكونوا ليحلموا بها بل لو اعارنا المنطاد جناحهُ والهواء براحهُ فارتفعنا بعض مئات من الاقدام فوق سطح تلك المنطقة وشاهدنا الترع كالشرايين تخرج من قلب قناطر ديروط وتنقل ماء الحياة الى كل جزءٍ من اجزاء تلك المنطقة ورأَينا المصارف كالاوردة تجري فيها المياه التي تصفت عن تلك الاراضي لادركنا ماهية العمل العظيم الذي قام بهِ هذا العالم المفضال وعلمنا حق العلم انهُ لا يزال في السويداء رجال

وفي اوائل سنة ١٩٠٢ باشر العمل في المنطقة الواقعة في مديرية المنيا ومساحتها نحو ١١٣٠٠٠ فدان فقسمها الى قسمين وباشر العمل في القسم الجنوبي منها ومساحتهُ نحو ٥٥٠٠٠ فدان فانشأَ ترعهُ ومصارفهُ واقام ابنيتهُ على ما وصفناهُ في المنطقة السالفة الذكر وما جاء العاشر من اغسطس سنة ١٩٠٢ الأَّ وكانت هذه المنطقة ايضًا مستعدة تمام الاستعداد للري الصيفي فتدفقت في ترعها المياه وجرى في عروقها دم الحياة وأَخذ الاهالي في الحرث والزرع وكلهم



اسمعيل باشا سري

السنة شكر ودعاء ومدح وثناء على المشروع وصاحبهِ

وفي اوائل سنة ١٩٠٣ انتقل الى القسم الشمالي من منطقة المنيا وداهمهُ بخيلهِ ورجلهِ وهاجمهُ من كل ناحية وصوب ودامت المعركة مدة سبعة اشهر فانجلت عن انتصارهِ انتصاراً باهراً كما هو المنتظر وضمَّ الى مساحة الاراضي الصيفية نحو ٥٨٠٠٠ فدان من اراضي الحياض ونشر فيها اعلام العصر الحديث فوق اطلال العهد القديم وبرهن للملإِ ما توصل اليهِ الري في مصر من التقدم والترقي

وقد سهَّل للفلاح كل السبل وعلَّمهُ كيف يوزع المياه فوضع تحت جسور الترع وفروعها اقساماً من المواسير لمساقٍ فرعية تروي كل منها نحو خمسين فداناً ريًّا تامًّا فلم يبقَ على الفلاح بعد ذلك الاَّ ان يفتح فم مسقاهُ حتى تتدفق الى ارضهِ المياه ومتى تمَّ ريها على ما يشتهي يعود فيقفلهُ بسهولة

ثم انهُ وجد ان المواصلات بين البلاد قد تعسرت بسبب تقطع الاراضي بالترع والمصارف فوضع مشروعاً مفصلاً لعمل سكك زراعية تصل بين البلاد المهمة وتوصلها الى اقرب محطة من محطات السكة الحديدية ومنها الى شاطىءِ النيل وذلك لكي يسهل للاهالي الانتقال من مكان الى مكان ولا يتعذَّر عليهم ان ينقلوا اثقالهم من محصولات وغيرها باسهل الطرق واقربها سواءٌ كان على ظهر البخار او في عباب البحار

فيجمع ممَّا تقدم ان صاحب المشروع قد اتمَّ تحويل نحو ١٧٠٠٠٠ فدان للري الصيفي في السنوات الثلاث السالفة الذكر وبقي عليهِ بحسب التصميم الاصلي الذي ذكرناهُ في اول هذه العجالة نحو ١٤٠٠٠٠ فدان اخرى الاَّ ان نظارة الاشغال العمومية وجدت ان المياه التي يخزنها الخزان تزيد كثيراً عما يطلبهُ المشروع الاصلي فارتأَت ان تحوّل بقية حياض مديرية بني سويف وحياض مديرية الجيزة ايضاً الى الري الصيفي المستديم وتبلغ مساحة هذه الاطيان نحو ١٧٣٠٠٠ فدان . فطلبت من صاحب الترجمة ان يدرس هذا المشروع الجديد ويضع لهُ الرسوم والتقادير اللازمة كالمعتاد ففعل وارسل نتيجة مباحثهِ الى النظارة في سنة ١٩٠٣ ولا تزال الى الآن في معرض البحث والمراجعة وعليهِ فيكون ما لا يزال مصمماً على تنفيذهِ من هذا المشروع العظيم نحو ٣١٣٠٠٠ فدان اي نحو ضعفي ما تمَّ تنفيذهُ الى الآن ويقتضي لاتمام ما بقي خمسة او ستة اعوام من اول سنة ١٩٠٤

ومهما اطال الكاتب في وصف هذا المشروع واطنب في تبيان فوائدهِ فانهُ يعجز عن ان يرسم في ذهن القارىءِ صورة واضحة لفخامتهِ ولا تتضح هذه الصورة الاَّ بالبراهين القاطعة وعليهِ فسأذكر مجمل ما جمعتهُ عن الاعمال التي عملت لاخراج ما تمَّ من المشروع من حيز الفكر الى عالم

الوجود وبيان الفوائد التي عادت منهُ على القطر عموماً وعلى اصحاب الاطيان خصوصاً فاقول : —

يعجب القارئ اذا علم ان مقدار ما حُفر من التراب في انشاء الترع والمصارف وفروعها وفي توسيع بعض الترع وتعديل البعض الآخر في السنوات الثلاث الماضية من اول سنة ١٩٠١ الى آخر سنة ١٩٠٣ بلغ خمسة وعشرين مليوناً من الامتار المكعبة وهذا المقدار من التراب قد رفع على اكتاف نحو ١٠٠٠٠٠ من العمال احضرهم المقاولون من اهالي الصعيد لا بالسوط والتهديد كما كانت تفعل الفراعنة من قديم الزمان وحكام مصر المحدثون قبل عهد الاصلاح بل بالدرهم والدينار الذي كانت الحكومة تنفقهُ من خزائنها عن طيبة خاطر

وبلغ عدد الابنية التي اقيمت نحو ٨٥٠ بناء من قناطر موازنة وافمام ترع ومصبات مصارف وقناطر للمرور ومخارات وهدارات ومنازل للتفتيش

وبلغ طول الترع التي عملت ١٠٤٠ كيلومترًا وطول المصارف ٨٥٥ كيلومترًا فيكون مجموع هذه المجاري نحو الفي كيلومتر اي نحو ضعف المسافة بين الاسكندرية واصوان

وبلغت نفقات هذه الاعمال جميعها نحو ٨٢٠٠٠٠ جنيه مصري صرفت جميعها من خزائن الحكومة وستردّ اليها على اقساط من علاوة الضرائب التي ستضرب على الاراضي التي تمّ اصلاحها

واذا جعلنا الماضي قياساً للمستقبل وحفظنا النسبة بين ما تمّ من المشروع وبين ما سيتمّ في الاعوام القادمة وجدنا ان ما يلزم لاتمام المشروع باكملهِ هو انشاء نحو ١٩٠٠ كيلومتر من الترع ونحو ١٦٠٠ كيلومتر من المصارف وتبلغ مقادير التراب الذي يستخرج منها نحو ٥٠ مليون متر مكعب وتقتضي بناء نحو ١٦٠٠ من انواع الابنية التي فصلناها في ما تقدم ويبلغ المال الذي سوف ينفق في سبيل اتمام كل هذه الاعمال نحو ١٦٠٠٠٠٠ جنيه او قل من مليوني جنيه

ولبيان الفوائد التي نجمت عن ذلك المشروع لابدَّ للقارئ ان يعلم ان الفدان من الاطيان التي تحوَّلت الى نظام الري المستديم كان لا يساوي قبل تغيير نظام ريهِ اكثر من ٣٠ جنيهاً وكان محصولهُ لا يزيد على جنيهين او جنيهين ونصف سنويًا اما الآن فقد اصبح لا يباع باقل من سبعين جنيهاً ومحصولهُ لا يقلّ عن عشرة جنيهات في السنة واذا اخذنا من الماضي اعلى الاثمان واكبر المحصولات ومن الحاضر اقلها واعتبرنا الثمن الماضي ٣٠ جنيهاً والثمن الحالي ٦٠ ومقدار المحصول في الماضي ٣ جنيهات والحالي ثمانية فقط وجدنا ان ما تمّ تحويلهُ الى الري الصيفي يزيد في ثروة البلاد نحو خمسة ملايين من الجنيهات وفي ايراد اصحاب تلك الاراضي السنوي نحو ٨٠٠٠٠٠ جنيه سنويًا. واذا جعلنا الماضي قياسنا هنا كما جعلناهُ في تقدير عظمة المشروع نجد ان هذا المشروع الكبير سيزيد في ثروة القطر المصري بعد تمامهِ نحو خمسة عشر

مليونًا من الجنيهات على الاقل ويزيد في ايراد الاهالي نحو مليوني جنيه سنويًا . فهذه فوائد المشروع الجليل الذي قام بهِ سعادة الهمام اسمعيل سري باشا في اراضي مصر الوسطى وتلك هي عظمة العمل الذي ربما لم يسمع بهِ كثيرون من سكان وادي النيل ·

خطر علينا وعلى الدين

تمهيد

مضى زمن طويل لم أُرد ان احرك فيهِ لسانًا او أُجري على القرطاس قلمًا اعتقادًا مني بان البرهة يمضيها الناشئ في التحرير خير منها الف مرة برهة يمضيها في المطالعة والاستفادة · وليست الغوغاء التي يخلقها المرء حول اسمهِ طلبًا للشهرة بنافعةٍ الاَّ الى حين ثم ينكشف ذلك الطلاء الكاذب فيظهر الجوهر ناقصًا معيبًا لا محيص لهُ من السقوط . ولقد كنتُ منذ عامين احببت ان اكتب الكلمة التي انا اليوم كاتبها نصيحةً لامتي واحترامًا لدينها ولكني اعترتني الرهبة وخشيت ان استفزَّ غضبها لدعوة كنتُ لا يزال يعتريني بعض الشك في صحتها ففضلت ان اطويها خاطرًا في صدري وتركت للزمن ان ينضجها بعد ان تثقف وتصقل في نار البحث والتدقيق فإما هي معدن فاسد يلقى في زوايا النسيان وإما هي جوهر كريم يصحُّ ان يهدى الى عرائس الاذهان

والآن بعد مرور عامين طويلين قلَّبت فيهما تلك الدعوة على جميع وجوهها وعرضتها على محل النقد والمناقشة لا اجدني اخطأت الاَّ في عدم الجهر بها الى الآن مع شدة احتياجنا الى معرفتها والعمل بها لا سيما في هذه الايام التي شاعت فيها كلمة الدين من اناس اتخذوها تجارة فلم يعد يهمهم الاَّ ان ترددها افواههم صباحَ مساء وسيلة للتغرير واحيانًا لكسب رضى العامة وشيوع ذكرهم بينها غير ملتفتين الى الخطر العظيم الذي يدفعون اليهِ الامة ودينها كما اندفعت اليهِ اوربا من قبل فكانت النتيجة وبالاً على المسيحية والمسيحيين

والذي اريدهُ بعد ذلك من كل قارئ ان يمعن النظر كل الامعان في معنى ما اقولهُ واقصدهُ فلا يحمل اقوالي على غير محملها ولا يندفع مع تيار الغضب ليرميني بما انا بريءٌ منهُ في حين انهُ لو تجرَّد برهة عن اوهامهِ التي ارتكزت في ذهنهِ ونظر في الامر بعين فكر سليم لا يدين الاَّ بما يفهم لانجلت لهُ الحقيقة ولعرف ان ما اكتبهُ اليوم اقل ما يمكن ان يقال في مثل هذا المقام

نحن والدين

قالوا ان الامة اذا كانت جاهلة متأخرة ثم قُدِّر لها ان تخطو الى الامام وتنهض راغبة في التقدم فلا بد لها من ادوار كثيرة طبيعية تتناوبها واحداً بعد الآخر . واول هذه الادوار ان يكثر فيها الناصحون والمرشدون فلا يزالون يقرعون الآذان ايقاظاً للنائم وتنبيهاً للغافل ولا تزال الامة تغضي عن اكثر ما يقولون ردحاً من الزمان حتى يتأثر مجموعها كما تتأثر الصخرة الصماء من قطرات الماء فتهم الى السعي واتباع القول بالعمل وحينئذٍ يصحُّ ان يقال انها نشطت من عقالها وقامت تنفض الغبار عن اكتافها ودخلت في دور آخر هو دور الحياة والعمل

فاذا صح قولهم هذا — وهو مما لاشك فيهِ — وصحَّ ان الامة المصرية كانت ولا تزال متأخرة جاهلة — ولا اظن مصريًّا ينكر ذلك — فانها الآن في الدور الاول من نهوضها ولذلك تجدها على كثرة الصائحين بينها والمنادين فيها تكاد لاتنفقه كلمة من عشر كلمات يلقيها عليها الناصحون والمرشدون . وخليق بنا ونحن لا نزال في اول الطريق ان نتساءل الى اين نساق واي سبيل نتبع وهل في ما نحن سائرون اليهِ نفع او ضرر حتى لانرمى بقصور النظر ولا نكون كالتائه في البيداء لايعلم الى النجاة ام الى الهلاك يسير . ومما لاريب فيهِ ان تتبُّع حركة الافكار في البلاد واستجلاء الاغراض التي يسعى اليها ارباب الاقلام هما وحدهما خير ما يؤَدي بنا الى الغاية المقصودة . فلننظر الى اي شيء ترمي حركة الافكار والى اي غرض يعمل ارباب الاقلام لنعلم الى اي طريق نحن مسوقون

دُرْ في البلاد طولها وعرضها واستجلِ غوامض افكار ابنائها وسل كلَّ من تريد منهم عن اسباب تأخرنا وانحطاطنا ثم عن الطريق الذي يؤَدي الى نهوضنا وارتقاعنا وبالجملة عن دائنا ودوائنا تجدهُ مهما اطال في الشرح وعدَّد من الاسباب لا يحوم الاَّ حول سبب واحد تنتهي اليهِ جميع الاسباب . وهذا السبب هو الدين فتركهُ والجري على خلافهِ هما علة ما نحن فيهِ والعمل بهِ هو الدواء الوحيد لشفائنا من كل ما اصابنا من الامراض

دع هؤلاء وراقب معلمي ابناء الامة ومربي اطفالها واستطلع خلاصة ما يبثون من النصائح والارشادات تجد ان الدين هو القدوة التي يغرسونها في الاذهان مثالاً لكل كمال ومنبعاً لكل حياةٍ واساساً لكل عمران

دع هؤلاء ايضاً وانظر الى اكثر المؤلفات التي تنشر كل يوم وحسبك ان تمرَّ عليها مرًّا لتعرف ان اصحابها وان اختلفت بينهم المنازع وتضاربت منهم الآراء متفقون تمام الاتفاق على انهُ لا رقي ولا نهوض الاَّ بالدين . وقليل او اقل من القليل من هؤلاء المؤلفين من تعثر لهُ

على صحيفة لا تجدهُ قد ضرب فيها على نغمة الدين

دع هؤلاء ايضاً وألق بالاً الى الشعراء طلاّب الخيال وعشاق الكمال تجدهم بين صغير وكبير بليغ وغير بليغ لا يهيمون الاّ بصورة واحدة هي صورة الدين يمثلونها للافهام اله الحب ومعنى الجمال وكأنهم لولاها ما ذاقوا للكمال لذة ولا تاهوا في بيداء الخيال

دع هولاء ايضاً واتلُ ماينشر في البلاد من جرائد ابنائها ومجلاتهم سياسية وعلمية ومجونية تجدها على كثرتها وتنوع مذاهبها واختلاف اغراضها لا تهتم بشيء اكثر من المناداة بالدين ولا تكاد تتفق الاّ حينما تتغنى بكلمة الدين . وعجيب في امر هذه الصحف انها ما ظهرت في البلاد دعوة اصلاح او ارشاد الاّ وتشاكست فيها حتى تمرّ الايام فلايبقى من آثار الحديث عن تلك الدعوة الاّ غبار ذلك التشاكس لكنها متى هبت عليها ريح الدعوة الى الدين اجتمعت كلها لساناً واحداً ويداً واحدة حتى كأنها أُفرغت في قالب واحد او كأنك اذ تطوي احداها لتتلو الاخرى لا ترى الاّ صحيفة واحدة تعددت لها الاسماء

هذا كلهُ وكثير غيرهُ لايتسع المقام لافاضة الشرح فيهِ يدلُّ على مبلغ تسلط الدين على عقولنا وانخداع افهامنا انخداعاً لامثيل لهُ لكل مايأتي من جانب الدين بل يدل على استسلامنا استسلاماً اعمى الى ماضينا الذي يجب ان نبتعد عنهُ كل الابتعاد ان كنا نريد ان لا نبقى كما نحن وكما كنا جهلاء ضعفاء

ومن اغرب ما فينا اننا مع ما نحن فيهِ مما لا اسميهِ الاّ هوساً دينياً لاتجد واحداً منا الاّ وهو شاكٍ باكٍ من عدم اتباع الدين ونبذ قواعدهِ فكلنا شاكٍ وكلنا مشكوٌّ وكلنا داعٍ وكلنا مدعوٌّ . وكاني بنا بعد كل ذلك الصياح وتلك الجلبة قد خرجنا من الدنيا ولا نحن استفدنا ولا الدين استفاد . بل اغرب من هذا واعجب ان اولئك الذين تسمع لمناداتهم بالدين بيننا كل يوم وكل برهة ضوضاء تصمُّ الآذان وتزعزع الجبال هم اجهل الناس بالدين وابعدهم عن اتباعهِ وما هم الاّ متاجرين اتخذوا كلمة الدين مطية للتغرير والتضليل توصلاً الى اغراضهم بعد ان علموا انها خير ما يرضي العامة فكان من ذلك انهُ ما جدَّ في البلاد حادث ولو كان تافهاً لايلتفت اليهِ فرد عاقل فضلاً عن امة فضلاً عن دين يجمع امماً إلاّ وسبقتهُ كلمة الدين ثم لا تزال تتبعهُ هذه الكلمة حتى يقبر في زوايا النسيان ويكون آخر ما يشيعهُ الدين

ميراثنا الديني

حقًّا ان الانسان ليقف حيالَ تلك الحال التي شرحناها وقفة المندهش المفكر سائلاً من اين سرى الينا هذا الاعتقاد الذي ترددهُ افواهنا صباح مساء . ثم كيف اصبحنا آلات جامدة لا نكاد

نتحرك الاَّ بالدين وللدين كأَنما لم يخلق الله لنا عقولاً او كأَنما نحن مسخرون بلا ارادة ولا تمييز

لهذا وذاك على ما اظن اسباب جمة اهمها ما ورثناهُ وتوارثتهُ العصور السالفة من الركون في كليات امورنا المعاشية وجزئياتها الى تقليد اسلافنا المعروفين بالورع والتقوى في جميع اعمالهم واقوالهم ونسبة ذلك الى الدين او نسبة الدين اليهِ . فايما كلمة او ايما حركة صدرت من رجل قريب عهد بنشأَة الدين سواء اخطأَ فيها او لم يخطئ وسواء راعى فيها مقتضيات الزمان والمكان او لم يراعِ اخذناها نحن عنهُ قضية مسلَّمة . وما اسرع ما نلبسها ثوب الدين حتى لا يتسع فيها المجال للبحث والتفنيد . كذلك من جملة الاسباب التي آلت بنا على تعاقب الازمان الى ما نحن فيهِ انتشار بعض المذاهب المتطرفة وميل العامة الى التغالي في الدين واعتبارهِ كافلاً بكل شيء أَخذاً بظواهر بعض الآيات والاقوال المأْثورة كقولهِ تعالى " وما فرطنا في الكتاب من شيء " او كقول سيدنا علي كرم الله وجههُ " لو ضاع عقال بعيري لوجدتهُ في القرآن "

ولعلي لا أَجد هنا اثباتاً لذلك خيراً من توجيه الانظار الى التاريخ وتعقُّب حوادثهِ . فكم من حركات دينية وقفت في وجه مكتشفات علمية صحيحة لا لعلة اكثر من تأْويل فاسد او فهم سقيم . ثم كم من كلمة قيلت عفواً بل كم من حركة بدرت من بعض قريبي العهد بنشأَة الدين كانت حاجزاً منيعاً ضد كثير من المبادئ العلمية الثابتة لا لسبب آخر غير انتمائها لجانب الدين . والأَمثلة على ذلك جمة يملأُ شرحها المجلدات الضخمة ولكني ذاكر هنا للقارئ بعضها بالايجاز لتتجسم الحقيقة امام عينيهِ فيعلم ايُّ ميراث ورثنا عن اجدادنا الغابرين

اثبتت المدينتان المصرية واليونانية ان الارض كروية الشكل لا منبسطة كما يتوهم الناظر الى سطحها لاول وهلة ولكن هذا القول لبث لا يتعدَّى العلماء ومن يلوذ بهم الى ان جاءت المدنية الاسلامية وعرِّبت مؤلفات علماء اليونان فسرى الى المسلمين هذا القول وقامت تذود عنهُ فئة الباحثين والعارفين ولكنها لم تكد تظهر بهذا القول حتى قامت ضدها حرب شعواء الزمتها ان ترجع القهقرى زمناً طويلاً من جماعة المتطرفين المدعين التمسك بالدين اولئك الذين لم يكن لديهم من الحجج اقوى وامضى من بعض آيات ورد فيها ان الله بسط الارض فمحال بعد ذلك ان تتصوَّر اذهانهم انها كروية الشكل والاَّ لزمهم تكذيب القرآن والعياذ بالله . نعم لا انكر ان بعض كبار الفقهاء رأَى ورأْيهُ الحق ان لا تنافي بين الآيات واعتقاد كروية الارض لان البسط معناهُ الاتساع ولكن هذه الحقيقة لم تشع في الامة وبقيت يعتريها الشك عند كثير ممن نسميهم علماء . وكأَني بنا لولا اتصال نور المدنية الغربية الينا وقيام الادلَّة المحسوسة من جانب هذه المدنية على صحة هذا القول لبقينا الى الآن يرتاب القليل منا فيهِ ويعتقد

اكثرنا كذبهُ تشيعاً للقرآن واخذاً بظاهر اللفظ في الآيات

مثل آخر — انتهت الدولة الاموية وكان الاسلام قد اتم أغلب فتوحاتهِ ثم جاءت الدولة العباسية فاشتغلت الامة فيها بالنظر في العلوم ولم يمضِ قليل من السنين حتى برَّز كثير من ابنائها في انواع شتى ونبغ كلٌّ منهم في ما اشتغل بهِ وكان اهم ما اتجهت اليهِ الافهام النظر في علوم الاقدمين كاليونان والرومان والهنود والاعجام فبحثوا فيها طويلاً وارتاحت اليها عقولهم واخذوا يذيعونها بين الافراد الاَّ انهم لم يكادوا يظهرون بهذا المظهر حتى جاءتهم صيحة من جانب رجال الدين بانهم ينشرون اقوالاً تخالف ماجاء بهِ القرآن. وما اسرع ما اتُّهموا بالزندقة والكفر فكان من هذا الاتهام مسوغ لمحاربتهم باحراق تآليفهم تارة وتشريدهم تارة اخرى وهدر دمائهم في غالب الاحيان. وما زال امرهم كذلك حتى انطفأت نارهم واستتب لفئة التطرف وسوء الفهم الظفر باسم الدين. ولعمرالله ما للدين في ذلك من ذنب ولكن هم حملتهُ الاغبياء السقيمو الفهم استعملوهُ سلاحاً ماضياً تخلب برقهُ جهل العامة فتشيعت اليهم. فهم وحدهم المذنبون وهم هم المجرمون

مثل آخر — ولماذا نذهب بالامثال بعيدًا وها نحن منذ بضع سنوات انتشر في بلادنا مرض الكوليرا ذلك المرض الذي اثبت الطبُّ واثبتت المشاهدات اثباتاً لا مجال للشك فيهِ انهُ من الامراض المعدية وانهُ ينتقل من الشخص الى غيرهِ بطريق العدوى . فما كدنا نسمع الاطباء يعلّمون الامة ذلك وينصحون الناس باجتناب الاختلاط حتى اخذت البعض منا الريب وجعل جماعة منا يتساءلون في معنى الحديث القائل « لا عدوى ولا طيرة في الاسلام» وآخرون يعترضون بالحديث القائل « فرَّ من الاجذم فرارك من الاسد » ففريق مكذبون وفريق مصدقون ليس الاَّ تشيعاً لاحد الحديثين ودون ان يكون للبحث العلمي قيمة تلقاء هذا التكذيب والتصديق

امثلة اخرى — لو اردنا ان نستوفي ذكر امثال هذه الحوادث لطال بنا الشرح وخرجنا عما نحن فيهِ فحسبنا ما تقدم ثم حسبنا انهُ وجد في عهد المدنية الاسلامية نفر قالوا بلزوم العلوم الدنيوية للانسان لزوم الماء للنبات فصاح في وجههم آخرون يرددون قولهُ تعالى « وما خلقتكم الاَّ لتعبدون ». ثم قالوا ان قيمة الانسان في الحياة بعملهِ وجدهِ فصاحوا عليهم « الاسلام يعلو ولا يعلى » . ثم قالوا بعد انقضاء عهد الوثنية لاتحريج على تصوير الاجسام توصلاً الى معرفة علم التاريخ الطبيعي فصاحوا ولا يزالون يصيحون « كل مصور في النار » ثم اشياء اخرى كثيرة كلها على هذا القياس

هل يدهشنا بعد ذلك ان يكون مثل السلطان محمود الثاني يرى في بقاء الجنود الينكشارية على نظامهم القديم خطراً على الاسلام والمسلمين ثم يريد ان يبدل نظامهم فيظهر امامهُ شيخ الاسلام وفي يمينهِ فتوى بان مثل هذا الاصلاح ليس من الدين بل ينافي الدين . أو هل يدهشنا ان يراد ادخال العلوم العصرية كالتاريخ والجغرافيا في عدد العلوم التي تعلم بالازهر فيضج البعض منا قائلين هذا ضد الدين . او هل يدهشنا ان يقوم منا داعٍ الى تعليم النساء فلا نكاد نتلو دعوتهُ حتى نفزع بآمالنا الى الدين متسائلين هل أَمر بذلك او لم يأمر ثم يقوم قاضي قضاتنا مجيباً فيجعل تعلم الدين فرضاً وتعلم العلم مستحباً مخالفاً بذلك الحديث الشريف « من اراد الدنيا فعليهِ بالعلم ومن اراد الآخرة فعليهِ بالعلم ومن ارادهما فعليهِ بالعلم » . او هل يدهشنا اخيراً ان يقوم منا غداً من يريد انشاء طريقٍ او عمارة بيت فنقع في الحيرة ونتساءل بماذا أَمر الدين

هذا نحن وهذا ما ورثنا فلا غرابة بعد ذلك ان ترانا كلما عرض فينا نقص يراد استكمالهُ آلات تسبح باسم الدين دون ان يتجاوز ذلك التسبيح الافواه الى الحلاقيم ودون ان نعرف اذا كان الدين حقيقة قد استكمل هذا النقص ثم كيف ارشد الى طريق استكمالهِ . بقي ان نعرف هل في النداء بالدين على هذه الصفة نفع لنا او للدين وهو ما نبحث فيهِ الآن عسى ان يهتدي بهِ قوم يبصرون

هل في النداء بالدين فائدة

عرفت مما تقدم اننا ورثنا من اجدادنا كلمة تسمى « الدين » تصفها السنتنا بكل صفات المدح والكمال ولا نكاد نفهم من حقيقتها سوى بضع عادات وتقاليد انتجها كلها الفهم السيء والتغالي المضر . فقل لي بربك اي فائدة لنا من النداء بالدين على تلك الحال او اي فائدة اجتناها الدين وقد مضت الايام والسنون ونحن على هذا النداء

دع التعصب للماضي وانظر في الامر بعين غير شوساء تجد اننا اليوم كما كنا منذ اعوام وكما كنا منذ قرن نضع الدين نصب اعيننا في كل حركاتنا وسكناتنا ونعتقد اعتقاداً راسخاً اننا ما سقطنا الاَّ لسقوط الدين بيننا ويحث بعضنا بعضاً على التفاني في اتباعهِ وقصر حياتنا عليهِ فما الذي استفدناهُ او ما الذي استفادهُ الدين

يخيل لي اننا لم نستفد غير غوغاء الهتنا عن النظر في شؤُوننا السياسية والاقتصادية حتى اصبحنا نعيش عيشة النبات وكانت سبباً في اتهامنا بالتعصب الديني والجهل ورمي الدين الاسلامي الذي اعتقدنا ونعتقد اننا ما سقطنا الاَّ لسقوطهِ بانهُ علة ما نحن فيهِ من التأخر والانحطاط .

هذا هو كل ما استفدناهُ وفي ظني ان نظرة واحدة يلقيها كل باحث في الامة الآن وقبل قرن من الزمان تكفيهِ لكي يقتنع باننا لم نستفد شيئاً آخر

اما ما استفادهُ او يستفيدهُ الدين من النداء بهِ في كل آن ولكل مناسبة فربما توهم الفكر لاول وهلة ان في النداء بهِ حثّاً على التعلق باذيالهِ وتوجيهاً للانظار اليهِ ومن هذين يكون انتشارهُ وتمكُّن كلمتهِ في النفوس وتلك هي الفائدة التي يبتغيها لنفسهِ الدين . ولكن هذا الوهم ليس الأسرابًا يغر الانظار والحقيقة التي لا مرية فيها والتي يرشد اليها البحث والعقل ان في النداء بالدين اليوم وهو كما هو من الانحراف عن صورتهِ الاصلية خطرًا عليهِ لا يبعد اذا لم نتداركهُ ان ينتهي باضمحلالهِ وضياع اهلهِ في قليل من السنين

كلنا نعرف بان الدين كما هو اليوم قد غيّرت صورتهُ الاصلية وتلبست بهِ عادات سخيفة اصبحت معها حقيقتهُ ضائعة كل الضياع بحيث يعسر ان يردّ كثير من احكامهِ المتداولة الى اصل صحيح فيهِ . وما بغريب ان يكون كذلك فان ديناً يجري بهِ اهلهُ على مثل ما جرى اسلافنا من التطرُّف وسوء الفهم قروناً عديدة يتعذر ان لا تمسخ عقائدهُ او ان تبقى ثابتة غير محرَّفة او مقلوبة . ولعلّ الذين أُشربوا حبّاً اعمى وتشيعاً كاذباً للدين ينكرون ذلك فكبتي اليهم ان ينزعوا برهةً من صدورهم بعض ما بها من التشيع ويمعنوا انظارهم في من نسميهم حملة الدين ونمثلهُ في اشخاصهم عساهم اذا فعلوا ذلك ان تزول غشاوة التشيع عن ابصارهم فيقفوا على الحقيقة

من هم اولئك الحملة وفي مَن نتجسم صورة الدين ؟ افي طلبة بعض مدارسنا وهم لم يقبلوا علوم الجغرافيا والرياضة والتاريخ الأ بعد اللتيا والتي ؟ ام في العلماء واكثر من نعلم منهم من اذا جاء من الصلاة ميعادها بسمل وحوقل وتوضأ وقام وركع وسجد ثم اذا خرج عن ذلك كلهِ وجدتهُ العابد للدرهم القليل العلم الضعيف العقل المغلوب على امرهِ المدخول عليهِ حتى في دينهِ ؟ ام في طائفة الفقهاء وهذه الامثال لا تضرب الأ بهم في كل خلة لا يتصف بها المميزون من الاطفال ؟ ام في الامة نفسها وهي لا تعرف من الدين غير رفع الصوت والجهر بالصلاة والتسليم على النبي عند ذكر اسمهِ في كل مقال ؟ ام في غير هؤلاء وليس في البلاد من نعرف سواهم

اذا عرفت هذا وعرفت ان الامة الآن في الدور الاول من نهوضها فاي خطر على الدين اعظم من تنبه العقول اليهِ وهو كما هو يوم تنشط الافهام وتهم النفوس مسترشدة بنور العلم الصحيح فتلتفت الى جانبها وترى الدين كما وصفناهُ وقد صار اكثرهُ مجموع عادات وتقاليد انتجها الفهم السيء والتغالي المضر ألا تكون النتيجة الطبيعية ان تنفر منهُ العقول لاعتبارها اياهُ تقشّفاً وعيّاً بل حجر عثرة في سبيل التقدم واتساع الافهام

لدينا في التاريخ مثل من هذا القبيل لو اردنا لجعلناه عظة لنا نتعظ بها عسى ان ندرأ عنا الخطر الذي نحن عليه قادمون . هذه بلاد اوربا كان اهلها قبل العصر الذي يسمونهُ عصر النهضة والاصلاح مستمسكين بعرى الدين المسيحي متشيعين لكل ما يأتي من جانبهِ فما زالوا يتغالون و يتطرفون حتى انتهت بهم الحال الى حصر الدين برمتهِ في الكنيسة ولم تمضِ على ذلك سنوات حتى اصبحت الكنيسة صاحبة التصرُّف المطلق فيهم توجههم الى الحروب الصليبية فيعانون المشاق و يكابدون الاهوال و يهلكون الوفًا ومئات الوف حبًّا في الدين ثم تستأثر بالاموال فلا تجد منهم الاَّ ملبين خاضعين يقدمون اليها اموالهم باسم الغيرة على الدين . ثم تستولي على الكتاب المقدس وتحرم على غيرها فهمهُ وتفسيرهُ فيتلقون اوامرها بالرضى والطوع عملاً باوامر الدين . ثم تقف امام العلوم مخافة ان يكون فيها ما يخالف الدين . وما زالت على حالها تفتئت في كل يوم على الدين باسم الدين والناس لا يعرفون الاَّ كلمات تسمى الدين يتفانون في جهاد الغيرة عليها حتى اخذ شعاع العلوم ينفذ الى الاذهان وابتدأ دور النهضة فقام القسوس وقعدوا آخذين بتلابيب الامة باسرها ينادونها الدين الدين اطلبي الكمال والرقي والنهضة من جانب الدين . وظلوا يصدعون آذانها بهذا النداء حتى تنبهت العقول ونظرت الى الدين كما صوَّروهُ لها فنبذهُ البعض وضعفت سلطتهُ عن البعض الآخر

وها نحن اليوم نوشك ان نصنع في ديننا كما صنعت بدينها اوربا من قبل . نعرف يقينًا ان ديننا قد تلبس بعادات وتقاليد مخيفة الصقتها بهِ القرون الغابرة وان ليس فينا من يمثلهُ حق تمثيلهِ ثم نجدنا تكاد اصواتنا تبح من النداء بهِ وطلب الاسترشاد بقواعدهِ نريد بذلك ان نجعل حياتنا ونحن الآن في القرن العشرين قرن العلم والعمل والمزاحمة وقفًا على استخراج الحقائق من بطون مؤلفات عتيقة ابلاها الدهر وابلى افكار ذويها ثم بتقليد بعض السلف من اجدادنا في افعال ان هي ناسبت عصورهم فمحال ان تناسب العصر الذي نحن فيهِ .

مضت ازمان طويلة تعبت فيها أَلسنتنا من كثرة الحث على اتباع الدين واعتبارهِ كافلاً برقينا وسعادتنا فمن منا اجاب هذا الحث واينا التفت اليهِ وقام يعلّم الناس كيف تنفع النصيحة وتثمر العمل الصالح ؟ لعلنا لكثرة ما استولى على عقولنا وافهامنا من الذهول ثم لشدة ما أُلقي على ابصارنا من الغشاوات لم نعد ندرك ونرى ان كثيرًا منا اغلبهم المتربون والمتعلمون الذين لهم المستقبل وعليهم الاعتماد قد بدأَت تعتريهم الشكوك والوساوس واخذت الظنون الكثيرة ترد على افهامهم حتى اذا حاولوا ان يطردوها لم يزدها ذلك الاَّ تغلبًا على مدركاتهم وتأصلاً في اذهانهم ؟ نعم لقد ذهلنا حتى لم نشعر بما يجري حوالينا وغرَّتنا الاكاذيب والترهات فظننا

ان في النداء بالدين وهو كما هو احياء له وبثاً لقواعده الصحيحة فما زلنا قائمين على هذا النداء حتى اصبحنا الان فاذا النتيجة معكوسة واذا نحن لاهون لانعرف الخطر الذي نحن عليه قادمون

ألا فلنعرف ولو ساءتنا هذه المعرفة اننا بجهلنا الاعمى وتشيعنا الكاذب قد اوصلنا الدين اليوم الى حال ان استمرت ولم نقف في طريقها ادت ولا محالة الى زواله . لنعرف ذلك ولنفقه جيداً انهُ وان لم يبدُ لذلك اثر ظاهر للآن فما هو الا لان حرب التنازع بين الاعتقاد الموروث والشكوك العارضة لا تزال في بدايتها وليس ينتظر من شكوك حادثة ان تفوز على اعتقاد موروث الاّ بعد جهاد طويل فالعقول الآن تتسرب اليها الشكوك وتأخذها الريب فتجاهد لردها وهي كلما ردت منها واحدة جاءت واحدة فلا تزال كذلك حتى يمسها التعب وينالها الكلال فلا تجد مخلصاً منها الاّ ان تتركها وتترك البحث فيها راضية بالتسليم للدين ظاهراً تبعاً لحكم الوراثة . ولئن بقينا على تلك الحال زمناً ليأتينَّ يوم يمحي فيهِ اثر الوراثة وتقوى الالسنة على ترديد ما يختلج في الضمائر فينادى فينا جهاراً بان الدين امسى ممتزجاً بالشوائب فيجب ان ينبذ ولتجدنَّ اكثرنا يومئذٍ سامعين مصدقين

لا يقولنَّ مندفع اني اريد بهذا ان يُترك الدين جانباً فمعاذ الله ثم معاذ الله ان اريد ذلك او ان يخطر على فكري شيء منهُ . انما اريد ان يلبس الدين بيننا ثوبهُ الحقيقي ذلك الثوب الابيض الطاهر الذي تنظرهُ الابصار فيعجبها جمالهُ وتسرها حقيقتهُ . اريد ان ترى تلك التقاليد والعادات الموروثة التي تلبست بالدين بعيداً ليعود خالياً من الشوائب يتسع المجال فيهِ للفهم السليم والنظر الصحيح . اريد ان تحفظ للدين كرامتهُ فلا يجعل هدفاً لكل متشدق مغرور يتجر بالمناداة بهِ على جهل ولغير داعٍ . اريد ان تمحى من بيننا آثار التغالي والتشيع فنعلم ان القرآن لم ينزل الاّ بقواعد عامة للناس جميعاً فلنا ولكل امة ان تتصرف في مدلولاتها بما يناسب الزمان والمكان دون تقييد او حجر على الافهام الاّ ما يخرج عن الدين . اريد ان لا يؤتى بكلمة الدين امام العلم ليقال ان آية او حديثاً يعارض معناها شيئاً من العلم فان الدين لم ينزل ليعلّم الناس العلم او لينافي العقل في شيء حتى يعارضهما ولو في بعض الاحايين . اريد اخيراً ان لا نكثر من الصياح باسم الدين حتى لا تلتفت العقول الناشئة اليهِ قبل ان يظهر في ثوبهِ الحقيقي لئلا تنفر منهُ ونكون قد جنينا من حيث طلبنا الفائدة

هذا هو كل ما اريدهُ نشرتهُ لتطلع عليهِ الامة عسى ان تلتفت اليهِ وتنظر فيهِ فتعلم انها موشكة ان تقدم على خطر لا ينجيها منهُ الاّ شدة الاحتراس والحذر . ولعلي لا اعدم من يسفهون رأيي ويتفاءلون للامة ودينها بالخير من وراء الحركة الحالية اخذاً بظاهر قولهِ تعالى

«انا نزلنا الذكر وانا لهُ لحافظون» فكلني الى هؤلاء ان يفسح الله في آجالهم مئة عام لينظروا باعينهم ماذا يكون يومئذٍ من امر الدين اذا نحن لم ندرأ الخطر . والله اسأل ان يوفقنا الى اقوم طريق

عبد القادر حمزه
المحامي

الاسكندرية

العلم في العام الماضي

الانثروبولوجيا او علم الانسان — لم يتقدَّم كثيرًا في غضون العام الماضي ولكن كان لخطبة الاستاذ كارل بيرصن التي خطبها تذكارًا للاستاذ هكسلي شان كبير لانهُ بحث فيها عن وراثة الصفات العقلية والادبية . واتجهت افكار علماء هذا الفن الى البحث المدقق في احوال اهالي جزائر البحر قبل انقراضهم . واكتشف المستر بيدنل كثيرًا من قطع الظران في صحراء الفيوم حول موقع بحيرة قديمة ترجح منها وجود الناس في القطر المصري في العصر الحجري القديم (بلبولثك) لكن بعض العلماء ينفون ذلك

الفلك — اهمُّ ما حدث في العام الماضي ازدياد الاضطراب في الشمس وظهور الكلف الكبيرة فيها كما وصفنا ذلك بالاسهاب في الجزء الاخير من السنة الماضية ويقول الاستاذ نيوكم ان معظم هذه الكلف سيكون في الشهرين الاخيرين من هذا العام اي في نوفمبر او دسمبر

والابحاث الجديدة في نور الزهرة تؤيد ما قيل قبلاً من انها تدور على نفسها مرةً كل ٢٢٥ يومًا . وارتأى اثنان من العلماء ان الخطوط التي ترى على وجه المريخ خطأٌ في العين فانهُ اذا وجدت نقط منفصلة على سطحٍ ونُظر اليهِ عن بُعد رأت العين خطوطًا تصل بين تلك النقط واثبتا ذلك بالامتحان . ورئيت بقع كبيرة منتشرة على الجانب القطبي الشمالي من زُحل وظهر انها تدور معهُ دورة كاملة كل عشر ساعات و٣٨ دقيقة مع ان زُحل يدور على محورهِ مرة كل عشر ساعات و١٥ دقيقة بحساب الاستاذ هول . وبلغ عدد النجيمات المكشوفة حتى آخر السنة بين المريخ والمشتري ٥٩٠ نجيمة وقد وجد المسيو كالندرو ان اهليلجيَّة النجيمات البعيدة عن الشمس اكثر من اهليلجيَّة النجيمات القريبة منها واكتشف الاستاذ جيا كوبيني مذنَّبًا في الخامس من شهر يناير قرُب بَعد ذلك حتى صار يرى بالعين . واكتُشف مذنب آخر في زيلندا الجديدة في ٢١ يونيو اقترب في يوليو حتى صار يرى بالعين ايضًا وكان لهُ نواة واذناب كثيرة طال احدها حتى بلغ طولهُ ثماني درجات ونصف درجة . وحقق المسيو بروتين سرعة النور ١٨٩٢٢٥ ميلاً

ونصف ميل في الثانية والدكتور تشندلر بُعْد الشمس عن الارض ٩٣١٠٧٠٠٠ ميل والاستاذ نيوكم ان نور المجرَّة مضاعف نور بقية نجوم السماء

البيولوجيا اي علم الحياة — اهتمَّ علماء البيولوجيا بالبحث عن الاحياء التي تسبب بعض الامراض ولا سيما مرض النوم المنتشر في قلب افريقية فوجدوا سببهُ جسماً حيًّا صغيرًا يكون في الدم ويتصل منهُ الى الاعصاب والموصل لهُ الى الانسان نوع معروف من الذباب ولم يوجد علاج حتى الآن يميت هذه الاحياء من جسم المصابين بها · واثبت الاستاذ مكفادين ان السوائل التي تكون في جسم الميكروب اذا حُقن بها حيوان مناسب تولَّد في جسمهِ مصل يقتل ذلك الميكروب ويقي من سمهِ ولم يثبت ذلك في كل الميكروبات بل في نوع منها ولا يبعد ان يكون هذا الامر عامًّا

الكيمياء — اهم الابحاث الكيماوية التي جرت في العام الماضي البحث في خصائص الراديوم وتولُّد الهاليوم منهُ وقد اشبعنا الكلام عليهِ ولم نغفل الاَّ بعض الامور الكيماوية التي يتعذَّر فهمها على جمهور القراء كفعلهِ في حل اليودوفورم · اما ما قيل عن فعلهِ في شفاء السرطان فلم يزل في حيز الامتحان · ولا يعلم ما يكون من امرهِ متى امكن استحضار مقدار كبير منهُ فقد قال الاستاذ رذرفرد انهُ اذا وضع سنتمتر مكعب منهُ في انبوب من الزجاج احماهُ الى درجة الحمرة بالحرارة المتولدة منهُ او صهرهُ صهرًا · ووجدت منهُ اشعة تخرق لوحًا من الحديد سمكهُ قدم وتنير ستارًا موضوعًا امامهُ كما تنيرهُ اشعة رنتجين . ومما يذكر في هذا الباب ان وسام الكيمياء المعروف بوسام السر همفري دافي اعطي لمدام كوري وزوجها لاكتشافهما عنصر الراديوم وهذه اول مرة اعطي فيها هذا الوسام لامرأة واعطيت جائزة نوبل للاستاذ ارهنيوس صاحب المذهب الذي شرحناهُ سنة ١٩٠٢ · وقال المسيو بلندلو انهُ اكتشف اشعة سمَّاها اشعة N ادَّعى لها افعالاً غريبة ثم ظهر انها اشعة الحرارة العادية والافعال المنسوبة اليها انما تحدثها الحرارة

الكهربائية — كان البحث في الكهربائية يحسب فرعًا من الطبيعيات كالبحث في النور والحرارة اما الآن فقد اتسع نطاقهُ جدًّا حتى صار علمًا قائمًا برأسهِ وصار اوسع من البحث في كل المواضيع الداخلة في علم الطبيعة · وقد كان للكهربائية شأن كبير في العام الماضي اذ حاول بعض العلماء تعليل خواص المادة بخواص الكهربائية اي حسبان المواد كلها مؤلفة من ذرات كهربائية وقد نشرنا خطبة في ذلك للسر اوليفر لدج جعلنا موضوعها المادَّة واحدث المذاهب فيها . واستخدم السر اوليفر لدج الكهربائية لتبديد الضباب الذي يكتنف مدينة لندن فنجح في ذلك بعض النجاح

وسار تلغراف مركوني في سبيل النجاح وشاع تلغراف ده فورست الاميركي وهو مثل تلغراف مركوني . وعقد مؤتمر في برلين في شهر اغسطس بطلب امبراطور المانيا حضرهُ مندوبون من بريطانيا وفرنسا وايطاليا وروسيا والنمسا واسبانيا والولايات المتحدة وقرَّ اعضاؤُهُ على ان مراكز التلغراف الذي لا سلك لهُ سواء كان من نوع مركوني او ده فورست او غيرهما اذا وصلتها رسالة كهربائية من سفينة في البحر وجب عليها ان تقبلها وترسلها الى حيث يراد ارسالها كانها رسالة تلغرافية عادية

وجرَّب الالمانيون الكهربائية لسير القاطرات بسرعة شديدة فبلغت سرعة قطراتهم الكهربائية ١٣١ ميلاً في الساعة . وختمت السنة وحكومة بروسيا تنظر في مشروع اسير القطرات بهذه السرعة بين برلين وهمبرغ

الجغرافيا — اتجهت همة الاوربيين منذ زمن الى اكتشاف الاصقاع الجنوبية التي تحيط بالقطب الجنوبي وكان هناك اربع رسالات في العام الماضي رسالة المانية ورسالة اسوجية ورسالة اسكتلندية ورسالة بريطانية فرجعت الثلاث الاولى وبقيت الرابعة فارسلت سفينة المورننج (الصباح) لمعونتها فوجدت سفينتها واسمها دسكفري (الاكتشاف) مقيَّدة بالجليد لا تستطيع حراكًا ولم تستطع سفينة المورننج ان تدنو منها الى اقرب من عشرة اميال لسمك الجليد الذي حولها

وابعد ما بلغهُ المكتشفون الدرجة ٨٢ والدقيقة ١٧ من العرض الجنوبي فيبقى بينهم و بين القطب نحو ثماني درجات ووجد عند الدرجة ٨٠ سلسلة جبال ارتفاع بعضها ٩٠٠٠ قدم . والبرد شديد جدًّا في تلك الاصقاع فتبلغ درجتهُ ٥٧ تحت الصفر

والسفينة التي ذهبت فيها الرسالة الاسوجية اطبق عليها الجليد فكسَّرها وارسلت حكومة ارجنتين سفينة انقذت الذين كانوا فيها واوصلتهم الى بونس ايرس في شهر اكتوبر الماضي . وعادت الرسالة الالمانية سالمةً غانمةً ولكنها لم توغل مثل غيرها جنوبًا . واستمرَّ البحث في الاصقاع الشمالية ولكن لم تكتشف فيها اكتشافات مهمة

وعاد الماجور بول كتن من افريقية بعد ان قضى عشرين شهرًا في قلبها وظفر بالزرافة ذات القرون الخمسة وقد ذكرنا خلاصة ما لقيهُ فيها في جزء اكتوبر الماضي في الكلام على هذه الزرافة . واكتشف غيرهُ من السياح والرواد ستة قبائل جديدة لم تكن معروفة من قبل

وسارت رسالتان الى بلاد التبت في اسيا ومسحت ٣٨ الف ميل من الاراضي التي لم تمسح قبلاً واكتشفت فيها بحيرات لم تكن معروفة من قبل منها بحيرة مساحتها سبعون ميلاً

الجيولوجيا — وجد في كهوف قبرص عظام نوع صغير من فرس النهر ليس اكبر من الخنزير. ووجد فيل كبير مطمور بالثلج في بكوتسك بسبيريا سنة ١٩٠٢ فاتي بهِ في العام الماضي الى دار التحف في بطرس برج وقد وجد سليماً وفمهُ مملوء نباتاً والظاهر انهُ كان يرعى على جرف هارٍ فسقط بهِ الى وادٍ عميق طمرهُ الثلج فيهِ واماتهُ وحفظهُ من البلى هذه السنين الكثيرة الى ان وجد الآن . واهم المباحث الجيولوجية كان في القطر المصري وقد وصفناهُ في حينهِ

الامير بشير الشهابي

اتضح مما في الجزئين السابقين ان الامير بشيرًا لم يكن مستقلاً في ولاية لبنان بل كان لوالي عكاء السلطة المطلقة عليهِ يوليهِ ويعزلهُ كيف شاء وان تكن الدولة قد صرَّحت لهُ بعض الاحيان انهُ مستقل في الولاية التي كانت للامير فخر الدين المعني . ولو شاء الاستقلال ما تعذَّر عليهِ لانهُ مما يميل اليهِ اللبنانيون بالفطرة كما يميل اليهِ سائر اهالي الجبال وقد اعربوا عن ذلك مرارًا واشترطوا عليهِ مرةً انهم يقبلونهُ واليًا عليهم بشرط ان لا تكون ولايتهُ من الدولة . اما هو فكان على رفعة قدرهِ وعلو همتهِ يقف امام ولاة الدولة كاصغر الصعاليك ويخاطبهم مخاطبة العبد لمولاهُ وهم يخاطبونهُ مخاطبة السيد لعبدهِ الاَّ اذا ارادوا ان يتملقوهُ للاستعانة بهِ على قتال او لاستخدامهِ في ابتزاز اموال الرعية فانهم كانوا يخاطبونهُ حينئذٍ بشيء من التبجيل ويكرمونهُ اذا اقبل اليهم . وكان سليمان باشا اليَنهم عريكة من هذا القبيل فتوفي سنة ١٨١٩ وطلب الولاية بعدهُ عبد الله باشا بن علي باشا الخزندار فبعثت اليهِ الدولة بفرمان الولاية وحضر منهُ كتاب الى الامير بشير يخبرهُ فيهِ بان الولاية آلت اليهِ ويامرهُ بان يبادر ويحتفل ببث هذه البشرى في انحاء الجبل . ففعل الامير كما امرهُ عبد الله باشا وبعث اليهِ بالهدايا من الخيول المطهمة والسروج المذهبة فاجابهُ بارسال خلعة الولاية اليهِ وارسل منشورًا الى اهالي لبنان رأينا ان نثبت صورتهُ هنا كما وردت في تاريخ الامير حيدر الشهابي لانها مثال لما كان يرد من نوعها مما تجود بهِ قريحة الكتَّاب ولو خالف الواقع وهي

"صدر المرسوم المطاع . الواجب القبول والاتباع . الى افتخار الامراء الكرام . مرجع الكبراء الفخام ذي القدر والاحترام ولدنا الامير بشير الشهابي دام مجدهُ على الدوام . والى الامراء والمقدمين والمشايخ وشيوخ العقل والعقال وارباب الكلام والمباشرين والوجوه والرعايا في جبل الشوف وكسروان وتوابعهما على وجه العموم ليعلموا انهُ غير خافٍ عليكم التكريم الرباني والامداد

الصمداني بفيض مراحم حضرة مولانا سلطان السلاطين وخاقان الخواقين ولي نعم العالم . معدن الراحة لبني آدم . ظل الله على العالمين خلد الله سرير سلطنتهِ على مدى الايام والسنين . وانعطافهِ علينا برتبة الوزراء السامية وتوجيه ايالة صيداء وطرابلس الشام وقيادة المحمل الشريف ومحصلية لاذقية العرب ولواء غزة هاشم والرملة ويافا واللد وجميع الاملاك التي كانت لسالفنا المرحوم المبرور المغفور لهُ الحاج سليمان باشا طاب ثراهُ مع الانعام علينا بكامل مخلفاتهِ ومتروكاتهِ . فسبحان الله تعالى شكرًا على هذه المنة العظيمة والموهبة الجسيمة . وبسطنا اكف التضرع والابتهال . الى حضرة الملك ذي الجلال بدوام دولتهِ الزاهرة . وتأييد صولتهِ الفاخرة على ممر الايام والليال . وعلى الله الاجابة والقبول فانهُ خير مسؤول . واكرم مامول . والآن قد قررنا وابقينا التزام جبل الشوف وكسروان وما يليهما على الامير المومى اليهِ لاستقامتهِ ونجابتهِ وكفايتهِ ودرايتهِ فليكن ذلك معلومًا عندكم وتكونوا تحت طاعتهِ وتوردوا عن يدهِ الاموال الاميرية . والمطالب السلطانية . وتتعاطوا اشغالكم واعمالكم آمنين مطمأنين وتواظبوا على بذل الادعية الخيرية لحضرة مولانا السلطان نصرهُ العزيز الرحمن . ونخبر الامير المومى اليهِ انهُ يجب عليك الاهتمام براحة العباد . وعمار البلاد والاجتهاد في حسن الضبط والربط . واقامة العدل والانصاف . وابطال الجور والاسراف . وليكن كل ما تأمر بهِ وتتصرف فيهِ مطابقًا للشرع الشريف . وموافقًا للقانون المألوف من كل تالد وطريف . والآن لاجل رفع شانك على اقرانك قد ارسلنا اليك خلعة فاخرة من ملابسنا عن يد افتخار الاماجد والاعيان خزندارنا حالاً محمد آغا زيد مجدهُ . فيقتضي ان تبادر الى ملتقاها وتتسربل بها . وتتلو مرسومنا هذا علنًا على رؤُوس الاشهاد . وان شاء الله تكون هذه السنة ابرك السنين على جميع العباد . والجميع لا يشاهدون منا الا كل ما يسر الخاطر ويقر الناظر . وبناءً على ذلك قد اصدرنا اليكم مرسومنا هذا من ديوان محروسة دار الجهاد فاقرأُوهُ واعتمدوهُ غاية الاعتماد"

ويقال انهُ لما حضرت الخلعة الى الامير بشير التقاها مسافة غلوة كما جرت العادة وتسربل بها . ولعلها كانت جبةً لا تساوي دينارين والذي بعث بها اليهِ لم يكن امنع منهُ جانبًا ولا اقوى صولةً ولكن السيادة فطرية في الترك وهم اقدر من العرب على استعمالها

ومن الذين هنأُوا الامير بشير بخلعة الولاية هذه ولدهُ الامير امين فقال من قصيدة حسناء

أَلا ايها المولى الذي بفعالهِ غدا ثغرُ هذا الدهر باهي التبسمِ
سليلك يهديك التهاني بخلعةٍ تميس بدلٍّ الناعم المتنعمِ
جليلة قدر ذات عزٍ وبهجة مقلدة عقدي جمالٍ ومغنمِ

تزيد افتخاراً في لقاك ورفعة وتهتز شوقاً هزة المترنم

ولم تمضِ سنة على وصول الخلعة حتى وصل امر من عبد الله باشا بطلب مبلغ طائل من المال فأُسقط في يد الامير وارسل بطرس كرامة الى عكاء يتوسل اليهِ حتى يعفيهُ من ذلك او يمهلهُ الى ان يتيسر لهُ جمع المال المطلوب . فغضب عبد الله باشا وصرف بطرس كرامة وامر بارسال الجنود الى حدود البلاد من الارناووط والدلاتية والهوارة وهي اسماء تهلع لها قلوب اللبنانيين لما كان يأتيهِ اولئك الطغام من الكبائر . وامر بالقبض على كل من يوجد في بيروت وصيداء من اهالي لبنان و باغلاق ابواب المدن في وجوه اللبنانيين . فارتاع اهالي البلاد من ذلك وعظم الامر على الامير بشير فاعاد بطرس كرامة الى عكاء واعداً عبد الله باشا بتأدية المال المطلوب وكتب لهُ صكّاً بالف الف درهم يدفعها في شهرين وهي عشرة آلاف جنيه ولكنها بمثابة مئة الف جنيه الآن او اكثر لان ثمن اقة الحرير كان حينئذٍ عشرين غرشاً او ثلاثين . واضطرَّ ان يقترض المال من التجار واقترض من الشيخ بشير جنبلاط ميئتين وخمسين الف درهم . ولم يكد يتم ارسال هذا المال حتى جاءهُ كتاب من عبد الله باشا يقول فيهِ انهُ اهدى الى رجال الدولة كل ما كان عندهُ من التحف المجوهرة ولم يبقَ عندهُ ما يليق اهداؤهُ وانهُ اتخذهُ كبعض اهل بيتهِ ولذلك فهو يطلب منهُ خنجرين مجوهرين أُهديا اليهِ واحداً منهُ وواحداً من سليمان باشا فارسلهما اليهِ حالاً . وما مضى على ذلك ايام يسيرة حتى ورد منهُ كتاب آخر يطلب فيهِ خمسين الف ربع دينار فندقلي نفقة جيب لهُ . فطلب الامير هذا المال من اهالي البلاد فاجتمع زعماؤُهم وتحالفوا على ان لا يؤدوا الاَّ المال المقرر ولا يؤدوهُ الاَّ في ميعادهِ ولا يؤدوا درهماً من تلك الزيادات وكتبوا الى عبد الله باشا ان الامير ظلمهم وارهقهم بمطالبهِ الكثيرة والتمسوا منهُ ان يبقوا على عوائدهم القديمة . فاجابهم الى ما طلبوا وامرهم ان لا يرضخوا لاميرهم

الدولة تلج على ولاة الايالات في طلب المال والولاة يلجون على حكام الاقاليم وهولاء يطلبون المال من الاهالي فيأمرهم الولاة ان لا يدفعوا . كذلك تكون السياسة القويمة

فلما رأى الامير بشير ان والي عكاء يلجُّ في طلب المال ويحرض اهل البلاد على عدم دفعهِ عزم على ترك الولاية وكتب الى عبدالله باشا بذلك وقام باولادهِ واعوانهِ وسار طالباً بلاد حوران وانشد بطرس كرامة في ذلك

رحلنا وخلّينا المنازل بعدنا تشير بكفٍ ابيض وبنان

ابينا احتمال الذل او نهلك الورى فقمنا وخلّينا بغير طعانِ

ولكن اجتمع اليهِ قبل خروجهِ من الجبل الامراء اللمعيون ووجوه البلاد وتحالفوا انهم لا يقبلون حاكماً عليهم غيره'. وكان في البلاد حزب ناقم عليهِ وراغب في الولاية ولهُ زعيمان من آل شهاب الامير حسن والامير سلمان فكتب هذا الحزب يلتمس الولاية لهما

وسرَّ عبدالله باشا بخروج الامير بشير من لبنان لانهُ كان يعلم ان الجزار قضى عمره' وهو يحاول خلعهُ من الولاية فلم يستطع. وارسل خلعتي الولاية الى الامير حسن والامير سلمان الاَّ انهما لم يستطيعا القيام بها. وكتب الامير بشير وهو في جهات حوران الى عبدالله باشا يسترضيهِ فاجابهُ انهُ راضٍ عنهُ وحالما تبدر بادرة من الاميرين يعزلهما و يعيده' الى الولاية

واضطرمت نار الحرب حينئذٍ بين الدولة العثمانية والروس ودعت الحال الى حفظ الثغور فكتب عبدالله باشا يستدعي الامير بشيرًا اليهِ وامر الحكام الذين يمر بهم في طريقهِ ان يكرموه' ولعله' اراد ان يهدد الاميرين بهِ لانهُ لما وصل الى عكاء كان المشايخ رسل الاميرين فيها فامرهم عبدالله باشا ان يتعهدوا له' بالف الف درهم ومئة الف درهم على عجل فتعهدوا بذلك وكتبوا على انفسهم صكًا بهِ لكن الاميرين عجزا عن جمع هذا المال ورضيا ان يتنازلا عن الولاية وتركا اختيار الوالي لاهل البلاد فحضر الامير بشير الى دير القمر واجتمع اكثر الزعماء من امراء ومشايخ واعيان وتوافقوا وتواثقوا وكتبوا عهدًا بينهم انهم يكونون يدًا واحدة في مصلحة البلاد والذي تختاره' اهالي البلاد حاكماً من بني شهاب يقبلونهُ حاكما عليهم و يطيعونهُ و يؤدون الاموال السلطانية اليهِ وحينئذٍ طلب الاميران من الامير بشير ان يكون هو الحاكم فابى محتجًا بانهُ يريد الراحة من متاعب الولاية وسألهما ان يبقيا فيها. وتدل القرائن على انهُ خاف ان يطالبهُ عبدالله باشا بما تعهدا بهِ من المال. وطلب عبدالله باشا المال من الاميرين فاعتذرا بان البلاد خرجت عن طاعتهما لوجود الامير فيها ورأى عبدالله باشا ان ليس للولاية خيرًا من الامير بشير فاعاد الولاية اليهِ وكتب اليهِ انهُ يبقي الولاية له' ما بقي حيًّا. واخلص عبد الله باشا الوداد للامير بعد ذلك واستعان بهِ على قمع جنود درويش باشا والي دمشق فابلى اللبنانيون بلاء حسنًا وانشد بطرس كرامه يهنئ الامير بظفرهِ فقال

سلِ الخطيَّ والبيض الصقالا فهنَّ عن الرجال كشفن حالا
وسلْ كوم النزال غزاة حرب بوادي التيم تشتعل اشتعالا
ويومًا اقبلت رايات قيس يقدن الخيل تعترك الجمالا
بشبان يرون الموت عزًّا وشيب طالما اقتحموا النزالا
ونصر الله صاحبها يمينًا وآي العز قارنها شمالا

تخوط بهِ الكماة على عتاق مضمرة يسابقن الخيالا
لديهم من مراة الشوف اسد اذا ثبتوا حسبتهم الجبالا

ولكن درويش باشا رفع شكواهُ الى الباب العالي على عبد الله باشا مدَّعياً انهُ منع اهالي نابلس عن تأدية الاموال المرتبة عليهم لاجل قيام الحج فامرت الدولة مصطفى باشا والي حلب ان يقوم الى دمشق ويعاون درويش باشا على عبدالله باشا فاضطر الامير بشير ان يغادر البلاد ويهاجر الى الديار المصرية كما سيجيء



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

ردٌّ على ردّ وانتقاد

وقفتُ على ما ادرجهُ الاديبان باحث مستفيد ومحمد رشيد افندي ردًّا وانتقادًا عليَّ في مقالتي منزلة الشعر من التاريخ فاجيب

ان الاديب (باحث مستفيد) قد اوردتُ لهُ حججاً قاطعة توجب عليهِ خلع نقاب اخفى محياهُ فلا دفع حجة بحجة ولا قام بما اوجبت عليهِ الحجة وهذا سبيل لم ارهُ لاحدٍ من ارباب المناظرة ولهُ الفضل ان اثبت جوازهُ في آداب البحث

ثم تكلم عن منزلة مقالتي وهذا كلام لا يُوجَّه اليَّ بل الى اصحاب الصحف واخدان الادب الذين اثنوا عليها ورحَّبوا بها فان رأى مؤاخذتي بانها حلَّت لديهم محلا كريماً فما اولاني بان اقرَّ بصدق مدعاهُ

وليعلم ان كثيراً من معارفي يدَّعون انَّ نقابهُ الوهمي انما هو مرخىً على محيَّاي وانني اكتب ما اكتب تحت هذا النقاب تشويقاً للخواطر تنويهاً بفضل مقالتي فان خضت معهُ غمار البحث

الذي يريده كانت دعواهم اقرب الى التصديق وهو ما لا يريده حضرتهُ في اظن

ثم عاب استخدامي المنطق في علم التاريخ ولم يبالِ بان التاريخ علم يراد بهِ سرد حقائق فتعابيرهُ من باب الدلالة الوضعية والدلالة الوضعية مبحث علم المنطق . اذن قد طرقت البحث من بابهِ كما انهُ لم يرَ انني اجبتهُ على كلامهِ باعتبار دلالتيهِ الوضعية والعقلية فهل يرى استقصاء مناحي كلامهِ مأخذًا عليَّ

ثم تنصَّل في مبحث التعامل بالحجرين الكريمين من الكلام في العمران الى الكلام في الدول فهل يتكرم عليَّ بماذا يدعو هذا التنصُّل وهل هو جائز في المناظرات التي يراد بها تحقيق الحقائق

ومقالتا الفاضل جرجي افندي يني في العرب قبل التاريخ لا تتعارضان مع ما اوردتهُ . فان كان يرى غير ذلك فعليهِ ان يؤيد دعواهُ بالادلة

اما الاديب (محمد رشيد افندي) فقد ادار عليَّ سلافةً وخلاً فليتهُ اعفاني من سلافتهِ وخلهِ واقتصر على مجرد بيان ما عندهُ من التخطئة . وقد ذهب في قول حسان

تظلُّ جيادنا متمطرات تلطمهنَّ بالخمر النساء

الى ان الجياد كانت مسرعة اشدَّ اسراع بينما كانت النساء تنفض الغبار عنها . فليتكرم باقامة دليل عليَّ ان هذا الكلام ينطبق على صورة واقعية ليكون تخريجهُ مقبولاً . وقال عن حسان "وكان شاعر الاسلام والخمر عندهم حرام يومئذٍ نجسة الاستعمال" فكيف يوفق بين هذا القول وغزل هذه القصيدة التي منها

كأنَّ سبيئة في بيت رأس يكون مزاجها عسل وماء

اذا ما الاشربات ذكرنَ يومًا فهنَّ لطيِّب الراح الفداء

نوليها الملامة ان ألمنا اذا ما كان مغث او لحاء[1]

ونشربها فتتركنا ملوكًا واسدًا لا ينهنهنا لقاء

وليعلم ان الاديب يعمل بمبلغ علمهِ وطاقتهِ ولا يدَّعي عصمة ولا يترفع عن الاقرار بخطاء صدر منهُ . ولا اعلم من اين جاز لهُ الحكم بخلو مقالتي من ابحاث وهي لم تزل تنشر فقرًا متلاحقة

المدرسة البطريركية في دير المخلص (لبنان) امين ظاهر خير الله

(١) اي نصرف الملامة اليها ان اتينا بما نلام عليهِ كالمغث اي الضرب باليد وكاللحاء اي المشاتمة

البحر والسماء

على السماء وفوق الشمس اشعاري ... وتحت اصداف هذا اللج إفكاري
وبين تلك وهاتا قد جرى قلمي ... بمعجز الوصف من درٍّ وانوارِ
أرى جمالاً تعالى أن أُلِمَّ بهِ ... وجلَّ خالقهُ من مبدعٍ باري
كأنما الكون غيداءُ محجبة ... تطلُّ مشرفةً من خلف أستارِ
فالبحر مقلتها والبرُّ حاجبها ... من فوقهِ جبهة زينت بأقمارِ
او كان ذا البحر ديباج السما وقد اذ ... حلَّ الوشاح فها صدر السما عاري
او هذه لبست من ليلها حللاً ... ومن كواكبها زُرَّت بأزرارِ
او ظنَّت الشمس عجباً أنها خطفت ... بالحسن ابصارَ قوم دون أبصارِ
وخالت الأرض داراً للسما فلذا ... أقامت البحر مرآةً بذي الدارِ
يا مسكنَ الشهُب الزهراء كم عجب ... بمعدن الدرَر الغرا واسرارِ
إن تحولي فلكاً قد دار دائرهُ ... فدونكِ اللجَّ دوّار بدوّارِ
كلا كما حسنٌ والحسن ينكما ... كالروض يأرج من اشتات ازهارِ
اني ارى الشمس تحت البحر مطفأةً ... كذلك الماء ذو بأس على النارِ
كأنما هو كفُّ الأرض قد بسطت ... الى السماء فجادتها (بدينار)
أو غاصتِ الشمس تحت اللج هاربةً ... مما على الناس من همٍّ واكدارِ
ألستَ تبصرها صفراء جازعةً ... وقد خبا زند تلك الشعلة الواري
تشبهَ الناسُ طهراً بالملائكِ من ... خبث الضمير وكانوا غير أبرارِ
والبحر أفقهمُ من افكهم وكذا ... لا تحمل الأرضُ الأكلَّ غرّارِ
لو انصفوا لرأوهُ في تلججهِ ... على البسيطة كالمستأسد الضاري
لكنَّ من ألف الانغام مسمعهُ ... يخالُ كل زئير نفخ مزمارِ
ما للخضمِّ اراهُ كاشراً فزعاً ... يخدّش الارض من لجّ بأظفارِ
مجرِّداً في تدجيهِ صفيحتهُ ... مستوفزاً بين بتّار ونيّارِ
يقيمهُ الموج حرداً ثم يقعدهُ ... ما بين منسحب منهُ وجرّارِ
والافق مكتئب حيناً ومبتسمٌ ... ما بين ليلٍ دجوجيٍّ وأسحارِ
يا ايها الناس ان البحر موعظة ... وضجةُ البحر ليست غير إنذارِ
فكم عليكم بهِ لله من حجج ... والذنب يغفر إلاَّ بعد إعذارِ

البحر ألين شيء ملمساً فاذا خاشنتموهُ بلوتم أيّ جبّارِ
ولو تعاون كل الخلق ما قدروا ان يحبسوا موجةً من موجه الجاري
فكيف يجحد رب البحر قدرتهُ وذلكم أثر من بعض آثارِ
آمنت بالله ما شيءٌ أراهُ سدًى لكنها حِكمٌ تجري بأقدارِ

طنطا مصطفى صادق الرافعي

اقتراح

اقترح على حضرتكم ان تخصصوا باباً في مجلتكم لانتقاد الكتب المنتشرة بين ظهرانينا. ولو فحصتم الكتب المدرسية مثلاً التي تختارها "المعارف" لطلابها لوجدتم فيها كثيرًا لا ينطبق على روح التعليم الصحيح فاذا اظهرتم "للمعارف" خطاءها في اختيار الكتب للتدريس فيها واشرتم عليها بانتخاب ما يفوق كتبها في اسلوب الوضع والتأليف تخدمون بذلك الامة بل العلم خدمة تخلد لكم الذكر

كما اني ارجو حضراتكم ان تقرظوا وتنتقدوا الكتب الشهرية الجديدة باسهاب ووضوح وتأتوا لنا منها بفصل او بعض شذرات كما فعلتم في تقريظ "الخواطر العراب" لكي نكون على بينة من حقيقة الكتب التي يدّعي اصحابها بفوائدها والحال انها تضليل وتغرير بالعقول فلا نشتريها على غرة ونتعب ذاكرتنا في مطالعتها ونضيع اوقاتنا على غير جدوى

ناشد فريد

[المقتطف] اننا باذلون جهدنا في انتقاد كل كتاب يُعرَض علينا للانتقاد اذا وجدناهُ يستحق الانتقاد وعلمنا ان صاحبهُ يرضى بحكمنا ولا يفتح علينا جدالاً طويلاً عريضاً يضيع بهِ الوقت سدًى. ومع ذلك يفوتنا انتقاد بعض الكتب امَّا لاننا نجد موضوعها خارجاً بالكلية عن موضوع المقتطف او لأن كثرة الاشغال تمنعنا عن النظر فيها بالامعان . اما الكتب المدرسية التي تشيرون اليها فلم تعرض علينا لانتقادها والراجح في ذهننا انها تختار بقرار لجنة من العلماء الراسخين في العلم ومع ذلك وقع نظرنا عرَضاً على كتابين منها فلم نستحسنهما وقد اشرنا اليهما في الكلام على الخواطر العراب . ويحتمل اننا ننظر في هذه الكتب مرةً ونشير الى ما فيها من العيوب لا من حيث الخطإ اللغوي الذي يفتش عنهُ البعض بل من حيث قصورها عن الغاية الموضوعة هي لها

باب الزراعة

المعرض الزراعي

نظرة عامة

فتح المعرض الزراعي بعد ظهر العاشر من فبراير وهو يمتاز على المعارض التي سبقته من اوجه وينحط عنها من اخرى اخصها خلوهُ من البقر والجاموس نظرًا الى تفشي الطاعون البقري ومن بعض المصنوعات الاهلية كمصنوعات مصلحة السجون ومصنوعات معمل الخزف ونحوهما اما امتيازهُ فكان بسعة معارضهِ وحسن ترتيب معروضاتهِ وتعدد اصنافها وانواعها واجناسها وزيادة اتقان المعروض منها

فالحاصلات الزراعية فاق المعروض منها المعتاد حيث بلغت الف صنف من الحبوب ولم تبلغ غير ٤٠٠ صنف منها في السنة الماضية فالتقدم من هذا القبيل عظيم جدًّا وكذلك معروضات القطن فانها من خيرة ما رأيناهُ في المعارض السابقة حتى الآن وقد جمعت اصناف القطن الاربعة الجديدة التي تفوق في الجودة سائر الاصناف المعهودة وهي النوباري والكركي والعباسي المحسن واليانوفتش براون فتوجه انظار المزارعين اليها عساهم ان يجيدوا اقطانهم بتقاويها

وامتاز هذا المعرض ايضًا بما عرض فيهِ من المحاريث التي استوقفت الابصار نخص منها محراثين بخاريين ومحراثًا فرنسويًّا اما المحراثان البخاريان فاحدهما كبير ثقيل يثير التربة وينعمها ويوقد فيهِ الفحم والحطب والآخر صغير خفيف وهو عبارة عن سكك (اسلحة) تعلق باوتوموبيل يسير بالبنزين وقد جُرب هذان المحراثان فحرثا الارض بمرأًى من الناظرين واعجب حرثهما جمهور المزارعين الاَّ انهم لم يقنعوا بكونهما يصلحان لحرث التربة المصرية على اختلاف انواعها واحوالها لان التربة التي كانا يحرثان فيها رملية صفراء جافة غير شديدة التماسك . فيخشى ان الكبير الثقيل يغرز في التربة اذا كانت رطبة كما جرى فعلاً في اطيان حضرة الوجيه الخواجا انطون صباغ من كبار مزارعي الدقهلية . او انهُ يكسح التربة كسحًا اذا كانت رملية ناعمة كما يقال انهُ فعل في اطيان بمديرية المنيا . ويخشى ان المحراث الصغير الخفيف يعجز عن شق التربة الشديدة التماسك . فلهذا كان رأي جمهور المزارعين انهُ لا بدَّ من تجربتهما اياماً اخرى في اطيان متعددة في تربات مختلفة قبل ان يحكم بصلاحيتهما لحرث الاطيان المصرية

واما المحراث الفرنسوي فيحرث بهِ على البقر وقد جُرب في ارض المعرض فمدحهُ الناظرون ولاسيما الانكليز منهم لما رأَوا سهولة ادارتهِ من ثلم الى ثلم وسهولة تعميق الحرث بهِ حسب الاختيار

وخلو المعرض من البقر زادت الخيل المعروضة فيهِ عن المعتاد من خيل للشغل وخيل للزراعة وخيل للنتاج وكذلك الخرفان والشياه والكباش

وفاق المعرض ايضاً في كثرة ما عرض فيهِ من الآلات والعدد البخارية والميكانيكية والزراعية وآلات الري والسكك الحديدية والزراعية

ومن اخص ما بانت عليهِ دلائل التقدم والاتقان من الصنائع المحلية صناعة السمنت فان المعروض منها يحكي في الجودة والاتقان احسن ما يؤْتى بهِ من الخارج . وصناعة الخيام فقد سر الناس برؤْية الخيمة الوطنية ومعروضاتها المصورة بصور المصريين القدماء والمزينة بالكتابات والنقوش

هذا ولا خلاف في ان الاقبال على هذا المعرض يزداد عاماً فعاماً وان الاهالي ادركت نفعهُ وجعلت تكتسب الفوائد منهُ والفضل في ذلك للجنة الزراعية الخديوية عموماً ولحضرات المستر كاري والمستر فودن سكرتير الجمعية ومعاونيهِ من ابناء الوطن خصوصاً

الجمعية الزراعية

وفي اليوم التالي اجتمعت الجمعية الزراعية الخديوية اجتماعها السنوي في دار المعرض الزراعي برئاسة دولتلو رياض باشا وحضر الاجتماع نحو مئة وخمسين عضواً من حضرات المحافظين والمديرين وكبار الوجهاء والعمد فاستهلَّ دولتلو رياض باشا الكلام على فائدة الجمعية الزراعية وما فعلتهُ في غضون السنة الماضية من تقديم تقاوي القطن الجيد المنتقى بثمن بخس فلم يزد ثمن الاردب واصلاً الى المزاعين على ٨٢ غرشاً مع انهُ هو يشتريهِ من زراعتهِ بجنيه انكليزي . ومن تقديم السماد الكيماوي الذي يزيد بهِ محصول الارض كثيراً . وذكر بعض الامثلة على ذلك وقال ان الاراضي التي يضاف اليها السماد الكافي سواء كان سباخاً بلديًّا او سماداً كيماويًّا يزيد محصول الفدان منها من ثلاثة ارادب غلة مثلاً الى خمسة ومن خمسة قناطير قطن الى ثمانية

ثم ذكر خلاصة حساب السنة الماضية وطلب المصادقة عليها . فصادق الاعضاء لكنهُ قال ان نحو اربع مئة من الاعضاء لم يدفعوا قيم الاشتراك ولامهم على ذلك لانهُ يدل على قلة غيرتهم فاعترض بعض الحضور قائلاً ان تأخر الاعضاء عن الدفع قد لا يكون لهُ سبب الاَّ الاهمال

او عدم السهولة في ارسال المطلوب حينما يُطلب لاسيما وان العادة الجارية في البلاد لدفع الاموال الاميرية واشتراكات الجرائد هو ارسال المحصلين وتحصيل المطلوب بواسطتهم واكّد اصحاب السعادة شواربي باشا ومصطفى باشا البغدادلي ومحمود باشا ابي حسين وابرهيم باشا سعيد وعبد الرازق باشا ان تأخر البعض عن الدفع اهمال منهم لا غير وطلب سعادة محب بك مدير الفيوم ان ترسل الجمعية محصلين يحصلون مطلوبها بمساعدة اللجان المركزية ويساعدون اللجان في الارشادات الزراعية ووافقهُ سعادة عدلي باشا يكن محافظ العاصمة على ذلك ولكنهُ طلب فصل امر التحصيل عن امر الارشاد ولو نيط العملان بمندوبين يرسلان الى الوجه البحري والقبلي لمساعدة اللجان في الارشادات الزراعية والاهتمام بتحصيل قيم الاشتراكات فاقرَّت الجمعية على ذلك بعد ان ذكر الرئيس اسماء كبراء المديريات واحدًا واحدًا وقال انهم يجب ان يهتموا بارشاد اهالي مديرياتهم وحثهم على دفع حقوق الجمعية مقدمًا لهم مثال المستر جبسن والمستر كاري اللذين يخدمان الجمعية بكل جهدهما وليس لهما راتب منها ولا شبر ارض في البلاد

ثم تكلم عن طاعون المواشي وشدة وطأتهِ على البلاد وما فعلتهُ اللجنة المركزية مع الحكومة وما اقرت عليهِ لما اجتمعت مع مندوبي الحكومة وهم مستشار الداخلية ومدير الصحة والمفتش البيطري العام . ومدار قرارها على ان تهتم الحكومة بتسهيل جلب المواشي والدواب من البلدان التي انتشر فيها مرض المواشي زمانًا طويلاً ثم زال منها حتى صارت الحيوانات الباقية فيها بأمن منهُ واعفائها من رسم الجمرك ومن نصف اجرة النقل في سكة الحديد ووضع الآتي منها بحرًا في الكورنتينا عشرة ايام والآتي منها من السودان في الكورنتينا في حلفا ٤٨ ساعة . وتعهدت اللجنة ان تشتري ما يجلب من السودان اذا لم يشترهِ احد وان تضع سكة الحديد مركبة لنقل اللحم نهارًا كالمركبة التي ينقل بها ليلاً

وقال دولة الرئيس انهُ كان الاولى بالحكومة ان تشتري هي المواشي من الخارج وتعرضها في مراكز القطر لكي يشتريها المزارعون وتتساهل مع فقرائهم فتأخذ منهم ثمنها تقسيطًا لان آفة الوباء شديدة جدًّا ولا يجوز التغاضي عنها وانتظار ما يفعلهُ تجار المواشي . وذكر ان البعض ماتت مواشيهم كلها وهم يحاولون الآن حرث ارضهم بالفاس او بواسطة الخيل والبغال . وارتأى ايضًا ان تعود الجمعية فتطلب من الحكومة منع ذبح العجول مراعاة لمقتضى الحال وقال ان كل ما يعترض بهِ على هذا الطلب ضعيف في جنب مصلحة البلاد العمومية وللحكومة حق ان تمنع ذبح العجول كما لها حق ان تقفل اسواق المواشي وان تضع الكرنتينا عليها او تمنع دخولها مطلقًا اذا انتشر فيها مرض . فوافقهُ اعضاء الجمعية على ان يطلبوا من الحكومة ان تبتاع هي

بالمواشي من البلاد الاجنبية ومن السودان وتبيعها للمزارعين وان تمنع ذبح العجول مطلقاً وختم الاجتماع قبل الظهر بنصف ساعة

جوائز المعرض

الحبوب وغيرها

نال الجائزة الاولى عن القمح الاسمر البحيري البرنس عمر باشا طوسون والجائزة الثانية مصطفى شعث

ونال الجائزة الاولى عن القمح الاسمر الصعيدي الخواجه رزق الله مشرقي والجائزة الثانية محمد افندي محفوظ والثالثة عمر بك سلطان

ونال الجائزة الاولى عن القمح الابيض البلدي دائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم وعلي اسمعيل ودولتلو رياض باشا ومحمد ابو زيد طنطاوي وعمر بك سلطان . ونال الجائزة الثانية محمد بك والي الجندي وابو زيد بك طنطاوي وحسن باشا عبد الرازق ومحمد بك دقن وسعد مسعود وعبد العال بك اسمعيل وابو سيف بك راضي وجرجس بك يعقوب ودائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم وسليم بك عكاشه ونال الجائزة الثالثة عبدالله بك مجاور وعمر افندي محمد ومرقص بك حنا

ونال الجائزة الاولى عن القمح الابيض الاجنبي المزروع بمصر دائرة البرنسات امينة ونعمة هانم والبرنس عمر باشا طوسن والجائزة الثانية رياض باشا

ونال الجائزة الاولى عن الشعير دائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم وخليفه بك رمضان والشيخ جبر العشري ودولتلو رياض باشا والجائزة الثانية محمد قنديل وعلي محمود وابو زيد بك طنطاوي ومصطفى بك خليل وعبد العال بك مجاور

ونال الجائزة الاولى عن الفول البحيري دائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم. والجائزة الثانية الدائرة نفسها والجائزة الثالثة الخواجه جورج عيد وبوغوص باشا نوبار

ونال الجائزة الاولى عن الفول الصعيدي قطب بك قرشي وعمر بك سلطان. والجائزة الثانية ابوزيد بك طنطاوي ومحرم بك محمد وعبد القادر حسنين والجائزة الثالثة محمد طرشان وعمر افندي محمد ومتى افندي حنا الضعيف

ونال الجائزة الاولى عن الذرة الشامية دائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم والجائزة الثانية الدائرة نفسها ودولتلو رياض باشا والجائزة الثالثة عمر بك محمد وزيدان آل العبد

ونال الجائزة الاولى عن الذرة الاجنبية مصطفى بك خليل. والثانية ابو زيد بك طنطاوي

ونال الجائزة الاولى عن الذرة البلدية الرفيعة ابو زيد بك طنطاوي وتهامي عبد الرحمن والثانية محمد ابو زيد طنطاوي واسمعيل مقبل

ونال الجائزة الثانية عن العدس البحيري محمد السيد وعلي السيد

ونال الجائزة الاولى عن العدس الصعيدي عمر بك سلطان والجائزة الثانية سعيد بك عبد المسيح

ونال الجائزة الاولى عن الفول السوداني مصطفى بك خليل والثانية قاسم بك مراد

ونال الجائزة الثانية عن الارز السلطاني دائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم

ونال الجائزة الاولى عن الارز السبعيني عبد الباقي عبد الله والجائزة الثانية ابو زيد بك الطنطاوي

ونال الجائزة الثانية عن صنف الارز عبد الوهاب داوود

ونال الجائزة الاولى عن بزر الكتان احمد بك عثمان الهلالي والجائزة الثانية محمد الطحاوي وسيف النصر بك طنطاوي

ونال الجائزة الاولى عن السمسم الابيض قاسم بك مراد والجائزة الاولى عن السمسم الاحمر البرنس عمر باشا طوسون والثانية قاسم بك مراد

ونال الجائزة الاولى عن الحلبة ابو زيد بك طنطاوي والثانية مصطفى افندي بهجت

ونال الجائزة الاولى عن البرسيم البعلي علي سليمان الشواربي والجائزة الثانية دائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم وبوغوص باشا نوبار

ونال الجائزة الاولى من البرسيم المسقاوي مصطفى احمد عبيد والجائزة الثانية خليفة بك رمضان

ونال الجائزة الاولى عن البرسيم الخضراوي دائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم . والجائزة الاولى عن البرسيم الحجازي بوغوص باشا نوبار والثانية دائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم . ونال الجائزة الثانية عن الجلبان منقريوس افندي رزق والجائزة الثانية عن البسلة حسين محمد يوسف والثانية عن القرطم مصطفى افندي بهجت والثانية عن الحمص حسن الشناوي ومحمد السيد الكبير والثانية عن الجراوى الشيخ حمدان عثمان والثانية عن الترمس حسن الشناوي والثانية عن اللوبيا رزق باشا . ونال الجائزة الثانية عن مجموعة نباتات من العلف محمد عيسى وعن مجموعة الزيوت ابرهيم ابو شناق

ونال الجائزة الاولى من البطاطس محمد السيد الكبير والثانية يولي بك ونال الجائزة الاولى عن البطاطس المزروع برسم التصدير الى الخارج يولي بك والثانية علي السيد

ونال الجائزة الاولى عن البصل محمد عيسى والثانية ابرهيم حنفي والثالثة حنفي محمد جلال

ونال الجائزة الاولى عن الطماطم محمد السيد الكبير والثانية على السيد ـــ

ونال الجائزة الثانية عن عسل النحل مدرسة الزراعة

ونال الجائزة الثانية عن مجموعة من البلح محمد السيد الكبير وحسن الشناوي ونسيم برسوم ومصطفى شندي وعبد الحميد صدقي

ونال الجائزة الاولى عن مجموعة من خشب الاشجار النامية بالقطر المصري جرجس بيطار والثانية نسيم برسوم

ونال الجائزة الاولى عن قصب السكر الاحمر الشيخ مصطفى خليل والثانية شركة السكر

ونال الجائزة الاولى عن قصب السكر الابيض شركة السكر والثانية عمر بك سلطان

ونال الجائزة الاولى عن القصب البلدي الشيخ مصطفى خليل والثانية عمر بك سلطان

ونال الجائزة الاولى عن القصب الروباني شركة السكر والثانية عمر بك سلطان

ونال الجائزة الاولى من الزبدة مدرسة الزراعة والجائزة الاولى عن السمن جبران جريس ومحمد صبحي والجائزة الاولى عن الكريما محمد صبحي ومدرسة الزراعة والجائزة الاولى عن الجبن المستخرج من الكريما مدرسة الزراعة

والجائزة الاولى عن الجبن البلدي محمد صبحي والثانية مدرسة الزراعة

ونال الجائزة الاولى عن الحرير امام بك اسمعيل والجائزة الاولى الممتازة عن الحصر محمد عمر الحصري متعهد الحضرة الخديوية ومحمد البدريسي والثانية محمد فهمي عمر والجائزة الاولى عن الخيم علي السيد

ونال الجائزة الاولى عن السكر الغير المكرر عمر بك سلطان وعن السكر المكرر عمر بك سلطان . ونال الجائزة الثانية عن العسل الاسود عمر بك سلطان . والجائزة الاولى عن شمع العسل الشيخ مصطفى خليل . والجائزة الاولى عن حشيشة الدينار مدرسة الزراعة

الاقطان

القطن الميت عفيف

نال الجائزة الاولى الدائرة الخاصة ومدام اوغبيان باشا ومصطفى بك خليل ودولة البرنس ابرهيم حلمي وصالح بك نامق ونال الجائزة الثانية عبد الحميد باشا صادق وعدلي باشا يكن وعبد السيد قنديل ودائرة البرنسس حميدة هانم وسالم بك مشهور ومصطفى باشا صدقي ودائرة البرنسسات امينة ونعمة هانم والمسيو نوفيل ومحمد بك ابو نافع ونال الجائزة الثالثة عيسوي بك سعيد ومحمد بك ابو جازية وحسن بك يوسف ومحمود باشا ابو حسين واحمد بك كامل

القطن الاشموني

نال الجائزة الاولى ابو زيد بك الطنطاوي وعمر بك سلطان ومحمد بك راسم والدائرة الخاصة والجائزة الثانية دائرة البرنس حسين باشا واحمد باشا راشد

القطن العباسي

نال الجائزة الاولى احمد باشا راشد ودائرة القصر العالي والجائزة الثانية دائرة البرنس ابرهيم ومحمد زكي باشا ودائرة القصر العالي ودائرة البرنس حسين باشا ودائرة فاطمه هانم ودولة البرنس عزيز حسن

القطن اليانوفتشي

نال الجائزة الاولى الخواجه قسطنطينيدس وعبد الفتاح يحيي ومحمد بك مصطفى وعبد الرحمن شادلي والمسيو اندريكوفي ومحمد بك شناوي والجائزة الثانية رالي بترينو ومحمد بك بدراوي وعلي برباري وزبيده هانم ومحمد بك شادلي ومحمد بك شاكر ومصطفى بك خليل وسالم بك مشهور وزكي افندي جريس

الاقطان الجديدة

نال جائزة اولى خصوصية المسيو فولتس عن صنفين من القطن الجديد وكذلك سعادة بوغوص باشا نوبار

الحيوانات

نال الجائزة الاولى عن الاغنام عمر بك سلطان ومدرسة الزراعة وخليفة بك رمضان وابرهيم بك الهلباوي ومحمد بك دري ومحمد بك الشناوي ونال الجائزة الثانية ابو زيد بك طنطاوي وعمر بك سلطان وبدر بدر وابرهيم بك الهلباوي وخليفة بك رمضان ورزق احمد

ونال الجائزة الاولى والثانية عن الجمال عمر بك سلطان

ونال المستر كير مدالية برونز خصوصية عن الهجين

ونال الجائزة الاولى عن الخيول سليمان بك احمد اباظه واحمد بك البريدي والجائزة الثانية محمد بك علي شعير ونال مدالية برونز كل من الشيخ امين عارف ودرويش الجندي

ونال الجائزة الاولى عن الحمير والبغال حبيب افندي علي وحسن بك زايد والثانية المسيو جورج عيد وشركة اراضي ابي قير وسليمان بك احمد اباظه وعمر بك سلطان والحاج محمد عمدة شندويل

ونالت المدالية الذهبية شركة السكر وقد اشتهرت معروضاتها في هذه السنة بنقاوة الوانها

وجمال منظرها ومما عرضتهُ كثير من اصناف السكر الابيض المستخرج من القصب المصري وكيفية استخراج السكر النبات وصبّهِ . ونالت المدالية الذهبية ايضاً شركة الاسمنت المساهمة المصرية

ونال الجائزة الاولى الخواجة قلاده انطون عن آلات زراعية ووابورات ومطاحن وسواقي وغيرها ومحل حسبو محمد وشركاه في الاسكندرية وقد عرض هذا المحل كثيرًا من العدد والآلات الزراعية ومنها المحراث المشهور بمحراث درابي البخاري وهو اختراع حديث العهد كبير الحجم والفائدة

ونال المدالية البرونز محل الفريد دلمار عن اصناف الكاوتشوك

ونال الجائزة الاولى محل جواني ماركو عن حمامات ومرشحات ومطابخ وآلة جديدة اخترعها لتسخين المياه بسرعة فائقة بواسطة السبيرتو او الفحم

ونال الجائزة الاولى محل عزيز مايستر عن وابورات وطواحين وغيرها مما يحتاج اليهِ للشؤُون الزراعية كالخرطوم المعروف بالخرطوم المصري وهو اختراع جديد متين جدًّا لصاحب امتيازهِ اصطفان افندي شعيا

ونال الجائزة الاولى محل توماس كوك واولاده ومحل المهندس جويد وماروني

تجربة المحراثين البخاريين

مضى اعضاء الجمعية الزراعية في ٢٢ فبراير الى ابعدية بوغوص باشا نوبار في شبرا حيث شاهدوا تجربة المحراثين البخاريين اللذين عُرضا في المعرض الزراعي وكانوا جمعاً غفيرًا يتقدمهم دولتلو رياض باشا واصحاب السعادة تحري باشا وبوغوص باشا نوبار ويعقوب باشا ارتين وشواربي باشا وانيس باشا وكثيرون غيرهم من ارباب الزراعة . وسار المحراثان في ارض كانت مزروعة برسيمًا لا هي بالثقيلة ولا هي بالخفيفة لكنها رطبة نوعًا ويظهر انها مثل متوسط الاطيان المصرية . واستمرَّت التجربة نحو ساعتين وكان بوغوص باشا نوبار وشواربي باشا وانيس باشا من المحكمين فحكموا ان المحراث الكبير المعروف بمحراث داربي يحرث ستة افدنة في النهار الواحد اذا عمل عشر ساعات متوالية فاعطي المدالية الذهبية وان المحراث الصغير الذي عرضهُ المسيو هلر يحرث فدانين وثلاثة ارباع الفدان في النهار وأُعطي المدالية الذهبية ايضاً

والمحراث الكبير يثير الارض اثارة الى عمق عشرين سنتمترًا او خمسة وعشرين وينعمها ولكنهُ لا يقلبها ولهُ شوكات تدور على محاورها وبها يثير الارض على اسلوب بديع ولكن لا بدَّ من دخول التراب والرمل بين هذه الشوكات ومحاورها فيسرعان تلفها . ويقول بعض ارباب

الزراعة ان الحرث بهذا الحراث كافٍ لزرع الغلّة ولكنهُ غير كافٍ لزرع القطن ويقول غيرهم انهُ كاف للاثنين . ويقال انهُ يحرق ثلاثة قناطير من الفحم في حرث الفدان الواحد

والحراث الصغير يشق الارض شقًّا ويقلبها كالحراث البلدي ويقال انهُ يحرق ثمانية لترات من البنزين في الساعة فقد يكون ثمن البنزين مانعاً من استعماله لاسيما وان البنزين سهل الالتهاب فاذا امكن ابدالهُ بزيت البترول فلا يبعد ان يشيع استعمال هذا الحراث

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

فتح القصبة

قد يصاب الحلق بداء السرطان فيمنع التنفس ويعرّض المصاب للموت اختناقاً . ولدفع خطر الموت العاجل يشق الجراح قصبة الرئة تحت المكان المصاب فيسهل التنفس ويطال في اجل المصاب ويسهل الموت ايضاً اذا كان محتوماً الاً ان هذه العملية لا يرجى معها الشفاء كما يرجى في حوادث الدفثيريا

وطريقة العملية ان يدخل الطبيب من حلق المصاب انبوبتين معقوفتين الواحدة داخل الاخرى ويعلّم المصاب او الممرضة كيفية نزع الانبوبة الوسطى وغسلها . وتغسل هذه الانبوبة كل بضع ساعات بالصابون والصودا . واذا حدث بعد ذلك ضيق في التنفس او صوت كالصفير عند التنفس فهي ادلة على ان الانبوبة مسدودة . ويغذى المصاب بالاطعمة السائلة واللينة

عمليات البتر في الصدر

اختلف الاطباء في كيفية المعالجة بعد اجراء العمليات فمنهم من يستعمل الجبس والرباطات العادية في الغيارات ومنهم من يفضل الرباط الواحد العريض ويضع الذراع على الصدر ويربطها معهُ . ومنهم من يسند المصاب بالوسائد خوفاً من حدوث النزف وآخرون يلقون المصاب مستلقياً على ظهره . واذا اشار الجراح بطريقة من هذه الطرق فعلى الممرضة ان

تعمل بمشورتهِ وتثق بهِ ثقة تامة . واذا لم يفضل طريقة على غيرها فيتبع في ذلك ميل المصاب وارادتهُ وقد يشعر المريض براحة عظيمة اذا وضعت وسادة تحت ذراعهِ على الجانب الذي أُجريت العملية فيهِ

بتر الذراع والساق

يُرفع اصل العضو المبتور قليلاً ويُسند على وسادة حذرًا من حدوث النزف . وهذه العمليات خطيرة جدًّا اذ بها تُقطع شريانات كبيرة فيستدعي ذلك اشد المراقبة . ويُعرَّى اصل العضو المبتور من الثياب في الايام الاول . فاذا حدث نزف ترى في بادئ الامر بقعةً حمراء على الرباط فان لم تزد مساحة سطحها على مساحة سطح الفرنك مثلاً فلا سبب للخوف والحذر . واما اذا رأيت الدائرة تتسع فاسرع وارسل من يدعو الطبيب واما انت فضع قطعةً كبيرة من القطن المندوف فوق مكان البتر واربطها ربطًا وثيقًا . واذا كانت العملية في الساق وكنت حاذقًا ودقيق الشعور في اللمس فتجد الشريان الكبير في وسط اربية الفخذ واذا لمستهُ تراهُ ينبض ويضطرب فضع يدك تحت الورك واضغط بابهامك على الشريان وعلى العظم الى ان يصل الجراح . واذا كانت العملية في الذراع فارفعها واربطها ربطًا وثيقًا وهذا اسهل من ان تفتش عن الشريانات تحت الترقوة او بين العضلات

وهذه العمليات مؤلمة جدًّا اذ بها تنقطع بعض الاعصاب . ومن غرائب الامور ان المصاب بعد ان تُبتر ذراعهُ او رجلهُ او ساقهُ كثيرًا ما يشكو الالم في الطرف المبتور كأن ذلك العضو لم يزل في مكانهِ حيًّا

عمليات البطن

كان الاطباء في السنين السالفة اذا اتاهم مريض مصاب بداء في بطنهِ عجزوا عن تشخيص مرضهِ تشخيصًا تامًّا وان استطاعوا تشخيصهُ ومعرفة الداء فلم يكن ينجع فيهِ دواء لانهم لم يكونوا حينئذٍ يتجاسرون على فتح البطن والتوصل الى مركز الداء فيقضي على المصاب ان يموت . على ان فن الجراحة قد تقدم تقدمًا عظيمًا في هذه السنين الاخيرة حتى اذا تعذر على الاطباء تشخيص مرض باطني وكان المصاب في خطر الموت شقوا المكان الذي منهُ يشكو الالم وشاهدوا بعينهم اصل الداء فيسهل عليهم وصف الدواء . وقد خلّصت الجراحة الباطنية كثيرين من مخالب الموت العاجل واعادت اليهم الصحة التامة . ويدخل تحتها عمليات المعدة والكبد والكليتين والامعاء والزائدة الدودية والمثانة وغيرها من الاعضاء والناميات الغريبة . فيتبين من ذلك ان الطبيب وان استطاع تشخيص المرض الباطني تشخيصًا تامًّا حقيقيًّا يتعذر عليهِ نفع المريض ما

لم يشق بطنهُ ويصل الى اصل الداء والشكوى . فقد تدخل بزرة ثمرة الى الزائدة الدودية فتسبب التهاباً وصديداً وينتهي الامر بالموت الزؤام . وقد تنحرف الامعاء عن مكانها الطبيعي او ينمو هنالك شيء غريب او يتكون الصديد في عضوٍ داخلي وكل هذه تسبب آلاماً مبرحة وقد يعقبها الموت الباكر ولا تجدي الاطباء وادويتهم نفعاً . ففي مثل هذه الاحوال يتقدم الجراح ويخيّرك بين الموت العاجل مصحوباً بالاوجاع والآلام وبين عمليةٍ جراحية يصحبها امل الشفاء التام . وليس في طاقة الجراح ان يعدك بالشفاء حتماً لان المرض الباطني قد يكون مرض السرطان او السل الرئوي في درجة متقدمة او غير ذلك مما لا سلطة للجراح عليهِ . ولكن اذا استثنينا هذه فامل الشفاء بعد اجراء العملية كنسبة عشرة الى واحد اي ان من كل عشرة تجرى فيهم العمليات الجراحية يشفى تسعة ويموت واحد فقط . واما اذا اجّل المصاب اجراء العملية او رفض اجراءها بتاتاً فامل الشفاء كنسبة واحد الى عشرة ولا سيما اذا كان الداء التهاب الزائدة او اختناق المعى او سرطاناً في المعدة

لنفرض ان المصاب قبل بان يعمل الجراح لهُ عمليةً وانك اعددت غرفة العملية كما اعدتها تلك الممرضة التي وصفتها لك سابقاً وان العملية قد تمت وأُلقي المريض على سريرهِ وبين رجليهِ زجاجات الماء السخن . فعليهِ ان يستلقي على قفاهُ وتوضع وسادة تحت ركبتيهِ وهذا ضروري جداً لانهُ اذا ارتفعت الركبتان ارتخت عضلات البطن فانبسط وصار عديم الحركة . والانقطاع عن الحركة ضروري جداً في مثل هذه الاحوال . وعلى الطبيب او الممرضة الخبيرة ان تستخرج البول من المرأة مرةً كل ثماني ساعات على الاقل . وعلى الممرضة او من يقوم مقامها ان يستعمل واسطةً يتمكن بها من رفع ثقل اغطية الفراش عن بطن المريض . وتوصلاً الى هذه الغاية تستعمل المستشفيات اسرّة فيها أُطر الحديد فاذا لم يمكن اقتناء سرير مثلها فيستعاض عنهُ بوضع الوسائد على جانبي المريض بشرط ان يكون علوّها كافياً لحمل ثقل الاغطية ورفعها عن الجرح

ويبقى بعد العملية الجراحية البطنية خطران عظيمان احدهما الانحطاط الكلي المسبب عن الصدمة والثاني الانحطاط المسبب عن نزف داخلي . وقد قلنا سابقاً ان اعراض النزف الداخلي هي اصفرار الوجه وابيضاض اليدين والاظافر والشفتين والانف والاذنين . والقلق والحركة الدائمة فيرمي المصاب بذراعيهِ الى هنا وهنالك ويتقلب على فراشهِ بدون انقطاع . والاغماء والتنهد العميق بدلاً من التنفس الطبيعي . فاذا ظهرت لك هذه الاعراض فافتح النوافذ ليتجدد الهواء في الغرفة واكثر من زجاجات الماء الحار في الفراش وافعل كل ذلك بهدو وانتظام . وكثيراً ما يسوء خلق المريض او يتعلق بشخص وينفر من كل احد سواهُ فلا يقبل ان يمرضهُ ويعتني بهِ غيرهُ .

والغالب ان ذوي المريض يشفقون عليه ويجرون طوع امرهِ ولو عاد عليهِ ذلك بالضرر. على ان هذا الانقياد الاعمى من اهل المريض وذويهِ مخالف للحكمة والصواب ويعود عليهِ وعليهم وبالاً. فان الساهر على المريض يحتاج من الطعام والنوم والراحة والهواء النقي قدراً كافياً والاَّ ما استطاع ان يقوم بواجباتهِ حق القيام. فعليك ان تتخذ التدابير من اول الامر ليكون السهر على مريضك بالتناوب. فيجلس غيرك بجانب سريرهِ لينظر الى حاجاتهِ بينما تأخذ حاجتك من الراحة والطعام والنوم ثم تجلس بجانب سريرهِ بينما يأخذ غيرك حاجتهُ من الراحة والطعام والنوم. وافعل ذلك مهما شقَّ الامر عليك وعلى مريضك واذكر انهُ يؤُول الى فائدتهِ

وفي اليوم الاول قد يكون الخطر على حياة المصاب عظيماً ويتهددهُ الموت في كل ساعة وفي اليوم الثاني يخف الخطر ويقوى الامل فاذا مضى عليهِ اليوم الاول والثاني اصبح شفاؤُهُ مرجحاً الاَّ اذا فرط من المريض او الممرضة او من يقوم مقامها سوء في التصرف وحماقة في التدبير. وقد يكون الجراح افلح في اجراء العملية على غاية ما يرام فيتلف المريض او من يمرضهُ عملهُ بسوء تصرفها. وقد علمت ان زمن الخطر الشديد لا يزيد على اليومين الاولين وعليهما تتوقف حياة المريض او موتهُ. فيجب اذ ذاك اشد الحذر ومراقبة المريض مراقبةً تامة وعدم الاغضاء عنهُ لحظةً واحدة. ولا يمكن للشخص الواحد ان يقوم بهذا الواجب بدون مساعدة فيجب ان يكون السهر والمراقبة بالتناوب

اما التغذية فقد اختلف الجراحون فيها فمنهم من يمنع الطعام والشراب عن المريض مدة ٢٤ ساعة فلا يبرد غليلهُ بنقطةٍ من الماء. ومنهم من يعطيهِ الغذاء بعد العملية باثنتي عشر ساعة اذا لم تجش نفسهُ للتقيوء. فيبتدئ باعطائهِ ملعقتين كبيرتين من اللبن والماء او اللبن والشاي كل ساعة. ثم اربع ملاعق كبيرة كل ساعة ثم ثماني ملاعق كل ساعتين ثم اثنتي عشرة كل ثلاث ساعات وهكذا بزيادة كمية الغذاء وتطويل المدة بين تناول الغذاء الواحد والآخر. واذا مضى على ذلك ثلاثة ايام وانطلقت امعاءُ المصاب فاعطهِ من الاطعمة اللينة اللبية بحسب ما يشير الجراح عليك. واذا جاشت نفسهُ واراد التقيوءَ فضع يدك على بطنهِ فوق الجرح واذا اردت قلبهُ من جانب الى آخر فاقلبهُ دائماً الى جانب الجرح لكي لا يقع شد على الجرح والقطب. ومن الجراحين من يستعمل القطن المندوف والرباط لمثل هذه العمليات ومنهم من يضع فوق الجرح المخاط عدة طبقات من الشاش الناعم ويلصقها على الجسم بالكولوديون. ويصنع الرباط العادي من الفلانلا او البفت الناعم المتين ويكون طولهُ نحو ذراع وربع وعرضهُ نصف ذلك. ويمكنك في اليوم الثالث ان تغيّر ثياب المريض بكل اعتناء او تضع وسادة ثانية

تحت رأسهِ ولكن لا يُرفع رأسهُ اكثر من ذلك وتغير اغطية الفرش وتصلح تحتهُ كل صباح ومساء وتنفض الوسادة وتعاد الى تحت ركبتيهِ فيشعر براحة والاَّ فانهُ يبقى في تعب دائم وحركة غير منقطعة ٠ واغسل يديهِ ووجههُ كل صباح ومساء واتخذ كل الوسائل والتحوطات لمنع قروح الفراش

البواسير والنواسير

هذه الحوادث مؤلمة جدًّا ويلزم لشفائها من اربعة أسابيع الى ستة على الغالب ويحقن المكان بعد العملية بالمورفين لتسكين الالم وتسبيب الامساك ٠ ويعطى المصاب شيئًا قليلاً جدًّا من الغذاء في الاربعة او الخمسة الايام الاولى الى ان تتحرك الامعاء وتنطلق لكي لا يعاق شفاء الجرح ٠ والخروج الاول يكون مؤلمًا جدًّا حتى يغمى على كثيرين من المصابين بعد حدوثهِ فعليك ان تكون معهم في الغرفة هذه المرة ٠ ويضع الطبيب الغيار في المرة الاولى وعليك ان تعتني بالمريض بعد ذلك وتغسل الجرح كل مرة بعد الخروج بالخرق اللينة والقطن المندوف والصابون والماء الفاتر ثم اغسلهُ بمحلول فيهِ مادة مضادة للفساد ويفضل محلول كلوريد الزئبق على محلول الحامض الكربوليك لان محلول الزئبق لا يحدث تهيجًا كمحلول الحامض الكربوليك والمستقيم شديد الحس جدًّا



ديوان التعاويذي

اذا طبعنا نحن الشرقيين كتابًا من كتب المتقدمين فالغالب انهُ يخرج من يدنا كثير الغلط خاليًا من الفصول والفهارس وان الحقنا بهِ فهرسًا صغناهُ على اسلوب لا يهتدى بهِ الى شيء فيهِ ٠ هذا وفيات الاعيان لابن خلكان قلما يستطيع الطالب ان يهتدي الى موضع علم من الاعلام التي يطلبها فيهِ لان فهرسهُ مرتب حسب اسماء الاعيان لا حسب الالقاب التي اشتهروا بها ولذلك جاء في حرف الميم اسم ابن الاثير والامام الشافعي والامام البخاري وابن سيرين والغزالي والرازي والواقدي وابن زهر والتعاويذي وابن مقلة والبتاني والزمخشري وغيرهم من المشاهير الذين قلما يخطر على البال ان تطلب اسماؤهم في حرف الميم وقس عليهِ غيرهُ من الكتب

اما علماء الافرنج الذين عنوا بطبع الكتب العربية فقد بذلوا الجهد في تصحيحها والحقوها

بالفهارس المختلفة ليسهل بها الاستدلال على ما فيها ومن ذلك هذا الديوان وقد عني بنسخهِ وتصحيحهِ العالم الفاضل الدكتور مرجليوث استاذ العربية في مدرسة اكسفرد الجامعة وطبعهُ في مطبعة المقتطف بالشكل الكامل والحق بهِ فهرسين كبيرين ذكر في الاول منهما اسماء الممدوحين والمهجوين وغيرهم ممن جرى ذكرهُ في هذا الديوان ونوع الشعر الذي قيل فيهم بين ان يكون مدحاً او هجاء او رثاء . وفي الفهرس الثاني المعاني الواردة في الديوان كالإباء واستقراض الكتب واعادة الدعوة العباسية والتشيُّع والحمام والخنان والربيع والسكر والشبيبة والشيب وهلمَّ جرًّا. وقدَّم لهُ جدولاً ذكر فيهِ كثيرًا من كتب الادب والتواريخ التي وردت فيها ابيات من اشعار التعاويذي واشار الى القصائد التي أُخذت تلك الابيات منها والى اماكن طبع تلك الكتب والصفحات التي وردت الابيات فيها

والتعاويذي شاعر مشهور وهو ابو الفتح محمد بن عبد الله المعروف بسبط ابن التعاويذي المتوفَّى سنة ٥٨٣ للهجرة قال فيهِ ابن خلكان انهُ "كان شاعر وقتهِ ولم يكن فيهِ مثلهُ جمع شعرهُ بين جزالة الالفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها وفيما اعتقدهُ لم يكن قبلهُ بمئتي سنة من يضاهيهِ" . وهو كذلك فاننا لم نرَ ديوانًا جمع ما جمع هذا الديوان من نفيس الشعر غزلاً ومدحًا وهجاء فكيفما قلبتهُ لا تجد الاَّ ابياتًا محكمات وآيات في البلاغة بينات كقولهِ في مدح الامام المستضيء بالله سنة ٥٧٧ ومطلعها

خجلت من عطائك الانواء وتجلَّت بنورك الظلماء
واستجابت لك الممالك اذعا نًا وفيها على سواك اباء
نسخ العدل في اياالتك الجو رَ كما ينسخُ الظلامَ الضياء

وهي طويلة فيها ٨٧ بيتًا عامرًا ببليغ المعاني وجزل الالفاظ

وكقولهِ في مدحهِ ايضًا

سستَ الانام بسيرةٍ ما سارها في الناس الاَّ جدُّك المتوكلُ
لا حرمة الدين الحنيف مضاعةٌ كلاَّ ولا حق الرعايا مهملُ
شرفًا بني العباس شاد بناءهُ لكمُ فاعلاهُ النبيُّ المرسلُ
شرفتم بطحاء مكة فاغتدت بكم يعظم قدرها ويجلُ

وكقولهِ في مدح عضد الدولة ابن المظفر

آل المظفر والسيادة فيكمُ خُلُقٌ وغيركم بهـا يتخلقُ
يتلو قعيدًا في السيادة معرقًا منكم قعيد في السيادة معرقُ

انت الغمام الجون فيهِ صواعقٌ ... تردي العدوَّ وفيهِ غيثٌ مغدقُ
وكأن كفك ديمة مدرارة ... وضياء وجهك برقها المتألقُ
هيهات شأوك هضبة ازليقة ... لا تستطاع وغاية لا تلحقُ

وقولهِ في عماد الدين ابن الشهرزوري

بكم ايَّد الله المالك فاغتدت ... موطدة الاكناف مجموعة الشملِ
فمن سائس للملك فيهِ مدبّرٍ ... ومن عالم حبر ومن حاكم عدلِ
وعشتم لدهر انتمُ حسناتهُ ... ومجدكمُ حليٌ لايامهِ العطلِ

وقولهِ في مدح صلاح الدين الايوبي

يرجى ويرهب بأسهُ والماجد المفضال مَن يرجى نداه يرهبُ
مخضرَّة اكنافهُ لوفودهِ ... والعام محمرُّ الذوائب اشهبُ
صب بتشييد المآثر متعب ... فيها ومن شاد المآثر يتعبُ
حملت بهِ بعد العقام فانجبت ... امُّ العلى ما كل امّ منجبُ
ملكت سجاياهُ القلوب محبةً ... ان الكريم الى القلوب محببُ

وقولهِ في مدحهِ ايضاً

اضحت دمشق وقد حللتَ بربعها ... مأوى الطريد وموئل المسكينِ
وغدت بعدلك وهي اكرم منزلٍ ... تلقى الرحال بهِ وخير قطينِ
يثني عليك المعتفون بها كما ... تثني الرياض على السحاب الجونِ

ورثاؤهُ قليل وهجاؤهُ كثير افرط فيهِ احياناً حتى اضطررنا ان نحذف بعضهُ وفت طبعهِ. ومقاطيعهُ وهزلياتهُ تسيل ظرفاً كقولهِ وقد كتب بها الى عماد الدين ولد الوزير عضد الدين

يا عماد الدين يا ... اكرم من تحت السماء
يا اجلَّ الناس قدراً ... وابن خير الوزراء
ان تأخرتُ فقد ... قدمت في الليل دعائي
انا لا احضر الا ... في مواقيت الهناء
حالةٌ دلت على ضـ ... ـعف قلوب الشعراء

وقولهِ في هجاء حمّامي

وجه يحيي ابن بختيار اذا ... فكرتُ فيهِ من سائر الانجاء
مثل حمامهِ المشوم سواءً ... مظلم باردٌ قليل الماء

وقوله لحا الله ليلاً بالعراق سهرتهُ اقمّ من مدح اللئام القصائدا
فلما نفى عني الظلام رداءهُ تيممت سوقاً للمدائح كاسدا

وقوله في تحذير صلاح الدين من ابن الحصين

يا صلاح الدين خذ حـــذرك من صل العراقِ
فلقد وافاك في ثوبي عناد ونفاقِ
لا يغرّنك منهُ منطق حلو المذاقِ
تحتهُ ما شئتَ من افك وزور واختلاقِ
افعوان ما لما ينفثهُ من فيهِ راقي

والديوان كبير يقع في اكثر من خمس مئة صفحة بقطع المقتطف وكلهُ من نفيس الشعر وقد قطع ثمنهُ ٣٦ غرشاً من غير تجليد و٤٠ غرشاً مجلداً تجليداً بسيطاً و٤٥ غرشاً مجلداً تجليداً متقناً وموسوماً بالذهب. ويطلب من ادارة المقتطف ومن كل المكاتب الشهيرة

رسالة المفعلة ورسالة جيد

للعالم المحقق ظاهر افندي خير الله الشويري مباحث كثيرة في اسرار العربية استقرى فيها اموراً لم نرها لغيرهِ من الباحثين وخالف في بعضها ائمة اللغة حاسباً ان القياس اصل في اللغة فلا يُعدَل عنهُ الاَّ لمسوّغ وانكر وجود الشذوذ فيها وحاول وضع القواعد لما سمع منها شاذاً عن غيرهِ وقال بوجود كلمات يدعو القياس الى استعمالها ولو لم تسمع من العرب او لم تذكر في المعاجم الواسعة وانهُ يجب ان تبنى المباحث في اللغة على هذه المبادىء وهي

"(١) انهُ ليس في اللغة شيءٌ لغواً ولا عبثاً ولكن في اللغة ما لم يعرَف سِرُّهُ بعد

(٢) انهُ لا يقبل في اللغة قول لا يسندهُ قياس ولا يعضدهُ سماع

(٣) انهُ ليس في اللغة شاذٌ ولكن قد تخفى الحقيقة فيدَّعى الشذوذ

(٤) انهُ من مذاهب العربية الاتساع في الاستعمال ولا يقال لذلك شذوذ

(٥) انهُ للائمة مع الاعتراف بفضلهم ان ينقلوا الينا لغة العرب وليس لهم ان يحجروا علينا مناهج العرب في استعمالها ولا ان يحجزوا بيننا و بينها

(٦) يبنى علم اللغة على ركنين السماع والقياس والسماع الآن عبارة عما في معاجم اللغة ولكن المعاجم غير مستوعبة اللغة ولا محرَّرة العبارة ولا مدققة المعاني ولا مستكملة المطالب ولا مستقصية المواد فقلما تصلح مرجعاً الاَّ في اصول المواد المذكورة فيها ولهذا يجب ان يكون

اعتمادنا في المباحث اللغوية على القياس الاَّ في اصول المواد المذكورة في المعاجم

(٧) نحن في كل معترك اضطراب من اختلال او تشذيذ او تحكمٍ في اللغة بين ان تقبل القول بذلك ونناصر على تهجين لغتنا وتصعيبها وهي نزيهة عن ذلك وبين أن نردّ ذلك القول وان كان قائلهُ من كبار الأئمة وننزه لغتنا من كل شائبة عيب كما هي في نفسها كذلك. ولكن ردّ القول بتهجين اللغة اوجب علينا واحسن الينا وهو لا يسوء الأئمة الفضلاء بل يسرُّهم لانهم وحاشاهم لم يعمد احدٌ منهم الى سوءٍ ولكن قالوا بما ظهر لهم وابقوا لنا ان نقول بما يظهر لنا. وان كانوا في المقام اعلى وافضل فوسائطنا اكثر واكمل والاعمال بالنيات. والامور مرهونة بالاوقات"

وقسم ما يظهر التشويش في استعمالهِ الى فصول ربط كلاً منهما بقاعدة. فقال ان المشيخة مثلاً ليست جمع شيخ لان المفعلة ليست من ابنية الجموع بل المشيخة مصدر واصل استعمالها من باب الوصف بالمصدر كقول العامَّة هم مضحكة ومسخرة وملعبة. وان المحاسن مفرد المحسنة ولو لم تذكر في معاجم اللغة لان القياس يدعو اليها والفرع يدلُّ على وجود الاصل. وقسم الكلمات التي على وزن مفعلة الى ما يجمع بالالف والتاء جمع سلامة وما يجمع على مفاعل جمع تكسير وبيَّن حدود كل فريق منهما وقسم جموع التكسير الى ما يشترك بين ذي الحياة وغيرهِ. وما يختصُّ بذي الحياة

ثم ان المؤلف اضطرَّ ان يهمل بعض ما لا ينطبق على قواعدهِ عند الاستقراء فقال مثلاً ان فُعَلَة وفَعْلَى وفُعَلاء وفَعَل من جموع التكسير مختصة بالعقلاء ومثَّل على الاولى بقضاة ونحاة وترك بزاة. وعلى الثانية بجرحى وهلكى وترك جربى. وعلى الثالثة بعلماء وفضلاء وترك بيناء جمع بيِّن. وعلى الرابعة بخدم وحرس وترك حلق وبكر. وقال ان السادة ليست جمع سيد بل جمع سائد والسراة ليست جمع سري بل جمع سارٍ وعلل ذلك والظاهر انهُ يحسب ان لا مثيل لهاتين الكلمتين فكيف يعلل جمع خبيث على خَبَثَة وضعيف على ضعفة ولماذا لا يصح ان يقال ان وزن فعلة يجمع عليهِ فاعل مثل كافر كفرة وساحر سحرة وفعيل مثل خبيث خبثة وسري سراة (اصلها سروة). نقول ذلك من باب مجاراة الباحث في بحثهِ وعندنا انهُ لا يصحُّ الحكم البات في هذه المسائل وامثالها الاَّ بعد درس اللغات المشتركة مع العربية او التي خالط العرب ابناءها

ولو كانت العربية لغة شعب انقطع عن كل الشعوب من اول عهدهِ ولم يؤثر فيها الاَّ المؤثرات الطبيعية التي يشترك فيها شعب واحد في صقع واحد لشاع فيها القياس وجرت مبانيها وتراكيبها على اساليب معينة لا تتعدَّاها وسهل على الباحث فيها رد فروعها الى اصولها وتعليل

اختلافاتها من غير الاستعانة بدرس لغة اخرى اما وقد اتصل العرب من اول عهدهم بالكلدان واليهود والحميريين والاحباش والقبط والروم فدخل لغتهم الوف من الكلمات الكلدانية والعبرانية والحميرية والحبشية والقبطية والرومية ومن التراكيب والتعابير ايضاً حتى ان كثيراً مما نحسبهُ من صميم العربية ككلمة "قلم" منقول اليها من لغة اخرى فالبحث في العربية على الاسلوب الذي طرقهُ المؤلف لا يفيد الفائدة المطلوبة الاَّ بعد درس هذه اللغات والتعمق فيها . نقول ذلك لا حطًّا من قيمة بحثهِ ولا بخساً لقدر الفوائد التي جناها واتحفنا بها بل اشارة الى انهُ قد حان لنا ان نجاري الاوربيين في المباحث اللغوية اذا شئنا ان تكون علمية معقولة

وفي كل فصل من فصول هاتين الرسالتين ادلة كثيرة على ان المؤلف بحث بحثاً دقيقاً في كتب اللغة وجمع من الفوائد والشوارد ما يتعذَّر جمعهُ الاَّ على كبير الهمة الذي قضى السنين في تصفح امهات الاسفار والبحث فيها بعين الناقد البصير

المنهل

مجلة علمية تاريخية ادبية فكاهية تصدر في منتصف كل شهر لحضرة صاحبها ومنشئها الاديب عطيه افندي حنا

تصفحنا العدد الاول منها فرأينا فيهِ مقالة عن نقل الاميركيين سفينة مدرعة في البر مسافة ميل واخرى عن قوم برابرة يسكنون قرب مدينة باريس وبعدها مقالة عن جريدة تصل اليها الاخبار بتلغراف مركوني انشيئت في جزيرة سنتا كتلينا بولاية كليفورنيا وهي تبعد عن البر ٣٥ ميلاً . ثم مقالات عن بحيرة يغلي ماؤُها بحرارة بركانية وعن اغتراب المصري وعن وليم تل محرر سويسرا ويليها قصةٌ نظماً ومتفرقات علمية وادبية وفكاهية . والمجلة كثيرة الفوائد فنتمنى لها النجاح التام

سمة الاخلاص

رسالة وضعها حضرة الكاتب الاديب امين افندي مرشاق سكرتير تفتيش قسم مشروعات الري في ترجمة صاحب السعادة اسمعيل باشا سري مفتش قسم مشروعات الري ابان فيها ارتقاء هذا المهندس الوطني بجدهِ واجتهادهِ وشرح الاعمال العظيمة التي عملها لنفع بلادهِ تخلَّد بها ذكرهُ . وقد نقلنا شرحها عنهُ في مقالة خاصة في هذا الجزء . وحبذا لو ذُكر كل رجل من رجال الوطن باعمال نافعة مثل هذه

اللغة المصرية العامة

لا يزال الاستاذ فسك الاميركي دائباً في نشر الرسائل المكتوبة بحروف اوربية في اللغة المصرية العامَّة وقد وصلتنا منهُ الآن رسالة سماها "اجروميه مصري مكتوبا بل لسان المصري ومعها امسله" . ولو بذل الاستاذ فسك هذا الجهد في استعمال الحروف اللاتينية لكتابة العربية الجارية الآن في الجرائد السيَّارة والتي يتكلمها جمهور المتعلمين من اهالي القطر المصري لشاعت هذه اللغة وهي اقرب الى اللغة المعربة منها الى العامية ولشاع ايضاً استعمال الحروف اللاتينية وتمَّت الفائدتان على اسهل سبيل اما اللغة التي يريد كتابتها وحفظها فينفر منها جمهور المتعلمين ولا ترغب الامة فيها وقد صار حفظها عسيرًا بعد ان انتشرت الجرائد السيَّارة في البلاد

التقرير المتيورولوجي

The Meteorological Report.

نشرت ادارة المساحة الجيولوجية في القطر المصري تقريرها عن احوال الجو في سنة ١٩٠١ وهو شامل لارصاد الحرارة وضغط الهواء ورطوبتهِ وشد البخار المائي وسرعة الرياح وجهتها واشكال الغيم ومقدار المطر والتبخُّر ومدة شروق الشمس واشعاعها وحرارة الارض وحركات الزلازل والارصاد المغنطيسية . ويستفاد من هذا التقرير ان شهر يوليو كان اشد الشهور حرًّا ويتلوهُ يوليو فاغسطس فسبتمبر فمايو فاكتوبر فابريل فمارس فنوفمبر ففبراير فدسمبر فيناير . وان اشد درجات الحرارة كان في شهر مايو فبلغت الحرارة ٤٣ درجة بميزان سنتغراد واخفضها في شهر يناير فبلغت اربعة اعشار الدرجة

واشد ما بلغتهُ الحرارة في مرصد العباسية في خمس عشرة سنة من سنة ١٨٨٤ الى سنة ١٨٩٨ هو ٤٥ درجة وعشران واوطأ ما بلغتهُ سبعة اعشار الدرجة تحت الصفر . وقد بلغت الحرارة في وادي حلفا ٤٧ درجة وعشرين في ٢٤ يونيو سنة ١٩٠١ وهبطت في شهر يناير الى درجتين وعشرين وبلغ متوسط الحرارة في سواكن في شهر يوليو ٣٦ درجة وبلغ اعلاها في ام درمان ٤٧ درجة واوطاها ١١ درجة واعلاها في ود مدني ٤٠ درجة وخمسة اعشار واوطاها تسع درجات ونصف درجة واعلاها في كسلا ٤٣ درجة وتسعة اعشار واوطاها ١٢ درجة وعشرين

واغرب ما في هذا التقرير ارصاد الحرارة في اديس ابابا في بلاد الحبشة فان درجة الحرارة تكاد تكون واحدة فيها على مدار السنة متوسط اعلاها نحو ٢٣ درجة ومتوسط اوطاها نحو تسع

درجات . ويقع المطر فيها على مدار السنة ايضاً ولكن يختلف ما يقع منهُ في الشهر من ١٥ مليمترًا الى ٢٧٦ مليمترًا وجملة ما وقع منهُ في سنة واحدة ١٢٢٨ مليمترًا

ديوان الرافعي

اعلن حضرة الشاعر المطبوع مصطفى افندي صادق الرافعي انهُ عزم على طبع الجزء الثاني من ديوانهِ في اول صفر من السنة الهجرية المقبلة مفتتحاً بمقدمتهِ في سرقة الشعر وتوارد الخواطر ومشروحاً شرحاً يقصد بهِ مطلق الفائدة فيتناول اللفظ والمعنى وما يناسبهما من نكتة او نادرة او فائدة او فكاهة حتى يكون بذلك سفر ادب ممتعاً



باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الولود والبيوض

كفر الزيات . ناشد افندي فريد . يقال ان كل ذي اذن ولود وكل ذي صماخ بيوض فهل ذلك كذلك وما هو تعليلهُ وهل القاعدة مطردة لا شذوذ لها

ج هذه هي القاعدة الغالبة ولكن وجود الاذان مع الولادة علة معية لا سببية ولها شذوذ كثيرة والتقسيم الطبيعي هو ان الحيوانات الفقرية تقسم الى ثدوية وطيور وزحافات فالثدوية ولود كلها الأ نوعاً واحداً من الحيوانات الاسترالية . والطيور بيوض كلها والزحافات بعضها ولود وبعضها بيوض . والحيوانات غير الفقرية اكثرها بيوض ولكن بعضها ولود او بيوض وولود لان صغارهُ تخرج من بيوضهِ وهي في جوفهِ . ولما كانت الآذان الظاهرة خاصة بالحيوانات الثدوية او بالحيوانات المرتقية وجدت الصفتان فيها معاً

(٢) النتائج العربية والزراعة

ومنهُ . هل التوقيعات الزراعية التي في النتائج العربية حقيقية دقيقة الوضع او هي تقريبية

ج هي تقريبية وبعضها غير صحيح مطلقاً كما يظهر لكم باقل نظر فيها اذا كان لكم المام بالزراعة

(٣) عمر آدم

ومنهُ . بما تعللون بقاء آدم ٩٣٠ سنة حيًّا يرزق على ما ورد في التوراة

ج ان المفسرين غير مجمعين على ان كلام التوراة يؤخذ على ظاهرهِ فبعضهم يقول انما ذكر فيها صحيح حرفيًّا وان الناس كانوا يخافون الله و يعتدلون في معيشتهم ولم تكن الامراض والآفات قد تطرَّقت اليهم فكانوا يعيشون كل تلك السنين وبعضهم يقول ان الاشخاص المذكورين هم رؤَساءُ قبائل او بطون والمراد ان قبائلهم او بطونهم عمرت كذلك وبعضهم يقول ان سنيهم لم تكن مثل سنينا

(٤) المطالعة والنوم عقب الاكل

ومنهُ . هل المطالعة في كتاب فكاهي او النوم عقب الاكل مباشرة يعيق الهضم

ج كلاَّ ولاسيما اذا اعتاد الانسان ذلك

(٥) بعض اللحوم

ومنهُ . من لحوم اية حيوانات يصنع السجق والبسترمه والجمبون وهل تناول هذه الانواع يضرُّ بالصحة

ج ان الاخير من لحم الخنزير والاولين من لحوم مختلفة والغالب ان تصنع من لحم الغنم او البقر او الخنزير او الخيل او الكلاب او القطط حسب اتساع ذمة صانعيها. واكلها قلما يضرُّ الاَّ من فيهِ استعداد مزاجي خاص ليضرَّ بها

(٦) الاحلام وتعبيرها

طنطا . شوقي افندي حبيب ناصر . ما سبب الاحلام وهل لها تعبير تمكن معرفتهُ

ج الاحلام افكار غير منتظمة ولا دليل على صحة شيء مما يقال في تعبيرها فان الناس لا يعلمون الغيب ولا تدل افكارهم عليهِ وهم مستيقظون فلا يعقل انهم يعلمون الغيب وتدلُّ افكارهم عليهِ وهم نيام

(٧) المحمل

ومنهُ . من استعمل المحمل الشريف اولاً وماذا كان قصدهُ من ذلك وفي اي سنة كان ذلك

ج جاء في كتاب دليل الحج الذي وضعهُ المرحوم محمد باشا صادق ان شجرة الدر ارادت الحج سنة ٦٤٥ فصنع لها هودج كسي بالحلل فسمي المحمل ومن ثم جرت العادة ان يخرج المحمل كل عام الى الحج . اما المحمل الشامي فاول من وضعهُ السلطان سليم سنة ٩٢٣ . واما الكسوة التي ترسل من مصر فامرها قديم من عهد الملك الصالح بن الناصر بن قلاوون سنة ٧٥٠ فانهُ اشترى ثلاث قرى من القليوبية ووقف ريعها على كسوة الكعبة

(٨) كذبة ابريل

ومنهُ . ما سبب الكذب في اول شهر ابريل

ج قد ذكرنا هذا السوال والجواب عنهُ مرارًا في الاجزاء الماضية فراجعوهُ فيها

(٩) زيادة السكان

مصر . عبد الرحيم افندي محمد . يزيد تعداد الاهالي زيادة عظيمة في هذه السنين ولم نرَ شيئاً جديداً دخل في معيشة الفلاح ولا عنصراً غريباً يوجب كثرة المواليد او قلة الوفيات حتى نرجع اليهِ سبب هذه الزيادة فهل تجدون فرقاً يصلح ان يكون سبباً علمياً لزيادة سكان القرى على الخصوص

ج ان الزيادة حقيقية وسببها كثرة المواليد بتيسر امور المعيشة وقلة الوفيات بزيادة اعتناء الحكومة والاهالي بالاطفال و بالتحوطات الصحية التي تمنع فتك الامراض وانتشار الاوبئة . و بزيادة حفظ الامن . و يظهر لنا ان ازدياد الاعتناء بالاطفال من حيث تغذيتهم وتطبيبهم ووقايتهم من الجدري بالتطعيم هو السبب الاكبر لزيادة السكان فقد كان ثلث الوفيات كلها من الاطفال من لدن ولادتهم الى آخر السنة الاولى من عمرهم ونحو ثلثها ايضاً من الاطفال الذين عمرهم من سنة الى خمس سنوات اي كان ثلثا وفيات السكان من الاطفال الى السنة الخامسة من عمرهم وذلك سنة ١٨٨٦ اما الآن فلا نظن ان وفيات الاطفال تبلغ نصف الوفيات كلها

(١٠) اشارات الماسون

طرابلس الشام . عيسى افندي الحلو . يزعم البعض ان لاعضاء الجمعية الماسونية اشارة سرية لا يعلمها غيرهم بها يميز احدهم الآخر لاول وهلة مهما كان بينهما من تفاوت الرتبة وتباين المشرب فهل ذلك صحيح

ج نعم صحيح

باب الاخبار العلمية

الظواهر الفلكية في شهر مارس

اوجه القمر

	يوم	ساعة	دقيقة
البدر	٢	٤	٤٨ صباحاً
الربع الاخير	٩	٣	١ "
الهلال	١٧	٧	٣٩ "
الربع الاول	٢٤	١١	٣٧ مساء
البدر	٣١	٢	٤٤ مساء

السيارات

يكون عطارد نجم الصباح في اول الشهر ثم يختفي باشعة الشمس

وتشرق الزهرة قبل الشمس بساعة ونصف

ويبقى المريخ ظاهراً في الغرب ساعة بعد مغيب الشمس

وموقع المشتري لا يصلح لرصده

وزحل نجم الصباح يشرق في ١٥ الشهر قبل الشمس بساعتين

ويكون السرطان قبل سمت الراس الساعة التاسعة مساء والسفينة قرب الافق

قوة الروس واليابان البحرية

مدار الحرب الناشبة الآن بين الروس واليابان وعمدتها الاساطيل البحرية اسطول اليابان كله واسطول الروس المقيم في الشرق الاقصى. وعند الروس من البوارج والطرادات والمدفعيات خمسون سفينة عدا السفن القديمة التي لا يعتمد عليها في الحروب الحديثة. تفريغها كلها ٣٥٨٦٧٠ طنًا وهي كل ما عندها في بحور اوربا واسيا . وعند اليابان ثلاث وثلاثون سفينة من البوارج والطرادات والمدفعيات تفريغها كلها ٣٠٨٣٤٠ طنًا

وتقسم سفن الروس واليابان حسب نوعها وقوتها هكذا

(١) البوارج التي من الطبقة الاولى — عند الروس عشر متوسط تفريغ كلّ منها ١٢١٦٠ طنًا وعند اليابان ست متوسط تفريغ كل منها ١٤١١٥ طنًا

(٢) البوارج التي من الطبقة الثانية — عند الروس عشر متوسطها ٩٥٤٥ طنًا وليس عند اليابان بارجة من الطبقة الثانية

البوارج التي من الطبقة الثالثة — عند الروس ثلاث متوسطها ٤١٢٦ طنًا وعند اليابان واحدة تفريغها ٧٢٢٠ طنًا

الطرادات المدرعة من الطبقة الاولى — عند الروس خمسة منها متوسطها ١٠٢٦٠ طنًا وعند اليابان ثمانية متوسطها ٩٢١٠ اطنان

الطرادات من الطبقة الثانية — عند الروس تسعة متوسطها ٦٤٢٥ طنًا وعند اليابان ثمانية متوسطها ٤٥٠٠ طنًا

الطرادات من الطبقة الثالثة — عند الروس اربعة متوسطها ٣٥٠٠ طن وعند اليابان ثمانية متوسطها ٢٨٧٠ طنًا

المدفعيات — عند الروس تسع متوسطها ٥٠٠ طن وعند اليابان اثنتان متوسطهما ٨٧٥ طنًا

فسفن الروس الحربية اكثر عددًا وقوةً من سفن اليابان وهي الدولة الثالثة في القوة البحرية لا يفوقها الا انكلترا وفرنسا وتأتي المانيا معها في درجة واحدة

وما تقدم عن اساطيل روسيا يشمل كل ما عندها في اوربا واسيا كما تقدم اما اساطيلها التي في اسيا وعليها المعوَّل في هذه الحرب فهي ٣١ من البوارج والطرادات وتفريغها كلها ٢٠٠٠٠٠ طن وهي ثماني بوارج واربعة طرادات مدرعة من الطبقة الاولى وستة من الطبقة الثانية وخمسة من الطبقة الثالثة وسبع مدفعيات. ويضاف اليها نحو عشرين نسافة

وكذلك الى اسطول اليابان . فالاسطول الياباني اقوى من الاسطول الروسي الذي في المشرق من حيث العدد والسعة وقد اضيف اليهِ منذ ايام طرّادان من الطبقة الاولى فزاد بهما قوةً

وقوة الاساطيل تقوم بقوة بوارجها وطراداتها التي من الطبقة الاولى بمناعة دروعها ومقدرتها على احتمال نيران العدو وعلى مهاجمتهِ . ويقول الخبيرون بالحروب البحرية ان اسطول اليابان اقوى من اسطول الروس من هذا القبيل فان فيهِ ست بوارج وثمانية طرادات والبوارج متماثلة تماماً وكذلك الطرادات قوتها واحدة وسرعتها واحدة فاذا سارت للقتال سارت معاً ووصلت معاً وهاجمت العدو على اسلوب واحد وفي وقت واحد وكلها من احدث طراز ومن اقوى ما صُنع من نوعها ومدافعها من احدث المدافع واقواها وفي بعضها انابيب ترمي بها التربيد من تحت الماء .

وهذه السفن الاربع عشرة من البوارج والطرادات تفريغها ١٥٨٠٠٠ طن ويقابلها ١٢ من البوارج والطرادات الروسية تفريغها ١٤٢٠٠٠ . والبوارج الروسية اصغر قليلاً من البوارج اليابانية وحديثة مثلها ولكنها ابطأ منها سيرًا وهي مبنية على نسق البوارج الفرنسوية واما اليابانية فمبنية على نسق البوارج الانكليزية . واقوى البوارج الروسية الزاروتش التي اصيبت في المعركة الاولى

واقوى الطرادات الفارياق الذي غرّقهُ قبطانهُ في شمولبو فان سرعتهُ ٢٤ ميلاً بحريًّا في الساعة فهو اسرع الطرادات الكبيرة

اما من حيث الرجال فقد قال احد الثقات ان اليابانيين ابدوا في حربهم مع الصين كل المهارة والشجاعة والاقدام التي يمكن ان تنتظر من بحارة اقوى الدول البحرية . وكذلك رجال الروس يقال انهم من احذق الناس واشجعهم وضباطهم من اعلم الناس بفنون الحرب البحرية

ثم ان اليابان تحارب في بحارها وعلى مقربة من الحياض التي تصلح فيها سفنها وتأخذ الفحم منها وهذه مزية كبيرة لها على الروس في هذه الحرب

ومما تلام روسيا عليهِ ان حكومة شيلي كانت تبني بارجتين من الطبقة الاولى في بلاد الانكليز وحكومة ارجنتين كانت تبني طرادين من الطبقة الاولى في ايطاليا فلما عُقد الصلح بين هاتين الحكومتين واتفقتا على تنقيص عمارتيهما عرضت شيلي بارجتيها للبيع وكذلك عرضت ارجنتين طراديها للبيع وطلبت روسيا مشترى البارجتين والطرادين وجعلت تساوم في الثمن . ولو اشترت هذه السفن الاربع لفاقت قوتها قوة اليابان في الشرق الاقصى ولكن وكلاءها الذين فوضت اليهم مشتراها تهاملوا وتباطأوا فسبقتها انكلترا واليابان الاولى اشترت البارجتين والثانية اشترت الطرادين ووصل الطرادان الى بلاد

اليابان في ١٦ فبراير فزادت بهما قوة اليابان قوة لانهما من اقوى الطرادات ولو لم يكونا من اسرعها

الفحم الحجري في اليابان

من اهم ما تعتمد عليهِ اليابان في حربها مع الصين كما تعتمد عليهِ في صناعتها وتجارتها الفحم الحجري فانهُ كثير في بلادها واغنى مناجمهِ في جزيرة يزو التي يخشى اليابانيون ان يستولي الروس عليها . وعندهم شركة صناعية تجارية وهي من اغنى الشركات الصناعية التجارية في الدنيا رأس مالها مليونا جنيه وتوزع ربحاً في السنة من عشرين الى ثلاثين في المئة فاذا حسبنا الربح الذي توزعهُ ٢٥ في المئة وقوَّمناها حتى يكون الربح خمسة في المئة بلغت قيمة رأس مالها عشرة ملايين من الجنيهات . ويقال ان في المناجم التي تمتلكها ٢٥٠ مليون طن من الفحم الحجري وهي تجري في استخراجهِ على احدث الاساليب العلمية المتبعة في اميركا فتخرق المناجم وتقتلع الفحم منها بقوة الهواء المنضغط لا بقوة البارود والديناميت وتنيرها بالكهربائية وتسيّر المركبات فيها بالهواء المنضغط . وعند هذه الشركة سكك حديد لنقل فحمها من المناجم الى المرافئ طولها ٢١٢ ميلاً . وبلاد ينهض اهلها في ثلاثين سنة ويؤلفون مثل هذه الشركة لجديرة بان تعد بين ارقى البلدان

الوفيات وتقدُّم الطب

ثبت بالاحصاء في الولايات المتحدة الاميركية مدة السنوات العشر الاخيرة ان الوفيات بالذبحة قلت من ٢٧ في المئة الف الى ١٠ وبالتيفويد من ٤٦ الى ٣٣ وبامراض الدماغ من ٣٠ الى ١٨ وبالتهاب الشعب من ٧٤ الى ٤٨ وبكوليرا الاطفال من ٧٩ الى ٤٧ وبالحمى الملارية من ١٩ الى ٨ وبالشهقة من ١٥ الى ١٢ وبهزة الحائط من ٥٦ الى ٣٣ وبالقرمزية من ١٣ الى ١١ . ولكن زادت الوفيات بالسرطان من ٤٧ الى ٦٠ وبالسكتة من ٤٩ الى ٦٦ وبالبول السكري من ٥ الى ٩ وبامراض الكليتين من ٥٩ الى ٨٣ فالنقصان اكثر كثيراً من الزيادة ولعل سبب الزيادة ان بعض الذين ينجون من الامراض الاخرى ويعمرون يتعرضون للامراض التي زادت وفياتها . ولا شبهة في ان قلة الوفيات نتجت من تقدم صناعة الطب وحفظ الصحة

الراديوتلوريوم

استخرج الاستاذ مركفلد النمسوي مادة جديدة سماها راديوتلوريوم تخرج منها اشعة كهربائية شديدة الفعل جدًّا . وكل ما استخرجهُ منها اربعة مليغرامات استخرجها من طنين من البتشبلند وهو يظن انها عنصر بسيط . وتمتاز هذه المادة على الراديوم في ان اشعتها كلها من نوع الاشعة a من اشعة

الراديوم وفي ان قوتها تبقى على حالها ولا تضعف مثل اشعة البولونيوم

اشعة بلندلو

ذكرنا غير مرة ان المسيو بلندلو اكتشف اشعة جديدة سماها اشعة N نسبة الى ننسي المكان الذي اكتشفها فيهِ ونسب اليها افعالاً غريبة جدًّا وقد تلا العالم لومر في جمعية برلين الطبيعية مقالة مسهبة بيَّن فيها ان كل ما رآهُ بلندلو ونسبهُ الى هذه الاشعة غير حقيقي اي لا حقيقة لهُ في الخارج بل هو وهمي يخيَّل لهُ كذلك . وكتب العالم برك الى جريدة ناتشر في ٨ فبراير يقول انهُ جرَّب التجارب التي ذكرها المسيو بلندلو فلم يرَ شيئاً مما رآهُ بلندلو وهو مع ذلك يظن ان الاشعة حقيقية وان المسيو بلندلو رآها حقيقةً . وفي ذلك اليوم عينهِ قرَّر المسيو بيشات في اكادمية العلوم بباريس ان اشعة N تجري على بعض الاسلاك كما يجري النور في الانابيب العقفاء بانعكاسهِ من نقطة الى نقطة ولكنها لا تجري على اسلاك كل المعادن بل على بعضها فتجري مثلاً على اسلاك النحاس ولكنها لا تجري على اسلاك الرصاص

قرد ثمين

كان عند احد اصحاب المشاهد قرد مشهور بالذكاء وقد امَّن حياتهُ على خمسة وعشرين الف جنيه . توفي في مدينة برلين في الخامس عشر من شهر فبراير فطيَّر البرق منعاهُ الى باريس ولندن وغيرهما من مدن اوربا واميركا . وكان لهُ طبيب خاصٌّ بهِ يرافقهُ في الحل والترحال لان صاحبهُ كان يربح منهُ من ٢٠٠ الى ٣٠٠ جنيه كل اسبوع . ويقال ان الاطباء حنطوا جثتهُ لترسل الى باريس حيث يحتفل بها مدة اسبوع قبل دفنها . ولا بدَّ من ان يكون غرض صاحبهِ من ذلك زيادة الربح وزيادة الشهرة

قاموس علمي هندي

يهتم الهنود الآن بتأليف قاموس في لغتهم للاصطلاحات العلمية من رياضية وطبيعية وفلكية وما اشبه وقد اختصروا بعض الاسماء العلمية فسموا الكربون "كرب" والفصفور "صفور"

الحياة قبل الولادة

كتب المستر سنوت صاحب مجلة الآراء الحرَّة ان الناس العائشين الآن في الدنيا كانوا عائشين فيها منذ ١٥٠٠ الى ٢٠٠٠ سنة وان نفس كل طفل يولد الآن كانت في انسان آخر عاش ومات منذ نحو الفي سنة وان بعض الناس يتذكرون حوادث حياتهم الاولى ومن هذا القبيل الدكتورة انا كنجسفورد فانها تقول ان نفسها نفس افلاطون . ومسز بزنت فانها تقول ان نفسها نفس هباشيا العالمة الاسكندرية . ولا ندري من اين يأتي

بالنفوس الكافية للناس العائشين في الدنيا الآن فانهم اضعاف ما كانوا منذ الفي سنة الاَّ اذا ادعي ان النفوس تتكاثر بالولادة او بالتجزء كالحيوانات والنباتات ·

اصلاح الآلات البخارية

كانت نتيجة التحسين المستمر في الآلات البخارية انهُ يستخرج الان من الفحم الحجري ثلاثة اضعاف القوة التي كانت تستخرج منهُ منذ ستين سنة

تطهير اللبن بالكهربائية

صنع الالمانيون آلة فيها اناءان يوضع اللبن في احدهما ويفرَّغ منهُ الى الآخر وتمرُّ بهِ شرارات كهربائية وهو يفرَّغ فتولّد فيهِ اوزوناً يقتل كل ما يكون فيهِ من ميكروبات الامراض وينقيهِ منها

استئصال الجرذان

اكتشف الدكتور دنيز من مستشفى باستور في باريس ميكروب مرض يميت الجرذان دون سواها من الحيوانات · يربَّى هذا الميكروب في مرق اللحم ويبل الخبز بهِ ويطرح للجرذان فتأكلهُ وتمرض وتموت

السمك الاعمى

أُتي الى معرض التاريخ الطبيعي في كنسنتون بسمك اعمى من كهوف في جزيرة كوبا · ولا شبهة في ان الكهوف التي وجدت فيها هذه الاسماك كانت متصلة بالبحر ثم انقطع الاتصال بينها وبينهُ ولما كانت محجوبة عن النور ضعفت عيونها رويدًا رويدًا حتى صارت اثرية ويهتم العلماء الآن في تقدير الزمن الذي انفصلت فيهِ تلك الكهوف عن البحر ليعلم كم اقتضى لاسماكها حتى فقدت عيونها

سرعة التصوير للجرائد

لما جرى سباق اليخوت في اميركا في الصيف الماضي ارسلت جريدة نيوارك الاميركية مكاتباً من مكاتبيها الى مكان السباق فصور اليخوت التي اشتركت في السباق بآلة التصوير الشمسي واظهرها وهو على ظهر السفينة في نور النهار ولفها وربطها تحت جناح حمامة من حمام الزاجل واطلقها فطارت الى مطبعة الجريدة في نيوارك على بضعة عشر ميلاً ونزعت الصورة من تحت جناحها وحفرت وطبعت في ذلك اليوم عينهِ

كوريا

يظهر موقع كوريا الجغرافي وشكلها من النظر الى الشكل الذي نشرناهُ في المقالة الاولى . ومساحة البلاد ٨٢ الف ميل مربع وعدد سكانها غير معروف تماماً ولكنهُ يقدَّر بين عشرة ملايين وستة عشر مليوناً وعاصمتها سيول عدد سكانها مئتا الف نفس · وكانت كوريا تابعة للصين الى سنة ١٨٩٤ وكانت الصين تتولى كل مسائلها الخارجية وسنة

١٨٩٤ قامت اليابان وطلبت تغيير تلك الحالة ومشاركة الصين في ادارة امور كوريا لانهُ كان لها فيها مصالح مالية لا يسعها الاغضاء عنها فرفضت الصين ذلك ونشبت الحرب بينها وبين اليابان فاجلت عن استقلال كوريا عن الصين وتحالفها مع اليابان. واليابان تتناول من كوريا كثيراً من مواد الطعام ومن المواد الاصلية لصناعتها فانها جبلية زراعية ومعدنية فتكثر فيها حاصلات الزراعة ومعادن الارض

وملك كوريا كهل عمرهُ نحو ٥٤ سنة وهو يعرف تاريخ بلادهِ اتم معرفة ولهُ اطلاع على كل الكتب العلمية والادبية التي تُرجمت الى لغتها ولكنهُ يجهل اللغات الاوربية وحكومة بلادهِ استبدادية على نوعٍ ما وتكاد ازمتها تكون في يد وزرائهِ ونسائهِ او كبير الوزراء وكبيرة النساء. وكبيرة النساء هذه ليست من بيت الملك بل كانت رفيقة رجل صيني ثم رفيقة وزير من وزراء كوريا واخيراً دخلت قصر الملك جارية عند زوجتهِ الملكة وارتقت بذكائها ومهارتها وهي تحسن اللغة الكورية واللغة الصينية ايضاً قراءةً وكتابةً فقربتها الملكة اليها وجعلتها من اخص جواريها ونظر اليها الملك كما نظرت اليها الملكة فغارت الملكة منها وابعدتها عنها. ثم لما قُتلت الملكة سنة ١٨٩٥ عادت هذه المرأة الى القصر وصارت من اقرب نساء الملك اليهِ

وسبعة اعشار السكان فلاحون والصناع فلاحون ايضاً فاذا لم يستطع الصانع ان يحرث ارضهُ ويزرعها بيدهِ حرثتها امرأتهُ واولادهُ. والباقون تجار او باعة او معدنون او بحارة او خدم في مصالح الحكومة

ويزرع في كوريا والارز والتبغ والقمح والشعير والدخن والقطاني على انواعها ويصدر منها كثير من الارز والفول وتصاد الحيتان من بحورها. وفيها مناجم غنية من الذهب أُعطي امتيازها لشركات اميركية وروسية والمانية ويابانية وانكليزية وفرنسوية وفيها ايضاً مناجم من النحاس والحديد والفحم الحجري وهي كثيرة وغنية

ولها تجارة واسعة مع انكلترا وروسيا والصين واليابان وقد كانت ستة اعشار وارداتها من انكلترا وثلاثة اعشارها من الصين واليابان اما الآن فصار جانب كبير من وارداتها من اليابان. والذهب المستخرج منها يزيد سنة بعد سنة فقد كانت قيمتهُ مئتي الف جنيه سنة ١٨٩٧ فصارت ٢٣٧ الف جنيه سنة ١٨٩٨ و٢٩٣ الف جنيه سنة ١٨٩٩ و٣٦٣ الف جنيه سنة ١٩٠٠ و٤٩٩ الف جنيه سنة ١٩٠١ و٥١٧ الف جنيه سنة ١٩٠٢ وبلاد غنية الى هذا الحد بخيراتها الطبيعية يكون غناها نعمةً لها او نقمةً عليها حسب همة اهاليها واقتدارهم على الانتفاع بخيرات بلادهم والاستئثار بها او خمولهم

واستسلامهم للطامعين فيهم

وفيها سكة حديدية من سيول العاصمة الى شمولبو طولها ثلاثون ميلاً وهي لشركة يابانية واخذت شركة يابانية امتيازًا بسكة اخرى طولها ٣٠٠ ميل من فوزان الى سيول مدّت جانبًا منها . وفي انهار كوريا بواخر صغيرة لليابانيين وفي عاصمتها الترام الكهربائي والتلفون وفي البلاد كلها اكثر من الفي ميل من التلغراف . و يظهر من ذلك كلهِ انهُ اذا انضمّت هذه البلاد الى اليابان واتحدت معها اتحاد سكتلندا بانكلترا صارت مملكة اليابان من اغنى الممالك واقواها

احتراق مكتبة تورين

اضطرمت النار من سلك كهربائي في مكتبة تورين في السادس والعشرين من شهر ينابر الماضي فاحرقت جانبًا كبيرًا منها وفي جملة ما احترق ٢٧٠٠ كتاب من كتب الخط باللغات الشرقية وثلاثة آلاف مجلد باليونانية واللاتينية والمجموع البندقي الذي كان في مكتبة الكردينال دلاروفري . وكان في هذه المكتبة ٣٦٠ الف مجلد من الكتب المطبوعة فاحترق مئة الف كتاب منها . ومما حرق كتب بيت ملوك سافوى وكتب الخط العربية والفارسية والقبطية والعبرانية واليونانية واللاتينية . ويُعد احتراق هذه المكتبة من اكبر الخسائر التي خسرها العلم وخسرتها ايطاليا

النار في بلتيمور

شبّت النار في مدينة بلتيمور باميركا في السابع من فبراير واستمرَّت الى اليوم التالي فدمَّرت من المباني ما يساوي مئة مليون ريال ولكن لم يمت بها احد من السكان . وبلتيمور من امهات مدن اميركا عدد سكانها نحو ستمئة الف نفس

صادرات القطن الاميركي

بلغت قيمة القطن الذي صدر من اميركا في العام الماضي ٦٣ مليون جنيه

الراديوم والماء

جاء في جريدة الطب الهيموباثي انهُ اذا وضعت انبوبة فيها قليل من الراديوم في اناء فيهِ ماء اكتسب الماء خاصة الاشعاع والمظنون ان فعلهُ يصير مثل فعل الراديوم

آلة الطيران

صنع الخواجات اورفل وريط آلة ميكانيكية للطيران واجرياها على قضيب من قضبان سكة الحديد المفردة مسافة اربعين قدمًا فصعدت في الهواء وسارت ضد ريح سرعتها ٢٥ ميلاً في الساعة وكان معدل سرعتها عشرة اميال في الساعة فكأنها سارت بسرعة ٣٥ ميلاً في الساعة والمسافة التي سارتها ٨٥٢ قدمًا فقط ثم نزلت الى الارض من غير ان ينالها مكروه

فهرس الجزء الثالث من المجلد التاسع والعشرين

الفصل السادس

قلعة شلسلبرج

في احدى الجزر المجتمعة على مصب نهر نيفا ابنية عديدة محشودة لا يؤذن لسوى زورق واحد في الدنو منها. واحد هذه الابنية العظيمة قلعة شلسلبرج الهائلة او احد السجون الذي يلقى فيه المأخوذون بالتهم السياسية. ومنها بناء آخر يدعى قلعة القديسين بطرس وبولس وقد وصف كاتب اميركي قلعة شلسلبرج بقوله: —

"ان حراسها منتشرون على شاطىء الجزيرة في نقط متقاربة بحيث يستطيعون أن يكلموا بعضهم بعضاً. وهم مأمورون أن يطلقوا النار على كل من حاول الاقتراب من القلعة دون ان يسبق ذلك انذار او يتقدمهُ سؤال. وعندما تطأ قدم غريب حافة الشاطىء يسددون البنادق صوبهُ ويشوون بالرصاص قلبهُ فتسقط جثتهُ الى النهر وتطفو عائمة على البحر ويذهب دمهُ هدراً. وانما يجوز لزورق واحد ان ياتي الجزيرة وهو مصبوغ اسود وتحت امرة البوليس خاصة ولم يرجع قط واحد من الذين قضى عليهم سوء الحظ بالسجن في تلك القلعة والشائع عند الاكثرين ان كل من يساق اليها لايعود منها سالماً الا للذهاب الى سيبيريا"

فالى هذه القلعة جيء بالامير لاديسلاز وفي مساء اليوم الذي فيهِ كلامنا جلست الاميرة كاريتا في ذلك الزورق (زورق البوليس) قاصدة القلعة ومعها ضابطان

فلما بلغت مدخلها لقيها قسيس السجن وكان قد جاء الى هذه القلعة من عشرين سنة يصلي للنيهيلست المسجونين ويقوم امامهم بفروض الدين. فاستقبل الاميرة منقبضاً وحياها وقال: —

— تشجعي يا ابنتي وتجلدي. ان اخاكِ الامير مريض جداً. فانهُ عند وصولهِ اودعوهُ اوطأ مكان في القلعة حيث ناشتهُ مخالب البرد والرطوبة ونشبت في جسمهِ الغض الناعم اظفار العفونة والفساد. اذاً استعدي لملاقاة تغيُّر عظيم فيهِ

— ويلاهُ؟ هل مات؟

— كلا يا ولدي

— اذاً هو في حالة النزع؟

— نحن في يدي الله؟

فاخذت بكمهِ وقالت: — قل لي بعيشك قل لي يا أبتِ المحترم اما سقوهُ سماً؟

فرسم الكاهن علامة الصليب على وجههِ وقال: نحن يا ابنتي في يدي الله. تعالي معي

وانظر يهِ . فقد نقلوهُ الى الطبقة العليا

وكان الامير لاديسلاز قد نُقل الى غرفة عالية تشرف على المدينة وانوارها تتألق على وجهِ الماء تألق الكواكب في السماء . فبرح الخفاء لدى الاميرة حينما رمقت جسمهُ الناحل المنجل وابصرت ظلَّ الموت مخيماً على عينيهِ حتى انهُ بالجهد استطاع ان يعرفها . ثم تكلف الجلوس بمشقة شديدة وقال لها بصوتٍ خافتٍ : —

— كاريتا اين نادين ؟

— لاديسلاز — اخي — واحرقة كبداه ؟ ماذا أُخبرك بل بمَ أُجيبك على هذا السوال ؟

ثم جثت على ركبتيها بجانب اخيها . اما هو فرفع نفسهُ بجهد عنيف مرَّةً ثانيةً واتكأ على جنبهِ وقال : —

— اين هي ؟ لماذا لا تجيبيني ؟ أجيبي يا اختاهُ . هل قتلها ايضاً ؟ نعم ! نعم ! ماتت نادين ! أليس الامر كذلك ؟ فلم يجاوَب بسوى تنهدات تلك المسكينة المتكسرة القلب المضغوطة باثقال الحزن والكرب . ثم أسرَّ اليها بنفَسٍ متقطع وفكرٍ متضعضع : —

— كاريتا . تنتقمين لنا انتِ والكسس ؟ اصغي اليَّ . اني أُخذتُ بمكيدة جون فاين لانهُ سرق الكتاب من عندك ولا اعلم — او لا يهمني ان اعلم — كيف تمكَّن من ذلك . والكتاب الآن عند كيراتيف . فاحلفي لي انك تنتقمين من ذلك الغدَّار وتأخذين بثاري وثأر نادين :

— احلف لك يا شقيق الحياة اني سانقطع للأخذ بثأركما حتى تدركني الوفاة

— شكرًا لله ! اقتربي اليَّ اكثر . لا أقدر أن اراكِ . لكنك انت هنا ايها الاب المحترم . اليس —

ثم انتهت عبارتهُ بتنهُّدٍ عميقٍ اختطفتهُ اختهُ من فيهِ بقبلةٍ يكفي لوصفها قولنا انها قبلة شقيقة لشقيق . وعندها قضي الامر وتوفي الامير لاديسلاز .

وفي الساعة الثانية عشرة (نصف الليل) بلغت أُختهُ الشاطئ راجعة من القلعة

الفصل السابع

انتقام امرأةٍ

وفي اليوم التالي جلس رئيس البوليس ديمتري كيراتيف في ديوانهِ يراجع الوقائع الحادثة منذ ايام . ولم يسرّهُ سير تلك الحوادث لانَّ قيامهُ بوظيفتهِ كرئيس الفرقة الثالثة المخيفة كان

يفرض عليهِ اقتحام الاخطار وركوب الاهوال ولم يخفَ عليهِ انهُ هو نفسهُ كان آلةً للانتقام السري الذي تحتمَّ عليهِ اجراؤهُ والاَّ أتهم بمشايعة زعماء النيهيلست الحاضرين في كل مكان (في روسيا). وفيما هو جالسٌ متكدّراً مشمئزًا ولاسيما من هول حادثة الامير لاديسلاز التي جرت على طريقةٍ وحشية لم يسبق لها نظير اذا باحد القائمين بين يديهِ قد عرض عليهِ اسم الاميرة كاريتا طالبة الاجتماع بهِ

واذ لم يجد سبباً يبعثهُ على رفض طلبها بل رأى بواعث كثيرة تدعوهُ الى اجابة ملتمسها أمر بادخالها . ولم تلبث ان دخلت وجلست على كرسيٍ مقابلهُ واخذا ينظران احدهما الى الآخر ساكتين فافتتح الكلام بقولهِ : —

— ماذا عسى ان استطيع فعلهُ لسموّ الاميرة ؟

— انك قادرٌ على فعل اول وآخر معروفٍ يتوقعهُ منك كل عضوٍ من اعضاء عائلتنا جزاء لكلّ او لواحدةٍ من الايادي التي لنا عليك

كل ما اقدر عليهِ افعلهُ للاميرة غالتزن بمزيد الرضى والسرور

— حسنٌ وهاك ما اريد . فليس بخافٍ عليك ان اخي مات الآن وقد قُبض عليهِ بسبب امراتهِ التي انحصر العلم بوجودها فيما بيني وبينك . وقد ماتت هي وطفلها ايضاً على ذراعيَّ بعد ما أُخذ عنها لاديسلاز باربع وعشرين ساعة فما اطلبهُ منك هو الرقيم الذي قُبض عليهِ بسببهِ

— ايتها الاميرة . اني انكر وجود رقيمٍ سبَّب القبض على الامير لاديسلاز ولكن هب انهُ موجود فلا ينبغي ان اجيب طلبكِ لان اوراقاً كهذه — اذا وجدت — يترتب عليَّ حفظها بضبط لاني مسؤولٌ عنها واذا فقدت مني جوزيتُ عنها بجواز ذئب[1] ومعلوم عندك ان الشغل الشاق في معادن سيبيريا مدة حياتي ليس بالامر السهل عليَّ

تمهَّل عليَّ دقيقة فابرهن صحة كلامي . ان الامير لاديسلاز قُبض عليهِ بسبب رقيمٍ جاءهُ من دوروسكي زعيم النيهيلست وهذا الرقيم سُرق مني وأُعطي لك من احد وكلائك الغرباء جون فاين . فبكل حقوق المعروف اطلب منك هذا الرقيم الآن

— ايتها الاميرة . لستُ في مقام يدعوني الى الحكم في صحة كلامكِ ولست أرى قوةً تخوّلك حق طلب هذا الرقيم مني او الاطلاع على علاقة جون فاين بهذه الادارة . فاذا لم يكن عندكِ شيء آخر وجدتُ نفسي مضطرًا ان استأذنك في الانصراف من هذا الاجتماع الذي يؤلمني — صدقيني — قدر ما يؤلمك

(١) هذا الجواز يعطاهُ من يحكم عليهِ بالنفي الى سيبيريا

فظلت الاميرة بضع دقائق ساكتة لا تفوه بكلمة . ثم فُتح عليها بما رأتهُ اقوى وسيلة تمكنها من نيل مأربها فالتفتت الى كيراتيف وكان قد تحفز للوقوف متوقعاً ختام هذه الجلسة وقالت :—

— اي ديمتري كيراتيف . لستُ اقول شيئاً من جهة العلاقة التي بين عائلتينا ولكني ارفع دعواي اليك كرئيس بوليس روسيا الذي اصبح مستودع اسرار عائلات كثيرة وقلما تجري حادثة غريبة خطيرة لا يحيط بها علماً . وسأقصُّ عليك حادثة محزنة لم تسمع قط بمثلها فارعني سمعك :—

وبعد ساعة — عند فراغها من سرد قصتها — نهض رئيس البوليس من مجلسهِ وذهب الى خزانةٍ من حديد وفتحها واخرج منها الرقيم واعطاهُ للاميرة وقال :—

— انَّ ما قصصتهِ عليَّ الآن اقنعني كل الاقناع بأن لكِ حقًّا صريحًا في طلب هذا الرقيم فانهُ كتابٌ اختلسهُ منك جون فاين الانكليزي . ولتطب نفس الاميرة لان هذا الرجل سيبرح هذه البلاد في الحال ولن يعود اليها الى الابد . وبعد ثلثة ايام يجتاز تخوم روسيا

فودعتهُ وخرجت تقول :— اخيرًا ! اخيرًا ! حصلت على المراد . فيالثارات لاديسلاز ونادين ! شكرًا لك يا الهي شكرًا لك

وبعد خمسة ايام شاع في بطرسبرج ان جون فاين الذي كان فريدة عقد السراة الاماثل وزينة الاعياد وبهجة المحافل ظلع عليهِ اللصوص عند تخم بولونيا فكسروا مركبتهُ وقتلوهُ . ولما بلغ هذا الخبر الاميرة كاريتا جثت على ركبتيها وصرخت الى الله مرددة قولهُ :— لي النقمة ! لي النقمة ! انا أُجازي يقول الرب !

الفصل الثامن

حفلة تنكر

كانت حفلة التنكر العظيمة في مرسح فينا ليلة ١٥ اغسطس سنة ١٨٧٦ في إبان انعقادها وقد بلغت اعظم ما يُعهد لنظيرها من حشد القوم وازدحام الاقدام حتى كنت ترى ذلك المكان كلهُ داخلاً وخارجاً في اسافلهِ واعاليهِ غاصًّا بالقائمين بملابس التنكر رجالاً ونساء . فهنا في ردهاتهِ وهناك في اروقتهِ وهنالك في شرفاتهِ قومٌ يروحون ويجيئون قائمين قاعدين قامصين راقصين غير تاركين نوعاً من الازياء الغريبة المضحكة في الملابس الا وقد مثلوها على اختلاف في المقاصد وتباين في المنازع فالبعض اتوا ذلك متمتعين بالمسرّات الناتجة عنهُ والبعض اتخذوهُ وسيلةً للحصول على ما يكسبهم متعة السرور والبعض الآخر تكلفوا التمتع اي تظاهروا بانهم

متمعون بتلك الالعاب المجونية والتسالي الهزلية

وقد كان ذلك المشهد على قول الرواة بهجاً ساراً الى الغاية . على انهُ ما لم يكن الانسان مصحوباً فيهِ بعددٍ من اخوانِ انسهِ وهنائهِ واخدانِ سرورهِ وصفائهِ او لهُ على الاقل علاقة خاصة تبعثهُ على الاهتمام بمقاسمة ما يعرض فيهِ من صور الالعاب واشكال التمثيل كان يبدو لهُ ذلك المعرض من اكبر الموحشات واعظم بواعث الانزعاج والانقباض ودون كل وسائل اللهو بهجةً ورونقاً

ولم يكن بين جميع الحضور رجلٌ نظر الى ذلك المرسح العظيم بعين المقت والاستكراه نظير اوبين غود ارد قائد الفرقة العشرين من الفرسان سابقاً ورسول الملكة حالياً

وكان هذا القائد ذا هيئةٍ فاتنة ساحرة وملاحة لقلوب ربات الجمال آسرة. طويل القامة يقصر لديهِ اطول الرجال وعريض المنكبين كأحد الجبابرة الابطال . يكسو رأسهُ شعرٌ اثيث جميل وينبثق من محياهُ الباهي نورُ ذكاء لا يدع الى الريب في توقد ذهنهِ من سبيل . ولهذا وجد نعمةً في عيون اكثر المتنكرات واصبح فتنة اللواحظ الساحرات الفاتنات ومبعث سباق القلوب اليهِ ومدعاة تحويم النفوس عليهِ

على انهُ كان خالي الذهن من هذا الاهتمام ذاهلاً عن هذا السباق والزحام مشيحاً بنظرهِ عن هذا الامر الواضح الجلي ولسان حالهِ يقول ابن الشجريّ من الخلي لاناقتي في هذا ولا جملي . وهو قائم في مجلسهِ متثائباً متمطياً يراقب حوادث تلك الحفلة العارضة بعين الفتور والتراخي ويعجب كل العجب من الصدفة التي اوجدتهُ هناك في مثل هذا الوقت الذي كان يفضل ان يكون فيهِ مضطجعاً على فراشهِ . لانهُ كان قد قدم فيناً في المساء الماضي رسولاً من قبل ملكة انكلترا وفي الصباح سلم الرسائل لنظارة النمسا الخارجية وعزم على السفر بعد ظهر اليوم المقبل

وكان الجوُّ السياسي في مدة الخمس سنين الماضية قاتماً مكفهراً لما تلبد فيهِ من سحب المسألة الشرقية المطبقة التي أخذت تجمع منذ سنة ١٨٧١ في سماء الشرق الادنى حتى تراءى انها موشكة ان تكتنف شبه جزيرة البلقان وتمطرها وابل حربٍ عوان تدرّ مساكنها وتخليها من السكان . وقد افضت الى اصدار "لائحة اندراسي" الشهيرة في شهر ديسمبر عام ١٨٧٥ فقلقت لها اوربا بامرها واضطربت نفوس مشاهير ساستها ووجفت قلوب ملوكها وعظمائها وانقضى عام ١٨٧٦ في المفاوضات بين لندن وبرلين وفينا والاستانة وحينئذٍ اصبحت حاجة الدول الى رسل اكفاء وسفراء امناء شديدة جداً . واذ كان القائد اوبين غود ارد اهلاً لهذه الخدمة دعي اليها من قبل جلالة ملكة انكلترا وعُيّن رسولها الخاص الى تلك العواصم

لانهُ كان قد قضى السنين الطوال في التضلع من لغات اوربا والاحاطة بشوارد سياستها ٠ وعلى اثر الحوادث التي جرت في البلغار زاد العالم السياسي اضطراباً واوجس خوف حرب هائلة عامة فاسرعت الدول الى تلافي الخطب بعقد مؤتمر في الاستانة في شهر يناير سنة ١٨٧٧ . وهكذا وجدنا القائد اوبين غودارد في فينا في شهر اغسطس سنة ١٨٧٦ اي قبل عقد المؤتمر بنحو خمسة اشهر

واذ كان رسول الملكة وحامل اوامر مهمة لم يستصوب اظهار نفسهِ لاصحابهِ ومعارفهِ في عاصمة النمسا فلزم جهدهُ جانب العزلة والانفراد وبعد ما سلّم الرسائل طلب لنفسهِ تنزهاً معتزلاً في احدى المركبات ٠ ثم رجع متثاقلاً بين يدي السآمة والضجر لا يدري كيف يشغل وقت فراغهِ ويقضي ساعات الليل المقبل والنهار التالي الى الوقت المعين لرجوعهِ الى النظارة الخارجية واخذهِ منها اجوبة رسائلهِ

لكنهُ لم يبلغ الفندق الذي كان نازلاً فيهِ حتى أُجيب سؤلهُ بكتابٍ دفعهُ اليهِ خادمٌ عند دخولهِ فتناولهُ وأَخذ يقلبهُ متحيرًا ماذا عسى ان يكون وممن اتاهُ لانهُ لم يعلم احدًا بقدومهِ. ولم يستطع ان يتعرّف الكاتب من خط العنوان اذ كان غير مألوفٍ لديهِ ولا معروف عندهُ وهذا نصهُ : — الى الشريف القائد اوبين غودارد

هذا فضلاً عن انهُ لم يكن فيهِ من دلالة تشير الى كتابتهِ بيد رجل او امرأَة . واخيرًا رأى ان حلّ هذا اللغز انما يكون داخل الغلاف ففتحهُ واذا داخلهُ خاوٍ خالٍ لا يتضمن شيئًا سوى " ورقة دعوة " الى حفلة " التنكر " المعقودة في مساء ذلك اليوم

فقال في نفسهِ " مهما يكن في الامر فاني ذاهب وليس من محذور في هذا لاني اعرف كيف احفظ نفسي ولا ريب في ان من دعاني او دعتني (؟) الى هذه الحفلة سوف يستعلن او تستعلن لي هناك " .

وبناءً عليهِ قام بعد العشاء وخرج فاذا بالشوارع مزحومة بالذاهبين الى تلك الحفلة المعقودة والندوة المشهودة والمركبات تخبُّ الى ذلك المرسح مرصوصةً بالركّاب رصًا وغاصة بها الازقة غصًا فركب احداها وجاء الى باب " الملعب العظيم " ودخل وجلس الى ان رآينا هُ يتثآب متمطيًا كما مر معنا

وكانت الحفلة اذ ذاك في معظم القيام والالعاب على غاية عرضها وقد مالت بنحو الختام ٠ واخذ البعض ينصرفون والبعض يستعدون للانصراف ومنهم صاحبنا اوبين غودادر وبينما كان يتمطّى مودّعًا الحفلة بالنظرة الاخيرة شأن العازم على الذهاب اذا بامرأَة جازت مقابلهُ

فنظر اليها وشاهد منها قدًّا رشيقاً كالغصن يتأوّد قائماً في مطرف حريري اسود يوشك ان يسيل رقةً و" يكاد من اللطافة يعقد " وقد أسدلت على نصف محيّاها قناعاً اشدّ سواداً من خافية الغراب ترشق من ورائهِ سهام الحاظٍ تصمي القلوب وسحر اجفانٍ يخلب الالباب

وفيما غودارد يتمتع بمشاهدة هذه الذات المجمّلة بابدع المحاسن استمال نظرهُ عروض رجلٍ يحجلُ وراءها متأثراً لما وهو متنكرٌ بزيّ ماجنٍ ولابسٌ " وجهاً لهُ من كل قبحٍ برقع " وبعدما توارت المرأة بين الجمع أبصر غودارد ذلك الماجن يمازحها وهي تشيح عنهُ بعين السآمة والملل واذ راق لعيني اوبين هذا المنظر وآنس شيئاً من التسلية في هذا المظهر استأنف الجلوس في مكانهِ متوقعاً عود تلك الفتانة المتنكرة وما كاد الجلوس يستقرّ بهِ حتى ذعرهُ صراخ وراءهُ فالتفت واذا بها مسرعة في الهرب من وجه ذلك الماجن الذي عدا يجري وراءها حتى ادركها حيث كان غودارد جالساً وفي اجتيازه بها التي الى يدها ورقة لم تلبث هي ايضاً ان القتها الى الارض وفي اقل من طرفة عين غابا كلاهما عن الابصار فانحنى غودارد والتقط تلك الورقة وفتحها فوجدها غفلاً من الكتابة فقال في نفسهِ " مهما يكن من هذا فلست بتاركٍ ذاك الماجن الوحشي يمتهن قدر هذه الغادة الحسناء " ثم نهض وسار في جهة مسيرها يخترق الصفوف المزدحمة حتى دنا من المتنكرة فأبصر الماجن واقفاً قدامها يروم محادثتها اما هي فنفرت منهُ ودارت تحاول الفرار واذا بغودارد الذي كان وراءها اصبح قدامها فاقبلت عليهِ وكادت تلقي نفسها بين يديهِ وقد خاطبتهُ بانكليزية صريحة لا يخالطها اقلُّ لهجة غريبة : —

— ارجو عفوك

— بل انا ارجو عفوك · هل من خدمةٍ اتشرَّف بالقيام بها لديكِ ؟ اراكِ مضطربةً ومنزعجة

— سر بي الى مركبتي واغنم شكري وثنائي

— لبيكِ وسعديكِ

ثم مد اليها ذراعهُ وقد دار بنظرهِ مفتشاً عن ذلك الماجن الذي توارى عن النظر واذ لم يجدهُ سار بها الى الباب الخارجي وهناك خاطبتهُ :

— ارجوك ان لا تؤاخذني ولا تخطئ ادراك ما اردتهُ بالتماس مساعدتك وقد لذتُ بك كانسانٍ انكليزي واثقة بانك لا تنظر اليَّ كواحدة — من — اولئك —

فاعترض تتمة كلامها بقولهِ : —

— بلا ريب

ولما اتيا الى حيث كانت مركبتها تقدَّم غودارد وفتح بابها فوثبت اليها في الحال · اما فهو

فاذ رأى نهاية مسعاهُ الى هذا الحد من الاخفاق قال لها : —

— هل تريدين ان اسير بحمايتك الى حيث تأمنين الخطر ؟

— كلاً لاني في امن مذ الآن

— هل ادلّ السائق ؟

— لا حاجة لهُ الى دليل

افلا تسمحين لي على الاقل ان ازورك غداً واطمئن عن سلامتك ؟ وبعد ما اطرقت هنيهةً أجابت : —

— هل تعدني انك اذا سمحت لك بهذا لا تسألني شيئاً عن امري وتنسى بعد ذلك اجتماعنا للابد ؟

فقال بملء اليأس

— نعم

— بشرفك ؟

— بشرفي

— حسنٌ

ثم اخرجت رقعة وكتبت عليها بقلم رصاص كلمة او كلمتين ودفعتها اليهِ قائلةً : —

— شرفني بتناول الغداء معي في المكان الذي يدلُّ عليهِ هذا العنوان

— متى ؟

— غداً بل اليوم لانهُ كاد يطلع النهار

— سأراعي الميعاد بكل ضبط

— حسن . استودعك الله الى الملتقى مع الف شكرٍ وثناء عليك ايها القائد او بين غودارد ·

فعجب من معرفتها اسمهُ ونكص الى الوراء ليغتنم النظرة الاخيرة من المركبة التي ما ابطأت ان أُديرت وأُعمل السوط في ظهر جوادها فعدا كالبرق الخاطف واوغل في الجري تحت اطباق الظلام · فذهب غودارد بالرقعة الى اقرب مصباح منهُ وعرضها على نورهِ فرأى مكتوباً عليها باحرف كبيرة " البارونة التدورف "

ويليها عنوان مكتوب بقلم رصاص

فاشعل سيكارهُ ودار نحو مدخل الملعب على طريق الإنصراف الى مبيتهِ مردداً في ذهنهِ صور هذه المعارض · وهو بين مصدّقٍ لها ومكذب

الفصل التاسع

البارونة التدروف

معما يكن من امر الساعة الاخيرة التي قضاها القائد اوبين غودارد في الملعب فانهُ قضى بعدها ساعةً أخرى في مخدعهِ تائه الافكار مشرَّد الحواس يضرب في حوادث ليلتهِ — بل حادثتها — اخماساً لاسداس وخرج قبل ظهر ذلك اليوم بساعتين قاصداً الملتقى في الاجل المضروب

وقد يصعب على الكاتب وصف حالة القائد اوبين في اثناء مسيرهِ . فانهُ اجهد قواهُ عبثاً في الاطلاع على شيء من امر هذه البارونة ليعرف لها اصلاً ونسباً وكاد يخالط في عقلهِ من شدة الحيرة والدهشة اذ لم يجد في صوتها او حركاتها شيئاً باعثاً على الحذر والارتياب بل كانت كلها ناطقة بكرامة اصلها وحسن تربيتها ولم يستطع ان يأخذها بكلمة نطقت بها شفتاها الجميلتان جزافاً ولا بنظرةٍ سمحت بها عيناها الساحرتان تهكماً واستخفافاً . ومع ذلك تعرَّفت بهِ على طريقةٍ مبهمة جداً وعينت لهُ مكاناً للاجتماع بها على اسلوبٍ في غاية الابهام . ومعلوم ان ركوب مثل هذه الاخطار كان محظوراً على من جاء رسولاً من قبل ملكة انكلترا ولكن غودارد لم يخطر ببالهِ انهُ سائرٌ في طريق الخطر او مقدم على ما يوجب الخوف والحذر . ومما رابهُ ايضاً انهُ لم يقدر ان يتحقق جنسيتها ولا توصل الى معرفة وطنيتها . نعم انها خاطبتهُ بالانكليزية الفصحى ولكنهُ مع ذلك آنس منها ما الجأهُ الى الحكم بانها ليست مولودة انكلترا او انها برحتها منذ وقت طويل . واذ اعيتهُ الحيل في الوصول الى مبتغاهُ وسدَّت في وجههِ ابواب التبصر والاستطلاع اضرب عن الخوض في لجج هذه الافكار العميقة وعمد الى قطع ما بقي عليهِ من الطريق في تصوُّر استقبال البارونة لهُ . فطفق يمثل امام عينيهِ هيئة المكان الذي تدعوهُ اليهِ وما فيهِ من نفائس الرياش وفاخر المفروشات وانتقل منهُ الى تصوُّر الهيئة التي تقبل عليهِ فيها فشرع يتخيل صورة وجهها الباهي وجمال منظرها ورشاقة قوامها وحسن ملبسها ولذة الطعام الذي يتناولهُ معها ورقة الانغام التي تشنّف مسمعهُ بها بعد فراغهما من تناول الطعام بالضرب على البيانو او على القيثار الى غير ذلك مما يطول شرحهُ ويتعذَّر استيفاؤهُ

ثم انقطع سلك تصوراتهِ بغتةً بداعي وصولهِ الى "منزل التدوروف" الذي كتبت لهُ البارونة اسمهُ على الرقعة التي اعطتهُ اياها في الليلة الماضية

وكان هذا المنزل قائماً في ضاحية المدينة في بقعة عامرة بالمناظر البرية يحيط بهِ سياج يفصلهُ عن الطريق ويخفي اسافلهُ عن عين الناظر اليهِ من الخارج ولهُ بوَّابة موصدة تفتح الى

ممشى متعرّج يقود اليهِ . وعليهِ لم يستطع ان يستفيد شيئاً من مجرد النظر الى هذا القصر لانهُ لاح لعينيهِ مقفرًا يخيم فوقهُ ظلال الوحشة وجميع نوافذهِ وكواهُ مغلقة بمصاريع ثقيلة وليس من دخان يصعد من مداخنهِ ولا شيءَ من مظاهر الانس يبدو داخل ابوابهِ المحكمة الايصاد والتقفيل

وبالجهد تمكن من ضبط نفسهِ عن اظهار التعجب الشديد وقد انستهُ هذه الظواهر الموحشة وعدهُ للبارونة بعدم ابداء اقل سؤال او استعلام فالتفت الى فلاَّح قائم في بستان على جانب الطريق وسألهُ :—

— ما هذا المنزل ؟ فاجابهُ بعين الحذر والارتياب :— هذا منزل التدورف

— ومن ينزلهُ ؟— لا احد — كيف لا احد ؟

— نعم فانهُ لا يزال مقفلاً منذ وفاة البارونة التدورف من ثلث سنين

— لكنهُ لا يرى مهجورًا

— لان الباقي من عائلة صاحبتهِ يقوم الآن بنظارتهِ وتعهُّد بساتينهِ على انهُ لم يسكنهُ احد قط بعد البارونة

— افي يقين انت ممَّا تقول ؟

فلم يجبهُ الرجل بشيء بل اكبَّ على عملهِ محتقًا السائل وساخرًا بشدة جهلهِ وغباوتهِ

اما غودارد فلم يكبر عليهِ مصير اقدامهِ الى هذا الحد لعلمهِ انهُ مضطر ان يكون في النظارة الخارجية الساعة الرابعة بعد الظهر ليأخذ جواب رسائلهِ من الكونت اندرامي

فعزم على مداومة السير حتى اذا حان الاجل المعيَّن ولم يظفر ببتغاهُ لا يعود للبارونة التدروف – اذا جمعتها بهِ المقادير – من حقٍ في لومهِ على عدم قيامهِ بشروط دعوتها

فواصل التطواف حتى اجتاز حدود المنزل ثم رجع ادراجهُ يمشي الهوينا وعند الساعة الثانية عشرة (الظهر) رأى نفسهُ مرة ثانية امام بوابة قصر التدورف فاذا بهِ قد أُخذ بعجب جديد واندهال ما عليهِ من مزيد اذ رأى البوابة مفتوحة فدخلها وفيما هو سائر في الممشى المؤدي الى داخل ابصر مصاريع الكوى والشبابيك كلها مفتوحة والدخان يتصاعد من احدى المداخن عمدًا وينتشر في عنان السماء زردًا . وفي مقدمة الدار كرسيَّان وامامهما بعض البسط الشرقية وعلى واحدٍ منهما "شال" وكتاب مفتوح دلالة على انهُ مقروءٌ فيهِ منذ وقت قصير جدًا

ولما بلغ الباب فتحهُ لهُ خادم ادخلهُ الى غرفة الجلوس المنشاة بالحصر الهندية والمفروشة على طراز لويس الخامس عشر . وفيما هو مأخوذ بملء الدهشة وقد دنا من شباك يشرف على

حديقة غناء اذا بذلك الصوت الرخيم الذي كان لا يزال يرن في فضاء ذهنه مدة العشر ساعات الاخيرة يكلمهُ من ورائهِ قائلاً : — اهلاً بالقائد غودارد

فالتفت واذا بضيفتهِ قادمة تخطر بقوام الين من الخيزران واعدل من غصن البان . تكسوها حلة فاخرة من لدن عنقها حتى اخمص قدميها وشعرها الحالك مضفور الى مقدم رأسها. فوقف غودارد مبهوتاً لا يقوى على التفوّه بكلمةٍ . اما هي فخاطبتهُ : —

— ها قد جئت في الوقت المعيَّن وحسناً فعلت . فلسوف يكون لنا وقت كافٍ لتعرُّف كلٍّ منا بالآخر او بالحري لاصلاح هذه المعرفة

— اعذريني اذا رأيتِ في كلامي — في اول الامر — شيئاً من عدم الانتظام بداعي حيرتي وارتباكي . فهل تقولين لي اين اجتمعنا قبل اليوم ؟

— ليس الآن بل قبلما نفترق — نعم . انت مضطرٌ ان تكون الساعة الرابعة في نظارة الخارجية وفي الساعة الخامسة تبرح فينا أليس كذلك ؟ بلى اذاً الاولى بنا ان نتناول اولاً الطعام ثم نتفرغ بعد ذلك لمجاذبة اطراف الكلام

— اني طوع امركِ

— لا تسرع في مطاوعتي اقتحاماً او اكراماً بل ترسَّل في مجاوبتي بحرية وكان يجب عليك ان تسيء ظنك فيَّ . وعلى الاقل سلم انَّ تصرُّفي معك كان نادراً غريباً

— اني — فقاطعتهُ قائلة : اني وددتُ منذ وقت طويل ان اتعرَّف بك وقد سنحت لي فرصة قيامي بخدمتك في ما لا تعلم عنهُ شيئاً . وفي اتمام هذا الامر رميتُ طائرين بحجر واحد . فقد تحزَّبتُ للقائد اوبين في حرب سياسية شرط الانتفاع بمعرفتهِ . وواضح ان هذا في حرب

— فقال وفي حبٍّ — فقالت بلا ريبٍ . قالت هذا متوردة ثم استأنفت كلامها : —

— على ان الاول يستدعي الآن معظم انتباهنا على الخصوص . ولكن قم بنا فان المائدة معدَّة وانا جائعة جداً

ثم سارت امامهُ الى غرفة الطعام . وبعد ما جلس على المائدة قال لها : —

— افلا تنعمين عليَّ بايضاح هذه المشكلات المبهمات ؟ واول ما اسألهُ كيف عرفتِ اسمي وثانياً اما انتِ التي ارسلت اليَّ ورقة الدعوة الى حفلة التنكر في الليلة الماضية ؟

— كيف عرفتُ اسمك ؟ وهل يجهل احد في فينا اسم القائد اوبين غودارد رسول جلالتها السياسي الآ الخامل العريق في الجهل ؟ وانا التي ارسلت اليك ورقة الدعوة الى الحفلة لاسباب أُطلعك عليها الآن . وليس بخافٍ عليك شدة ارتياحي الى المسألة التي لاجلها جئت

الى فينا اربع مرات في مدة اربعة اشهر وقد اتاح لي حسن الحظ اجتماعاً بك طالما حدَّثت نفسي بهِ

— مهما يكن من غرضكِ ايتها البارونة فان لساني الآن في هذا الاجتماع القصير اقصر من ان يعبر عما اغبط بهِ نفسي على هذه الفرصة السعيدة

— ان رسالتك في غاية الاهمية والمؤتمر سوف يعقد في ديسمبر او يناير

فاجابها متجرزًا : — هكذا يظن

— من الغريب ان انكلترا ترضخ لاوامر روسيا وتذعن لمقترحاتها وقد كنت اظن ان حكومتك ترسل اسطولها الى الشرق

— انها لا تقدم على هذا الأ اذا اخفقت مساعي المؤتمر وقصرت مقدماتهُ عن ادراك النتائج المطلوبة

— اذًا في الزوايا خبايا ولم أُخطئ الظن

فاجابها متلجلجًا وقد اوجس خوف تضييقها على افكارهِ واطلاعها على مكنونات اسرارهِ :

— لا اعلم . اراكِ على جانب عظيم من الاهتمام بالسياسة حالة كون افكار السيدات الطف من ان تخدشها حوادث كهذه

— حقًّا اني اعظِّم شأن هذه الحوادث وانما يقلقني كثيرًا ان أرى مصالحكم الانكليزية مدوسة تحت قدمي غورتشاكوف بواسطة رجلكم غلادستون

فاجابها مقطبًا . ليس لرجلنا غلادستون حق المداخلة في هذه الامور ومن العبث تعليل النفس بشيءٍ من مثل حادثة سنة ١٨٧١ وما كان الجوّ ليخلو الآن لروسيا فتمرح وتطفر وتبيض وتصفر

قال هذا لانهُ كان من اكبر انصار حزب المحافظين وقد احفظهُ كلام البارونة الى الغاية

فاجابتهُ : — ذلك ما احبُّ سماعهُ من رجل نظيرك وهو خلاصة الرسالة التي بُعثت بها الى هنا . ولا تحاول إخفاء الامر لانهُ لا يسعني ان اتصوَّر انك تكذب عليَّ

— لستُ بقادر ان اكذب عليكِ

فنهضت ودعتهُ الى الانصراف عن المائدة بعد ان اكلا كفافهما ثم خاطبتهُ قائلة وقد لاح على وجهها تغير فجائي : لم يبقَ سوى ساعة لخروجك من فينا ففي الساعة الثالثة ونصف تسير بك مركبتي الى نظارة الخارجية ومن ثم الى المحطة افلا تجيب سؤلي في انك ترسل السائق من نظارة الخارجية ليبتاع لك ورقة سفر ويحضر امتعتك من الفندق ؟ اذ لا اريد ان ترجع انت بنفسك

— يخجلني جدًّا تطفلي على الانتفاع بهذه العناية الشديدة

— عدني ! عدني !

— اعذكِ · ولكن الا تطلعيني على خفايا هذا السر؟

— لا يخفى عليك ان السياسة الروسية نفَّاذة لا يعوقها شيء وقد علمت ان بعض وكلاء روسيا يسعون جهدهم لكي يعوقوك في فينا واجمعوا على طلبك الليلة الماضية من الفندق · فبعثت اليك بورقة الدعوة وسببت غيابك عن مبيتك وجئت بنفسي الى الحفلة لاشاهدك واطمئن عن نجاتك من اشراك هذه المكيدة · ثم مثَّلت امامك ذلك "الدور" وجعلت ذلك الرجل يطاردني و يبالغ في امتهاني على مرأى ومسمع منك لعلمي ان انكليزيًا نظيرك لا يطيق ان يرى امرأة تهان في حضرتهِ · ولولا هذا لكنت اليوم مسوقًا الى براز او وقوفٍ في دائرة البوليس · ثم مسَّت الحاجة ان اواريك هذا النهار عن الانظار وقد خطر على بالي هذا المكان وانت سائر بي الى المركبة لانهم ينتظرونك اليوم في الفندق · فلا تنسَ انك وعدتني بعدم الرجوع الى الفندق

فاجابها وهو يشتعل غيظًا : — اوتظنين ان مثلي يهرب من وجه انسان

فقالت لهُ برصانة : — من واجباتك صيانة ما أُرسلت اليهِ فقال — الحق معكِ

وظلاَّ يتجاذبان اطراف الكلام حتى حان وقت انصرافهِ فقالت لهُ بكل اسف اقول لك اذهب

— اشكر لكِ فضلكِ وعنايتكِ

— اذًا تعفو عن سعيي في اعتراض حريتك ؟

— نعم وذلك في حب وفي حرب - وكلاهما هنا

فتورَّدت البارونة وقالت لهُ مادة يدها : — سر بسلام

ولما بلغا باب الدار حاول ان يوضح لها شيئًا من لواعج حبهِ فحال دون ذلك وجود السائق معدًّا المركبة وفاتحًا بابها فاكتفى بقولهِ وهو ضاغط يدها : —

— الى الملتقى — أليس هكذا ؟

— هكذا ارجو

— وعدتني انكِ تخبريني اين اجتمعنا قبل الآن

— امس في الملعب

ثم اغلق السائق باب المركبة وعدا بها حتى بلغ البوابة الخارجية فاطلَّ غودارد من كوتها فوجد نوافذ القصر اقفلت كما كانت في الصباح · فقال في نفسهِ : ان هذه المركبة شاهدة على اني في يقظة والاَّ فجميع ما حدث لي كان حلمًا

ولما ذهب السائق الى النزل رأى فيهِ رجلين كانا في انتظار غودارد منذ الظهر ولا يزالان ينتظران

الفصل العاشر

القوة وراء العرش

ان نظام البوليس الروسي منقسمٌ الى ثلث فرقٍ الفرقة الاولى من نوع الشرطة المعروف بالجندرمة والثانية البوليس الاداري وهذه رتبها القيصر نيقولا لاصلاح شؤون الضباط والمأمورين ولكنها قد عمّت الآن اقطار العالم والثالثة — الفرقة الهائلة المخيفة — مؤلفة من البوليس السري ولها رقباء وجواسيس في كل بيتٍ وفندقٍ وحانةٍ . وهذه الفرق الثلاث يرئسها رجل واحدٌ . وهذا الرئيس كان عليهِ في مشاكل سنة ١٨٧٦ الى ١٨٧٧ ان يقوم بما تضعف عندهُ الهمم وتخور لديهِ العزائم

ثم ان دائرة النظارة الخارجية في بطرس برج هي اوسع واكبر دوائر الحكومة ويليها دائرة النظارة الداخلية وعلى ملاصقة هاتين الدائرتين غرفتان صغيرتان احداهما داخلية تفتح الى رواق والاخرى خارجية تشرف على شارع نيوسكي . وهاتان الغرفتان مفرزتان لاقامة رئيس البوليس واركانهُ كاتم اسرار ومستشاران او كاتبان

وكان البرنس سكولوف رئيس البوليس يقيم في الغرفة الخارجية . ومقامهُ هذا — بين دائرتي النظارتين — يدلُّ على شدة اهميتهِ في احوال السياسة الاوربية . وكل من شاهدهُ جالساً على كرسيهِ المغشى بالاديم لا يفوتهُ ادراك ما كان عليهِ من ضخامة الجسم وشدة القوى الجسدية . ويكفي للدلالة على ذلك يدهُ الهائلة الملقاة على مائدةٍ امامهُ . وهو غير متجاوز الاربعين سنة . غير ان مجالدات الخطوب ومعاركات الايام كانت راسمة على وجههِ خطوط وقائعها الرائعة التي ييضت مفرقهُ مع ان شعر حاجبيهِ وعارضيهِ كان باقياً في شدة سوادهِ دليلاً على تلك الليالي السود التي مرّت برأسهِ . وكان في هذا الوقت يقذف بشرر عينيهِ الحادّتين من تحت جبهةٍ عريضةٍ ووجههُ يسفر عما اعتادهُ في حالة السكون والهدوء . وامامهُ — إذ الوقت صباح — رسائل متنوعة جاءتهُ منذ نصف ساعة وهو آخذٌ في فضها واحدةً واحدةً وبعد ما يعلمها بقلم رصاص ليسهل توزيعها يضعها في كومتين احداهما ترسل الى مجلس الشورى والاخرى تحفظ لكي تطالع مطالعة سرية فيما بعد . لكنهُ لم يلبث ان توقف عن فضها بداعي رسالة تناولها ولم يطل نظرهُ فيها اذ ليس من فائدة في ذلك لانها لم تكن من الرسائل الاعتيادية بل كانت مكتوبة على قرطاس ازرق رقيق مربع الشكل باحرف يونانية على اصطلاح خاص . وغاية ما استطاع تلاوتهُ منها مامعناهُ " الشيطانة الجميلة " . فلم يعد لهُ مندوحة عن انتظار كاتم اسرارهِ الذي عندهُ مفتاح الرسالة السرية وحلُّ هذه الاحجية . على

انهُ ما ابطأَ ان طرق اذنهُ وقع اقدام فالتفت واذا بشابٍ دخل الغرفة وجلس على كرسي امام مكتبة نخاطبهُ قائلاً ها قد اتيت يا ديمتري ديمتريفتش فقد كنت في انتظارك

— هل من رسالة من الشيطانة الجميلة ؟

— نعم فاين الآلة التي تحل بها مثل هذه الرسالة ؟

— هنا يا صاحب السمو

— أَدرها على ١٠٠ هـ ٢٠٠ ر واقرأها بها

قال هذا وسلم الرسالة الى كاتم اسرارهِ وزجع يفض الرسائل الباقية وعلى مدة نصف ساعة لم يسمع في تلك الغرفة من صوت سوى صرير تلك الآلة المشغول كاتم الاسرار في ادارتها تفسيراً للرسالة السرية حتى اذا فرغ من حلها حرفاً حرفاً نهض ودفعها الى رئيسهِ مكتوبة بالافرنسية وهذا تعريبها : —

" فينا في ٢٤ اغسطس سنة ١٨٧٦

" القائد اوبين غودارد من فرقة العشرين للفرسان مبعوث الملكة الخاص في المسائل الشرقية . عمرهُ نحو ٣٤ سنة وهو انكليزي مهذب من كل وجهٍ ويتعذر استجلاء دخيلتهِ وابتلاء اسرارهِ بالوسائل العادية . قدم فينا في ١٥ اغسطس يحمل رسائل الى نظارة الخارجية

" اذا عُقد المؤتمر لزمت انكلترا جانب الحياد وان شهرت روسيا الحرب اسرعت انكلترا الى احتلال البوسفور . لا بدَّ من المحافظة على عدم تجزئة المملكة العثمانية . عناية خاصة باطوم وطرابزون . لا تفصيل غير هذا الآن

" في هذا المساء ابرح فينا شاخصة الى بطرس برج الشيطانة الجميلة "

ثم طوى رئيس البوليس الرسالة الاصلية وترجمتها ووضعهما في خزانتهِ وقال متمتماً : —

— ان هذا في غاية الاهمية . " انكليزي مهذب . يتعذر استجلاء دخيلتهِ لا تفصيل غير هذا " . حقاً اني لا احب هذا الاسلوب . لكنها قادمة هذا المساء . فلا باس . سوف اقابل هذه المرأة الداهية

ثم سلَّم الرسائل المراد توزيعها الى احد مستشاريهِ وقال لهُ : —

— ابلغ كاتم اسرار نظارة الحرب اني في انتظار ناظرهِ بعد ساعة

ولما خرج هذا التفت البرنس سكولوف الى كاتم اسرارهِ ديمتري ديمتريفتش كيراتيف وقال :

— احقق ان اباك ديمتري كيراتيف لم يشر الى اسم هذه البارونة التدورف او — كما يدعونها — الشيطانة الجميلة

— نعم يا صاحب السمو فانهُ لم يذكرها قط . ولكن بعد حدوث المكيدة التي نُصبت لاغتيال جلالة القيصر واصيب فيها ابي بجرحهِ المميت ذكر لي امرأة عندها مفتاح الرسائل السرية لكنهُ لم يفه قط باسمها وكنت حينئذٍ صغيرًا جدًا . فغشي محيا البرنس سكولوف ضبابة كثيفة عند سماعهِ هذا الكلام لان المكيدة التي نُصبت للقيصر ولاقى فيها رئيس البوليس السابق حتفهُ كانت موضوعًا منع الرئيس الحالي — لاسباب سياسية — البحث فيهِ امامهُ . اما كاتم اسرارهِ فاعتبر شخصًا ممتازًا في وظيفتهِ من حيث كونهُ تحت حماية الرئيس الحالي وابن الرئيس السابق ولما اغتيل ابوهُ ديمتري كيراتيف كان هذا الفتى من موظفي دائرة البوليس وحين دُعي البرنس سكولوف الى وظيفة ابيهِ طلبهُ وعينهُ كاتم اسرارهِ . اما دورسكي رئيس عصابة النيهيلست فلم يعد يعرف عنهُ شيء وشاع انهُ قتل في اودسا بعد ذلك بوقت قصير وان جماعتهُ تفرقوا . ومن ذلك العهد منع الخوض في مسألة مؤامرتهِ وعدت من جملة المواضيع التي لا يسوغ البحث فيها في دائرة البوليس . اما الان فلم يبدِ هذا الرئيس لكاتم اسراره اشارة الصمت عن هذا البحث بل استفسر منهُ كمن تذكر شيئًا غامضًا عن حادثة منسية قائلاً

— كيف كان كلام ابيك معك بخصوص هذه المرأة ؟

— قال لي : "يا ديمتري اذا دعيت يومًا الى مقام خطير في هذه الفرقة فهنا مثال لآلة الكتابة السرية الذي تحل بهِ جميع المراسلات السرية . ومتى راسلتك امرأة على هذا النمط اطلع رئيسك على رسالتها وقل لهُ اني انا ديمتري كيراتيف خلفت لهُ وصية الاحتفاء بها والالتفات بعين الاهمية الى جميع رسائلها . وليثق بها مطمئنًا لان زمام نجاح مملكة روسيا المقدسة في قلبها وقد يكون في يدها" ولذا ارى يا صاحب السمو ان " الشيطانة الجميلة " هي المرأة المعينة بوصية ابي لانهُ لم يؤتمن على آلة كتابتهِ السرية من يقلدها او يسيء استعمالها

— اظنك مصيبًا بهذا . ثم تفرغ رئيس البوليس بعد هذا للاجتماع بناظري الحربية والخارجية الى الساعة الرابعة بعد الظهر . وحينئذٍ انصرف كاتم اسرارهِ ومستشاراهُ وادخل اليهِ خادم مصباح المطالعة فمد يديهِ متمطيًا كمن اكمل شغلهُ او انتقل الى عمل اخف واسهل . ولم يكن يخطر ببال من ينظر اليهِ جالسًا على هذا الاسلوب من التراخي والتثاقل ان هذا الذي يستطيع بكلمة واحدة ان ينفي كثيرين الى سيبيريا او يغرق الحكومة في لجج عراقيل طامية كان قبل ان تراهُ في رئاسة البوليس بثماني سنين — الكسس دورسكي زعيم النيهيلست

نعم كان هو اياهُ ولم يعلم بهذا احدٌ سواهُ بل جميع الذين كانوا يعرفونهُ قبلاً ورأوهُ متربعًا في هذا الدست خفي عليهم ان هذا البرنس سكولوف هو الكسس دورسكي مقدام النيهيلست



الاختان من تصوير المصوّر ربط

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد التاسع والعشرين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٥ محرم سنة ١٣٢٢

فلسفة سبنسر

قضت علينا وفاة سبنسر بما كنا نتحاماهُ ونخشى دخول حماهُ وهو بسط الكلام على فلسفتهِ لما فيها من المصطلحات العلمية والفلسفية التي لا مثيل لها في العربية ولا يسهل نحت كلمات تفي بمعناها وتكون مما تألفهُ الاسماع · ولأنَّ المباحث الفلسفية يصعب ادراكها على مَن لم يمارسها مهما حاول الكاتب البسط والاسهاب

ومدلول فلسفة سبنسر بسيط جدًّا وهو ان كل هذا العالم الذي تراهُ عيوننا من سديم السماء الى الانسان سيد المخلوقات. وكل ملابساتهِ من الحركات الطبيعية التي تحركها الكواكب في افلاكها الى حركات دقائق الدماغ التي تتولَّد منها الافكار — كل ذلك متولّد من المادة والقوة . واذا وُجدت الآن دقائق المادة التي تكوّن هذا العالم منها ودقائق القوة التي فيهِ في مكان آخر ومضى عليها مقدار الزمن الذي مضى على العالم من حين وجودهِ الى الآن تكوّن منها عالم مثلهُ تماماً · كأنهُ يحسب ان كل ما حدث لا بدَّ من حدوثهِ مع فرض المادة والقوة او كأنهُ سمع ابا العلاء المعري ينشد قولهُ

بربّك ايها الفلك المدارُ . اقصدٌ ذا المسير ام اضطرارُ ·

فقال بل هو اضطرارٌ جريًا على ناموس في طبيعة المادة والقوة المتصلة بها · اما الوصول الى هذه النتيجة فليس بالامر السهل بل فيهِ من دقيق المباحث ما يتعذر تلخيصهُ في مقالة او مقالات ولكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ

من اللعب التي يتسلَّى بها الاولاد قطع من الخشب مختلفة الاشكال على كلٍّ منها صورة جزئية . فعلى القطعة الواحدة مثلاً صورة رأس وعلى الثانية صورة يد وعلى الثالثة صورة

رجل او غصن من شجرة او عجلة من مركبة او حائط من بيت او قطعة من سفينة او جانب من جبل . ويُعلَم باقل نظر ان هذه الصور الجزئية اجزاء من صورة كلية فتجلس تركبها بعضها مع بعض وانت تغيّر اوضاعها الى ان تنظّم منها الصورة الاصلية الكاملة

وهذا شأن الموجودات التي نراها في هذا الكون الواسع فقد بيّن الفيلسوف سبنسر انها كلها اجزاء من صورة واحدة كلية او من كائن واحد كلي والنواميس التي نحسبها خاصة بكل جزء منها او بفريق من اجزائها انما هي تنوُّعات او فروع من ناموس عام شامل لها كلها . هذا هو مغزى فلسفتهِ وقد وصل اليهِ بعد البحث والاستقراء الطويل واقام الادلة على صحتهِ . ولم يقصد بهذه الفلسفة ادراك حقيقة الموجودات ولا ادراك مبدإها ومعادها اي ما كانت عليهِ قبل ان صارت في الصور التي نراها فيها وما تصير اليهِ اخيرًا بل ادراك الاحوال التي هي فيها

وقد قسم الموجودات كلها الى قسمين ما يمكن ان يُدرَك بالعقل وما لا يمكن ان يُدرَك بالعقل . وردَّ كل المسائل المتعلقة بواجب الوجود وعلة العلل او العلة الاولى والغاية الاخيرة الى الدين او الى ما هو وراء الطبيعة او الى ما لا يُدرَك بالعقل البشري لان العقل مقيَّد في بحثهِ بقيود لا يستطيع حلها فلا يستطيع الوصول الى كل الموجودات . ولذلك فما يستطيع العقل ادراكهُ محصور في العلل الثانوية والغايات الثانوية اي في الاسباب التي نراها مباشرة للمسببات وفي النتائج التي نراها تنتج عنها . وقال ان غرض الفلسفة معرفة العلاقة بين النواميس الطبيعية وبين الظواهر المختلفة التي يظهر الكون بها وان الاختلاف بين العلم والفلسفة انما هو في درجة التعميم والتوحيد فكما ان العلم الواحد يضمّ قواعد جزئياتهِ ويؤلف منها علمًا واحدًا كذلك الفلسفة تضم قواعد العلوم كلها وتوحّدها اي تردّها الى صورة واحدة او الى اصل واحد شامل لها كلها . فهي الغاية القصوى التي يصل اليها بحث الانسان . يبتدئ هذا البحث بمشاهدة الحوادث او الظواهر الطبيعية وجمعها وضمّها تحت قواعد تشملها ويتدرَّج في استنتاج الكليات من الجزئيات الى ان يصل الى الكليات الكبرى والقضايا العامَّة . فالمعارف الاولى معارف جزئية فاذا جُمعت وبوّبت صارت علومًا . فالعلوم معارف مجموعة ومبوَّبة او موحَّدة بعض التوحيد فاذا جُمعت هذه العلوم وانضمَّت تحت القواعد التي تشملها وتشترك فيها كلها فهي الفلسفة . ولنوضح ذلك بمثل

رأى الناس من قديم الزمان ان النبات النابت في ارض محروثة يكون اخصب من النابت في جوارهِ في ارض غير محروثة . ووجدوا بتكرار المشاهدات ان هذا الامر عام فبنوا عليهِ حكمًا وقالوا ان حرث الارض يزيد نمو المزروعات . ولنفرض ان هذه هي الكلية الاولى او الحكم الاول

ورأوا ايضاً ان النبات النابت قرب مزارب البقر والغنم او في مكان فيهِ شيءٌ من زبلها يكون انمى واخصب من النبات الذي من نوعهِ وهو نابت بعيداً عن الزبل والسماد . ووجدوا بتكرار المشاهدات والتجارب ان هذا الامر عام فحكموا ان الزبل او السماد يزيد خصب الارض ونمو المزروعات . ولنفرض ان هذا هو الحكم الثاني او الكلية الثانية . ثم بحثوا ونقبوا فوجدوا ان الخصب يزيد في الحالين بتسهيل الاغتذاء على النبات فوحدوا الحكمين تحت حكم واحد او قضية واحدة كلية وهي ان تسهيل تناول الغذاء يزيد نمو النبات . ومن جمع مثل هذه الكليات او الاحكام تألف علم الزراعة او علم الفلاحة

ووجدوا ايضاً ان الفحم او الكربون يتحد بأكسجين الهواء وتتولد من اتحادهما حرارة ويتكوَّن منهما جسم آخر يتحد ببعض المواد ويكوّن منها املاحاً . وان الكبريت يتحد بأكسجين الهواء وتتولد من اتحادهما حرارة ويتكوّن منهما جسم آخر يتحد ببعض المواد ويكوّن منها املاحاً . والفصفور يتحد بأكسجين الهواء وتتولَّد من اتحادهما حرارة ويتكوَّن منهما جسم آخر يتحد ببعض المواد ويكوّن منها املاحاً . فحكموا ان اتحاد المواد بالاكسجين يولّد حرارة ويتكوَّن من اتحادها بهِ اجسام اخرى تتحد ببعض المواد وتكوّن املاحاً مثل كربونات الصودا وكبريتات الحديد وفصفات الجير . ورأوا ان القلويات والحوامض والاملاح تجري على نسب محدودة في مقدار ما فيها من العناصر المختلفة فقد يكون فيها وزن واحد من الاكسجين او وزنان او ثلاثة او اربعة وقس على ذلك غيرهُ من العناصر فقالوا ان المركَّبات الكيماوية اجسام منتظمة البناء فيها قوى محدودة من الجذب والدفع تتألف بموجبها . ومن هذين الحكمين وامثالهما تألَّف علم الكيمياء الواسع النطاق

ووجدوا ان الحرارة تمدد الاجسام والبرد يقلصها وان النور يسير في خطوط مستقيمة وينعكس عن السطوح كما تنعكس الاجسام المرنة واذا نفذ الاجسام الشفافة على خط غير عمودي مال الى الخط العمودي او مال عنهُ حسب كثافة الجسم الذي كان فيهِ والذي نفذ اليهِ وهلمّ جرًّا . وان الحرارة تجري مجرى النور في سيرها وانعكاسها وانكسارها وتجمُّعها وتفرقها فحكموا انها هي والنور من قبيل واحد وانهما درجات من الحركة في دقائق المادة او في دقائق الاثير كما ان الصوت حركة او تموّج في دقائق الهواء او الاجسام المصوتة . فجمعوا هذه المعارف وما ماثلها والّفوا منها علم الطبيعيات او علم الفلسفة الطبيعية . وقس على ذلك سائر العلوم والفنون . فقام سبنسر ونظر في العلوم كلها فرآها مشتركة ويمكن ارجاع نواميسها الى ناموس واحد عام يشملها كلها : رأى مثلاً ان ظواهر الفلسفة الطبيعية يمكن ردها كلها الى فعل القوة

بالمادة وكذلك ظواهر الكيمياء والفيسيولوجيا الحيوانية والنباتية . فأكثر من البحث والتحرّي الى ان ردّ العلوم كلها والظواهر الطبيعية كلها الى اصول قليلة او الى ناموس واحد وهذه هي فلسفتهُ التي وحّدت العلوم وجعلتها علماً واحداً او هي جزء من فلسفتهِ لانهُ لم يكتفِ برد الاشياء الى اصولها والافعال الى مبادئها بالتحليل بل بيّن كيف تتركب الاشياء والافعال من اصولها ومبادئها بالتركيب وهذه هي الفلسفة التركيبية التي كان جلُّ بحثهِ فيها

و يستحيل علينا ان نبين في مقالة واحدة او بضع مقالات كيفية التوصُّل الى توحيد العلوم كلها فنقتصر الآن على ذكر النتائج التي وصل اليها او اعتمد عليها

فالنتيجة الاولى التي اعتمد عليها هي ان القوة ثابتة اي لا تتلاشى ولا تزيد ولا تنقص ولو تحوَّلت من صورة الى اخرى . ويقال ان ذلك من البديهيات او الاوليات التي لا تحتاج الى دليل وعند سبنسر ان القوة هي غاية ما يمكن تصوُّرهُ وثبوتها قاعدة فلسفتهِ وبهِ تعلل كل الافعال الطبيعية تحت شكل المادة والحركة . واذا زالت القوَّة زال معها الشعور . وعندهُ ان ثبوت القوَّة يفوق اختبار الناس لان الاختبار مبنيٌّ على ثبوت القوة فهو اساس الاختبار واساس كل العلوم لانها كلها اختبارات مبوَّبة ومنظَّمة فاذا حلَّلنا معارف الناس نصل اخيرًا الى ثبوت القوة واذا اردنا ان نبنيها ثانية وجب ان نبتدئ من ثبوت القوة . واول فرع يتفرَّع من ثبوت القوَّة ان النسبة بين انواع القوى المختلفة ثابتة ايضاً اي ان نواميس الطبيعة ثابتة لا تتغير وان القوى تتغير من صورة الى اخرى ولكن مجموعها يبقى واحداً في كل الافعال سواء كانت طبيعية او كيماوية او عقلية او اجتماعية وان هذه الافعال كلها جارية على ناموس واحد يشملها كما ان كل فريق منها جارٍ على ناموس خاص بهِ . قال سبنسر في هذا المعنى ما ملخصهُ

" لنفرض ان الكيماوي والجيولوجي والبيولوجي فسَّر كلٌّ منهما ما يحدث في احتراق الشمعة وزلزلة الارض ونمو النبات بحسب قواعد علمهِ ووصل في التفسير الى غاية ما يصل اليهِ العلم فعلل اولها احتراق الشمعة بتولد الحرارة والنور وانحلال دقائق الشمعة بانطلاق الحركة الكامنة بين دقائق المادة . وعلل الثاني زلزال الارض باشعاع الحرارة الداخلية منها وتقلصها وهبوط بعض اجزائها . وعلل الثالث نمو النبات بتأثير النور في حركة دقائقهِ . أفلا يطلب العقل تعليلاً يجمع هذه التعليلات المختلفة ويردها الى سبب واحد كما ان كل تعليل منها يجمع افعالاً مختلفة ويردها كلها الى فعل واحد . وهل تجري الفواعل الطبيعية المختلفة على سنَّة معلومة ولكن مجموعها لا يجري على سنَّة . ان هذه التغيرات المختلفة صناعية كانت او طبيعية آلية او غير آلية نفصل بينها لتسهيل النظر فيها ولكنها في الحقيقة غير منفصلة لانها كلها

تغيرات حادثة في عالم واحد وهي اجزاء من عمل واحد واسع النطاق . فما هو الشيء الذي يجمعها كلها على اختلاف اشكالها الظاهرة وتبايناتها . المادة ثابتة لا تتلاشى والحركة دائمة لا تتلاشى والقوة ثابتة لا تتلاشى ولكن القوة تتغير على الدوام والحركة تسير في اقل الجهات مقاومة فما هو الناموس الذي ترجع اليهِ نواميس المادة والقوة هذا هو مطلب الفلسفة (١)

من هنا جعل سبنسر ينظر في النواميس العامة التي تجري عليها المادة والقوة في توزيعهما واعادة توزيعهما اجمالاً وتفصيلاً لكي يردَّ هذه الافعال كلها الى نظام معقول فقال ان لكل انواع الموجودات ولكل التراكيب التي توجد فيها تاريخاً وهذا التاريخ يشمل كل الزمن بين خروجها مما لا يُدرك بالعقل وبين عودها اخيراً الى ما لا يدرك بالعقل . وهذه الافعال اي توزع المادة والقوة الذي يجري من حين صدورها مما لا يُدرَك الى حين عودها الى ما لا يدرك ويشمل كل الدرجات التي تمرّان عليها وهما في الاحوال التي يدركها العقل — هذه الافعال تشمل عملين متضادين الاول يظهر بجمع المادة واخراج القوة منها كما يحدث اذا تكاثف البخار فصار ماء فان الحرارة تظهر منهُ حينئذٍ . والثاني بامتصاص القوة وتفريق المادة كما يحدث بامتصاص الماء للحرارة وصيرورتهِ بخاراً متفرّق الدقائق فالاول يحدث التحاماً وتحدُّداً والثاني يحدث انتشاراً وتخلخلاً وهذان الفعلان المتضادان هما النشوء والانحلال والعالم كلهُ في تغير مستمر وكل ما يقع فيهِ من التغير كبيراً كان او صغيراً آليًّا او غير آليّ طبيعيًّا كان او حيويًّا او عقليًّا او اجتماعيًّا كل ذلك يردُّ الى هذين الفعلين (٢)

ولم يقتصر سبنسر على الاستقراء في التوصل الى هذه النتائج لاسيما وان الاستقراء يقصر عنها لان اتمهُ ناقص بالنسبة اليها ولكنهُ اعتمد على القياس كما سيجيء فصارت نتائجهُ منطقية مقرَّرة عند الذين يسلمون بمقدماتهِ ويعدونها من البديهيات او العقائد الاولية . وسيأتي الكلام في الجزء التالي على الكيفية التي اتَّبعها في بحثهِ الى ان وصل الى اصول فلسفتهِ

وقد يتبادر الى الذهن من مدلول فلسفة سبنسر" اذا وجدت المادة والقوَّة ومرَّ عليها الزمن الكافي تكوَّن منهما كل مايرى في هذا العالم" انهُ مادي وفلسفتهُ مادية وهذا خطأ لانهُ لم يقل بتكوّن الموجودات من المادة فقط ولا انها تكوَّنت من نفسها بل انهُ لم يحاول البحث عن العلة الاولى ولا عما وراء الطبيعة وذلك بمثابة التسليم بوجودهما مع الحكم بعجز العقل عن ادراكهما

(١) كتاب المبادئ الاولى بند ٩١

(٢) هذه الفقرة الاخيرة ملخصة من مقالة للاستاذ هدصن الاميركي في فلسفة سبنسر

السرطان

واحدث المكتشفات العلمية فيهِ

كلما اكتُشف اكتشاف جديد في العلوم الطبيعية ظنَّ الناس انهُ يمكن استخدامهُ في علاج بعض الأمراض جرياً على قولهم ان المريض يتعلَّق بحبال الهواء فلما كشفت اشعة رنتجن ظنوا انها تفيد في علاج السل والسرطان ونحوهما من الامراض الوبيلة ولكن خاب ظنهم ثم لما كشفت اشعة الراديوم كان اول ما استعملوها فيهِ علاج السل والسرطان وحتى الآن لم يقطعوا الامل من فائدتها . وعساها تفيد في علاج السرطان ولكن تكون فائدتها من نوع فائدة النار في حرق الجراثيم المرضية وقتلها بالحرارة

ومن المرجح ان معالجة السرطان لا تقوم على اساس ثابت الاَّ بعد ان تُعرَف حقيقتهُ وكذلك طرق الوقاية منهُ لا تصير معقولة الاَّ بعد ان تعرَف هذه الحقيقة . وقد ابانت المكتشفات الحديثة ان كثيرًا من الامراض الوبيلة ومن افتكها واشدها خطرًا ناتج عن العدوى بدخول جراثيم صغيرة نباتية او حيوانية الى جسم الانسان تأتيهِ من المصاب بها . فالجراثيم التي تسبب التيفويد والسل نباتية تدخل الجسم مع الطعام والشراب والجراثيم التي تسبب الملاريا حيوانية وتدخل الجسم من لسع البعوض

هذه هي ميكروبات الامراض التي كتبنا فصولاً كثيرة فيها وابنَّا كيفية تولُّدها وانتشارها واتقائها

وقد ظن كثيرون ان السرطان داء ميكروبي له ميكروبات خاصة بهِ وحاولوا اكتشاف هذه الميكروبات او الجراثيم وادَّعى بعضهم اكتشافها ولكن يظهر من المباحث الاخيرة الدقيقة ان هذا الظن باطل اي ليس للسرطان ميكروب خاص بهِ . نعم انهُ قامت بعض الادلة على ان السرطان معدٍ في بعض الاحوال ولكن لم يقم دليل على ان هذه العدوى حاصلة من انتقال جرثومة حيَّة من المصاب الى السليم كما في التيفويد والملاريا . وغاية ما عُرف بالبحث الدقيق حتى الآن من امر السرطان انهُ لا يتولَّد من دخول اجسام غريبة في البنية بل يتولَّد بعصيان بعض اجزاء الجسم وتخطيها ناموس النمو العمومي وسيرها على منهاج غير عادي كأنَّ داء السرطان حرب اهلية تثور في الجسم فتقوم بعض اجزائهِ وتجاهر بالعصيان وتفتك بما حولها من الانسجة فتكاً ذريعاً

والجسم الحي كثير الاجزاء والتراكيب كما لا يخفى وتنتهي اجزاؤُهُ كلها بما يسمَّى بالحويصلات

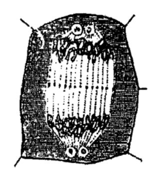
وهي اجزاء صغيرة ميكروسكوبية كل حويصلة منها جسم حيّ في وسطهِ نقطة مركزية تسمى النواة . والحويصلات مختلفة الاشكال والاقدار وتجتمع بعضها مع بعض في طبقات مختلفة تتكوَّن منها انسجة الجسم المختلفة كالعضلات والعظام والدماغ والاعصاب . وينمو الجسم بانقسام هذه الحويصلات فتنمو الحويصلة وتنقسم الى نصفين وينمو كل نصف من نصفيها وينقسم الى نصفين وهلمَّ جرًّا ويبتدئ هذا النمو وهذا الانقسام في البيضة التي يتولد الجنين منها فانها تكون حويصلة واحدة تنقسم الى نصفين وكلٌّ من نصفيها ينقسم الى نصفين وهلمَّ جرًّا الى ان يتولد منها الجنين الكامل



الشكل الاول



الشكل الثاني



الشكل الثالث

وقبلما تنقسم الحويصلة الى نصفين تجري فيها تغيرات كثيرة تسير على اسلوب واحد فتكون في اول الامر كروية الشكل وتتولد فيها اجسام مستطيلة كالخيوط كما ترى في الشكل الاول وتستطيل الحويصلة وتستدقُّ من طرفيها وتجتمع هذه الخيوط في وسطها كما ترى في الشكل الثاني ثم ينشق كل خيط الى خيطين ويجتمع نصف الخيوط عند الطرف الواحد والنصف الآخر عند الطرف الثاني كما ترى في الشكل الثالث وحينئذٍ تستعد الحويصلة لكي تنقسم من وسطها الى نصفين ويصير كل نصف من نصفيها حويصلة قائمة برأسها

ومما عُلم بالاستقراء ان عدد الخيوط في كل حويصلة هو واحد في النوع الواحد من الحيوان او النبات ويبقى كذلك من لدن الولادة الى الممات فقد يكون ٨ او ١٢ او ٢٠ او ٤٠ ولكنهُ لا يتغير في النوع الواحد ولا يستثنى من ذلك الاَّ حويصلات التوليد اي التي يتولَّد منها الجنين فان عدد خيوطها يكون نصف عدد الخيوط في الحويصلات العادية وتكون خيوطها في شكل حلقات او أُطر او اشكال عقفاء ومتى تمَّ التلقيح تتحد خيوط حويصلة الذكر بخيوط حويصلة الانثى فيصير عدد الخيوط في الحويصلة المؤلفة منهما مثل عدد الخيوط في غيرها من الحويصلات . لنفرض ان عدد الخيوط في حويصلات حيوان من الحيوانات ٢٠ فعدد الخيوط

في حويصلة بيضتهِ ١٠ فقط وعدد الخيوط في حويصلة ما تلقح بهِ ١٠ ايضاً ومجموعها ٢٠ ولو كان عدد الخيوط في البيضة ٢٠ وفي ما تلقح بهِ ٢٠ ايضاً لصار عدد الخيوط في الحويصلة المؤلفة منهما ٤٠ ودعت الحال ان يتضاعف عدد الحويصلات في كل عقب من الاعقاب .

والاكتشاف الجديد الذي اشرنا اليهِ في صدر هذه المقالة هو ان حويصلات السرطان مثل حويصلات التوليد من هذا القبيل فيها نصف عدد الخيوط العادية فتنمو بسرعة نمو حويصلات البيضة الملقحة وتتغلب على ما حولها من انسجة الجسم . والذي اكتشف ذلك اولاً عالم نباتي من اساتذة مدرسة العلوم الملكية ببلاد الانكليز وهو الاستاذ فارمر . ويظهر من هذا الاكتشاف ان حويصلات التوليد التي حقها ان تكون في اعضاء التوليد فقط توجد احياناً في بعض انسجة الجسم فتجعل تولّد الحويصلات بسرعة فائقة ومن ثم تتكوّن منها الناميات السرطانية

ومعلوم ان هذا الاكتشاف لا يوضح سبب السرطان ولا يدل على كيفية معالجتهِ ولا على طرق الوقاية منهُ ولكنهُ يشير الى وجود مركّب كيماوي في الجسم يهيج الحويصلات ويغير منهاجها الطبيعي ويجعلها من نوع حويصلات التوليد فاذا كان الامر كذلك فلا يبعد ان يكتشف مركّب كيماوي آخر يقاوم المركب الاول ويبطل فعلهُ

هذا هو الاكتشاف المهم ويتلوهُ في الاهمية اكتشاف آخر عُلِم منذ عهد قريب وهو ان السرطان غير خاص بنوع الانسان بل يشمل كثيرًا من انواع الحيوان فيصيب الخيل والبقر والكلاب والقطاط . وقد عُلم حديثاً انهُ يصيب السمك ايضاً . وهذا يدل على انهُ ليس ناتجاً عن نوع مخصوص من المعيشة لان الانسان والسمك لا يشتركان في شيءٍ من احوال معيشتهما فلا هو ناتج عن اكل لحم البقر كما يقول المقتصرون على اكل الاطعمة النباتية ولا هو ناتج عن اكل الطماطم كما ادَّعى بعضهم ولا عن لبس المشدّ كما قال غيرهُ او عن تدخين التبغ او عن التطعيم بطعوم الجدري كما قال كثيرون فان السمك لا يأكل لحم البقر ولا الطماطم ولا يلبس المشدّ ولا يدخن التبغ ولا يتطعَّم بطعوم الجدري

والظاهر ان قتلى السرطان اكثر عددًا مما يظن لاول وهلة فقد حسب بعضهم انهُ يموت بهِ نحو ثمانية في المئة من النساء اللواتي يمتن فوق سن الخامسة والاربعين ونحو خمسة في المئة من الرجال الذين يموتون فوق هذا السن . وحتى الآن لا يعلم لهُ دواءٌ غير سكين الجراح وهذه لا تفيد الاَّ نادرًا ولكن اذا كُشف سبب الداء صار الوصول الى معرفة الدواء اقرب منالاً . وهذا الذي نرجوهُ في المستقبل القريب

رأي سبنسر في التعليم

عثرت في احد اجزاء مجلة التعليم الاميركية (اديوكاشنل رفيو) على مقالة للاستاذ وليم هرس رئيس دائرة التعليم في الولايات المتحدة ردَّ فيها على ما ارتآهُ الفيلسوف هربرت سبنسر من جهة التعليم في كتابهِ الشهير (اديوكاشن) فرأيت ان أُلخصها ليقف قراء المقتطف على آراء بعض ارباب التعليم العام في البلدان الغربية

من اعظم الامور في فلسفة التعليم امر تنسيق الدروس وتنظيمها بحيث يتلو بعضها بعضاً وتناسب الطلبة في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية. وقد عظمت معارف البشر وتعدَّدت مباحث العلم وتنوَّعت وجوههُ حتى صار يتعذر على الفرد ان يحيط بكل معارف السلف وجل ما يستطيعهُ ان يتناول نتفاً من هنا وهناك او يتفرغ الى الاستقصاء والتعمق في فرع واحد

وقد اضاف هربرت سبنسر الى آداب التعليم كتاباً عرَّض فيهِ بنسق الدروس المتبع في مدارس بلادهِ وعرض رأيهُ في وضع نواميس لنسق افضل وتابع في هذا روسُّو فأشار بالرجوع الى الطبيعة وعنى بذلك درس العلوم الطبيعية وقال ان هذا خير ما يتوخاهُ كل طالب. وافضل العلوم الطبيعية عندهُ علم العمران (السسيولوجيا) وعلم الحياة (البيولوجيا). ولا ريب ان قولاً كهذا لفيلسوف كهربرت سبنسر ينجذب اليهِ الناس ويرون صدقهُ بما يتجلَّى لديهم من الاكتشافات العلمية وما يسمعونهُ في كل يوم عن الاختراعات المفيدة في الطبيعة واستخدامها لمنفعة الانسان وتحويل قواها الى خدمتهِ وتسهيل اعمالهِ. على ان الباحث في فلسفة التعليم المنصف في استنتاجاتهِ المدقق في احكامهِ يعترض على رأي سبنسر لانهُ يرى ان كتابهُ لم يتمشَّ على طريقة علمية في تناول التعليم فان الطريقة العلمية تقضي على الباحث في اي شيء كان ان ينظر في اصلهِ وفصلهِ وكيفية نشأتهِ وارتقائهِ والاسباب الباعثة على ذلك

باي تعليم يشير سبنسر؟ التعليم الذي يشير بهِ سبنسر هو التعليم الذي تستكمل فيهِ المعيشة فكل ولد يدخل المدرسة ينبغي ان يتعلم صناعة استكمال المعيشة وذلك بان يتدرب على الاعتناء بجسدهِ ويتبع عملاً ما في باب المأكل او الملبس او المأوى — وعلى هذا فلا يكون التعليم الاول عندهُ ما يتعلق بحياة الانسان الروحية وما يعدهُ لفهم الكون حسبما توصلت اليهِ المدنية الحاضرة بل ما يرمي الى حفظ الذات مباشرة. على اننا لو عرَّفنا المعيشة المستكملة بقولنا هي إعداد كل فرد حتى يشارك امتهُ في حياتها واختباراتها ويعمل على ترقيتها لرأينا ان هذا يستلزم اعتبار المدنيات السالفة والاطلاع على مباديها التي كانت اساساً أُقيمت عليهِ

مدنيتنا الحاضرة . ولا مشاحة ان حفظ الذات لا يقتصر على مجرد تجهيز الجسد بحاجاتهِ بل يتناول معرفة السلوك الواجب والوقوف على العوائد والازياء وآراء الناس في الحياة والعلم الى غير ذلك من الوسائل التي تمكن الانسان من ان يساكن من حولهُ بدون تخاصم وتباغض. هذه هي المعرفة التي تقود الى حفظ الذات. والفرد الذي لا يتحد مع من حولهُ اتحاداً يحملهُ على ان يشتغل معهم في مصلحة عامة ويظاهرهم فيها بحيث يكون مجمل اعمالهم في خطة الترقي بل يتصرف تصرفاً يأول الى التعطيل والتخريب فمثل هذا يضطرهم الى ان يعارضوهُ ويدوسوهُ تحت ارجلهم . وهنا ينجلي فضل الآداب والدين على الهيئة البشرية ولا جرم فان الغاية منها تعليم المرء كيفية المعيشة مع الناس بتجنب الضار وعمل النافع وعليهِ فهي اهم الوسائل لحفظ الذات

على ان سبنسر يرتإي ان من اول مصالح الولد ان يتعلم الفسيولوجيا ثم يحترف حرفة يضمن بها وسائل التعيش ثم يتدرَّب في حقوق المدنية وآخر الكل يشير بدرس علم الادب والفنون وغير ذلك مما يرد في باب التسلي والتلهي — وهذه يتناولها الانسان في اوقات الفراغ بعد ان يتقدم في العمر

من اقوال ارسطو — الانسان حيوان رامز يعني بهِ انهُ يعبر عن طبيعتهِ بالتشابيه والاستعارات والكنايات وهكذا يفعل الشعراء المجيدون يتخيلون الصورة الكمالية ويحسنون وضعها باستعاراتهم وكناياتهم ويقوم الكتبة ويرسمون افكارهم على صفحات الكتب فتتناقل هذه ايدي القراء وتتناول افكارهم افكار اولئك الكتبة ويلتقي القارئ بالكاتب فيتعارفان ويتبادلان الافكار ويفترقان اما على تفاهم واتفاق واما على تضارب واختلاف . وعلى هذا فيكون علم الادب من اهم فروع التعليم الذي يقصد بهِ انارة عقل الولد بالاطلاع على وجوه الطبيعة البشرية وفهم مقاصد بني جنسهِ واميالهم وبدون هذه الانارة يصعب عليهِ التآلف مع غيرهِ فيصبح مبغضاً للهيئة البشرية يرى يد كل واحد عليهِ وبالنتيجة يدهُ على كل واحد

قال افلاطون في بعض مطارحاتهِ يجلس المرء في مرسح الحياة ويشاهد خيالات الناس والحوادث ترتسم امامهُ على الستار ومن خلفهِ المدير الاعظم لهذه الخيالات التي ليست سوى حركات عامة في الكون او نظامات تتجلى في اربعة اشياء هي العائلة والمدينة والبلاد والديانة . وفي طي هذه تصبح الحوادث الافرادية مجرد اظلال يعللها المرء باختباراتهِ ويعلقها على حقائق كبرى تاريخية

وما المدرسة الا درجة متوسطة بين العائلة ونظامات المجتمع الانساني وتأثير هذه غير تأثير المدرسة ولها وسائط للتعليم مختصة بها لا توجد في المدرسة لا بل هي فوق المدرسة . ففي العائلة يتعلم الطفل لسان امهِ ثم يتدرج في معرفة كيفية الاعتناء بنفسهِ واشيائهِ من حيث النظافة

والترتيب ويتدرب على اكتساب السلوك الذي يعده للهيئة البشرية والعوائد التي تقوى فيهِ بالممارسة حتى تصبح من مبادئهِ واخلاقهِ — كل هذا يتلقاهُ في العائلة التي يشب فيها ويتلقى معهُ ايضاً التعاليم الدينية والوصايا الادبية التي تكون من اهم المقدمات لتلك العوائد والاخلاق

اما الهيئة المدنية فتتناول تدريب الحدث على الاحاطة بحرفتهِ ومعرفة خصائصها وتريهِ بالاختبار المرء احياناً ان تحصيل رزقهِ انما يكون بان يجهز لبني جنسهِ شيئاً ينتفعون بهِ . وعليهِ فمعرفة آداب السلوك وكيفية تصرف الانسان نحو المشتغلين معهُ او نحو الذين هم فوقهُ او دونهُ كل هذا ضروري لهُ كمعرفة طرق الاحتراف نفسهِ . هذا زيد من الشباب الاذكياء الماهرين في صنعتهِ لكنهُ قاصر في معرفة السلوك الواجب نحو الناس فهو خشن الطباع يجاوب بحدة ولا يراعي حاسات غيرهِ فترى الناس يتجنبون التعاطي معهُ بقدر الامكان . فالمهارة في الصنعة لا تؤدي الى قمة النجاح ان لم يصاحبها الحزم في الامور والاستقامة في السيرة واللطف والمعاشرة ولين الجانب في تعاطي الاعمال

وللامة تعليم خاص ايضاً فهي تعلم الفرد واجبات المدنية وتهذبهُ بمجمل اعمالها ومشروعاتها وتؤثر عليهِ بالمنزلة التي تشغلها في العالم . وكما ان تقدم العلوم الطبيعية والفنون المفيدة يحمل الفرد على الرغبة في تحصيلها والدأب في اتقانها هكذا شعور الفرد بأنهُ ينتمي الى شعب عظيم وامة مفلحة يقودهُ الى السعي وتطلب الرفعة

وكذلك الديانة فانها تعلن مقاصد الله في الخليقة وترفع الصورة الكمالية لدى الناس ليسعوا نحوها ويقيسوا اعمالهم وما تبهم عليها واذ ذاك فتعليمها اشد انواع التعليم تأثيراً وافعلها في النفس . ألا ترى ان من يتشبث بمعتقدٍ ما يتصرف حسبهُ ويكيف افكارهُ واعمالهُ عليهِ . وهذه الاوجه الاربعة من التعليم لا توجد في دائرة المدرسة مباشرة ولا يكتسبها المرء الا في دوائرها الخاصة فكم تلميذ قرأ فحفظ ثم خرج الى العالم ظانًّا ان ما في رأسهِ من المحفوظات كافٍ لانجاحهِ وتسييرهِ في خطة العظماء فكان اول شيء خبرهُ ان العالم لا يفتقر اليهِ كما كان يزعم وان مصالح الناس قائمة بدونهِ وان سبيل النجاح ليس بالسهل المنبسط كما كان يتوهمهُ وهو في المدرسة وان الافلاح لا يقوم بمجرد المحفوظ والمقول بل بمقدرة الفاعل على إحكام المفعول وهذه لا تتأتى الا بطول المزاولة والاختبار واحتكاك المصالح بالمصالح والافكار بالافكار

والمدرسة على ضيق مجالها لا تقصر عن ان تنشئ في الولد عادة الاعتماد على النفس وتقويها فيهِ بنظامها وقوانينها ومطاليبها وتدربهُ على استخدام وقتهِ وتكييف سلوكه بحيث يشترك في اعمالها وينتفع بتهذيبها وتفهمهُ باجلى وضوح ان العلم والمعارف والتقدم لا تدرك الا بسعيهِ الخاص ودأبهِ الدائم

اما قول سبنسر ان التعليم هو الموضوع الذي تنطوي فيهِ المواضيع وينتهي اليهِ كل موضوع فقد عنى بهِ التعليم المدرسي وهذا مردود عليهِ كما مرَّ آنفاً فان تعليم المدرسة لا يتضمن كل تعليم وجل ما تفعلهُ المدرسة هو ان تهيئ قوى التلميذ العقلية وتعد لهُ منها ادوات يبحث بها عن حكمة الامة ليتفهمها وان امكن يزيد عليها. والتلميذ الذي يرى في المدرسة نهاية دروسهِ وخاتمة علومهِ وفي الدبلوما ثمرة سعيهِ وابحاثهِ فهو بعيد عن جادة التلمذة متسكع في شعاب الدروس لا يدري اولها من آخرها ومثل هذا يتبرأُ العلم الشريف منهُ وتربحف المدرسة لوجودهِ فيها

ثم ان لتعليم المدرسة ثلاثة ادوار — الدور الابتدائي والدور الثانوي والدور الاخير. وكأَن النفس توجد في برج مظلم لا ينفذهُ الاَّ نور العلم وحينما تمر في الدور الاول من التعليم تنفتح لها طاقات شتى فتهبُّ من سباتها وتطل من تلك الطاقات الى الخارج ثم تمر في الدور الثاني فتنفتح لها طاقات اكبر واعلى ويمتد بصرها في الوجود حتى تدخل في الدور الثالث فتنفتح لها ايضاً الطاقات العليا فتطل منها على الاكوان وما يتجلَّى من مظاهرها الطبيعية

وفي المدرسة الابتدائية يتعلم الولد القراءة والكتابة ويزيد على محفوظاتهِ اصطلاحات حسابية وجغرافية وعلمية لان ما تعلمهُ قبل دخول المدرسة ينحصر بين ثلاثمائة وثلاثة آلاف كلمة هي على الغالب اسماء ذوات ومعان وافعال بسيطة تختص بالاعمال اليومية والمشاهدات العامة لا تناسب للتعبير عن الحقائق العالية ولا تكفي في الانشاء والوصف الدقيق. ففي الحساب يتعلم الاعداد وبعض خصائصها ثم يأخذ الجغرافيا فيتعلم فيها عن تغيرات وجه الارض والعوامل فيها وتوالي الفصول وتفرق النبات والحيوان ويقف على شيء من نسبة الارض الى غيرها من اجرام هذا الفضاء ويقرأُ عن حاصلات الاقاليم المختلفة وكيفية تبادل هذه الحاصلات في متاجر العالم بحيث تنتقل من مصادرها الى كل جهة فيتمثل بذلك ارتباط الهيئة البشرية بعضها ببعض على شدة الاختلاف في الاقاليم والمدنيات ويرى سعي الانسان في تقريب المسافات وقطع الابعاد

وفي درس الصرف والنحو يلاحظ كيفية اشتقاقات الكلمات بعضها من بعض وطريقة تركيبها بحيث تظهر العلاقة المنطقية بين اقسام المركَّبات ويتدرَّب على التمييز بين الاسماء والافعال والنعوت والظروف والضمائر وغيرها من اقسام الكلام فتترقى فيهِ قوة النظر الداخلي ويحرز المقدرة على التمييز بين ما يقال وبين الكيفية التي يقال فيها وينتهي الى ادراك القواعد التي تربط الكلام بعضهُ ببعض. ثم يدرس التاريخ مستودع اخبار الغابرين ومستعلن اعمالهم واميالهم وفيهِ يستكشف مطامع الناس فيلقى منها ما ينطبق على مطامعهِ وما يختلف عنها

ويتتبع الحوادث فيرى في مجموعها سير الافراد في مطامعهم للفوز او للفشل حتى تتلاشى الفردية وتحيي القومية . كل ذلك مع ما يتعلمهُ في كتب الادب من الالفاظ المتفرقة والمعاني الجديدة يصبح في حرزهِ من مفتكراتهِ ومعبراتهِ

ولا مراء في ان الكتبة المجيدين رأوا في الطبيعة غير ما رآهُ غيرهم وقيدوا ما رأوهُ بالفاظ هي درر في الانشاء ومعانٍ هي آيات في البلاغة فاذا تسنى للتلميذ المتنبه عقلهُ الى تحصيل المعرفة ان يتناول مثل هذه الكتب ويقف على ما فيها تنفتح بصيرتهُ الى اشياء جديدة فيرى في الطبيعة ما لم يرهُ من قبل ويتخيل تخيلات لم تجرِ في مخيلتهِ قط . فالادب اذًا يرفع النفس الى طاقة تطل منها على الطبيعة البشرية ويكشف لها عن الاميال التي تلعب باعمال الناس ويريها ان هذه الاعمال تبتدئ اولاً بالشعور البسيط ومنهُ تنتقل الى الافكار والتصورات ثم الى الحركة والاجراء . كل هذا مما تتضمنهُ آداب اللغة وتطويهِ صدور الكتب الشعرية والنثرية ومع ذلك فالمستر سبنسر يضع درس الآداب مؤخرًا عن كل درس ويدخلهُ (ان كان ثمَّ فراغ لهُ) بعد العلوم والاحتراف ومعرفة الاعتناء بالجسد . ولا غروَ فهو لا يرى من هذه الطاقة سوى التسلي والتلهي بخلاف الفيلسوف التهذيبي الذي يرى في علم الادب والفنون ذريعة كبرى في التربية . وعليهِ فالجرائد والمجلات والكتب والمنشآت على اختلاف صبغاتها ومناحيها تمثل لنا صور الحياة البشرية وتظهر اوجه المدنية وتعمل معًا في تكوين الرأي العام الذي يتغلب في عصر الحرية هذا . وحيث لا يتغلب الرأي العام ولا تجري مباحثات حرة على مقاصد الناس الذين حوالينا وعلى نتائج اعمالهم تنشأ المظالم في ظلال الاستبداد المطلق

والباحث في نسق الدروس في المدارس الابتدائية يتعجب من الاتفاق الحاصل في اختيار فروع التدريس ولا غروَ فان ذلك نتيجة اشتغال طويل واختبارات شتى ثبتت معها العمدة وسقطت الفضلة وعلى هذا نجد كل مدرسة تعلّم الحساب والجغرافية ومنتخبات للقراءة والنحو وتاريخ البلاد . وكلما نظرنا في هذه الفروع الخمسة رأينا انها تتناول مدركات الولد وكلاً منها لهُ موقع لا يقوم بهِ الآخر . وعلى هذا النمط تمشي نسق التدريس في المدارس الثانوية من الحساب الى الجبر والهندسة والفلسفة الطبيعية . ويحل محل الجغرافية علما النبات والحيوان وغيرهما من العلوم الطبيعية ويمتد علم الادب الى تاريخ آداب اللغة ويتناول اللاتينية واليونانية اللغتين اللتين لهما التأثير الاعظم على التمدن الحاضر . ويبدل تاريخ البلاد بتاريخ العالم وبالاخص تاريخ اليونان والرومان

وهنا نجيء الى النقطة المهمة في ما اعترض بهِ سبنسر عند تفضيلهِ اوجه التعليم وهي طعنهُ

في درس آداب اللغة و بالاخص درس اليونانية واللاتينية في المدارس الابتدائية والثانوية . واول ما نذكرهُ على سبيل الرد هو ان في اللاتينية واليونانية مجالاً واسعاً لدرس اصول المدنية الحاضرة فضلاً عن ان آداب اليونانية وفنونها الجميلة وفلسفتها ومبادئ العلوم فيها كلها تُظهِر ما يمكن للعقل البشري ان يتصل اليهِ اذا أُطلقت لهُ الحرية . وهذه تآليف افلاطون وهوميروس وهيرودوتس وارسطو ترسم للقارئ اجل صورة عن مبادئ اليونان ورتبتهم في المدنية . ومثل ذلك يقال عن كتابات ليڤي وهوراس وفرجيل وشيشرون ففيها نرى ما توصلت اليهِ رومية في خلال الف سنة من درس الاحكام وتجربتها وسن الشرائع التي تمكن الفرد من ان ينظم شؤون الافراد و يرفعهم الى وحدانية القومية او الدولة . وعليهِ فدرس اليونانية واللاتينية في الدور الاول والثاني من ادوار التعليم في كل البلدان المتمدنة يعتبر كدرس اصول التمدن الحالي . وهربرت سبنسر نفسهُ اذا اراد درس طبائع الضفدع مثلاً فانهُ يفحص عنها من البيضة والعومة الى الضفدعة الكاملة . وكذلك اذا اراد البحث عن السلحفاة والفراشة . وكان الواجب عليهِ ان يرى انهُ اذا كان في التعليم المدرسي ما يوقف الانسان على مدنيتهِ معنويًّا ويشعرهُ بنمو تلك المدنية من عصر الى عصر فذلك التعليم ينبغي ان يشتمل على درس اصول المدنية التي هو فيها . وبهذا الاعتبار نرى السبب في تنسيق الدروس على النمط الحالي ونقول ان الحرب التي اثارها عليهِ سبنسر لا تجدي لانهُ لما لم يعرف السبب الذي قاد مديري التربية الى اعتماد هذا المساق ظن انهُ ليس لهُ اساس راهن واذ ذاك فنقضهُ اولى . هذا وفي الدور الاخير من ادوار التعليم يتعمق الطالب في الفرع الذي يختارهُ ويستقصي في ابحاثهِ بحيث يقف على كل ما ينطوي تحت ذلك الفرع من معارف الغابرين والحاضرين و يزيد عليهِ ان امكن

والخلاصة ان التعليم في الدور الاول من طبيعتهِ ان يكون سطحيًّا لان القصد منهُ درس الحقائق . اما في الدور الثاني فيجري التدقيق في كيفية التفكير وايجاد المبادئ التي تأسست عليها الحقائق السابقة وهذا نوع من الاكتساب العلمي الذي لا بد للطالب من الاحاطة بهِ قبل التقدم الى الدور الاخير الذي تدرك فيهِ الوحدة في المعارك البشرية وتجري المقابلة بين فرع وآخر وتمييز الاهم من المهم . هذه هي مرامي ادوار التعليم الثلاثة وواضح ان مديري التعليم لم يقرروها عن بحث فلسفي في النسبيتها بل تلقفوها خلفاً عن سلف . وكان حريًّا بالمستر سبنسر كفيلسوف ان يستقصي هو في معرفة القصد من وضعها و يرجع منهُ الى اصلهِ كما يفعل لو كان يدرس طبائع النحل او النمل ولعلهُ فرض ان اللاتينية واليونانية كانتا مفيدتين لمَّا

كانتا لغة اهل العلم اما وقد تحولتا عن ذلك فلا يعلل وجودهما في نسق الدروس الاَّ بالرغبة في المحافظة على القديم . وختام الكلام ان موضوع بحث سبنسر في " ما هو افضل شيء نتعلمهُ " اذا خضنا فيهِ نتوصل الى نتيجة مختلفة جدًّا عما توصل اليهِ هو على اننا نسلم ان المسألة لا تزال في حيز البحث والحاجة الى كثرة التنقيب والتروي . انتهى

المدرسة الكلية ببيروت بولس الخولي

التنويم في معالجة الآلام العصبية

من خطبة للدكتور داموجلو القاها في الجمعية الطبية المصرية في جلستها المعقودة في ٦ فبراير

سادتي اجتنابًا للتطويل في تفسير جميع ما اختبرتهُ اكتفي بان اعرض على مسامعكم الحوادث الاربع التالية

❊ الحادثة الاولى ❊ حضر الى محل عيادتي في ١٥ دسمبر الماضي ن . . . س . . . ولهُ من العمر ٢٤ سنة وهو قاطن في شبين الكوم . واخبرني انهُ مصاب منذ شهرين بألم شديد في اعصاب صدغهِ الايمن وقال لي ان المهُ يشبهُ ضرب المطرقة وكان بسببهِ لا يستريح لا ليلاً ولا نهارًا وانهُ استعمل علاجات مختلفة ولكن بدون جدوى وطلب ان اعالجهُ بواسطة التنويم المغنطيسي ولكن قبل ان اباشر شيئًا رأيت ان ارسلهُ الى طبيب الاسنان لاني اردت ان اتحقق انهُ ليس مصابًا باحد امراض الاسنان العصبية واذ ثبت لدى الفحص الطبي ان ليس فيهِ شيء من ذلك نوّمتهُ التنويم المغنطيسي وما شخصت اليهِ بضع دقائق حتى وقع في ثبات عميق . وبعد نصف ساعة افاق واخبرني ان آلامهُ سكنت ثم نام في الليل بكل راحة وهدو . وفي اليوم التالي أعدت تنويمهُ وتركتهُ نائمًا ساعة من الزمان وعندما افاق قال لي انهُ قد ذهبت جميع آلامهِ واراد الرجوع الى بلدهِ فاردت ان اتحقق شفاءهُ النهائي وكلفتهُ ان يرجع اليَّ بعد اسبوع . فوعدني بذلك ولكن لم يفِ بوعدهِ ومضى على غيابهِ شهران لم اسمع عنهُ شيئًا ثم حضر اخوهُ ودفع اليَّ خطابًا منهُ قال فيهِ بعد التشكرات الكثيرة انهُ شفي تمام الشفاء من آلامهِ الصدغية

❊ الحادثة الثانية ❊ كانت قرينة احد ضباط الجيش المصري وعمرها ٤٥ سنة تشكو منذ ستة اشهر من الام عصبية (عرق النسا) في مفصل الركبة اليمنى وخصوصًا في كعب الرجل وكان الضغط على طول مسافة العصب يحدث لها آلامًا شديدة جدًّا ولاسيما عند جلوسها او

اضطجاعها على السرير . وقد وصف لها الاطباء وغيرهم علاجات ما رأت منها اقل فائدة مدة الستة الاشهر المذكورة فارادت ان تجرب التنويم المغنطيسي فبدأت اعالجها في ١٨ يوليو سنة ١٩٠٣ . ولم تمضِ دقيقة حتى نامت نوماً عميقاً ولما افاقت رأت تحسناً يذكر في حالتها . وكانت العيادات اولاً كل يوم ثم كل يومين وبعد كل عيادة وتنويم كان التحسن يزداد شيئاً فشيئاً وبعد ١٣ يوماً شفيت شفاء تاماً ولم يبقَ اثر لدائها ويمكنني ان اقول بكل تأكيد ان الشفاء مستمر ونهائي كما علمت من زوجها اليوزباشي عبدالله سعيد افندي في ٢٧ دسمبر سنة ١٩٠٣ و ٣ فبراير سنة ١٩٠٤

﴿ الحادثة الثالثة ﴾ كانت اميرة من العائلة الخديوية تشكو منذ اربعة اشهر آلاماً عصبية روماتزمية مركزها في الكتف اليمنى وممتدة الى الساعد ومرفق اليد . وكانت الآلام شديدة جداً حتى ان الاميرة ما كانت تحمل ادنى رباط ولا لمس ملابسها وكان من المستحيل ان تبدي اقل حراك في ساعدها او في يدها وقد قاومت هذه الآلام جميع العلاجات التي استعملت لها فاشار حينئذٍ حضرة زميلي الدكتور نجم الدين بك طبيب العائلة باستعمال التنويم المغنطيسي وفي ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٠٣ نوَّمتها اول مرة بحضورهِ فنامت نوماً خفيفاً وعند ما افاقت شعرت بتحسن في حالتها وقالت ان آلامها قلَّت شيئاً يذكر . وقد استغرق التنويم نصف ساعة فقط . ثم بعد ثلث ساعات طُلب طبيب العائلة تليفونياً فرآها تحرك ساعدها الى كل جهة بدون ألم او تعب وفي الليل نامت مستريحة . ولم تشعر بشيء في اليوم التالي حتى الظهر ولكن من الظهر الى الساعة الواحدة بعدهُ رجعت الآلام ولم تكن شديدة وجعلت اوالي تنويمها يومياً بانتظام وكان التحسن يظهر يوماً بعد يوم فخفت الآلام شيئاً فشيئاً الى ٥ ديسمبر حين نومتها آخر مرة وهي العاشرة . وفي تلك المرة نامت نوماً عميقاً مدة ساعة ولما افاقت قالت ان الآلام زالت كلية

﴿ الحادثة الرابعة ﴾ لحضرة رصيفي الدكتور اوفاديا خالة لها من العمر ٥٢ سنة عصبية المزاج كانت منذ ثلث سنوات تشكو المًا عصبيًا في مفصل كتفها اليسرى ممتدًا الى الساعد الامامي مع نوبات عصبية مؤلمة الى الغاية تدوم خمس دقائق او سبع وتتردد كل نصف ساعة وفي حالة النوبة كانت الاصابع تنكمش جميعها بشدة فتترك المريضة كل ما في يدها . واستمرت هذه الحالة بدون ادنى تحسن رغماً عن الوسائط والعلاجات التي استعملت لها الى ان حضرت الى محل عيادتي في ١٥ يناير سنة ١٩٠٤ وطلبت مني ان اعالجها بالتنويم المغنطيسي على سبيل التجربة . وقبل الابتداء في العمل شاهدت نوبة من نوباتها المؤلمة المريعة . وبعد النوبة عملت

لها عملية التنويم فنامت نوماً قليلاً فعند ذلك كنت احرك المفصل المصاب والساعد والاصابع وآمر بزوال الآلام والنوبات

وعند ما افاقت من النوم لم يحدث ادنى تغير في حالتها ولا في مدة الاربع والعشرين ساعة بعد اول عيادة . وفي اليوم التالي استراحت قليلاً بعد ثاني تنويم ونامت في الليل بدون ان تشعر بالم وفي الصباح لبست ملابسها بدون مساعدة احد ولم يكن ذلك ممكناً لها من قبل. وحتى الساعة الخامسة مساء لم تشعر الاَّ بثلاث نوبات لم تستمر سوى بضع ثوانٍ . ونوَّمتها مرتين اخريين في ٧ و ٨ يناير ولم يحدث تغير فيها . اما في الثلثة الايام التالية فلم تشعر بادنى الم لكن كانت النوبات تأتي خفيفة وسريعة الزوال . ونوَّمتها ايضاً في ١٥ يناير . وفي ١٦ منهُ اصيبت بالنزلة الوافدة فاضطرت الى ترك العلاج عشرة ايام . ومع ذلك لم ترجع الآلام ولا النوبات لكن كانت تشعر في اناملها بمثل رعشة او ارتجاف كالذي يحدثهُ المجرى الكهربائي الضعيف وذلك ثلث مرات في اليوم او اربع .

وفي ٢٥ يناير نومتها سابع مرة . ولم ارَها بعد ذلك الاَّ في هذا اليوم اذ اتت لعيادة اخرى واخبرتني انهُ منذ ذلك الوقت لم تشعر بالآلام ولم تحصل لها نوبات وان الارتجاف خف كثيرًا و يكاد لا يظهر

علاقة كوريا باليابان

كتب المستر جوزف لنجفرد الذي كان قنصلاً لبريطانيا في ناكاساكي احدى مدن اليابان الحصينة مقالة مسهبة في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية قبل نشوب الحرب بيَّن فيها ان الحرب واقعة حتماً وفصَّل اسبابها تفصيلاً فرأينا ان نترجم مقالتهُ لانها توضح اسباب الخلاف بين روسيا واليابان ونضيف اليها خريطة كوريا لزيادة الايضاح قال

اذا صممت دولة عظيمة شديدة البأس على ان تضم الى املاكها بلاد دولة اخرى ضعيفة عاجزة وهي تحسب ان ذلك ضروري لها ولازم لسلامتها ولتقدُّم مصالحها في المستقبل. واذا كان هنالك دولة ثالثة عزيزة الجانب شديدة البأس وتحققت ان هذا الضم يهدد كيانها فأقرَّت على احد امرين اما ان تبقى الدولة الضعيفة العاجزة مستقلة او ان لا يستولي عليها احد غيرها. واذا كانت الدولة الاولى قد سكرت بخمرة النجاح المستمر في توسيع املاكها اما بالتفنن في السياسة او بقوة السلاح وهي واثقة تمام الثقة بقوتها الحربية . وكانت الدولة الثالثة واثقة

ايضاً بقوتها تدفعها الى العمل نفسها الابية وغيرتها الوطنية وشجاعة ابنائها وتجادهم التام بعد ان مرَّ عليهم الفا سنة والنصر حليف لهم — اذا كانت الحال كما ذكرنا فالمشكلة اعقد من ذنب الضب لا مخرج منها ولا مناص الاَّ بالحرب

رأت روسيا ان شواطئ كوريا لا بدَّ منها لتتميم تخومها الاسيوية البحرية . فان مرافئها التي على السواحل الشرقية من سيبيريا تملأ بالجليد مدة الشتاء فلا تبقى منها فائدة . وشواطئ منشوريا خالية من المرافئ الصالحة ومرفأ بورت ارثر قليل العمق ضيق النطاق فلا يصلح لان يرسو فيهِ اسطول حربي ولا بارجة من البوارج الكبيرة . اما كوريا ففيها مرافئ كثيرة تفي بكل الحاجات التجارية والحربية اكبرها مرفأ مامنبو على الطرف الجنوبي من كوريا مواجهاً لمضيق شيمونسكي وعلى ستين ميلاً من جزيرة تسوشيمه اليابانية . وهذا المرفأ عميق واسع الاطراف اذا أُنفق على تحصينهِ قليل من المال اصبح عزيزاً منيعاً . وهو خالٍ من الجليد على مدار السنة ويبعد اقل من ٩٠٠ ميل عن لياوبانج احدى محطات سكة الحديد الروسية وبينهُ وبينها سكة حديدية تمَّ بعضها . والدولة التي تستولي عليهِ اذا كانت من الدول البحرية صارت صاحبة الحول والطول في مياه الصين فتجعلهُ قاعدة حصينة لاعمالها البحرية وتخرج منهُ متى شاءت فتنقضُّ على من تشاء من الدول الشرقية الصين او اليابان او المستعمرات الانكليزية فتضربها ثم تنسلُّ الى حصنها الحصين . واذا كان هذا المرفأ في يد دولة فاتحة كروسيا كان منهُ خطر عظيم على اليابان يتهدَّد سلامتها في كل حين

ثم اذا كان مرفأ ما سانبو مفتاح كوريا وكانت كوريا مفتاح اسيا فلا عجب اذا شدَّت اليابان حقويها ونشطت للدفاع عنها وصممت ان لا تدع يداً تمتد اليها غير يدها وان تكون هذه الغاية مطمح انظارها وغاية ما ترمي اليهِ سياستها الخارجية . وقد وضعت هذا الغرض نصب عينيها وقرَّ رأيها على ان تجري وراءهُ مهما كلفها ومهما ضحّت في سبيلهِ من المال والرجال ما دام عندها رجل يستطيع حمل السلاح او سفينة حربية تستطيع الدفاع عن مصالحها

والظاهر انهُ يستحيل على احدى الدولتين ان ترجع عمّا صممت عليهِ . فاذا رجعت روسيا عن مطالبها امام اليابان كان ذلك ضربة قاضية على نفوذها في الشرق الاقصى . فان حدود سيبيريا تتاخم حدود الصين مسافة ثلاثة آلاف ميل ولا يمنع القبائل الصينية والتترية على طول هذا الخط عن تخطي الحدود الفاصلة والاغارة على الاملاك الروسية للسلب والنهب الاَّ اعتقادهم ان الدولة الروسية عزيزة الجانب شديدة البأس لا يصطلى لها بنار . فاذا احست هذه القبائل بضعف روسيا لم يعد يردعها عن الاغارة على املاكها في اسيا رادع فيتعذَّر على روسيا

حينئذٍ حماية تخومها في سيبيريا . واذا رجعت اليابان امام الروس فما هو الاَّ تأجيل اليوم الموعود حين تضطر ان تقتحم لظى الحرب على غير استعداد لها او ترى نفوذها يتلاشى فتهبط من ذروة مجدها ولا تقوم لها قائمة بعد ذلك .

وواضح مما تقدم انهُ لا مناص من الحرب بين هاتين الدولتين والمرجح كل الترجيح ان الضربة الاولى تضرب قبل ان تطبع هذه السطور وتنشر على الملاءِ . واذا صح ما انا منبئ بهِ تكون اليابان قد اقتحمت الحرب الرابعة من حروبها الخارجية وكانت كوريا سبب كل حرب منها . فالحرب الاولى نشبت قبل زمن التاريخ وقد جاء عنها في اساطير السلف ان اليابان اغارت على كوريا ففازت بفتحها وخضع لها ملكها وآلى على نفسهِ ان تبقى مملكتهُ خاضعة لليابان تؤدي اليها الجزية الى ان تتقهقر انهرها وترجع في جريها الى الوراء . واليابانيون يصدقون هذه الرواية . الاَّ ان الخوارق التي يقال انها حدثت اثناء تلك الحرب كافية للريب في صحة ما يروى عنها . ثم بعد اربعة عشر قرناً اغار اليابانيون على كوريا بقيادة هيديوشي الياباني العظيم . وكان مقتدراً في قيادة الجيوش فارتقى بجدهِ ولم يزل يتقلب في المناصب الرفيعة حتى صار نائب الملك واصبح صاحب الكلمة النافذة في البلاد كلها . وعزم ان يكلل فوزهُ الباهر واعمالهُ الحربية المجيدة التي عملها في بلادهِ بافتتاح كوريا . فاغار عليها بجنودهِ سنة ١٥٩٢ للميلاد . واستمرت الحرب ست سنوات انتشرت في اثنائها جنود اليابان في البلاد شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً فدوختها وكان الكوريون غير متدربين على فنون الحرب واساليبها فلم يستطيعوا مناوأة الجنود اليابانية التي كانت مسلحة بالاسلحة النارية . ولم تتخلَّ الصين حينئذ عن نصرة كوريا بل تقدمت لنجدتها لكن ذلك لم يجدِ نفعاً كبيراً فاجلت الحرب عن فوز اليابانيين فوزاً مبيناً . وسنة ١٥٩٨ توفي هيديوشي القائد الياباني فعادت جنودهُ الى بلادها تاركة كوريا خراباً بلقعاً وقد ضربتها ضربة لم تبرأ منها الى الآن

ويظهر من الغنائم التي عادت بها الجنود اليابانية الى بلادها وبعضها لا يزال في هياكل نيكو ان الكوريين كانوا ماهرين في الفنون والصنائع . على ان اليابانيين لم يقتصروا على حمل اسلاب البلاد بل اخذوا منها الصناع ايضاً ففقدت كوريا صنَّاعها مع نفائس مصنوعاتها وانحطت انحطاطاً لم تنهض منهُ حتى الآن . وتقتصر صناعتها اليوم على عمل الحصر والورق وآنية النحاس واما فنونها فمفقودة تماماً . وقد بقي تأثير تلك الغزوة في نفوس الكوريين مع ما مرَّ عليهِ من السنين لان اليابانيين فتكوا بهم فتكاً ذريعاً وساموهم الذل فلا يزالون الى اليوم يلقبون اهل اليابان " بالامة الملعونة "

وكانت كوريا منذ اوائل القرن السابع عشر تبعث بالجزية الى اليابان الاَّ انها كانت تعترف بسلطة الصين عليها وتحسبها حاميةً لها من اعدائها وتطلب مساعدتها في المشاكل الداخلية . وكانت تتشبه بالصين في ديانتها وشرائعها وعوائدها . ولما كانت سنة ١٨٧١ دخلت اليابان في طور جديد من اطوار حياتها فنبذت دفعةً واحدةً كل الاساليب القديمة التي كانت تجري عليها وابدلتها بالاساليب الغربية والتمدن الغربي . وبلغ كوريا ما فعلتهُ اليابان فابطلت تادية الجزية اليها وقامت تعيبها وتندد بها على نبذها التمدن الصيني وابدالها اياهُ بعوائد الغربيين البرابرة . فلما علم اليابانيون ذلك اخذت منهم الحدة والانفة كل مأخذ فقاموا وقعدوا وحرَّضوا الحكومة على الاغارة على كوريا مرَّة ثالثة . على ان مصلحة اليابان كانت تقضي عليها حينئذٍ بتجنب الحروب واتباع السياسة السلمية لان ثروتها كانت قد نفدت بسبب حروبها وثوراتها الداخلية . ولم تكن حكومتها قد تدرَّبت على اصول السياسة الدولية ولاَّ كانت محبوبة من الشعب كلهِ وكانت قد ابطلت نظامها الحربي القديم ولم تستبدلهُ بغيرهِ ووسائط النقل في البر والبحر كانت غير موجودة فيها . واخيرًا تغلبت السياسة الحكيمة على الطيش فتركت كوريا وشأنها . الاَّ ان الامة اليابانية كلها كانت حانقة على الكوريين ولم ترضَ بالعدول عن الحرب وبلغ الغيظ منها كل مبلغ حتى حدثت من جرائهِ ثورة في القسم الجنوبي من البلاد . وقد كتب احد سفراء الدول في اليابان يصف شدة تأثر اليابانيين وغيرتهم الوطنية فقال انهُ لم يكن يمر في شارع من شوارع العاصمة في ذلك الحين الاَّ ويسمع يابانيًّا ينادي باعلى صوتهِ "كوري ! كوري !" اي "الى كوريا ! الى كوريا !" وحولهُ قوم يشاركونهُ في النداء ويرددون صوتهُ

وعلم اليابانيون حينئذٍ ان روسيا تتقدَّم نحو كوريا وانها احتلَّت مكانًا فيها وجعلتهُ قاعدةً لاعمالها . وكانت قد احتلت جزيرة تسوشيمه اليابانية سنة ١٨٦١ ورفعت عليها العلم الروسي وانشأَت فيها بعض المباني . الاَّ ان سفينة حربية انكليزية اتت الجزيرة واعترضت على احتلالها فخرج المحتلون منها . ولما شاع ان بعض الروس احتلوا المرافئ الكورية أُرسلت دارعة انكليزية لتستقصي الخبر وكان كاتب هذه المقالة حينئذٍ من اعضاء السفارة الانكليزية فأُرسل مع الدارعة وطافت حول الجزائر المحاذية وفتشت في المرافئ الجنوبية فلم ترَ اثرًا للروس . وكانت اليابان قد أَبقت في فوزان المرفإِ الجنوبي من كوريا مستعمرة صغيرة من الجنود اليابانية فزارتها هذه الدارعة فوجدت اليابانيين فيها كالاسرى اذا ارادوا الاتجار مع الاهالي يتبادلون الامتعة على حدود المستعمرة التي كانوا فيها ولا يجوز لهم ان يتخطوا حدودها

وحدث تلك السنة (سنة ١٨٧٥) حادث ادَّى الى فتح ابواب كوريا للعالم . وذلك ان

سفينة حربية يابانية كانت سائرة امام قلعة صغيرة فأطلقت القلعة النار عليها فقابلتها السفينة بالقنابل وانزلت فرقة من رجالها فدمَّرت القلعة وعادت بالاسلاب من مدافع ورايات وطبول وعرضتها في معرض توكيو الحربي . وهاج اليابانيون لان كوريا لم تحترم رايتهم فقاموا يحرّضون الحكومة على تأديبها . وكانت اليابان حينئذٍ تختلف كل الاختلاف عما كانت عليهِ سنة ١٨٧١ وقد أحسَّت بقوَّتها واقتدارها فأخذت في التأهب والاستعداد وأنفذت حملةً كبيرة تحت قيادة رجلين من نخبة رجالها وهما قائد عظيم وسياسي اعظم منهُ . ولما وصلت الحملة الى كوريا فُضَّت المشكلة بالسياسة عوضاً عن الحرب وأُمضيت معاهدة بين الدولتين قبلت كوريا بموجبها ان تفتح ميناءين من موانيها لسكنى اليابانيين وتجارتهم . ثم اقتدت سائر الدول باليابان وهكذا انفتحت ابواب كوريا للعالم اجمع

وكانت اليابان وغيرها من الدول في مخابرتها مع كوريا وابرام المعاهدات معها تحسبها دولة مستقلة . على ان كوريا كانت لا تزال تعترف للصين بالسيادة عليها وترجع اليها عند الحاجة وكانت الصين تستعمل سيادتها في شؤون كوريا الداخلية والخارجية ولا سيما في ابقائها على ما هي عليهِ من الجهل والتمسك بالعوائد القديمة

واليابانيون موصوفون بالرقة ولين الجانب الاَّ ان السعد لم يخدمهم في كوريا فان كثيرين من الذين انتقلوا منهم اليها كانوا من الدرجة السفلى سيئي الاخلاق فاسدي المبادىء فأساؤوا معاملة الكوريين المتصفين باللين والدعة حتى اثاروا بغضهم للامة اليابانية وهيجوا احقادهم القديمة عليها . فلما كانت سنة ١٨٨٢ هاجم السفارة اليابانية جمهور من الرعاع الكوريين فأحرقوها ونجا السفير وبعض الضباط الذين معهُ ووصلوا الى الشاطىء على عشرين ميلاً من العاصمة فوجدوا هناك سفينة حربية انكليزية كانت تطوف حول الشواطىء المجاورة فخلصتهم من الموت الزؤَام . ولم يمضِ على هذه الحادثة وقت طويل حتى أُعيد بناء السفارة ومن ثمَّ طلبت اليابان ان تخوَّل الحق بابقاء قوة من عساكرها في عاصمة كوريا كما كانت هي عند اول فتح ابوابها للغربيين تسمح لكلٍّ من انكلترا وفرنسا بابقاء عدد من عساكرها في يوكوهاما لحماية رعاياها فيها لما كانت حكومة اليابان ضعيفة متداعية . واعترفت الصين لليابان بهذا الحق فأبرمت الدولتان معاهدة سنة ١٨٨٥ اتفقتا فيها على ان تضع كل منهما جنوداً في كوريا لحماية مصالحهما على انهُ يجب عليها ان تخبر الدولة الاخرى بذلك قبل ارسال الجنود .

ومرَّت تسع سنوات والدولتان في خصام مستمرّ فان معتمدي اليابان في عاصمة كوريا كانوا ضعيفي الرأي قليلي الخبرة واما الصين فكانت ترسل الى كوريا نخبة رجالها الاذكياء الحازمين

وبذلك حفظت لنفسها النفوذ المطلق في سياسة البلاد الداخلية · ولم تنهج الحكومة الكورية في هذه الاثناء منهج التقدم والاصلاح بل بقيت على ما كانت عليهِ من الضعف والفساد قبل فتح ابوابها لسكنى الاجانب . وكانت تندفع الى العمل بحسب المآرب الذاتية فكانت كل وظائف البلاد المهمة في ايدي اعضاء عائلة الملكة وكان هؤلاء متمسكين بالصين راغبين في تنفيذ اوامرها مهما كانت · وادرك اليابانيون ان تقدم كوريا ونجاحها ضروريان لسلامة امتهم فبذلوا كل ما في وسعهم لادخال الاصلاح في ادارة الحكومة وسياستها ولكن ذهبت مساعيهم ادراج الرياح لان الصين كانت تقاوم كل مشروع يراد بهِ ادخال الاصلاح · وكان الشعب الكوري مثقلاً بالضرائب الفاحشة يثور مرةً بعد اخرى مما يرهقهُ من الجور فتخضعهُ الحكومة اما بجنود اليابان او بجنود الصين. ولما كانت سنة ١٨٩٤ حدثت في البلاد ثورة غير عادية فبادرت الصين لاخمادها وارسلت لذلك جيشاً من نخبة جنودها واعلمت حكومة اليابان عن قصدها عملاً بالمعاهدة السابقة · وكانت اليابان قد عيل صبرها فارسلت هي ايضاً جنوداً احتلت سيول وألحّت بوجوب الاصلاح التام في ادارة شؤون البلاد بعد اخماد الثورة لضمانة الأمن في المستقبل · ورفضت الاعتراف بسلطة الصين على كوريا رفضاً باتاً فتلا هذا الرفض الحرب المعروفة بحرب الصين واليابان · وخرجت اليابان من هذه الحرب ظافرةً في كل المعارك البرية والبحرية · ولما أُبرمت معاهدة الصلح كان من شروطها اعتراف الصين باستقلال مملكة كوريا استقلالاً تامًّا · ورأت اليابان انها اصبحت دولة عظيمة بما فازت بهِ من النصر المبين وما ابدتهُ من القوة الحربية التي لا ينقصها شيء من الشجاعة والمهارة وحسن النظام فخيل لها انها اصبحت مطلقة اليد في كوريا تمهد فيها سبل الاصلاح الذي يعود على بلادها بالتقدم والنجاح · غير ان الزمان ابى الاَّ معاندتها فقامت في كوريا مصاعب جديدة غير المصاعب التي كانت الصين تسببها · واليك بيان ذلك

لما وضعت الحرب اوزارها عدلت كوريا عن سياستها الاولى فوثقت باليابان واركنت اليها · وكانت عائلة الملكة شديدة البغض لليابان والنفور عنها وخشي اعضاؤُها من خسارة مناصبهم وما يرافقها من المصالح والفوائد فقاوموا كل ما من شأنهِ اصلاح الحكومة وتنظيم شؤونها · وكانت اليابان قد انابت عنها في بلاط كوريا رجلاً قليل الخبرة خالٍ من الحزم والنظر في العواقب فكان سبباً لحدوث ما لا ترضاهُ دولتهُ · وتفاقمت الخطوب في عاصمة كوريا سنة ١٨٨٥ وثار قوم من الكوريين وفي مقدمتهم الجنود اليابانية وهجموا على القصر الملكي وقتلوا الملكة وعدداً كبيرًا من اعضاء عائلتها قتلاً فظيعاً · واما الملك فراعهُ هذا العمل وخاف

من الجنود اليابانية التي في عاصمتهِ ومن بعض احزاب شعبهِ ففرَّ الى السفارة الروسية . ومن ذلك الحين قضي على النفوذ الياباني وحلَّت روسيا محل الصين سابقًا فباتت صاحبة الكلمة النافذة في كل شؤون كوريا السياسية . واستبدلت اليابان نائبها الاول بالبارون كومورا السياسي الشهير الذي اصبح اليوم وزير خارجيتها ولكن بعد خراب البصرة

وقد ادركت اليابان منذ بدأَت بالاهتمام في السياسة الخارجية ان الروس ساعون في امتلاك كوريا فلما ضعف شأن الصين بالحرب الاخيرة احتلت روسيا منشوريا وتمت حينئذٍ سكة الحديد الروسية فأصبح ما كان من قبيل الظن امرًا مقرَّرًا . ومهما اختلف اليابانيون في امورهم الداخلية فهم متفقون في نظرهم الى كوريا يقولون انهُ اذا تعذَّر بقاؤُها مستقلة فلا بدَّ من احد امرين اما جعلها تحت حمايتهم او ضمها الى املاكهم . وكانت روسيا على مقربة من كوريا حيث يمكنها ضرب الضربة الاولى متى سمحت لها الاحوال وظهر من تصرف وكلائها انهم مستعدون لاغتنام الفرص وكانوا كلهم من دهاة السياسة فحذرت اليابان من الوقوع في خطائها السابق فأرسلت الى كوريا من نخبة رجالها الاكفاء . ولكن حادثة سنة ١٨٩٥ لم تمحَ من ذاكرة الكوريين فكان الملك ووزراؤُهُ ينظرون الى سفير اليابان شذرًا واما السفير الروسي فكانوا يتوددون اليهِ ويطلعونهُ على اعمق اسرارهم واثقين بهِ كل الثقة

ورأَت اليابان الخطب يتفاقم ومصالحها في تأَخر مستمر فلم يسعها ان ترضَ بالخذلان وجعلت تبذل الجهد في مقاضاة روسيا بالسياسة لتأمن على استقلال كوريا وسلامتها من غير امتشاق الحسام فأَبرمت مع روسيا معاهدتين رسميتين الاولى في شهر مايو (ايار) سنة ١٨٩٦ أُمضيت بين معتمدي الدولتين في عاصمة كوريا وكان احد النائبين البارون كومورا . ومن بنود هذه المعاهدة انهُ يحق لكلٍّ من الدولتين ان تبقي في كوريا عددًا من جنودها لا يزيد على ثمانماية نفس لتحمي بهِ سفارتها وما لها من المستعمرات في العاصمة وغيرها من الموانئ المفتوحة ويحق لليابان ايضًا ان تبقي مئتي جندي من جنودها لتقسم فرقًا صغيرة وتقام في مراكز مختلفة لحماية خط التلغراف الياباني الممتد بين فوزان والعاصمة . وكانت اليابان قد مدت هذا الخط التلغرافي للاغراض الحربية اثناء الحرب بينها وبين الصين ثم بعد نهاية الحرب اتفقت مع حكومة كوريا اتفاقًا رسميًّا على ابقائهِ والانتفاع بهِ . ولم يكن لروسيا اذ ذاك مستعمرات في كوريا ولا مصالح تجارية وكان عدد رعاياها هناك قليلاً فلم يكن لها سبيل للانتفاع من شروط المعاهدة . واما اليابان فكان لها مستعمرات مهمة في كل مينا من الموانئ المفتوحة لتجارة الاجانب واليابانيون الساكنون في كوريا الذين يتعاطون التجارة والصناعة فقط يزيد عددهم على ٢٣٠٠٠

وبيدهم ثلاثة ارباع التجارة الاجنبية . هذا من جهة مصالحها التجارية واما مصالحها السياسية فتفوقها كثيرًا

والمعاهدة الثانية بين روسيا واليابان ابرمت في توكيو سنة ١٨٩٨ بين البارون نيشي وزير خارجية اليابان والبارون روزن السفير الروسي . وبموجبها اعترفت الحكومتان باستقلال الامبراطورية الكورية استقلالاً تامًّا بان تتحاشى كلٌّ منهما كلَّ تعرّض لشؤونها الداخلية وتعهدت روسيا فوق ذلك ان لا تعيق ما يوسع العلائق التجارية والصناعية بين اليابان وكوريا

وكان ملك كوريا حين التجائهِ الى السفارة الروسية في عاصمتهِ سنة ١٨٩٦ قد اعطى لاحد الروسيين امتيازًا بقطع الاشجار في وادي نهر يالو على الحدود الشمالية الغربية الفاصلة بين كوريا ومنشوريا ولم يُعلن هذا الامتياز بل بقي طي الخفاء الى الصيف الماضي حين شاع في توكيو ان عددًا كبيرًا من العمال الصينيين أُتي بهم الى داخل حدود كوريا وهم يقطعون الاشجار لشركة روسية . ثم جاءت الاخبار ان فرقًا من الجنود الروسية من المشاة وفرسان القوزاق قد تبعت العمال بدعوى انها لازمة لحمايتهم من قطاع الطرق الصينيين المنتشرين في قفار منشوريا الى شمال وادي يالو . وكان لا بد للعساكر والمستعمرين الروسيين من ارض ينزلون فيها وكانت قوانين كوريا تحظر على الاجانب شراء الاراضي الاَّ في المستعمرات الخصوصية المتفق عليها على ان الروسيين لم يحسبوا لذلك حسابًا بل قالوا انهم ابتاعوا ارضًا واسعةً من اصحابها الكوريين . وموقع هذه الارض في ينجمبو على خمسة عشر ميلاً من مصب نهر يالو ولم يكد يتم شراء هذه الاراضي حتى قام العمل فيها على قدم وساق من تشييد المنازل الفخيمة وبناء معامل لنشر الخشب وبنوا رصيفًا على شاطئ النهر المحاذي لهم — كل ذلك مما يدل على انهم يريدون ان ينشئوا مستعمرةً كبيرة

والى شمالي هذه المستعمرة على شاطئ نهر يالو المتاخم لمنشوريا مرفأُ انطنج الذي فتح لتجارة الاجانب وسكناهم بموجب اتفاق عُقد بين الصين والولايات المتحدة في الثامن من شهر اكتوبر الماضي ووُقع منذ امد قريب . وبين المرفأَين المذكورين اي مرفإِ ينجمبو ومرفإِ انطنج جزيرة صغيرة في عرض النهر تجعل عبورهُ سهلاً ومن هذا المكان عبرت الجنود اليابانية من كوريا الى منشوريا اثناء حربها مع الصين . ومرفأُ ينجمبو من اصلح مرافئ كوريا ويمكن الزيادة في اصلاحهِ ببذل مقدار قليل من المال فيصبح من افضل المرافئ في كوريا فاذا استولت روسيا عليهِ وعلى مرفإِ انطنج واحتلتهما كما احتلت منشوريا اصبح نهر يالو ومصبهُ في قبضة يدها وسهل عليها منع كل احد من دخولها

وحالما استولت روسيا على الارض لانزال جنودها ومستعمريها اسرعت وبنت قلعة في اعلى مكان فيها وعززتها بالمدافع والعساكر . ثم اخذت تشيد قلعة ثانية على قمة أكمة تشرف على النهر في الشاطئ المتاخم لمنشوريا . ووسعت نطاق عملها في قطع الاشجار توسيعاً عظيماً فاق الحدود التي عينت بموجب الامتياز فاعترضت الحكومة الكورية على هذا التوسيع ولكن لم يجدها اعتراضها نفعاً ثم صدرت الاوامر الى حاكم مدينة ويجو اهم المدن التي على الحدود بان يضع حدًّا لبيع الاراضي بيعاً مخالفاً لشرائع البلاد . فرفع الحاكم تقريرًا الى حكومته يقول فيهِ ان الروسيين يستولون على الارض اولاً ثم يكتبون عقد البيع . ولما سئل سفير روسيا عن ذلك اجاب ان " وادي يالو " المذكور في الامتياز يشمل مسيل النهر من اولهِ الى آخرهِ ومسايل الانهر التي تصب فيهِ وكل البلاد المحاذية لها ولهُ ويتضمن الامتياز عمل كل الاعمال اللازمة لقطع الاشجار والانتفاع بها الى اي حد كان كانشاء الطرق وسكك الحديد ومد خطوط التلغراف وابتياع الاراضي اللازمة للبناء من غير استئذان الحكومة الكورية وزد على ذلك ان لروسيا الحق باتخاذ كل الاحتياطات التي تراها لازمة لحماية رعايا الروسيين الذين يتعاطون هذه الاعمال

ورأَت اليابان ان روسيا ستفعل بكوريا كما فعلت بمنشوريا فانها استأجرت اولاً قطعة صغيرة من شبه جزيرة ليوتنغ التي فيها بورت آرثر ثم جعلت توسع نطاق احتلالها العسكري حتى اصبحت صاحبة السيادة المطلقة في منشوريا كلها . وقد عينت اكثر من مرَّة ميعاد خروجها منها وكلما دنا الاجل الذي ضربتهُ للجلاء وجدت سبباً يمنعها منهُ وزادت جنودها ومعداتها الحربية مما يدل على ان غايتها احتلال البلاد احتلالاً دائماً . فاذا أُطلقت يدها في كوريا اصابها ما اصاب منشوريا

ولما رأَت اليابان موقفها الحرج لجأَت الى السياسة كما فعلت مع الصين منذ نحو عشرين سنة . فاوعزت الى سفيرها ان يلح على الحكومة الكورية بفتح مرفإِ يُنجمبو ومدينة ويجو لتجارة الاجانب وسكنهم . وغرضها من ذلك ان يصير للدول الاجنبية مصالح كبيرة في تلك البلاد فيتعذر على روسيا الاستئثار بالنفوذ والسلطة . وايَّد السفير الياباني في هذا الطلب كلٌّ من معتمدي انكلترا والولايات المتحدة . ولكن سفير روسيا اعترض على ذلك ومنعهُ لان حكومة كوريا آلة في يدهِ فبقيت ينجمبو وويجو مقفلتين في وجه الاجانب . ولما رأَى اليابانيون ان روسيا ارسلت جنودها الى كوريا من غير ان تعلنهم واستولت على اراضٍ غير مفتوحة لسكن الاجانب رغماً عن نصوص القوانين الكورية وسعت في مقاومة التجارة اليابانية بمنعها فتح المرافئ الجديدة ثارت احقادهم فان الصين كانت قد تنازلت لهم سنة ١٨٩٥ عن قطعة صغيرة

في منشوريا بعد انتصارهم عليها ولكن لم يكادوا يدعون فيها قدماً حتى انبرت لهم روسيا تؤيدها فرنسا والمانيا واخرجتهم منها بدعوى ان وجودهم في منشوريا يهدد اركان السلم في الشرق. وكانت قواهم قد نقلت عن اثر حربهم مع الصين وفرغت مستودعاتهم الحربية وامست سفنهم بعد ان بقيت ستة اشهر تحارب في بحار الصين الشمالية في حالة لا تستطيع فيها مناواة خصم جديد فما وسعهم الأ الاذعان لمطالب هذه الدول فخرجوا من ارض امتلكوها بعرق جبينهم ودم رجالهم وفي نفسهم حسرات لهذه المذلة . ثم لما رأوا بعد تلك الحادثة ببضع سنوات ان روسيا استولت على الارض التي اخرجتهم منها عنوة ولم تكتف بذلك بل بسطت نفوذها على كل منشوريا فرغت جعبة صبرهم ولم يعودوا يحتملون هذا الجور فوق تلك المذلة

ولليابان مصالح كبيرة في منشوريا تجارية عاجلة ومعاشية آجلة فان تلك البلاد صالحة لسكنى رعاياها الذين يزدادون عاماً بعد عام فيحتاجون الى بلاد ينتقلون اليها و يعيشون فيها. وتشارك اليابان في المصالح التجارية كل الدول الاوربية ولاسيما انكلترا والمانيا والولايات المتحدة لكن اليابان مستعدة ان تنسى الماضي ولا تطلب في المستقبل الأ ان تتمتع بالحقوق والمصالح التجارية التي أُعطيت لها ولسائر الدول بموجب معاهدة بينهم وبين الصين. واذا وثقت بسلامة كوريا واستقلالها فلا ارب لها في ان تدافع عن حقوق العالم في منشوريا. وهي راضية تحت هذه الشروط بان تعترف بمصالح روسيا الخصوصية التي نالتها في منشوريا وتسمح لها بحماية السكة الحديدية الواصلة الى بورت آرثر حمايةً عسكرية . واما استقلال كوريا وسلامتها فلا بدَّ منهُ لحياة الامة اليابانية وكيانها كامة عظيمة. وكل ما يتهدد استقلالها يتهدد مصالح اليابان المادية والسياسية اكثر مما يتهدد اية دولةٍ كانت . ولذلك لا يمكنها ان تسمح بحدوث اقل شيء مما يجعل استقلال كوريا في خطر عاجل او يتهدده بالخطر الآجل

ولما اشتهر غرض روسيا قام بعض اساتذة كلية توكيو الجامعة ونشروا في شهر يونيو الماضي منشوراً شديد اللهجة الحوا فيهِ على الحكومة ان تبذل كل ما في وسعها لاخراج الروس من منشوريا ولو بالحرب وقالوا انهُ اذا احتلت روسيا منشوريا واستولت عليها فكيف يضمن استقلال كوريا بعد ذلك . ثم اذا اصبحت روسيا سيدة كوريا فلا بدَّ ان يكون غرضها الثاني مهاجمة اليابان ومحاولة استئصالها . ولما التأم مجلس الامة اليابانية في ذلك الحين بدت عليهِ دلائل القلق الشديد لكن الامة اليابانية لم تؤيد الاساتذة المشار اليهم بل قامت جرائدها الكبيرة تندد بمقترحاتهم وتشير على الحكومة بمتابعة المفاوضات مع روسيا ما دام في المفاوضات السلمية بارقة امل . وبقيت روسيا تجيش الجيوش وتعد المعدات وتحصن المواقع الحربية في

منشوريا وتزيد اسطولها في البحار الشرقية زيادةً مستمرةً . فاتضح ان قصدها من كل ما تفعلهُ الزحف على كوريا ولذلك فقد تضطر اليابان الى مبادأتها بالحرب لا رغبة في توسيع املاكها بل لان الحرب هي الذريعة الوحيدة التي بها يمكنها ان تحافظ على ما تعتقد انهُ لازم لسلامتها وبقائها كأمة عظيمة . وليس من دولة ترغب في السلم رغبتها فيهِ ولكنها اذا لم تستطع ان تنال ما يكفل لها بقاء كوريا مستقلةً الاَّ بالحرب فالى الحرب تذهب من غير ابطاء مهما كلفتها ومهما كانت نتيجتها

البحث العلمي والتقدم

من خطبة الرئاسة التي تلاها الاستاذ ايرا رمسن الكيماوي في مجمع ترقية العلوم الاميركي

في ٢٨ دسمبر الماضي

قيل في البند الاول من قانون هذا المجمع " ان غاياتهِ من الاجتماع في اماكن مختلفة ان يمكن العلائق بين خدَمة العلوم في جهات اميركا المختلفة ويبث في الابحاث العلمية روح النشاط ويزيدها انتظاماً ويسهل على ارباب العلوم طرق البحث والتنقيب ويوسع دائرة الانتفاع من ابحاثهم "

فالغاية الاولى هي السعي لاحكام العلائق بين خدَمة العلوم في جهات اميركا المختلفة والثانية هي بث روح النشاط والنظام في الابحاث العلمية والثالثة هي تسهيل طرق البحث والتنقيب على ارباب العلوم وتوسيع دائرة الانتفاع من ابحاثهم . والذين منكم لا يجهلون تاريخ هذا المجمع يعرفون حق المعرفة انهُ قام بما يطلب منهُ احسن قيام وعندي ان كل الذين اعتادوا حضور جلساتهِ منكم يرون ان اهم تلك الغايات السعي في احكام العلائق بين خدمة العلم . ولا بدع فان الغاية الثانية والثالثة تنتجان عن الاولى اذ الاختلاط ومبادلة الافكار تنبه افكاراً جديدة والافكار الجديدة تؤول الى العمل والعمل يؤول الى توسيع نطاق النفع والفائدة

ولما أُنشئ هذا المجمع سنة ١٨٤٨ وقُبل قانونهُ لم تكن هذه البلاد تخلو من بعض العلماء الباحثين . على ان عددهم في النصف الاخير من القرن الماضي زاد زيادة عظيمة وبنسبة ذلك زاد تقدم العلوم . وقد تقدم البحث العلمي في هذه السنين الاخيرة تقدماً عظيماً حتى صار كثيرون يحسبونهُ امراً جديداً لم يعرفهُ اسلافنا الاقدمون على اننا اذا رجعنا الى تاريخ العلوم ونظرنا اليهِ نظرةً سطحية فقط نجد ان العلوم ارتقت ارتقاء بطيئاً وان بداية البحث العلمي ترجع الى اوائل

العصور السالفة وان الانسان منذ اول نشأتهِ لم ينقطع عن السعي لتزيد معرفتهُ بالعالم الذي وُجِد فيهِ . وقد كانت العوامل الدافعة الى البحث مختلفة باختلاف الباحثين الاَّ انها كانت متفقة كلها في امرٍ عظيم وهو الرغبة في معرفة اسرار الكون وادراك غوامضهِ . وكانت هنالك غاية ثانية ايضاً وهي السعي وراء ما يؤُول الى راحة نوع الانسان وسعادتهِ

اذا رجعنا الى تاريخ الكيمياء يتضح لنا كيف كانت هذه العوامل تعمل معاً . فان من اعظم العوامل التي كانت تدفع الانسان للاشتغال بالمواد الكيماوية اعتقادهُ انهُ من الممكن تحويل المعادن الرخيصة كالنحاس والرصاص الى معادن ثمينة كالفضة والذهب . وقد كانت هذه الغاية العامل الاكبر لاقبال القوم على التجارب الكيماوية وكان لها تأثير عظيم في نفوس ارباب العقول منذ قرون بعيدة ولم يتقلص سلطانها الاَّ منذ نحو مئة عام . فالرغبة في الكسب هي التي حملت اولئك العلماء على البحث الكيماوي ولا اقول ذلك تنديداً بهم بل لابين ان الغرض الذي قد نحسبهُ حديث النشأة هو من اقدم الاغراض المعروفة عند الانسان

وبينما كان هؤُلاء الكيماويون يهتمون بتحويل النحاس والرصاص الى ذهب وفضة كان غيرهم من الكيماويين يبحثون عن امرٍ آخر . فانهم لما رأَوا بعض المواد الطبيعية والمصنوعة في المعامل الكيماوية تؤَثر في جسم الانسان اذا تناولها خطر في بالهم ان هذه المواد قد تفيد في معالجة الامراض . ثم خطر لهم ان الامراض نفسها عوارض كيماوية . ولا يخفى ان هذه الخواطر من اشد البواعث التي تدعو الى البحث في خواص المواد الكيماوية . وعلم الكيمياء مديون لابحاث الذين كانت هذه البواعث تقودهم الى البحث

وهكذا نرى ان الباحثين كانوا يقبلون على بحثهم في كل عصر تدفعهم عوامل مختلفة واحياناً نرى الواحد تحملهُ على البحث بواعث شتى . ومهما يكن من ذلك تخليق بنا الشكر لانهُ مهما كانت هذه العوامل مختلفة ومتنوعة فقد حملت الكثيرين على البحث في اسرار هذا الكون . وكانت نتيجة هذا البحث ان الناس خطوا خطوات كبيرة في سبيل التقدم . فلا يكاد يمر بنا يوم حتى نرى من نتائج البحث العلمي ما يدهشنا ويقضي بعجبنا . ويستحيل علينا الآن ان نتنبأ عن الحد الذي تنتهي اليهِ هذه الابحاث المستمرة وعما ستكشفهُ لنا من اسرار الطبيعة وغوامضها وانما يمكننا القول اننا في سعينا لاكتشاف اسرار الكون لم نزل في بدء عصر جديد واننا في اية جهة نظرنا نشعر ان هنالك ميداناً واسعاً لم يزل في ظلمات الخفاء وان كل ما تمَّ من التقدم العظيم في بعض الفروع ليس شيئاً يذكر بالنسبة الى ما لم يكتشف بعدُ . وقد يستولي علينا اليأْس بسبب ذلك على انهُ لا محل لليأْس بل الاجدر بنا ان نسرَّ ونبتهج بان الذين يأتون

بعدنا يرون اكثر مما نراهُ نحن كما اننا نحن نرى اكثر مما رآهُ اسلافنا

ويجدر بنا في مثل هذا المقام ان نسأل "ماذا يربح العالم من البحث العلمي ؟" والسؤَال واسع الاطراف كبير الشأن لا يمكن ان يجاب عنهُ الجواب الشافي وانما يقال ان نتائج البحث العلمي على ثلاثة انواع — مادية وعقلية وادبية

فالنتائج المادية اوضح هذه النتائج فهي تستلفت معظم الانتباه . فان حاجات الانسان المادية اول ما يستدعي اهتمامهُ فهو يحتاج الى الطعام واللباس واسباب الوقاية من الامراض ووسائل النقل وطرق توليد الحرارة ونحو ذلك مما يؤُول الى راحتهِ البدنية وسد حاجاتهِ المتنوعة . وسأكتفي الآن بذكر بعض هذه المسائل التي تتوقف على البحث العلمي

فالمسألة الاولى من هذه المسائل تتعلق بالطعام . ولا يخفى ان سكان العالم في ازدياد مستمر وان البلاد الصالحة للسكن قد سكنت الآن . وفي بعض جهات المعمور زاد عدد السكان عمَّا تحتملهُ البلاد فتوالت عليها المجاعات والاوبئة وغيرها من الفواعل الطبيعية فذهبت بالزائد عنها . فلا يبعد والحالة هذه ان يأتي يوم يضيق بهِ المعمور بسكانهِ على رحبهِ الاَّ اذا جرى المزارعون في استغلال ارضهم على حسب الاصول العلمية اكثر مما يفعلون الآن . وهنا مجال واسع للكيمياء الزراعية لتبين كيف يزاد خصب الارض الجيدة وتصلح الارض المنهوكة فتزيد غلتها . فان طرق تسميد الاراضي الزراعية لم تزل الى اليوم غير وافية بالمراد . واول من اشار بتسميد الارض بالسماد الكيماوي لزيادة خصبها هو ليبغ واضع علم الكيمياء الزراعية فانهُ ذكر بعض وسائل التسميد التي توصل الى معرفتها بعد البحث والامتحان ومنذ ذلك الحين الى الآن لم يزل استعمال السماد الكيماوي او الصناعي يزيد انتشارًا يومًا بعد يوم

ولا يخفى ان معرفة كون السماد الكيماوي مفيدًا هي غير الطريقة لعمل هذا السماد . ففي اول الامر كان الاعتماد على دقيق العظام وزرق بعض الطيور البحرية ثم لما قلَّ وجود هذه المواد وارتفعت اسعارها اقبل الناس على استعمال الفصفات الطبيعي

ولما التأم مؤتمر الكيمياء الدولي في برلين في شهر يوليو الماضي القى الدكتور ادولف فرنك خطبة جليلة الفائدة في استعمال نيتروجين الهواء للزراعة والصناعة وهذا يتعلق بالمسألة التي نحن الآن في صددها . قال انهُ لا بدَّ للنبات من النيتروجين وهذا يؤْتى بهِ الآن من رواسب ملح البارود الموجودة الآن بكثرة في السواحل الغربية من اميركا الجنوبية ولاسيما في بلاد شيلي حيث توجد بمقادير عظيمة . ومن الامونيا التي تتولد عند استقطار الفحم الحجري لاستخراج الغاز منهُ وعند عمل الفحم المعروف بالكوك . وقد بدأ استعمال ملح البارود المستحضر من شيلي منذ

نحو سنة ١٨٦٠ وكان مقدار ما أُرسل منهُ الى البلدان الاجنبية في سنة ١٩٠٠ نحو ١٤٥٣٠٠٠ طن بلغ ثمنها نحو ستين مليون ريال اميركي . وصنع تلك السنة من كبريتات الامونيا نحو خمسمائة الف طن بلغ ثمنها نحو عشرين مليون ريال . ونحو ثلاثة ارباع هذه المقادير العظيمة تستعمل في الزراعة واستعمالها آخذ في الازدياد ولاسيما ملح البارود فيظهر من ذلك ان تقدم الزراعة يتوقف على استعمال النيترات التي تحتوي على النيتروجين . ومقدار هذه النيترات محدود فاذا لم يعمل شيء في هذا السبيل فلا يبعد ان يأتي يوم تمسي فيهِ الارض عقيمة لا تستطيع ان تنتج من المحصولات بقدر ما تنتجهُ الآن لعدم وجود السماد اللازم لها مع ان الحاجة الى الطعام تزداد بازدياد السكان . وقد ثبت من التعديلات الموثوق بصحتها ان مصادر ملح البارود تنفد كلها بعد ثلاثين او اربعين سنة على الاكثر . فماذا يقوم مقامها

قلت ان الدكتور ادولف فرنك التي خطبة في مجمع الكيمياء الدولي تتعلق بالموضوع الذي نحن فيهِ . وقد اشار في خطبتهِ الى كيفية التخلص من هذه المشكلة قال ان في الهواء المحيط بالارض من النيتروجين ما يكفي للقيام بكل الحاجات اما وهو في حالتهِ الطبيعية فلا تمتص منهُ النباتات الاَّ النذر القليل بل يجب ان يكون مركباً تركيباً كيماويًّا كما في النيترات او الامونيا مثلاً حتى يستفيد الزرع منهُ الفائدة المطلوبة فاذا امكن تحويل النيتروجين الذي في الهواء الى حامض نيتريك انحلّت المسألة على ما يرام . وهذا الامر ممكن يمارسهُ الكيماويون الآن . وقد اشار الدكتور فرنك الى طريقة ثانية ايضاً اكثر اقتصاداً من الاولى يمكن بها استحضار النيتروجين بحالة صالحة لتغذية النبات . وذلك ان كربيد الكلسيوم يمكن استحضارهُ الآن بمقادير كبيرة بان يمرّ مجرى كهربائي قوي في مزيج من الفحم والجير . ومن خصائص هذا الكربيد انهُ يمتص كثيراً من النيتروجين الذي في الهواء ويعطيهِ للنباتات اي انهُ سماد جيد . نعم ان هذا الموضوع لا يزال محتاجاً الى بحث كثير ولكن النتائج التي حصلت حتى الآن تبشر بنجاح باهر . فاذا تمّ الامر على ما نرجوهُ فلا يبقى محل للخوف واليأس حينما نسمع ان مصادر ملح البارود تكاد تنفد واذا لم يتم فيمكننا عند الحاجة ان نستند على الحامض النيتريك المستحضر من اوكسيجين الهواء ونيتروجينهِ

وقبل ختام البحث في مسألة الطعام لا ارى بدًّا من الاشارة الى كيفية استحضار المواد التي يتألف منها الطعام بطرق اصطناعية . ويسوءني ان اقول ان العلم لم يتوصل الى اكتشاف شيء يذكر في هذا الصدد وان الكيماويين الذين نجحوا في تركيب المواد الكيماوية نجاحاً عظيماً لم يستطيعوا ان يركبوا مواد تقوم مقام الطعام ولا يرجى انهم يتوصلون الى هذه الغاية في وقت

قريب . على ان نتائج ابحاثهم تشير الى ان استحضار القوت بطرق اصطناعية بتركيبهِ من الماء والحامض الكربونيك الكثير الوجود في الطبيعة لا يخرج عن دائرة الامكان وانهُ لا يبعد ان يتوصلوا في المستقبل الى هذه الغاية . فاذا تمَّ ذلك لا يبقى لزوم للزراعة فلا يتشوَّه جمال الارض بنمو الغلال فيها في اشكال هندسية . وتستخرج المياه من آبار عميقة عمقها ثلاثة اميال او اربعة فتكون حرارتها فوق درجة الغليان فتستخدم لتحريك الآلات وتكون مقطرة في طبقات الارض خالية من كل الشوائب وجراثيم الامراض . ويكون القوت الصناعي ايضاً خالياً من كل الميكروبات فتخف وطأة الامراض عما هي عليهِ الآن . ولا يعود الانسان يقتل الحيوانات ليأكل لحومها بل يصير نوع الانسان اقرب الى الدعة ودماثة الاخلاق

لقد تنبأ الكيماوي برثيلو منذ بضع سنوات ان ذلك كلهُ سيتم بتقدم علم الكيمياء . والموضوع مما تتعشقهُ النفوس ولكن هل يستحق ان يدوم البحث فيهِ ؟ هل يمكن للكيماويين ان يتوصلوا الى تركيب طعام صناعي ؟ اما انا فارى ان ذلك غير ممكن نظراً الى النتائج التي وصل اليها البحث العلمي حتى الآن . ولست اعني ان تركيب بعض هذه المواد الغذائية غير ممكن لان ذلك قد تمَّ على سبيل التجربة ولكن الاجزاء التي رُكّبت منها لم تكن عناصر بسيطة بل كانت من الحاصلات الطبيعية . وقد توصل الكيماوي اميل فيشر الى تركيب كميات قليلة من انواع السكر المختلفة ولكن تركيب السكر من الماء والحامض الكربونيك الموجودين في الطبيعة يعترضهُ من المصاعب ما يجعلهُ من قبيل المستحيلات عملاً

ثم اذا التفتنا الى النشاء والمواد اللحمية التي تتألف منها الاطعمة نرى الصعوبة اعظم مما هي في غيرها فليس في نتائج البحث الكيماوي ما يدل على انهُ يمكن تركيب النشاء او مادة من المواد اللحمية (البروتيدية) تركيباً صناعياً . وهنا اقول ان اميل فيشر بعد ان نجح في تركيب السكر والحامض البوريك انتقل الى البحث في المواد البروتيدية . وقد بلغني انهُ عند ما نزل الى ميدان البحث وشمَّر عن ساعد الجد جعل غرضهُ حلَّ ثلاثة مسائل عظيمة وهي تركيب الحامض البوريك وتركيب المواد السكرية وتركيب المواد البروتيدية . وهو قد تمكن من حلّ المسألتين الاوليين فليتهُ يفلح في حل الثالثة ! ولكنهُ وان استطاع ان يركب مادّة بروتيدية ويعرف ماهيتها فمسألة تركيب مواد الطعام بالصناعة لا تكون قد انحلّت

على ان العلم وان لم يستطع في المستقبل القريب ان يغني الناس عن زرع الارض فهو يعلمنا كيف نزيد حاصلاتها حتى تكفي الناس الذين يأتون بعدنا واذا لم نستمر على البحث العلمي عجزت الارض عن ان تنبت ما يكفي الاجيال المقبلة

وهنالك طريقة اخرى بها يزاد الطعام في الارض وذلك بان يبطل زرع بعض النباتات وتخصص ارضها لزرع ما يصنع الطعام منهُ . مثال ذلك ان في المعمور ارضاً واسعة يزرع فيها نبات النيل وقد اثبت البحث العلمي في السنوات الاخيرة انهُ يمكن صنع النيل في المعامل الكيماوية من مواد لا يحتاج فيها الى زرع الارض . وجاء في تقرير الدكتور برنك مدير احد المعامل الكيماوية الكبيرة لسنة ١٩٠٠ " ان مقدار ما يصنعهُ ذلك المعمل من النيل في السنة الواحدة يزيد على محصول ما تنتجهُ ارض مزروعة نبات النيل مساحتها ٣٩٠ ميلاً مربعاً او اكثر من ٢٥٠ الف فدان" . قال الدكتور برنك "وقد يظن لاول وهلة ان صنع النيل في المعامل والعدول عن زرعهِ في الارض يكون ضربة قاضية على البلاد التي تزرع فيها الآن . على ان الحقيقة خلاف ذلك فان بلاد الهند كثيرًا ما تصاب بالمجاعات الشديدة التي تفتك بسكانها فتكاً ذريعاً ولذلك يحسن بها ان تعدل عن زرع النيل وتزرع الحنطة بدلاً منهُ . واني اعتقد ان حكومة الهند تخدم بلادها خدمة جليلة اذا كانت تحث الناس على زرع الحبوب بدل النيل وتهتم بذلك الاهتمام الواجب "

تكلم كثيرون على العلاقة بين الصحة والبحث العلمي فلا حاجة للاسهاب في هذا الموضوع الآن . فقد نتج عن بحث باستور في الاختبار انهُ عرف اصل كثير من الامراض وهو جراثيم ميكروسكوبية تدخل الجسم فتؤثر فيهِ تأثيرًا يظهر باعراض خصوصية . وقد ثبت الآن ان بعض هذه الجراثيم يفرز مواد سامة هي سبب تلك الامراض . واثبت البحث والاختبار ايضاً انهُ يمكن تحضير ترياق لبعض هذه السموم فيتقى بهِ شرها . على ان اهم هذه الاكتشافات معرفة الوسائط التي بها ينتقل الداء من المصاب الى السليم وهذا يجعل اتقاء الامراض امرًا ممكناً . وفي قلة عدد الوفيات عما كانت عليهِ اوضح شاهد واعظم دليل على اهمية البحث العلمي

ولا يكفي الطعام وحدهُ لتقدم الجنس البشري بل لا بد لهُ من قوة يستخدمها ويكون استخدامها ميسورًا فالحرارة والقوة الميكانيكية لا بد منهما للانسان . اما الحرارة فاهم مصادرها الفحم وبدونهِ تتوقف حركات الانسان واعمالهُ . فاذا نفدت مصادر الفحم ولم يقم مقامهُ غيرهُ قضي على الانسان بالانحطاط والهلاك . وقد نشرت الاحصاءات الموثوق بها تباعاً في هذه الايام عن كل ما يتعلق بمصادر الفحم وزمان نفادهِ فلا لزوم لاعادة ذكرها على مسامعكم وانما اشرت اليها لابين انهُ اذا لم يكتشف الانسان بواسطة البحث العلمي طرقاً جديدةً يستخدم بها القوى الموجودة في العالم فيحولها الى حرارة وقوة محركة فان الجنس البشري ينقرض بنفاد

مصادر الفحم وغيرهِ من الوقود . واعني بغير الحطب من الوقود الخشب وزيت البترول . ومعلوم انهُ كلما زادت الحاجة الى مواد الطعام بتكاثر سكان الارض ضاق نطاق الاراضي المخصصة لزرع الحراج فلا يعتمد على الحطب في المستقبل . واما زيت البترول فمعرفتنا بهِ غير كافية فلا نستطيع ان نتنبأ بما سيكون من امرهِ . ويذهب البعض الى ان مصادر البترول لا تنفد ابداً لانهُ يتولد دواماً من اتحاد الماء بالمواد الكربيدية التي تملأ جوف الارض على ما يقال . فاذا صح هذا المذهب فلا يبقى محل للخوف بل تكون مسألة الحصول على مصادر القوة قد انحلت على اسهل سبيل

وفي المياه المنحدرة مصدر آخر للقوة والناس يتنبهون الى الانتفاع بهذا المصدر يوماً بعد يوم وعاماً بعد آخر . ولا خلاف بان نقل هذه القوة من مكان انحدار الماء نقلاً اقتصادياً لتستعمل في ادارة المعامل البعيدة لم يبلغ بعدُ درجة الكمال على ان السعي وراء هذه الغاية مستمر حتى ان بعض المعامل التي كانت تستعمل الفحم لادارة آلاتها قد عدلت عن استعمالهِ وابدلتهُ بالقوة المتولدة من المياه المنحدرة والشلالات . وكلما زاد التقدم في هذا السبيل قلَّ الطلب على الفحم وقلَّ استعمالهُ فاذا كان على وجه الارض شلالات كافية في مواقع مناسبة امكن ان تستخدم قوة انحدارها لتوليد كل ما يحتاجهُ الانسان من الحرارة والحركة

وكلما تكاثر الانسان على وجه البسيطة تنوعت مطالبهُ وشعر بحاجات جديدة . فالاشياء التي لم يكن يحلم بها في القرن الواحد تصير لازمة لا بد منها في التالي . والشواهد على ذلك لا تكاد تحصى ولكني اكتفي بذكر شاهد واحد كثر التحدث فيهِ هذه الايام وهو عمل الاصباغ الصناعية . فان هذه الصناعة التي كانت مجهولة منذ بضع سنوات قد تقدمت تقدماً عظيماً الان فاوجدت عملاً لالوف من العمال وملايين من الريالات ولا تزال في تقدم عظيم . وسرُّ هذا التقدم ميل الانسان ميلاً فطريًّا الى الالوان الجميلة فقد عودتهُ الطبيعة منذ اول كيانهِ ان تريهُ من اثوابها المزدانة بالالوان البديعة المتنوعة ما غرس في طبيعتهِ ذلك الميل الى الالوان . فكل لونٍ جديدٍ ثابت يستلفت نظرهُ ويروق في عينيهِ . وقد نشأت ايضاً صنائع اخرى اوجدت عملاً لكثيرين . ويقال جملة ان تقدُّم الصنائع وازدياد الطلب على الصنَّاع والعمَّال لم يقابَل بالعدول عن صنائع اخر وانقطاع عمالها عن العمل . فالامر مقرَّر اذاً ان البحث العلمي قد نبَّه الانسان لحاجات جديدة متنوعة فتحت لكثيرين ابواباً للعمل لولاها لم نكن ندري ماذا كانوا يفعلون

ومن اعظم اركان الارتقاء عند الامم تقدُّم صنائعها . وقد استشهد السر نورمن لكير في الخطبة التي القاها في الصيف الماضي اذ كان رئيساً لمجمع ترقية العلوم البريطاني بكلام المستر تشمبرلن قال فيهِ : " لا حاجة بي ان اقول شيئاً عن لزوم التربية العلمية ولا ابالغ اذا

قلت ان كيان هذه الامة كامة تجارية عظيمة يتوقف على هذه التربية . وبقاؤنا في آخر القرن العشرين ولنا السيادة التجارية او على الاقل المساواة بالامم التجارية العظيمة المناظرة لنا متوقف على ما نفعلهُ الآن في بداءة هذا القرن". ثم قال السر نورمن لكير في محل آخر من خطبتهِ ان ثروة المانيا تزيد نحو خمسين مليون جنيه كل سنة لانها اخذت بعض صنائع الانكليز التي اهملوها وحسنتها فربحت منها هذا الربح

قلنا سابقاً ان نتائج البحث العلمي على ثلاثة انواع مادية وعقلية وادبية ولنلتفت الآن من النتائج المادية الى النتائج العقلية . ومعلوم ان حالة البشر العقلية هي نتيجة البحث العلمي لان اكثر مدركات العقل من المعارف الاختبارية . ويختلف الجيل الواحد عن الاخر حسب نظر كلٍ منهما الى العالم فالجيل الذي يرى ان الارض هي مركز الكون يختلف في درجة عقلهِ وادراكهِ عن الجيل الذي عرف مقر الارض في النظام الشمسي وعلاقة هذا النظام مع غيرهِ من النظامات التي يتألف منها الكون . والجيل الذي يعتقد ان كل نوع من الحيوان والنبات خلق في الحالة التي هو عليها الآن يختلف عن الجيل الذي يعترف بصحة ناموس الارتقاء . وكل الحقائق التي توصل الانسان الى معرفتها بواسطة البحث العلمي هي مكسب عقلي اكتسبهُ نوع الانسان وهي اساس الافكار المفيدة ولو لم ينتفع بها كل الناس على حدٍ سوى لان الامم تختلف كاختلاف الافراد . وليس العمدة على تحصيل المعارف بل على العمل بها فان الانسان قد يكون عالماً نحريراً ولا يكون من علمهِ نفع لانهُ لا يكون عاملاً بهِ . فدرجة الامة من حيث مقامها العلمي تقاس بامرين احدها مقدار علومها ومعارفها والثاني استعمالها هذه للعلوم والمعارف في اعمالها اليومية . ويتوقف ارتقاء الامة العقلي على جريها حسب الاصول العلمية في حل المسائل العقلية . وكلما زاد ارتقاؤها العقلي عرفت كيف تجري في حل مشاكلها . ولما كانت درجة هذا الارتقاء هي نتيجة البحث العلمي فواضح ان الامة التي تجري بحسب الاصول العلمية هي التي تسبق غيرها من الامم في التجارة والصناعة

اما النتائج الادبية من البحث العلمي فغير معروفة وانما لي كلمة اقولها في هذا المقام وهي ان الاستقامة اهم مزايا البحث العلمي وان الغاية الوحيدة من العلم معرفة الحق والسير بموجبهِ . واهم شروط التقدم العلمي التدقيق التام والامانة التامة والاستقامة التامة . وعندي ان من يجري على الاساليب العلمية تؤثر فيهِ حتى يصير الحق ديدنهُ ويصير مثل افضل المتدينين ولو كان الدافع لهُ الى الفضيلة غير ما يدفع رجال الدين اليها . ولكن معرفة الحقائق معرفة مجرَّدة لا تكفي لاستقامة السيرة عند اكثر الناس ولذلك لا يقوم العلم الآن مقام الدين ولا اخالهُ يستطيع

ذلك في المستقبل · ومتى زال من عقول الناس الاعتقاد بان الدين والعلم خصمان متضادان (وهو يزول الآن شيئاً فشيئاً) يتفق الاثنان في ما يختص بسلوك الانسان

اما الوسائط المبذولة لتنشيط البحث العلمي في هذه البلاد فلم تكن على شيء الاَّ في الربع الاخير من القرن الماضي · وكان البحث قبل ذلك قليلاً جدًّا الاَّ انهُ شاع بعدئذٍ كثيرًا · والسبب الاول في شيوعهِ ان مدارسنا الجامعة صارت تجري في نظامها على حسب الاصول المستعملة في المدارس الالمانية وهي مبنية على البحث والتمرين العلمي العملي فزاد عدد المتخرجين فيها بازدياد الحاجة اليهم · ففي اول الامر لم يجرِ كثيرون في هذا السبيل ولكن لم يمضِ وقت طويل حتى زاد الطلب على المتخرجين هذا النوع من التخرُّج العلمي فصار ارباب المدارس يفضلون الذين قرنوا العلم بالعمل في اختيار الاساتذة لمدارسهم وابت بعض المدارس الكلية ان تستخدم استاذًا ليس معهُ درجة دكتور في الفلسفة لان هذه الدرجة عنوان قرن العلم بالعمل · وزاد الطلب على هؤلاء العلماء بزيادة عددهم وانشئت مدارس جامعة جديدة واقتدت بها المدارس القديمة في قرن العلم بالعمل حتى شاع البحث العلمي في البلاد كلها من اولها الى اخرها وزاد زيادة بالغة عمَّا كان عليهِ قبل ذلك بعشرين سنة او ثلاثين · وكثيرون من الذين اخذوا في البحث العلمي عكفوا عليهِ واولعوا بهِ وعزموا ان يوقفوا انفسهم لهُ · وقد تيسرت وسائل البحث فيجد كل باحث الوسائل الكافية لمساعدتهِ على البحث · ولا خوف من ان يضيع احد من الباحثين لان العيون تترصدهم من كل مكان والمطلوب اكثر من الموجود · وغني عن البيان ان جزاءهم المادي ليس على قدر ما ينالهُ غيرهم من المفلحين في الاعمال الاخرى · وما دام الحال كذلك لا يُقبِل كثيرون من النوابغ على البحث العلمي كما نحب ولكن اذا استمرَّ هذا التقدم في الربع الاول من القرن الحاضر على ما كان عليهِ في الربع الاخير من القرن الماضي فلا ريب اننا نباري اعظم امم الارض في البحث العلمي · وفي اعتقادي ان هذا التقدُّم يتوقف على تقدم مدارسنا الجامعة لانهُ اذا لم يتخرَّج كثيرون في البحث العلمي يبقى عدد الباحثين قليلاً ولا بدَّ من عدد كبير لكي ينبغ منهم العدد الكافي

ومما يساعد على البحث العلمي في هذه البلاد تنشيط الحكومة لهُ في دوائرها العلمية المختلفة فان ادارة المساحة الجيولوجيَّة ومكتب الزراعة ومساحة السواحل ومكتب المقاييس وغيرها من الدوائر تساعد مساعدة كبيرة على بث روح العلم العملي في البلاد

ولا بدَّ لي قبل الختام من ان اشير الى عملين عظيمين لتنشيط البحث العلمي وقد استلفتا انظار العالم · واعني بهما دار كارنجي العلمية التي وهبها عشرة ملايين ريال ودار ركفلر العلمية

المخصصة للبحث الطبي ولا ريب في انهُ يهبها مالاً وافراً . ولم يمضِ بعد على تأسيس هاتين الدارين وقت كافٍ حتى يمكن للباحث ان يبدي رأيهُ فيهما على انهما لا بد ان تكونا عاملين قويين في تقدم البحث العلمي اذ تمكنان الباحثين من متابعة بعض الابحاث التي لولاها لا يمكنهم متابعتها

وقد كان هذا المجمع اكبر عامل في تقدم العلوم في هذه البلاد عمّا كانت عليهِ قبل سنة ١٨٤٨ . ولا ريبَ في انهُ سهَّل سبل البحث على العلماء ووسَّع دائرة النفع من ابحاثهم

البنك السلطاني العثماني

نشرت جريدة المورننغ بوست في غرة يونيو (حزيران) سنة ١٨٦٣ ما تعريبهُ " ان التقرير الذي رفعهُ اللورد هوبار عن الانقلاب الذي جرى في المملكة العثمانية وقع في محلهِ لانهُ جاء ابان المناقشات الدائرة في هذا الشأن في مجلس النواب . فان جلالة السلطان (عبد العزيز) دوَّخ العصاة ثم ابدى لهم من التوَدة والحسنى ما حملهم على الطاعة عن رضًى واخلاص فزادت الايرادات ثلاثين في المئة واجرى من الاصلاحات التجارية ما زاد في التجارة الخارجية والحاصلات الداخلية زيادة كبيرة فضلاً عن اقتصاده في نفقات الادارة وعن تنظيم الجنود

" ففي بداءة سنة ١٨٦٢ بلغت ديون الدولة العثمانية عشرين مليوناً من الليرات الانكليزية تسعة ملايين منها من القوائم وعشرة ملايين وتسعمائة الف من الدين السائر

" وقد عني الباب العالي واللجنة الانكليزية بتصفية هذا الدين فبلغا امنيتهما بالتدريج ودُفعت قيمة القوائم من القرض المعقود في السنة الماضية

" واما الدين السائر فقد سُدّد منهُ ثلاثة ملايين ونصف مليون وأُبدلت ١٥٩٥٠٠٠ ليرة بقراطيس بعضها بفائدة ١٢ في المائة والبعض الآخر بفائدة ٦ في المائة ودفع ٤٥٠٠٠٠ ليرة قيمة المتأخر من رواتب الجند عند استيفاء الضرائب . فاصبح نجاح الدولة العثمانية من الامور التي لا يرتاب فيها "

وجاء كلام المورننغ بوست هذا بعد صدور ارادة سنية في ٤ شباط (فبراير) سنة ١٨٦٣ بانشاء البنك السلطاني العثماني ليكون عليهِ اعتماد الدولة العثمانية جريًا على العادة المألوفة في الممالك الغربية . فاتت تلك الارادة مصداقاً لما قالهُ فؤاد باشا للمسيو دي لافاليت سفير فرنسا قبل ذاك التاريخ بعامين عند ما المع السفير الى وجوب اصلاح المالية العثمانية وفتح طرق للمواصلات وتأسيس بنك فكان جواب الوزير : " مهلاً يا سعادة السفير سترى عما قليل بنكاً

وطرقاً سترى هذا كله"

وكان فريق من متجولي الانكليز والفرنسيس وقد جاؤوا الاستانة للنظر مع رجال الدولة في شؤون المالية العثمانية. فبعد المخابرة مع الباب العالي تألفت لجنة لذلك عدد اعضائها خمسة عشر جميعهم من ذوي المقدرة المالية

ولا يصح القول ان اهم بنوكنا اليوم هو اول بنك اتخذ هذا الاسم فقد كان قبلاً بنك عثماني تأسس سنة ١٨٥٦ مركزه في مدينة لندن ورأس ماله ٥٠٠ الف ليرة انكليزية وكان له شعب في ولايات السلطنة العثمانية لكن لم تمنح له الامتيازات التي نالها البنك الجديد مثل اصدار الاوراق المالية ونحوها . فلهذا نحسب ان البنك العثماني كما هو اليوم لم يؤسس الا سنة ١٨٦٣ وجعل رأس ماله اولاً ٢٧٠٠٠٠٠ ليرة انكليزية فاصبح ٤ ملايين سنة ١٨٦٥ و١٠ ملايين سنة ١٨٧٤ دفع نصفها ولا يزال هكذا حتى الآن (١)

اول ما بدأ به البنك السلطاني العثماني انه اصدر سندات بمئتي مليون من الفرنكات قيمة الواحد منها الاسمية ٥٠٠ فرنك بفائدة سنوية ٦ في المائة أُخذ منها ٣٠٠٠٠٠ سند بسعر ٣٦٠ فرنكاً والمائة الف الباقية بسعر ٣٤٠ فرنكاً . وفي سنة ١٨٦٥ اصدر قرضاً ثانياً بمائة وخمسين مليوناً من الفرنكات بسعر ٣٣٠ فرنكاً الخمس مئة فرنك وفائدة ٦ في المئة ايضاً

وكانت مدة امتيازه ٣٠ سنة فجعلت ٥٠ سنة ثم ٦٢ سنة ابتداؤها سنة ١٨٦٣ وانتهاؤها في ٤ آب (اغسطس) سنة ١٩٢٥

ومركز البنك الاستانة ونواب ادارته في عاصمة السلطنة العثمانية سبعة تعينهم لجنتان مقيمتان في لندن وباريس مؤلفتان من ٢٦ عضواً ١٠ منهم فرنسويون او مقيمون في فرنسا و١٠ انكليز او مقيمون في انكلترا و٦ نمساويون او مقيمون في النمسا (لكن هذا الشرط الاخير لم يعمل به حتى الآن) ولا بدَّ لمديري اعمال البنك في الاستانة وهم ثلاثة من مصادقة الباب العالي على تعيينهم . وللباب العالي ايضاً حق في تفقد اشغال البنك بواسطة مأمور خاص معه محاسبجي لاجل مراقبة الحسابات الجارية بين خزينة الدولة والبنك

قلنا ان للبنك العثماني وحده الحق في اصدار اوراق المعاملة لكن هذه الاوراق لا يتم ابدالها بنقود الاّ في الشعبة التي تكون قد اصدرتها وقد تبدل هذه الاوراق في العاصمة عندما ترى الادارة صواباً في ابدالها . ولاصدارها يقتضي ابداع ثلث قيمتها على الاقل ذهباً وفضة

(١) انشئ سنة ١٨٤٩ بنك باسم «بنك الاستانة» أُقفل بعد سنتين من تأسيسه تاركاً وراءه خسارة ستين مليوناً من القروش

معاملات البنك

معاملات البنك على وجهين :

معاملاتهُ مع الجمهور ومعاملاتهُ مع الخزينة. فمعاملاتهُ مع الجمهور تتعلق بقطع الكمبيالات وما شاكلها من السفاتج التجارية وبسحب التحاويل وتسليف النقود حسب الشروط المرعية وبالنتيجة فانها تتناول اشغال البنوك التجارية من كل انواعها

واما معاملاتهُ مع الخزينة فانها تجعلهُ بصفة صراف للدولة عليهِ الدفع والقبض لحساب الخزينة وبموجب اتفاق أُبرم سنة ١٨٨٦ يضطر الى تسليفها مقداراً محدوداً من المال

فهل قام البنك بما يطلب منهُ من الوجهين هذا ما نقصد البحث فيهِ في اسطرنا التابعة

معاملاتهُ مع الجمهور

اذا اجلنا الطرف في اشغالهِ مع الجمهور رأَينا فيها بعض التقصير . فان معاملاتهِ التجارية لم تجيءْ مطابقة لرأس مالهِ ولا لامتيازاتهِ ولا لشعبهِ الثمان والعشرين في داخلية السلطنة ماعدا مركزهُ في الاستانة ووكالتين في باريس ولندن . وقد يعتذر عن ذلك بعدم صلاحية البلاد اقتصادياً لتوسيع معاملاتهِ مع التجار والصناع والمزارعين بسبب ما يجد فيهم من التقيد في اشغالهم وخلوهم من الاقدام على المشاريع الخطيرة. لكننا نرى في اشغال البنوك الخصوصية ما يدحض هذا العذر لان هذه البنوك تجني الارباح الطائلة. وندر من جرتهُ اشغالهُ الصرافية الحقة الى الخراب الذي يخشى البنك العثماني الوقوع فيهِ . فاذا قابلنا اشغالهُ التجارية مع اشغال زملائهِ في بعض الممالك رأَينا بوناً واضحاً بين الفريقين. ويعز علينا ان نذكر ادارتهُ بما قالهُ ساي "اقر علناً ان الخدمات التي يؤَديها بنك فرنسا كانت تزداد كبراً في عينيَّ لو الحق بمساهميهِ بعض الخسارة من الاموال الغزيرة المودوعة في صناديقهِ . واذا عارضني احد في قولهِ ان على الشركة اتقاء الخسارة ما استطاعت الى ذلك سبيلاً اجبتهُ : خوّل بنوكاً غير بنك فرنسا امتيازات كامتيازاتهِ تحصل منفعة للجمهور من تنافس الاضداد دون ان يمسهم اذًى اذ ان في زيادة اصدار اوراق المعاملة ملجأ من خسائرهم"

معاملاتهُ مع الخزينة

اذا رأَينا تقصيراً في اشغال البنك التجارية فلا يصح ان نعزو اليهِ التهامل في قضاء مهمتهِ كصراف لخزينة الدولة . فان الدولة العلية لقيت في البنك اكبر مساعد لها في عقد قروضها منذ انشائهِ وفي تسليفها النقود لآجال قصيرة وان يكن برباً يخلق بالوطني استهجانهُ

ذكرنا آنفاً الاحوال التي انشئ البنك في خلالها والامتيازات التي مُنحها وقد أُبرمت

اتفاقات عديدة بين الدولة العلية والبنك نورد اهمها

اولاً اتفاق ٢٩ ايار (مايو) سنة ١٨٨٦ القاضي بتسليف الخزينة ٧٥٠٠٠٠ ليرة عثمانية بفائدة ٧ في المائة بدلاً من ٢٧٠٠٠٠٠ ليرة كما كانت الحال منذ ١٨٧٥ . والتسليف المتفق عليهِ سنة ١٨٨٦ مضمون بوديعة سندات من الدين المحول تبلغ قيمتها ٣٥١٧٥٠٠ ليرة عثمانية

ثانياً اتفاق ٢٠ ايار (مايو) سنة ١٨٩٣ الخاتم بتسليف الحكومة مليوناً من الليرات العثمانية بذات الفائدة والضمانة . لكن هذه الضمانة تحولت سنة ١٨٩٦ الى سندات من القرض المعقود تلك السنة (١٨٩٦) قيمتها ٧٨٦ ٩٥١ ليرة عثمانية بعد ان منح البنك حق جباية اعشار بعض الالوية حتى استيفاء مبلغ ٨١٠٠٠ ليرة عثمانية أرصدت مكافأة لهُ على اشغالهِ الصرافية . وفي ٤ كانون الاول (دسمبر) سنة ١٩٠١ صدر قرض بقيمة ١٢٥٤٠٠٠ من الليرات العثمانية مقسوماً الى ٥٧ الف سند قيمة الواحد منها ٢٢ ليرة اشترى البنك ٢١ الفاً منها واخذ السندات الباقية بدلاً من الضمانة الاولى المؤلفة من سندات قرض سنة ١٨٩٦

وفضلاً عن هذا فان البنك مكلف بدفع كبونات القروض التي شملتها ارادة محرم وسنداتها وشراء هذه السندات لحساب ادارة الديون العمومية

يتعاطى البنك هذه الاشغال والنجاح حليفهُ منذ انشائهِ الى اليوم حتى افيض عليهِ من الارباح ما جعلهُ في مصاف البنوك الكبرى في المسكونة . فالاثنتا عشرة سنة الاولى بدت لهُ باسمة الثغر وزع فيها على مساهميهِ ارباحاً بلغ بعضها ٥٦ في المئة وذلك سنة ١٨٧٤ اي عند توزيع اموالهِ الاحتياطية وانضمامهِ الى البنك النمساوي العثماني . واما متوسط ارباح مساهميهِ منذ تأسيسهِ الى اليوم فقد بلغ ما يزيد على ٩ في المئة سنوياً وهذا رغماً عن ازمات سني ١٨٧٦ الى ١٨٧٨ و١٨٩٥

ومما يؤيد قولنا تصاعد اسهمهِ في هذه الآونة الاخيرة بداعي توحيد الدين العثماني الذي كانت لهُ اليد الطول في ابرازهِ من القوة الى الفعل . اذ ان الارادة السنية التي تعلقت على توحيد الدين خصصت مبلغ ١٤٦٠٠٠٠ ليرة عثمانية للصاريف وهذا ما يتيح للبنك ان يزيد ارباحهُ زيادة كبيرة هذه السنة . واذا نظرنا الى المستقبل رأينا في اصدار الاسهم والسندات التي لا بد منها لسكة حديد بغداد باباً رحباً للارباح الطائلة . والارقام الآتية تدل احسن دلالة على الثقة التي احرزها البنك وعلى توفق ادارتهِ الى تحسين مجرى اشغالهِ تباعاً [وهي بالليرات الانكليزية

سنة	اوراق المعاملة	الحسابات الجواري	الودائع لازمنة محددة
١٨٩٧	٦٩٢٠٠٠	٥٠٤٥٠٠٠	٦٤٩٠٠٠
١٨٩٨	٨١١٠٠٠	٦٧٣٩٠٠٠	٦٩٣٠٠٠
١٨٩٩	٨٣٢٠٠٠	٦٥٠٦٠٠٠	٧٨٠٠٠٠
١٩٠٠	٨٤٦٠٠٠	٦٣٢٤٠٠٠	٩٦٠٠٠٠
١٩٠١	٨٨٠٠٠٠	٦٥٢١٠٠٠	١١٥٢٠٠٠
١٩٠٢	١١٠٧٠٠٠	٧٢٩٠٠٠٠	١٢٧٦٠٠٠

ونستلفت نظر القراء بنوع خاص الى اوراق المعاملة . فهذه كما يرى من الجدول السابق تضاعفت في غضون ست سنوات . ولولا العراقيل التي توضع في سبيلها لكثر التداول بها . فان النقود من ذهب وفضة المتعامل بها في تركيا لا تبلغ سوى ٤٥٠ مليونًا من الفرنكات حسب تقدير بعض الاحصائيين واذا اضفنا الى هذا المبلغ قيمة أوراق المعاملة اي نحو ٢٥ مليونًا من الفرنكات بلغ المجموع ٤٧٥ مليونًا من الفرنكات اي انهُ يصيب كل واحد من السكان ١٧ فرنكًا يقابل ذلك ١٠٣ فرنكات في المانيا و١٣١ فرنكًا في الولايات المتحدة و٨٧ في انكلترا و١٨٥ في فرنسا

فمن هذه الارقام يستدل على ان النقود المتداولة في تركيا لا تفي بحاجة السكان والبنك يلقي التبعة على سكان الولايات العثمانية فانهُ يعزو اليهم عدم الرغبة في اتخاذ اوراق البنك كعملة يتعاملون بها

وقبل ان نختم هذه السطور يخطر ببالنا توجيه نظر ذوي الامر الى خلل نجدهُ في ادارة المحاسبة وهو خلو جرائدنا العربية من ميزانيات البنك العثماني الشهرية ومن تقاريره السنوية . فلا يغرب عن ادارة البنك ان هذه العادة اي نشر الميزانيات في الجرائد تجري عليها البنوك في كل الممالك الاجنبية واننا نأسف حين التجائنا الى الجرائد الغربية لنطالع فيها ميزانيات البنك العثماني الذي جعل مركزهُ عاصمة السلطنة العثمانية ونحن لا نرى مسوغًا لهذا الخلل سوى كون البنك ليس لهُ من العثمانية الأ الاسم

بارا (البرازيل) يوسف ضاهر

الاغاني ووفيات الاعيان

موازنة بين كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني وكتاب وفيات الاعيان لابن خلكان

توطئة في ان تراجم النبهاء منابت النجاح

هي تراجم النبهاء في كل علم وصناعة وشأن شُعَل الرغبات الخامدة واثارة الهمم الجائمة وايقاظ العزائم الراقدة تبعث على اقتصاص آثارهم واستقصاء اخبارهم لانتهاج مناهجهم تشوقاً الى الانتظام في سلكهم والاحصاء في عدادهم وذلك بالاحتذاء على مالهم من الاساليب المستظرفة والتذرُّع بما تذرَّعوا بهِ من الذرائع الناجحة والوسائل الموصلة. فهم المصابيح الناسخة لدُجُنّات الاضاليل والهداة المستهدون الى اقوم سبيل

فلا جرم ان العالم والمنشئ والشاعر اذا دأب كل منهم مطالعة كلام المبرّزين من اهل فنهِ واعمل بصيرتهُ في استطلاع اسرار كلامهم ودقّق النظر في تعرُّف مناحيهم وذلك بان يعرض اقوالهم على مقتضيات المغازي فيها والاغراض منها وتدبَّر حق التدبر جميع الاحوال المتعلقة بها من سابقةٍ ولاحقةٍ ومرافقةٍ وتبيَّن مستدعياتها برزت لهُ حقائق العلم ومناهج الانشاء وطرق الشعر بالوجوه السوافر فينكشف لهُ عندها ما كان غامضاً من دقائق العلم و يظهر لهُ بدائع من فنون الكتابة والنظم لم يسبق لهُ بها عهد حتى تمكّنهُ من اقتناص الشارد واستدناء البعيد وتذليل الجامح وربما اقدرتهُ على اختراع وجوهٍ للبحث والنثر والنظم اشد التحاماً بالنفوس من بعض الوجوه التي تقادم عهدها وطال عمرها وطرأت على الناس عوائد وحالات لا تطيب معها مقابلة تلك الوجوه ولا تهشُّ لها القلوب

وكذا قل في الاطبَّاء والصناع وارباب الحلّ والعقد ايضاً. فاذا اطلَّع الطبيب على اقوال حرَّاس الحياة وعرف ما استُحدث من ادوات الجراحة واحاط علماً بما اخترعهُ حذَّاق الجراحين من الكيفيات المقللة للألم ومشى في العلاج على طريق من حنَّكتهم الخبرة وهذبتهم التجربة واقتدى بهم في الرأفة بالاعلاء وجهد الذهن في تخير الوسائل المخففة لآلامهم والادوية الكافلة برءَ الادواء عنهم اطمأنت اليهِ القلوب ووقفت ببابهِ عجلات المرضى وهمى عليهِ سحاب الغنى وارتفعت في اطراف البلاد اصوات الثناء عليهِ

واما صاحب الحلّ والعقد فاذا التزم الاقتداء بسِيَر العادلين الحازمين ممن تولى شؤُون الخلق وسمت نفسهُ الى ان يُعدَّ فيهم ويحسب من طبقتهم اصغى الى خطيب العدل وأتمر اوامرهُ

وازدجر بزواجرهِ واصمّ اذنهُ عن خطيب الهوى واغلق بابهُ دون اهل المطامع واتخذ لهُ بطانة من ذوي قرابة الحق وعشيرة النزاهة وقبيلة الكرامة حتى تصبح البلاد التي يتولاها جنة الله في ارضهِ و ينتشر اهلها تحت ظلّ الاطمئنان في طلب معاشهم. لا يخافون ان يضيع لهم مال او يهلك لهم حق . يسيرون في طرق آمنة ويتقلبون في قرى ومدن مطمئنة لا يجترئ عليهم لئيم ولا يخطف ارواحهم غادر مغتال ولا يحتال عليهم محتال . فلمثل هذا الحاكم اريكة تجد في كل قلب وطاعة يطيب معها جهد القرائح في فنون اطرائهِ بل يهون معها بذل الروح في سبيل ارضائهِ وفوق ذلك يكتب اسمهُ في سفر من رفع لواء العدل من الحكام ويثبت ذلك في صحيفة الدهر

والتاجر اذا اتبع سيَر من اصابوا بالتجارة القناطير المقنطرة من الذهب من مثل روتشلد وغيرهِ من اهل البيوتات التجارية المشهورة في العالم . وصاحب العقار من اهل الزراعة اذا استقصى اخبار من امتلكوا الضياع والمزارع والقرى حتى اضطروا الى اجتلاب خلق كثير ليعمروا ارضهم بالحرث والزرع والحصاد وغير ذلك من الاعمال اللازمة للاستثمار واستخراج كنوز الارض حتى يكون كل منهم كملك صغير في مملكة صغيرة يسلك ولا شك مسالكهم اجتهاداً واقتصاداً و يصبر صبرهم في طريق الاستغناء ولا يبرح يعاني المشاق و يزيل العراقيل والعقبات حتى يتمتع بثمرات سعيهِ وكدهِ غير مذموم ولا ملوم

وبناء على ما اسلفناهُ عني الناس في ارجاء المعمور قاطبة بكتابة تراجم النبهاء والفضلاء والوزراء والملوك وجعلوا تلك السير ركن التاريخ ومهبَّ رياح النشاط ولقد حسن في نفوس الغابرين ذلك كما حسن عندنا ما نطالعهُ في " المقتطف " من اخبار رجال المال والاعمال

وكفى بك دليلاً على كثرة الفوائد المتأتية عن تراجم المشاهير انهُ لم تنفرد بهذا الصنيع امة ولم تستأثر بهِ مملكة فللافرنج المعاجم الواسعة والكتب الحافلة في تراجم المشاهير حتى ان معاجمهم المختصرة من مثل معجم "بطرس لاروس" اللغوي الافرنجي منقسمة الى قسمين احدهما لمواد اللغة والآخر لتراجم المشاهير

وفي اللغة العربية كتب شتى تتضمن تراجم المشاهير من العلماء والشعراء والبلغاء وغيرهم لا نتعرض في هذه المقالة لشيء منها الا كتاب الاغاني وكتاب وفيات الاعيان وان اختلف الغرض منها في التأليف فقد اتفقا في النتيجة

وصف كتاب الاغاني

هذا الكتاب على ما فيهِ من الفوائد لارباب الايقاع والسماع هو مادة للكتابة غزيرة . وثمرة للأدب جنية نضيرة . اخرجتها المائة الرابعة للهجرة بيراع من ينظم قلائد الكلام كما تشاء

البلاغة ويزفّ عرائس المعاني بابهى المعارض المستجلاة في الاذواق السليمة ابي الفرج الاصبهاني الاصل البغدادي المنشإِ المتصل النسب بعبد مناف القرشي وجدّهُ مروان بن محمد آخر خلفاء بني أميّة . اودعهُ اخبار اربعة عشر واربعمائة رجلٍ من الادباء والشعراء والمغنين . والمغزى في كتابهِ ذكر الاغاني باخبارها ومن ثمّ سماهُ بهذا الاسم واما الاخبار فقد جاء بها توسعة للفائدة وتفكهةً للنفس . وقبل ان نستوفي الكلام في وصفهِ نثبت قطعةً من مقدمتهِ تتبين منها تهذيب عبارتهِ ونقاوة الفاظهِ كما تتبيَّن مذهبهُ في تصنيفهِ وهذه هي بالحرف قال رحمهُ الله .

"هذا كتاب الفهُ عليُّ بن الحسين بن محمد القرشي الكاتب المعروف بالاصبهاني وجمع فيهِ ما حضرهُ وامكنهُ جمعهُ من الاغاني العربية قديمها وحديثها ونسب كل ما ذكرهُ منها الى قائل شعرهِ وصانع لحنهِ وطريقتهِ من ايقاعهِ واصبعهِ التي ينسب اليها من طريقتهِ واشتراكهِ ان كان بين المغنين فيهِ على شرح في ذلك وتلخيص وتفسير لمشكل من غريبهِ وما لا غنى عن علل اعرابهِ واعاريض شعرهِ التي توصل الى معرفة تجزئتهِ وقسمة الحانهِ ولم يستوعب كل ما غُنّي بهِ في هذا الباب ولا اتى بجميعهِ . واعتمد في هذا على ما وَجد لشاعرهِ او مغنيهِ والسبب الذي من اجلهِ قيل الشعر وصُنع اللحن خبرًا يستفاد ويحسن بذكرهِ ذكر الصوت معهُ على اقصر ما امكنهُ وابعدهِ من الحشو والتكثير بما تقل الفائدة فيهِ . وأتى في كل فصل من ذلك بنتف تشاكلهُ ولمع تليق بهِ وفِقَر اذا تأملها قارئها لم يزل متنقلاً بها بين جدّ وهزل وآثار واخبار وسير واشعار متصلة بايام العرب المشهورة واخبارها المأثورة وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الاسلام تجمل بالمتأدبين معرفتها وتحتاج الاحداث الى دراستها ولا يرتفع من فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها اذ كانت منخلة من غرر الاخبار ومنتقاة من عيونها ومأخوذة عن مظانها ومنقولة عن اهل الخبرة بها . فصدّر كتابهُ بها وبدأ فيهِ بذكر المائة الصوت المختارة لامير المؤمنين الرشيد وهي التي كان امر ابرهيم الموصلي واسمعيل بن جامع وفليح بن العوراء باختيارها لهُ من الغناء كلهِ"

وقال ابن خلكان في وصف كتاب الاغاني "قد وقع الاتفاق انهُ لم يعمل في بابهِ مثلهُ يقال انهُ جمعهُ في خمسين سنة وحملهُ الى سيف الدولة بن حمدان فاعطاهُ الف دينار واعتذر اليهِ . وحكي عن الصاحب بن عباد انهُ كان في اسفارهِ وتنقلاتهِ يستصحب حمل ثلاثين جملاً من كتب الادب ليطالعها فلما وصل اليهِ كتاب الاغاني لم يكن بعد ذلك يستصحب سواهُ استغناء بهِ عنها

وقال في مؤلفهِ كان يحفظ من الشعر والاغاني والاخبار والآثار والاحاديث المسندة والنسب ما لم ارَ قط من يحفظ مثلهُ . ويحفظ دون ذلك من علوم أُخر منها اللغة والنحو

والخرافات والسيَر والمغازي ومن آلة المنادمة شيئاً كثيرًا مثل علم الجوارح والبيطرة ونُتفاً من الطب والنجوم والاشربة وغير ذلك . كانت ولادتهُ سنة ٢٨٤ للهجرة وفي هذه السنة مات البحتريّ الشاعر وكانت وفاتهُ ببغداد سنة ٣٥٦

فهو من معاصري المتنبي وابي اسحق الصابي وابن عبد ربهِ المتوفَّى بقرطبة من بلاد الاندلس ومات بعد ولادة بديع الزمان بثلاث سنين

وصف كتاب وفيات الاعيان

هذا الكتاب هو القول الشارح لاحوال افاضل الادباء والمعرّف لمقام ارباب القلم من الكتاب والشعراء واصحاب الآثار من النبلاء يضبط اسم المترجم ونسبهُ ويذكر آثارهُ ومولدهُ ومتوفاهُ بعبارةٍ مهذبةٍ رشيقة فتعرف من وصف الرجل حال العلم في عصرهِ . ومرتبة الادب في مصرهِ وبعبارة اخرى هو معجم تعرف بهِ انساب الاعيان وضبط اسمائهم وسنو وفياتهم ومواليدهم ثم انهُ روضة الاديب ونجعتهُ وذخيرة المنشيء وعدتهُ كما يشعر بذلك من تصفحهُ وهو ثمرات المائة السابعة للهجرة وقد ضمَّ اليهِ محمد بن شاكر بن احمد الكتبيّ المتوفى سنة ٧٦٤ للهجرة ذيلاً يحوي سيَر من اغفلهم ابن خلكان وهو جزآن يبلغ عدد صفحاتهما ٦٢٩ صفحةً فصار الكتاب مع ذلك الذيل متضمناً تراجم ١١٠٠ من اعيان الناس . وقد ترجم مؤلفهُ الشيخ نصر الهوريني قال "هو من بيت كبير بناحية إربل مدينة بالعراق على الشاطيء الشرقي من نهر دجلة بالقرب من الموصل من جهتها الشرقية . وهو قاضي القضاة شمس الدين ابو العباس احمد بن ابراهيم بن ابي بكر بن خلكان الاربلي الشافعيّ احد الائمة الفضلاء . والسادة العلماء . والصدور الرؤساء . تولَّى قضاء الشام ثم عزل عنهُ بابن الصائغ ثم عزل ابن الصائغ بعد سبع سنين بهِ . خرج من بلدهِ سنة ٦٢٦ هـ ودخل حلب تلك السنة واقام فيها سنين وكان سنة ٦٣٣ هـ مقيماً بدمشق وفي سنة ٦٣٧ هـ كان مقيماً بمصر . ولد باربل سنة ٦٠٨ هـ وتوفي بدمشق سنة ٦٨١ هـ ودُفنَ من الغد بسفح قاسيون ولما رجع الى منصب القضاء في الشام قال سعد الدين الفارقيّ

أذقتَ الشام سبع سنين جدباً غداة هجرتهُ هجرًا جميلا
فلما زرتهُ من ارض مصرٍ مددتَ عليهِ من كفَّيكَ نيلا "

انتهى ببعض حذف

واليك لمعةً من ديباجة كتابهِ تتكفل ببيان حالهِ قال " هذا مختصر في علم التاريخ دعاني الى جمعهِ اني كنت مولعاً بالاطلاع على اخبار المتقدمين من اولي النباهة وتاريخ وفاتهم ومولدهم ومن جمع منهم كلَّ عصر . فوقع لي منهُ شيءٌ حملني على الاستزادة وكثرة التتبع فعمدتُ الى

مطالعة الكتب الموسومة بهذا الفن · واخذتُ من افواه الائمة المتقنين لهُ ما لم اجدهُ في كتاب · ولم ازل على ذلك " الى ان يقول " ولم اقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل العلماء والشعراء بل كل من لهُ شهرة بين الناس ويقع السؤال عنهُ ذكرتهُ واتيت من احواله بما وقفت عليهِ مع الايجاز كيلا يطول الكتاب واثبت وفاتهُ ومولدهُ ان قدرتُ عليهِ · ورفعت نسبهُ على ما ظفرت بهِ · وقيدت من الالفاظ ما لا يؤمن تصحيفهُ · وذكرت من محاسن كل شخص ما يليق بهِ من مكرمة او نادرةٍ او شعر او رسالة ليفكهَ بهِ متأملهُ ولا يراهُ مقصوراً على اسلوب واحد فيملهُ والدواعي تنبعث لتصفح الكتاب اذا كان مفتناً " ثم يقول " وكان ترتيبي لهُ في شهور سنة ٦٥٤ بالقاهرة المحروسة "

نظرة في الاغاني والوَفَيات

مما يدل على عناية العرب بوصف الكتب واصحابها انهم قد وضعوا كتباً في هذا الشأن من مثل كتاب كشف الظنون في اسماء الكتب والفنون والفوا مؤلفات في معرفة طبقات العلماء والشعراء والفقهاء والحفّاظ والثقات والاطباء لكنهم لم يتعرَّضوا لبيان ما اغفل اصحابها من الامور التي لا بد منها لاستيعاب المعرفة بحال المترجمين او لتوسيع الفن

واما كشف الظنون فالتزم تسمية الكتاب وصاحبهِ وذكر وقت وفاتهِ وعدد ابوابهِ واول عبارة من مقدمتهِ واليك مثالاً لهُ قال في كتاب ابن مسكويه " تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق للشيخ ابي علي احمد بن محمد المعروف بابن مسكويه المتوفَّى سنة احدى وعشرين واربعمائة ويشتمل على ست مقالات اولهُ اللهم انا نتوجَّه اليك الخ · وهو كتاب مفيد في علم الاخلاق " والاقتصار من وصف الكتب على هذا لا يكفي لتحسين التصانيف واحكام التآليف فلو فصل النسب والاسانيد عما يروي من الاخبار والقصص لقرب منالهُ ولم يفت المؤلف شيءٌ مما قصدهُ وتحراهُ · ولو ضبط الاسم وذكر سنة المولد والوفاة لعلا بذلك قدر كتابهِ وتفتحت للاستفادة منهُ ابواب لم تكن لتنفتح بدونهِ · لكن المؤلف لم يتنبَّه لهذه الاغراض من عند نفسهِ · فاغفل ما اغفل لا عن قصر باعهِ ولا عن قلة اطلاعهِ بل لانصرافهِ الى مقاصد هي الداعية الى تصنيف الكتاب المشار اليهِ وعذرهُ في ذلك ان مثَل من لهُ ارب يحاول بلوغهُ مثَل من يسدّد مبهمهُ الى الهَدَف فلا يحوّل نظرهُ عنهُ مخافة ان يطيش مبهمهُ

فهذا الكتاب من حيث الفائدة التاريخية وضبط اسماء المترجمين وبعد المسافة على طالب الفائدة منهُ احط من كتاب الوَفيات قدراً فاغفال هذه الاشياء في التراجم مجحف بالفائدة المقصودة .

واما من حيث الفوائد اللغوية والانشائية فهو اعلى من كتاب الوَفيات قدرًا . واغزر منهُ مادةً واوسع رواية فاذا توفر المرء على مطالعتهِ سنةً اغترف من بحرهِ من العلم بالعادات والاخلاق وضروب البلاغة ما شاء الله

واذا التفتَّ الى تحرّي الصدق في الرواية لم تجد في اصحاب السيَر والتراجم من يفضل الاصبهاني . ألا وهو يورد لكل رواية من الاسانيد الصحيحة ما لا يمكن ردُّهُ

وقد ورد فيهِ من مفردات اللغة كثير مما خلا منهُ اكبر معاجم اللغة كاللسان والتاج ثمَّ انهُ انفرد بفائدة لا اثر لها في الوَفيات . ألا وهي ذكر الالحان وصانعيها واخبار المغنين من مثل مَعْبَد وابي اسحق الموصلي وابن جامع . وفي ذلك من النفع لاهل الايقاع ما فيهِ

على ان هذا الكتاب النفيس الممتع يحتاج الى ان يُعمل لهُ جدول اصلاح لما وقع فيهِ عند الطبع من الاغلاط التي ربما يلتبس كثير منها على الطبقة المتوسطة من الادباء

وجدير بمن تبعتهُ همتهُ لنشر كتاب لهُ مثل هذه المرتبة العالية بين كتب الادب ان لا يألو جهدًا ولا يدخر وسعًا في ابرازهِ للناس بتمام رونقهِ وجميل صحتهِ

وفي النية اذا انسأ الله في الاجل ان اخدم هذا التأليف الشريف بامرين احدهما عمل جدول الاصلاح المشار اليهِ والآخر جمع ما جاء فيهِ من المفردات اللغوية التي لم نعثر عليها فيما بايدينا من كتب اللغة مختصراتها ومطولاتها

واما كتاب الوفيات فقد انفرد بذكر مؤلفات من يترجم من العلماء وبذكر وفاة كل منهم واما المولد فقد لا يتسنى لهُ العلم بهِ فيغفلهُ كما صرح بذلك في صدر كتابهِ . ومن محاسنهِ انهُ يفصل النسب عن الوصف ويضبط الاسماء فيدرك الغرض منهُ أسرع ما يمكن

لكن فيهِ مغمزًا يستغرب اجتماعهُ مع ما قصد بالكتاب من تقريب المسافة على الطالب . وهو صعوبة العثور على من يراد كشف اسمهِ للاطلاع على ترجمتهِ فمن كانت لهُ كنية يذكرهُ في باب الحرف الاول من اسمهِ . والمترجم انما يكون مشهورًا بكنيتهِ كأبي الاسود الدؤلي فانهُ يثبت ترجمتهُ في باب الظاء لان اسمهُ ظالم . وكابن عبد ربهِ فانهُ يذكر ترجمتهُ في باب الهمزة لان اسمهُ احمد وحيص بيص الشاعر يذكر في حرف السين لان اسمهُ سعد وكذا ابو دلامة فانهُ يترجمهُ في باب الزاء . فهذا الصنيع يوشك ان يكون من باب اغلاق الباب في وجه المدعو . ذلك من حيث ان هؤلاء الاشخاص انما هم معروفون بكناهم والقابهم لا باسمائهم

ولا اثر لهذا الاشكال في كتاب الاغاني البتة واما ذيل الوفيات فلم يتكلف لهُ مؤلفهُ من البحث والتنقيب لاستيعاب احوال المترجَم ومعرفة مولدهِ ووفاتهِ مثل ما تكلف لذلك ابن

خلكان فهو على كثرة ما فيهِ من لطائف النثر والنظم لا يتعدى ان تكون منزلتهُ من الوفيات منزلة تكملة الثوب بقطعة ليست على لونهِ بل على لون يقاربهُ .

ويؤخذ مما ذكرناهُ ان وصف الكتب ببيان ما فيها من الحسنات والسيئات يعد من اكبر الاسباب الداعيــة الى ارتقاء التأليف الى اسنى مقامات المجد اذ يظفر المؤلف باقبال السواد الاعظم على تصفح كتابهِ والتزود منهُ . فيصيب من ثمَّ ثراء وعلاء . وهذه هي الضالة التي ينشدها ارباب القلم ولا سيما لهذا العصر

بيروت سعيد الخوري الشرتوني

حكم وامثال

معربة عن اللغة التركية

الانسان لا لحمهُ يؤكل ولا جلدهُ يلبس فماذا فيهِ عدا هذا غير حلاوة اللسان

من يأكل وهو شبع يحفر قبرهُ باسنانهِ

انتقل الكسلان من زاوية الى اخرى فقال "قد سحتُ سياحة"

من يسلم رأسهُ الى المزين الغبي يجب ان لا يكون القطن في جيبهِ قليلاً

ابن الاسد اسد

من يسقط في الطريق المستقيم ينهض سريعاً

الخصام ينشأُ من "انا" و"انت"

اذا كان الرفيق صالحاً تكون بغداد قريبة

اذا لم تكن اللحية موازية للشاربين ماذا يعمل المزين ؟

الكلام الصادق لا يحتاج الى قسم

الحق مثل الفلين لا يغرق

دعوا الحمار الى العرس فقال : يلزمهم حطب او ماء

التوبيخ العادل لا يصدع الرأس

المرء يخدع المرء مرة واحدة

يكبر الرغيف حينما يكون العجين كثيراً

اذا اغلق الله باباً فتح الفاً

الماء ينظف كل شيء الا اسوداد الوجه

من يذهب الى وليمة الذئب يجب ان يصحب كلبهُ معهُ

الهرة محتالة ولكن الفارة ليست حمقى

الغضب حلو وثمرهُ مر والنصيحة مرة وثمرها حلو

بالصبر يصير الحصرم حلوى

بعد فقد الشيء تعرف قيمتهُ

من لم يطعم الهر يطعم الفار

من لم يعانِ الاكدار لا يعرف قدر المسار

الحصول على غير المستحيل يضمنهُ الصبر والثبات

يصاد الاسد من فيهِ

الاشجار جميلة باوراقها

خلق الانسان ليربح السعادة باجتهادهِ

عظم السمك لا يبلع

اذا اغلق الله بابًا من فضة فتح بابًا من ذهب

النذر من اسهل الامور

الفم المفتوح لا يبقى جائعًا

المداهنة لا يقع فيها الاَّ الاحمق

الخل الرخيص احلى من الشهد

الكلام بلطف يفتح الابواب الحديدية

لا ترى الحسود الاَّ مغتاظًا

من قطرات يمتلئ الغدير

تحتاج الى ثلاثة لتكون سعيدًا عافية الجسد وصحة العقل وسلامة القلب

مرآة الانسان في ما تيهِ

لا تقطع اليد سكينٌ من ذهب

لا لذة للمرء كصنع الاحسان

دعاء الغريب مستجاب

شرارة تحرق غابة متسعة

الشروع نصف العمل

ساعد المحتاج يساعدك الله

لا تهز رجليك قبل الركوب

لا تطأ ذنب الافعى النائمة

لم ارَ معوجًا شبعًا ولا مستقيمًا جائعًا

لكل صيف شتاء

تكثر النقود عند من لا يكون مسرفًا

ليس الجهل عارًا وانما العار في رفض تحصيل العلم

من يتأمل متاعب الاخرين يرَ متاعبهُ يسيرة

الجائع يلقي نفسهُ في النار

العين ترى والقلب يحب

لا تسقط الثمرة بعيدًا عن شجرتها

على قدر عزيمة المرء تأتي افكارهُ

المداهنة كنقود زائفة لا يقبضها الاَّ الجهلاء

من يتكلم كثيرًا يغلط كثيرًا

يموت الحمار ويبقى جلهُ ويموت الانسان وتبقى آثارهُ

الاصبع التي تقطع بعدل الشريعة لا تؤلم

القليل من الطمع يسبب كثيرًا من الضرر

الدراهم البيض للايام السود

اذا لم يوافقك الزمان وافقهُ

السهم المرمي لا يرجع الى الوراء

من عندهُ الادام قدر خبزهِ لا تراه جائعًا

من يجتهد لاخفاء اصلهِ يكون لقيطًا

اذا كان الشركاء كثيرين تكون الخسارة يسيرة

الطائر الغريب يبني الله عشهُ

الف صديق قليل وعدو واحد كثير

يمتحن الذهب بالنار والانسان بالمصايب

جواب السائل لا يمتلئ

القبطان من يخلص سفينتهُ

متى دخل قلب الانسان التعبد للمال خرج منهُ الدين والايمان وحرية الضمير

لو قيل للنساء ان في السماء عرساً لنهضن لرفع السلالم اليهِ

قيل للاعمى ان الشمع قد غلا ثمنهُ فقال امر لا يعنيني

لا يحيا الوطن بدون اتحاد كما لا يحيا الجسد بدون روح (المعلم ناجي)

الندامة جزاء عينتهُ للانسان محكمة الضمير (احمد مدحت)

الذئب الجائع يهاجم الاسد

النار تحرق مكان سقوطها

الرجل يوجد من الحجارة خبزاً

اذا طرحت الماسة في الوحل تبقى ماسة

الاجتهاد نصف العبادة

ما تكسرهُ السيدة يكون بقضاء وقدر وما تكسرهُ الخادمة يعد ذنباً لا يغتفر

ليس الفقر عاراً للمرء وانما عارهُ الكسل

الزمان ابو العجائب

يمسك الثور من اذنيهِ والانسان من كلامهِ

لو يستجاب دعاء الكلب لامطرت السماء عظاماً

الويل للفخار ان سقط على الصخر والويل لهُ ايضاً ان سقط الصخر عليهِ

اللقمة لا تملأ البطن ولكن تزيد في المحبة

الكسلان يحب اكل اللوز ولكن لا يحب ان يتعب بكسر قشرهِ

حمص . سوريا (ش)

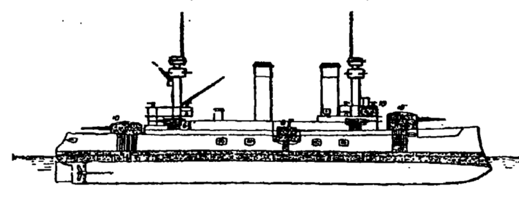
اساطيل الدولتين

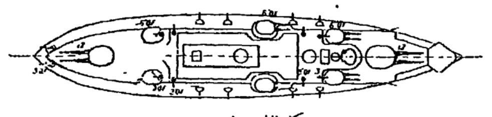
أثبتت هذه الحرب الناشبة الآن بين الروس واليابان امراً ذكرناهُ بالاسهاب في مقالاتنا المتوالية المعنونة "بنبإٍ من اليابان" وهو ان اليابانيين قبضوا على التمدن الحديث بحذافيرهِ وجاروا الاوربيين في كل شيء تقريباً ولو لم تشمل هذه المجاراة عامتهم كما شملت خاصتهم. واثبتت ايضاً ما يلزم عن هذا الامر وهو ان الامم القديمة العمران اذا ارادت ان تقتبس اساليب العمران الحديث ولم يكن في مذاهبها الدينية وتقاليدها السياسية ما يمنعها عن ذلك فثلاثون سنة تكفي لاقتباسها. ولذلك لا تعذر الدولة العثمانية مثلاً اذا لم تكن جنودها مثل الجنود الالمانية واساطيلها مثل الاساطيل الروسية ومعاملها مثل المعامل الفرنسوية ومتاجرها مثل المتاجر الانكليزية ومدارسها مثل المدارس الايطالية لانها قديمة العمران ولان العمران الاوربي الحديث على ابوابها منذ نشأتهِ الى الآن

قلنا ان هذه الحرب اثبتت تمسك اليابان بأساليب العمران الحديث ومن اوضح الشواهد على ذلك قوة اساطيلها وكيفية استخدامها في الهجوم والدفاع فانها كادت تتغلب على اساطيل الروس مع ان الروس يعززون اساطيلهم بالقلاع واليابانيين يحاربون من عرض البحر. وقد وقفنا على تفصيل مسهب لاساطيل الدولتين في جريدة السينتفك اميركان اقتطفنا منهُ ما يلي للدلالة على ما نحن فيهِ

اساطيل روسيا

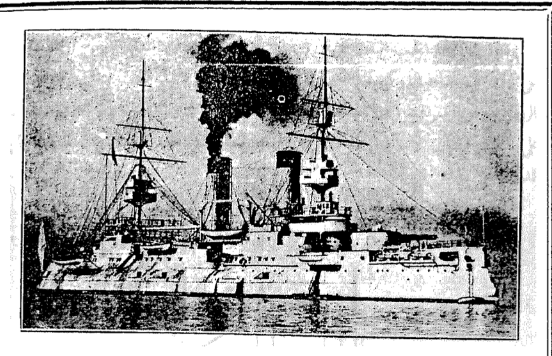
لا تتيسر معرفة اساطيل روسيا معرفة تامة لانها تكتم اكثر امورها وتمنع كل احد من



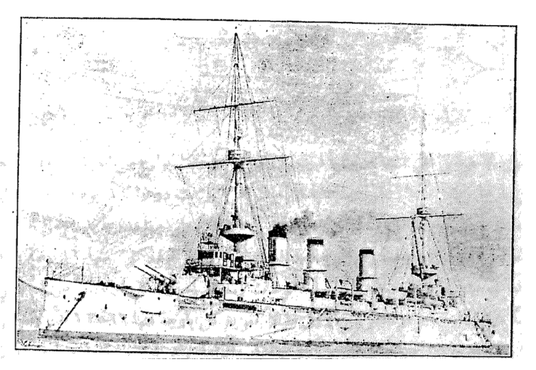


شكل البارجة زارفتش

دخول الاحواض التي تبنيها او ترمها فيها. وهي تبني الآن ست بوارج من الطبقة الاولى تفريغ كل بارجة منها ١٦٠٠٠ طن وسرعتها ١٨ ميلاً بحريًّا وسمك درعها ١١ بوصة (عقدة) في منتصفها ثم يرق رويدًا رويدًا الى ٦ بوصات في الطرفين وابراجها مدرعة بدرع من الصلب (الفولاذ) سمكهُ ١١ بوصة وفيها اربعة مدافع في برجين قطر فوهة كلٍّ منها ١٢ بوصة و١٢ مدفعًا في ستة ابراج قطر فوهة كلٍّ منها ٨ بوصات ومدافع اخرى صغيرة واناييب طربيد. وتبني ايضًا ست بوارج اخرى اصغر من الاولى قليلاً تفريغ كل بارجة منها ١٣٥٦٦ طنًّا وسرعتها ١٨ ميلاً بحريًّا ومدافعها ودروعها من اكبر الاقدار واقواها. وقد اتمت بارجتين منها حتى الآن وهي من نوع البارجة زارفتش فان هذه البارجة بنيت في فرنسا سنة ١٩٠١ وقد اعجب بها الروس كثيرًا حتى اتخذوها مثالاً لست بوارج يبنونها على مثالها ولها درع من الصلب سمكهُ



البارجة زارفتش اقوى بوارج الروس · تفريغها ١٣٠٠٠ طن وسرعتها ١٨ ميلاً بحريًا وتحمل ١٢٥٠ طنًا من الفحم · تدريعها تام وسمك درعها عشر بوصات عند حدّ الماء بصلب كروب و١١ بوصة على الابراج وفيها اربعة مدافع مما قطر فوهته ١٢ بوصة وثلث و١٢ مما قطر فوهته ٦ بوصات وعشرون مما قطر فوهته ٣ بوصات و٢٨ اصغر منها واربعة انابيب للطربيد



الطرّاد ادزوما الياباني تفريغهُ ٨٤٣٦ طنًا وسرعتهُ ٢١ ميلاً بحريًا ويحمل ١٢٠٠ طن من الفحم ودرعهُ من صلب كروب سمكهُ ٧ بوصات الى ٣ ١/٢ بوصة وفيهِ اربعة مدافع مما قطر فوهتهِ ٨ بوصات و١٢ مدفعًا مما قطر فوهتهِ ٦ بوصات و١٢ مما قطر فوهتهِ ٣ بوصات و٢٥ اصغر منها وفيهِ خمسة انابيب للطربيد

عشر بوصات ويرق رويداً رويداً الى ان يبلغ سمكه بوصتين ونصف بوصة عند طرفيها وابراجها مدرعة بدرع من الصلب سمكه ١١ بوصة ويقال أن تدريعها اقوى واتم من تدريع اية بارجة كانت من بوارج الدول ولولا ذلك ما احتملت نسف الطربيد لها وبقيت سليمة

وقد رسمنا هذه البارجة في الصفحة المقابلة كما تظهر لعين الرائي ورسمنا لها سمتاً آخر تظهر فيه ابراجها ودروعها ومدافعها ففي مقدمها مدفعان كبيران جداً مما قطر تجويفه اربعون بوصة في برج مصفح بدرع من صلب كروب ثخنهُ ١١ بوصة وفي مؤخرها مدفعان كبيران مثلهما في برج آخر وبين البرجين ثمانية مدافع كبيرة في اربعة ابراج وعشرون مدفعاً صغيراً

ويتلو الزازفتش في اسطول روسيا بارجتان كبيرتان وهما التفرتشسكي والرتفيزان الاولى تفريغها ١٢٥٠٠ طنًا والثانية تفريغها ١٢٧٠٠ طنًا وقد بنيتا في اميركا سنة ١٩٠٠

ويتلو ذلك بوارج اخرى لا محل لوصفها ثم ثلاث من حاميات السواحل بنيت سنة ١٨٩٥ مدرعة بدرع سمكه عشر بوصات. وخمس طرادات مدرعة ومنها الطراد ريان وهو من احسنها

ويأتي بعد ذلك الطرادات المحمية اي التي تدريعها يقتصر على ما يحمي آلاتها ومن هذه الطرادات الفارياق الذي غرق في معركة شمولبو والبلادا الذي اصيب في المعركة الاولى في بورت ارثر والنوفك وهو اسرع الطرادات المحمية وديمتري دنسكوي وهو الآن في البحر المتوسط.

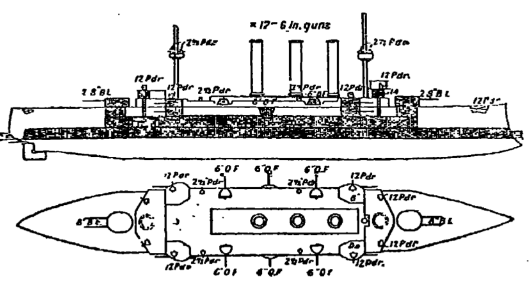
وهاك جدول ما عند الروس من السفن الحربية

	عددها	متوسط سرعتها	متوسط تفريغها
البوارج التي عمرها ١٠ سنوات او اقل	١٣	١٧,٣ ميلاً	١١٧٩٠ طنًا
" " " ١٠ " الى ٢٠	٧	١٦ "	٠٩٩٣٣ "
حاميات السواحل	٣	١٦ "	٠٤١٢٩ "
الطرادات المدرعة الكبيرة	٣	١٩,٦ "	١١٩٧٩ "
" " الصغيرة	٢	٢٠ "	٠٧٩٠٠ "
" المحمية الكبيرة	١١	٢٠,٢ "	٠٦٣٥٢ "
" " الصغيرة	٦	٢٣,٤ "	٠٣٢٥٠ "
طرادات صغيرة ومدفعيات	١٣	١٨,٥ "	٠٠٨٤٦ "
متلفات	٦٠	٢٧,٥ "	٠٠٣٠٠ "
نسافات من الدرجة الاولى	٥٤	٢٤ "	٠٠١٢٠ "
" " " الثانية	١٢	٢١ "	٠٠٠٨٥ "

نسافات قديمة ١٠٠

اساطيل اليابان

سفن اليابان من احدث السفن الحربية واقواها فعندها ست بوارج من الطبقة الاولى بنيت كلها في انكلترا في السنوات الثماني الاخيرة بعد حربها مع الصين ومنها البارجة اساهي والبارجة ميكاسا وهما اكبر البوارج التي تخوض البحار الآن واقواها طول كلٍّ منهما ٤٣٦ قدماً وتفريغها ١٥٢٠٠ طن وسمك درعها تسع بوصات وقطر فوهة المدفع من مدافعها الكبيرة ١٢ بوصة وقطر تجويفهِ اربعون بوصة وهي في ابراج مصفحة بدروع من صلب كروب سمكهُ ١٤ بوصة وعندها ثمانية طرادات كبيرة مدرعة من الطبقة الاولى تفوق سرعتها سرعة الطرادات



شكل الطراد ادزوما

الروسية التي من نوعها اولها الطرادان ادزوما واواتي بنيا في بلاد الانكليز سنة ١٨٩٩ و١٩٠٠ طول كلٍّ منهما ٤٠٨ اقدام وعرضهُ ٦٨,٢ قدم وتفريغهُ ٩٨٠٠ طن وهو مدرَّع بدرع من الصلب معظم ثخنهِ ٧ بوصات ويستدق رويداً رويداً نحو الطرفين وفيهِ اربعة مدافع كبيرة قطر فوهة الواحد منها ٨ بوصات في برجين مصفحين بدرع من الصلب سمكهُ نصف قدم و ١٤ مدفعاً سريعة الطلقات قطر كلٍّ منها ٦ بوصات و٢٤ مدفعاً اصغر منها واربعة انابيب للتربيد وقد رسمنا صورة الطراد ادزوما على حدة تحت صورة البارجة زارفتش الروسية ورسمنا هنا شكلهُ الذي تظهر فيهِ اوضاع مدافعهِ

وقد وصفنا اساطيل اليابان في ما كتبناهُ عنها منذ عامين ونجتزي الآن بذكر الجدول الآتي لتسهيل المقابلة بينها وبين اساطيل الروس

	عددها	متوسط سرعتها		متوسط تفريغها	
البوارج التي عمرها عشر سنوات او اقل	٦	١٨,٧٥	ميلاً	١٤٢٠٨	طنًا
حاميات السواحل	٣	١٢,٠٥	"	٤٣٥٦	"
الطرادات المدرعة الكبيرة	٦	٢١,٧٥	"	٩٧٣١	"
" " المتوسطة	٢	٢٠,٠٢	"	٧٦٣٢	"
الطرادات المحمية المتوسطة	٧	٢٠,٠٥	"	٤٤٠٠	"
" " الصغيرة	٨	١٨,٠٤	"	٢٩٦٥	"
الطرادات الصغرى والمدفعيات	١١	١٦,٥	"	١٠٣٧	"
المتلفات	٢٠	٣٠,٧٥	"	٠٣٣٢	"
النسافات من الدرجة الاولى	٣٨	٢٧,٥	"	٠١٣٨	"
" " " الثانية	٣٥	٢٣	"	٦٦	"

وبناء الاساطيل وتعبيتها لا يعقدان النصر لاحد لان الاساطيل لا تخرج عن كونها بضاعة تشترى بالمال فاذا كان ثمن البارجة مليون جنيه او مليونًا وربع مليون من الجنيهات وثمن الطراد مليونًا او اقل قليلاً فرجل غني مثل ركفلراو كارنجي يستطيع ان يشتري عشرين بارجة وعشرين طرادًا ولكن العبرة الكبرى بالرجال الذين يتولَّون ادارة الاساطيل ومنازلة الاعداء بها . وقد اطَّلعنا على كلام في احدى الجرائد الاميركية لرجل ياباني اسمهُ نكامورا من رجال النسافة اليابانية التي اصابت البارجة زارفتش قالهُ لمكاتب تلك الجريدة وفصَّل فيهِ كيفية هجوم النسافات على الاسطول الروسي في بورت ارثر في المعركة الاولى تفصيلاً دلَّ على ان اليابانيين صاروا من امهر الناس في الحروب البحرية قال :

كان عند الاميرال طوغو ادق التفاصيل عن بورت ارثر فان المرفأ والطريق الموصل اليهِ كانا مصورين عندهُ وصورتهما مقسَّمة الى مربعات صغيرة والسفن الروسية مرسومة في مراسيها في تلك المربعات وقد رسمت فيها ايضاً مواقع اللغوم الموضوعة تحت الماء

وامر الاميرال طوغو بالهجوم وقتما يكون المدُّ على اعلاهُ اي بعد الساعة ١١ ليلاً حتى تمرَّ نسافاتنا فوق اللغوم ولا تمسها فان الماء يرتفع بالمدّ في بورت ارثر تسع اقدام ونسافاتنا لا تغوص في الماء اكثر من خمس اقدام او ست ولكن مرورها فوق اللغوم عالية عنها لا يقيها منها تمام الوقاية لان اللغوم قد تُطلق من البرّ فتنسف ما فوقها نسفاً

ولا يزال الروسيون يستعملون اللغوم القديمة التي استعملوها في حربهم مع الترك سنة ١٨٧٨

ولكنهم اصلحوها قليلاً . وقد وضعوا اللغوم في كل السبل الموصلة الى بورت ارثر منذ عدة اسابيع وربطوها في قاع البحر حتى لا تلمسها السفن في خروجها ودخولها ولكن الاميرال طوغو خاف ان يدري الروس بنا فيفككوا بعضها ولذلك لم يشأ ان يخاطر بسفننا التي تغوص في الماء كثيراً

وفي مساء الاثنين اعطى عشرة من نسافاتنا خريطة بورت ارثر وفيها مواقع سفن الروس وأُمرت كل نسافة ان تقصد سفينة معينة دون غيرها فكان نصيب نسافتي البارجة زارفتش

وقد اتى اسطولنا من خليج كوريا يوم الاثنين ووصلنا في المساء الى امام بورت ارثر وعند الساعة التاسعة امرنا الاميرال بالوقوف واطفاء الانوار كلها وكان قد ارسل نسافة امامهُ للاستطلاع فعادت اليهِ حينئذٍ . وبعد نصف ساعة امر نسافاتنا العشر ان تقف ازواجاً وتقصد خمساً من مدرعات الروس الراسية عند مدخل الميناء ثم امرنا ان نسير بسرعة ١٥ ميلاً في الساعة وفي كل نسافة من نسافاتنا طربيدان حتى بلغنا مدخل المرفإِ واشرنا الى الاميرال فأعاد الاشارة الينا بنور احمر ثم ابيض فاحمر فاسرعت كل نسافة الى البارجة المعينة لها ودارت نحوها . وحينئذٍ اكتشف حرس الروس نسافاتنا فانذر الاسطول كلهُ وكانت نسافتي قد دنت من الزارفتش وصارت على مرمى التربيد منها وكانت اشعة نور التفتيش الكهربائي قد أُلقيت علينا والمدافع السريعة الطلقات قد سدّدت نحونا فأطلقنا الطربيد عليها وكانت قد ادارت آلاتها لتبعد من وجهنا فسارت قليلاً ولكن مراسيها اوقفتها فسدّدنا التربيد الى آلتها البخارية ولكن حركتها ابعدت موقع الآلة عنهُ فاصابها قرب مقدمها وادرنا دفتنا وعدنا ادراجنا فرأينا طربيداً ينفجر قرب البلادا وطربيدين آخرين ينفجران قرب سفينتين اخريين وكان الروس قد صوَّبوا مدافعهم الصغيرة الينا واخذوا يسددون مدافعهم الكبيرة وكذلك مدافع القلاع سددت الينا وانبسطت اشعة المصابيح الكهربائية حولنا فصار الليل نهاراً . ولما ابعدنا عن مدى المدافع الصغيرة السريعة الطلقات جعل الذين على البر يطلقون اللغوم التي في قاع البحر فاطلقوا نحو اثني عشر لغماً منها ولكن لم يصبنا منها مكروه . ولما صرنا على خمسة اميال من مدخل المرفإِ تمكن المدفعية من تسديد المدافع الكبيرة الينا وجعلت قنابلها تقع حولنا

وامر الاميرال الاسطول فابعد ثلاثين ميلاً ونمنا هناك ثم عدنا في مساء اليوم التالي وامر النسافات العشر الاخرى ان تفعل كما فعلت اخواتها في الليلة البارحة وجعل يطلق المدافع من اسطولنا كلهِ لكي يشغل الروس عن النسافات فخرجت الينا بعض بوارجهم ودنا طراد من طراداتهم المحمية من نسافاتنا المتأخرة فاطلقت عليهِ بارجتنا فيجي طربيداً ولكن اصاب البارجة قنبلة من البر عطلت الآلة التي تدير دفتها وقتلت قومندانها الثاني" انتهى

الاصقاع القطبية الجنوبية

ذكرنا غير مرة ان السفينة الانكليزية المسماة دسكفري اي الاكتشاف قصدت القطب الجنوبي لاكتشاف ما حوله' فجمد البحر حولها ومنعها عن السير ولقي من فيها اشد المشاق قبل ان بلغتهم سفينة الصباح وانقذتهم . وقد كتب احد ضباطها وهو العالم شكلتون مقالة في مجلة بيرصن وصف فيها تلك الاصقاع وما لقوه' فيها فاقتطفنا منها ما يلي لما فيهِ من الفكاهة والفائدة قال :

ان الاصقاع الجنوبية ابرد من الشمالية لان المياه الحارَّة تجري من خليج المكسيك شمالاً وتلطّف بردها فلا يبلغ الحد الذي يبلغهُ في الجنوبية . ولكن في الاصقاع الجنوبية من الغرائب ما تتعلقهُ بالنفوس فترى الذين ذهبوا اليها مرةً يودون الذهاب مرةً اخرى رغماً عما يقاسونهُ من شدة البرد وقلة الطعام والبعد عن الاصدقاء والخلان

وقد بُنيتْ سفينتنا لكي تحتمل ضغط الجليد على جانبيها ولا تنكسر ولكي لا يتطرَّق البرد الشديد الى من فيها ولذلك لم نخشَ الوصول الى البحر المتجمد بل فرضنا جائزة لمن يشاهد الجمَد اولاً ولما قال واحد انهُ شاهده' في ظهر البحر هرعنا كلنا الى ظهر السفينة لنشاهد ما شاهده' ولم يكن سوى كسَر صغيرة طافية على وجه الماءِ ولكن لم يمضِ ذلك النهار حتى مخرت السفينة في الجليد ولم نعد نرى حولنا الاَّ بساطاً ابيض يرصعهُ حيوان الفقمة وطائر البنغوين اما الحيوان فلم يعبأ بنا واما الطائر فكان يمشي الينا الخيزلى وهو يصرخ مستغرباً اعتداءنا على حماه' كأَنهُ شيوخ لبسوا رداء اسود تحتهُ صدار ابيض

وكان الجليد رخفاً غير متماسك الاجزاء فمخرت سفينتنا فيهِ خمسة ايام متوالية وحينئذٍ وصلنا الى بر القطب الجنوبي وهو جبال شاهقة يغطيها الثلج تعلو عن البحر عشرة آلاف الى خمسة عشر الف قدم تناطح السحاب وتعلو فوقهُ وتصب في البحر انهاراً من الجليد تتكسر وتجري فيهِ كقطع الغمام وكنا نتشوَّف الى النزول على هذا البر لمشاهدة ما فيه من انواع النبات والحيوان فلم نجد فيهِ سوى قليل من الطحالب والاشنان وانواعاً قليلة من الطيور وحيوان الفقمة المشار اليهِ آنفاً واما البلاد القطبية الشمالية التي من هذا العرض فانهُ يوجد فيها ثمانية عشر نوعاً من النباتات المزهرة وكثير من انواع الحيوان كالفقمة والدب والارنب والثعلب والسنجاب والقطا القطبي

وتكبر الفقمة هنا حتى يبلغ وزنها الف رطل ومنها كان اكثر طعامنا وهي كثيرة الدهن

ودهنها زنخ تعافهُ النفس ولكن الجوع كافر فكنا اذا فرغ طعامنا ونحن في المزالق نرحب بكل قطعة من هذا الدهن وننسى خبث طعمهِ

وتزحف النقمة على الجليد زحفًا بطيئًا ولا تخشى من الانسان لانها لم ترهُ قبلاً ولا عرفت انهُ افتك انواع الحيوان . اما طائر البنغوين فكان يثور في وجه من يدنو منهُ لاننا شاهدناهُ في زمن التفريخ وتدعوهُ سليقتهُ حينئذٍ الى الدفاع عن فراخهِ وهو يبني ادحيةً من حجارة صغيرة يلتقطها من الشاطئِ وقد لا يبني ادحيًا بل يضع بيضهُ على الصخر ويحضنهُ كذلك ويزق فراخهُ هكذا : ينزل الى البحر ويصطاد منهُ بعض السراطين ونحوها ويبتلعها ثم يفتح فاهُ والفراخ تدخل رؤُوسها في حلقهِ وتاكل ما تجدهُ فيهِ . ويسطو عليهِ الطائر البحري المعروف بالزعاق ويختلس فراخهُ ولذلك يعيش بعضهُ مع بعض اسرابًا لكي يتعاون ويدافع عنها

هذا ما كنا نراهُ في فصل الصيف حين وصلنا الى هناك والصيف ستة اسابيع لا غير من منتصف دسمبر الى آخر يناير فقضيناهُ في التجوال حول البر . ولما وصلنا الى جبل اربوس الذي اكتشفهُ السر جمس روس منذ ستين سنة وجدنا الدخان فوق قنتهِ لانهُ بركان مشتعل تعلو قنتهُ عن البحر ١٢٥٠٠ قدم ولكننا لم نرَ النار تخرج منهُ الاَّ مرةً واحدة وكنا نرقبهُ كل يوم لنعلم جهة الريح من اتجاه دخانهِ . وعزمنا ان نشتي في سفحهِ ولو كنا نعلم ان نارهُ لا تخفف صبارة البرد

وكنا في الصيف لابسين ثيابنا العادية ثم اشتدَّ البرد رويدًا رويدًا وبلغ درجة الصفر بميزان فارنهيت وانحطَّ الى ما تحتهُ فلبسنا احذية من الفرو وجعل الجليد يزداد سمكًا في اوائل فبراير ولم تعد سفينتنا تستطيع السير فيهِ لانهُ متماسك صلب لا كجليد الصيف المتخلخل فألقينا مرساتها ونحن نعلم اننا قادمون على ليل طويل يدوم مئة واثنين وعشرين يومًا فأعددنا كل ما يمكننا اعدادهُ ليسهل علينا احتمال ذلك الليل الطويل

ولما تراكم الجليد حول السفينة ومنعها من الحركة ربطنا حبالاً بها ومددناها في كل جهة حتى نهتدي بها اليها لانهُ اذا عصفت العواصف في ذلك الليل البهيم لا يعود الانسان يرى شيئًا فيضل السبيل

اتفق ان اثنين من رجالنا اضاعا الحبل مرة ولم يكونا قد ابعدا عنهُ الاَّ قليلاً فبقيا ساعتين يفتشان عنهُ قبل ان اهتديا اليهِ ووصلا الينا وقد هرأَ البرد وجهيهما اعني بذلك ان البرد يقلص الاوعية الشعرية ويطرد الدم منها فيبيض اللحم ويموت ما لم يبادر المرء الى فركهِ لارجاع الدم اليهِ

والليل القطبي منقطع النظير لا يعلمهُ الاَّ من مرَّ عليهِ . افرض انك في قفر قاحل لا نبات فيهِ ولا حيوان ولا علامة من علامات الحياة وذلك القفر جليد بحت وانت مقيم فيهِ مع رفاقك منقطعين عن الناس تمام الانقطاع لا يصل اليكم منهم شيء ولا يصل شيء اليهم منكم وقضي عليك ان تقيم هناك شهراً بعد شهر بعد آخر اربعة اشهر متوالية في ظلام دامس والريح تهب باردة حتى اذا كشفت وجهك او يدك هرأها البرد ولا شيء يسليك الاَّ حديث اصحابك. اذا تصورت ذلك امكنك ان تتصوَّر حال من يشتي في الاصقاع القطبية ويمرُّ عليهِ ليلها البهيم . اما نحن فلم نضجر لاننا كنا على تمام الصفاء وكنا قد اعددنا اشياء كثيرة لتسليتنا وحالما ابتدأ فصل الشتاء لبسنا ثياب الفرو وثوباً صفيقاً فوقها مما يمنع دخول الهواء فصار يسهل علينا الخروج ولو في اشد العواصف

وهبطت درجة الحرارة رويداً رويداً حتى صارت ٤٠ تحت الصفر بميزان فارنهيت ولكن شعور الانسان واحد سواءٌ كان البرد على ٣٠ تحت الصفر او على ٦٠ تحت الصفر لا يرى الفرق بين الدرجتين الاَّ اذا نظر الى ميزان الحرارة . وكنت اشعر احياناً بلسع في وجهي كلسع الزنابير فاعلم ان البرد هرأهُ فاجعل افركهُ بيدي الى ان اعيد الحرارة والدورة الدموية اليهِ ولم نكن نستطيع ان نكشف ايدينا اكثر من دقيقتين او ثلاث اما وجوهنا فكنا نلتزم ان نبقيها مكشوفة حول افواهنا والاَّ اجتمع البخار منها على اجفاننا وجلد هناك . وقد تهب الريح في وجه المرء فيجلد نفَسهُ على وجههِ ولا بدَّ لهُ حينئذٍ من ان يدور من وجه الريح وينزع كنهُ من يدهِ ويفرك وجههُ شديداً والاَّ هرأهُ البرد او الصق اجفانهُ واعماهُ . واضطررنا ان نحلق لحانا وشواربنا لان بخار النفس كان يجتمع عليها ويجلد ولم نكن نستطيع ان نلمس شيئاً معدنياً لان بردها كان يبرأ اليد . واتفق ان كلباً راى اناء من الصفيح مما يوضع فيهِ الطعام فمدَّ لسانهُ ولحسهُ فلصق لسانهُ بهِ

ولما ابتدأ فصل الشتاء خرج البعض منا في المزالق فلقوا عاصفة شديدة كانت تعصف الثلج في وجوههم وحاولوا الوصول الى اكمة يستذرون بها فلم يستطيعوا وشعروا ان البرد اخذ يبرأ وجوههم وكان معهم خيمتان فنصبوها حالاً ولجأوا اليهما ولو تأخروا خمس دقائق لقضي عليهم لانهُ لا يبقى فيهم قوة لنصب الخيمة

وكانت هذه العواصف من اشد البلايا علينا لاسيما وانها كانت تثور من غير انذار حتى لا نكاد نجد الوقت الكافي لنصب الخيام والالتجاء اليها وكان العاصف يدوم احياناً يومين او ثلاثة فلا نتجاسر على الخروج الاَّ لاخذ الارصاد الجوية

وكان لا بدَّ لنا من الخروج في المزالق لمعرفة تلك الاصقاع وما فيها وهو الغرض الذي ذهبنا لاجلهِ فكنا نخرج بها والكلاب والخيام وهذه الخيام صغيرة تسع الخيمة منها ثلاثة رجال وكانوا يشعلونهُ ويسخنون عليهِ طعامهم وقد يضطرون ان يبقوا فيها يومين او ثلاثة او اكثر لا يستطيعون الخروج منها ثم اذا ارادوا الخروج وجدوا الثلج قد طمرها

والكلاب التي كانت معنا من كلاب سيبيريا المعتادة البرد وكانت ثلاثة وعشرين فقط لاننا لم نحسب اننا ننزل على البر وحبذا لو اخذنا معنا ستين او سبعين كلباً فكنَّا اذاً وصلنا الى القطب الجنوبي على ما اظن. وولد عندنا تسعة اجراء في فصل الشتاء ولكنها لم نقوَ مثل امانها

واصطدنا كثيرًا من طائر البنغوين الملكي وهو نادر ووجدنا بيضة من بيضهِ وهي الوحيدة وهذا الطائر لا يبني عشًّا ولكن للانثى شيء ككيس من الريش حول رجليها فتضع بيضها فيهِ وتربي هناك فراخها فلا يهرأها البرد واذا سقط فرخ من امهِ اسرعت الطيور كلها اليهِ لتنتشلهُ فتمزقهُ اربًا في الغالب من حنانها عليهِ

ولما التى الشتاء عصاهُ لم نعد نجسر ان نبعد عن السفينة لكننا كنا نخرج منها احيانًا الى اكمة قريبة منها ونصعد عليها وننزل ترويضًا لاجسامنا او نقطع الثلج ونأتي بهِ الى السفينة لتذويبهِ ماء. ونفطر الساعة الثامنة صباحًا ثم نتعاطى اعمالنا المختلفة بعضنا يجرف الثلج عن السفينة وبعضنا يرفأ الغطاء الذي يغطيها او يصبّر جلود الطيور والفقاقم او يسبر غور البحر او يصطاد الحيوانات البحرية. وقد اصطاد العالم البيولوجي الذي كان معنا خمس مئة صنف من الحيوانات البحرية الجديدة من انواع السراطين وعناكب البحر والمحار مما يعيش في البحر او يسبح فيهِ وكان اذا اراد ان ينظف عظام قممة من لحمها يضعها في شبكة حيث يصل اليها ماء البحر تحت الجليد فتأتي السراطين ونحوها من الحشرات البحرية وتأكل اللحم عن العظم وتنظفهُ في يومين

وكان معنا اجزاء كوخ كبير اقمناهُ على الشاطىء حتى نقيم فيهِ اذا انكسرت السفينة فجعلناهُ ملعبًا كنا نمثل فيهِ بعض الالعاب المزلية وانشأنا جريدة شهرية سميناها تيمس القطب الجنوبي كنا نشترك في كتابتها وزرعنا قليلاً من الرشاد والجرجير في غرفة المرضى فنبتنا واطعمناها لفريق منا كان قد ذهب على المزالق وعاد الينا. وكان في هذه الغرفة موقدان لتدفئتها وكنا نقيم فيها غالبًا لان حرارتها كانت دائمًا على الدرجة ٥٥ بميزان فارنهيت ولم نتقطع عن رصد الحوادث الجوية كل ساعتين لا نهارًا ولا ليلاً

ستأتي البقية



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وإنهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك. (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

دوران الارض

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

قد رأيت ما نشرهُ المقتطف في الجزء الماضي من المحاورة التي جرت بيني وبين حضرة الاديب عبد القادر افندي المغربي وأتيت على آخر ما سردهُ المقتطف من الدلائل الظاهرة في دوران الارض

ولكني رأيت الرجل ينعى عليَّ الخوض في دلائلهِ التي بعث اليَّ بها في كتابهِ اذ ذكر انهُ لم يُرِد تقريرها ولا محاولة اقناعي بها وانهُ انما سردها لمجرَّد الاستدلال بها على ان العلماء قاطعون بدوران الارض فأردت الآن ان افصح عن حقيقة امري وامرهِ

كان اصل النزاع بيننا كما علم المقتطف في ان علماء الفن هم قاطعون ام غير قاطعين. ولا يخفى ان هذا الخلاف ينفصل بأحد شيئين اما بنقل ينصُّ انهم قاطعون ام لا واما بتقرير الادلة التي ذكرها القوم وبيان وجه قطعيتها او ظنيتها ليعرف مذهبهم في ذلك واما الاستدلال بمجرد سرد الدلائل من غير ان يراد تقريرها او يعلم مدارها على مسألة بقطع او ظن فلا نعلم لهُ نظيرًا في علوم المناظرات ولذلك لما اتى بتلك الدلائل حسبت انهُ قد اختار الخطة الثانية وحملتني علوم آداب البحث ان ابين لذلك الاديب ان وجه دلالتها على المطلوب ظني ولا أُبالي بعد ذلك اذا نقم مني ما لم ينقمهُ العلم وهل دفع مراد ايرادًا او رحمت المناظرات مرادًا

اقول هذا على فرض ان الرجل مصدق بأن تلك الادلة صريحة في جزم العلماء بدوران الارض اما واني أُراهُ يقول انها تشف عن الجزم فلا ادري ما اقول وانتم تعلمون قيمة الشف في اثبات المطالب القطعية

اتاني منهُ كتاب جواباً على كتابي الذي نشرهُ المقتطف افتتحهُ بقولهِ

سيدي الاخ امين افندي

شكرت لكم عنايتكم بهذا البحث وعجبت من بداهتكم وقوة عارضتكم في تزييف الادلة التي ذكروها حتى كدت اتزحزح عن موقف الاطمئنان باقوالهم وتفارقني الثقة بادلتهم الخ الخ

ثم رايتهُ يقول فيما كتبهُ الى المقتطف ان القول بامكان ثبات الارض جد وما هو بالهزل. فأنتم ترون ان ذلك وهذا تسليم منهُ لما يقول خصمهُ والتسليم يرفع الخلاف ما دام كلامهُ يشهد على وجدانهِ انهُ اقرَّ وارتفع النزاع فكان عليهِ اذا بقيت في نفسهِ حائكة شبهة ان يسترشد لنفسهِ او يؤاخذ صفوة الاعتبار في نصهِ وهذا هو الذي تقتضيهِ علوم المناظرة واما بقاء الخصم بعد التسليم على خصومة فعجيب واعجب منهُ ان يسلم ما لم يتحقق انطباقهُ على الاصول العلمية! على انني لا انكر ما لصاحبنا من الذكاء ولكن الانتقاد رقيب حسيب على ما فيهِ من الفوائد الجمة التي افاض فيها المقتطف في احد اعدادهِ من قبل

اراني اسهبت في الحديث وما اردت الاَّ تطبيق المحاورة على قانون العلم كيلاً يؤثر عنا ما يؤلم هذا العصر على انني لو اردت مجرد الانتصاف لكان لي في المقتطف وهو مجلة العلم والحرية مجال اطول من ظل الرمح واوسع من امل الحريص

ندعهُ وشأنهُ ونعود للبحث في جوهر المسألة فاقول مذهبي في مسئلة دوران الارض انها امر ظني فاني لم اجد دليلاً قاطعاً وما انا بحمد الله ممن يغرهُ مجرد تسمية الدليل برهاناً والمقتطف يعذرني في ان لا اذهب مذهباً تكون حجتي فيهِ التقليد المحض. واما ما جاء فيهِ من الادلة وان قويت فان لي فيها شبهات سأُرسل بها الى المقتطف حتى تبلغ المسألة مبلغها اليقيني

طرابلس الشام محمد امين عز الدين

[المقتطف] لما كتبنا ما كتبناهُ في الجزء الاول من هذه السنة لم تنقل كلاماً ينص على ان علماء الفن قاطعون في دوران الارض لان النصوص على دورانها اكثر من ان تحصى فان كل كتب علم الهيئة التي أُلفت منذ مئة عام الى الآن في اوربا واميركا وكل المقالات عن الارض في دوائر المعارف الاوربية والاميركية وكل الكتب الجغرافية الكبيرة كل ذلك ينص على دوران الارض على محورها وعلى دورانها حول الشمس. ولا نخطئ اذا قلنا ان هذه الكتب والمقالات تعد بعشرات الالوف. فان كان ايراد بعض النصوص يغني عن الاسهاب في هذا الباب فحسبنا ما قالهُ الدكتور ڤان ديك في كتابهِ اصول علم الهيئة وهو "حركة الاجرام السموية اليومية الظاهرة من الشرق الى الغرب وانما هي حاصلة بالحقيقة من دوران الارض على

محورها من الغروب الى الشرق" (رقم ١٦ صفحة ١٦) . "القياس الاصلي للوقت هو زمان دوران الارض على محورها مرةً واحدة وهو واحد ابداً" (رقم ٥٤ صفحة ٣٥) . "ان حركة الشمس الظاهرة حول الارض مرةً واحدة كل سنة حاصلة من حركة الارض الحقيقية حول الشمس في تلك المدة" (رقم ١٥٤ صفحة ٩٢)

اوهام الاوائل

حضرة الدكتورين الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

تصفحت كتاب مفيد العلوم ومبيد الهموم للعلاَّمة المفضال الامام جمال الدين ابي بكر الخوارزمي فوجدتهُ كتاباً جليلاً جلت فيهِ حتى وقع نظري على باب العجائب فرأيت ان ذلك المؤلف الفاضل اورد حكايات كثيرة في ذلك الباب ظننتها لاول وهلة خرافية او من قبيل المبالغة كما يتضح ذلك من الامثلة التالية المنقولة عن هذا الكتاب

(١) في بحر البصرة سمك متى صيد وجفف يكون مثل القطن ونساء تلك الناحية يتخذون منهُ الغزل والثياب السميكة

(٢) حجر المطر اذا سحق احدهما بالآخر تمطر السماء وهذا الحجر في بلاد الاتراك

(٣) يوجد حجر في ديار مصر من اخذهُ بيدهِ يقع عليهِ القيء فلا يزال يتقايأ حتى يخشى عليهِ ما لم يطرحهُ

(٤) في بلاد الهند شجرة اوراقها على صورة الادمي ويسمع منها اصوات كاصوات الادمي ايضاً

(٥) جبل في ديار كرمان من اخذ منهُ حجرًا او شقفهُ وشقهُ نصفين يرى في جوفهِ صورة ادمي جالساً او قائماً فان طحن بالماء يتجمد على صورة ادمي

(٦) في حد الهند جزيرة ١٠ فراسخ وفيها عين يخرج منها حيوانات وجوارٍ اعلاهن كهيئة الآدمي واسفلهنَّ كهيئة الحيوانات فيلعبن ويرقصن والناس ينظرون اليهنَّ في الليلة المقمرة ولا يكون في بحر الدنيا اناس سوى هذا البحر

(٧) في ارض الروم كنيسة فيها بيت يدخل فيها الى اسفل بعشرين درجة وفي البيت سرير وتحتهُ رجل ميت على نطع وصبي ميت على نطع آخر والى فوق التخت بقرة مصنوعة من الرخام وفي بطن البقرة قدح من الرخام فيهِ زيت يستعمل ويؤخذ منهُ الزيت فاذا اخرج الميت من

تحت السرير انطفأت تلك البقرة واذا شكت المرأَة أَهي حامل ام لا تدخل وتضع الصبي الميت في حجرها فان تحرك الصبي علمت انها حامل والاَّ فلا

فارجو منكم الافادة عن رأْيكم في ذلك بدران احمد

[المقتطف] الجواب لا شبهة عندنا ان كل ما نقلتموهُ من قبيل الخرافات. وفي كتب الاقدمين كثير من ذلك وهي تشغل اكثر من نصف كتاب حياة الحيوان الكبرى وكتاب عجائب المخلوقات

العربية وتسهيل قواعدها

للحركات في اللغة العربية شأن كبير لانها تجعل للالفاظ رنَّةً ونخامة تزيدان المعنى وقعاً في النفس . فاسماعنا مع انها اعتادت اللغة العامة من المهد نرى الالفاظ الفصيحة المحكمة الضبط تؤَثر فيها في مواقف الخطابة اكثر من الالفاظ العامة ولو كان المعنى واحدًا . فإلغاء الحركات من العربية يحط من رونقها ويقلل تأْثير عباراتها

ولا يخفى ان استخدام الحركات في اماكنها يُعَدُّ عقبةً في درس العربية لان قواعدها تقضي بوضع علامات في آخر المعربات بحسب العوامل المختلفة وهذا همٌّ يلازم الكاتب والقارئ والخطيب مدى الحياة. ولا يكتفي النحاة بذلك بل يطالبون الدارس بتصور علامات اعراب للكلمات المبنية الاواخر فكأَني بهم ابوا الاَّ اجهاد قوى العقول لكي يزيد تملل الطلبة ونفورهم من درس لغتهم

فكيف نتخلص من هذه الصعوبة وعندي في ذلك رأْيان اعرضهما على الائمة واهل الذكاء علهم يتفقون على امور تسهّل درس العربية على طالبيها وتقتصد في وقت العلماء انفسهم بازالتها بعض العقبات من سبلهم

اما الرأْي الاول . فهو ان تحسب الكلمات العربية كلها مبنية الاواخر فيقتصر في ضبط الالفاظ على السماع وقواعد الصرف وفي اعرابها على معرفة نسبتها في الجمل بعضها الى بعض فيتخلَّص ابناءُ العربية من الحيرة في تشكيل الاواخر حسب العوامل المختلفة وهو امر يميل اليهِ كثيرون في الحديث والقراءة والخطابة . ولعل الاكثرين من علماء اللغة يسفهون هذا الرأْي لانهُ يقلل من جمال المنطق وجزالة اللفظ بتركهِ حركات الاواخر . فاذا كان الامر كذلك ابسط الرأْي الثاني وهو لا يغضُّ من كرامة الحركات لانهُ بمثابة مسّ قواعد اللغة بالمبرد وقد بسطتهُ هنا على سبيل السؤَال

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

تمريض المرضى

الفصل السادس في نزف الدم

اذا حدث النزف فلا بدَّ من توقيفهِ ويحسن ان نعرف شيئًا عن النزف ومن اين يصدر والى اين يذهب

الدم اول اركان الحياة ولا يعيش عضوٌ بدونهِ وهو متشعب في كل انحاء الجسم ما عدا الغضاريف والاجزاء الشفافة من العين والبشرة اي الطبقة الخارجية من الجلد فيوزع على الاعضاء في دورتهِ ما يلزمها لحياتها ونموها وينقل منها المواد الفاسدة التي تعيق نموها وتؤول الى توقيفها عن العمل . وهذه الدورة الدموية تجري في اقنية او انابيب تسمى الاوعية الدموية وليس في الجسم نقطة واحدة من الدم الَّا وهي في وعاء دموي

وهذه الانابيب او الاقنية على نوعين احدهما ينقل الدم نقيًّا من القلب الى اقسام الجسم المختلفة ويسمى الشرايين والثاني يحمل الدم من هذه الاعضاء مشحونًا بالمواد الفاسدة ويحتاج الى التطهير ويعيدهُ الى القلب ويسمى الاوردة . وهذان النوعان يتصلان احدهما بالآخر بواسطة اقنية دقيقة جدًّا كالشعر وتسمى الاوعية الشعرية . فاذا قُطعت الاوعية الشعرية وسال الدم منها فليس هنالك ما يوجب الخوف والقلق اذ يمكن توقيف سيل الدم بسكب الماء البارد والضغط على الجرح قليلاً . واما اذا انقطع احد الشرايين فيخشى على حياة المصاب لانهُ اذا لم يوقف النزف سال كل ما في الجسم من الدم وتوقف القلب عن العمل وعقب ذلك الموت . وكذلك اذا انقطعت الاوردة وتوقفت عن عملها في حمل الدم الى القلب لان القلب اذا لم يُمَدّ ويجهز بالدم توقف عن العمل ونتيجة توقف القلب الموت

النزف بسبب العوارض

من الناس مَن اذا رأى الدم جاريًا فَقَدَ رشدهُ وأُغمي عليهِ وتربطت يداهُ عن العمل . على ان الامر بسيط وفي غاية السهولة . ويوقف الطبيب او الممرضة الخبيرة النزف بضغط

الاصبع على القناة التي يسيل منها الدم · واما انت مما عليك الاَّ ان تسد الجرح وتربطهُ ربطاً وثيقاً او تربط العضو كلهُ قرب الجرح · فاذا كان الدم الجاري احمر فاتحاً وهو يتفر نفوراً كان مصدرهُ القلب فاجعل الرباط فوق الجرح الى جهة القلب فتمنع الدم القادم من القلب عن الخروج · وان كان الدم الجاري احمرَّا قاتماً وهو يسيل ببطء فهو دم وريديّ قادم من العضو من جهة طرفهِ وذاهب نحو القلب فاجعل الرباط تحت الجرح الى جهة الطرف فيتوقف سيل الدم

النزف بسبب العمليات الجراحية

لا يزول الخطر عن المصاب الاَّ بعد مرور اربع وعشرين ساعة على اجراء العملية · وعلى الممرضة ان تبدي كل ما عندها من الحذق وحسن التدبير وتبذل كل ما في طاقتها من السهر والمراقبة لتدفع شر هذه المدة وتستقبل كل طارىء مفاجيء · فقد يتحرك المصاب في فراشهِ او تجيش نفسهُ فيتقيأ وهذه الاشياء قد تثير الجرح الذي لم يندمل بعد فتنفجر الاوردة او الشريانات ويحصل النزف · فاذا حدث حادث كهذا فاسرع وارسل من يستدعي الجراح واما انت فاضغط على الجرح ولاسيما اذا كان هنالك عظم تضغط عليهِ · اما في النزف الداخلي كما في العوارض البطنية فقد اخبرتك كيف يجب ان تتصرف

النزف بسبب بعض الامراض

قد تسبب بعض الامراض نزفاً من الانف او الرئتين او المعدة او المستقيم

يحدث النزف من الانف عن مرض مزمن في الكليتين يصيب المتقدمين في السن والصبيان والبنات وهم في سن البلوغ فأجلس من اصيب بهذا النزف ودعهُ ينحني الى الامام ويرفع ذراعيهِ الى فوق · واسكب الماء البارد على انفهِ وجبهتهِ ووجههِ وضع شيئاً بارداً على مؤخر ظهرهِ كمفتاح كبير او قطعة ثياب مبللة

والنزف اذا كان داخليًّا صعب تحقق مصدرهِ هل هو من الرئتين او المعدة لان الدم في في الحالتين يخرج من الفم ومع ذلك يمكنك معرفة المصدر الحقيقي بواسطة الاعراض الآتية :

اذا كان النزف من الرئتين شعر المصاب برعيان ودغدغة في حلقهِ واخرج الدم بالسعال مزبداً وممزوجاً باللعاب

واذا كان النزف من المعدة شعر المصاب بدوار وجاشت نفسهُ وتقيأ الدم تقيئاً بهيئة مادة خثرة · وكيفية المعالجة في كلتا الحالتين ان المصاب يلقى على ظهرهِ ويمنع من كل حركة وهياج وتوضع الثياب المبللة او اكياس الجليد على صدرهِ اذا كان النزف من الرئتين او على بطنهِ اذا كان

من المعدة . واعطهِ من الغذاء مقدارًا قليلاً جدًا وليكن باردًا ما امكن او مثلجًا . واعطهِ ايضًا قطعًا صغيرةً من الثلج ليمتصها

واذا كان النزف من الرئتين ترى لعاب المصاب ملوثًا بالدم قبل حدوث النزف وبعدهُ ببضعة ايام

الفصل السابع

الموت وتمريض المحتضرين

بدأت كتابي بالولادة وانتهي بالموت . افتتحتهُ بدخول الروح والحياة الى العالم واختتمهُ بخروجهما منهُ . والامران غريبان يملآن المتأمل دهشةً ورهبةً وبجلالهِ يشعر بعالم غير منظور وقوةٍ فائقة لا يحيط بها ادراك بل الانسان في قبضتها جبلة طين ليس الأ

وما الموت في الحقيقة سوى فساد وفناء تشعر العين بدنوهِ من كل انسان . وان الانسان ليقشعر بدنهُ ويشعر ببرودة اعضائهِ كانما وقفت نبضات قلبهِ عندما يطارح نفسهُ هذا السؤال " ماذا اعمل اذا دنا مني الموت والفناء ؟ "

وما عليك في مثل هذه الحال الأ ان تلازم السكون التام وتتذرع بالصبر والسكينة . ومن الناس من يصير شديد النزق حاد الطبع ساعة الاحتضار فلا ينقطع عن الحركة ويحاول الخروج من الفراش فلا تحاول اقناعهُ بالسكون ولا تصارعهُ مصارعةً بل قف هادئًا بجانب سريرهِ واقنعهُ ليبقى فيهِ متملقًا اياهُ تملقًا

واذا لم يكن المصاب المحتضر طفلاً فلا تحاول تحريكهُ وحدك بل ليقف مقابلك من يساعدك في رفعهِ وتحريكهِ . ودعهُ يموت براحة فاغسل وجههُ ويديهِ ومشّط شعرهُ واذا كان قد بلَّل فراشهُ او وسخهُ فاقلبهُ الى الجانب الواحد واغسل لهُ والبسهُ الثياب النظيفة وضع تحتهُ مشمعًا فوقهُ ملاءَة نظيفة مطوية اربع طيات . واذا كانت رجلاهُ باردتين فضع بينهما زجاجات الماء الحار . واذا انقطع عن تناول الغذاء ورفض قبول اللبن او المرق فبلّ شفتيهِ من وقت الى آخر بملعقة صغيرة من الماء البارد فاذا لم يستطع ان يبلع فبلّ شفتيهِ بخرقة ناعمة او قطعة من القطن المندوف مبلولة بالماء البارد

ومتى فارقت الروح الجسد فانزع الوسائد من تحت راسهِ واغمض عينيهِ بان تضع اصابعك عليهما دقيقةً واربط فكهُ بمنديل وابسط اطرافهُ وانزع ثياب الفراش وغطهِ بملاءة واتركهُ الى ان تحضر ما يلزم لغسلهِ واعدادهِ للدفن . وقد جرت العادة في كثير من البلدان ان

يلبسوا الميت آخر حلةٍ على اني افضل العادة الجارية في انكلترا فان الانكليز يلبسون الميت ثوباً جميلاً من ثياب النوم فيظهر كانهُ نائم في فراشهِ مستريح من متاعب العالم وتجارب الحياة

واغسل الجثة قبل دفنها ولا تنهضها مستقيمة بل اقلبها من جانب الى آخر كان الميت حي ومصاب بالحمى التيفويدية او غيرها من الامراض المزمنة · واذا كانت الجثة ثقيلة فخذ منشفتين واطوهما في الطول وضع الواحدة تحت عجزي الميت والثانية تحت كتفيهِ فتساعدانك في رفع جثتهِ ووضعها في النعش · وابقِ النوافذ مفتوحة ليبقى الهواءُ متجدداً في الغرفة وذلك افضل لابقاء رونق الميت واصح للاحياء. واذا اردت ان تبقى الجثة الى ان يصل احد الاقارب ويحضر الجنازة والدفن فاعلم الطبيب ليحقنهُ ببعض المواد التي تحفظهُ من الفساد

الخاتمة

اما وقد وصلت الى ختام رسالتي هذه فاني اشعر بعدم استيعابها لكل ما يقال في هذا الصدد اذ الموضوع واسع لا نهاية لهُ. وقبل ان ذهبت الى احد المستشفيات للتمرن فيها طالعت كل كتاب في اللغة الانكليزية يتعلق بهذا الفن ودرست التشريح على والدي حتى خلت نفسي عارفةً ما تراد معرفتهُ في فن التمريض · ثم قلت لنفسي اذهب الى احدى مستشفيات لندن فاصرف فيها ستة اشهر او سنةً على الاكثر في التمرن والاستعداد للعمل ثم اعود الى الشرق فاعلم النساء التمريض واصولهُ وفوائدهُ ولكني ما دخلت المستشفى وانتظمت في سلك الممرضات المتمرنات حتى بدا لي نقص معارفي وقلة اختباري. وقد خدمت في ثلاثة مستشفيات ومرّضت الاغنياء في منازلهم تحت مراقبة اعاظم اطباء بريطانيا وجراحيها · واشتغلت ثلاث سنوات بين افقر الناس في مدينة لندن وبين مستخدمي المعامل في القرى حيث كثيراً ما كنت ارى الغرفة الواحدة التي ليس فيها الاَّ فراش واحد يسكنها اثنا عشر او اربعة عشر بعضهم ينامون على كومة من القش وآخرون على قطعة من الخيش ويستضيئون بنور ضعيف ويعربهم الشتاء ولا يشعلون فحمة يستدفئون بحرارتها . وكنت احياناً ابذل جهدي في اقناع والدٍ سكيرٍ ليخلع ثوبهُ الخارجي فالف بهِ طفلهُ المولود حديثاً بينما اسرع الى المستشفى وآتي بالثياب والطعام للوالدة والطفل · وقد فعلت ذلك مرة في الساعة الثالثة صباحاً

وهكذا اختبرت التمريض في اماكن مختلفة من اعظم المستشفيات الحائزة على كل ما يحتاج اليهِ في فن التمريض الى بعض المستشفيات التي لا تحتوي الاَّ الاسرّة للمرضى ومن منازل الاغنياء الذين يأمرون بكل ما يحتاجون اليهِ مما يتعلق بالطب والجراحة فيصلهم حالاً الى بيوت الفقراء المعوزين حيث كنت ابذل كل ما في طاقتي لاختراع الوسائط والطرق لتمريض المرضى · ومن

الذين مرَّضتهم رجل استنشق من الاوكسجين المستحضر ما يبلغ ثمنهُ سبعين جنيهاً

والآن بعد هذا الاختبار الطويل مدة اثنتي عشرة سنة لم ازل اشعر بعدم استيعابي لكل ما تمكن معرفتهُ في هذا الموضوع واسأل نفسي هذين السؤالين الاول هل كانت لغتي من البساطة بحيث يفهمني الجميع على السواء ؟ وهل تمكنت من ان اعلم القارئة لفصولي هذه كيف تتصرف مع المريض وتعمل ما يؤول الى راحتهِ وتلاحظ الدرجات والتغيرات في مرضهِ . ولا خلاف في ان اللطف والسرعة في العمل وقوة الملاحظة صفات تولد مع الانسان ولكن من المؤكد ايضاً ان المعرفة والتعلم والاختبار تقويان هذه الصفات

والسؤال الثاني الذي اسألهُ لنفسي هو هل استطعت ان ابين لكِ كيف ان فنَّ التمريض يحتاج الى عمل عقلي وانهُ اذا زادت معرفة الممرضة زادت فائدتها للطبيب والمريض . فاذا كان فنُّ التمريض يستدعي المعرفة والتهذيب افلا يجدر بسيدات هذه البلاد او غيرها من البلدان الشرقية ان يقبلنَ على هذه الحرفة الشريفة وينتظمن في سلك الممرضات

هذا وان في بلاد الانكليز اربع مجلات مختصة بفن التمريض تنشئها وتديرها ممرضات او سيدات مارسن ذلك الفن الى ان قضت عليهنَّ الاحوال بملازمة بيوتهنَّ الاَّ انهنَّ لم ينقطعن عن خدمة حرفة التمريض ولو في الكتابة والانشاء . وهنالك ممرضات في خدمة الحكومة تدفع اليهنَّ رواتبهنَّ لينتقلن من مكان الى آخر ويلقين الخطب في فن الهيجين اي علم الصحة . وهنالك ايضاً مؤتمرات للتمريض ومعارض للتمريض تعرض فيها ادوات هذا الفن وكيفية استعمالها وترسل اليها الممرضات ما توصلن اليهِ من الآراء المبتكرة والاختراعات الجديدة . ولهنَّ ايضاً فنادق وجمعيات خاصة بهنَّ ومجلس خاص ويقدر عددهنَّ بخمسين الف ممرضة وهذه فقرة انقلها عن احدى جرائدهنَّ قالت الجريدة

" لقد ثبت الآن ان اهم الاسباب لهذا التقدم السريع في فن التمريض هو اقبال جمهور كبير من السيدات على الانتظام في سلك الممرضات . فانهنَّ لحسن تعلمهنَّ كنَّ اكثر استعداداً لفهم اصول صناعتهنَّ واقدر على القيام بواجباتهن . وكان لحسن اخلاقهنَّ ورائع ادبهنَّ اعظم تأثير في المستشفيات . وقد اصبحت هذه الحقائق راهنة لا يختلف فيها اثنان حتى ترى المتمرنين اليوم على التمريض في كل المستشفيات من السيدات لا غير "

وقد بدت طليعة هذا العمل في الشرق فاقبلت بعض الفتيات الشرقيات على التمرن والاستعداد للتمريض . فانا اشكر حمية هؤلاء الفتيات الباسلات واحترمهن كل الاحترام ولكني اتمنى ان ارى بعض سيدات الشرق يغادرن بيوتهن حيث اعتدن الرفه وسعة العيش

ويدخلن المستشفيات ليخدمن المرضى العاجزين بروح التواضع والمحبة فتخلد لهم الانسانية افضل ذكر وينتشلن هذا العمل الجيد مما هو عليهِ الآن في الشرق من الانحطاط ويجعلنهُ في مقدمة الحرف الشريفة كما هو في انكلترا وغيرها من البلدان المتمدنة

وقد كانت خدمة المستشفيات في انكلترا منذ اربعين سنة حقيرة جدًّا الى ان دخلت فيها السيدة فلورنس نيتنغال وهي من نخبة السيدات الانكليزيات كريمة الحسب والنسب عندها من المال ما يغنيها عن تعاطي اية حرفة كانت . لما عادت هذه السيدة الفاضلة من تمريض الجرحى في حرب القرم جعلت تمريض المرضى حرفةً لها فدخلت احد المستشفيات لتزاولهُ بنفسها ومهدت السبل لكثيرات من الانكليزيات بنات جنسها فاقبلنَ على تمريض المرضى اقبالاً عظيماً . وقد كابدن في بادئ الامر صعوبات جمة وتحملن السخرية والاضطهاد . الاَّ انهنَّ ترفعن عن كل ذلك بسمو غاياتهنَّ ونبل مقاصدهنَّ حتى ذللنَ المصاعب العديدة وتغلبن على العوائق الجمة فرفعن حرفة التمريض الى ما هي عليهِ الآن من رفعة المقام وعلو المنزلة

والتمريض الآن من الاعمال المعروفة رسمياً في البلاد الانكليزية ولا يقوم بهِ الاَّ السيدات المتعلمات المتهذبات . ومن فروع هذا الفن عند الحكومة ممرضات الجيش وممرضات الاساطيل البحرية وممرضات الملكة (وهؤُلاء يمرضون الفقراء) ولا تملأ هذه المراكز الاَّ بالسيدات

والسيدة فلورانس نيتنغال لها الآن من العمر ثمانون سنة وهي لم تزل تهتم بحرفة التمريض ويلذ لها معرفة نجاحنا وها انا اروي عنها شيئاً من كلامها قالت : "لو استطعت ان اطلعكم على شيءٍ من تاريخ حياتي لاريتكم كيف ان امرأَةً لا تفوق على اقرانها بشيءٍ من الحذق وسمو العقل قادها الله في طريق غريب وغير مطروق لتخدمهُ كما خدمها . واذا اطلعتكم على كل شيءٍ ترون كيف ان الله عمل كل شيءٍ وانا لم اعمل شيئاً . وكل ما فعلتهُ اني اشتغلت بجدٍ ونشاط ولم اضنَّ بشيءٍ في خدمة الله"

لبس الفلانلاَّ في الصيف

اقبل الصيف ولا بدَّ من ان تهتم الامهات بتغيير ثياب اولادهنَّ وابدال قميص الفلانلاَّ بقميص من القطن وهذا خطأٌ لان قميص الفلانلاَّ يمتص العرق ويمنع تبخرهُ بسرعة فهو اصلح من قمصان القطن في فصل الصيف نهارًا وليلاً ولا يتعذر على الانسان ان يعتاد القيام من غير لبس الصوف صيفاً وشتاء ايضاً او يعتاد القيام عارياً ولكن الذين يتعرضون للبرد كذلك لا يسلم منهم كثيرون واما الذين لا يتعرَّضون فيسلم اكثرهم

تنقية الماء كيماوياً

استنبط بعضهم طريقة كيماوية لتنقية مياه الشرب وذلك بان يضاف الى كل مئة الف درهم من الماء درهم واحد من اليود فانهُ يميت كل ما في الماء من الميكروبات ثم يُنزع اليود او يعدَّل بهيبوكبريتيت الصوديوم ويرشح بالفحم . واذا كان الماء صافياً من اصلهِ فلا داعي لترشيحهِ بالفحم ويقال ان الماء الذي ينقَّى كذلك يكون صافياً جداً خالياً من كل طعم

النور وعيون الاولاد

النور الساطع يتعب البصر ويضرُّ بالعيون . ويمكن اتقاؤهُ بلبس البرانيط الواسعة التي تظلل الوجه من اشعة الشمس . وتتعب العين ايضاً من الشعر اذا استرسل امامها ولذلك يجب على الامهات ان يجدلن شعر اطفالهنَّ او يقصصنهُ فوق حواجبهم حتى لا يسترسل امام عيونهم

القدوة الصالحة

اول فاعل في طباع اولادنا الوراثة الطبيعية وفعلها محتوم لا مردَّ لهُ وليس في يدنا ان نقللهُ او ان نزيدهُ او ان نحوّلهُ عن سبيلهِ . والفاعل الثاني القدوة وهي تأتي بعد الوراثة في القوة والتأثير وقبل كل المؤثرات الاخرى قدوة الوالدين والعشراء قدوة الذين ينظر الولد اليهم نظر الحب والولاء . فان الوالد الذي ينهى ابنهُ عن عمل ويستعين على هذا النهي بكل اقوال الفضلاء والحكماء ثم يعملهُ هو لا يجد من ابنهِ غير عصيان نواهيهِ . والوالدة التي تحث ابنتها على عمل ولا تعملهُ هي لا يحق لها ان تنتظر الطاعة من ابنتها . ولكن قدوة الوالدين لا تؤثر في نفوس الاولاد اذا كانت افعال العشراء تخالفها ولا يفلح الوالدان في تربية اولادهما على كرم الاخلاق اذا سمحوا لهم بمعاشرة عشراء السوء

تنظيف البرانيط

تنظَّف برانيط القش بالحامض الشتريك (الليمونيك) او الطرطريك او الاكساليك اذا اذيب في الماء ومسحت البرنيطة بهِ وفركت جيداً . وذلك بان تبلَّ فرشاة بالماء الفاتر الفسبه اذيب فيهِ قليل من الصابون وتفرك البرنيطة بها ثم تغسل بماء نقي وتقصر بوضع قليل من الحامض في اناء نظيف ويصب عليهِ ماء غالٍ يكفي لغمر البرنيطة وتوضع البرنيطة في هذا الماء خمس دقائق وتنشف في الشمس . او يحرق الكبريت في اناء وتوضع مع الاناء في صندوق ويقفل وتترك معهُ بضع ساعات فتقصر ولكن اذا قصرت بالكبريت لا يلبث لونها الابيض ان يزول وتصفر ثانية

باب الزراعة

خدمة القطن بعد زرعهِ

خف النبات

لخصنا في الجزء الاول والثاني رسالة المستر فودن عن زراعة القطن في اميركا ووصلنا الى كيفية خدمتهِ بعد زرعهِ وها خلاصة ما كتبهُ في هذا الموضوع

اذا زُرع القطن بالآلة المشار اليها آنفاً نبت كثيراً (عبيًا) في الخطوط فحينما تظهر ورقتهُ الثالثة ويصير علوهُ ٤ بوصات الى خمس يخفف ويكون ذلك بعد زرعهِ بثلاثة اسابيع الى اربعة. ويتم التخفيف بفاس يختلف عن الفاس المصري يدهُ اطول من يد الفاس المصري وهي نازلة في الحديد على زاوية قائمة وعرض الحديد نحو قدم فضربة واحدة بهِ تزيل النبات الزائد وما يبقى يصير بُعدهُ بعضهُ عن بعض قدماً واحدة وهو البعد العادي بين نبات القطن في الخط الواحد. فاذا اريد ان يكون البعد اقل جُعل حديد الفاس اضيق من ذلك واذا اريد ان يكون اكثر جعل الحديد اوسع من ذلك. وقد يكون عرض الفاس نصف عرض المسافة المطلوبة فينزع القطن الزائد بضربتين من الفاس. والغالب ان يكون البعد بين النبات في الخط الواحد من ١٢ بوصة الى ١٤ بوصة وفي القطن السي ايلند يكون البعد ١٨ بوصة والغالب ان يكون عرض حديد الفاس ٧ بوصات فيخفف القطن بضربتين فيكون البعد بين النبات ١٤ بوصة

ترقيع الزرع

اذا استعمل الزارع الحكمة في اعداد الارض وزرع التقاوي فيها فالغالب انهُ لا يحتاج الى الترقيع ما لم يشتد البرد ويميت بعض النبات فاذا مات كثير منهُ فاعادة الزرع ارخص من الترقيع ولذلك يعوّل الاميركيون عليها اذا اضطروا الى ترقيع زراعتهم ويفضلون اعادة الزرع على الترقيع لكي لا يكون النبات في درجات مختلفة من النمو

العزق

من حين يبلغ ارتفاع نبات القطن سبع بوصات يكثر العمل في خدمتهِ فيُعزَق اولاً بمحراث صغير يمرُّ بين الخطوط سلاحهُ عريض مثلث لايغور في الارض كثيراً والغرض منهُ

نزع الاعشاب التي تكون قد نبتت بين الخطوط وكسر قشرة الارض من غير اثارة جذور القطن ·
وهذا الامر اي عدم تحريك جذيرات القطن امر جوهري يلتفت اليهِ كثيرًا في اميركا · والقاعدة عند الاميركان ان حرث الارض يجب ان يكون عميقًا واما عزقها فيجب ان يكون غير عميق ·

وقد تقدم انهُ يعتمد على المطر في ري القطن الاميركاني ولذلك لا يندر ان يحدث قيظ وجفاف فالعزق السطحي يفيد جدًّا في اوقات القيظ حتى جرى عندهم القول ان عزقتين بمقام مطرة · ويحسن بارباب الزراعة في القطر المصري ان ينتبهوا الى هذا الامر وهو ان التراب يمتص الرطوبة من اسفل الارض ويرفعها الى وجهها بما فيهِ من الانابيب الشعرية وهناك تلاقيها اشعة الشمس فتتبخر ويجف التراب · ويراد ان توجد طريقة ترفع الرطوبة من اسفل الارض الى ان تصل الى خذيرات النبات ولا تتبخر من وجه الارض فاذا عزق سطح الارض او حرثت حرثًا سطحيًّا انكسرت هذه الانابيب الشعرية فيمتنع صعود الرطوبة بها الى وجه الارض تمامًا حيث تتبخر ولكن الحرث العميق او العزق العميق يجعلان الهواء يتخلل الارض بسهولة فيجففها

فاذا خيف من العطش على القطن فالعزق الخفيف السطحي يحفظ رطوبتها فيها · وكثيرون من المزارعين في القطر المصري يفعلون على ضد ذلك فاذا عطش القطن في زمن المناوبة لم يعودوا يعزقونهُ حاسبين ان نموهُ يزيد اذا تركوهُ كذلك ويصير يمتص الرطوبة من الارض وهذا خطأ فنذكرهم بقول الاميركانيين وهو ان العزقتين تعادلان مطرة ولذلك فحينما يصير ارتفاع النبات ست بوصات الى سبع يمرُّ المحراث المتقدم ذكرهُ بين الخطوط (والبعد بينها ١٣٠ سنتمترًا) وسلاح واحد لا يكفي فيمرُّ مرتين بين كل خطين ورجل واحد يعزق اربعة افدنة في النهار على بغل واحد

ويكرر هذا العزق كل ٢٠ يومًا او ٢١ يومًا ما لم تكن الارض رطبة جدًّا من المطر ويكرر العزق الى ان يظهر اللوز في اواخر يوليو او اوائل اغسطس فيكون القطن قد عزق في هذه المدة خمس مرات · وقد تقدم ان رجلاً واحدًا يعزق اربعة افدنة في النهار على بغل واحد فيقتضي عزق الفدان الواحد يومًا وربع يوم حتى يعزق خمس مرات

ويستعملون العزق بالفاس احيانًا فاذا خفف القطن وعزق بالفاس في اول الامر زال اكثر العشب الذي ينبت بينهُ ولاسيما اذا عزق بعد ذلك بالمحراث المتقدم ذكرهُ · ولا بدَّ من منع نمو الاعشاب بين القطن لان كل الغذاء الذي تغتذي بهِ يخسرهُ نبات القطن وكذلك كل الرطوبة التي تأخذها من الارض وهذا سبب آخر لتنقية الاعشاب من الارض اذا خيف على القطن من العطش

يظهر مما تقدَّم ان خدمة القطن يكون اكثرها على البغال ويكون البعد بين الخطوط كافياً لمرور البغل لا سيما وان القطن يكون مزروعاً على اعلى الخط لا في جنبهِ فهل يحسن استعمال هذه المحاريث في القطر المصري لعزق الارض بدل العزق باليد ولا سيما في الزراعات الكبيرة حيث يتعذَّر احياناً عزق الارض كلها . ولا شبهة في ان غلاء اجرة الانفار في اميركا هو الذي حمل الناس هناك على استعمال الآلات للعزق بدل الانفار فان انساناً واحداً يستطيع ان يخدم ثلاثين فداناً اذا كان عندهُ بغل واحد ومحراث او عزَّاقة ويكون عزقهُ لها بمثابة اربع عزقات او خمس وهو ارخص من العزق باليد في القطر المصري

واذا حُرث ما بين الخطين سلاحين فالغالب انهُ يبقى بينهما قطعة ضيقة غير محروثة فتحرث بمحراث آخر مثلث الرأس

وقبلما يأخذ القطن يفتح بشهر من الزمان تترك خدمتهُ وخلاصة ما تقدم من الاعمال اولاً عمل تخطيط الارض ووضع السماد فيها وذلك يقتضي حرثها ١١ سلاحاً . وثانياً زرع التقاوي وهو يقتضي سلاحاً واحداً . وثالثاً خدمتها بالعزق خمس مرات وكل مرة تحرث سلاحين فيكون جملة الاسلحة ٢٢ سلاحاً لكل خط من اول إعداد الارض لزراعة القطن الى ان يجنى منها . فكل فدان من القطن يقتضي عمل رجل واحد وبغل واحدة مدة يومين ونصف يوم من اول الشروع في اعداد الارض الى ان يجنى جمع قطنها ولذلك فانسان واحد ومعهُ بغل واحد يستطيع ان يزرع ثلاثين فداناً من القطن ويتولى خدمتها كلها . وقد تستخدم امرأة لتخفيف القطن وهي تخفف زراعة فدانين في اليوم

خدمة السي ايلند

يعتنى بخدمة السي ايلند اكثر مما يعتنى بخدمة القطن العادي وقد زار الكاتب اباعد اثنين هما اشهر زارعي القطن في جزيرة جمس وهاك وصف الاسلوب المتبع لخدمة القطن فيها

ان الاطيان التي تزرع بهذا القطن لا تزيد على مئة فدان من كل ابعدية فان من يزرع ٥٠ فداناً يجب ان يعطي العمال السود عندهُ ٧٥ فداناً وان يزرع بعض الافدنة علفاً للبغال فتكون جملة الارض المزروعة ١٥٠ فداناً ولا بدَّ من ١٥٠ فداناً اخرى تترك بوراً لان الارض تزرع مرة كل سنتين فتكون الارض المزروعة والمعدة للزراعة ٣٠٠ فدان وقد تقدم ان الارض الزراعية لا تكون اكثر من خمس الارض المتلكة فتكون مساحة الاطيان كلها ١٥٠٠ فدان. فمن كان عندهُ ١٥٠٠ فدان لا يزرع القطن السي ايلند في اكثر من ٥٠ فداناً كل سنة

وحينما يجنى القطن تترك الارض بوراً لتنمو فيها الاعشاب البرية مرعىً للغنم والبقر وفي

شهر نوفمبر يُشرع في اعدادها لزرع القطن فتحرث حرثاً سطحياً وتجمع الاعشاب منها واشجار القطن التي كانت باقية فيها وتحرق كلها ولا يكلف هذا العمل الاَّ عشرة غروش عن كل فدان

وفي شهر فبراير تحرث جيداً حرثاً عمقهُ سبع بوصات او ثمانٍ بوصات بين الخطوط القديمة ويلقى السماد في هذا الثلم والسماد مؤلف من ٢٠ حملاً من طين المستنقعات و١٠٠٠ رطل الى ١٤٠٠ رطل من كسب بزر القطن وقد يضاف زبل البهائم الى التراب ويوضع في الفدان اربعون غربة من مزيج الطين والزبل ويذر السماد الكيماوي فوق هذا السماد بآلة ذر السماد وهو من الفصفات الاعلى والبوتاس

ثم تحرث الارض عن يمين هذا الثلم وعن يسارهِ حتى يقع التراب فوق السماد ويغطيهُ ويكلف الفدان اكثر من اربعة غروش . ثم تمهَّد الارض بجدلة تمرُّ عليها فتضغط ما فيها من تراب وزبل وطين ويكون قد انتصف شهر مارس وحينئذٍ يشرع في تخطيط الارض وزرعها ويكون الزرع هذه السنة في الفسحة التي كانت بين الخطين في الزرعة السابقة . وقد تقدم ان الارض تزرع سنة وتبوَّر سنة فكأنَّ المكان الواحد منها لا يزرع الاَّ مرة كل اربع سنوات لان الخطوط التي يزرع فيها القطن في المرة الثانية لا تكون فوق الخطوط التي زرع فيها في المرة الاولى بل بينها

ويبتدئ الزرع بعد اواسط مارس ويفضل الابتداء في ابريل وهو باليد والزراع ثلاثة الواحد يحفر الحفر في اعلى الخطوط ويجعل البعد بين الحفرة والحفرة ١٢ بوصة الى ١٨ بوصة والثاني يلقي التقاوي فيها والثالث يغطيها بالتراب بفاس صغيرة فينبت النبات سريعاً ويعزق اول مرة في آخر ابريل او اول مايو ثم يعزق ثانية في اواخر مايو

ثم تحرث الارض بين الخطوط حتى يرتفع التراب ويتجمع حول النبات ويغذي جذيراتهِ وتنزع الاعشاب التي تمتص الغذاء من امامهِ

ويخفف بعض النبات في اثناء العزقة الثانية ويخفف ايضاً في العزقات التالية حتى لا يبقى في شهر يوليو الاَّ شجرة واحدة . والقاعدة الجارية ان يعزق هذا القطن اربع مرات ويحرث اربع مرات وفي شهر يوليو يمرُّ المحراث بين الخطوط آخر مرة لنزع الاعشاب البرية . واول ظهور الوسواس في شهر يونيو وينوّر في يوليو ويبتدئ الجمع في اوائل سبتمبر

ويجمع القطن ثم يبسط في الشمس فيجف ويقال ان ذلك يزيد لمعان شعرتهِ بامتصاصهِ جانباً من زيت بزرهِ . وهو يحلج بآلات الحلج ذات الاساطين لا ذات المناشير لان المناشير تقطع شعرهُ

محصول القطن المصري

بلغ الوارد من القطن المصري الى الاسكندرية حتى اواخر مارس ٦٢٣١٢٧٢ قنطاراً يقابل ذلك في العام الماضي ٥٦٣٠٣٨٥ قنطاراً . وقد بلغ الوارد في العام الماضي الى آخر السنة ٥٨٣٨٧٩٠ قنطاراً فيرجح ان يبلغ الوارد هذا العام الى آخر اغسطس المقبل ستة ملايين ونصف مليون قنطار على الاقل وربما زاد على ذلك . وقد دفعت اوربا واميركا ثمن القنطار منها نحو اربعة جنيهات فيكون ايراد القطر المصري من ثمن القطن ٢٦ مليوناً من الجنيهات . ولم يقع لهذا القطر ايراد مثل هذا ولا وقت حرب اميركا لما بيع القنطار بتسعة جنيهات لان الموسم كان حينئذٍ نحو مليون قنطار . والظاهر ان اسعار هذا العام ستبقى في الاعوام المقبلة فان نقصت فلا يكون النقص كثيراً وان زادت فلا تكون الزيادة كثيرة اي ان ثمن القنطار يتراوح بين ٣٥٠ غرشاً و٤٥٠

باب التقريظ والانتقاد

الواحة البحرية

اهدت الينا ادارة المساحة الجيولوجية تقرير الدكتور بول والمستر بيدنل عن الواحة البحرية و يظهر منهُ ان هذه الواحة واقعة في صحراء ليبية على ١٨٠ ميلاً من وادي النيل وهي منخفض من الارض في الصحراء تحيط بها الشواهق من كل ناحية وارضها الزراعية قليلة واكثرها قفر قاحل وفيها اربع قرى في طرفها الشمالي وهناك الماء والزرع

والظاهر ان الناس سكنوا هذه الواحة من قديم الزمان فقد وجدت فيها آثار من عهد الملك تحتمس الثاني الذي كان في القرن السادس عشر قبل المسيح وآثار اخرى من القرن الثالث والقرن السادس قبل المسيح وآثار من عهد البطالسة . وذكرها سترابو المؤرخ فسماها الواحة الثانية وبطليموس وسماها الواحة الصغيرة وفيها قنطرة من مباني الرومان وقنوات كثيرة من قنواتهم لا تزال مستعملة الى الآن وتتلو ذلك آثار كنائس قبطية

وارتفاع الواحة عن سطح البحر نحو ١٢٨ متراً وشكلها بيضي طولها من الشمال الشرقي الى الجنوب الغربي ٩٤ كيلومتراً وعرضها ٤٢ كيلومتراً ومتوسط عمقها عن الصحراء التي حولها

نحو مئة متر فمساحتها اكثر من ١٨٠٠ كيلو متر مربع والارض المزروعة فيها لا تزيد مساحتها على ١١ كيلو مترًا اي انها اقل من ٣٠٠٠ فدان ولكن بقية الارض قابلة للزراعة لان فيها عيونًا وشيئًا من النبات وفيها ايضًا تلال كثيرة وهي في الغالب سوداء وعلو بعضها ١٣٠ مترًا عن ارض القرى المجاورة لها وكان عدد سكان هذه الواحة في التعداد الاخير ٦٠٨١ نفسًا وهم يسكنون اربع قرى

والكلام في التقرير مسهب عن جيولوجية هذه الواحة وآثارها ويلحق بهِ كثير من الخرائط الجيولوجية والجغرافية

مذكرة الجيب الهندسية

تأليف حضرة ابرهيم افندي زكي المهندس بتفتيش ري القسم الثالث

لو لم تكن فائدة هذا الكتاب محصورة في المهندسين لقلنا انهُ افيد كتب الشهر لانهُ لم يصل الى يدنا هذا الشهر كتاب يوازيهِ فائدة ولا رأينا منذ زمن طويل كتابًا تعب مؤلفهُ في جمعهِ وطبعهِ تعب مؤلف هذا الكتاب ولا عجب اذا جعل ثمن النسخة منهُ ١٢٥ غرشًا فانهُ رخيص بهذا الثمن وباكثر منهُ لانهُ خزانة فوائد لا يستغني عنها المهندس في هذا القطر ففيهِ ٧٠٠ صفحة مشحونة بالفوائد عن النيل والاعمال الهندسية التي يدعو اليها الري وانشاء الترع والمصارف والجسور وسائر المباني التي يحتاج اليها مهندس الري وغيرهُ من المهندسين. وقد تجد في الصفحة الواحدة عدة فوائد مثال ذلك الصفحة الثانية عشرة فان فيها كلامًا عن وجود الاملاح في الاراضي الزراعية وعن عمق مياه الآبار وملوحتها وعن مقدار التبخر صيفًا وشتاء في الوجه البحري والوجه القبلي. واهم ما في هذا الكتاب الجداول وهي كثيرة جدًّا تشمل كل ما يحتاج اليهِ المهندس في اعمالهِ من ذلك جدول لحساب قطاع جسر او ترعة اذا عرف الارتفاع والميل وقد عبَّر عن ذلك " بحساب مسطحات مثلثي جانبي قطاع الحفر والردم " وهو تعبير مشوش كما لا يخفى

وجدول المقادير الكثيرة الاستعمال كالمقدار الدال على نسبة المحيط الى القطر وقد ذكر فيهِ ارقام الكسر العشري الى الرقم السادس عشر وهو تدقيق لا يحتاج اليهِ المهندسون. وجدول يعرف منهُ محيط الدائرة ومساحة سطحها ومربعات الاعداد ومكعباتها وجذورها المالية وجذورها الكعبية من ١ الى ٩٩٩ . وجدول تحويل الفدن والقراريط والاسهم الى امتار مربعة. وجدول لوغارثمات الاعداد من ١ الى ٩٩٩ وجدول الجيوب والماسات والقواطع الى غير ذلك مما يطول شرحهُ

وفي هذه التذكرة قواعد حساب المثلثات والقطوع المخروطية ومراكز الثقل واحتكاك الاجسام وحساب الميكانيكيات ومقاومة الحجارة للضغط وما اشبه وهو مقسوم الى عدة ابواب الاول عن الري وما يتعلق بهِ والثاني عن الايدروليك اي جري السائلات والثالث عن مواد البناء وادواتهِ والرابع عن المعادن والخامس عن الحفر والردم والسادس عن القضايا الحسابية والجبرية والهندسية الداخلة في هذه الابواب والسابع عن القضايا الطبيعية المتعلقة بها والثامن عن حقائق علم البناء والتاسع عن سكك الحديد والآلات البخارية ويلي ذلك الاوامر العالية المتعلقة بالري والآلات البخارية

وقد طبع كل ذلك على ورق رقيق متين وجلّد تجليداً حسناً بحيث يسهل وضعهُ في الجيب واستعمالهُ عند الحاجة اليهِ . فنثني على حضرة مؤلفهِ اطيب ثناء

الحساب التجاري

مَن يعلم ما في بلاد الشام من مشبطات العزائم يستغرب مقدار الكتب التي تؤلف وتنشر فيها كل سنة وجانب كبير منها في المواضيع العلمية العملية كما يظهر من الاشارة اليها في المقتطف. ولدينا الآن كتاب منها في الحساب التجاري لحضرة الكاتب المجيد الياس افندي جرجس بهنا اسهب فيهِ الكلام على كل ما يحتاج اليهِ التاجر من علم الحساب كتحويل النقود من صنف الى آخر ومن نقود بلاد الى نقود بلاد اخرى. وتحويل العيارات والقياسات والكيول واستخراج الفائدة البسيطة والمركبة وتقسيط الدين واستهلاكهِ وخصم التحاويل وحساب السمسرة وحساب النمرة والتعديل والشركة والتحويل وما اشبه . وحبذا لو اكثر من حل المسائل امام الطالب حتى يسهل عليهِ القياس عليها وترسخ الاعمال الحسابية في ذهنهِ ولو زاد تدقيقاً في مراجعة المسودات فقد كنا ننظر في الصفحة ١٧٧ فوجدنا انهُ سقط الرقم ١ بعد كلمة "جمعتا" في السطر الثاني . ولما قرأنا الشرح سبق وهمنا الى ان سطورهُ متصلة بالارقام التي بعدها فكان يحسن ان يفصل بينها وبين الارقام بخط قائم . وفي الكتاب ٢٦٠ صفحة وهو المرقاة الرابعة من كتب متدرجة للمؤلف في علم الحساب

الطامة الكبرى

بينا نرى الامم الحية تتنافس في توسيع ممالكها لكي توسع لابنائها سبل المعاش وتجزل لهم الخيرات الانكليز والفرنسويون والالمان والطليان يتسابقون الى امتلاك افريقية . والروس

واليابانيون يتنازعون على كوريا ومنشوريا . والولايات المتحدة الاميركية امتلكت جزائر فيلبين وشحنت اسواق المسكونة بمصنوعاتها — نرى ابناء العربية يتنازعون على اكل دجاجة اذا ذبحها ذمي ولم يسمِّ باسم الله ولبس برنيطة تقيهم حرّ افريقية و يشحنون جرائدهم ويشغلون مطابعهم باقامة الادلة والاسانيد على جواز ذلك او تحريمهِ

استفتى احد نزلاء الترنسفال مفتي الديار المصرية في جواز لبس البرانيط واكل لحم البقر والغنم التي تذبح بغير تسمية فاجابهُ بجواز الامرين فعلت الصيحة واشتغل الكتّاب بعضهم يؤيد ذلك وبعضهم يفندهُ . وهذه الرسالة " الطامة الكبرى على منكري الفتوى " يراد بها تأييد الفتوى كما يدلُّ اسمها . اما لبس البرنيطة فقد تقدَّم عليهِ كلام مسهب في المقتطف واما اكل الذبيحة فيظهر مما كتب في هذا الموضوع ان المتقدمين كانوا اسمح من المتأخرين واقرب منهم الى الائتلاف بغيرهم وفي هذه الرسالة كثير من الاقوال والشواهد التي تؤيد ذلك . وحبذا لو اهتمت الامة بحياتها المدنية و بما يحفظ كيانها كما تهتم بهذه الامور وامثالها

الفلسفة اللغوية

يسرُّنا ان كتاب الفلسفة اللغوية الذي ألَّفهُ صديقنا العالم الفاضل جرجي افندي زيدان منشىء مجلة الهلال قد نفد كلهُ ولو بعد بضع عشرة سنة من طبعهِ فاعاد طبعهُ الآن بعد ان " ادخل فيهِ تحسينات ذات بال واضاف اليهِ فصولاً كاملة في اصل الكتابة والطريقة الطبيعية لاختراعها واصل الخطوط المعروفة الآن في اقطار العالم المتمدن وفصلاً في كيفية تعلُّم الانسان العد وكيف توصَّل الى اختراع الارقام الهندية وكيف تنوقلت في العالم " وكل ذلك من المباحث الجليلة التي يعنى بها علماء اللغات وعلماء الانسان في هذه الايام

وقد ذكرنا هذا الكتاب بالاسهاب لما طُبع اول مرة وبيَّنا مدلولهُ وفائدتهُ كما ترى في الصفحة ٧٠٠ من السنة العاشرة . وحبذا لو انتبه المؤلف الى المسألة التي وقع الجدال فيها بينهُ وبين صديقنا الاستاذ جبر ضومط وهي اصل الباء التي تدخل المضارع في اللغة العامية وقد نشرت مناظرتهما في المجلد الحادي عشر من المقتطف ثم اتضح من بحث الكونت لندبرج في لغات بلاد العرب ان اصل الباء من فعل ابي بيي بمعنى اراد يريد او بغى يبغي فيقول عرب عنزة انا ابي اروح معك اي اريد اروح معك ويختزل اهالي حضرموت هذا الفعل فيصير با فقط ويقولون " امس كنا با نبيت المكلا ولكن استوى قليل شغل وبانسافر غدوه " اي امس كنا نريد ان نبيت في المكلا الخ وهذا شأن عرب اليمن فانهم يدخلون لفظة با على المضارع اما عرب نجد فيدخلون حرف الباء وحدهُ مثل اهل مصر والشام

الوفاق والطلاق

هذه الرواية من روايات تولستوي الفيلسوف الرومي الذي دوت بذكرهِ الآفاق صوَّر فيها الرذيلة اوضح صورة وعبَّر عنها باصرح بيان فقال "ان الاطباء هم الذين يضلون الشبان ويسهلون عليهم ارتكاب الموبقات التي تميت النفس وتفسد الاخلاق فهم اصنام العلم يعرفون جيداً ضرر هذه الامور ويبيحون استعمالها للشبان بقولهم لهم انها مفيدة للصحة . ولو نهوهم عن الرذائل وصرفوا في تخليصهم من السقوط في هذا الفخ جزءا من الف من الوسائط التي يستعملونها لاستنباط الادوية الشافية من اسقام الامراض التي تصيب الشبان لما تهوَّر احد منهم فيها".

ولام الناس كلهم لانهم يرون الشر بعيونهم ويغضون الطرف عنهُ فقال "يزور احد الشبان منزلي فاقابلهُ بكل حفاوة وترحاب وعند ما يدخل قاعة الضيوف يجالس ابنتي او اختي ويتركني وشأني وانا اسكت عن ذلك مع معرفتي تصرفاتهِ حق المعرفة فكان ينبغي عليَّ بدلاً من ان اقابلهُ بالبشاشة والاكرام ان امسكهُ بيدهِ واقول لهُ همساً في اذنيهِ اني على بينة من امرك ايها الشاب واعرف جيداً اين تصرف لياليك ومع مَن ولهذا اقول لك بكل صراحة ان لا محل لك عندنا لان بناتنا فتيات طاهرات فلا تفسد اخلاقهنَّ بعشرتك السيئة بل اذهب عنا بسلام"

ومدار الرواية على قصة رجل عاش وهو شاب عيشة الخلاعة والفحشاء ثم تزوج فتاة لم تتهذَّب تهذيباً يمكّن الفضيلة منها فأفسد آدابها باعمالهِ ثم صار يغار عليها اعتقاداً منهُ انها مثل اللواتي كان يخدعهنَّ وحملتهُ غيرتهُ على قتلها اخيراً

وألقى المؤلف اللوم اولاً على الاطباء لانهم يبيحون للشبان ان يهدموا سياج عفتهم وثانياً على الهيئة الاجتماعية لانها لا تقصي من خلع عذارهُ وهتك ستار عفتهِ . وثالثاً على العيال التي صارت تستثقل كثرة الاولاد . وقد اصاب في كل ذلك كبد الحقيقة فان اللوم الاكبر على الاطباء الذين يحملهم غرورهم وعلمهم القليل وتصديق الناس لاقوالهم على اباحة ما يحرمهُ كل شرع وعلم وهو هدم سياج العفة . وعلى التعليم الفاسد الذي مؤداهُ ان من تزوَّج صغيراً كان اولادهُ ضعاف البنية والعقل . فان هذا الحكم العلمي مبني على استقراء ناقص جداً ونتيجتهُ تطوُّح الشبان في ارتكاب الموبقات وفساد النسل والاخلاق . ويقع جانب كبير من اللوم على العادات الحاضرة التي تطالب الوالدين بنفقات طائلة لتربية اولادهم وتزويج بناتهم فيلجأون الى تأخير زواجهم حتى يصيروا في سعة من العيش والى تقليل اولادهم حتى يستطيعوا الانفاق عليهم عن سعة . ولابدَّ من بسط الكلام على هذه المواضيع في وقت آخر

والوصف الذي وصفت بهِ المرأة التي عليها مدار الرواية غير منسجم فتظهر للقارىء تارةً

سليطة فاسدة الاخلاق وتارةً مريضة بمرض عصبي وغير مسأولة عما تفعل حينئذٍ لان مرضها يقودها الى ذلك وتارةً متجملة باكرم الاخلاق حتى انها ليلة مقتلها لم يتضح جليًّا كونها بريئة او خائنة . ويحتمل ان فكر المؤلف كان مضطربًا فلم ينهج منهجًا واحدًا في تصويرها للقارىء كما يحتمل ان يكون الخلل من المترجم لا منهُ

ولم يفلح المترجم في اختيار الكلمات التي تعبر عن بعض المعاني فكان يستطيع ان يعبر عنها بكلمات ادبية مهذبة لا تخجل الفتاة ان تقرأها على مسمع من والديها فيتم الغرض من الكتاب وهو وضعهُ في يد الجميع رجالاً ونساء شبانًا وشابات حتى يقرأوهُ على حدٍ سوى لانهُ لازم لهم كلهم. وكذلك وقع فيهِ احيانًا غلط مطبعي يفسد المعنى تمامًا كقولهِ في السطر الاول من الصفحة ١٤٠ "وان يستأصل في نفوسهم" وصوابهُ وان يتأصل في نفوسهم. وكقولهِ في الصفحة السابقة "وهي ولادة الاولاد" فان العبارة في حالتها الحاضرة مخلة بالمعنى المراد ولا ندري كيف تصلح ولا ما هو اصلها . والكتاب حريٌّ بان يعاد تنقيحهُ ونشرهُ حالما تنفد طبعتهُ الاولى وهو مطبوع على نفقة ابرهيم افندي فارس صاحب المكتبة الشرقية ويحسن بكل رجل ان يطالعهُ

اورشليم الجديدة
او فتح العرب بيت المقدس

رواية تاريخية فلسفية اجتماعية وضعها حضرة الكاتب الفاضل فرح افندي انطون منشئ مجلة الجامعة وضمنها زحف العرب الى بلاد الشام حين ظهور الاسلام وحصرهم مدينة القدس وسفر الخليفة عمر بن الخطاب اليها لفتحها بطلب البطريرك صفرونيوس واقامة المسجد الاقصى فيها على انقاض هيكل سليمان ويتخلل ذلك كلام عن احوال اليهود والمسلمين والمسيحيين يومئذٍ والافكار الدينية والسياسية التي كانت تختلج في نفوسهم والاسباب السياسية والاجتماعية والدينية التي اضعفت سلطة الروم فكانت سببًا في سقوطهم وزوال ملكهم وقيام الامم التي تليهم

والرواية حسنة الوضع منسجمة العبارة ويظهر لنا مما طالعناهُ منها ان كثيرًا من حوادثها التاريخية منقول عن الواقدي لكن كتاب الواقدي نفسهُ رواية تاريخية كما يتضح لمن يطالعهُ فحبذا لو محّص المؤلف ما نقلهُ عنهُ ففرق بين الحوادث التاريخية والقصص الموضوعة

وفي الرواية كثير من النصائح والحكم والاقوال الفلسفية ويشف بعضها عن لوم صاحبها للدنيا اللوم الذي يجاهر بهِ المرء اذا انحرفت صحتهُ من كثرة الشغل او من سوء الهضم وتماكتهُ السوداء ولو برهة يسيرة او اذا رأى الشرور والمفاسد وابت عليهِ نفسهُ الابية ان يغض الطرف عنها كقولهِ في ختام الرواية

" فيا ايتها القبور الثلاثة التي تعانقت رفاتها في جوف الارض تعانق الاحياء وضمت الحكمة والجمال والشباب والعقل : سلام عليكم من كاتب قصتكم وقارئها

"سلام عليكم وهنيئًا لكم لانكم رقدتم براحة وسلام قبل زمن الاضطرابات التالية . هنيئًا لكم لانكم خلصتم من مشاهد الحياة الباردة واهتماماتها الباطلة وشهواتها الفارغة واعتداءاتها الوحشية . انكم خلصتم من مشهد الصغير النفس يجرُّ ذيل الكبر منتصرًا . والذميم خلقًا وخلقًا يتيه دلالاً ويمشي اختيالاً . والسالب يتمتع بما سلب مكرمًا محترمًا بين قومهِ لان الناس لم يتعودوا شم رائحة الذهب قبل اكرام صاحبهِ ليعلموا هل كان كسبهُ حرامًا او حلالاً . والوقح يبلغ مآربهُ بوقاحتهِ ويزدري كل الفضائل والاخلاق اللطيفة لانها بين الحيوانات البشرية في الدنيا لا تجر مغنمًا ولا تدفع مغرمًا

"هنيئًا لكم ايضًا لانكم قضيتم قبل العصر الذي تزحف فيهِ الامم والقارات بعضها الى بعض ليفني بعضها بعضًا . انكم يا ايتها الجواهر الثلاثة قد شهدتم سقوط اورشليم الجميلة عاصمة العواصم وزينة الدنيا وعروس العالم . ولكن كل هذا ليس بالشيء الذي يذكر بازاء الاهوال الآتية . ان عنصرين جديدين من البشر سيشتبكان ويتخالطان ويتماسكان وكل منهما يطلب اذلال الآخر او نبذهُ من الدنيا . فاشفقوا على اخوانكم الضعفاء الآتين بعدكم في هذا النزاع الهائل . اشفقوا على الدماء التي ستسفك من الفريقين والمظالم والفظائع والصبيانيات التي ستحدث في الجانبين . وبما انكم قد خرجتم عن دائرة النزاع والعراك في الحياة واصبحت نفوسكم نفوس ملائكة لا نفوس حيوانات بشرية فاوحي الى الشرقيين يا ايتها النفوس الكريمة المبادىء الجميلة الشريفة التي تريهم اباطيل نزاعهم . ثم ارسلي الى حكامهم روح العدل والحق والنزاهة والمحبة والالفة والسلام ليعيش الجميع في هذه الارض التي اصبحت مشتركة بينهم والتي سقوها بالدماء والدموع معيشة هادئة لا يسبون معها الارض ولا يشكون السماء"

ولا شبهة في ان الدنيا كثيرة الشرور والمفاسد ولكنها لا تخلو من الصلاح والصالحين وما احسن ما يقولهُ الانكليز في هذا المعنى

This world is not so bad a world
As some would like to make it.
For whether good or whether bad
Depends on how we take it.

ولابدَّ من غلبة الخير على الشر اخيرًا جريًا على ناموس بقاء الاصلح والاَّ فالله تعالى ارتكب العبث في خلقهِ خليقتهُ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الحب

القاهرة · الخواجه يوسف بساراني · ايهما اكثر حبًّا للآخر الرجل او المرأة وبماذا تعللون محبة الواحد للآخر

ج يظهر من البحث في احوال الحيوان بنوع عام والانسان بنوع خاص ان الذكور اشد ميلاً الى الاناث وتفانياً في طلبها كما ان الاناث اشد ميلاً الى صغارهنَّ وتفانياً في الدفاع عنها . ولا تعلَّل المحبة الآن الا بكونها ميلاً فطريًّا موروثاً ولعلَّ سببها الطبيعي الاول حفظ القوة والاقتصاد فيها

(٢) اضطهاد الاسرائيليين

ومنهُ لماذا يضطهد الاسرائيليون في كل الممالك مع انهم شعب مجتهد ولا يجوز ان يعامل بالقساوة والخشونة

ج يظهر ان السبب الاكبر لذلك امتناع الاسرائيليين عن الامتزاج بغيرهم وتتلوهُ الاسباب المالية التي تجعل الاسرائيليين محسودين ممن يعجز عن مجاراتهم · لكن البلدان التي صارت السلطة الاولى فيها للمال علا مقام الاسرائيليين فيها جدًّا كما في البلاد الانكليزية

(٣) الزواج وطول العمر

المنتزه بدران افندي احمد . هل للزواج علاقة بطول العمر

ج نعم فان الذين يتزوجون يعمّرون اكثر من الذين لا يتزوجون كما ظهر بالاحصاء فالمرجح ان الزواج او المعيشة الزوجية تطيل العمر او ان العزوبة او المعيشة التي يعيشها العزب تقصر العمر ولكن يحتمل ان الذين يمتنعون عن الزواج فيهم او في بعضهم امراض او آفات تقصر عمرهم فتكون هي سبب امتناعهم عن الزواج وسبب نقصان متوسط العمر اي ان نقصان العمر او الاستعداد لهُ هو سبب لقلة الزواج لا نتيجة لازمة عنها

(٤) الاسكندرية والغربان

ومنهُ · لقد جلت في بعض بلدان القطر المصري فكنت ارى الغربان والحدآن منتشرة في الجو ما عدا الاسكندرية وضواحيها فاني ما نظرت فيها هذه الطيور فما سبب ذلك

ج لا نرى لهُ سبباً معقولاً ونرجح عدم صحتهِ · هذا ونرجو من قراء المقتطف

في الاسكندرية وضواحيها ان يراقبوا مجيء الغربان والحدآن اليها وطيرانها في جوها

(٥) المجاراة في الحركة

القاهرة - صليب افندي سامي . نعلم ان الاشياء تكتسب حركة الشيء الذي تستند عليهِ اذا كان هذا الشيء في حركة · مثال ذلك اذا وقف حصان فجاةً بعد الركض قذف راكبهُ الى الامام واذا وقع شيء من اعلى مركبة في قطار سائر وصل الى النقطة التي يصل اليها لو كان القطار واقفاً مع ان القطار يكون قد قطع مدة وقوع ذلك الشيء مسافة لا تقلُّ عن ثلاثة امتار . ولكن ماذا يكون حكم الاشياء التي تدخل من نافذة المركبة اثناء سير القطار اظن انها تكسب الحركة نفسها لاني رأيت مرارًا نحلة تدخل من النافذة وتستمر طائرة داخل المركبة فاذا كان الامر كذلك فكيف اكتسبت النحلة هذه الحركة حيث لم تستند على المركبة ولم تلمسها وكذلك الذباب فانهُ يدخل ويخرج من نوافذ المركبات في القطار السائر كأَن لا تأْثير لسرعة القطار فيهِ

ج ان النحل والذباب يكونان محمولين في هواء المركبة الجاري معها ومستندين عليهِ كما ان السمك يكون محمولاً في ماء النهر ومستندًا عليهِ وكما ان الانسان يكون محمولاً على مقعد المركبة ومستندًا عليهِ · ولكن لو رمي حجر الى داخل مركبة سائرة من نافذتها ما جرى مجرى الذباب بل مال الى الجهة التي تخالف جهة سير القطار

(٦) التزوج في ملة أُخرى

دمشق الشام · شكري افندي خليل سويدان · ان كثيرين من المسيحيين والمسلمين كانوا اولاً يهودًا فتنصَّروا او اسلموا وكانت هذه الامم الثلاثة تتزوَّج بعضها من بعض ثم ابطلت ذلك فمن اي عهد ابطلتهُ

ج لم يكن التزوج بين هذه الملل كثير الشيوع في وقت من الاوقات بل كان دائمًا نادرًا الاَّ في حال السبي ووقوع النساء في الاسر · ولا يزال التزوج جاريًا كذلك في هذا القطر والاقطار الاوربية فاننا نعرف بعضاً من المسلمين متزوجين بيهوديات او مسيحيات وبعضاً من المسيحيين متزوجين بيهوديات ايضاً ولكننا لا نعرف مسيحيًّا او يهوديًّا متزوجاً بمسلمة وحبذا الزمن الذي يتفق فيهِ الناس على عبادة الله الناس على اسلوب واحد فيبطل ما نراهُ بينهم من التباغض والتقاطع

(٧) اصل اليهود المشتتين

ومنهُ . هل اليهود المشتتون في اقطار المسكونة من سلالة اليهود سكان سورية وقت ظهور المسيح

ج بعضهم منهم وبعضهم من غيرهم لان اكثر اليهود تشتتوا في المسكونة قبل ظهور المسيح

(٨) شكل غريب في الذرة

كفر الزيات . ناشد افندي فريد .

شاهدت عوداً من الذرة نابتاً فيهِ شكل طبيعي اشبه بعصفور كامل الخلقة والهيئة واللون فما تعليل ذلك

ج ان ازهار بعض النباتات تتشكل بشكل الفراش اغراء للفراش بالوقوع عليها وتلقيحها ولكن الذرة ليست من هذه النباتات ولم نسمع ان احداً رأى شيئاً مثل ذلك في الذرة . ولا بدَّ من ان تكونوا قد حفظتم هذا الشكل فنرجو ان ترسلوهُ الينا لنراهُ ثم نردهُ لكم

(٩) التظاهر والخداع

ومنهُ . هل يجوز التظاهر والتملق والخداع لنيل خير او للتخلص من شر

ج لا يجوز ابداً ارتكاب شر ادبي مهما كانت العاقبة . ويحتمل ان يفوز القائد الذي يخدع غيرهُ لان الحرب خدعة ولكن الفوز المكتسب بالخداع ليس فوزاً حقيقياً ولا هو اصلح دائماً من الانكسار

باب الاخبار العلمية

الاغنياء الكرماء

توفي بالامس رجل رومي اسمهُ سولودفنيكوف من اكبر اغنياء روسيا قدرت ثروتهُ عند وفاتهِ بعشرة ملايين من الجنيهات ولم يكن قد تصدَّق بشيءٍ في حياتهِ فلما فتحت وصيتهُ وجد انهُ قد اوصى بثلث امواله لانشاء مدارس عالية للبنات في بلاد الروس وبثلثها لانشاء مدارس صناعية للصبيان ومدارس صناعية للبنات وثلثها لبناء مساكن لفقراء العمال . ولما توفي هذا الرجل توفي رجل آخر في موسكو من كبار الاغنياء وهذا لم يترك ثروتهُ لاعمال البر بعد موتهِ بل انفقها على اعمال البر في حياتهِ فلُقّب بافضل رجال موسكو

ومن كبار الاغنياء الكرماء البارون هرش فانهُ وهب سبعة ملايين من الجنيهات لاصلاح احوال الفقراء من اليهود ابناء ملتهِ

ومنهم الفرد نوبل مخترع الديناميت فانهُ ترك مليوني جنيه لينفق ريعها سنوياً خمس جوائز للمشتغلين بالعلوم الطبيعية والكيمياء والطب والفسيولوجيا والادب والمهتمين بابطال الحروب والتوفيق بين الامم وقال قبل موتهِ لقد علمني الاختبار ان الغنى الموروث لا يفيد بل يضر فعلى مَن كان ذا ثروة ان لا يترك لورثتهِ الاَّ جانباً صغيراً من ثروتهِ يكفيهم ليفتحوا لهم سبيلاً في الحياة

سفير اليابان في لندن

العلم اساس ارتقاء اليابان فان كل الرجال الذين في يدهم زمام امورها تخرَّجوا في المدارس العالية وقرنوا العلم بالعمل . هذا سفيرها في بلاد الانكليز الفيكونت هياشي درس مبادىء العلوم في بلادهِ على احد المرسلين الاميركيين واتمَّ دروسهُ في مدرسة الملك بلندن وترجم كثيرًا من كتب الاقتصاد السياسي من الانكليزية الى اليابانية ونال الرتب العلمية من مدرستي اكسفرد وكمبردج الجامعتين فلا عجب اذا عرف مصلحة بلادهِ وتمكن من عقد معاهدة بينها وبين انكلترا

توليد اللؤلوء

يدَّعي البعض انهُ اذا وضعت لؤلؤة كبيرة من اللؤلوء الذي يوجد في الاصداف المزدوجة في زجاجة فيها ماء من البحر وقليل من دقيق الارز ووضعت الزجاجة في مكان مظلم وتركت فيهِ سنة او سنتين تولَّد من تلك اللؤلؤة لؤلوء كثير . والذين يدعون انهم شاهدوا ذلك كثار ولكن لم يتفق لاحد العلماء ان بحث فيهِ بحثًا علميًّا حتى الآن

بوارج جديدة لليابان

اوصى اليابانيون بعض المعامل الانكليزية ببناء بارجتين تكونان اكبر البوارج كلها تفريغ كلٍّ منهما ١٦٤٠٠ طن ويكون فيهما اكبر المدافع واقواها ويجب ان تتما في سنة ونصف سنة

اللؤلؤ واشعة رنتجن

لا يخفى ان الغواصين يخرجون الصدف من قاع البحر وهم لا يعلمون هل فيهِ لؤلوء او ليس فيهِ وهل لؤلؤه بالغ حدَّهُ من النمو او لا يزال صغيرًا في بداءة نموهِ . والصدف الذي لؤلؤهُ في بداءة نموهِ اكثر كثيرًا من الصدف الذي بلغ لؤلؤهُ مبلغًا كبيرًا من النمو ولكن اذا فتحت الصدفة مات الحيوان الذي فيها ولم يبقَ سبيل لنمو لؤلئها ولذلك يتلف اكثر صدف اللؤلوء من اخراجهِ من البحر قبلما يتم نموهُ . وقد ظهر الآن انهُ يمكن فحص الصدفه بأشعة رنتجن قبل فتحها فيظهر اللؤلؤ فيهِ فان كان بالغًا فتح والاَّ ردَّ الى البحر

البالون وصخور البحر

يقال ان الصخور التي في قاع البحر تظهر جليًّا لمن يقف فوق البحر مرتفعًا عنهُ كثيرًا وقد اشار احد الفرنسويين باستعمال البالون المقيد لرؤية الصخور في قاع البحر وتصويرها بالفوتوغراف فيكون من ذلك فائدة كبيرة للسفن التي تمخر فيهِ

عمر الطيور

الطيور المغردة كالكنار والحسون تعيش من ثماني سنوات الى ثماني عشرة سنة وقد عاش الغراب في قفص اكثر من مئة سنة وعاش الببغاء اكثر من ذلك . والدجاج

يعيش عشر سنوات الى اثنتي عشرة سنة . والاوز البري عاش اكثر من مئة سنة

الحرائق في اميركا

اكبر حرائق اميركا حريق شيكاغو الذي حدث سنة ١٨٧١ فانهُ حرق فيهِ ١٧٣٤٠ بيتاً وبلغت الخسائر ٢١ مليون جنيه ويتلوهُ حريق بلطيمور الذي اشرنا اليهِ في الجزء الماضي . ونقدَّر خسائرها الآن بنحو ١٧ مليون جنيه ثم حريق بوستن الذي حدث سنة ١٨٧٢ وقد بلغت خسائرهُ ١٥ مليون جنيه . ومات بحريق شيكاغو ٢٥٠ نفساً ولم يمت في حريق بلطيمور سوى شخص واحد وهو من رجال المطافئ . ولما حرق ملعب اركواز في شيكاغو منذ عهد قريب مات فيهِ ٥٩١ نفساً . والحرائق كثيرة في اميركا فقد بلغت قيمة ما تلف بها في العام الماضي ٣٣ مليون جنيه اي نصف ثمن غلة الحنطة في سنة

العلم والدين

خطب رئيس اساقفة كنتربري يوم الاحتفال بمرور مئة سنة على جمعية التوراة البريطانية في السادس من شهر مارس الماضي فقال " ان مجلس اسبانيا رفض دعوى كولمبوس (بوجود اميركا) زاعماً انها تناقض نص التوراة . ورفض مجلس اللاهوتيين قول غاليليو بدوران الارض زاعماً انهُ مناقض لنص الكتاب المقدس وبعد مدة قام علماء الدين في انكلترا يحذرون الناس من التسليم بالقضايا العلمية التي اثبتها السر اسحق نيوتن زاعمين انها منقوضة بنص الكتاب . وانا نرى في ما عومل بهِ رجر باكن وكوبرنكس وكبار وكثيرون غيرهم الى يومنا هذا ما يوجب على دارسي الكتاب المقدس تمام الحذر في كل المجادلات التي من هذا القبيل فان اساس الله ثابت وعلى هذا الاساس اقيمت الحقائق العلمية كما اقيمت الحقائق الادبية . والعلم الصحيح والدين الصحيح اخوان توأمان ولكل منهما كتاب خاص والكتابان من الله "

الطاعون في القطر المصري

ظهر الطاعون في ناحية اولاد يحيى على حدود الصحراء امام مدينة جرجا فمات بهِ اربعة قبلما كشف امرهُ في ٥ مارس واصيب بهِ من ٥ مارس الى ١٥ منهُ ٢٧ نفساً مات منهم ٢٥ . وكان اكثر فتكهِ في عائلة فيها ١١ نفساً فتوفي ٨ منهم وفي عائلة اخرى فيها ٥ انفس فتوفوا جميعهم . واصيب اثنان في طهطا وتوفيا بعد ان كثر موت الجرذان فيها . ولم تتمكن مصلحة الصحة من معرفة المكان الذي انتقلت منهُ عدوى الطاعون الى ناحية اولاد يحيى . وظهر بشدة في اواسط سمهود بمركز نجع حمادي ونقنق والخيام بمركز البلينا . وقد بلغ عدد الذين اصيبوا بهِ منذ اول ظهورهِ الى ٢٧ مارس ١٥٧ نفساً توفي منهم ١٢٥ نفساً وشفي سبعة

تجارة انكلترا الخارجة

بلغ الصادر الى انكلترا من القطر المصري ٥٣ في المئة من كل صادراته والوارد اليه منها ٣٨ في المئة من كل وارداته · وقد حسب مقدار الصادر والوارد في كل البلدان التالية على الاسلوب السابق اي مقدار الصادر الى انكلترا بالنسبة الى كل صادرات البلاد ومقدار الوارد اليها بالنسبة الى كل الواردات

	الصادر منها الى انكلترا	الوارد اليها من انكلترا
شيلي	٧٣ في المئة	٣٣ في المئة
الدنمارك	٦٠ "	٢٠ "
مصر	٥٣ "	٣٨ "
اسوج	٤٣ "	٣٣ "
نروج	٤٣ "	٣٠ "
الولايات المتحدة	٤١ "	١٨ "
اسبانيا	٣٣ "	٢٥ "
اليونان	٣١ "	٢٠ "
فرنسا	٣٠ "	١٤ "
هولندا	٢٣ "	١٥ "
روسيا	٢١ "	٢٠ "
سويسرا	٢٠ "	٥ "
المانيا	١٩ "	١٢ "
بلجكا	١٩ "	١٤ "
النمسا	١٠ "	٩ "

والبلدان التالية وارداتها من انكلترا اكثر من صادراتها اليها وهي

	الصادر منها الى انكلترا	الوارد اليها من انكلترا
جمهورية ارجنتين	١٥ في المئة	٣٤ في المئة
البرتغال	٢٦ "	٣٢ "
اورغندي	٧ "	٢٦ "
اليابان	٥ "	٢٤ "
ايطاليا	١٢ "	٢١ "
الصين	٦ "	٢٠ "
المكسيك	٨ "	١٧ "
البلغار	١١ "	١٦ "
رومانيا	٦ "	١٤ "

آثار مصرية جديدة

كتب الينا حضرة مكاتبنا من الاقصر ان السنيور سكابرلي اكتشف في وادي الملكات بالقرنة قبر البرنسس امست بنت الملك سبقونا · وقد وجدت جثتها واسمها مكتوب على كفنها ووجد في قبرها نحو ثلاثين صندوقاً فيها طيور محنطة · واكتشف ايضاً قبر البرنس امون ابن الملك رعمسيس الثالث الذي كان رئيس الحرس الملكي ووجد فيهِ ناووساً من الغرانيت ولكن لم يجد الجثة والقبر بديع النقش جدًّا

واكتشف المستر دافس الاميركي في وادي الملوك قبر الملكة هاتسو طوله نحو مئتي متر ووجد فيهِ ناووساً من الغرانيت عليهِ اسم هذه الملكة وناووساً آخر عليهِ اسم الملك تحتمس الاول

قبر الملكة هاتسو

بين قبور الملوك في طيبة قبر الملكة هاتسو المعروف بالعدد ٢٠ فتحهُ لبسيوس واستخرج الردم منهُ مسافة ٥٦ مترًا ثم تركهُ إما ضجرًا واما عجزًا لقلة المال في يدهِ . وقد اتم المستر دافس الاميركي فتحهُ الآن فوجد على ٥٦ مترًا من بابهِ غرفة كبيرة وهي آخر ما وصل اليهِ لبسيوس وبعدها غرفة ثانية على ستين مترًا منها وغرفة ثالثة على ٣٦ مترًا من هذه ويمتد من هذه الغرفة سرداب منحنٍ الى غرفة المدفن وفيها ناووسان صقيلا الجوانب عليهما كتابات بديعة احدهما للملكة هاتسو والآخر لابيها الملك تحتمس الاول . والناووسان مفتوحان وغطاءاهما الى جانبيهما كأن كهنة المصريين خافوا مرةً من ان يهتك حرم مدافنهم فنزعوا جثث ملوكهم منها واخفوها في اماكن اخرى اما جثة الملك تحتمس فوجدت مع جثث غيرهِ من الملوك في الدير البحري ونُقلت الى دار التحف المصرية وهي فيها الآن كما هو معلوم واما جثة ابنتهِ الملكة هاتسو فلم توجد حتى الآن . ولم يتم المستر دافس استخراج الردم من كل سراديب هذا القبر وغرفهِ ولا وجد في ما استخرجهُ منها حتى الآن شيئًا لهُ شأن تاريخي كبير سوى ما يدل على ان هذا القبر لم تحفرهُ الملكة هاتسو بل حفرهُ ابوها وربما حفر قبل عهدهِ ليكون مدفنًا عامًّا للاسرة المالكة

العلم في اليابان

ابتدأ العلم الحديث في بلاد اليابان سنة ١٨٦٨ اي بعد ما أُنشئت المدرسة الكلية الاميركية في بيروت بسنتين . وفي تلك السنة انشئت ادارة للمعارف في بلاد اليابان وبعد ثلاث سنوات انشئت نظارة خاصة لها ووضع قانون للتعليم سنة ١٨٧٢ وقال امبراطور اليابان حينئذٍ حينما اصدر الامر العالي بهِ ما ترجمتهُ " ان كل المعارف اللازمة للضباط والزرَّاع والصناع والاطباء وغيرهم لكي يتأهلوا لاعمالهم المختلفة انما تحصل بالتعليم . ويراد نشر التعليم في البلاد كلها حتى لا تبقى قرية فيها عائلة امية ولا عائلة فيها شخص امي " . ولم تمض ٢٦ سنة على صدور هذا القانون حتى صار عدد تلامذة المدارس ٧٩٢٥٩٦٦

وسنة ١٨٧٢ تألف مجلس من ٤٩ عضوًا لدرس احوال التعليم في اوربا واميركا وكان من اعضاء هذا المجلس البرنس اواكورا والمركيز ايتو وكانت حكومة اليابان ترسل نخبة شبانها الى اوربا واميركا لدرس العلوم والفنون فيهما وقد كان عدد هؤلاء الطلبة ٢٥٠ سنة ١٨٧٣ ثم قلَّ عددهم رويدًا رويدًا بارتقاء مدارس اليابان العالية واستغنائها عن المدارس الاجنبية حتى لم يبق منهم سنة ١٨٩٥ سوى احد عشر طالبًا . وهذا شأن من تستخدمهم من الاساتذة الاجانب فان عددهم كان كثيرًا جدًّا في اول الامر ثم صارت

تستغني عنهم رويداً رويداً حتى لم يبقَ منهم في مدارس الحكومة سنة ١٨٩٥ سوى ٣١ استاذاً . والتعليم في اليابان جارٍ على اسلوب التعليم في اميركا وتنفق الحكومة على مدارسها الابتدائية نحو مليوني جنيه وهي بمثابة عشرة ملايين من الجنيهات عندنا لرخص الحاجيات فيها وغلاء النقود . ويتعلم الصبيان في هذه المدارس الابتدائية مبادئ العلوم العملية التي يتعاطونها بعدئذٍ كالزراعة والصناعة وما اشبه ويتعلم البنات مبادئ تدبير المنزل والخياطة والتطريز وما اشبه . وقد صار التعليم كلهُ مجانياً منذ سنة ١٩٠٠

واليابانيون ينفقون بسخاء على التعليم وقد بلغت هباتهم لذلك في سنة واحدة ١٥٤٠٠٠ جنيه و ٣٦٧٧٠٠٠ فدان من الارض و ١٤٠٠٠ مجلد من الكتب

وفي البلاد مدرستان جامعتان واحدة في توكيو وواحدة في كيوتو تعد اساتذتهما بالمئات وطلبتهما بالالوف على حداثة نشأتهما فان مدرسة توكيو الجامعة أُنشئت سنة ١٨٧٧ ثم غيّرت سنة ١٨٨٦ وقد بلغت نفقات التعليم فيها سنة ١٨٩٥ نحو ١٣٠ الف جنيه

بوارج انكلترا

زادت انكلترا في بوارجها وطراداتها في العام الماضي مقدار ما عند دولة من الدول البحرية الكبيرة فانها زادت ١٤ سفينة حربية تفريغها ١٤٩٣٤٠ طناً وقوة آلاتها البخارية ٢٦٢٨٠٠ حصان وفيها خمس بوارج من الطبقة الاولى ومن اكبر بوارج الدول واسرعها تفريغ كلٍ منها ١٤٠٠٠ طن وسرعتها ١٩ ميلاً بحرياً وسبعة طرادات مدرعة سرعة كلٍ منها ٢٣ ميلاً بحرياً

معرض الازهار والبقول والاثمار

سرنا هذا المعرض كثيراً في هذا العام لكثرة ما رأيناهُ فيهِ من معروضات العارضين الوطنيين فقد كنا في الاعوام السالفة لا نكاد نرى بين الازهار شيئاً يذكر للعارضين المصريين ما عدا صاحب الدولة البرنس حسين باشا كامل . ثم رغب المصريون في زرع الازهار وتربيتها واقبلوا على عرضها تدريجاً حتى استوقفت معروضات حضرة احمد خلوصي بك المقاول الابصار في العام الماضي وخصها المقطم بالذكر والوصف لجمالها وكثرت في هذا العام وتعددت حتى شعر الناظرون ان الكفة الراجحة في هذا المعرض اضحت للمصريين او اوشكت . فقد قسمت ادارة هذا المعرض الازهار التي عرضت في اصص او صناديق والازهار المقطوفة الى ٣٧ قسماً . وكان لحضرة خلوصي بك معروضات في اكثر من ٢٠ قسماً منها وما لم يكن لهُ معروضات فيهِ كان لغيرهِ مثل دولة البرنس فؤاد باشا

وسعادة تكران باشا وسعادة آصف باشا وحضرة عبد الرحيم بك صبري واحمد افندي زهران وغيرهم . ثم ان دولة البرنس فؤاد باشا نال المدالية الفضية المذهبة جائزة معروضاتهِ وحضرة خلوصي بك نال خمس جوائز اولى وثلاث جوائز ثانية ومعروضاتهُ كلها من الازهار النادرة المثال كالنرجس الكبير البديع الاشكال والسحلبيات والسراخس البالغة غاية الجمال

اما دولة البرنس حسين باشا كامل فابدع في ما عرضهُ من الازهار والرياحين ولكنهُ طلب ان لا تدخل في معرض الجوائز

واما العارضون الاوربيون فاكثرهم معروف من الاعوام السابقة كحضرات بونيتو بك والدكتور كيتنج والكبتن مكمردو والمسيو جليبرتي . وعرض جناب المستر فندلي من جملتهم هذه السنة ايضاً . وقد بارى نساؤُهم رجالهم فالسيدات العارضات منهم اكثر من العارضين وقد كنا نود لو ان السيدات الوطنيات شاركن الاجنبيات في عرض الموائد المزينات بالازهار او عرض طاقات الازهار ونحوها

اما معرض البقول والاثمار فلا نرى فيهِ من دلائل التقدم ما نرى في معرض الازهار بل ان ما كان يعرض منها في الاعوام السالفة يحكي ما عرض في هذا العام او يفوقهُ . غير ان المعروضات تدل على تقدم الزراعة في الشليك وفي المليون (الكنثك الماز) تقدماً عظيماً وعلى تقدم زراعة البطاطس ايضاً

وتقول بالاجمال ان معرض الازهار يتقدم عاماً فعاماً وذلك بحسن عناية المتولين امرهُ ونخص بالذكر منهم جناب المستر كاري اول الساعين فيهِ والمهتمين بامرهِ

البارجة

تطلق البارجة على كل سفينة حربية ونريد بها عند التخصيص المدرعة وهي ما يسمَّى بالانكليزية battleship وبالفرنسوية Cuirassée وهي اكبر السفن الحربية واقواها تدريعاً واعظمها مدافع . ولثقلها تكون سرعتها اقل من سرعة الطراد فهي بمقام حصن نقّال يسير في الماء يقوم الحديد الذي يكسوها مقام اسوار الحصون وجدرانها وهو من الصلب (الفولاذ) الشديد الصلابة والغالب ان يكون سمكهُ من ٨ بوصات الى ١٨ بوصة واسمكهُ في وسط البارجة لكي يقي آلاتها البخارية وعلى الابراج التي فيها المدافع الكبرى . والغالب ان يكون فيها برجان كبيران في كلٍّ منهما مدفعان من المدافع الكبيرة التي قطر فوهة كلٍّ منهما من ١٢ بوصة الى ١٣ بوصة وفوقهما برجان صغيران في كلٍّ منهما مدفعان اصغر من الاولين قطر فوهة كلٍّ منهما ٨ بوصات وتسدَّد مدافعها الثانية الى الغرض الواحد في وقت واحد فتقع قنابها عليهِ معاً

كالقضاء المبرم . ويكون فيها كثير من المدافع الصغيرة والانابيب التي يقذف الطربيد منها ويكون جسمها مقسوماً الى غرف محكمة حتى اذا ثقب جدار غرفة منها ودخلها الماء بقي محصوراً فيها ولم يدخل غيرها فتبقى السفينة طافية في الماء الى ان تسد هذه الغرفة ويخرج الماء منها. ويبلغ ثمن البارجة عادة من مليون جنيه الى مليون واربع مئة الف جنيه

الطرَّاد

نريد بالطراد ما يسمَّى بالانكليزية Cruiser وبالفرنسوية Croiseur وقد سميناه قبلاً جوَّالة لانهُ يجول من مكان الى آخر لحماية السفن التجارية الخاصة ببلادهِ او لايقاع الضرر بغيرها . والطرادات اشكال بعضها مدرَّع وهو كبير وقوي جدًّا يكاد يكون كالبوارج وبعضها غير مدرع وبعضها بين بين او لهُ درع يحمي آلاتهِ . والغالب ان تكون سرعة الطراد المدرع من ٢٠ ميلاً بحريًّا الى ٢٣ ميلاً ويكون فيهِ مدافع كبيرة قطر فوهة الواحد منها ٨ بوصات ومدافع اخرى اصغر منها وتكون آلاتهُ البخارية مثل آلات البوارج او اقوى منها لكي يسير بسرعة . ويكون فيهِ ايضاً انابيب يقذف الطربيد منها بعضها فوق الماء وبعضها غائص في الماء . والخلاصة ان الطراد المدرع يفرق عن البارجة في ان تدريعهُ اقل من تدريعها ومدافعهُ اصغر لكي يكون اخف منها وتكون سرعتهُ اشد من سرعتها . ويبلغ ثمن الطراد المدرع من ستمئة الف جنيه الى مليون جنيه او اكثر والمحمي من ثلثمئة الف جنيه الى ستمئة الف جنيه

النسافة

النسافة سفينة صغيرة تسير بسرعة وتقذف الطربيد على السفن الحربية تحت سطح الماء . والطربيد يسير منها بقوة الدفع او بآلة فيهِ تدير رفاصاً فيسير بسرعة نحو الغرض الذي سدّد اليهِ . ويبلغ ثمن النسافة من ستين الف جنيه الى مئة الف جنيه

المدفعية

سفينة صغيرة فيها مدفع كبير او مدفعان كبيران يسهل دنوها من البوارج فيتعذر على البوارج اصابتها لانها لا تستطيع ان تسدد مدافعها على غرض قريب منها

اساطيل الشرق

تدعو الحرب الناشبة الآن بين الروس واليابان الى معرفة ما عند هاتين الدولتين من الاساطيل في الشرق الاقصى وما عند غيرهما من الدول الاوربية في تلك البحار

اما اساطيل الروس واليابان فقد وصفناها في مكان آخر ونزيد على ذلك انهُ اذا استمرَّت الحرب ثمانية اشهر اخرى استطاعت روسيا ان ترسل الى الشرق الاقصى خمس بوارج جديدة من الطبقة

الاولى لم يتم بناؤها واعدادها للحرب حتى الآن ولكنهُ يتم في بضعة اشهر فانها شرعت سنة ١٨٩٨ في بناء سبع بوارج من الطبقة الاولى فأتمت اثنتين منها وارسلتهما الى الحرب وهما الرتفيزان والزارفتش والخمس الباقية تكاد تتم فاذا تمت قريباً وأُرسلت الى دار الحرب صار الاسطول الروسي اقوى كثيراً من الاسطول الياباني ولا ترسلها وحدها بل ترسل معها طرادين من الطبقة الثانية واحدى عشرة نسافة. وفي المدرعات الخمس عشرون مدفعاً مما قطر فوهتهِ ١٢ بوصة و٦٠ مدفعاً مما قطر فوهتهِ ٦ بوصات و١٠٠ مدفع مما قطر فوهتهِ ٣ بوصات ومئة واربعون مدفعاً اصغر منها وعشرون انبوباً للطربيد وكلها اقوى من الزارفتش واصلح منها

اما الدول الاخرى فلها في الشرق الاقصى ما يأتي : لانكلترا خمس بوارج وطرادان مدرعان وثمانية طرادات محمية و١٣ نسافة . ولفرنسا بارجة واحدة وطرادان مدرعان وخمس طرادات محمية و١٤ نسافة لكن بوارج انكلترا وطراداتها اقوى كثيرًا من بوارج فرنسا وطراداتها . وللولايات المتحدة ثلاث بوارج وطرادان مدرعان واربع طرادات محمية . ولالمانيا طراد مدرع وست طرادت محمية ونسافة واحدة

الظواهر الفلكية في ابريل

اوجه القمر

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاخير	٧	٧	٥٣ مساء
الهلال	١٥	١١	٥٣ ،
الربع الاول	٢٣	٦	٥٥ صباحاً
البدر	٣٠	٠	٣٦ ،

عطارد — يكون نجم المساء الشهر كلهُ

الزهرة — تكون نجم الصباح وتشرق قبل الشمس بساعة

المريخ — نجم المساء يغيب بعد الشمس بساعة

المشتري — لا يصلح موقعهُ لرصدهِ

زحل — يشرق الساعة ٢/١ ٢ صباحاً

العقل وثقل الدماغ

ظهر من وزن ادمغة ٢٣٥ رجلاً ان متوسط ادمغة العمال ١٤٠٠ غرام والصناع الماهرين ١٤٥٠ غراماً والتجار ١٤٦٦ غراماً والعلماء والاطباء ١٥٠٠ غرام

اصلاح خطإٍ

كتب الينا حضرة عبد القادر افندي حمزة صاحب مقالة "خطر علينا وعلى الدين" يقول انهُ وقع تحريف في آيتين مذكورتين فيها وصوابهما

"وما خلقت الجن والانس الاَّ ليعبدون"

"انا نحن نزلنا الذكر وانا لهُ لحافظون"

فهرس الجزء الرابع من المجلد التاسع والعشرين

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد التاسع والعشرين

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٥ صفر سنة ١٣٢٢

القطر المصري واللورد كرومر

لا مشاحة ان للورد كرومر اليد الطولى في النجاح العظيم الذي نجحهُ هذا القطر في عهد الاحتلال البريطاني. ونحن في نسبتنا هذا الفضل اليهِ لا نبخس احداً غيرهُ حقهُ من الفضل لا من الوطنيين ولا من الاجانب. وقد عودنا اللورد كرومر ان يتحفنا كل سنة بتقرير مسهب يصف فيهِ ما تم في هذا القطر من اعمال الحكومة في السنة السابقة ويذكر ما يراد اتمامهُ بعد ذلك. وقد جاء تقريرهُ عن العام الماضي اوسع من تقاريرهِ السابقة وتناول مسائل كثيرة مما يتعلق بشؤُون السكان سواء كانوا من رجال الحكومة او من غيرهم فترجمناهُ على جاري عادتنا ووزعناهُ على المشتركين في المقطم ورأينا اتماماً للفائدة ان ننشر خلاصة بعض فصولهِ في المقتطف ليطلع عليها قراؤُه في هذا القطر وغيرهِ من الاقطار وسنقتصر على الفصول التي مباحثها عمومية تمهد لنا سبيلاً للبحث حين الموازنة بين مصر وغيرها من البلدان الشرقية

(١) الميزانية

لما قدرت ميزانية الحكومة المصرية لسنة ١٩٠٣ جُعلت الايرادات فيها ١١٠٠٠٠٠٠ جنيه مصري فبلغت في آخر السنة ١٢٤٦٤٠٠٠ جنيه وقدِرت المصروفات ١٠٩٧٥٠٠٠ فبلغت ١١٧٢٠٠٠٠ وقدِرت زيادة الايرادات على المصروفات ٢٥٠٠٠ فبلغت ٧٤٤٠٠٠

لكن الزيادة كانت اكثر من ذلك كثيراً فانها بلغت ٢١٣٣٠٠٠ جنيه فاضيف ١١٢٤٠٠٠ جنيه منها الى المال الاحتياطي العمومي و ٢٦٥٠٠٠ جنيه الى وفر التحويل وبقي منها ٧٤٤٠٠٠ جنيه كما تقدم. وقبل ان نشر التقرير بالعربية تم الاتفاق بين انكلترا وفرنسا على ان الحكومة المصرية تفك من القيود القديمة فتتصرف بما في صندوق الدين من الاموال

الاحتياطية والمتوفرة كلها وبكل ايراداتها السنوية بعد ايفاء فائدة الدين. وكان مجموع الاموال المتوفرة في صندوق الدين في بداءة هذه السنة ٢٧٦١٠٠٠ من المال الاحتياطي العمومي و٢١٢٨٠٠٠ من المال الاحتياطي الخصوصي و٥٥٠٧٠٠٠ من وفر التحويل والجملة ١٠٣٩٦٠٠٠ من الجنيهات لكن نحو نصف هذه الاموال مخصص لاعمال عمومية كانشاء سكة حديدية بين سواكن وبربر وما اشبه

(٢) الدين المصري

كان الباقي من الدين المصري في آخر العام الماضي ١٠٢١٨٧٠٠٠ جنيه انكليزي الآ ان في صندوق الدين وفي نظارة المالية مبلغ ٨٨٠٤٠٠٠ جنيه فالباقي عند حاملي السندات ٩٣٣٨٣٠٠٠ جنيه. وقد بحث اللورد كرومر في هل الاولى بحكومة مصر ان توفي ديونها بما يزيد من دخلها او ان تنفق الزيادة على الاعمال النافعة التي تزيد دخلها ودخل شعبها واثبت ان الامر الثاني اصلح من الاول وقال في هذا الصدد ما ترجمتهُ

ويحسن ان اذكر في هذا المقام اموراً تتعلق بمسألتين مهمتين تؤثران في مستقبل مصر الحالي الاولى هل حان الوقت للشروع في ايفاء الدين الممتاز والموحد اللذين تساوي قيمة الباقي من سنداتهما ٨٧٠٩٩٧٤٠ جنيهاً انكليزياً (١) والثانية من اين يؤتى بالاموال لترقية مصر والسودان في المستقبل

وهاتان المسألتان مرتبطتان معاً ارتباطاً شديداً لانهُ اذا اوفت الحكومة المصرية ديونها واستدانت اموالاً غيرها لترقية مصر والسودان تجري فيما ارى على الخطاء الذي كان شائعاً في اوائل القرن الماضي حين كان يظن ان من حسن الادارة المالية تعيين مال لاستهلاك الدين ولو لم يزد الايراد على المصروف. واري ان المقام يحتاج الى بعض الاسهاب في هذا الباب لاني لا اظن الجميع يرون الفرق الجوهري بين ما كان من البلدان كبلاد الانكليز حيث سكك الحديد ونحوها من الاعمال تعملها غالباً الشركات الخصوصية وما كان كبلاد الهند ومصر حيث كل الاعمال العمومية الرئيسة تنشئها الحكومة

فاذا حسبنا زيادة الدين في مثل هذه البلدان الاخيرة علامة قاطعة على ارتباك ماليتها اخطأنا خطاء فاضحاً وكان حكمنا على ماليتها كالحكم على شركة ناجحة بالاشراف على الافلاس لانها زادت رأس مالها لكي توسع نطاق اشغالها الرابحة . والعبرة بكيفية انفاق المال الذي

(١) اما الديون الثلاثة الاخرى وهي دين الدائرة ودين الدومين والدين المضمون فلا بدَّ من ايفائها على توالي الزمن فالاولان يوفيان ببيع الاطيان والاخير بدفع الاقساط السنوية وهي تتضمن مال الاستهلاك

يستدان . فالدين المصري الحاضر معظمهُ عبءٌ ثقيل على البلاد لم يكن منهُ نفع لانهُ كان يستدان ليبذر في غالب الاحيان بخلاف الاموال الطائلة التي صرفتها الحكومة المصرية حديثًا على الاعمال العمومية فاني على يقين تام انها جاءت بالنفع الكبير وان انفاقها في السبل التي انفقت فيها كان خيرًا من ايفاء الدين بها

واما معرفة مقدار المال الذي يمكن انفاقهُ في المستقبل على الاعمال العمومية الكبيرة النفع في القطر المصري فليست بالامر اليسير . ولكن لا خلاف في ان هذا القطر غير متسع كبلاد الهند مثلاً فلا محل فيهِ لانفاق الاموال التي لا تقع تحت حصر على فتح الترع وانشاء سكك الحديد . نعم ان القطر المصري كثير الخيرات ومصادر الثروة الطبيعية ولكن خيراتهُ ومصادر ثروتهِ محدودة يتيسر بلوغ غايتهما بعد زمن غير بعيد . فانهُ يقال بالاجمال ان الاراضي الزراعية في القطر المصري لا تتجاوز حد ما يمكن ارواؤُهُ بماء النيل . فكون اراضي القطر الزراعية محدودة يستلزم ان يكون المال الذي يمكن ان ينفق على الري ويعود بالربح محدودًا ايضًا (وان نكن لم نبلغ هذا الحد بعد) لان الماء الذي يمكن ان يجري في النيل الى القطر المصري محدود لا يزاد ولو عمل المهندسون غاية ما يبلغ اليهِ علمهم لتكثير الوارد منهُ . وهذا الامر عينهُ يستلزم ايضًا ان يكون مد سكك الحديد في القطر محدودًا . اذ لا يكاد يحتمل ان الضرورة تقتضي انشاء خطوط اصلية كبيرة كالخط المهم المار على موازاة النيل الى اصوان بل الخطوط المرجح انشاؤُها في المستقبل القريب هي فروع جانبية تتشعب في البلاد لكي تُنقل بها حاصلات ما يمكن ان يجدّ من الاراضي الزراعية الى النيل او الى الخط الاصلي الموازي لهُ

والظاهر ان ما ذكرتهُ عن وجود حدّ لمصروفات الري في القطر المصري يصدق ايضًا على نفقات الري في السودان باختلاف يسير فان نطاق الزراعة في السودان متوقف على مقدار الماء الذي يمكن الري بهِ من البحر الازرق والابيض والاتبرة والجاش هذا اذا استثنينا الاماكن المتطرفة جنوبًا حيث يكثر وقوع المطر . ولكن السودان يختلف عن القطر المصري كثيرًا من حيث ما يلزم لهُ من سكك الحديد فان المجال فيهِ واسع جدًّا لها ولكن لا يحسن الاسراع في مدّ سكك حديدية كثيرة فيهِ لاعتبارات مالية ولقلة سكانهِ بالنسبة الى اتساعهِ فليس من الصواب مدها الآن الاَّ في جهة او جهتين معلومتين جليًّا على نوع ما

على انهُ وان يكن مقدار المال اللازم لاستثمار خيرات مصر ومصادر ثروتها غير معلوم الاَّ بوجه التقريب فالاموال التي ستدخل في حوزة الحكومة قريبًا لعمل الاعمال التي يقر الرأي عليها معلومة جيدًا . ومن علمها يتيسر لنا ان نرجح ان كانت الحكومة ستضطر الى الاستدانة

لحصول على اموال جديدة. فلننظر الآن ما هي الاموال التي ستدخل في حوزة الحكومة فنقول

اولاً زيادة الايرادات على المصروفات وقد بلغت في العام الماضي ١٨٦٨٠٠٠ ج. م(١) وستزيد حتماً لسببين الواحد ان الخزينة ستأخذ ٤٦٠٠٠٠ ج. م سنوياً من زيادة الضرائب بسبب انشاء الخزان والآخر ان الدلائل كلها تدل على ان الايرادات ستظل تزيد في كل الفروع تقريباً. هذا من الجهة الواحدة غير ان الزيادة عرضة للنقصان من الجهة الاخرى بسبب زيادة المصروفات اللازمة لبعض الاغراض الادارية المختلفة. ثم ان زيادة الايراد في المستقبل لا تبقى على ما هي اذا اقتضت الضرورة تخفيض الضرائب. وهذه الامور كلها غير معلومة الآن وانما المعلوم هو ان زيادة الايرادات على المصروفات ستكون كثيرة حتماً ولكن مقدار هذه الزيادة يتوقف على الخطة التي تتبعها الحكومة من حيث الاصلاح المالي والاداري

وثانياً ان في صندوق الدين ١٢٥٤٠٠٠ ج. م ومبلغاً من المال الاحتياطي العمومي كان في ٣١ دسمبر الماضي ٩٦٧٠٠٠ ج. م ولم يخصص لشيء ومجموع ذلك ٢٢٢١٠٠٠ ج. م ولكن هذا المال ليس تحت تصرُّف الحكومة على نوع ما لانهُ وان كان مالاً طائلاً يفضل ان يبقى ضماناً لايفاء فائدة الدين ومهما يكن من الامر فلا بد من بقاء مال طائل تحت تصرُّف اعضاء صندوق الدين دائماً على سبيل مال احتياطي يمكن استعمالهُ حالاً عند الحاجة اليهِ

وثالثاً ان الباقي من الاحتياطي الخصوصي ١٥٧٥٠٠٠ ج. م وهو تحت تصرُّف الحكومة وهذا ليس من الاموال التي يعتمد عليها في ما نحن بصددهِ وهو سيزاد في السنوات التالية من زيادة الايرادات على المصروفات ولكنهُ الآن اقل من المبلغ الذي يراد انفاقهُ على انشاء سكة الحديد بين بربر وسواكن لان الاموال اللازمة لتلك السكة ستؤخذ من الاحتياطي الخصوصي كما مرَّ ذكرهُ

ورابعاً وفر التحويل وقد بلغ في ٣١ دسمبر الماضي ٥٥٠٧٠٠٠ ج. م وهو لا يمكن مسهُ من غير مصادقة الدول ومع ذلك احسبهُ من اموال الحكومة لانهُ لا يكاد يحتمل ان النظام الحالي المختل الموجب لتراكم هذا المال يدوم الى الأبد. وقد زاد هذا المال ٥١٦٠٠٠ ج. م في العام الماضي وسيبلغ اخيرًا مبلغاً يتوقف على طول الزمن الذي يترك فيهِ يتراكم بفائدة مركبة وعلى اسعار السندات المصرية وهو يعدُّ الآن مالاً للاستهلاك ولكن على وجه قبيح موجب للتبذير والاسراف لان الحكومة المصرية تستهلك بهِ دينها بشراء سنداتها باسعار

---

(١) وهذا يشمل ١٢٢٠٠٠ ج. م دفعت لصندوق الدين وحسبت من المال الاحتياطي العمومي ولكنهُ لا يشمل ٢٦٥٠٠٠ ج. م دفعت الى وفر التحويل

اعلى من سعرها الاصلي في الغالب

وخامساً ان تصفية الدائرة السنية متى تمت سنة ١٩٠٥ تكسب الحكومة مالاً لا يقل عن ٣٠٠٠٠٠٠ ج.م بل ربما زاد عن ذلك لكنها تلتزم ان تدفع معاشات سنوية تبلغ في اول الامر ٥٠٠٠٠ او ٦٠٠٠٠ جنيه

وسادساً اذا صُفّي الدومين سنة ١٩١٥ انتقلت بعض اراضيهِ الى الحكومة وثمنها يساوي حسب التقدير الحالي ١٥٠٠٠٠٠ ج.م او ٢٠٠٠٠٠٠ على ما اظن ولكن الحكومة تلتزم مقابل ذلك ان تعطي مستخدمي الدومين مالاً قليلاً على سبيل التعويض. فاذا غضضنا النظر عن زيادة الايرادات على المصروفات في السنين المقبلة وعن الاحتياطي اللازم جعلهُ ضماناً لحاملي سندات الدين بقي معنا ثمانية ملايين ونصف (٥ ١/٢ من وفر التحويل و٣ من الدائرة) وهذه تدخل في حوزة الحكومة بعد زمن قصير لتنفق على الاعمال ذات الريع كانها راس مال لها. ثم انهُ يزيد عند الحكومة ايضاً مليونا جنيه من تصفية الدومين سنة ١٩١٥

لا نقول ان الحكومة المصرية لا تحتاج الى اقتراض مال مطلقاً في مستقبل الزمان وانما نقول انهُ يتضح من الارقام السابقة انها اذا احسنت تدبير اموالها سهل عليها ان تنفق ما تشاء من الاموال على الاعمال النافعة في المستقبل القريب من غير ان تستدين شيئاً

ومرادي الآن ان ابين ان سلوك هذا السبيل ميسور لابناء العصر الحاضر بلا خوف من زيادة اثقال الضرائب على كاهل ذريتهم في المستقبل. فغني عن البيان ان صرف الاموال على الاعمال النافعة يفيد ابناء المستقبل ولكننا بقطع النظر عن ذلك نجد ابناء الزمان المقبل يستفيدون من وجوه اخرى وهي

اولاً ٣٤٠٠٠ ج.م كل سنة تدفع الآن الى الدائرة السنية عن دين الدائرة الخاصة القديمة و يبطل دفعها سنة ١٩٠٥

ثانياً سنويات يبلغ مجموعها ١٢٠٠٠ ج.م وهي تدفع الآن الى صندوق الدين وينتهي دفعها بين سنة ١٩٠٧ وسنة ١٩١٥

ثالثاً مال المقابلة [1] وقدرهُ ١٥٠٠٠٠ ج.م كل سنة وهذا ينتهي دفعهُ سنة ١٩٢٠

رابعاً ٥٧٠٠٠ ج.م تدفع الآن الى صندوق الدين كل سنة عن دين سكك الحديد وينتهي دفعها سنة ١٩٣٣

---

(١) مال المقابلة عبارة عما يدفع سنوياً للذين اقترضوا بوعد الحكومة العرقوبي في عهد اسمعيل باشا فدفعوا اليها مالاً بناءً على ان تخفض لهم اموال الاطيان الى نصف ما كانت عليهِ مقابل دفعهم ذلك المال

خامساً الاقساط السنوية التي تدفع الآن لسد مصروفات انشاء الخزان وقد كان القسط منها ١٥٣٠٠٠ ج ٠ م وهذه ينتهي دفعها سنة ١٩٣٣

سادساً اقساط الدين المضمون وقدر القسط منها ٣٠٧٠٠٠ ج ٠ م وهذه ينتهي دفعها سنة ١٩٤٨

ومجموع هذه المبالغ الستة ٦٧٩٠٠٠ ج ٠ م

وزد على ذلك ان امتياز ترعة السويس ينتهي سنة ١٩٦٨ لانهُ لتسع وتسعين سنة ويحق للحكومة المصرية حينئذٍ ان تأخذ الترعة على شرط ان تدفع للشركة قيمة المواد المختصة بخدمة القنال البحرية ٠ ويظهر من حسابات القنال الاخيرة المنشورة عن سنة ١٩٠٢ ان ايراد الشركة بلغ نحو ٣٨٠٠٠٠٠ ج ٠ م وقلما يحتمل ان مالاً بقدر هذا يكون من نصيب الخزينة المصرية ٠ ولكن زمان البحث في هذه المسألة لم يحن الآن بل الحكم فيها يكون لاولادنا او لاحفادنا. وانما ذكرت ذلك للزيادة في اثبات ما قلتهُ من ان ابناء المصريين سيكونون في حالة من اليسر ورخاء العيش تغني ابناء هذه الايام عن الاهتمام بأمرهم في ما نحن بصددهِ الآن

وخلاصة ما يستنتج مما تقدَّم من الاعتبارات انهُ ما دام عند الحكومة ما ذكرنا من الاموال وما دامت ايراداتها تزيد الآن على مصروفاتها وما دامت ايراداتها تزداد ايضاً وتتعاظم على توالي الاعوام وما دام كثير من الاموال التي تدفعها الخزينة المصرية سيبطل دفعها لهُ في المستقبل فلا محل للتردد مطلقاً في رفض كل مايقال عن تعيين مال لاستهلاك الدين غير الذي يستهلك بهِ وفي بذل كل ما يتيسر من المال على الاعمال ذات الريع ولكن على شرط ان تدرس مشروعاتها حق الدرس وان يجاد النظر فيها قبلما يقر الرأي على اخراجها من القوة الى الفعل"

هذا وقد جاء الاتفاق بين انكلترا وفرنسا مؤيداً لما يرتئيهِ اللورد كرومر من خطإِ السياسة المالية التي تقيد مصر بتحديد نفقاتها ضمن حدود لا تتعداها وخزن ما يزيد من دخلها في صندوق الدين حتى يتراكم بعضهُ فوق فان هذه السياسة كانت لازمة في زمن العسر والتبذير واما في زمن الرخاء والتدبير فصار ضررها اكثر من نفعها

ثم ان اللورد بيَّن بالادلة الكثيرة ان زيادة الدخل على النفقات ستزيد عمَّا هي عليهِ الآن وذلك بزيادة الدخل نفسهِ وبزوال جانب من النفقات التي تنفق لاغراض محدودة واذا عُملت الاعمال العمومية النافعة بالاموال المتوفرة الآن وبما يزيد من الدخل عاماً بعد عام زاد دخل الحكومة ايضاً. ولابدَّ من ان يسأل سائل ترى ماذا تفعل الحكومة اخيرًا بما يزيد لديها من الاموال والجواب لا تتعذر معرفتهُ على احد وهو انها تبذل المال في ما يزيد بهِ دخل الاهلين وراحتهم ورفاهتهم وهذا هو الغرض الاول من كل حكومة منتظمة

فلسفة سبنسر

ابنا في الجزء الماضي ماهية العلوم ونسبة الفلسفة اليها واهتمام سبنسر بجعل الفلسفة علماً شاملاً للعلوم كلها اي بجعلها علم العلوم كما قال لنا احد علماء مصر بعد ان قرأ ما كتبناهُ في الجزء الماضي

ويظهر مما كتبهُ سبنسر عن نفسهِ ومما كتبهُ غيرهُ عنهُ انهُ لم يقصد بادئ بدء البحث عن فلسفة الاشياء اي عن الاصول العامَّة التي تُرَدُّ اليها حوادث الكون بل كان يبحث عن نسبة الانسان الى المملكة ونحو ذلك من المباحث الاجتماعية فاقتيد استطراداً الى البحث عن ارتقاء الانسان شخصيًّا وعن ارتقاء جماعاتهِ اي عن ارتقائهِ بنوع خاص وبنوع عام . ويظهر من الرسائل الاولى التي كتبها عن "مدار الحكومة" انهُ رأى من اول الامر ان اجتماع الناس قبائل وممالك تابع لناموس طبيعي فليس هو مما يحدث بفعل فاعل وانما هو نمو طبيعي يتدرَّج تبعاً لنواميس الطبيعة . ورأى ما رآهُ الفلاسفة الالمانيون قبلهُ وهو ان في الحياة ميلاً الى التفرُّد اي ان الجسم غير الحي لا يكون متفرداً بل يكون مثل غيرهِ من نوعهِ فقطعة الرخام مثل غيرها من قطع الرخام وشذرة الذهب مثل غيرها من شذور الذهب واما الجسم الحي سواء كان نباتاً او حيواناً فلهُ ذاتية متفرّد بها ولذلك لا يماثل حيوانٌ حيواناً آخر في كل شيء ولا نبات نباتاً آخر بل كل من افراد الحيوان والنبات متفرِّد بنفسهِ . وكلما زاد الحيُّ ارتقاء زاد تفرُّدهُ ظهوراً كأن التفرُّد غاية كل ارتقاء في الموجودات

ثم رأى لدى امعان النظر ان خاصة التفرُّد هذهِ تنحل الى فعلين متصلين الواحد يميل الى فصل الفرد عن غيرهِ من الافراد والثاني الى زيادة تركيبهِ . والفعل الذي نسميهِ ارتقاء يشتمل على امرين الواحد اختصاص عام مع ازدياد في التركيب والثاني استقلال متبادل بين الاجزاء المتفرِّدة من الجسم الحي

فالارتقاء او النشوء كما يسمّى الآن علمهُ سبنسر وعرَّفهُ بانهُ فعل مزدوج يقوم بالتخصيص مع ما ينتج عنهُ من زيادة التركيب والتعميم مع ما ينتج عنهُ من زيادة الوحدة . وكان اكثر بحثهِ اولاً في التخصيص الطارئ على الموجودات وحاول في مقالتهِ عن الارتقاء وناموسهِ وسببهِ ان يتوسع فيهِ ويعلل بهِ الارتقاء العام جارياً في ذلك مجرى العالم بير الذي قال ان سلسلة التغيرات التي تتغيرها البزرة حتى تصير شجرةً والبيضة حتى تصير حيواناً انما هي ارتقاء من التماثل في البناء الى التباين فيهِ . فاتخذ سبنسر ذلك قاعدة لبحثهِ وقال انهُ قاعدة لكل ارتقاء

اي ان الارتقاء في انواع النبات والحيوان والاخلاق والعادات والعلوم والفنون وكل ما يتصل اليهِ بحث الانسان مدارهُ كلهُ على الانتقال من المتماثلات الى المتباينات . فالجماد دقائقهُ كلها متماثلة — ذرة الهواء مثل ذرة الهواء ونقطة الماء مثل نقطة الماء وقطعة الذهب مثل قطعة الذهب ثم يظهر الاختلاف في النبات ويكون قليلاً في انواعهِ الدنيا فتتألف اغصانهُ من حويصلات متماثلة ثم يزيد في انواعهِ العليا فيصير فيهِ ورق وزهر وثمر ويكون في الزهر كاس وتاج واعضاء تذكير واعضاء تأنيث وفي الثمر قشر ولب وبزر وهلمّ جرًّا ولكن تبقى مزاياهُ في كل اجزائهِ تقريباً على السواء فاذا قطعت غصناً منهُ لم يمت بقطعهِ واذا غرستهُ عاش ونما وصار شجرة مثل الشجرة التي قُطع منها وكذلك الحيوانات الدنيا كالاسفنج فانها مثل النباتات من هذا القبيل متماثلة الاجزاء وقوة النمو والتولد قائمة في كل جزء منها بخلاف الحيوانات المرتقية فانها انقسمت الى ذكور واناث جرياً على ناموس تقسيم الاعمال لزيادة اتقانها ولكل عضو من اعضائها شكل خاص بهِ ووظيفة يقوم بها فالقلب لا يشبه المعدة ولا يفعل فعلها واليد لا تشبه الدماغ ولا تفعل فعلهُ واذا قُطع عضوٌ من هذه الاعضاء فقد حياتهُ سريعاً

وهذا شأن العادات والعلوم والفنون وسائر اعمال الناس وتراتيبهم مثال ذلك اعداد الطعام وعمل الثياب فقد كان الرجل وزوجتهُ يحرثان الارض ويزرعان الحنطة ويحصدانها ويدرسانها ويطحنانها ويخبزانها ويرعيان الغنم ويجزان صوفها ويغزلانهِ ويحيكانهِ ويخيطان الثياب منهُ وكان غيرهما يفعل فعلهما فتوزعت الاعمال بازدياد العمران فصار لكل من الحرث والزرع والحصاد والدراسة والطحن والعجن والخبز اناس يعملونها وقس على ذلك سائر الاعمال

وكان ابو العائلة حاكمها وقاضيها وكاهنها وطبيبها فتوزعت هذهِ الاعمال على اناس مختلفين استقلّ كل منهم بعمل دون غيرهِ ولا يزال التخصيص يقوم مقام التعميم في هذهِ الفروع فقد كان الطبيب الواحد يتعاطى الطب والجراحة ومعالجة العيون والاذان وامراض النساء والاطفال فصار لكلٍ من ذلك طبيب خاص بهِ . وهذا هو المراد بالانتقال من التعميم الى التخصيص في الطبيعة كلها ومن التماثل الى التباين

ولما رأى سبنسر ذلك قال انهُ اكتشف ناموس الارتقاء لكنهُ رأى لدى امعان النظر ان الانتقال من التماثل الى التباين لا يشمل كل اساليب الارتقاء بل يشمل بعضها او اظهرها وان بعض ما يشملهُ ليس من الارتقاء في شيء بل هو انحطاط وانحلال كتولد السرطان في الجسم وحدوث الثورة في البلاد . وبعد بحث طويل في هذا الصدد عرّف الارتقاء تعريفهُ المشهور وهو انهُ "تجمُّع في المادة يصاحبهُ تفرُّق في القوة تنتقل بهِ المادة من شكل متماثل

الاجزاء غير محدود ولا متصل الى شكل متباين الاجزاء محدود متصل ويتغير شكل القوة التي فيهِ في غضون ذلك تغيراً موازياً لهُ "

لكن الفلسفة لا تكتفي بالامور الاستقرائية بل تتطلَّب القياس اي الوصول الى المقدمات اليقينية والتوصُّل منها الى النتائج على طريق القياس وهو الفلسفة التركيبية التي وضعها وقضى العمر في بسطها وتطبيقها على الموجودات بعد ان استخرج المقدمات الاولى او المبادئ الاولى التي تبنى عليها فصار بها تاريخ الكون خبرًا معقولاً جاريًا على مقتضى العقل بعد ان كان فروضاً لا دليل على صحتها . ومن هذه المبادئ الاولى ان الشيء المحدود المتماثل الاجزاء لا يثبت على حالهِ لان اجزاءهُ لا تكون معرَّضة للقوى الخارجة عنهُ على حدٍ سوى . فالجسم الذي تقع عليهِ القوة يقسّمها وينوّعها والتقسيم يميل الى فصل الاجزاء المخالفة وجمع الاجزاء المتماثلة فيزيد تنويع الاشياء . وهذهِ الحقائق اي عدم ثبوت الاشياء المتماثلة وتنويع الاشياء وتقسيمها فروع من ناموس اصلي ونتائج من ثبوت القوة في شكليها المادة والحركة وهنا تلتقي حلقة القياس بحلقة الاستقراء

وكتب سبنسر الى الاستاذ هدصن كتاباً شرح لهُ فيهِ كيفية تدرجهِ في الفلسفة التركيبية (او القياسية لانها مبنية على القياس) لخصهُ الاستاذ هدصن فقال :

ان جرثومة فلسفتهِ ظهرت اولاً في كتابهِ الانتظام الاجتماعي حيث ذكر في الفصل المعنون بامور عامة حقيقة بيولوجية مفادها ان الانواع الدنيا من الحيوان مؤلفة اجسامها من اجزاء متماثلة لا يتوقف بعضها على بعض واما الانواع العليا فاجسامها مؤلفة من اعضاء مختلفة يتوقف بعضها على البعض الآخر وقد قال ان هذا كان نتيجة استقرائية وصلتُ اليها في غضون درومي البيولوجية ويخال لي الآن ان اكثر ذلك كان وانا اسمع خطب الاستاذ اون على هيا كل الحيوانات الفقرية . وهذا الامر يصدق على جماعات الناس فانها تبتدئ باجزاء متماثلة لا يتوقف بعضها على بعض . ووصل الى هذه النتيجة بالاستقراء ايضاً ثم من الجمع بين هاتين النتيجتين استنتج نتيجة ثالثة وهي " ان الفرد من افراد الاحياء والفرد من افراد الجماعات خاضعان لناموس واحد على حدٍ سوى "

فادنى انواع الحيوانات اجسام هلامية متماثلة الاجزاء لا يتوقف جزء منها على الجزء الآخر لانهُ يفصل فيبقى حيًّا وتبقى فيهِ صفات الجسم كلهِ كما تفصل نقطة الماء من بركة وتكون فيها كل خواص ماء البركة . واعلى انواع الحيوانات الانسان اجزاؤهُ مختالفة غير متماثلة بل متفردة لكل جزء منها صورة خاصة بهِ اليد غير الرجل والقلب غير الطحال ولكنها غير مستقلة بل

يتوقف بعضها على بعض اليد لا تعيش وحدها والقلب لا يعيش وحده . وهكذا جماعات الناس كانت في اول عهدها والناس على الفطرة مؤلفة من افراد متماثلين كل واحد مثل الآخر من حيث نسبتهُ الى المجتمع ولا يتوقف احدهم على الآخر في معيشتهِ وسائر احوالهِ فيصنع طعامهُ ويبني بيتهُ ويدافع عن نفسهِ يفعل ذلك كلهُ وحده ثم تولدت الفروق بين افراد المجتمع فصار بعضهم حكاماً وبعضهم جنوداً وبعضهم حرَّاثاً وبعضهم صنَّاعاً وصار بعضهم يتوقف على البعض فلا غنى للملك عن الجنود والحرَّاث والصنَّاع ولا غنى للصناع عن الملوك والجنود والحرَّاث وهلمَّ جرًّا . وقد اتصل سبنسر الى هذه النتائج قبل سنة ١٨٥٠ ثم لما اطلع بعد سنتين على الناموس الذي وصل اليهِ فون بير وهو ان الحياة ميل من التماثل الى التباين رأَى في هذا اللفظ المختصر ما يعبر عن مرادهِ كلهِ فاعتمد عليهِ

ثم رأَى ان هذا الناموس عام يشمل كل الموجودات فقال في نفسهِ ماهو سبب ذلك ولدى امعان النظر رأَى ان كل الاسباب يمكن ردها الى سبب واحد وهو بقاء القوة اي ان القوة لا تتلاشى مهما تغيرت صورها وكيفياتها فابتدأَ بالاستقراء وانتهى باصول او اوليات تبنى الاحكام عليها بالقياس المنطقي . وقال في هذا الصدد «اني كنت لا اكتفي بنتيجة وصلت اليها بالاستقراء مالم اصل فيها الى المبادىء الاولى ولا اكتفي بالمبادىء الاولى حتى احققها بحوادث الاستقراء» . وهذا معنى قولنا ان فلسفتهُ جمعت بين القياس والاستقراء . ولما وصل الى المبادىء الاولى وضع فيها كتاباً خاصاً سماهُ المبادىء الاولى شرع في تأليفهِ سنة ١٨٦٠ ونشر حينئذٍ منشوراً اعرب فيهِ عن عزمهِ على اصدار سلسلة من الكتب تتضمن خلاصة ما وصل اليهِ الناس من الحقائق العلمية طبيعيةً كانت او عقلية لكي يبين الرابطة الفلسفية التي بينها ويبني عليها فلسفة جديدة

وكتاب المبادىء الاولى قسمان موضوع القسم الاول ما لا يُعرف وفيهِ فصول عن الدين والعلم وكون المعارف كلها نسبية . وموضوع القسم الثاني ما يعرف وهو اربعة اخماس الكتاب وفيهِ فصول كثيرة عن مبادىء الفلسفة وما يتعلق بها من البحث عن المكان والزمان والمادة والحركة والقوة وخواصها كلها حتى تصل الى المبادىء الاولى وفيهِ فصول مسهبة عن النشوء او الارتقاء ونواميسهِ ومدلولاتهِ . والغرض من ذلك كلهِ الوصول الى المبادىء الاولى في ما يقع تحت البحث فلما وصل اليها بنى عليها فلسفتهُ التركيبية ووضع فيها كتباً كثيرة . وقد لا يتضح مرادنا الاَّ بايراد فصول من كتبهِ وسنفعل ذلك في الاجزاء التالية

الراديوم وتوابعهُ

الشغل الشاغل للصحف السياسية في هذه الايام حرب الروس واليابان فترى مقالاتها واخبارها وتلغرافاتها وكل مباحثها مبنية على هذه الحرب وما تأول اليهِ. والشغل الشاغل للمجلات العلمية الراديوم وما يماثلهُ من العناصر التي كشفت حديثاً وما ينتظر منها من تغيير الآراء العلميَّة والاعمال الصناعيَّة والاساليب العلاجيَّة ولذلك لا نجد مناصاً من العود الى هذا الموضوع في كل جزء من اجزاء المقتطف لا سيما وان المكتشفات فيهِ كثيرة متوالية. وقد وقفنا الآن على مقالة مسهبة في هذا الموضوع للاستاذ مليكان الاميركي من اساتذة مدرسة شيكاغو الجامعة نشرها في مجلة العلم العام الاميركية وبسط فيها الكلام احسن بسط فرأَينا ان نعتمد عليها في كتابة ما يلي

تمتاز بعض الازمنة بانتشار الروح العلمية في جوها كما حدث في بداءة القرن التاسع عشر حينما قام دلتون الكيماوي وبحث في المادة بحثاً مبنيًّا على الامتحان وقام رمفرد وبحث عن ماهية الحرارة والنور ويَنغ وبيَّن ماهية النور

اشعة رنتجن

وقد ابتدأَ القرن العشرون وهذه الروح مبثوثة في جوهِ ابتدأَت باكتشاف اشعة رنتجن في اواخر سنة ١٨٩٥ فقد بيَّن الاستاذ رنتجن ان بعض الاشعة الكهربائية تفعل فعل النور في رسم الصور على الالواح الفوتوغرافية ولكنها تختلف عن اشعة النور في كونها تخترق الاجسام التي لا يخترقها النور عادةً كاللحم والجلد والخشب فترى بها عظام الانسان داخل لحمهِ. وقد كان لهذا الاكتشاف وقع عظيم في النفوس فدوت بهِ المسكونة في شهر من الزمان وكتبنا عنهُ في المقتطف الصادر في غرة شهر فبراير سنة ١٨٩٦ ما نصهُ

"اكتشف الاستاذ رنتجن من اساتذة مدرسة ورزبرج الجامعة طريقة لتصوير العظام داخل الانسان ولتصوير الاجسام المعدنية وهي في الصناديق الخشبية وذلك انهُ وجد بين اشعة النور اشعة تنفذ اللحم والخشب وتؤَثر في الالواح الفوتوغرافية كما يؤَثر فيها النور النافذ من الزجاج ولكنها لا تنفذ العظام ولا المعادن فاذا وضع الانسان يدهُ في طريقها نفذت لحمهُ ولم تنفذ عظامهُ فترسم صورة العظام كما لو كانت مجرَّدة من اللحم وهذا من ابدع المكتشفات الحديثة واغربها". ثم رسمنا في الجزء التالي صورة يد انسان كما ترى بهذه الاشعة. ولم يهتدِ العلماءُ الى حقيقة هذه الاشعة مع كثرة بحثهم عنها غير ان البحث اقتادهم الى اكتشاف امور كثيرة كما سيجيء

(١) الاشعاع الفعَّال

ظهر اولاً ان الانبوب الكهربائي الذي تتولَّد منهُ اشعة رنتجن يكون فيهِ نور اصفر ضارب الى الخضرة. وقد عُلِم قبل ذلك ان مثل هذا النور يتولَّد من بعض المعادن ولا سيما من الاورانيوم ومركباتهِ سواءٌ وضعت في انبوب مفرغ من الهواء وجرت عليها الكهربائية او عُرِضت لاشعة الشمس التي لا ترى بالعين وهي الاشعة الكيماوية التي في اعلى الطيف. فخطر لبعض العلماء ان اشعة رنتجن من نوع هذه الاشعة وقام الاستاذ هنري بكرل الفرنسوي يمتحن ذلك فوجد انهُ اذا وضع الاورانيوم في نور الشمس الساطع ثم لُفَّ اللوح الفوتوغرافي بورق اسود ووضع تحت الراديوم خرجت من الراديوم اشعة تخرق الورق الاسود وتؤثّر في اللوح الفوتوغرافي. ثم وجد انهُ يصدر من الاورانيوم اشعة تؤثّر في الالواح الفوتوغرافية ولو لم يعرض لنور الشمس. ولا بدَّ من مرور ايام كثيرة قبلما يفعل الاورانيوم هذا الفعل ولكنهُ يفعلهُ ولو في غرفة مظلمة لا شيءَ فيها من النور فثبت من ذلك ان عنصر الاورانيوم يشعُّ نوعاً من الاشعة يخرق الاجسام المظلمة كما تخرقها اشعة رنتجن ويفعل فعلها

ويقال ان بكرل اهتدى الى اكتشاف هذه الحقيقة اتفاقاً فان الشمس احتجبت بالغيوم اياماً متوالية في مدينة باريس فاضطر ان يضع الاورانيوم واللوح الفوتوغرافي في درجهِ الى ان تنقشع الغيوم وتشرق الشمس و يعود الى التجارب. ولما اعتدل الهواءُ وبانت الشمس اخرج الاورانيوم واللوح الفوتوغرافي ليعرضهما لها ولكن خطر على بالهِ ان يمتحن اللوح اولاً بمظهر الصور فامتحنهُ فوجد ان الاورانيوم قد اثر فيهِ وهو في الظلام باشعة تتولد منهُ ثم وجد ان كل مركبات الاورانيوم تفعل فعلهُ فسمَّى هذه الاشعة باشعة الاورانيوم وسماها غيرهُ باشعة بكرل. ووجد ان لهذه الاشعة خاصة اخرى غير التأثير في الالواح الفوتوغرافية وهو انها اذا مرَّت في غاز جعلت ذلك الغاز موصلاً للكهربائية ولذلك اذا أُدني منها جسم مكهرب فرَّغت الكهربائية منهُ

اكتشاف الراديوم

وبعد اشهر قليلة اخذت امرأَة فاضلة اسمها مدام كوري (متعلقة بالمباحث العلمية بالاشتراك مع زوجها) تبحث في كل العناصر المعروفة لترى هل منها عنصر يفعل الفعل الذي اكتشفهُ بكرل في الاورانيوم فوجدت ان هذا الفعل يوجد ايضاً في عنصر الثوريوم وحدهُ ومركباتهِ فسمّيت الاشعة اشعة بكرل والاجسام التي تشعها اجساماً مشعة فعالة (راديو اكتف) وقد اقتصرنا على كلمة مشعة في التعبير عنها بالعربية

ورأَت ايضاً امرًا اذهلها وهو ان المعدن الذي يستخرج الاورانيوم منهُ اقوى من الاورانيوم نفسهِ على التاثير في الالواح الفوتوغرافية وعلى تفريغ الكهربائية فقالت ان ذلك ليس ناتجًا عن وجود الاورانيوم فيهِ بل عن وجود عنصر اخر افعل من الاورانيوم وهذا العنصر غير معروف لانها امتحنت قبلاً كل العناصر المعروفة فلم تجد هذه الخاصية فيها فاخذت من ساعتها تحلل هذا المعدن وتستخرج العناصر الموجودة فيهِ وهي كثيرة كالاورانيوم والباريوم والرصاص والنحاس والزرنيخ والانتيمون وكانت تمتحن الباقي كلما استخرجت منهُ عنصرًا من هذه العناصر فتجدهُ يزيد فعلاً وبعد تعب كثير وعناء شديد تمكنت من استخراج قمحتين من عنصر جديد من مئات من القناطير وهو عنصر الراديوم الذي دوت بذكرهِ المسكونة . ووجدت ان في القمحة منهُ من القوة على تفريغ الكهربائية والتأثير في الالواح الفوتوغرافية قدر ما في مليون وثمانمئة الف قمحة من الاورانيوم

دقائق الاشعة السلبيَّة

وثبت من بحث دقيق لا محل لهُ هنا انهُ يخرج من القطب السلبي دقائق صغيرة تشع منهُ على خطوط مستقيمة بسرعة فائقة وهي ليست جواهر فردة ولا جواهر مادية بل اصغر منهما كليهما حجم الدقيقة منها اصغر من حجم جوهر الهيدروجين مئة الف مرة اي ان مئة الف دقيقة منها تساوي جوهرًا من الهيدروجين . وقد وصل العلماء الى هذه النتيجة باساليب مختلفة لا محل لبسطها وكلها اوصلت الى نتيجة واحدة وهي ان الدقائق السلبية صغيرة جدًّا كل مئة الف دقيقة منها تساوي جوهرًا فردًا من جواهر الهيدروجين

راي جديد في بناء المادة

ان الدقائق المشار اليها تكون واحدة مهما كان نوع المادة المكهربة بالكهربائية السلبية فاستنتج اكابر العلماء الطبيعيين ان العناصر كلها مؤلفة من هذه الدقائق وهي الجواهر الفردة الحقيقية او الهيولى الاصلية . والجواهر الكيماوية المعروفة الآن مؤلفة منها وهي تختلف باختلاف عدد ما فيها من الدقائق السلبية اي ان العناصر كلها الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير والتوتيا والانتيمون والاكسجين والهيدروجين وهلمَّ جرًّا الى السبعين عنصرًا او اكثر المحسوبة الآن بسيطة مؤلفة كلها اصلاً من مادة واحدة وهي الدقائق السلبية المشار اليها آنفاً وتختلف بعضها عن بعض في مقدار ما فيها من هذه الدقائق فاذا كان في جوهر الهيدروجين ١٠٠٠ دقيقة ففي جوهر الاكسجين ١٦٠٠٠ دقيقة وفي جوهر الزيبق ٢٠٠٠٠٠ دقيقة لان جوهر الاكسجين اثقل من جوهر الهيدروجين ١٦ مرة وجوهر الزيبق اثقل من

جوهر الهيدروجين ٢٠٠ مرة · وقد أُطلق على هذه الدقائق اسم الالكترون ويقتضي الامر ان يكون نصف الالكترونات سلبياً ونصفها ايجابياً والاَّ ظهرت الكهربائية في كل عنصر من العناصر ولكن الدلائل كلها تدلُّ على ان الالكترونات الايجابيَّة لاتنبعث من الجسم ولاينبعث منهُ الاَّ الالكترونات السلبيَّة ولذلك ارتأَى الاستاذ طمسن ان الالكترونات الايجابية تكون في باطن الجوهر والسلبيَّة في ظاهرهِ فتخرج هذه وتبقى تلك· لكن التجارب لم تؤَيد هذا الرأي حتى الآن · وغاية ما ثبت ان في المادة دقائق اصغر من الجواهر الفردة تنبعث منها اذا تكهربت بالكهربائية السلبية فانتقل الجوهر الفرد او الجزء الذي لايتجزأُ من الجوهر الكيماوي الى الجوهر الطبيعي او الالكترون

ماهية اشعة رنتجن

قلنا ان اشعة رنتجن تشبه اشعة الكهربائية السلبية في بعض خواصها حتى عدهما البعض نوعاً واحداً لكن رنتجن اثبت بالامتحان ان اشعتهُ تختلف عن الاشعة السلبية في انها لا تنحرف بواسطة المغنطيس ولا بواسطة الاجسام المكهربة كما تنحرف الاشعة السلبية وفي انها لا تكهرب الاجسام التي تقع عليها كهربائية سلبية فهي ليست من اشعة الكهربائية السلبية ولكنها تتولد متى وقعت هذه الاشعة السلبية على سطح جسم في الانبوب المفرغ من الهواء او على سطح الانبوب نفسهِ. ويظن بعض العلماء الآن ان اشعة رنتجن ليست مادية بل هي تموج في الاثير مثل تموج النور

الاشعة السلبية من الاجسام المشعة

لما رئيت الاشعة في الاورانيوم والثوريوم والراديوم ظُنَّ اولاً انها من نوع اشعة رنتجن لانها تخترق الاجسام المظلمة مثل اشعة رنتجن وتؤثر في الالواح الفوتوغرافية مثلها ولكن لما امتحنت بالمغنطيس الذي يفرق بين اشعة رنتجن والاشعة السلبية ظهر انها تنحرف بهِ كما تنحرف الاشعة السلبية ثم ثبت انها تكهرب الاجسام التي تقع عليها كهربائية سلبية كالاشعة السلبية وان المغنطيس يحرفها كما يحرف الاشعة السلبية تماماً كمًّا وكيفاً · فالاجسام المشعة كالراديوم والثوريوم والاورانيوم تُخرج اشعةً مثل الاشعة السلبية التي قلنا انها مؤَلفة من دقائق صغيرة مكهربة سلباً كل الف دقيقة منها تساوي جوهراً من جواهر الهيدروجين · ثم ظهر ان سرعة هذهِ الاشعة اشد من سرعة الاشعة السلبية وسرعة الاشعة السلبية ٢٠٠٠٠ ميل في الثانية من الزمان اي نحو عشر سرعة النور ولكن سرعة اشعة الاجسام المشعَّة اكثر من ذلك وتكاد تبلغ سرعة اشعة النور لانها ١٧٥٠٠٠ ميل في الثانية وسرعة النور ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية وستأْتي نتيجة الكلام على هذا الموضوع في الجزء التالي

مذاهب الكتّاب في الحرب

مالية اليابان

كتب احد مشاهير الكتّاب مقالة في مجلة القرن التاسع عشر عن مالية اليابان فأبان قوة مركز اليابان وامتدح الاحصاآت التي يعملونها لما فيها من الضبط والدقة وقال ان حمل النفقات الحربية والبحرية خفيف على اليابان لاننا اذا بحثنا في موقفها المالي وجدنا انهُ وان كان تقدمها الحربي سريعاً جدًا الاَّ ان تقدمها المالي كان اسرع منهُ كثيرًا فانها ادهشت العالم بنجاحها في الحرب وستدهشهُ اكثر بنجاحها في الصناعة والتجارة والزراعة ووسائط النقل والتعدين

اما مركزها من حيث دَينها الاهلي فأحسن من مراكز سائر الدول . وايد ذلك بجدول نشر عن ديون الدول الاهلية سنة ١٩٠١ فظهر منهُ انهُ اصاب الفرد من اهالي فرنسا في تلك السنة ٢٨ جنيهاً وكسور من دينها الاهلي ومن اهالي انكلترا ١٨ جنيهاً ونصف ومن اهالي ايطاليا نحو ١٦ جنيهاً ومن اهالي مصر ١٠ جنيهات ونصف ومن اهالي روسيا نحو ٥ جنيهات ومن اهالي اليابان جنيه واحد وستة شلنات

ثم قال انهُ يصيب الفرد من اهالي اليابان سنويًّا نحو عشرة غروش من فائدة الدين الاهلي . وهذا القدر يساوي ما يأخذهُ الصانع المتوسط فيها من الاجرة يوميًّا . وعليهِ فهي تستطيع ان تدفع فائدة دينها بسهولة . اما انكلترا فيصيب الفرد من اهلها سنويًّا نحو ١٠ شلينات من فائدة دينها الاهلي وهذا يساوي اجرة الصانع فيها في يومين ونصف وعليهِ فان دفع فائدة الدين الاهلي اسهل على اليابان منهُ على انكلترا بمقتضى قياس اجرة الصانع

اما دين اليابان الاهلي فقدرهُ ٥٦٣٥٠٠٠٠ جنيه وهو لا يعدُّ حملاً ثقيلاً على اليابان لانهُ يساوي دخلها في سنتين على حين ان دين ايطاليا الاهلي يساوي دخلها في سبع سنوات ودين فرنسا الاهلي يساوي دخلها في ثماني سنوات ودين انكلترا الاهلي يساوي دخلها في خمس سنوات . ومما يدلُّ على ان دين اليابان ليس ثقيلاً عليها هو ان ثلثي ذلك الدين لاهالي بلادها ودينها الذي لغير اهاليها يبلغ نحو ١٥٥٠٠٠٠٠ جنيه وهو اسهم وسندات اكثرها في يد الانكليز على حين ان قيمة الاسهم والسندات الروسية التي في ايدي الاجانب تبلغ عشرين ضعف ذلك المبلغ على القليل . والاموال الاجنبية المستعملة في روسيا تبلغ اربعين ضعف الاموال الاجنبية المستعملة في اليابان

مدة الحرب

انشأ المسيو بيير لروى بوليه مقالة في مجلة العالمين الفرنسوية المشهورة فاطال في وصف ثبات اليابانيين واعتدالهم واقتصادهم ومقدرتهم الحربية برًّا وبحرًا واستطرد الى ماليتهم فقال ان من الغلو ان يظنَّ ان اليابان لاتستطيع الانفاق على جيوشها مدة طويلة وانها انما شهرت الحرب لانها لم تعد تستطيع ابقاء جنودها على قدم الحرب ولا ريب انها لاتكفُّ عن الحرب بسبب قلة المال لانها وان تكن افقر من خصمها الا ان مواردها كثيرة وهي تستطيع ان تقترض المال في لندن ونيويورك بربًا موافق لها

ثم بحث في مدة الحرب وهل تدوم الى آخر السنة فقال ان من الصعب الانباء بطول مدة الحروب عمومًا ولكن الرأي المتسلط على الاذهان ان الحرب الحاضرة تطول مدتها . اما في منشوريا فان اليابانيين يُهزَمون لان الروس اكثر منها عددًا ولكنهم يرسخون قدمهم في كوريا . واذا سقطت بورت آرثر في يدهم اثر ذلك تاثيرًا عظيمًا في موقف الروس السيامي اكثر من الحربي . ومن عجيب مزايا هذه الحرب انهُ يعسر جدًّا على احد الفريقين المتحاربين ان يضطر الآخر الى طلب الصلح بضربهِ ضربة قاضية . ولا بد من توسط الدول اخيرًا لمنع الغالب من التوسع في فتوحاتهِ

بورت آرثر

وصف بعضهم بورت آرثر فقال انها حصن منيع يصعب اخذهُ و يسهل الدفاع عنهُ ولا يمكنُ حملهُ على التسليم باطلاق القنابل عليهِ بل يمكن تدمير المدينة باطلاق القنابل صعدًا في الهواء بحيث تسقط داخلها . ولكن يسهل قطع المدد عن بورت ارثر وعليهِ ارى ان خير ما تعملهُ روسيا ان تخليها وتتحصن في مكدن . ولا يبعد ان تتبع هذه الخطة قريبًا وتسترجع جنودها من ضفاف نهر يالو ايضًا

وقال احد قناصل انكلترا السابقين في نجاساكي ان حصن بورت آرثر لا يؤْخذ من البحر البتة ولكن لا يفهم من ذلك ان الحصن أمين من الخطر بل لابد لليابانيين من الاستيلاء عليهِ واستيلاؤهم عليهِ مضمون اذا وجهوا اليهِ خمسة من جنودهم مقابل كل جندي من جنود الروس . واذا استولى اليابانيون على بورت آرثر تمَّ النصر لهم ولكن امامهم نصرًا اعظم وسبيلهُ ان يحصروا بورت آرثر من البر و يكرهوا حاميتها على التسليم جوعًا فيقع الحصن في يدهم والاسطول الراسي في الميناء وربما اتبعوا هذه الخطة طمعًا بان ترى اعلامهم خافقة على بوارج الروس ولو كان اتباعها يقتضي وقتًا اطول

قوانين يوستنيانوس (١)

مترجمة من الفرنسوية بالعربية

تنبيه للمترجم العربي

من المناهج المتبعة عند من تنازع نفوسهم الى تقدم العلم وترقي العمران الحرص على ما خلّفت الاجيال الخالية للاجيال الباقية من كنوز العلوم والشرائع . ذلك ابتغاء الظفر بما انتجتهُ لهم الخبرة ومحصتهُ لهم التجربة وهدتهم اليهِ ممارسة الحوادث والشؤون والعلائق بين الاجيال المختلفة والممالك المتعددة في حالي السلم والحرب والولاء والعداء مما لا يتهيا للمتأخرين استنباطهُ او ابلاغهُ مبلغ الانتفاع بهِ الاَّ بعد ان يتقضى عليهم قرون. فقد نعثر في تآليفهم على ما نتخذهُ مصدرًا نشتق منهُ ما يلائم احوال ايامنا وينفع في توفير دواعي فلاحنا وتعزيز اسباب هنائنا وثرائنا. واتباعًا لهذا المنهج البيّن الفائدة اقبلت على ترجمة شريعة مملكةٍ دانت لها الاطراف القاصية في الشرق والغرب . وطار نسرها في جوّ كل ارض . وجرت احكامها في كل صقع . ونفذت اوامرها في كل قطر . تلك هي المملكة الرومانية التي انحنى لتاجها الخافقان ومشى على شريعتها المشرقان . فهذه وان كان عرشها قد ثلَّ وتاجها قد وقع وصولجانها قد تحطم فلم تنفك قوانينها في بلاد الافرنج مورد المقبلين على تلقي الشرائع وجزءًا من المواد الفقهية التي أُوجب على طلاَّب الفقه ان يمتحنوا فيها فترجموا بلغتهم الكثير من كتبها وفي ما ترجموا منها مختصر قوانين يوستنيانوس للفقيه الشهير كرفينس وقد طبعَ هذا المختصر الذي ترجمهُ عالم فرنسوي يقال لهُ تيسار وبازائهِ الاصل اللاتيني. وقد اتحف المترجم الفرنسوي بترجمتهِ مقام الدوك دورليان ومما ذكرهُ في تقدمة مترجمهِ لمقام الدوك المشار اليهِ امران يدلاَّن على ما في تلك الشريعة من الحكمة احدهما ان الذي بعث كرفينس على اختصار قوانين يوستنيانوس من دون ان يغفل شيئًا من جوهرها انما هو ما راهُ من اعراض طلبة الفقه عن دراستها لطولها . والثاني ان الشرائع الرومانية قد نعتت بانها العقل المكتوب وهي جديرة بهذا النعت العالي . فأَرجو لذلك ان يترتب على نشرهِ فائدة للخاصة واذكياء العامة في الاقاليم والممالك التي ينتشر فيها ضياء المقتطف

(١) هو يوستنيانوس الاوَّل امبراطور المشرق الذي جلس على العرش من سنة ٥٢٧ الى سنة ٥٦٥ للميلاد. وقد قاتل قبائل الفندال الرومانية التي كانت تشنُّ الغارة على رومة وتنهبها وحارب الفرس . وامر بجمع الفتاوى والقوانين الجديدة

نطق يوستنيانوس

لا يجدر بعاهل الرومانيين ان يكتفي بالانتصار على العدو في حومة القتال بل عليهِ ان يستأصل بالطرق المشروعة ظلم المبطلين من اصحاب الدعاوى . ولقد قمنا بالامرين المشار اليهما فان الامم البربرية الخاضعة لسلطتنا قد علمت شدة بأسنا في الحروب . ورعايانا كلهم جارون على ما وضعنا او قررنا من الاحكام والقوانين . ولقد رتبنا القوانين العاهلية ترتيباً واضحاً . واستنفدنا الوسع في تصفح كثير من كتب الفقه القديم حتى اتممنا هذا التأليف ولما فرغنا منهُ استدعينا تريبونيان (٢) وتاوافيل ودُورُوته واقترحنا عليهم تأليف كتاب القوانين هذا تحت سيطرتنا ومراجعتنا . وقد امرنا هؤلاء الفقهاء ان يقسموا هذه القوانين الى اربعة كتب تنتظم الاصول الاولى لعلم الفقه كلهِ

ولقد ذكرنا بالاختصار ما هو من الشرح القديم . واما ما صار من اصولهِ غامضاً لهجرهِ وعدم التعويل عليهِ فقد امرنا بسلطاننا العاهلي ان يُرعى في القضاء . واوجبنا الجري على هذه القوانين غبّ تصفحها وتدقيق النظر في تصحيحها

الكتاب الاول

الفصل الاول في العدل والحق

العدل فضيلة تدفع الارادة ابداً لان تحكم لكلٍ بما لهُ

(١) الفقه هو العلم بالامور الالهية والبشرية ومعرفة العدل والظلم (٣)

(٢و٣) قواعد الحق هي التزام الادب ومجانبة الاضرار بالناس واعطاء كلٍ ما لهُ

(٤) الشرع اما عام وهو ما يرتب حال الشعب الروماني . واما خاص . وهو ما ينحصر في ترتيب المنافع الفردية للوطنيين (٤) وها نحن اولاء نشرع في بيان الشرع الخاص المؤلف من اصول مستخرجة من الشرع الفطري ومن شرع الامم ومن الشرع المدني (٥)

الفصل الثاني في الشرع الفطري وشرع الامم والشرع المدني

الشرع الفطري او الطبيعي هو ما تعلّمهُ الطبيعة كل حيٍ . ومن هذا الشرع يتفرَّع اجتماع الزوج والزوجة وايلاد الاولاد وتربيتهم

---

(٢) تريبونيان كان رئيس الحكمة في عهد يوستنيانوس من سنة ٤٧٥ الى سنة ٥٤٥ . وتاوافيل فقيه يوناني اشترك في تصنيف قوانين يوستنيانوس (٣) الفقه الاسلامي يشتمل العبادات والمعاملات واحكام الزواج والعقوبات (٤) يراد بهذا الحقوق الشخصية المتعلقة بكل فرد من افراد الوطنيين

(٥) الشرع المدني هو قسم المعاملات في الفقه الاسلامي

(١) كل الشعوب جارية في بعض شؤونهم على قانون لهم خاص . وفي البعض الآخر على القانون العام لكل البشر . اما القانون الذي يراعيهِ كل شعب ويجري عليهِ فانما هو حق المدينة المسمى الشرع المدني او الحق المدني . واما الشرع الذي اقرَّهُ العقل الفطري بين البشر كلهم اجمع فيكاد يكون مرعيًّا عند جميع الناس على السواء وهذا هو المقول لهُ شرع الامم او حق الامم

(٢) الشرع المدني يأخذ اسمهُ من الشعب الذي يضعهُ ولم تجد الامم كلها مندوحة عن وضع شرع الامم اجابة لداعي الضرورة للحاجة

(٣) الشرع الذي نجري عليهِ اما احكام مدوَّنة او عادات جارية . والاحكام المدوَّنة هي كتاب الشرع وشرع العامة ومراسم مجلس الشيوخ . واوامر الملوك واحكام القضاة وفتاوى المفتين

(٤) كتاب الشرع هو الذي كان الشعب الروماني قد وضعهُ اجابة لطلب قاضٍ من مجلس الشيوخ . واما شرع العامة فهو ما كانت العامة تضعهُ وتقرّرهُ بطلب قاضٍ من قضاتها وهذا الشرع منذ ايام شرع هُرتَنصيا كان مرعيَّ الاجراء كسائر القوانين

(٥) اما مراسم مجلس الشيوخ فهي احكام كان يبرمها ذلك المجلس

(٦) اوامر الملك شريعة

(٧) احكام القضاة تُراعى كما تراعى اوامر الملك

(٨) فتاوى المفتين وهي وجدانات وآراء المقلدين الحكم في مسائل الشريعة المنوطة بهم اذا اتفقت تبلغ من وجوب المراعاة الى حد ان يتعذَّر على القضاة بحسب القوانين الاساسية ان يخرجوا عنها

(٩) اما الشرع غير المدوَّن فهو المبني على العادة والعرف[٦]

(١٠) الشرع الفطري لا يلغو ولا ينسخ . والشرع المدني الذي تمشي عليهِ الشعوب هو عرضة للتنقيح والنسخ

(١١) الشرع الذي نجري عليهِ منهُ ما يتعلَّق بالاشخاص . ومنهُ ما يتعلَّق بالاشياء ومنهُ ما يتعلَّق بالدعاوي . ولنأخذ الآن فيما يختصُّ بالاشخاص

الفصل الثالث في حقّ الاشخاص

الناس اما أحرار واما عبيد

(١) الحرية حقٌّ فطريٌّ يُبيح لكلٍّ ان يفعل ما يشاء ما لم تمنعهُ الشريعة او قوة قاهرة

(٦) وفي الفقه الاسلامي « العادة محكمة والعرف قاض » ولابن عابدين صاحب الحاشية رسالة موسومة بنشر العرف في بناء بعض الاحكام على العرف وهي مشبعة في هذا الباب

(٢) العبودية نظامٌ من شرع الامم بهِ يخضع الواحد لسلطة الآخر خلافاً لحقّ الفطرة[٧]

(٣و٤) العبيد من يُولَدون من نسائنا الإماء . ومن يصيرون بحسب حقّ الامم عبيداً اذا أُخذوا أسرى ٠ والحرُّ البالغ يصير عبداً بحسب الشرع المدني اذا رضي ان يباع ليأخذ حصةً من الثمن

(٥) لا تفاوت في حال العبودية ٠ والاحرار اما احرار في الأصل او محرَّرون

الفصل الرابع في الأحرار

الحرّ من وُلِد ولا سلطة لوالديهِ على بيعهِ . واذا بلغ عاقلاً نفذ تصرُّفهُ ٠ ويكفي المولود ليكون حرًّا ان تكون امهُ حرَّةً او أنها كانت حرةً بين الحمل بهِ وولادتهِ

(١) المرور بالعبودية لا يبطل حقوق الأحرار

الفصل الخامس في المحرَّرين او المعتَقين

المحرَّرون هم الذين يخرجون بالاعتاق من رقٍ . فالعتق هو اعطاء الحرية ٠ واصل هذا من شرع الامم

(١) التحرير قد يكون في المعابد[٨] او بالادّعاء او بين الاصحاب او بكتابة رسالة او بالوصية الاخيرة ايًّا كان نوعها

(٢) يصحُّ ان يعتق المولى عبدهُ باشهاد القاضي ولو كان هذا مارًّا بالطريق

---

(٧) انما قال خلافاً لحق الفطرة اذ لا رقّ في اصل الخلقة الاّ ان قوّة الواحد وضعف الآخر قد اوجدهُ في الامم القديمة ٠ فالرومانيون انفسهم يعترفون بان الرقّ منافٍ لحق الفطرة ويعتذرون عن الاسترقاق بعذرين لا يتعديان المغالطة المحضة الاوّل انهُ يحقُّ للغالب ان يقتل الاسير فاذا استبقاهُ كان ذلك احساناً اليهِ ٠ والثاني للغالب ان يملك اسراهُ كما يملك أمتعتهم فيترتب على ذلك ان لهُ ان يدعي شرعياً احتكار خدمتهم ٠ قلت ولا داعي للتعرض لرد هذين العذرين عن امرٍ لا يقبل فيهِ عذر ٠ وانما جرى عليهِ الرومانيون متابعة لمن تقدَّمهم وتعزيزاً للسياسة والاقتصاد ٠ هذا ومن احبَّ الوقوف على احوال الاسترقاق عند الامم المختلفة فعليهِ بمطالعة السفر النفيس الشاهد لواضعهِ ومترجمهِ بطول الباع وسعة الاطلاع وهو المسمى (الرق في الاسلام) وهو مطبوع ببولاق مصر سنة ١٨٩٢ للميلاد

(٨) صور الاعتاق في الفقه الاسلامي تختلف عن بعض صورهِ في الشريعة الرومانية فالتحرير في الشرع الاسلامي بعضهُ منجزٌ وذلك اذا قال المولى لعبدهِ انت حرٌّ او ما هو في معناهُ وبعضهُ معلق وذلك اذا دبرهُ او كاتبهُ ٠ اما التدبير فهو ان يقول المولى لعبدهِ انت حرٌّ بعد موتي او قد اعتقتك بعد موتي او قد دبرتك وبعد التدبير لا يجوز للمولى بيع العبد ولا هبتهُ ٠ واما المكاتبة فهي تحرير المملوك يداً حالاً ورقبةً ومآلاً وتنعقد المكاتبة بان يتفق عليها المولى وعبدهُ على مال يؤَديهِ العبد لمولاهُ ٠ ويجوز للمولى ان يشترط المال حالاً او مؤَجلاً الى اجلٍ معلوم او منجماً اي مقسطاً على ازمنة معينة

(٣) المحرَّرون بالاعتاق يصيرون من ابناء الوطن الروماني وبعضهم يصيرون من عامة اللاتين · وبعضهم يصيرون من السفلة غير انا ندعوهم جميعاً ابناء الوطن الروماني

الفصل السادس في موانع العتق

العتق الصادر لغبن الغرماء باطل

(١) لا يباح للمولى المفلس ان يقيم عبدهُ وارثاً لهُ معتقاً اياهُ · فهذا العبد متى عتق كان الوارث الوحيد لمولاهُ بمعنى انهُ لا يكون ثمة وارث آخر بالوصية

(٢) الشريعة تقيّد المفاعيل نفسها عند اقامة الوارث بمنفعة العبد ولو لم يحرَّر مع اقامتهِ وارثاً

(٣) المولى الذي حرَّر لغبن غرمائهِ يعد مفلساً للاعتاقات التي اعتقها (لا بدَّ من اقامة البينة على انهُ اراد الغبن)

(٤) لا يجوز للقاصر وهو ابن عشرين ان يحرّر الاَّ بإقامة دعوى بعد استصواب اسباب العتق

(٥) يكون للمولى سبب شرعي للاعتاق اذا اراد ان يعتق اباهُ او امهُ او ابنهُ او ابنتهُ او اخوتهُ او اخواتهِ الطبيعيين او استاذهُ او مرضعهُ او زوج مرضعهِ او تلميذهُ من الذكور او الاناث او ربيبهُ اي اخاهُ من الرضاع · ولهُ ذلك ايضاً اذا اراد ان يتزوج امرأة عبدهِ او يقيم قيّماً لبيتهِ من هو في رقهِ

(٦) ما قُبل من الاسباب مرة لا يجوز ردهُ فيما بعد

(٧) لا نجيز للقاصر الذي لم يبلغ العشرين ان يعتق عبدهُ بالوصية الاَّ بالشرط الذي لا بدَّ منهُ وهو ان يبلغ ثماني عشرة سنة من عمرهِ عند موتهِ

الفصل السابع في ابطال شريعة فيزيا كانينا

ان شريعة فيزيا كانينا قد وضعت صورة معينة لاعتاق العبيد بالوصية ونحن قد استصوبنا ابطال تلك الصورة

الفصل الثامن في النافذ التصرّف وفي المحجور

الناس بعضهم مطلق اليد نافذ التصرف في مالهِ · وبعضهم محجور عليهِ كالصغير الذي هو تحت ولاية ابيهِ او جدهِ والعبد الذي هو تحت ولاية مولاهُ

(١) العبيد تحت ولاية مواليهم · وعند كل الأمم للمولى الحق على حياة العبد وموتهِ(٩)

(٢) نحظر في هذا الوقت على ايٍّ كان ان يقسوا على عبدهِ الاَّ لعلة مقبولة شرعاً ·

(٩) في الفقه الحنفي لا يقتل الرجل بعبدهِ ولا مدبرهِ ولا مكاتبهِ ولا بعبد ولدهِ

فقد ضرب على ايدي الموالي ان يقسوا عليهم لان انطونان امر ان الذين يعاملون عبيدهم بقسوة غير محتملة يكرهون على بيعهم بشروط مقبولة . ومصلحة الامة تستدعي ان كل احدٍ يحسن استعمال ما يملكهُ . وليس لهُ ان يسيء استعمالهُ

الفصل التاسع في الولاية الابوية

الاولاد الذين نرزقهم بالزواج الشرعي هم تحت ولايتنا

(١) الزواج ان يقترن الرجل بالمرأة ويعيشا عيشة مشتركة لا انحلال لها

(٢) الحقوق التي لنا على اولادنا خاصة بالوطنيين الرومانيين.

(٣) المولود منك ومن زوجتك هو تحت ولايتك وكذا المولود من ابنك ومن زوجتهِ

الفصل العاشر في الزواج

ابناء الوطن الرومانيون الذين يتبعون في زواجهم الاصول المقررة في الشرائع يعد زواجهم شرعياً متى بلغ الذكر مبلغ الرجال والانثى مبلغ النساء على ان ابناء البيوت المعروفة ينبغي ان يترضوا من هم تحت ولايتهم من الاصول كالاب والجد

(١) لا يؤذن للروماني ان يتزوج اية كانت . يحظر الزواج على الاطلاق بين جميع من هم في مقام الاصول كالآباء والاجداد او الفروع كالاولاد والاحفاد . وكذلك بين الذين لا يقومون مقام الاصول او الفروع الاَّ بالتبني . وهذه القاعدة مطلقة بحيث ان المنع يبقى ولو بطل التبني

(٢) لا يجوز الزواج بين الاخ والاخت . ولا يحل لك ان تتزوج اختك المتبنَّاة مابقي التبني ويكون الامر بالخلاف اذا بطل التبني او اصبحت انت مأذوناً

(٣) لا يحل لك ان تتزوج بنت اخيك او اختك ولا حفيدتهما ولو في الدرجة الرابعة . يحل لك ان تتزوج ابنة المرأة التي تبناها ابوك

(٤) يحل عقد الزواج بين اولاد الأخوين والأختين واولاد الأخ والاخت

(٥) لا يحل للمرء ان يتزوج عمتهُ ولو متبناة ولا خالتهُ لأنهما تنزَّلان منزلة الاصول

(٦) يمنع الرجل احتراماً للمصاهرة ان يتزوج كنتهُ وان يتزوج بنت امرأتهِ اي التي كانت كنة . والتي كانت امها امرأتهُ وذلك لانهما بمنزلة البنات

(٧) لا يحل للرجل ان يتزوج حماتهُ ولارابتهُ (اي امرأة ابيهِ) لانهما بمنزلة الام منهُ . وهذا المنع لا يبتدئ الاَّ بعد انحلال المصاهرة اي عقيب وفاة الحم او الاب

(٨) يحل لابن الزوج المولود من زوج سابق ولابنة الزوجة المولودة من زوج آخر او

بالعكس ان يعقدا زواجاً شرعياً حتى ولو كان لهما اخ او أُخت من فراش ثان

(٩) قال جوليان يجب إن تمتنع ان تتزوج البنت التي وُلدت لامرأتك من زوج آخر بعد ان طلقتها

(١٠) من المقرر ان القرابات المتأتية من العبودية توجد مانعاً للزواج

(١١و١٢) اذا تعدى بعض الناس الموانع المذكورة آنفاً فلا يعتبر زواجهم بل تنالهم فوق ذلك عقوبات أُخر

(١٣) ان الولد الطبيعي المنوط امرهُ بالديوان الروحي هو خاضع لولاية الاب . وكذلك الولد المولود من ام حرَّة . والولد الذي تلدهُ امٌّ حرَّة كانت تخالط الاب سفاحاً فهذا الولد يجوز ان يكون تحت ولاية هذا الوالد اذا عُقد بين الرجل والمرأة عقد مهري فيما بعد

الفصل الحادي عشر في التبني

اولادنا حتى الذين نتبنَّاهم هم تحت ولايتنا

(١) باجازة الملك يباح لكلٍّ ان يتبنى من هم اولياء انفسهم . وهذا النوع من التبني يسمى بالتبني الاستدعائي . ولكلٍّ باذن القاضي ان يتبنى من هم في حجر اصولهم اي آبائهم واجدادهم

(٢) اذا الاب الطبيعي سلَّم ابن البيت المعروف الى شخص غريب فحقوق هذا الاب الطبيعي على هذا الابن لا تبطل بوجهٍ ما ولا يقع الولد تحت ولاية الاب المتبني ولو ان التركة تحوَّل اليهِ من دون وصية من هذا الاب الاخير . واذا الاب الطبيعيّ اعطى ابنهُ بالتبني لشخص ليس بغريب فالولاية الابوية تبقى للاب المتبني بكل قوَّتها

(٣) متى كان القاصر متبنًّى باجازة الملك يصير النظر في هل هذا التبني مفيد للقاصر اولا ففي هذه الحالة لا يقع طلب التبني الاَّ بشروط معينة وتلك كأَن يكفل طالب التبني انهُ اذا توفي القاصر قبل سنّ البلوغ فاموالهُ ترد الى من يرثونهُ لو لم يكن متبنًّى . ليس للمتبني بالاستدعاء ان يعتق المتبنى ما لم يكن هناك اسباب واقعية مستصوبة وبعد ان يردَّ للمتبني الاموال التي كانت لهُ . فالاب اذا حرمهُ من الميراث عند الموت او اذا كان قد اذن لهُ في التصرُّف فعليهِ ان يترك لهُ ربع مالهِ

(٤) لا يباح لاحدٍ ان يتبنى من هو اسنُّ منهُ . ومن يريد ان يتخذ ابناً سواء بالتبني او بالاستدعاء يتعين ان يكون اكبر سنًّا من ذلك الشخص بمقدار زمن البلوغ كلهِ

(٥) يجوز لمن ليس لهُ ولد ان يتخذ بالتبني الاحفاد وكذلك مَن بعدهم

(٦) يجوز ان يتبنى ابن الغير ليقوم مقام الحفيد او حفيد الغير ليقوم مقام ابنهِ

(٧) اذا تبنى من لهُ ابنٌ طبيعيٌّ او متبنى شخصاً ليقوم مقام حفيدهِ فلا يصح ذلك الاَّ ان يرضى هذا الابن بالتبني لكن اذا الجد اعطى حفيدهُ للتبني فلا يشترط لصحة ذلك رضا الابن

(٨) من يتبنَّ شخصاً ليس بغريب فلهُ ان يسلمهُ بالتبني الى آخر ان شاء

(٩) لا يحق التبني لمن يتعذر عليهم ان يلدوا وكذلك الخصيان لا يحق لهم ان يتبنوا

(١٠) ليس للنساء ان يتبنين

(١١) من تبني استدعائيًّا ولهُ اولاد تحت ولايتهِ دخل هو واولادهُ تحت ولاية المتبني

(١٢) نحن نحكم بعتق العبد وصيرورتهِ حرًّا اذا استنتج من وثيقة رسمية ان مولاهُ قد دعاهُ ابنهُ

الفصل الثاني عشر فيما يبطل ولاية الأب

اذا مات الاب وبنوهُ وبناتهُ قد رشدوا وايضاً اذا توفي الجدُّ واحفادهُ قد رشدوا ترتفع ولاية الاب

(١) من ينفى الى جزيرة يعدم حقوقهُ المدنية ويتفرَّع على ذلك ان اولادهُ يخرجون من تحت ولايتهِ ويحسب كأنهُ مات لكن متى رُدَّت اليهِ حقوقهُ عادت ولايتهُ عليهم الى عهدها الاول

(٢) اما الذين انما هم مبعدون فتبقى لهم على اولادهم ولاية الابوة

(٣) من يصير عبداً بالاشغال الشاقة يبطل ما لهُ على اولادهِ من ولاية الابوة

(٤) رتبة الشرف المختصة ببطارقة الروم تخرج الاولاد من ولاية الاب

(٥) اذا الاب اسرهُ عدوٌّ فولايتهُ على اولادهِ تصبح موقوفةً لاحتمال انهُ يطلق فيرجع

(٦) ان المأذونين من الاولاد يخرجون من تحت الولاية الابوية · وحينئذٍ لا يبقى لاصولهم الاَّ نفس الحقوق التي تعزى لمواليهم

(٧) ان من كان تحت ولايتهِ ابن وحفيد او حفيدة من هذا الابن يجوز لهُ ان يخرج ابنهُ من تحت ولايتهِ ويبقى تحت هذه الولاية حفيدهُ او حفيدتهُ ويجوز لهُ ان يبقى ابنهُ تحت ولايتهِ ويخرج احد احفادهِ او احفادهُ كلهم

(٨) اذا اعطي اب للتبني الابن الذي هو تحت ولايتهِ الى جدهِ او الى ابي جدهِ الطبيعي انتقل حق ولاية الاب الطبيعي الى الاب المتبني

(٩) اذا اذنت لابنك في التصرُّف او اعطيتهُ للتبني وكنتك حامل فالابن الذي يولد منها يولد تحت ولايتك لكن اذا لم يحبل بالولد الاَّ بعد الاذن او التبني فيكون في ولاية ابيهِ المأذون او جدهِ المتبني

(١٠) لاحقّ للاولاد سواءٌ كانوا طبيعيين او متبنين ان يلزموا الاب بان يخرجهم من ولايتهِ

الفصل الثالث عشر في الوصايا

الذين ليسوا تحت ولاية الغير منهم من يكون عليهِ وصيّ او لهُ وكيل ومنهم من لا يكون لهُ وصيّ ولا وكيل

(١) الوصاية هي الولاية التي يعطيها الشرع المدني لحرٍّ ليحامي عمَّن لصغرهِ لا يستطيع المحاماة عن نفسهِ

(٢) الاوصياء هم الذين لهم بقوَّة الشرع المدني حقّ التصرُّف في اموال اليتامى واملاكهم

(٣) للاصول (وهم الآباء والاجداد) ان يقيموا اوصياء على اولادهم الصغار الذين هم تحت ولايتهم وعلى احفادهم ان لم يكونوا بحال تجعلهم تحت ولاية الاب ثانية

(٤) هذا الحكم مطَّرد في المولودين بعد موت آبائهم كما هو مطَّرد فيمن وُلدوا في حياة ابائهم

(٥) الوصيُّ المقام على الولد بوصاية الاب يجب ان يعترفهُ الوالي وصيًّا بلا تحقيق

الفصل الرابع عشر في الذين لا يصحُّ ان يوصى اليهم

يصحُّ ان يقام وصيًّا ابو العائلة وابن البيت

(١) يصحُّ ان يوصي الى عبدهِ حرَّرهُ او لم يحرّرهُ والى عبد غيرهِ ان كان هذا العبد حرًّا . واما عبدهُ فلا تصحُّ اقامتهُ وصيًّا ولو ذكرت تلك العبارة " متى صار حرًّا "

(٢) اذا اوصى الى مجنون او قاصر صحت الوصية تعليقاً لا تنجيزًا بمعنى ان المجنون يصير وصيًّا متى افاق والقاصر متى بلغ

(٣) يصح قطعاً ان يقام وصيٌّ الى اجلٍ مسمًّى اعتبارًا من مدةٍ معينةٍ وذلك على الشريطة ان يكون قبل اقامة وارثٍ

(٤) قد يقام وصيٌّ على شخصٍ لا على شيء ولا عملٍ

(٥) اذا اقام الرجل اوصياء عن بناتهِ وابنائهِ دخل تحت هذه الوصاية نفسها من وُلد للموصي بعد موتهِ من بنتٍ او ابنٍ . اذا ترك الاحفاد دخلوا تحت وصاية الاولاد لا تحت وصاية الابن

الفصل الخامس عشر في وصاية العصبة الشرعية

ان لم يعين في كتاب الوصية وصيٌّ او اوصياء فالعصبات هم الاوصياء . ويقال لهم اوصياء شرعيون

(١) والعصبات هم المرتبطون بالقرابة من جهة الذكور [١]. واما الذين لم يرتبطوا بالقرابة الاَّ بانثى فهم أُولوا الارحام [٢]

(٢) ان شريعة الالواح الاثني عشر تقيم العصبات اوصياء متى توفي من لهُ حق الايصاء ولم يقم وصيًّا

(٣) تبطل حقوق العصبة بكل نوع من انواع تغير الحالة . وليست كذلك حقوق ذوي الارحام

الفصل السادس عشر في تغير الحالة

نقص الاهلية هو تغير الحالة . وهذا إما كبير او متوسط او صغير

(١) تغير الحالة الكبير يتأتى عن حرمان حقوق الوطنية وزوال الحرية

(٢) تغير الحالة المتوسط يتسبب عن حرمان حقوق الوطنية مع بقاء الحرية

(٣) تغير الحالة الصغير يتسبب عن تغير بسيط يطرأُ على العائلة

خطر علينا وعلى الدين

تمهيد

الحق ضالَّة العقل التي ينشدها ونجعتهُ التي يرتادها وانما تتفاوت العقول في معرفة الحق تفاوتها في مراتب الرقي وتتباين في تعيينهِ تباينها في العلم . لهذا لا تجد قائلاً قولاً او منتحلاً نحلةً او مرتئياً رأياً الاَّ ويزعم انهُ على حقٍ . ومن ثمَّ كان من العدل ان لا يُؤخذ على قائل ظنهُ انهُ على حقٍ الاَّ اذا قامت الادلة وتجلَّت البراهين على انهُ على غير الحق واصرَّ على ما قام في نفسهِ مع وضوح انهُ على غير حقٍ

كتب حضرة الفاضل صاحب مقالة " خطر علينا وعلى الدين " في المقتطف الماضي ما يعتقد انهُ حقٌ ولاعتقادهِ انَّ الحق في بادىء الامر يصادم الاسماع مصادمةً ويقارع النفوس مقارعة كان كمن يقدِّم قدماً ويؤخر اخرى اتقاء المؤاخذة من عمرو والانتقاد من بكر : عادة الفها الناس في مقابلة كلّ قول جديد لم تألفهُ النفوس ولم تدمن عليهِ الاسماع

---

(١) في كتب الفرائض الاسلامية « العصبة ذكر » لم يدخل في نسبتهِ الى الميت انثى

(٢) الارحام جمع رحم وهو قريب ليس بعصبة ولا ذي سهم

اجل ان العاقل لا بدَّ ان يستهدف للملام ويحتاط لوقع السهام لكن ينبغي لهُ مع ذلك ان يكون في جانب اليقين في انَّ مواَخذيهِ هم ايضاً طلاَّب حقٍ ولن يستطيعوا مهما بلغوا منهُ ان يطفئوا نور الحق اذا اتضح لديهم ان صاحبهُ المحق

اذا تمهد هذا اقول : ان كاتب المقالة الفاضل انما كتب ما يعتقد انهُ الحق فينبغي لمن يأخذ عليهِ قولهُ ان يأخذ بانصاف ويتنكب طريق الاعتساف . ولمن يرى رأيهُ ويوافقهُ في مذهبهِ ان يساجلهُ الكلام مساجلةً ويتجاذب واياهُ اطراف البحث لاستجلاء الحقيقة ووضوح الحق الذي هو ضالة العقل وطلبة الباحثين

لهذا فانا وان كنت من مشاركيهِ في الرأي وموافقيهِ فيما ذهب اليهِ الاَّ اني رأيت في بعض المواضع من مقالتهِ اغراقاً ربما كان الباعث عليهِ ألمُ الكاتب مما ألمَّ بالمسلمين . وفي بعضها غموضاً يحتاج الى ايضاح للاسباب وافصاحٍ عن المقاصد فجئت بهذه الرسالة لمطلق البيان والتفسير لا للمواَخذة والتكير . راجياً من حضرة الكاتب الفاضل موافقتي على ما يرى انهُ الحق ومن القراء الكرام نصرة الحقيقة وعدم التسرُّع الى العذل فاقول جواباً عن مقدمتهِ الاولى

نحن والدين

ابان الكاتب في هذه المقدمة عن لزوم استناد الامة في نهوضها الى الناصحين والمرشدين وذكر ما دبَّ في نفوس المصريين من روح النشاط الى الدخول في دور من ادوار الحياة جديد وان الامة تبع في هذه الحال للنصحاء والمرشدين . ثم تطرَّق من ذلك الى النظر في وجهة اولئك النصحاء وهل هي مما يفيد او لا . ثم ذكر الوجهة التي اتجه اليها النصحاء وانها مقصورة على الدين . وافاض فيما انتشر لهذا العهد بين الامة واستفاض على السنة الكتَّاب والموَّلفين واقلامهم من القول في ان علة تأخرنا وانحطاطنا وتقدمنا وارتفاعنا هو الدين فتركهُ والجري على خلافهِ هما علة ما نحن فيهِ . والعمل بهِ هو الدواءُ الشافي من كل ما اصابنا من الامراض . ثم قال ان هذه النصيحة وتلك الضوضاء القائمة بين المصريين في الارشاد الى النهضة النافعة كلها موجهة الى الدين وبالدين ومن الدين

ساق الكاتب هذه المقدمة على اسلوب جميل مقبول للعقل مشعر بحسن النية وقال ما شاء ان يقول واجاد في القول فلا ينكر عليهِ الاَّ اغراقهُ في بعض المواضع لا سيما في تهمة معلمي ابناء الامة الدين لو صحَّ انهم انما جعلوا الدين هو القدوة التي يغرسونها في الاذهان لكان ذلك حسن ظنٍّ منهُ ينبغي لاولئك المعلمين ان يقابلوهُ بالشكران اذ المعروف انهم ليسوا هناك وانما فيهم افراد نعرف بعضهم يبثون في الناشئين روح الدين على وجه معقول لا يتجاوز

حد الحاجة ولا يباين تربية الاخلاق على الفضيلة ولو حذا حذوهم امثالهم من المعلمين لكان ذلك نافعاً للناشئين

واغرق في تهمة الشعراء وانما هم طلاَّب خيال وابعد الناس عن قيل وقال

واما المؤلفون والكتاب وارباب الجرائد والمجلاَّت الذين جعلوا الدين وترًا يدقون عليهِ. واذا تفرَّقت بهم المذاهب اجتمعوا اليهِ. فقد اجمل في الاشارة اليهم اجمالاً اندمج فيهِ الصادق والمائن والذي يعلم الحق ويقول بهِ والذي لا يعلمهُ. وانما التبستْ عليهِ الحقيقة وصعب عليهِ التفريق والتعيين لكثرة ما يقرع سمعهُ واسماع الناس كافة لهذا العهد من قوارع الدين من الكتَّاب والمحررين والحقيقة او الحق مخفي بين هذه الضوضاء القائمة لا ينادي بهِ الاَّ النزر اليسير ولا يستطيع تمييزهُ وتناولهُ الاَّ القوي المتين. ولما كان هذا المحل هو محل النظر والمناقشة ويلزم التبسط فيهِ فقد رأيت بياناً للحقيقة الضائعة ودفعاً لشبه النفوس ان اقول فيهِ كلمات لا تخلو من فائدة واليك هي

كثر لغط الناس في هذه الآونة باسم الدين كما قال حضرة الكاتب وعلت صيحة الجرائد وارباب الاقلام فاختلطت الاصوات على السامعين حتى لم يعد يصل الى آذانهم سوى اسم الدين فما الباعث على هذا كلهِ وما الذي يريدهُ الصائحون؟ هل هو خير الأمة وسعادتها كما يقولون؟

أجل قام في الأُمة افراد اطالوا في حال الأُمة النظر واطلقوا لانفسهم عنان التأمل في ماضيها وحاضرها فرأوا ان كل ما اصابها من الانحطاط انما كان من جانب الدين بما دخل عليهِ من شوائب الوضع المختلف باختلاف الواضعين واغراضهم مما لا يسع المقام بسطهُ وتعدادهُ فرأوا ورأيهم الحقّ ان قيام الامة من هذا الحضيض واصلاح حالتها الاجتماعية اصلاحاً ينهض بها الى مصاف الامم الحية النامية مدنيةً وعلماً لا يتأتى الاَّ باصلاح الدين في امة تأصل فيها الاعتقاد ان كل شيءٍ بالدين وبتطهيرهِ من شوائب البدع التي الصقها بهِ المبتدعون ظلماً وعدواناً. وان الاصلاح المدني تابع في مثل هذه الحال للاصلاح الديني. اذ ما دام المرءُ مأسوراً للعوائد مستسلماً لما يعتقد انهُ من الدين وان كان ما يعتقدهُ مضرًّا ظاهر الاثر عليهِ شاهدًا لهُ انهُ ليس من الدين فقلَّ ان يهتدي الى التملُّص من حبائل الخمول بالنزوع عما ورثهُ من اجيال طوال من الاعتقادات الباطلة والعوائد القاتلة. والشواهد على هذا كثيرة يكفي ما ذكرهُ منها حضرة الكاتب في مقدمتهِ الثانية

رأوا ذلك ونادوا بهِ على ملاءِ الناس اعتقاداً منهم بان فيهِ خير الامة ونهوضها من العثرة

الماضية ولكل مصلح عدو بل كل الناس اعداء للمصلحين لان المصلح يريد مصادرة الناس في عوائدهم ويريدون البقاء عليها وشتان بين الامرين · فقام من الناس من يناهضهم مناهضة الحامي بزعمهِ عن الدين وانما هم يحامون عن العوائد والبدع والمبتدعين والمصلحون يُدْلون بالحجة ويأتون بالدليل تلو الدليل رجاء الوصول الى الغاية والتمكن مع الزمن من تطهير العقول من ادران التعصّب للعادة والادمان على الجهالة . ورأى فريق آخر نزوع العامة الى جانب المناهضين فهبَّ لانتهاز الفرصة وجرِّ المغنم والسعي وراء الشهرة فنادى : الدين الدين : وهو لا يعرف من الدين الاَّ الفاظاً يلتقطها من افواه المتناظرين ومن ثم كثرت الجلبة باسم الدين واختلط الامر على السامعين وكان ما نراهُ ونسمعهُ مما يظنهُ حضرة الكاتب مضرًّا بالمسلمين وعندي انهُ نافع لان الحق كما قلنا ضالة العقل التي ينشدها ولا بدَّ مع توالي البحث والجدال وطول القيل والقال من تمحيص الحق وظهورهِ للعقل في اجلى مظاهر الكمال والاخذ بهِ رضي او لم يرضَ اهل الخصام والجدال

هذا تفصيل ما اجمل فيهِ حضرة الكاتب في شان المنادين باسم الدين ومنهُ يعلم انهم اقسام منهم قسم المصلحين ومنهم قسم المجادلين المكابرين ومنهم قسم المقلدين وهؤلاء هم شرُّ الناس على الناس وهم بعينهم الذين ينطبق عليهم قول حضرة الكاتب " ما جدَّ في البلاد حادث ولو كان تافهاً لا يتلفت اليهِ فرد عاقل فضلاً عن امة فضلاً عن دين يجمع امماً الاَّ وسبقتهُ كلمة الدين ثم لا تزال تتبعهُ هذه الكلمة حتى يقبر في زوايا النسيان ويكون آخر ما يشيعهُ الدين "

ربَّ قائل يقول ما اغنى هؤلاء المصلحين عن اصلاح الدين واحراهم بالدعوة الى اصلاح امر الدنيا وبيان وجوه الخير والسعادة التي تتم بها سعادة الامم الراقية التي نبذت الدين

فالجواب عن ذلك ان المرض انما يزول بزوال سببهِ واذ علمنا ان سبب انحطاط المسلمين اتخاذهم البدع والعوائد ديناً وهي ليست من الدين واستسلامهم بسبب ذلك للرضا بما وجدوا عليهِ آباءهم الاولين لزمنا ان نسعى بازالة السبب ومتى زال ونشطت العقول من عقال الاسر للعوائد والاغراق في الاستسلام لكل ما يقال انهُ من الدين حق وقتئذٍ على العقلاء والمصلحين ان يحولوا وجههم الى الاصلاح المدني اذ يجدوا يومئذ كل الامة آذاناً مصغية لما يقولون وقلوباً واعية لما بهِ ينطقون

ليس هناك دليل على ان الاصلاح المدني تابع للاصلاح الديني اعظم من مراجعة تاريخ اوربا قبل منتصف القرن السادس عشر وبعدهُ اي قبل ان تظهر دعوة الاصلاح الديني وبعد ظهورها اذ كان الغربيون قبل ذلك الحين مغلولي الايدي الى الاعناق مستغرقين في

سبات الوساوس قد بسطت عليهم السلطة الدينية يد القوة والقهر لتصادرهم بالعلم والحرية باسم الدين وتمنعهم من التفلت من شرَك العوائد وحبائل الاخلاد الى وساوس زعماء الدين كما هو حاصل الآن مع المسلمين . ولما قام المصلح المسيحي الكبير لوثيرس ودعا قومهُ الى ترك البدع الدينية وتطهير العقائد من شوائب الحشو القاتلة للعقول وقع من اللغط في اوربا وقام من الضوضاء بين الخاصة والغوغاء عين ما هو قائم عندنا الآن ثم كانت العاقبة للمصلحين ونفذ صوت الاصلاح الى اعماق القلوب ومن ثمَّ اخذت تتفتق اكمام العقول عن ذلك الزهر الكامن فيتفتح نوارهُ وينتشر عرفهُ واشرقت على النفوس انوار الحقائق فاندفعت في سبيل الرقي العلمي وما زالت في صعود حتى بلغت لهذا العهد اقصى ما ترمي اليهِ مقاصد الانسان . فكان الاصلاح المدني الاوربي الذي انعكس شعاعهُ على كل الآفاق نتيجة الاصلاح الديني كما كان الاصلاح السياسي نتيجة الثورة الفرنسوية الشهيرة

الاصلاح الديني في اوربا افاد المدنية والدين : افاد المدنية باطلاق العقل من قيود السيطرة الجائرة فبلغ من السعادة الدنيوية ما اراد : وافاد الدين بتطهيرهِ من شوائب المبتدعين حتى تلقتهُ العقول بالقبول وصار الدين في كل الممالك التي ساد فيها مذهب الاصلاح قوي الدعائم قائماً على الحق والفضيلة لانهُ من الكتاب وهذا لا يستنكرهُ الاَّ النفر القليل من كلّ قبيل بينما يرى ظلهُ متقلصاً من جهة ثانية شيئاً فشيئاً عن ممالك اللاتين لا سيما مملكة فرنسا حتى نبذهُ جمهور كبير من الناس كما اشار الى ذلك حضرة الكاتب في آخر مقالتهِ . وفي هذا عبرة للمعتبرين

ميراثنا الديني

اجمل الكاتب في هذه المقدمة في الكلام على ما ورثناهُ من اسلافنا من الميراث الديني اجمالاً ادمج فيهِ كل ما يخالج ضمائر الناقمين من استسلام الأُمة لكل ما قيل ويقال انهُ من جانب الدين وان كان من جانب الجهل بماهية الدين . ولما كان اكثر ما ورثناهُ مما ليس من الدين لم يكن موجوداً في عصر صاحب الرسالة (ص) ولا في عصر الصحابة وانما وجد تدريجاً ولكل بدعة وجدت تاريخ يرجع اليهِ ومصدر صدرت عنهُ ثم صارت من الدين فقد احببت ان أُلمّ بشيءٍ من تاريخ هذه البدع ومصدرها ليعلم القارئ كيف تسربت الوثنية الى الدين وكيف أُلصق كل شيءٍ بالدين فأقول

بدأ الاسلام على ما يعلم من تاريخهِ بالدعوة الى التوحيد الذي هو أساس الاديان الالهية والكنف الواقي من تسلط كل ما لهُ صلة بالمادة على العقول البشرية ثم أُنزل القرآن بما

يفترض على الموحد من العبادات وبما يحتاجهُ من الاحكام في المعاملات فكان الرجل اذا اراد الاسلام يُلقَّن كلمة التوحيد ويعلَّم اركان الصلاة ويؤمر بحفظ شيء من القرآن الكريم ويقال لهُ هذا هو الاسلام ولم يعهد في عصر الصحابة تجاوز احد هذا الحد من معرفة الدين وكان من اراد من كبار الصحابة المزيد من معرفة الدين فانما كان يريد التفقه فيهِ بحفظ القرآن لاجل ان يكون عارفاً باحكام الدين في القضاء والافتاء واما العبادات فقد اخذوها عن النبي (ص) بالمشاهدة واخذها عنهم كذلك من لم يرهُ وكان المتفقهون من كبار الصحابة معدودين كعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وامثالهما ولم يعهد باحد منهم الخوض بما وراء ذلك من التأويل والقال والقيل وتناول ما وراء الظاهر بالشرح والتفصيل اللهم الاَّ ما نسب الى علي بن ابي طالب من بعض الخطب المشتملة على شيء من الالهيات وقد نوَّه الحافظ الذهبي بأن اكثر ما نسب اليهِ من الخطب موضوع وضعهُ الشريف الرضي . واستمرَّ الامر كذلك بين المسلمين حتى اختلط العرب ايام الفتح بمجاوريهم من الامم وثنيين واهل كتاب وكانوا حديثي عهد بالاسلام سليمي الفطرة وكان الدين لم يزل غضاً طرياً والاديان الاخرى قد تمدَّدت ونمت ونسج عليها الناسجون ما شاؤوا من الآراء الفلسفية والبدع العقلية فلم يلبث ان خالط العرب هذه الامم حتى بدأت في اوائل عهد التابعين تتسرب الى عقولهم النظريات الدينية وتلتصق بالدين البدع الباطلة وكانت اول بدعة ظهرت فيهِ بدعة معبد الجهني وغيلان الدمشقي في القول بالقدَر ثم تبعها غيرها وغيرها . ومن دقق النظر في التاريخ اتضح لهُ ان اكثر ما ظهر من البدع في الدين كان في موطن الوثنية لذلك العهد وهي فارس والعراق وان عمال بني امية كنصر بن سيار وغيرهِ كانوا يطاردون ارباب البدع والمقالات فلا يزيدهم ذلك الاَّ امعاناً في الابتداع ومن هنا يعلم المدقق من اين أُوتيَ المسلمون وان ما تسرَّب الى العقائد من الزيغ عن سذاجة الدين الأُولى انما كان من قبل الوثنية والوثنيين الذين كبر عليهم تغلب المسلمين على دولتهم وعلوّ شأن الاسلام في مواطنهم فدسوا ما دسوا في عقول المسلمين وتركوا لنا ما نعلم من ميراث الوثنية لا الدين وبئس ذلك الميراث المشين

اختلف ارباب المقالات بين جبرية وقدرية ومشبهة وما لا يعدُّ من الفرق التي جمعها الاسلام وفرَّقتها الوثنية والابتداع فادخلت كلٌّ فرقة شيئاً من الوهن على الدين والغلو في الاعتقاد الذي يرمي الى المادة في الاكثر وهي معبود الوثنيين بين اموات واحياء واحجار واشجار وانما جاء الاسلام لينعي على عشاق المادة استغراقهم في مظاهرها واستسلامهم لوساوسها لحولهُ اهلهُ الى المادة وكيفوهُ مثلما تريد لا مثلما يريد ثم دفعوهُ الينا على شكلهِ هذا فاعتقدنا

انهُ هذا هو الدين وضربنا بسلاحهِ وجوه المصلحين

رأى ذلك وقتئذٍ فريق آخر من الامة فهالهم ما رأوهُ فنادوا واغيرتاهُ على الدين وبالغوا في الانذار والتحذير وقول هذا حلال وهذا حرام وهذا يمسُّ بالدين وهذا تقليد للوثنيين وهذا يشكك المسلمين حتى احرجوا الامة بالصاقهم كل شيءٍ بالدين فالقيام والقعود والاكل والشرب والتخاطب والتعامل والعلم والتعلم كلهُ بالدين ومن الدين وللدين و بالجملة لم يدعوا شيئاً من العوائد الاَّ ادخلوهُ تحت قانون الدين

ربما يتعجب القارئ اذا قلنا لهُ ان المدنية الاسلامية التي نشرت اعلامها في عصرها على الخافقين انما قامت باسم الدين وللدين ولما اخذ الدين حاجتهُ منها نبذها علماءُ الدين واليك الدليل

كل من وقف على تاريخ الاسلام يعلم ان المدنية الاسلامية انما ظهرت بظهور الدولة العباسية لكنها لم تبنَ على اساس علمي صحيح الاَّ في عصر المأمون العباسي الذي تقدم الى المترجمين والكتَّاب بترجمة علوم اليونان الفلسفية. و يعلم كل واقف على التاريخ ايضاً ان المأمون كان ينزع الى مذهب الاعتزال وهو مذهب اهل الجدل الذين حاولوا التوفيق بين العقل والشرع بردّ الاسباب الى مسبباتها الطبيعية مع ارجاع الاسباب كلها الى مسبب واحد وهو الله تعالى . ولما كان هذا المذهب اساسهُ العقل احتاج اهلهُ ومن يقابلهم ايضاً الى مراجعة علوم الفلسفة والنظر لتدعيم مذاهبهم بقوة الجدل العقلي وفي فلسفة اليونان شيءٌ كثير من هذا فتقدم المأمون بترجمة كتبهم الفلسفية واذ رأى ان الشرع في الحقيقة لا يمنع العقل عن تناول علوم الاكوان النافعة امر ايضاً بترجمة كتبهم الرياضية والطبيعية والطبية فترجمت هذه ولكن تبعاً لتلك فاخذ من هذه من اخذ لبناء صروح المدنية واخذ من تلك من اخذ للمباحث الدينية التي يسمونها علم الكلام وتكوَّن مع الزمن من هذه العلوم مدنية تناسب الوقت و يرجى منها لو طال عليها الزمن بلوغ الكمال ولكن يا للاسف لما اكتفى علماء الدين بما لديهم منها صاحوا في الامة بتحريم كل علم الاَّ علوم الدين فهدموا بلا شفقة تنفعل بها نفوسهم كل ما بناهُ اباؤُهم الاولون وسدُّوا في وجوه الامة كل منافذ السعادة التي يسعى اليها الانسان و يريدها للمسلم القرآن

هذا ميراثنا من اسلافنا الغابرين بما يسمونهُ الدين نضيفهُ الى ما ذكرهُ حضرة الكاتب مؤيداً بالشواهد التاريخية وهو قليل من كثير مما نحفظهُ من ميراث الدين ولو اردنا استقصاء كل ما منينا بهِ من هذا القبيل لاحتاج لوقت طويل وكتاب كبير ولو انصف حملة علم الدين واطلقوا عنان النظر في التاريخ لرأوا ان الدين لم يؤتَ من قبل علوم الاكوان وانما أُوتي من قبل تلك الوثنية التي دخلت منذ القرن الاول على الدين وزعموا انها من الدين

ولنزهوا الدين عن جعلهِ مانعاً من ترقي المسلمين ولما زعموا ان الانسان انما خلق ليعيش عيشة الحيوان ولا يتطاول الى تناول شيء نافع من علوم الاكوان لماذا ؟ لانهُ يمس بالدين مع انهم لا يعلمون كما لا نعلم وجه مساسهِ بالدين اذ ما دامت الاديان منزلة لسعادة الانسان فمن سعادة المسلمين ان يكونوا في مقدمة الامم علماً ورقيّاً وقوة ومجداً ولكن اين من يفهم هذا ممن يعتقدون ان لا شيء في عالم الحياة الاَّ الدين فانا لله وانا اليهِ راجعون

هل في النداء بالدين فائدة

« النتيجة »

كتب حضرة الكاتب في مقدماتهِ ما كتب ثم ختم كلامهِ بهذه النتيجة وهي " هل في النداء بالدين فائدة " الجواب عنها كما هو مفهوم كلامهِ : لا : وان النداء بالدين خطر علينا وعلى الدين وضرب مثلاً على هذا بلاد اوربا وما صار اليهِ فيها الدين ثم مثلاً آخر بما وقر في اذهان المتعلمين من الشكوك وما توارد على خواطرهم من الوساوس والظنون بسبب ما صار اليهِ الدين مع كثرة من ينادي " الدين الدين " . ثم افاض في هذا الباب وجال في ميدان الكلام ما شاء ان يجول فقال اننا نوشك ان نصنع في ديننا كما صنعت بدينها اوربا من قبل واننا مع معرفتنا بما تلبس بديننا من التقاليد السخيفة تكاد اصواتنا تبح في النداء بهِ وطلب الاسترشاد بقواعدهِ الى آخر ما قال مما يدل على سلامة قصد وحيرة ربما كان سببها كما قدمنا كثرة ما قيل ويقال في الدين . ولست اريد هنا ان اتتبع كل ما قالهُ في النتيجة لان هذا يوجب ملل القارىء و يضيق عنهُ مقام المقتطف الاغر وانما اقول ان كلامهُ فيها يعروهُ اللبس اذ لما تكلم في المقدمات كلاماً اجماليًّا على المنادين بالدين وما صار اليهِ حال المسلمين لم يتمكن في النتيجة من اخراج الحق من حاصرة الباطل واطلق في الحكم اطلاقاً لا يؤخذ منهُ نتيجة توفق بين طرفي الافراط والتفريط الواقع فيهما المسلمون . واخطأ من فهم انَّ المنادين بالدين كلهم يدعون الى التمسك بهِ على ما دخلهُ من الحشو واللغو المضر لا النافع للمسلمين . على انهُ مهما رأى واعتقد في هذا الباب ما نخالهُ يخالفنا في انَّ الدين كما قدمنا مظلوم في نسبة ما نسب اليهِ وانهُ اصبح مزيجاً من اديان كثيرة قد رسخ في اذهان سواد الامة انَّ ذلك المزيج هو الدين وان هذا الدين الجديد هو الذي اخذ بالامة الى مهاوي الجهل والتقهقر وان لا بدَّ لاستئصال شافة هذا الاعتقاد من النداء باصلاح الدين لا النداء بالدين مطلقاً كما ظن حضرتهُ وقال ان النداء بالدين كان ولم يزل ولم يستفد منهُ المسلمون الاَّ الاغراق في التعصب والجهل اذ نحن معهُ في هذا الرأي وكل عاقل ايضاً يعلم ان الدين على ما هو عليهِ الآن مدعاة لزوالهِ وشقاء

اهلهِ وانما ينفع النداء بالدين اذا امتاز تجار الدين والمتعصبون للتقاليد عن علماء الدين والاصلاح الغيورين وتركوهم وشأنهم في الدعوة الى تطهير العقول من ادران الاعتقاد الباطل الذي تلبس بهِ سواد الامة فاصبحوا بعيدين عن قبول السعادة المدنية بعد الارض عن السماء. وفي اعتقادي ان خطوة واحدة تخطوها الامة مع هؤلاء المصلحين تكفي لاسترشاد العقول الى معارج التقدم التي يتلمسها المتعلمون والراغبون في معرفة السبيل الى دفع الشكوك وطرد الظنون. اقول الامة لان المطلوب اصلاح سوادها لا اصلاح افرادها واصلاح سواد الامة لا يكون الاَّ باصلاح الدين وتقويم المعتقدات كما سبق الكلام عليهِ في خبر شيعة لوثيرس في اوربا وان الاصلاح الديني عندهم كان مقدمة للاصلاح المدني لانهُ اجتثَّ من النفوس جذور العبودية واستأصل شافة التسلط على الافهام باسم الدين

ربما يقال ان لوثيرس وجد من الامراء العقلاء المنصفين في عصرهِ من يحميهِ من غائلة الاذى والضرر من المتهجمين عليهِ باسم الدين وامراء المسلمين نراهم اعداء للمصلحين الناصحين يقفون لهم في كل مرصد ووادٍ ضناً بسلطة الاستبداد التي يساعدهم على بقائها ما مني بهِ المسلمون من سوء الاعتقاد فما حيلة هؤلاء المصلحين ؟ والجواب عن ذلك ان عامة الامة تبع فيما يتعلق بالدين للعلماء المتعممين فاذا انصف هؤلاء واخذتهم الرأفة بالدين واهلهِ وتركوا النصحاء وشأنهم في امر المسلمين ولم يداجوا العامة والامراء فلا يبقَ هناك ادنى قوَّة لهؤلاء : واذا كان العلماء يعتقدون ان عدم مشاكسة المصلحين ومشاغبتهم خطر على الدين فلا اهون من ان يزول اعتقادهم هذا اذا علموا ان الخطر المقبل عليهِ من قبل فريق المتعلمين كما شرحهُ حضرة الكاتب الفاضل هو اعظم بكثير مما يعتقدون في المصلحين واذا لم يسلموا معنا بقول الكاتب حسن ظن منهم بشبان المسلمين فخطر الجهل الذي انغمس بهِ المسلمون أعظم واشد وحسبهم من ذلك ما يرونهُ كل يوم من نُذُر العلم والقوَّة التي تأتينا من قبل المغرب ونحن لا نزال نلهو عنها بهذا حرام وهذا حلال حتى نصبح عبيداً للامم الراقية كاليهود ليس لنا دولة ولا استقلال . ومجال البحث في هذا طويل والخبر ذو شجون ومن الله نسأل العون للمرشدين والراشدين اه

القاهرة رفيق العظم

[المقتطف] كان حضرة الكاتب الاول عبد القادر افندي حمزه كلما ذكر كلمة الدين في مقالتهِ اتبعها بكلمة "الآن" او ما هو بمعناها تمييزاً للدين على اطلاقهِ عما صار اليهِ "بضع عادات وتقاليد" فرأينا وقت تصحيحها للطبع ان نحذف كلمة الآن من بعض الاماكن لدلالة القرينة عليها واستغناء الكلام عنها ولان الكاتب عاد فبيَّن مرادهُ جلياً في خاتمة مقالتهِ حيث قال "ولا يقولنَّ مدافع اني اريد بهذا ان يترك الدين جانباً فمعاذ الله ثم معاذ الله ان اريد ذلك او يخطر على فكري شيء منهُ" الخ

هستيريا البصر

الهستيريا مرض كثير الانتشار يصيب الرجال والنساء ولا يختص بسن واحد لكنهُ يغلب بين العاشرة والعشرين من سني العمر واعراضهُ شديدة الاختلاف قد تكون بسيطة جدًّا يكاد لا يشعر بها العليل ولا يدركها الطبيب وقد تشتبه ببعض الامراض العضوية المهمة فينخدع بها نوابغ الاطباء واكثرهم تدقيقاً . ذكر الاستاذ اوزلر Osler في كتابهِ عن الامراض الباطنية انهُ زار مرة احد المستشفيات الكبيرة فوجد جرَّاحهُ وهو من ذوي الشهرة الواسعة والاختبار عازماً على استئصال ورم مبيضي وكانت المريضة تستنشق الكلوروفرم فما لبثت ان تخدرت حتى زال ذلك الورم من تلقاء نفسهِ وظهر انهُ من النوع المعروف بالانتفاخ الهستيري

ومهما اختلفت اعراض الهستيريا ففيها كثير من العلامات البصرية الثابتة التي تصاحبها ويكاد لا يتعذر تحقيقها في جميع الحوادث المشتبهة . نبَّه اليها امام الباحثين في الامراض العصبية العلامة شاركو Charcot وقال انهُ كثيرًا ما استعان بها على تشخيص العلة عندما كان يعسر عليهِ ذلك بكل الطرق الأُخرى

ومن مميزات العلامات الهستيرية امكان حدوثها للمريض بايهامهِ والتأثير على فكرهِ كما وهو مستغرق في النوم المغنطيسي بايعاز منومهِ . وقد اثبت بابينسكي صحة هذه القاعدة في مريض عُرض على جمعية مستشفى باريز الطبية وكان مصاباً بحوَل متباعد[1] اجمع الاطباء الذين رأوهُ هناك على نسبتهِ الى الهستيريا اما بابينسكي فعارضهم في ذلك استنادًا على القاعدة المذكورة آنفاً لعجز المريض عن ان يحوِل عينيهِ بالايهام والاغراء بخلاف الحوَل المتقارب[2] وقد اثبت فتح جثتهِ بعد موتهِ صحة رأي بابينسكي ووجدت آفة في الدماغ والتهاب في العصب الثالث كانا علة ذلك الحوَل

وتمتاز هستيريا البصر او ضعف البصر الهستيري بثلاثة امور مهمة اولها انقباض ميدان البصر[3] وثانيها خلل في تمييز الالوان ونسبة بعضها الى بعض[4] وثالثها تشنج العضلة التي تجذب البلورية وتبسطها وهو ما يسمَّى بتكييف العين

---

(١) الحوَل المتباعد هو انحراف العين اليمنى الى اليمين واليسرى الى اليسار فتبعدان عن محوَر البصر

(٢) الحوَل المتقارب انحراف العين اليمنى الى اليسار واليسرى الى اليمين فتقربان من محور البصر

(٣) يراد بميدان البصر الفسحة التي تراها بعينك اذا فتحتها ولم تجلها من جهة الى اخرى

(٤) يراد بذلك اتساع ميدانها النسبي فان ميدان بصر الون الابيض اوسع من ميدان اللون الازرق وميدان الازرق اوسع من ميدان الاصفر وهلم جرًّا كما سيجيء

اما الانقباض المشار اليهِ فقد يكون خفيفاً جدًّا يتعذّر إدراكهُ بالطرق البسيطة فيلتجئ الطبيب الى مقياس دائرة البصر المعروف بالبريمتر Perimètre وقد يكون شديداً فلا يبقى من ميدان البصر سوى نقطة التحديق وما حولها الى عشر درجات . وقد يزيد اشتداداً فيفقد المصاب تلك البقية الصغرى من النظر ولا يشعر حينئذٍ بالضوء مهما كان قويًّا . الاَّ ان الحدقة تستمرُّ على حالتها الطبيعية اي انها تنبسط في الظلمة وتنقبض في النور ولو لم يميز العليل بينهما . وهذا من العلامات الخاصة بالكنة الهستيرية وعللهُ بعضهم بضعف الادراك الذي يطرأ على بعض حواس المستيريين فان اشعَّة الضوء تصل الى الدماغ كما في الحالة الطبيعية فيرتد الفعل الى الحدقة ويقبضها ولكنَّ المصاب لا يدري بذلك . والتعليل المذكور آنفاً يظهر ايضاً كيف لا ينزعج المستيريون الذين انقبض ميدان بصرهم انقباضاً شديداً ولم يبقَ منهُ سوى نقطة التحديق وما حولها الى نحو عشر درجات وكيف يمكنهم المسير بسهولة مع ان المرء اذا اصيب بمثل هذا الانقباض لعلة اخرى كمرض في طبقات العين او آفة عصبية او مركزية خبط خبط عشواء واصطدم بما على جانبيهِ . وذلك لانهُ من المحتمل في هذه الحالة ان التأثيرات الشبكية التي لا يشعر بها هؤُلاء المستيريون تصل الى الدماغ ويتأَتى عنها تلك الاعمال الغريزية التي بواسطتها نسير على هدًى بالفعل المنعكس متجنبين الاصطدام بما يعترضنا من الحوائل

ويشتدُّ انقباض ميدان البصر باشتداد الضوء وعقب النوب التشنجية وعند تعرُّض المريض لفحصٍ بصريّ طويل ويتسع باستعمال العدسات الموافقة والزجاجات المدَّخنة وباضعاف الضوء

وقد يكون هذا الانقباض مخالفاً للاصل فحينئذٍ اما ان يُصاب البصر المركزيّ فقط فتتشابه الحالة بالكنة الكحولية واما ان يصاب المركز والمحيط ولا يبقى من ميدان البصر سوى منطقة حلقية

والتهييج الجلد تأثير ظاهر على ميدان البصر فالوخز في اي جهةٍ من الجسم يزيدهُ حتى يبلغهُ احياناً الدرجة الطبيعية . وقد اشار له دنتي Le Dantée لما لهذا التهييج احياناً من تسبيب رؤْية الوان لا اثر لها في الحقيقة . فقد غُمضت عينا مريضٍ وقُرص جلدهُ بالقرب من جزءٍ مخدَّر (وتخدُّر الجلد يصاب بهِ المستيريون كما سيأْتي) فابصر لوناً اخضر ثم كوي في جهةٍ اخرى فرأى لوناً احمر . ومن المعلوم ان ميدان بصر اللون الابيض اوسع في الحالة الصحية من ميادين الالوان الاخرى التي تتلوهُ بحسب الترتيب الآتي : الازرق فالاصفر فالاحمر فالاخضر فالبنفسجي . فمن الطبيعي ان يصاحب انقباض ميدان اللون الاول بما يناسبهُ في ميادين الالوان الاخرى وهذا هو الواقع غالباً ولكن من غريب ما قد يُرى في المستيريا عكس هذه القاعدة وضيق دائرة اللون الابيض اكثر من غيرهِ من الالوان

وللون الاحمر تأثير خاص في المصابين بالهستيريا فقد تكون دائرتهُ اوسع من دوائر الالوان الاخرى كافةً وهذه الحالة تدل دلالةً قطعية على ان اصابة البصر هستيرية الاصل وتفيد جدًّا في تمييز هذا المرض عن الاصابات الكحولية والاختلاجية عند تشابه باقي الاعراض لانَّ اللون الاحمر في الاحوال الاخيرة يتأثرُ قبل باقي الالوان وينقبض ميدانهُ اكثر من ميادينها

ولا يقتصر تأثير الهستيريين باللون الاحمر على اتساع ميدانهِ بل يتناول ايضًا شدَّة ادراكهِ بالنسبة الى اللون الابيض والالوان الاخرى فقد ذكر الاستاذ بارينو Parinaud انهُ كان يأتي ببعضهم ويمتحنهم بمقياس الضوء Photomêtre مظهرًا لهم نورًا ابيض يسهل عليهم رؤيتهُ لاول وهلة ثم يأخذ بإضعافهِ حتى يتعذر عليهم ادراكهُ فيغطهِ بزجاجة حمراء فيبصرونهُ حالاً

وقلما تتأثر دقة البصر في الهستيريا بل تبقى على حالتها الطبيعية كما يظهر عند التدقيق في البحث والتجارب . ومن الغريب ان يكون الامر كذلك في بعض الذين انقبض ميدان بصرهم اربعين درجة وانخفضت قوة تمييزهم للضوء انخفاضًا بينًا واغرب منهُ ان تزيد هذه الحدة البصرية في النور المعتدل عمَّا هي في النور القوي رغمًا عما هناك من تخدُّر الشبكية اي ضعف ادراكها للاشعة الضوئية

ومن العلامات التي قد ترافق ضعف البصر الهستيري رؤية صورتين او ثلاث صور للشيء الواحد عند النظر اليهِ بعين واحدة . وقد اختلفت آراء الباحثين في تعليل هذا الامر فزعم بعضهم ان المنطبع على شبكية العين لا يتجاوز الصورة الواحدة وان تعدد رؤيتها ناتج عن خلل في تأدية الدماغ وظيفتهُ . واثبتَ البعض الآخر عكس ذلك وقال انَّ تشنج القوة المكيفة للعين الذي يرافق غالبًا ضعف البصر الهستيري هو السبب المهيئ لهذا الامر وان الباعث الحقيقي نقص في تركيب العدسة البلورية فتشنج التكييف يجعل العين صالحة لرؤية الشيء واضحًا على بعدٍ واحدٍ فقط حتى اذا أُبعد او قرِّب انتشرت صورتهُ على الشبكية واختلفت نسبة اجزائهِ فضعف وتعدد ادراكهُ واما العدسة البلورية فهي كما لا يخفى مؤلفة من ثلاث قطع منفصلة بعضها عن بعض وكل منها ذات بؤرة خاصة بها وقادرة على تكوين صورة مختلفة عن الصورة التي تكوّنها العدسة كلها فاذا كان هناك ادنى خلل خلقي في تركيبها اشتد ظهورهُ عند تحدب سطحها المقدم المتأتي عن انقباض تكييف العين او تشنجهِ وابصرت تلك الصور الثلاث منفصلة غير واضحة

ويتسبب ايضًا عن تشنج تكييف العين او تطبيقها علامة أُخرى شديدة الظهور في الهستيريا وهي فساد في القوّة التي يتمكن بها المرءُ من تقدير حجم الاشياء الحقيقي رغمًا عن الاختلاف العظيم في حجم صورها الشبكية بحسب اقتراب هذه الاشياء او بعدها عن العين .

وسبب ذلك ان العين السليمة ترى الاشياء بحجمها الحقيقي لان القوة العضلية التي تستعمل لتكييفها تختلف كميتها بحسب بعد الشيء او قربهِ فيدركها الدماغ ويستنتج منها القياس الأصلي لهذه الاشياء. اما في تشنج التطبيق فهذه القوة العضلية ثابتة على حالة واحدة ولذلك لا يتأتى للدماغ معرفة حجم الاشياء المرئية الاَّ بحسب صورها الشبكية وهذه كما هو ظاهر يختلف قياسها بحسب الابعاد . وقد يحدث ان ينظر المصاب الى شيء متحرك فيراهُ آخذاً في الكبر كلما ابتعد عنهُ وهذا ناتج عن انتشار صورة الشبكية وتعددها للاسباب المتقدمة وظهورها كصورة واحدة كبيرة حتى اذا دقق البصر أدرك خطأهُ وظهر لهُ التناقص المستمر في حجم ذلك الشيء

ومن اغرب العلامات التي قد تشاهد في الهستيريا ان لا تبصر احدى العينين عند تغميض الأخرى حتى اذا فتحتا كلتاهما ابصرتا معاً وهذا الامر لاشكَّ في حدوثهِ واثباتهُ سهل يتأتى بوضع ورقة ملونة امام عيني المريض ونظرهِ اليها بكلتا عينيهِ ثم يؤتى بعدسة منشورية قوية وتوضع امام عينهِ السليمة فيرى صورتين منفصلتين لتلك الورقة وبتغيير اتجاه محور العدسة وموضعها وتغميض العين العمياء ثم فتحها لايلبث ان يتأكد ان احدى هاتين الصورتين تابعة للعين التي لا تبصر . وقد علل برنهيم هذا الحادث الغريب بان فقد البصر في العين العمياء وهميٌّ غير حقيقي وانهُ ناتج عن فقد الصورة الشبكية بعامل نفساني لكن پارينو انتقد هذا التعليل لمخالفتهِ للقواعد العلمية وزعم ان السبب الحقيقي واقع في وجود علائق وظيفية بين نصفي الدماغ بواسطة الياف موصلة في الجسم الصلب. ويقول ان عدم امكانهِ اثبات رأيهِ هذا تشريحيًّا لايقلل من اهميتهِ فقد صرَّح شاركو بان الظواهر المختصة بالهستيريا لا ينبغي تعليلها بالمبادئ التشريحية بل بالقواعد الفسيولوجية اي الوظيفية

وتسبب الهستيريا تخديرًا في الجهاز الحسي العام والاغشية المخاطية واعضاء الحس الخصوصية. وما ضعف البصر الهستيري الأمن هذا القبيل ولهذا فهو يصاحب دائمًا بارتباكات اخرى حسية خصوصاً في الجلد والبلعوم

وقد ينحصر هذا التخدير في بقعة صغيرة فيشاهد خصوصاً في الجلد المحيط بالعين الضعيفة البصر او يتخطَّى ذلك الى جزء من الملتحمة والقرنية او اليها باكلها فيفقدان الحس تماماً و يبطل حينئذٍ انعكاس الفعل من المقلة الى الجفن فاذا احدق المصاب بشيء ثابت ولُمست الملتحمة او القرنية بريشة او قطعة من الخشب او الورق لم يتحرك الجفنان ما لم يلمس الجزء الحدقي وحينئذٍ لا يتم هذا العمل الانعكاسي من تهييج القرنية بل من تأثر الشبكية من الصورة المنطبعة عليها. اما حركة الاجفان الاختيارية فتبقى طبيعية كما كانت ويتأتى للمريض تتميمها

متى شاء بكل راحة وسهولة . ولا تشارك الغدة الدمعية العين المخدرة بفقدها حسها بل تستمر على حالتها الطبيعية فتفرز دموعها حالما تلامس تلك العين جسماً غريباً

ويصيب ضعف البصر الهستيري العينين غالباً ولا يصيب عيناً واحدة الا في ٩ في المئة من حوادثهِ. وهو كما تقدم نوع من التخدير العمومي المعتري الجهاز الحسي فلهذا يكون غالباً شديداً في العين المحاذية للجنب الذي يعظم فيهِ ظهور ذلك الخلل وعندما ينتقل التخدير من احدى جهتي الجسم الى الاخرى يتبعهُ ضعف البصر الهستيري فتقوى العين المريضة وتمرض القوية

وقد تشابه اعراض ضعف البصر الهستيري امراض العين الوظيفية لكنهُ لم يعثر قط على حادثة واحدة شابهت بها هذه الامراض فقد البصر النصفي تمام المشابهة

وقال بارينو ان الهستيريا لا تؤثر في داخل العين لانها مرض وظيفي عضوي لكن لاندولت Landolt ونويل Nuel وديل Deyl خالفوهُ في ذلك وقالوا انها كثيراً ما تسبب احتقاناً في الحلمة البصرية والشبكية وانهُ قد يتأَتى عنها ايضاً ضمور العصب البصري . وعندي ان الاحتقان الذي شاهدهُ الاخيرون ناتج عن اسباب اخرى اهمها الارتباكات الطمثية التي كثيراً ما ترافق الهستيريا او تكون السبب المهيء لها والتي تؤثر على الدردة الدموية بوجه عام فقد شاهدت ثلاث حوادث من هذا القبيل . اما الضمور البصري فهو ولا شك تابع لامور اخري

ومن اهم العلامات البصرية المرافقة للهستيريا واكثرها حدوثاً تشنج القوة المطبقة للعين وقد تقدم التلميح اليهِ وهو على ثلاثة انواع اما ان يشبه الشلل فيطول البصر ويستفيد المصاب من العدسات المحدبة واما ان يكون انقباضياً محضاً فيتعذر على المريض القراءة بدون عدسية مقعرة واما ان تشترك بهِ الحالتان فتكون العين حينئذٍ طويلة البصر وقصيرتهُ في آن واحد اي انها لا تميز الاشياء القريبة ولا البعيدة الا باستعمال العدسات المحدبة للاولى والمقعرة للثانية

وتشنج التطبيق اما تام فلا تبصر العين الأَعلى بعدٍ مخصوص واما ناقص فيبقى هناك مقدار من تلك القوة يمكّن المرء من تمييز المرئيات في ميدانٍ معين يزيد وينقص بحسب ذلك المقدار الباقي

ومن السهل معرفة تشنج التطبيق الهستيري المحض المشابه لقصر البصر الحقيقي وتمييزهُ عنهُ فالعين في الاول تستفيد من العدسات المقعرة ولكن قوة العدسة الموافقة تختلف بحسب كمية التشنج الموجود وقت الامتحان فهي قد تزيد او تنقص ثماني درجات في يوم واحد واذا امتحنت العين بالقياس الظلي او الشبكي وُجدت صحيحة اي لا قصيرة البصر ولا طويلتهُ واذا قطر الاتروبين Atropine زال ذلك التشنج تماماً وظهرت العين في حالتها الطبيعية . وتشنج التطبيق الهستيري يرافق غالباً الضعف البصري ولكنهُ قد يكون وحدهُ وليس من النادر

ظهورهُ في الاحداث كاول العلامات الدالة على ارتباك المجموع العصبي

وتتسع حدقات المستيريين غالبًا لكنها قد تكون ضيقة خصوصًا في المصابين بالخوف من الضوء وقد تكون دوائرها غير منتظمة

ومن العلامات البصرية المستيرية اختلال في تقارب المقلتين وهذا التقارب مسبب في الحالة الطبيعية عن عاملين اصليين الاول القوة المطبقة والثاني الرغبة في مزج الصورة المنطبعة على شبكية كل عين مع رفيقتها فاما ان يصاب احد هذين العاملين فقط واما ان يصاب كلاهما . فاذا اصيب العامل الاول وهو القوة المكيفة لا يشكي المريض من رؤية الشيء مزدوجًا ولا يظهر الحول للناظر اليهِ لان تقارب المقلتين يتأتى لهُ بتوجيه قوة ارادية عظيمة الى العضلات المحركة لها وهو لا يشعر غالبًا بتوجيهه هذه القوة التي يقوم بها العامل الثاني اي الرغبة في مزج الصورتين بغير قصد منهُ ويتأكد الطبيب في هذه الحالة وجود خلل في قوة التقارب بالطريقة الآتية . يغطي احدى عيني المصاب بعدسة منشورية قوية لتفريق الصورتين ويطلب منهُ النظر الى شيء قريب فيظهر نقص واضح في تلك القوة ثم تغطى العين الاخرى بزجاجة ملونة ويطلب النظر منهُ الى شيء بعيد فيكون اقتراب المقلتين حينئذٍ ناقصًا او طبيعيًّا او زائدًا فاذا كان زائدًا ظهر ان الاصابة شديدة وان قوة التقارب مختلة في طرفيها اي انها اقل من اللازم عند النظر الى الاشياء القريبة واكثر في البعيدة

وقد يصاب عاملا التقارب معًا وهذه الحالة نادرة وطريقة ادراكها بسيطة تتأتى بوضع زجاجة ملونة امام احدى عيني المصاب وتوجيه نظرهِ الى لهب شمعة او ايّ شيء آخر فلا يلبث ان يراهُ مزدوجًا لكنهُ يراهُ مفردًا في الغالب على نحو التمرين لما تقدم من اختلال التقارب في طرفيهِ واعتدالهِ بينهما وقد لا يتمكن البعض من رؤية صورة واحدة بالعينين على اي بعدٍ فاذا لم يكن هناك علة عضوية في عضلات المقلة كان السبب الحقيقي فقد تام لمركز مزج الصورتين الدماغي

ويتأتى عن شدة انقباض التقارب في الهستيريا نوع من الحول او الزوغان والغالب ان يكون الخلل حينئذٍ شاملاً للعاملين الاصليين ولعامل ثالث ارادي محض لا يفعل في الحالة الطبيعية سماهُ ڤون جراف Von Graef بحاسة التقارب وهذا الحول من النوع المتقارب او الانسي ويمتاز بكونهِ وقتيًّا نوبيًّا وبملازمة المسافة الفاصلة بين صورتي اي شيء ينظر اليهِ المصاب حالة واحدة سواء وجه نظرهُ الى اليمين او اليسار وبامكان ازالتهِ بالأتروبين

الياس ابرهيم الصليبي

طبيب العيون

اللغم والطربيد

ان الباحث في تاريخ الامم واسباب ارتقائها وانحطاطها ليرى في هذه الحرب الناشبة بين الروس واليابان ادلَّة قاطعة على ان موارد العلم الحديث مباحة لجميع الناس ومن يردها اليوم يرتوِ منها مثل مَن انشأها او قضى العمر في حماها ولذلك فالعمران الذي تمخَّضت القرون حتى ولدتهُ ومات في سبيلهِ الوف من العلماء والعظماء والمكتشفين والمخترعين والجنود والقوّاد مُدَّت موائدهُ للجميع على السواء وأُبيحت مواردهُ لاهل الخافقين

سار الروس في سبيل العمران الحديث من ايام بطرس الاكبر اي منذ اكثر من مئتي سنة وهي الزمن الذي نشأ فيهِ هذا العمران وترعرع وبلغ اشدَّهُ فكأنها جارت اوربا من حين نشأ عمرانها . ولم تفلح في نشر لوائهِ في كل مملكتها الواسعة الاطراف المختلفة الشعوب ولكنها لم تدَّخر وسعاً في جعل جنودها واساطيلها في الطبقة الاولى كيف لا وهي تنفق عليها كل سنة ٤٥ مليوناً من الجنيهات

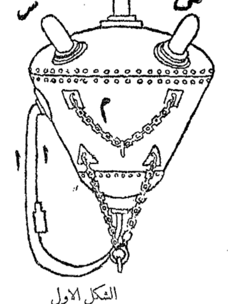
واليابان حديثة العهد في العمران الاوربي لا نبالغ اذا قلنا انها لم تسرْ فيهِ الأ منذ عشرين او ثلاثين سنة وحتى الآن لا تستطيع ان تنفق على جنودها واساطيلها اكثر من ثمانية ملايين من الجنيهات ومع ذلك فازت من فضل المدارس باقتباس احدث الاساليب التي وصل اليها اهالي اوربا واميركا سواء كان في انشاء البنوك والسكك الحديدية والمعامل الصناعية او في تعبية الجنود وتجهيز الاساطيل ومناجزة الخصوم مهما كان صولهم وطولهم

و يظهر من الاخبار التي ترد يوماً بعد يوم عن فوز اليابانيين في الحرب البحرية انهم ابعد نظراً من خصومهم واكثر منهم اعتماداً على المستنبطات الجديدة فان اللغم الذي يعتمد عليهِ الروس لنسف السفن طرزهُ قديم يضر باصحابهِ اكثر مما يضرُّ بخصومهم ولذلك اتلف من اسطولهم اكثر مما اتلف اليابانيون منهُ . والطربيد الذي يستعملهُ اليابانيون من احدث ما صُنع حتى الآن واكثرهُ اتقاناً يسير الى الغرَض الذي يسدَّد اليهِ بآلة تدور فيهِ ففعل من الافعال المدهشة ما القى الرعب في نفوس الدول العظيمة التي تبني البوارج الكبيرة لانهُ اثبت لها ان طربيداً واحداً لا يزيد ثمنهُ على جنيهات قليلة يتلف بارجة يزيد ثمنها على مليون من الجنيهات

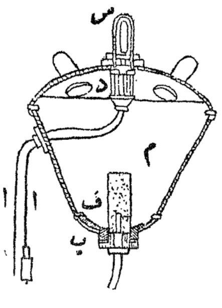
وقد رأينا ان نصف اللغم الذي يستعملهُ الروس والطربيد الذي يستعملهُ اليابانيون ايضاحاً لما يرد من الاخبار عنهما

لا يخلو مرفأٌ ثغرٍ حصين من لغوم توضع فيهِ وهي صناديق من الحديد يوضع فيها قطن البارود او الديناميت اذا اشعلت انفجرت ونسفت ما فوقها من السفن نسفًا فتثغرها وتغرقها في دقيقة من الزمان

والطربيد ثلاثة انواع النوع الاول يشعل بالكهربائية المتصلة اليهِ من سلك على البر فلا يشتعل من نفسهِ مطلقًا وانما يشتعل اذا اشعلهُ الرجل المنوط بهِ ذلك بالكهربائية . وهو اسلم الانواع ولكن وصل اللغوم بالاسلاك الكهربائية كبير النفقة كثير الدقَّة والظاهر ان اللغوم التي في بورت آرثر ليست من هذا النوع ومن المؤَكد ان اللغوم التي نسفت بها السفن الروسية ليست منهُ



الشكل الاول

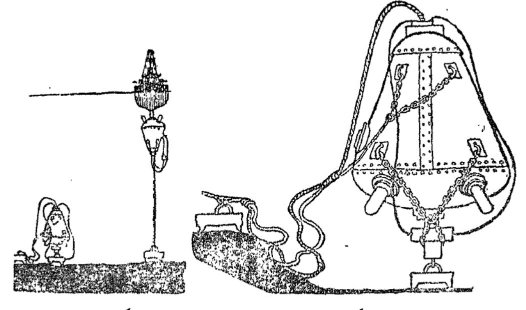


الشكل الثاني

والنوع الثاني يشتعل بواسطة ميكانيكية فان فيهِ انابيب زجاجية دقيقة نائئة منهُ في كل انبوب منها شيءٌ من الحامض الكبريتيك وتحتهُ اناءٌ صغير فيهِ كلورات البوتاس وحول الانبوب وعاءٌ من الكاوتشوك او الرصاص فاذا مرَّت سفينة فوق هذا اللغم ولمست انبوبًا من انابيبهِ لوتهُ وكسرت انبوب الزجاج الذي فيهِ فيقع الحامض الكبريتيك على كلورات البوتاس ويحدث من ذلك نار تشعل الذخير وقطن البارود او الديناميت

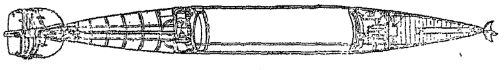
والنوع الثالث مثل النوع الثاني ولكن في انبوب الزجاج مذوب كرومات البوتاس فاذا انكسر بمس السفينة وقع على بطرية صغيرة من الزنك والكربون فتولَّد فيها مجرًى كهربائي تنتج عنهُ شرارة تشعل قطن البارود او الديناميت . واللغوم الروسية التي نسفت سفن الروس من النوع الثاني او الثالث على ما يظهر

وشكل التربيد الظاهر كما ترى في الشكل الاول المرسوم في الصفحة السابقة والسلاسل التي فيهِ لربطهِ وربط ثقل فيهِ حتى يبقى عائماً في البحر على بعد محدود من سطحهِ والشكل الثاني صورتهُ من الباطن فترى الانبوبة التي فيها مذوب كرومات البوتاس تحت الحرف س والبطرية عند الحرف د تحتها ويتصل منها السلكان ا اَ بالاناء ف الذي فيهِ الذخير في اسفل اللغم



الشكل الرابع   الشكل الثالث

ويربط اللغم وقت السلم بثقل يبقيهِ في قاع البحر كما ترى في الشكل الثالث فاذا نشبت الحرب وأُريد استعمالهُ اطلق بالكهربائية التي تقطع اتصالهُ بالثقل فارتفع في الماء لان فيهِ خلاء يجعلهُ اخف منهُ وبقي مربوطاً من اسفلهِ فقط كما ترى في الشكل الرابع وقد ظهر فيهِ اللغم مقيَّدا ومطلقاً ورُسمت فيهِ سفينة سائرة فوقهُ وقد لمست احد النتوات الثلاثة النائتة منهُ



الشكل الخامس

هذا من حيث اللغم اما الطربيد فلغم يجري في الماء برفَّاص موضوع فيهِ يدور بآلة كهربائية او هوائية ولهُ انواع مختلفة اشهرها طربيد هويتهد ورفاصهُ يدور بالهواء المنضغط وطربيد سمس اديصن ورفاصهُ يدور بالكهربائية ويمكن ان يحرف عن الجهة التي يسير فيها الى جهة اخرى والطربيد المطيع وهو يُرشد بالكهربائية على مبداٍ تلغراف مركوني والاول مجرَّب وفعلهُ مؤكد

والطربيد الذي يستعملهُ اليابانيون من النوع الاول اي طربيد هويتهد وباطنهُ مرسوم في الشكل الخامس فيوضع فيهِ آلة تدير رفاصةً بالهواء المضغط وخزنة كبيرة فيها طبقات من قطن البارود وذخير يشتعل حالما يصيب الطربيد الغرض · وهو يطلق اما من انابيب كالمدافع تكون في البوارج والطرّادات او من قوارب صغيرة مصنوعة لهذه الغاية تسمَّى نسافات يركبها بعض البحارة ويسيرون بها الى ان يدنوا من سفن العدو يطلقونها عليها ثم يعودون ادراجهم وهم يعلمون انهم يسعون الى حتفهم بظلفهم لان اصغر قنبلة تصيبهم من سفن العدو تودي بنسافتهم وتغرقهم في لجج البحر

الدين والعامة

لا شيء اضرّ على الدين والدنيا من اشتراك العامة فيما هو من شأن الخاصة ومن تصدُّر الصغير في مكان الكبير وانزال الجاهل منزلة العالم · ومما يؤسف لهُ أن كانت الامة الاسلامية في كل دور من ادوارها أُلعوبة بايدي الجاهلين والمخرقين وهدفاً لعامة الخراصين والاغبياء الثرثارين فكان دينها ودنياها تتناولها عوامل الفوضى في كل عصر ومصر اللهمَّ الاَّ في بعض الازمان التي انتظمت فيها السياسة — والسياسة متى نهجت القصد في امة يستقيم لها كل شيء في الغالب — كعصر الخلفاء الراشدين وفي عصر افراد من الخلفاء والسلاطين كعمر بن عبد العزيز والمأمون وصلاح الدين ونور الدين وبعض ملوك بني أُمية في الاندلس جاءوا على حين فترة من ازمانهم وخالفوا اخلاق امرائهم وبيئاتهم فاحسنوا القبض على السلطتين الدينية والمدنية وتوفروا على اصلاح السعادتين الدنيوية والاخروية فصح ان تدعى حكوماتهم حكومات خاصة لا حكومات عامة · وكلما اتصف الرئيس بصفات الخاصة وبَعُد عن صفات العامة يستقيم امر مرؤوسيهِ على تلك النسبة وكلما شرفت المبادئ شرفت المقاصد ومتى صلحت العين صلحت سواقيها

ولعل من ينظر في هذه المقدمة يظن انني اعني بالعامة ذاك الغوغاء من الناس من سوقة واهل فلاحة وصناعة وتجارة · كلاَّ وانما اعني بالعامة ما عناهُ اهل الاعتزال ممن حكَّموا العقول في المنقول · اريد بالعامة ارباب الحشو وانصار التقليد واللغو ممن يدخلون في سياسة اهل الاسلام ودينهم ومنهم الفقيه والنحوي والكاتب العامل والصانع والزارع وكل من تطال الى ما ليس من شأنهِ · وتعدى طورهُ واستعدادهُ يحسب نفسهُ عالماً بكل شيء مطالباً بالجزئيات والكليات والعلويات والسفليات

وبعدُ فان من توفر على دراسة احوال الناس وايامهم في هذا الشرق العربي يتجلى لهُ ان عامة المسلمين وهم دهماءُ القوم وسوادهم واكثرهم نفيرًا بالطبع وان لم يأخذوا من الدين الأَ قشورهُ وبعض شعائرهِ مما الفوهُ بحكم العادة ما برحوا حكامهم والمحكوم عليهم منهم يخلطون كل ما يقع تحت حسهم من آثار الموجودات فيما عرفوهُ انهُ الدين . الرئيس دينيًّا كان او مدنيًّا يثير من يثير باسم الدين وهو منهُ اعرى من مغزل . والمرؤوس يقوم بما يقوم بهِ باسم الدين وهو عنهُ بمعزل . وكلا الفريقين لا همَّ لهُ الاَّ ارضاء صاحبهِ وشهواتهِ ومطامعهِ

فدعوى العلماءِ او العامة في انهم يقومون لنصرة الدين قضت على من سماهُ الخاصة "حجة الاسلام" الغزالي ان يقوموا عليهِ في القرن الخامس ويزروا عليهِ آراءهُ فيما ذهب اليهِ من الجمع بين العقل والنقل فاخذت فئة من عامة الفقهاءِ تثير كوامن النفوس عليهِ ولولا هجرتهُ زمنًا من العراق الى فلسطين والشام لامتدت يد الايذاءِ الى شخصهِ . وتابعهم الحكام في ذلك وتواطأوا معهم عليهِ واعنتوهُ اعنات غيرهِ من قبل ومن بعد ممن ارادوا الاصلاح ونصحوا ما استطاعوا وأوذوا في سبيل الله . فاكتفي من عقاب الامام بتحريق كتبهِ وخصوصًا كتاب احياءِ علوم الدين الموصوف بانهُ لو ضاعت كتب الدين برمتها لأُلفيت مجموعة فيهِ . فحُرق في بغداد كما حرق في ساحات غرناطة وما خجلوا مما افتوا بهِ في حياتهِ حتى اذا لقي ربهُ اخذوا يخففون من تعسفهم ويتناسى خلفهم ما قام بهِ سلفهم

ودعوى العامة في النضال عن الدين اقام القيامة على "محدّث الامة" وعالمها ابن جرير الطبري في اوائل القرن الرابع فلما لم يصلوا اليهِ بمكروهٍ في حياتهِ حالوا بينهُ وبين دافنيهِ بعد مماتهِ فاضطر اصحابهُ ان يدفنوهُ في دارهِ ليلاً . وسبب ذلك كما قال ابن الاثير جمعهُ كتابًا ذكر فيهِ اختلاف الفقهاءِ لم يصنف مثلهُ ولم يذكر فيهِ احمد ابن حنبل فقيل لهُ في ذلك فقال لم يكن فقيهًا وانما كان محدثًا فاشتد ذلك على الحنابلة وتابعهم غيرهم واتوا من ذلك بما اتوا

ودعوى العامة في التفاني بالدين اخذهم بخنق الامام البخاري صاحب الجامع الصحيح الذي هو اجلُّ كتب الاسلام وافضلها على ما روى الذهبي . فانهُ بعد ان طاف معظم بلاد الاسلام في طلب الحديث وتعليمهِ الناس جاء سمرقند فكاد يهينهُ اميرها خالد بن محمد الذهلي لولا ان الله عجل في عقوبتهِ . "ولما خرج البخاري من بخارى كتب اليهِ اهل سمرقند يخطبونهُ الى بلدهم فسار اليهم فلما كان بخرتنك وهو على فرسخين من سمرقند بلغهُ انهُ وقع بينهم بسببهِ فتنة فقوم يريدون دخولهُ وآخرون يكرهونهُ وكان لهُ اقرباءُ بها فنزل عندهم حتى يتجلي الامر فاقام اياماً فمرض . ثم دعا بعد ان فرغ من صلاتهِ " اللهمَّ قد ضاقت عليَّ الارض بما رحبت

فاقبضني اليك " فمات في ذلك الشهر سنة ٢٥٦

ودعوى العامة في الغيرة على الدين دعت الامام مالك بن انس ان ينقطع عن شهود الجمعة والجماعة وحضور الجنائز وعودة المرضى وقضاء الحقوق والاجتماع باصحابهِ " وكان ربما قيل لهُ في ذلك فيقول ليس كل الناس يقدر ان يتكلم بعذرهِ " . وسعي بهِ الى جعفر بن سليمان عم ابي جعفر المنصور " وقالوا انهُ لا يرى ايمان بيعتكم هذه بشيءٍ فغضب جعفر ودعا بهِ وجردهُ وضربهُ بالسياط ومدت يدهُ حتى انخلعت كتفهُ " . وذكر ابن الجوزي ان الامام ضُرب سبعين سوطاً لاجل فتوى لم توافق غرض السلطان

ودعوى العامة في الاحتفاظ بالدين قيامهم على شيخ الاسلام بن تيمية في القرن الثامن بانهُ خالف الدين في كتبهِ ومجالسهِ فاخذوا في تشريدهِ وسجنهِ مرات اعواماً طويلة اذ اقنع عامةُ العلماء عامةَ الامراء بانهُ مبتدع لا سبيل الى ايقاف تيارهِ الاَّ باخفائهِ عن اعين القوم مع ان ما دعا اليهِ الامام هو لب اللباب مما قال بهِ جمهور اكابر علماء الامة وتآليفهُ ومصنفات تلامذتهِ الاعاظم شاهد عدل مدى الدهر بان اعداءهُ من العامة قاوموهُ باسم الدين من اجل الدنيا

ودعوى العامة في الاستمساك بعرى الدين قيامهم على بن حزم الاندلسي المحدث الفقيه الفيلسوف لما مال عن رأي محمد بن ادريس الشافعي في الفقهِ الى قول اصحاب الظاهر مذهب داود بن علي ومن اتبعهُ من فقهاء الامصار ونقحهُ ونهجهُ وجادل عنهُ فتمالأ العامة من الفقهاء على بغضهِ . قال ابن بسام في الذخيرة " ردُّوا قولهُ واجمعوا على تضليلهِ وشنَّعوا عليهِ وحذروا سلاطينهم من فتنتهِ ونهوا عوامهم عن الدنو اليهِ والاخذ عنهُ فاخذ الملوك يُقصونهُ عن قربهم ويسيّرونهُ عن بلادهم الى ان انتهوا بهِ منقطع اثرهِ بتربة بلدة من " بادية ليلة " (بالاندلس) وبها توفي سنة ست وخمسين واربعمائة وهو مواظب على التأليف وبث الدعوة والاكثار من التصنيف حتى كمل من مصنفاتهِ في فنون من العلم وقر بعير لم يعدُ اكثرها " بادية ليلة " وحرق بعضها باشبيلية ومزقت علانية . ومن شعرهِ يصف ما احرق لهُ من كتبهِ ابن عبَّاد قولهُ

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضمنهُ القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي وينزل ان أنزل ويدفن في قبري
دعوني من احراق رق وكاغد وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري
والاَّ فعودوا في المكاتب بدأة فكم دون ما تبغون لله من ستر

ودعوى العامة في نصرة الدين قيام العامة الفقهاء على الامام شهاب الدين السهروردي

الفيلسوف الاصولي الخطيب" لانهُ لم يناظر احداً الاَّ بزَّهُ ولم يباحث محصلاً الاَّ اربى عليهِ"
قال ابن ابي اصيبعة انهُ ناظر الفقهاء بحلب ولم يجارهِ احد فكثر تشنيعهم عليهِ فاستحضرهُ السلطان الملك الظاهر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب واستحضر الاكابر من المدرسين والفقهاء والمتكلمين ليسمع ما يجري بينهم وبينهُ من المباحث والكلام فتكلم معهم بكلام كثير وبان لهُ فضل عظيم وعلم باهر وحسن موقعهُ عند الملك فعملوا محاضر بكفرهِ وسيروها الى دمشق الى الملك الناصر صلاح الدين وقالوا ان بقي هذا فانهُ يفسد اعتقاد الملك الظاهر وكذلك ان اطلق فانهُ يفسد اي ناحية كان من البلاد. وزادوا عليهِ اشياء كثيرة من ذلك فبعث صلاح الدين الى ولدهِ يقول لهُ لا بد من قتلهِ فاختار الامام ان يترك في مكان مفرد ويمنع من الطعام والشراب الى ان يلقى الله تعالى ففعل بهِ ذلك في اواخر سنة ٥٨٦ بقلعة حلب وكان عمرهُ نحو ست وثلاثين سنة وقيل ان عامة من العلماء افتوا في دمهِ حتى قيل ان الملك الظاهر سيَّر اليهِ من خنقهُ وانهُ بعد مدة نقم على الذين افتوا في دمهِ وقبض على جماعة منهم واعتقلهم واهانهم واخذ منهم اموالاً عظيمة

ودعوى الخوف على الدين دعت العامة الى اثارة الافكار على سيف الدين الآمدي شيخ المتكلمين في زمانهِ المتوفى سنة ٦٣١ قال الذهبي انهُ نسب في مصر الى دين الاوائل وكتبوا محضراً باهراق دمهِ فهرب وسكن حماة ثم تحوَّل الى دمشق فولاهُ الملك المعظم ابن العادل تدريس المدرسة العزيزية ولما ولي اخوهُ الاشرف موسى عزل عنها ونادى في المدارس من ذكر غير التفسير والحديث والفقه او تعرَّض لكلام الفلاسفة نفيتهُ فاقام سيف الدين الآمدي خاملاً في بيتهِ الى ان توفي. ومن العادة ان يعمد الملوك الى ما يرضيهم فاذا رأوا العامة حانقين على الفلسفة والفلاسفة منعوها وشرَّدوهم واذا شاهدوا العامة يميلون الى احد المذاهب ارهقوا ما عداهُ ارضاء لهم. وقد حبس الحافظ جمال الدين المزي من اصحاب ابن تيمية لقراءتهِ قصيدة في الردّ على الجهمية من كتاب افعال العباد للبخاري تحت قبة النسر بالجامع الاموي بدمشق فلم يرَ نائب السلطان ارضاء للفريقين الاَّ ان نادى في البلدان ان لا يتكلم احد في العقائد ومن عاد الى ذلك حلَّ مالهُ ودمهُ ونهبت دارهُ وحانوتهُ فسكنت الامور

ومن جملة من سفك دمهُ في زمن السلاجقة عين القضاة الميانجي بهمذان كان من اكابر الائمة وقد خلف ابا حامد الغزالي في المؤلفات الدينية فحسدهُ جهال الزمان المتلبسون بزي العلماء ووضعهم الوزير عليهِ فقصدوهُ بالايذاء وافضى الامر بهِ الى ان صلبهُ الوزير بهمذان هذا طرف من حال العامة مع الدين ولو استقصيت لاتيت من امثال هذه الامثلة بالعشرات

ومن دخول العامة في مصاف الخاصة ما هو من المضحكات المبكيات . فامة لعامتها ان يدخلوا في كل حال من احوالها متى احبوا ويقوموا على كبار ائمتها وفلاسفتها بدعوى ما يقال لهُ دين في نظرهم ايرجى لها ان تنشط من عقالها وقد استحكمت فيها هذه الملكات على مر السنين والاجيال .
نعم عومل خاصة الخاصة على ما رأيت تلك المعاملة الجافية في العصور السالفة ايام كان للعالم كلمة نافذة وللناقدين من اهل البصيرة قول يسمع فما بالك في القرون الاخيرة وقد ركدت من العلم ريحهُ وخبت مصابيحهُ ولو كان في البلاد الاسلامية من يحصي لها كل يوم ما يقع من استيلاء الجهل على العلم واعنات نفوس الراغبين في الاصلاح والتجديد واهانة زعماء الحرية ومطلق الفكر لأُلِّفت المجلدات الضخمة وما وفيت الحال حقها من الوصف

ناهيك بعامة بلغ بهم الاسترسال في الجهل ان حرموا بفتاواهم القهوة والشاي لما عُرفا ولو لم يغلب العلم الجهل بعد ويسقط العمل بتلك الفتاوى بحكم العادة والرغبة في المفيد لكان خاصة الامة الى اليوم يتحامون تناول اقداح ذينك المشروبين واكوابهما . ومثل ذلك لقي التبغ والتنباك حين انتشارها فباين العامة الخاصة في تحريمهما وكتبت في ذلك الرسائل والاسفار وما اغنت وبقي الحكم للزمن في حل هذه المعضلة التي اقامت قيامة العامة وجعلت لهم حديثاً تلوكهُ السنتهم زماناً

ولعمري ماذا اعدد من هذه الوقائع من اصرار العامة من العلماء على القول بتحريم المعاطف (جاكيتات) والسراويل والصدر ولبس الاحذية والطربوش والقبعة لانها من لبوس الافرنج وصنعهم ثم كاد يؤلف استعمالها كلها استحساناً لها وتقديراً لنفعها . كل هذا مما يبرهن على صدق خاصة الامة في شكاويهم من العامة . فان ارتعش علماء الغرب اليوم لذكرى ما وقع للعالم غاليليو لما قال بحركة الارض اليومية وللحكيم فيثاني لمخالفته القوم في طبيعة الخالق واعناتهما وقتل الثاني شر قتلة فان مؤرخي المسلمين لهم ممن أُعنتوا من علمائهم امثلة يرمض ذكراها سواء كان في القرون الوسطى او الحديثة وان تكن الامة من حيث ارتقاؤها العقلي والعملي لم تبرح بعد كأنها في صميم القرون الوسطى ظلمات بعضها فوق بعض

دمشق محمد كرد علي

الاصقاع القطبية الجنوبية

تابع ما قبلهُ

كانت سفينتنا على ما نبتغي راحةً ودفءٌ ونور وبهجة وسكون ولكن اذا فتحنا بابها وصعدنا الى ظهرها فهناك ليل بهيم وعصف الرياح يصمُّ الآذان والزمهرير يجلد بهِ الدم في العروق والجمد في الهواء يدخل العيون فيعميها ويسدُّ الافواه فيقطع الانفاس

غير ان هذهِ الاحوال لم تدم فان العواصف كانت تهجع احياناً ويشرق البدر ويفيض نورهُ على ما حولنا من السهول والهضاب فيكسوها حلة من البهاء ويظهر في طرف الافق ضوء مستطير يدل على ان الشمس لم تزل في الوجود ولو كانت محجوبة عن الابصار. وجبل النار العظيم قائم في ذلك السهل الفسيح يشمخ بانفهِ الى السماء والدخان مسردق فوق هامتهِ كغمامة قوراء — وقد كنا ثمانية واربعين رجلاً ولم يكن غيرنا في تلك البلاد. وها فقرة مما كنت اكتبهُ في يوميني

"الثلاثاء في ١٩ يونيو سنة ١٩٠٢ صعدت الى قنة الكاس انا وولسن كان الثلج يسقط والريح تعصف والظلمة دامسة والترمومتر على ٤٦ تحت الصفر. جلد البرد انف ولسن ثم اصطدنا فقمتين وخروج الفقاقم الى البرنادر في هذا الوقت وذهب هدصن الى غرفة المائدة ومعهُ العناكب والسراطين التي اصطادها لكي يشرح طبائعها للرفاق وكلٌّ منا يشرح لهم في دورهِ بعض الامور العلمية مرة في الاسبوع. وقد رُفعت درجة الحرارة في غرفة الجلوس فوق الستين فذاب الجليد في غرفتي وبلل ثيابي"

ولما عادت الشمس في الثاني والعشرين من شهر اغسطس خرجنا من السفينة كلنا لاستقبالها ولا يعلم ما يشعر بهِ المرءُ من البهجة حين رؤية الشمس الاَّ اذا حجبت عن بصرهِ شهوراً متوالية. فنظرنا الى السماء كلنا كأنَّ فيها عنصر الحياة وتلقفنا اشعة شمسها كما يتلقف العطاش بارد الماء حتى الغيوم رقصت طرباً وتوشت حواشيها بالوان قوس السحاب. ولما توارت الشمس في الحجاب وانبسط الشفق وراءها ظهر فيهِ الهلال كالعرجون القديم

ودنا حينئذٍ زمن المزالق فجعلنا نمرن الكلاب على جرها ونعدُّ الخيام والمؤَن وكان لا بد لنا من ان نزن كل شيء وزناً دقيقاً لان المرء لا يستطيع ان يجرَّ اكثر من زاد ستة اسابيع واذا اردنا ان تطول مدة سفرنا اكثر من ذلك فلا بدَّ من تقليل طعامنا

ولما شرعنا في السير كان الترمومتر على ٥٧ تحت الصفر اي ان البرد كان على اشدهِ فلم نسر

تسعة ايام حتى اضطررنا ان نعود ادراجنا من شدة البرد ولم نكن نخلع ثيابنا بل كنا ننام فيها الا جواربنا فاننا كنا نخلعها ليلاً والاَّ جلدت اقدامنا لان الاقدام تدفأ بانحصارها ضمن احذية الفرو فتترطب ثم تبرد وتجلد .

وكنا ننام في اكياس صفيقة لا يدخلها الهواء كان ثقل الكيس منها اولاً ١٤ رطلاً ولكنها ثقلت رويدًا رويدًا بما تجمع عليها من ابخرة انفاسنا فبلغ ثقل الكيس منها لما رجعنا ٢٨ رطلاً . وكنا في الصباح نلف الكيس لنحمله وفي المساء ننشره وندخل فيه فتذيب حرارة ابداننا بعض الجليد اللاصق به او المتخلل نسيجهُ فيصير داخلهُ رطباً ونعلق جواربنا خارجاً عسى ان تتبخر الرطوبة منها فنجدها في الصباح مجلودة فنضع اقدامنا فيها رغماً عنا ويمضي على الواحد منا ثلاثة ارباع الساعة قبلما يتمكن من لبس جوربيهِ وحذائيهِ . فكنا ننهض الساعة الخامسة صباحاً فنقضي ساعتين في رفع اثقالنا قبل الشروع في السير ولم نكن نشعر براحة الاَّ حين نعود الى اكياسنا في الليل التالي وندخن قليلاً من التبغ اما ونحن سائرون جنوباً فلم نستطع ان نحمل التبغ معنا فحرمنا تلك اللذة ثلاثة اشهر متوالية وبلغنا حينئذٍ الدرجة ١٧ و٨٢ من العرض الجنوبي فابعدنا مئتي ميل عن ابعد ما وصل اليهِ غيرنا جنوباً ولم نخلع ثيابنا الاَّ مرة واحدة وكنا حينئذٍ ثلاثة انا والدكتور ولسن والقبطان سكوت وقضينا في ذلك السفر ٩٤ يوماً وكنا نسير في اليوم ١٥ ميلاً فلا نتقدم اكثر من خمسة اميال لان كلابنا مات اكثرها فكنا نضطرُّ ان نتقدم خمسة اميال بنصف مزالقنا ثم نعود ادراجنا ونجرَّ النصف الثاني ودمنا على ذلك شهراً من الزمان الى ان بلغنا مرتفعاً من الارض حيث نستطيع ان نبقي بعض امتعتنا ولا نضلَّ عنها فابقينا هناك كل ما يمكننا الاستغناء عنهُ وسرنا ببقية الامتعة والكلاب سيرًا حثيثًا وجعلنا نقتر على انفسنا في الطعام فلا نأكل الاَّ قليلاً من السكر واللحم المقدَّد والبسكت ولم يعد معنا ما نطعم الكلاب فكنا نذبح الكلب منها ونطعم رفاقهُ لحمهُ فعاش بعضها على بعض . وبلغ التعب منا ان صرنا لا نستطيع في المساء رفع اقدامنا ودخول الخيمة ما لم نرفعها بايدينا .

وصرنا نحلم بالطعام لشدة ما عرانا من الجوع وكثيرًا ما كنت احلم ان امامي قطائف بحلوى وامدُّ يدي اليها فتختفي من امامي . وكان واحد من رفيقيَّ يحلم انهُ يأكل دائماً لكن الطعام لا يشبعهُ فيبقى جائعاً . ومرت الايام ونحن نقدَّم في سيرنا رويدًا رويدًا الى الحادي والثلاثين من دسمبر فبلغنا ابعد نقطة وصلنا اليها ونشرنا هناك العلم البريطاني

وها خلاصة ما كتبتهُ في يوميتي في ٢٥ دسمبر يوم عيد الميلاد سنة ١٩٠٢

اليوم من اجمل الايام واقلها بردًا واصفاها سماء ولقد اسرعنا في سيرنا بعد ان خففنا

اثقالنا فصرنا نقطع عشرة اميال في اليوم. افطرنا على قليل من اللحم والبسكت ومربى كبوش العلّيق وقد اتينا بهِ معنا من السفينة لهذهِ الغاية. اكل كلٌّ منا ملعقة منهُ ثم صوّرت رفيقيَّ والعلَم البر يطاني فوق رأسيهما . ومشينا بعد ذلك اربع ساعات وجلسنا للغداء وسخّنّا طعامنا قبل اكلهِ وكان دوري في الطبخ . ومشينا ثلاث ساعات ونصبنا خيمتنا للمبيت وسخنتُ طعام العشاء وكان عشاء فاخرًا فيهِ الكوكوى والبلم بدن وعزمنا ان لانبعد اكثر مما نصل اليهِ في الثامن والعشرين من الشهر لان علامات مرض الاسكربوط كانت قد بدت فينا .

"لكننا واصلنا السير حتى الحادي والثلاثين من الشهر ووقفنا حيث وصلنا وعن يميننا جبل شاهق يناطح السحاب ارتفاعهُ اربعة عشر الف قدم والى الجنوب والشرق منا سهل منبسط من الجليد لاحدَّ لهُ غير الافق والى الشمال شمس مشرقة يتدفق النور منها وهي تدور حولنا يومًا بعد يوم من غير ان تغرب . وقد نفد اكثر طعامنا و بدت علامات الاسكربوط فينا ولم يبقَ من كلابنا الاَّ القليل وصار بُعدنا عن السفينة نحو ٣٠٠ ميل فاضطررنا ان نعود ادراجنا رغمًا عن انوفنا فحولنا وجوهنا نحو الشمال وسرنا القهقرى على ما بنا من التعب والضعف

"ثم اعترانا البهر فان نور الشمس كان ينعكس عن الثلج و يعمي بصرنا والذي يصاب بذلك يضطر ان يربط عينيهِ و يسير متلمسًا حتى اذا انقضى سير النهار لم يجد في المساء غير قليل من الطعام لا يشبع جائعًا وهاك فقرة مما كتبتهُ ونحن راجعون .

" ١٠ يناير مضى عليَّ يومان لم استطع ان اكتب فيهما كلمة لانني كنت مصابًا بالبهر. ذبحنا "كد" البارحة ومات "بوس" (اسما كلبين) سرنا خمسة اميال ونصف ميل قبل الظهر وثلاثة اميال ونصف ميل بعدهُ . عصفت الريح ومعها ثلج رطب فذاب الثلج في خيمتنا وقضينا الليل كأننا في بركة ماء ولم يبقَ معنا الاَّ ثلاثة كلاب "

" ١١ يناير لا تزال الريح تهبُّ ومعها ثلج ناعم رطب . سرنا ثمانية اميال ولم يبقَ معنا الاَّ كلبان "

ووصلنا الى حيث تركنا امتعتنا فحملنا الطعام وتركنا كل ما سواهُ واصابني نزف دم هناك فلم اعد اعي على شيء ولولا رفيقاي لقضي عليَّ فانهما جرَّا المزالق وحدهما وكانا يعاونانني على السير مع ما بهما من الضعف وبلغنا سفينتنا في الثالث من شهر فبراير فوجدنا هناك السفينة المسماة بالصباح وكانت قد أُرسلت للتفتيش عنا وانقاذنا . وذهب وفاقنا فرقًا فرقًا للبحث والاستقصاء فلقي اكثرهم من المشاق اكثر مما لقينا انتهى

وخلاصة ما يقال عن سفر هذه السفينة ان جماعة من الانكليز محبي الاكتشاف الراغبين

في مصلحة وطنهم ورفع شأنهِ واحراز قصب السبق لهُ في كل مفخرة اكتتبوا بمال لارسالها الى ابعد ما وصل اليهِ الناس جنوباً لاجل المكتشفات العلمية ولرفع العلم البريطاني على ما يمكن ان يكتشف من الاراضي فعاونتهم الحكومة الانكليزية بخمسة واربعين الف جنيه واقلعت السفينة من بلاد الانكليز في السادس من شهر اغسطس سنة ١٩٠١ بقيادة القبطان سكوت بعد ان زارها الملك والملكة فبلغت زيلندا الجديدة في اوائل دسمبر وغادرتها ليلة عيد الميلاد وكان فيها حينئذٍ ١١ ضابطاً و٣٧ بحاراً و٢٣ كلباً من كلاب المنطقة الشمالية لجر المزالق فسارت اولاً ١٠٠٠ ميل الى الجنوب ووجدت الثلج هناك فخاضت فيهِ ٥٠٠ ميل وبلغت شاطئ البر الجنوبي في ٩ ينايرسنة ١٩٠٢ والظاهر ان حول القطب الجنوبي برًّا واسعاً اوسع من استراليا والقطب الجنوبي في مركزهِ فلما بلغتهُ سارت بازاء شاطئهِ الشمالي ثم عادت الى لحف جبل اريس حيث شتت وهو بركان كبير يبعد عن زيلندا الجديدة نحو الفي ميل جنوباً واطبق الليل عليها من ابريل الى اغسطس وجلد البحر حولها مسافة مئات من الاميال وبقي كذلك نحو عشرة شهور فانقطعت اخبارها

وفي اوائل نوفمبر قام القبطان سكوت والدكتور ولسن والملازم سكلتون كاتب الفصل المتقدم واخذوا الكلاب كلها معهم وساروا جنوباً وجرى لهم ما أُشير اليهِ في الفصل السابق ولما رجعوا وجدوا ان السفينة التي بعثت بها الجمعية الجغرافية الملكية وهي المسماة بالمورننج (الصباح) قد جاءت لمعونتهم فاوصلت اليهم كثيرًا من الزاد وكذلك وصلت اليهم سفينة أخرى اسمها ترانوفا وبعد عناء شديد انفك الجليد من حول سفينة الدسكفري وعادت الى انكلترا بمن فيها من الرجال وما جمعوهُ من الآثار الطبيعية وما كتبوهُ من الارصاد الجوية والفلكية وكان لرجوعها شأن كبير في اوربا وقد جاءتنا شركة روتر التلغرافية بتلغراف في اول ابريل من مدينة لتلتون تقول فيهِ "وصلت السفن الثلاث المرسلة الى جهات القطب الجنوبي (وهي دسكفري ومورننج وترانوفا) وقد ادركت الاخيرتان الاولى في فبراير فوجدتا كل من فيها بخير وقضى علماؤُها والرواد فيها فصل الشتاء سنة ١٩٠٣ في ابحاثهم العلمية ثم جاء الربيع وكلهم في الصحة والاعتدال وقد تحققوا ان بلاد فكتوريا لند تمتدّ الى الداخل على ارتفاع تسعة آلاف قدم فاستدلوا من ذلك على وجود بر واسع مرتفع حول القطب الجنوبي" هذا شأن الاوربيين يبذلون النفس والنفيس في البحث والاستقصاء لكي تتسع معارفهم ويكون لهم السبق في كل شيء

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (1) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (2) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (3) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

الجيم الفصحى

وقفت على ما جاء في الجزء الثاني من تقريظ كتاب "تدريب اللسان على تجويد البيان" لاستاذنا العلامة الفاضل الشيخ طاهر الجزائري فالفيتكم تقولون ان المؤلف يحسب لفظ الجيم كان اصلاً كما يلفظهُ المصريون لا كما يلفظهُ السوريون وطلبتم من المؤلف اسناد ما ذكرهُ عن الجيم من انها من الحروف الشديدة ليكون ذلك فصل الخطاب في مسألة طال الخلاف فيها:

اما كون الجيم من الحروف الشديدة فقد نصَّ عليهِ سيبويهِ في كتابهِ فقال: ومن الحروف الشديدة وهو الذي يمنع الصوت ان يجري فيهِ وهو الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والتاء والدال والباء وذلك انك لو قلت الحج ثم مددت صوتك لم يجرِ ذلك

واما رأي المؤلف في الجيم فقد ابانهُ في جدول الخط السرياني بقولهِ "فائدة لا يوجد في السريانية جيم ولا ضاد ولا ظاء والمراد بالجيم الجيم التي ينطق بها فصحاء العرب وهي معروفة عند علماء التجويد ولها قربٌ ما من الجيم المصرية والنطق بها صعب الا على من تلقاها من اهلها" — وقد اشبع المؤلف الكلام على ما يتعلق بهذه المسألة في رسالة لهُ تتعلق بالحروف تقع في مئتي صحيفة وهي لم تُطبع بعد. وخلاصة ما يفهم منها ان من العرب من ينطق بالجيم كما ينطق بها المصريون فيقولون في جمل كمل ومنهم من ينطق بها كما ينطق بها السوريون اعني ممزوجة بالشين فتكون كما ذكرتم اما رخوة او بين بين ومنهم من ينطق بها بين الجيم المصرية وبين الجيم السورية وهم فصحاء العرب اعني قريشاً ومن نحا نحوهم. وقد ذكر سيبويهِ في آخر كتابهِ هذه الانواع الثلاثة في باب عدد حروف العربية واشار فيها الى ان الجيم المصرية ليست في لغة الفصحاء فقال في اثناء عدد الحروف: وتكون اثنين واربعين حرفاً بحروف غير مستحسنة ولا

كثيرة في لغة من ترتضى عربيتهُ ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر وهي الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف والجيم التي كالشين والضاد الضعيفة والصاد التي كالسين والطاء التي كالتاء والظاء التي كالثاء والباء التي كالفاء . فالكاف التي بين الجيم والكاف هي الجيم المصرية بعينها والجيم التي كالشين هي الجيم السورية وقد ذكر انهما من الحروف التي لا تستحسن في قراءة القرآن فبقي معرفة الجيم التي تستحسن في قراءة القرآن وهي المعروفة عند القراء يتلقاها جماعة عن جماعة وهي بين الجيم المصرية والجيم السورية الاَّ انها الى الجيم السورية اقرب ولذلك لا يشعر السوري حين نُطق القرَّاء بها بانهم نطقوا بخلاف ما ينطق بها الاَّ ان ينبَّهَ فاذا نُبّهَ شعر بالفرق فاذا كلف النطق بها كذلك ربما عسر عليهِ الامر الاَّ ان يشتغل مدة بممارستها . واما المصري فانهُ يشعر حالاً بمخالفة جيمهِ لجيمهم بسبب ظهور الفرق بينهما

وقد اشار المؤلف في كتابهِ «ارشاد الالبا الى تعليم الف با» الى صعوبة النطق بها على من لم يمارس النطق بها من اول الامر وانهُ بقي يمارس النطق بها نحو ثلاثة اشهر. وهذه الجيم الفصحى يتيسر لكل احد تلقيها من القرَّاء وهم في بلاد مصر اكثر من غيرها . فتبين بما ذكرنا ان الجيم المصرية بعيدة جدًّا عن لهجة الفصحاء ولذلك جعلها سيبويه من الحروف العجمية فقال في باب اطراد الابدال في الفارسية يبدلون من الحرف الذي بين الكاف والجيم الجيمَ لقربها منها ولم يكن من ابدالها بدٌّ لانها ليست من حروفهم وذلك نحو الجزر والآجر والجورب وربما ابدلوا القاف لانها قريبة ايضاً قال بعضهم قربز

ثم ان النطق بالجيم كما ينطق بها المصريون هي لغة اهل اليمن قال في حلية اهل الكمال في حل اسئلة الجلال نقلاً عن ابن دريد في بيان الحروف التي ليست بفصيحة ومثل الحرف الذي بين القاف والكاف و بين الجيم والكاف وهي لغة سائرة في اليمن مثل جمل اذا اضطروا قالوا كمل فاما بنو تميم فانهم يلحقون القاف بالكاف فتغلظ جدًّا فيقولون الكوم في موضع القوم فتكون القاف بين الكاف والقاف اه

وقد اشار لهذه المسألة العلامة المنلا علي القاري في شرح المنظومة الجزرية عند قول الحافظ ابن الجزري "واحرص على الشدة والجهر" فقال ونخص الجيم بالذكر من بين حروف الجهر والشدة ايضاً لاخراج اهل مصر والشام اياها من دون مخرجها فينتشر بها اللسان فيمزجونها بالشين وكذا بعض اهل اليمن يمزجونها بالكاف لارتفاع اللسان في مخرجها . ومرادهُ باهل مصر هنا المشتغلون بالعلم منهم كما لا يخفى

ثم اقول اتماماً للفائدة ان الجيم المصرية يسميها بعض المتقدمين بالكاف الفارسية لكتابة

الفرس بها بصورة كاف تميز بنقطة فوقها مثل كل بمعني الورد ويسميها بعضهم بالقاف المعقودة لتطق اكثر البدو بها كما ينطق المصريون بالجيم . فينطقون بلفظ قال كما ينطق المصريون بلفظ جال . وقد ذكر العلامة ابن خلدون هذه القاف المعقودة فقال . ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث كانوا من الاقطار شأنهم في النطق بالقاف فانهم لا ينطقون بها ايضاً من مخرج القاف عند اهل الامصار كما هو مذكور في كتب العربية انهُ من اقصى اللسان وما فوقهُ من الحنك الاعلى وما ينطقون بها ايضاً من مخرج الكاف وان كان اسفل من موضع القاف وما يليهِ من الحنك الاعلى كما هي بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف وهو موجود للجيل اجمع حيث كانوا من غرب او شرق . ثم ذكر ما يوهم ان القاف المعقودة اقرب لان تكون في اللغة الفصحى من لغة اهل الامصار وفيما قال نظر لما لا يخفي من ان اللغة وحروفها اذا طال عليها العهد لا بدّ ان يلحقها التغير وان لم يخالط اهلها غيرهم . وترجيح القاف التي ينطق بها اهل الامصار انما كان لبقاء تلقي لهجة اللغة الفصحى في اللغة العربية في السنة القراء الذين صرفوا اوقاتهم للعناية بذلك وهم في كل عصر الوف ولا يختلفون في النطق بحرف من الحروف مع اختلاف اماكنهم واختلاف لهجات اهل بلادهم

وهنا اختم هذه العجالة بذكر الاسئلة المشار اليها قبل وهي اسئلة اوردها العلامة جلال الدين السيوطي على علماء عصرهِ الذين قاموا عليهِ قومة واحدة لما ادعى الاجتهاد وصاروا يرسلون اليهِ اسئلة فارسل لهم سبع اسئلة تتعلق بالف با فعجزوا عنها ونص عبارتهِ كما ذكرها "واعلم انني كنت قديماً حررت سبع اسئلة متعلقة بحروف المعجم ولم يجب احد عنها الى الآن ونصبها من ادعي انهُ في العلم والفهم تقدم فليجب عما استبهم من الاسئلة المتعلقة بحروف المعجم ومن عجز عن تقرير الف با تا ثا فليستضعف نفسهُ عن ان يقرر ابحاثا وهي هذه السؤال الاول ما هذه الاسماء الف با تا ثا الى آخرها وما سماها وهل هي اسماء اجناس او اسماء اعلام فان كان الاول فمن اي نوع الاجناس هي وان كان الثاني فهل هي شخصية او جنسية فان كان الاول فهل هي منقولة او مرتجلة فان كان الاول فممّ نقلت أمن حروف ام من اسماء اعيان ام مصادر ام صفات وان كانت جنسية فهل هي من اعلام الاعيان او المعاني

الثاني من وضع هذه الحروف وفي اي زمن وضعت وما مستند واضعها هل هو العقل ام النقل

الثالث هل هي مختصة باللغة العربية او هي عامة في جميع اللغات

الرابع الالف والهمزة هل هما مترادفان او مفترقان وعلى الثاني فما الفرق بينهما وايهما الاصل

الخامس لمَ اجمع علماء اللغة والعدد وغيرهم من المتكلمين على المفردات على الابتداء بحرف

الهمزة وهل هو امر اتفاقي او لحكمة

السادس كلمات ابجد هوز الى آخرهن هل هي مهملة او مستعملة وما عُني بها وما اصلها وكيف نقلت الى المراد بها وما ضبط الفاظها

السابع ما حكمها في الابتداء والوقف والمنع من الصرف والصرف والتذكير والتأنيث والاعراب والبناء واللفظ والرسم وعند التسمية بها وما حكمها شرعاً عند نقشها على ثوب او حائط او سقف وهل لها من الحرمة ما للحروف المجتمعة

فهذه سبعة اسئلة من اجاب عنها فهو من فحول الرجال والا فلا مزية لهُ على الاطفال اه

والذي دعا الجلال الى ايراد الاسئلة من الف با اعراض علماء عصرهِ عن مباحثها وعن مباحث ما يتعلق بسر اللغة مع انهُ كان في القديم من اعظم الفنون مقاماً. وحبذا لو عني اهل كل قطر بتأليف كتاب في لغة عامتهم وبيان اللهجات التي فيها وما تخالف بهِ اللغة الفصحى او توافق وبيان السبب الموجب لذلك وبيان الطريق الذي يمكن بهِ تقريب اللغة العامة من اللغة الفصحى ففي ذلك من الفائدة ما لاينكرهُ باحث مستفيد. هذا ومن اغرب ما سمعتهُ من ارباب السياحة ان اللغة السورية قد ترقت في هذا العصر ترقياً زائدًا حتى كادت تكون كتابة عامتهم موافقة لكتابة اللغة الفصحى ولعل ذلك من انتشار المدارس والصحف النافعة والمطابع ومن رأي هذا السائح ان الاعتناء اذا ازداد ربما صارت اللهجة فيها بدرجة اللهجة العربية في زمن المامون وفي ذلك بشرى لاهل العربية والله اعلم

محمد كرد علي

خطر علينا وعلى الدين

اطلعت على المقالة المدرجة في العدد الثالث "خطر علينا وعلى الدين" ولما اعطيتها جانباً من النظر والتأمل رأيتها كافية في بيان الداء الذي يخشى ان يصير بعد عضالاً لا يرجى لهُ شفاء وقد احببت ان ارى فكر غيري في هذه القضية فبحثت بحث مسترشد حتى ناظر الى ما انطوى عليهِ الناس من طرف خفي فتبين لي ان من لهم ولوع بالدين على وجهِ الحقيقة يقدرونها قدرها ويعتقدون ان صاحبها ناصح امين صدع بالحق ولم يخشَ لومة لائم وحامى عنهُ وان رماهُ الموهون بالعظائم يذكرهُ بعضهم بالخير جهرًا وبعضهم سرًّا وانما ساءت القسم الذين اشار اليهم بانهم اتخذوا الدين جنّة لينالوا بهِ ما شاءوا من الاغراض وهم في الواقع قد مرقوا من الدين مروق السهم من الرمية واكثرهم معرضون عما ورد فيهِ من الاوامر والزواجر وعمّا حث عليهِ من محاسن الاخلاق ومكارم الشيم التي بها قوام الامم وانما يهمهم تفريق الامة شيعاً ليستتبع كل رئيس

شيعتهُ منهم يستعبدهم فيما شاء تارة بكفرٍ من سوى فريقهِ وتارة يبدّعهُ حتى وصل الامر الى ان يشك اهل الترنسفال في جواز اقتداء الحنفي بالشافعي او الشافعي بالحنفي فطلبوا الفتوى في ذلك دفعاً لما وقع في نفوسهم من الشك

هذه الفرقة وان لم يخلُ منها عصر ومصر كما يظهر مما ذكرهُ الامام الغزالي في كتاب فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة حيث قال في العلماء الذين كفّروهُ لما قام بالاصلاح : وانى تنجلي اسرار الملكوت لقوم الههم هواهم ومعبودهم امراؤهم وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم وشريعتهم رعونتهم وارادتهم جاههم وشهواتهم وعبادتهم خدمتهم اغنياءهم وذكرهم وساوسهم وكنزهم سوّاسهم وفكرهم استنباط الحيل لما تقتضيهِ حشمتهم فهؤلاء من اين تتميز لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان ابإلهام الهي ولم يفرغوا القلوب عن كدر الدنيا لقبولها ام بكمال علمي وانما بضاعتهم في العلم مسألة ازالة النجاسة بماء الزعفران وامثالها ...

بيد ان امثال هؤلاء الجماعة في عصر الغزالي وقبلهُ كانوا اقل من عصرنا بما لا يحصى على ما يظهر لمن تتبع التاريخ تتبع محقق مدقق ولذلك كان الخطر الآن اشد واعظم وكان النصح فيهِ مما يتحتم. غير ان بعض من يرجع لآرائهم يرى ان خمسين عاماً تكفي لتناهي الخطر ان لم يتداركهُ ارباب الدين الذين هم اهلهُ على التحقيق لا على المجاز . والرجاء ان يقوم هولاء بما عليهم نهاية القيام ولا يبالوا بالفريق الآخر الذين لا يهمهم صلاح الدين والدنيا وانما نهاية امرهم ان ينالوا ما يبتغون من المآرب الدنيا

عن جزيرة العرب متعلّم متألّم

مثال الكمال

تظلّ الخضراء وتقلّ الغبراء افراداً قلائل اتصفوا بالفضائل وعشقوا الكمالات فكانوا محض فائدة في المجتمع البشري فمن العدل احياء ذكرهم ليظلوا على الدهر قدوة لغيرهم ومن هذه الزمرة فقيد الفضيلة محمد علي افندي مسلم احد دعاة الاصلاح في هذه الديار ومن علمائها العاملين . لقي ربهُ في دمشق الشام سلخ الشهر الغابر عن اربعين عاماً في عمرهِ وهمهُ انكار منكر وامر بمعروف وغايتهُ ان يرى لقومهِ مجداً مؤثلاً في العلم والعمل وفضيلة رافعة في الدارين

نال الفقيد من العلوم الدينية واللسانية حظاً وافراً ووقف من الفلسفة والتاريخ والطبيعة على طرف صالح وما قصد بعلمهِ الا تنوير عقل وتثقيف خلق واطلاعاً على مجهول . وتعلم اكثر ما تعلم بالدرس وحدهُ دون ارشاد معلم الا في النادر وبلغ ما بلغ من الفضل وهو بعيد عن

طلب الشهرة مؤثر للخمول دون الظهور بحيث لم يكن يعرفهُ حق معرفتهِ الاَّ اصدقاؤهُ وهم كثيرون في كل المذاهب والنحل اذ من طبعهِ بغض التعصب كيف كان نوعهُ ومن عادتهِ ايناس وحشة جليسهِ وسلامة الذوق في بث الافكار الصحيحة حتى كان يعلم مخاطبهُ ان كان لا يعلم دون ان يشعرهُ بانهُ قاصد لذلك

فبينما كنت ترى الفقيد متصوفاً متشدداً على من ينكر على المتصوفة اذا هو يباحثك في الحكمة الطبيعية مباحثة من ذاقها فعرفها . يبحث في التاريخ والادب ثم لا يلبث ان يتكلم في الشؤون السياسية والاجتماعية فكان يحب كل عالم ويدعو الى كل نافع . فضيلة مجسمة وزهد مع علم وعمل . وللفقيد من التآليف كتابان لم يطبعا الاول في حروف المعاني في علم النحو جمع فيهِ فاوعى والثاني في علم الادب تصفح من اجلهِ جلّ ما عُرف من دواوين الشعر واسفار الادب ولهُ بعض مقالات في الاصلاح الاسلامي نشرها في بعض المجلدات مغفلة من اسمهِ ولهُ شعر مليح ونثرهُ لطيف يغلب عليهِ السجع . وكان من اصدقاء المقتطف وهو الذي فتح لهُ باب الولوج في المباحث العصرية العالية وزاد في ولوعهِ فيها . وكان ذكوراً لمعظم الابحاث التي وردت في كل سنة من سنيهِ ولم يكن يعرف لغة اجنبية وانما طالع كلّ ما نقل الى العربية من كتب الافرنج وكان يقول ان العرب كتبوا في كل فن واجادوا . رحمهُ الله وعزى بهِ مكارم الاخلاق وعشاق العلم الصحيح (م . ك)

البابية

حضرة العالمين العاملين منشئي المقتطف

اطلعتُ على ما كتبتموهُ في الصفحة ١٨١ من مجلَّة المقتطف هذه السنة ممَّا يدلُّ على انكم مرتابون في صحَّة ما نقلناهُ عن كتب البابية فرأينا ان نكتب هذا الى حضرتكم لدفع الريب وقطع الشبهة

فاولاً ان الكتاب الذي ارسلناهُ الى حضرتكم نشرناهُ في العراق وايران والهند وبلدان كثيرة بين المخالف والموافق وارسلناهُ الى الامراء والوزراء والسفراء حتى الى حضرة مفتي عكاء وكتبنا اليهِ ان يعطيهُ بعد ما يطالعهُ لعباس افندي رئيس البابية حتى يطالعهُ . فالعاقل لا يفعل ذلك الاَّ اذا كانت كتب البابية في يدهِ . ولكنكم معذورون في ريبكم لانكم رأيتم عجباً لم تروا قبلاً شيئاً مثلهُ ولذلك احضرنا الكتب التي نقلنا عنها الى حضرة وكيلكم في بغداد

داود افندي فتو الصيدلاني واريناهُ اياها مرأى العين فوجد النقل عنها طبق الاصل حرفيًّا ولا بدَّ من ان يكتب اليكم في ذلك

بغداد الحاج حسينقلي جديد

[المقتطف] وكتب الينا حضرة وكيلنا داود افندي فتو يقول انهُ اطَّلع على الكتب فوجد النقل عنها صحيحًا وبعث الينا بكتاب من كتب البابية . فخطر على بالنا ما قالهُ احد الحكماء وهو ان الانسان يبقى معتمدًا على عقلهِ حتى يصل الى الدين ويبقى معتمدًا على دينهِ حتى يصل الى المال وهو حكم اغلبي

شكوى بريطانيا الى الآلهة

للمستر كارنجي المثري الشهير (١)

استمع لي يا ابا الالهة واصغي اليَّ ايتها الارباب فان تجارتي الخارجية لا تزيد على ٩٠٣ ٣٦٣ ٠٠٠ من الجنيهات

الجواب من مجمع الالهة — يا غامطة النعمة أكانت تجارتكِ في عام من الاعوام اكثر مما هي الآن وهل قاربتها تجارة امَّة اخرى . لو قُسمتْ على ما فيكِ من النفوس لاصاب النفس واحد وعشرون جنيهًا ونصف جنيه ويصيب النفس في فرنسا ثمانية جنيهات واحد عشر شلنًا لا غير وفي المانيا ثمانية جنيهات وستة شلنات وفي الولايات المتحدة ستة جنيهات وثلاثة شلنات

وانتَ يا نبتون اله البحر ويا تريتون اله الابواق يا حارسي سلطان بريطانيا على البحار انظرا اليَّ فان ما تشحنهُ سفني لا يزيد على ستة عشر مليونًا وستمئة الف طن

الجواب من مجمع الالهة — طمع اشعبيٌّ . ان ما تشحنهُ سفنكِ على ازدياد مستمرّ ولم يكن قط اكثر منهُ الآن وهو يزيد على كل ما تشحنهُ الامم الاخرى جمعاء فاحترسي لئلاَّ تغيظي الآلهة بغمطكِ النعمة . ولا يقعنَّ في بالكِ ان امَّة واحدة تبقى فائقة على كل الامم . فستزيد سفنكِ التجارية وستزيد ايضًا سفن سائر الامم وربما زادت اكثر مما تزيد سفنكِ

وانت يا ميداس ملك الذهب هلمَّ لمساعدتي فان ثروتي لا تزيد على ١١٨٠٦٠٠٠٠٠٠ ملايين من الجنيهات

الجواب من مجمع الالهة — هذه ثروة لم تعطَ لغيركِ من الامم ولا يفوقكِ فيها الاَّ ابنتك

(١) نشرت في مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية وقد فاتنا نشرها مع المقالات فنشرناها هنا

الولايات المتحدة ولكن اذا وُزّعت ثروتها على النفوس التي فيها خصَّ النفس منهم اقل مما يخص النفس من شعبك

وانت يا فلكان العظيم اله العمق التفت اليَّ واغثني فانني لم استخرج من جوف الارض سوي تسعة ملايين طن من الحديد وخمسة ملايين طن من الفولاذ وما استخرجهُ من الفحم الحجري وهو ٢٣٠ مليون طن تفوقني فيهِ الولايات المتحدة

الجواب من مجمع الالهة — ان ما استخرجتهِ من الحديد والفولاذ هو اكثر مما كنتِ تستخرجين منهما وهو بالنسبة الى ما فيكِ من النفوس اكثر مما يُستخرج في المانيا وفي الولايات المتحدة . اسمعي نصح الآلهة ولا تزيدي في ما تستخرجينهُ من الحديد طنًّا واحدًا الاَّ بعد ان تكتشفي مناجم جديدة والاَّ نفد ما عندكِ سريعًا وندمتِ حيث لا ينفع الندم . وما تستخرجينهُ من الفحم مضاعف ما يستخرج من الولايات المتحدة ومن المانيا بالنسبة الى عدد النفوس وكذلك ما تحرقينهُ منهُ اكثر مما يحرقهُ غيركِ نفسًا لنفس

وانت يا ديوكاليون اله النمو اسمع شكواي واغثني فان شعبي لا يزيد على اثنين واربعين مليونًا ونموهُ بطيء . في روسيا مئة وعشرون مليونًا ونموها سريع والمانيا نمت حتى فاقتني عددًا وزيادتها السنوية مضاعف زيادتي وفي اميركا مضاعف ما عندي من السكان وقد زادت في السنوات الثلاث الاخيرة اكثر من مليونين وشعبي لا يزيد اربع مئة الف في السنة فعددهُ آخذ في القلَّة بالنسبة الى غيرهِ فاغثني يا اله النمو

الجواب — انكِ لا تعلمين ما تطلبين ففي الميل الواحد من انكلترا وويلس اكثر من خمس مئة نفس وهذا الازدحام لامثيل لهُ في ممالك اوربا الكبرى ففي الميل المربع من المانيا ٢٧٠ نفسًا ومن فرنسا ١٩٠ نفسًا ومن روسيا ١٥ نفسًا ومن الولايات المتحدة اقل من ثلاثين نفسًا ومن كندا اقل من نفسين . ثم ان قوام ابنائك آخذ في الضعف فيرفض كثيرون منهم كل سنة لانهم لايصلحون للخدمة العسكرية والملايين منهم يكادون يموتون جوعًا . فالالهة لا تستجيب دعاءكِ شفقة منها عليكِ لانهُ ان زاد عدد ابنائك ضعف شانهم وقلت قوتهم

اسمعيني وساعديني يا منرفا الهة الغزل والحياكة فانهُ ليس عندي سوى اربعة وخمسين مليونًا من المغازل

الجواب — لقد اغظتِ الآلهة . فان ممالك الارض كلها ليس فيها مقدار ما فيكِ . كفاكِ دلالاً وقولي لنا ماذا يرضيكِ هوذا اهالي اميركا وعددهم مضاعف عدد اهاليكِ ليس عندهم من المغازل نصف ما عندك . فاسمعي وعي ذلك في ذهنك ان القطن لابدَّ من ان يزيد

حيث يكثر زرعهُ وهذا امر محتوم لا تستطيع الالهة منعهُ فاذا استطاع ابناؤُك ان يحتفظوا بالمقام الذي نالوهُ في صناعة القطن خلَّدوا لهم ذكرًا لايمحى وطالب الزيادة طالب المحال

اسمع لي يازفس واصغوا ايها الارباب الى دعائي وبينوا لي لماذا لم اعد ازداد في كل شيءٍ كما يزداد مناظريَّ فان هذهِ هي شكواي وهذهِ هي علة بلواي

الجواب — لان الآلهة انعمت عليكِ اولاً حتى امتلأَت كأسكِ دهاقًا وهي الآن تسكب لبقية الامم ما فاض عن كاسكِ فما ينالها لاينقص شيئًا مما نالك . وان الجزية لتأتيك من كل الممالك من غير استثناء فليسرك تقدُّم الامم لانهُ يعود عليكِ بزيادة التقدم والرخاء واذا تأخرتْ هي تأخرتِ انتِ معها . ويستحيل على الالهة ان تفرغ في كاسكِ اكثر مما تسع وان تزيد خير بلادكِ وهي محدودة الجوانب . ولا بدَّ من افراغ الخير في كؤُوس غيرك ولا سيما الذين من لحمك ودمك . ولا تلومي الالهة على صغر كاسكِ لان تغييرها ضرب من المحال وقد بلغت مملكتك حدها من النمو او كادت ولم تبلغ مملكة اخرى ما بلغت فلا تطلبي المحال كما يطلب الاطفالُ مسك القمر

اليكِ التفتُ ياسرس الاهة الحصاد واطلب منك العون حتى يصير عندي من الطعام ما يكفيني ولا ابقى معتمدة على الجمهورية الاميركية في غذائي وكسائي فانها اذا منعت عني قطنها اوقعتني في ضيقة لا مثيل لها واذا منعت عني قمحها اماتتني جوعًا واذا القي في الاذهان انها عازمة على ذلك عزمًا اصاب ابنائي عارض من الجنون لان ليس في بلادي من الطعام ما يكفيهم اكثر من بضعة اسابيع

لقد سبقت الالهة ورأت ذلك وامرت بهِ لخير بريطانيا . لو نشبت الحرب بين انكلترا وبين الدول الثلاث فرنسا والمانيا وروسيا لما منعن اليابان من اغتنام ما غنمت في حربها مع الصين فماذا كان يحلُّ بكِ حينئذٍ اذا كان قوتكِ من املاككِ فان بوارج هذهِ الدول كانت تصادرهُ وتقبض على كل ما يرد منهُ اليكِ اما الآن وطعامك من الولايات المتحدة وهي ترفع علمها على سفنها وتمنع كل احد من مصادرتها بدعوى ان مواد الطعام ليست مما يصادَر . فتأَملي في ذلك كلهِ واشكري الالهة على ما دبرتهُ لكِ

اني شاكرة لكِ ايتها المعبودة ما تفضلت بهِ ولكن ماذا يكون حالي لو نشبت الحرب بيني وبين الولايات المتحدة

اليكِ عن هذه المخاوف فان الآلهة قضت بان كل خلاف يقع بينك وبينها يُفصَل بالتحكيم بينكما ضرب من المحال لانهُ يوم تسوّل لك نفسكِ محاربتها ومهاجمة ثغورها تموتين

جوعاً فضلاً عن ان مدنها البحرية لا يوصل اليها لان لها مداخل تُسَد في يوم واحد وهي لا تستطيع الهجوم عليكِ في جزيرتكِ فانتما اضعف الممالك واقواها اضعفها اذا اختلفتما واقواها اذا تفقتما . ثم اذا عزمتِ على محاربة الولايات المتحدة وهذا امر قضت الالهة بمنعهِ فلا تظنين انهُ يصلكِ شيء من الطعام من كندا فانفِ الغرور من نفسكِ . وابناء اللغة الانكليزية لا يتحاربون بعد الآن وانما يتحدون لمحاربة غيرهم لغرض شريف . هذا ما قضت بهِ الالهة فاعلمي وعي هذا في ذهنك وهو ان اعتمادكِ في طعامكِ على الولايات المتحدة خير لكِ من اعتمادك فيهِ على مستعمراتكِ لانهُ يكون حينئذٍ عرضة للمصادرة كلما نشبت حرب بينك وبين خصومكِ . هذا ما قضت بهِ الالهة لخيركِ ولقد كان ضرباً من الجنون منكِ ميلكِ الى تكدير العلاقات بينكِ وبين الولايات المتحدة فلا توقظي الفتنة ولا تحاولي المحال

يا كبير الالهة يا زفس الرهيب اكشف لي عن مستقبل أمتي لئلا يحلَّ بي القنوط فان كانت الالهة حكمت ان كأسنا امتلأَت ولم يبقَ لنا سبيل لنزيد عدَداً وعَدَداً وثروةً ومنعةً فالامم التي حولنا ستفوقنا وتتغلب علينا ونصير منها في المنزلة الخامسة بعد ان كنا في المنزلة الاولى فاشفق علينا يا كبير الالهة فاننا منك نطلب العون والحفظ

الجواب — لا تخافي ايتها السيدة الكريمة لانهُ لم يقدَّر شيء من ذلك لابنائك فقد كنتِ عزيزة في عيون الالهة ولا تزالين عزيزة في عيونها ولن تزالي ولقد قدَّرت لك ولابنائك السيادة على المسكونة . وانتِ وابناؤُك عزاز في عيون الالهة بل انت اوفر منهم عزةً وسيبقى صولجان الملك في يدك . فافرحي وسري وثقي بالآلهة وليكن ذلك ختام المقال

قف قف واخبرني كيف ومتى واين

فتجلَّت موتا الاهة الصمت وسمع في الهواء ركز خفيف يقول كفى كفى لا تطلبي المزيد انما الالهة تعلم مصير الامور وبين بني آدم من يستطيع الانباء بذلك ولكن ختمت الالهة على شفتيهِ فلا يتكلم

ختمت الالهة على شفتيهِ لكن الجبور طافح على قلبهِ لعلمهِ ان مستقبل امتهِ يفوق حاضرها وماضيها وان الالهة قدَّرت لها قيادة العالم ويوم مجدها غير بعيد يراهُ كثيرون من قارئي هذه السطور

باب الزراعة

دود الحرير واكتشاف جديد

لا يخفى ان للفحص المكرسكوبي فائدة كبيرة في اكتشاف اسباب الامراض التي تصيب الناس والحيوانات ومن هذا القبيل اكتشاف اسباب الامراض التي تصيب دود الحرير. واوّل ما اكتشف ذلك العلامة باستور فخلَّد بهِ ذكرهُ وافاد العالم اجمع . وقد اخذت منذ مدة في تبزير دود الحرير وفحص فراشهِ على طريقة باستور وكتبت كتاباً في هذا الموضوع سميتهُ "المرشد الخبير في تربية دود الحرير" ورأيت الآن ان انشر السطور التالية على صفحات المقتطف لان فيها وصف اكتشاف مهم توفقت اليهِ فاقول

اولاً ان من افتك الامراض التي تطرأ على دود الحرير مرض الفلاشري (الذبلان) الذي يصيب الدود ويستحيل على الفاحص المدقق معرفتهُ في اول نشأتهِ لانهُ لا يدرك بالفحص الاَّ بعد بلوغ ميكروبهِ اشدَّهُ من النمو . ولانتشار هذا المرض اسباب منها رطوبة الهواء وقتما يتراكم الضباب . ومنها اطعام الدود ورقاً تقلُّ فيهِ المادة الهلامية الحريرية كورق التوت النامي في ارض سبخة او غير مسمَّدة تسقى مراراً في فصل الصيف

ويظهر ميكروب هذا المرض بالفحص على هيئة كريات بيضية الشكل يتصل بعضها ببعض على شكل خرز السبحة ويظهر لي ان البلاد المشهورة بجفاف هوائها كسهل البقاع وبلاد بعلبك وخصوصاً ضواحي بلودان وحوران لا يصيب دودها هذا المرض . فاذا أُخذ البزر منهُ اغنى عن جلبهِ من البلاد الاوربية لاسيما وان الدود الاوربي ليس سليماً من هذا المرض رغماً عن كل الوسائل التي تستخدم لسلامتهِ كما ظهر لي من فحص الفراش المرسل لي من اماكن كثيرة منها وذلك لرطوبة هوائها

ثانياً الطوارئ الجوية التي تضرُّ بالدود كريح السموم (الشرقية) كما حدث سنة ١٩٠١ حين صعدت درجة الحرارة الى ما بين ٢٧ و ٣١ بميزان سنتغراد وذلك من ١٤ اذار (مارس) الى ٢٩ منهُ وافضت الى محل اكثر مواسم سورية . فعلى القزازين ان يبذلوا الجهد لكي لا يتعرض البزر للشرقية ولذلك يجب ان يضعوهُ حينئذٍ في غرف سفلية مغلقة النوافذ وينشروا فيها شراشف مبللة بالماء واذا حدثت الشرقية في زمن نمو الدود وجب تبريد اماكنهِ وعدم

الزيادة في علفهِ وذلك على ضد ما يفعلهُ اكثر القزازين لان الدود يأكل كثيرًا وقت الشرقية والغالب ان يعقب الشرقية برودة في الهواء بغتة فلا يعود الدود قادرًا على هضم ما اكلهُ فتنحرف دورتهُ المعوية والكبدية ويظهر فيهِ المرض المعروف بالقياح

اذا ظهر مرض الببرين او الفلاشري او المسكردين في دود الحرير تبقى جراثيمهُ المعدية في البيوت والادوات التي يربى فيها الدود من سنة الى سنة فيجب قبل استعمالها لتربية الدود كل سنة ان تبخَّر وتطهَّر بالعلاج المعروف بالانتيكروب Antimicrobe المحضر في علب ذُكرت معها كيفية استعمالهِ وبيان فوائدهِ واذا وضع هذا العلاج على النار تصاعد منهُ دخان وبخار غازي يدخل ادق المسام ويهلك الميكروبات وبزورها مهما كان نوعها . ويمتاز عن التطهير باحراق الكبريت ان الحامض الكبريتوس يغيّر الالوان ولا يميت بزور الميكروبات . ويمتاز عن البخار الشائع التطهير بهِ بسرعة استعمالهِ ورخص ثمنه وبتخلله ادق المسام وقد جرَّبهُ نخبة من وجهاء بيروت ولبنان واعترفوا بفوائدهِ لمواسمهم وقد طُهرت بهِ محلات كثيرة ملوثة بالجدري والدفثيريا والسل والتيفويد فلم تظهر عدوى الامراض المذكورة فيها بعد ذلك . وطهر بهِ اسطبل تواترت فيهِ عدوى الخيل بالسراجة فلم تعد الخيل تصاب بالمرض المذكور

وقد قدمت هذا العلاج الى المدرسة الكلية الاميركية في بيروت ففحص في معملها الكيماوي وأُعطيت الشهادتين التاليتين وهذا تعريبهما

الشهادة الاولى

ليعلم انني في هذا اليوم السابع عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩٠٠ حللت تحليلاً كيماويًا المركب الذي اكتشفهُ الدكتور اسعد بك سليم لتطهير البيوت ونحوها وذلك في معمل المدرسة الكلية السورية الانجيلية الكيماوي فوجدتهُ يحتوي على مواد كيماوية تتبخر بسهولة وتفعل بالميكروبات فعلاً شديدًا وتهلكها ولذلك امضيت هذهِ الشهادة وختمتها بختم المدرسة

ولتر بوث ادمس

استاذ الكيمياء في المدرسة الكلية السورية الانجيلية

الشهادة الثانية

المدرسة الكلية السورية الانجيلية في ٢٧ يناير سنة ١٩٠٣ عرضت بعض النقاعيات لابخرة مركب استحضرهُ الدكتور اسعد بك سليم فامانتها الابخرة حالاً . ومن المحتمل انها تفعل هذا الفعل عينهُ بالبكتيريا ولذلك امضي هذهِ الشهادة واختمها بختم المدرسة

الفرد عالي داي استاذ الطبيعيات في المدرسة الكلية السورية

وعليهِ فان الاختبارات المتعددة المثبتة فائدة هذا العلاج تستوجب اذعان القزازين واقبالهم على تطهير بيوتهم وادوات القز بهِ لازالة جراثيم العدوى منها

رابعاً ان ميزانية القز الجيد هي فطرتهُ الثالثة بين اليوم الخامس عشر والسابع عشر ويظهر المرض فيهِ على نسبة تأَخر هذه الفطرة فيكون من الضروري اسراع نمو الدود في صغرهِ لكي يتغلب على جراثيم الامراض الكامنة في بنيتهِ اما الذين يؤَخرون الدود اولاً بقصد الحاق ما يأْتي بعدهُ بهِ فانذرهم بعطل موسمهم. ويجب الانتباه الى تهوية اماكن تربية الدود لان الهواء الفاسد يضرُّ بهِ

خامساً اذا ظهر مرض الدود في اثناء تربيتهِ فيجب رفعهُ محمولاً على الورق وترك الضعيف العليل الذي لا يتعلق بالورق وابعاد السليم عن العليل ومتابعة علف السليم وحدهُ وبذلك ينجو من المرض

اسعد سليم

(المقتطف) وقد بعث الينا بالشهادتين الاصليتين مختومتين بختم المدرسة الكلية

فوائد في زراعة القطن

اطلعنا على مقالة مسهبة في زراعة القطن في مجلَّة الهند الغربية اقتبس كاتبها كثيرًا مما ذكرهُ المستر فودن في مجلة الجمعية الزراعية مما اتينا على ذكرهِ في المقتطف وزاد عليهِ اموراً كثيرة جليلة الفائدة فلخصنا منها ما يلي

اشار المستر فودن في ما كتبهُ عن القطن الاميركي المعروف بالسي ايلند الى انهُ يزرع في الجزيرة المعروفة باسم جمس ايلند وهذه الجزيرة هلالية الشكل طولها ٩ اميال وعرضها من ١/٢ ميل الى ٧ اميال وفيها ١٢٠٠٠ فدان بعضها اراضٍ زراعية وبعضها حراج او مستنقعات واكثر سكانها من السود فان البيض يبلغون ٣ في المئة من السكان ولهؤلاء السكان الفضل في انهم اصلحوا زراعة القطن وابلغوها ما بلغتهُ من الاتقان بعمل المصارف تحت وجه الارض فزاد بها خصب الارض

ثم جزيرة ادستو وطولها ١٢ ميلاً وعرضها ٤ اميال الى ٥ وفيها ٢٨٨١١ فداناً كانت زراعتها في اول الامر مقصورة على الارز ثم صارت تزرع نيلةً واخيرًا زرعت قطناً وكان عدد سكانها سنة ١٨٨٠ ثلاثمئة من البيض و٣٨٠٠ من السود ويملك السود نحو ٥٠٠٠ فدان ويزرعون ثلثي القطن الذي يزرع في هذه الجزيرة وتزرع فيها الذرة ايضاً. وتصرف الارض بمصارف تحت سطحها ويكثر الزارعون من استعمال السماد

ثم جزيرة ودملو وطولها ٩ اميال وعرضها من ٤ اميال الى ٦ وفيها ١٦٠٠٠ فدان وكان فيها ٢٠٠٠ من السود و ١٦٥ من البيض. وجزيرة جون ريثي اكبرهنّ طولها ٣٢ ميلاً وعرضها ١٠ اميال وفيها ٤٠٠٠٠ فدان والارض الزراعية منها ١٨٠٠٠ فدان

ويكرر زرع القطن في جزيرة جمس كل سنة فتكسر الاشجار القديمة وتمهّد الارض في اوائل فبراير بواسطة زحافات طول الزحافة منها خمس اقدام ويوضع السماد في الخطوط القديمة و يغطى بالنبات اليابس والهشيم وتحدل الارض بمحدلة وتحرث وتخطط ويجعل البعد بين الخطوط خمس اقدام ويزرع البزر فيها على ابعاد ١٨ بوصة الى ٢٠ بوصة والغالب ان يقوم بزرع البزر ثلاثة واحد يعمل الحفر وواحد يلقي البزر فيها وواحد يغطيها بالتراب فيسيرون الواحد وراء الآخر لهذه الاغراض. ويعزق النبات وتنزع الاعشاب التي تمو بينهُ ويخفف وقت العزقة الثانية حينما يصير عمرهُ شهرًا ويكرر التخفيف عند كل تعشيب حتى لا يبقى الا شجرة واحدة في كل نقرة او شجرتان. وحينما يصير عمر النبات ستة اسابيع تعزق الارض بعزافة ويكوَّم التراب حول اصول النبات ويظهر نوار القطن بعد نحو سبعين يوماً من زرعهِ ويفتح اللوز بعد نحو سبعين يوماً أخرى ويبلغ ارتفاع الشجرة من اربع اقدام الى خمس

ولا يجمع القطن الا بعد ان يفتح اللوز جيدًا فيمسك الجامع اللوزة بيدهِ اليسرى بين الابهام والاصبعين اللتين تليانهِ وينزع القطن منها بيدهِ اليسرى مع ما فيهِ من البزر

والغالب ان كل ١١ قنطارًا من القطن تصفي ثلاثة قناطير من الشعر والباقي بزرة. و يجفف القطن بعد جمعهِ ويفرز ويخبط بالخابط بعد وضعهِ على شباك من السلك لكي يقع منهُ التراب ونحوهُ ولكن اذا اعتني بجمع القطن فلا داعي للخبط. ولا يحلج حالاً بل يترك مدة حتى يمتص القطن قليلاً من الزيت الذي في البزر فيزيد لمعانهُ

ويبلغ محصول الفدان في جزيرة جمس ثلاثة قناطير من القطن الشعر وقد بلغ في ارض مسمدة جيدًا بزبل المواشي اربعة قناطير وثمانية ارطال والمتوسط من قنطارين الى ثلاثة قناطير ونصف

لماذا ارتفع ثمن القطن

من مقالة للمستر دانيال صلي نشرت في مجلة اميركا الشمالية

لا بدَّ من تحديد المراد بالمضاربة واللعب في البورصة قبل الخوض في هذا الموضوع. اما المضاربة فشاعت منذ ما اتسع نطاق التجارة والاشغال المالية. ولكنها لا تفلح قط ان لم

تكن مبنية على اساس ثابت والاَّ فنجاحها وقتي محدود . والمضاربة ترفع الاسعار وتهبطها بسرعة ولكنها لا تؤَثر في الاسباب الاساسية التي توجب ارتفاعها او هبوطها زماناً طويلاً . مثال ذلك ارتفاع ثمن القطن الحالي فانهُ لم يكن في طاقة المضاربة ان ترفعهُ الى هذا الحد وتبقيهُ عليهِ الاَّ اذا كان بين المضاربين ماليون كبار يستطيعون ان يبتاعوا جانباً كبيرًا من القطن بهذهِ الاسعار . وقد تدعو الحال احياناً الى احتكار الصنف ورفع ثمنهِ كما اذا كان المحصول قليلاً او اذا قلَّت المتأخرات في آخر الموسم قبل المحصول الجديد ولم تعد كافية للمقطوعية وتهافت كبار الماليين على المضاربة . ولكن المحتكرين لا يشرعون في الاحتكار في اول الموسم ولا يمكن ان تتألف جماعة منهم وتخاطر باموالها حينئذٍ لانهم لا يعرفون المستقبل ولا يحسبون ان الربح يستحق التعب وانشغال البال

واذا سئلتُ هل اثَّرت المضاربة واللعب في سعر القطن هذهِ السنة فاجيب نعم وذلك من وجهين فان فريقاً من المضاربين حسب ان الاسعار واطئة جدًّا وفريقاً آخر حسبها عالية جدًّا فتنازع هذان الفريقان وتناظرا والظاهر ان الربح الاكبر كان لحزب النزول . ولا يخفى ان التجار في اميركا واصحاب معامل القطن في انكلترا وسائر اوربا يبذلون جهدهم دائماً لخفض الاسعار وابتياع القطن بثمن بخس ولكن المزارعين من اهل الجنوب الذين اتحفوا الفقر المدقع اربعين سنة متوالية وذاقوا لذة الربح اول مرة اتفقوا هم والعملاء والسماسرة على رفع الاسعار

واني اجاهر بادىء بدء بان ارتفاع ثمن القطن ناتج عن اسباب طبيعية محضة ولو لم تكن عادية وهو ليس نتيجة المضاربات

قلَّ من يعلم اهمية القطن للولايات المتحدة فان القطن هو المادة الوحيدة التي تُغزَل في حالتها الطبيعية وهو المحصول الوحيد الذي لا يستعملهُ الزارع . ورخصهُ وسهولة الحصول عليهِ وصلاحيتهُ للنسج كل ذلك يجعلهُ في المقام الاول بين الحاصلات الزراعية التي تستعمل للنسج . واستعمالهُ آخذ في الازدياد واستعمال غيرهِ آخذ في القلة بالنسبة اليهِ . وقد فتحت لمنسوجاتهِ اسواق جديدة في كل المسكونة وزادت المقطوعية عليهِ في الاسواق القديمة بازدياد السكان وكثرة استعمال الملابس

وتقدر مقطوعية الدنيا من القطن بنحو اربعة عشر مليون بالة (١٤٠٠٠٠٠٠) اكثرها من الولايات الجنوبية من البلاد المتحدة فمنها تحصل اهم مواد النسج . وقطن القطر المصري طويل الشعر يستعمل في المنسوجات الدقيقة وقطن الهند قصير الشعر يستعمل في المنسوجات الخشنة واما القطن الاميركي فمتوسط بينهما وهو يستعمل في كل المنسوجات تقريباً

وقد ابتدأ زرع القطن في الولايات المتحدة سنة ١٦٠٧ وبقي ما يزرع منهُ قليلاً الى سنة ١٧٩٣ حينما استنبط عالي هوتني آلة الحلج المنسوبة اليهِ ومن ثم زاد زرع القطن و بلغ محصولهُ في الولايات الجنوبية ١٢٠٠٠٠ بالة سنة ١٨٠٠ وخمسة ملايين بالة (٥٠٠٠٠٠٠) سنة ١٨٦٠ واحد عشر مليون بالة (١١٠٠٠٠٠٠) سنة ١٨٩٧ وبلغ ما صدر من بلادنا مدة السنوات العشر الاخيرة ثلاثماية مليون قنطار (٣٠٠٠٠٠٠٠٠) بلغ ثمنها الفين وخمسماية مليون ريال (٢٥٠٠٠٠٠٠٠٠) قبضتها البلاد ذهباً فخفظت بها الموازنة المالية بينها وبين اوربا . مثال ذلك انهُ في شهر نوفمبر سنة ١٩٠٣ صدر من البلاد قطن ثمنهُ ٦٧٩٦٤٧٧٤ ريالاً حسب تقرير ديوان الاحصاء في وشنطون اي نحو ٦٨ مليون ريال و بلغ قيمة كل الحاصلات الزراعية التي صدرت في تلك المدة ١٠٥٨٠٩٩٨٦ وهذا كان اكبر مقدار من القطن صدر في الولايات المتحدة في شهر واحد ولم يعلم حتى كتابة هذه السطور مقدار القطن الذي صدر في شهر دسمبر ولكن المرجح ان ثمنهُ يزيد على ثمن ما صدر في نوفمبر

ويظهر من الاحصاء الذي تم سنة ١٩٠٠ ان قيمة المنسوجات والمغزولات القطنية كانت الثالثة بين الصادرات من الولايات المتحدة فلا يفوقها الاَّ صادرات مواد الطعام وقد بلغ ثمنها الفين ومئتي مليون ريال (٢٢٠٠٠٠٠٠٠٠) والحديد والصلب وقد بلغ ثمنهما الفاً وسبع مئة مليون ريال (١٧٠٠٠٠٠٠٠٠) وبلغ ثمن المغزولات والمنسوجات ١٤٣٧٤٨٤٤٨٤ ريالاً وهي تشمل المغزولات والمنسوجات الصوفية والكتانية ايضاً ولكن مقدارها قليل بالنسبة الى المغزولات والمنسوجات القطنية ويظهر من ذلك مقدار ما للقطن من الاهمية في التجارة

ومن الغريب ان اسباب الارتفاع الحالي في ثمن القطن اصلها كبر موسم سنة ١٨٩٨ و ١٨٩٩ فان محصول كل سنة منهما كان اكثر من احد عشر مليون بالة (١١٠٠٠٠٠٠) وهبط ثمن القطن حينئذٍ حتى بلغ ثمن الليبرة خمس بنسات او ست وخيف من ان يزيد المحصول على المقطوعية فبذل محبو الوطن جهدهم بالكلام والكتابة في الصحف حتى اقنعوا اهل الزراعة بالاكثار من المزروعات الاخرى والاقلال من زرع القطن . ونتج عن رخص ثمن القطن وكثرة الموجود منهُ ان أُنشئت معامل جديدة لغزلهِ ونسجهِ في الولايات الجنوبية وفي اوربا ايضاً فزاد عدد المغازل في السنوات العشر الاخيرة سبعة عشر مليوناً (١٧٠٠٠٠٠٠) وكانت الزيادة في الولايات الجنوبية وحدها ٨١٧٨٢٦ مغزلاً و١٦٣١٣ نولاً رأس مالها ستة عشر مليوناً من الريالات (١٦٠٠٠٠٠٠) ويرجح ان عدد المغازل الآن في الدنيا مئة وتسعة ملايين (١٠٩٠٠٠٠٠٠)

ثم ان كبر المحصول دعا الى امور أخرى غير زيادة المعامل فان الصنّاع صاروا يصنعون من القطن اشياء اخرى لم تكن تصنع منهُ واعتاد الناس استعمالها حالاً وهذهِ المصنوعات استدعت عمل الآت صالحة لها فهي لاتستغني الآن عن القطن

ثم جاءت اربع سنوات كان المحصول فيها قليلاً وقد بنيت المقطوعية في الدنيا على ان الموسم الاميركي احد عشر مليون بالة (١١٠٠٠٠٠٠) وبقيت المعامل دائرة تعمل عملها المعتاد لان المقدرين كانوا يقدرون الموسم باحد عشر مليون بالة وقد اصاب تقديرهم لمحصول سنة ١٨٩٧ و ١٨٩٨ فاشتهروا بحسن التقدير ثم لما نقص المحصول وبقي تقديرهم على ما كان اولاً ولهم غرض في ذلك هبطت الاسعار فاستفاد اصحاب المعامل من هبوطها ولم تقلل المعامل مقطوعيتها · وجعلت المقطوعية والمحصول يتباريان كفرسي رهان · وعندي ان المقطوعية غلبت الآن على المحصول وزادت عليهِ فان محصول الموسم الذي زرع سنة ١٨٩٩ بلغ ٩٤٣٦٤١٦ بالة والذي زُرع سنة ١٩٠٠ بلغ ١٠٣٨٣٤٢٢ بالة وسنة ١٩٠١ بلغ ١٠٦٨٠٦٨٠ بالة وسنة ١٩٠٢ بلغ ١٠٢٧٥٥٩ بالة

فنقصت المتأخرات في المعامل وبلغ النقص في العام الماضي مبلغاً خاف منهُ اصحاب المعامل خوفاً شديداً فألقي اللوم على المضاربين · واني اقتبس ما يلي مما كتبهُ هنري كتردج في جريدة الكومرشيال ادفرتيزر وهو من الثقات في امر القطن وغرضهُ مع اصحاب المعامل بلا شك قال

" انهُ لم يكن وقت من الاوقات كانت فيهِ اسعار القطن مبنية على نسبة الموجود الى المقطوعية مثل الوقت الحاضر رغماً عما يقال عن تأثير المضاربات · وقد القي اللوم على المضاربين من غير تمييز وعدُّوا السبب في ما حدث من الاضطراب في سوق القطن · ولا شبهة ان للمضاربات يداً في رفع الاسعار ولكنها انما زادت النتائج الناتجة عن قلة المحصول · وكان زعماء حزب الصعود امهر من كثيرين من ارباب المعامل لان جمهور اصحاب المعامل كان يعتقد ان حالة السوق غير طبيعية ولا بد ما تنقلب عنها وتعود الى حالتها الطبيعية مع الزمن ولكنهم كانو مخطئين في اعتقادهم هذا ولم يرتكبوا من الخطاء في زمن من الازمان مثلما ارتكبوا سنة ١٩٠٣ لجهلهم الاسباب الحقيقية التي تحكم على الاسعار "

وقد ارتفعت الاسعار سنة ١٩٠٢ للسبب الذي ذكرهُ المستر كتردج واوفى المزارعون في الولايات الجنوبية بعض ديونهم وحسنت حالتهم المالية · وهم يعتقدون ان ثمن القطن كان قبل ذلك ارخص مماَّ يلزم ان يكون · وقد كانت الاسعار قبلاً تقطع حسب ما يناسب اهالي

الولايات الشمالية والشرقية اي حسب مايناسب اصحاب المعامل لا المزارعين . وكان اصحاب المعامل يتحكمون بالاسعار وبحركة السوق . واصحاب البنوك في الولايات الجنوبية (حيث يزرع القطن) يعتمدون على نيويورك ويرتهنون المحصول قبل ان يجنى وكانت مصلحتهم ومصلحة اصحاب المعامل واحدة فكانت بنوك نيويورك تطلب اموالها من بنوك الولايات الجنوبية فتطلب هذه الاموال من التجار وهم يلحّون على المزارعين في طلب القطن ونتيجة ذلك شحن السوق بالقطن فيربح العامل ويخسر الزارع ولكن تغيرّت الحال بسبب ارتفاع الاسعار ولولا ارتفاع الاسعار في اول سبتمبر سنة ١٩٠٣ لامتنع المزارعون عن بيع قطنهم وحدث ما يسمّى بقحط القطن حقيقةً . وقد كثر الوارد هذه السنة ولكنهُ كان منتظماً تبعاً لارتفاع الاسعار ولم يهجم هجمةً واحدة حتى تغص بهِ السوق كما كان يحدث سابقاً حينما كان المزارع محتاجاً الى المال

وعندي ان لقلّة المحصول اربعة اسباب. الاول ضعف التقاوي والثاني ضعف الارض من تكرير الزرع فيها وقلة خدمتها والثالث ازدياد الحشرات التي تتلف القطن كدود اللوز ونحوهِ والرابع قلة الارض المعدة للزراعة

وعندي ان ضعف التقاوي نتج من بيع احسن البزرة لمعامل الزيت فان وكلاء هذه المعامل يجولون في البلاد في اول الموسم ويشترون كل البزرة التي تنتج من الجنية الاولى وهي اجود ما يكون للزرع والغالب ان يكتفي الزارع ببزر الجنية الاخيرة وهو ضعيف . وقد انتبه المزارعون حديثاً الى هذا الخطإ واخذوا في تلافيهِ ومن المرجح انهم سيحسنون انتقاء التقاوي في المستقبل اما بغربلة البزرة وقت الحلج او بواسطة اخرى

هذهِ هي الاسباب التي دعت الى قلة المحصول في الاعوام الاربعة الماضية والموسم الاخير زرع متأخرًا من اربعة اسابيع الى ستة وكان الصيف متأخرًا فدام برد مارس الى ابريل وبرد ابريل الى آخر مايو واسرع البرد في اواخر الفصل فكان الهواء في اغسطس كما يكون عادة في سبتمبر وفي سبتمبر كما يكون في اكتوبر . وفي التاسع عشر من اكتوبر وقع الصقيع فامات النبات في اماكن كثيرة حيث يزرع القطن وتوقف النبات عن النمو قبل ان يبلغ اشدهُ . وجاءت الاخبار من كل البلاد ان الطرح الاخير معدوم وهذهِ الامور كلها كانت كافية لتحذير ارباب المعامل من قلة المحصول

وكانت المتأخرات من الموسم السابق لا تكفي المعامل الى آخر اغسطس ولو توزعت عليها وقبلما انتهى الفصل اضطرت معامل كثيرة ان تتوقف عن العمل تماماً . وزادت الازمة بتأخر المحصول الجديد وبطء الواردات

هذه كانت حالة القطن في دسمبر الماضي كان الوارد قليلاً جداً والمعامل تقطع من المتاخرات حتى قلت المصنوعات فيها . وكان يمكن ان تعود الحال الى مجراها لو كان المحصول احد عشر مليون بالة او احد عشر مليوناً ونصف وتوزع الوارد منهُ على الاشهر واقتصرت المعامل على ما كانت تعمله عادةً الاَّ ان ارباب المعامل لا يقصرون مشتراهم على ما تحتاج اليهِ معاملهم شهراً بعد شهر بل يحسبون انهُ الاسلم لهم بل الواجب عليهم ان يكون عندهم فضلة كافية لابقاء الموازنة بين القطن الذي عندهم وما يغزلونهُ منهُ . وقلت المتأخرات حتى لو كان المحصول ١٢ مليون بالة لا يتاعه اصحاب المعامل بثمن يزيد على اسعار السنين الماضية ولذلك حق لاصحاب القطن ان يطلبوا سعراً مناسباً للمقطوعية ولشدة حاجة اصحاب المعامل التي تدعوهم الى ان يكون عندهم فضلة زائدة

وزادت حيرة اصحاب المعامل بما كان يشيع من الانباء عن عظم المحصول فتأخرت معامل كثيرة عن المشترى املاً بهبوط الاسعار ولاسيا في هذه البلاد (اميركا) اما اصحاب المعامل الاوربية فتعلموا من العام السابق ان لا يقعوا في هذا الفخ وابتاعوا في اول الموسم فارتفعت الاسعار رغماً عن سعي حزب النزول الذين كانوا ينبؤون ان المحصول سيكون من احد عشر مليون بالة الى اثني عشر مليوناً مع ان الوارد كان يدل على قلة المحصول وكذلك احوال الجو واشتداد الصقيع . ثم لما صدر تقدير الحكومة في ٣ دسمبر سنة ١٩٠٣ الذي جعل المحصول ٩٩٦٢٠٥٩ بالة قوي مركز حزب الصعود وزاد ارتفاع الاسعار وبقيت تتردد بين ارتفاع كثير وهبوط اقل منهُ الى ان بلغت ١٤ سنتاً

وغنيٌّ عن البيان ان حزب النزول ادَّعى بان هذهِ الاسعار مبنية على المضاربات واستشهدوا على صحة قولهم بخطإ تقديرات الحكومة في السنين السابقة واستدلوا على ذلك بكثرة الواردات حتى ان مجموعها قارب ما ورد في العام السابق الى اول يناير مع انها ابتدأت متأخرة وانبأوا بان المعامل ستقلل ساعات العمل فتقل المقطوعية وتزيد المتأخرات

اما انصار حزب الصعود فقالوا ان كثرة الواردات ناتجة عن ارتفاع الاسعار فصار الفلاحون يسرعون الى بيع كل ما يمكن جنيهُ من القطن وكان الوقت مناسباً لجني اكثر من المعتاد ومع هذا كلهِ فان القطن المحلوج حتى ١٣ دسمبر كان اقل مما حلج الى ذلك التاريخ في العام السابق بنحو ٤٠٠٠٠٠ بالة فلو كان المحصول كثيراً لحلج منهُ مقدار اكثر من ذلك وجاءت التقادير حتى اواسط يناير ان القطن الذي في يد المزارعين اقل مما كان في يدهم في العام السابق بنحو ٣٠ الى ٥٠ في المئة . ولذلك أصرَّ حزب الصعود على ان الواردات ستقل

باكرًا فقلت في الوقت المحدد وبلغت القلة بضعة الوف من البالات كل يوم بالنسبة الى ما كانت عليهِ في العام السابق في ذلك الوقت ولذلك فارتفاع الاسعار كان معقولاً اذا نظرنا اليهِ من حيث مقدار الموسم .

اما من حيث تقليل ساعات العمل فان جماعة من اصحاب المعامل اجتمعوا في منشستر في اواخر دسمبر وطلبوا ان يوافقهم اصحاب المعامل في اوربا على ذلك فجاءتهم الاجوبة من المانيا والنمسا والمجر وايطاليا وهي تشترك في الشكوى معهم ولكنها تبين ان تلك المعامل مربوطة بطلبات تشغلها الى آخر يوليو فلا تستطيع ان تقلل ساعات العمل . وقال ثقة من كبار تجار القطن في انكلترا ان معامل انكلترا ومعامل اوربا كلها مرتبطة بطلبات من مصنوعاتها تشغلها الى آخر شهر يوليو وليس تحت يدها من القطن ما يكفي لذلك وليست في سعة مالية كافية لمشترى القطن الحاضر اللازم لها بالاسعار الحاضرة ولا تستطيع ان تشتري كنتراتات ما لم ترتفع الاسعار كثيرًا بسبب ذلك . وهكذا اصحاب المعامل في القسم الشمالي الشرقي من الولايات المتحدة مرتبطون بطلبات كثيرة تمنعهم من تقليل ساعات العمل بنوع عام . وتظهر قلة القطن في معامل اميركا من ان بعض المعامل تأخر عنها قطن طلبتهُ فاضطرَّت ان توقف العمل الى حين وصولهِ . فاذا كان القطن قليلاً في المعامل الى هذا الحد فلا عجب فاذا غالى اصحابهُ بثمنهِ

ومما يدلُّ ايضاً على ان ارتفاع السعر الحاضر ليس نتيجة المضاربات ان ثمن القطن الحاضر في اماكنهِ في فول رفر اعلى من ثمنهِ في بورصة نيويورك . ثم ان نيو اورليانس اكبر سوق للقطن في الدنيا واصحابها اعلم من غيرهم بحالة المحصول ولكن السعر في نيواورليانس كان دائماً اعلى من السعر في نيويورك خمس بنسات الى ستين بنساً كل مدة الفصل فلماذا يكون القطن في قلب بلاد القطن اغلى منهُ في نيويورك على الف ميل منها ربع ريال الى ثلاثة ريالات في البالة

واقول قبل ان اترك هذا الموضوع ان المستر توماس اليسن من اهالي لفربول قدر المقطوعية من القطن الاميركي في العام الماضي عشرة ملايين و٨٤٠ الف بالة (١٠٨٤٠٠٠٠) اي اقل من مقطوعية سنة عادية بخمسين الف بالة . وفي شهر اكتوبر الماضي قدر المقطوعية اللازمة من القطن الاميركي عشرة ملايين و٨٧٠ الف بالة ولما بلغ ثمن الليبرة ١١ بنساً في شهر نوفمبر عدل تقديرهُ هذا وجعلهُ عشرة ملايين و٥٠٠ الف بالة (١٠٥٠٠٠٠٠) وقال انهُ اذا زادت الاسعار ارتفاعاً قلت المقطوعية اكثر من ذلك . فاذا كان تقدير الحكومة الاميركية للمحصول بتسعة ملايين و٩٢٦ الف بالة (٩٩٢٦٠٠٠) صحيحاً او قريباً من الصحة فالمرجح ان المعامل تقلل مقطوعيتها

ولكن هذا التقليل يكون اضطرارياً ناتجاً عن قلة القطن لا اختيارياً ناتجاً عن ارتفاع الاسعار اذا غلا الطعام فالناس يشكون من الغلاء ولكنهم يدفعون ثمنهُ ولذلك يأكل الناس اللحم والحنطة سواء غلا ثمنها او رخص لاسيما اذا كان الموجود منهما لايكاد يكفي الحاجة. واذا سلمنا ان بعض المنسوجات القطنية لايعود يستعمل فيما كان يستعمل لهُ حينما كان القطن رخيصاً يبقى ان القطن الموجود لايكفي اصحاب المعامل للقيام بالكنتراتات التي ارتبطوا بها. والمشابهة بين القطن واللحم ليست تامَّة لانهُ اذا غلا اللحم اكتفى الناس بغيره من الطعام ولكن المعامل التي تغزل القطن لاتستطيع ان تغزل غيرهُ لا صوفاً ولا حريراً

ولما خيف من انتشاب الحرب بين الروس واليابان في اوائل هذه السنة هبطت اسعار القطن لكن اكثر هذا الهبوط ناتج عن قصر النظر فان المقدار القليل من القطن غير المصنوع الذي تشتريهِ الصين واليابان قد اشترتاهُ قبل الحرب او تعهدتا بشترائهِ وما يبقى منهُ لا يسدُّ مسدَّ النقص في ما تحتاج اليهِ معامل اوربا واميركا. والمنسوجات القطنية التي ترسل الى تلك البلاد لا دليل على انها ستقل ولا روسيا قادرة على مصادرة سفننا التجارية

وخلاصة ما تقدَّم ان غلاء القطن الحالي ناتج عن كثرة المقطوعية التي قلَّت بها المتأخرات وعن ارتباط المعامل بطلبات لا بدَّ لها من تقديمها في مواعيدها ولان حزب النزول خدع اصحاب المعامل بتقديره المحصول اكبر مما هو في الحقيقة وعن قلة المتأخرات الباقية الى شهر سبتمبر الماضي فزاد طلب المعامل على القطن ودلَّت احوال الهواء على ان القطن لايكفي المطلوب وايَّد ذلك تقدير الحكومة للمحصول وجاء احصاء المحلوج مؤيداً لهُ وكذلك قلَّة الواردات وهبوط مقدارها بغتةً. يضاد ذلك عدم صحة التقديرات السابقة وان ما يقولهُ اصحاب القطن انفسهم لا يعتمد عليهِ. والنتيجة ان ارتفاع الاسعار نتج عن اسباب طبيعية لا؛ د وان المضاربات وحدها لا تستطيع ان ترفع السعر وتبقيهُ على هذا الحد لان المضاربين الذين يستطيعون ذلك يلزم ان يشتغلوا بخمس مئة مليون ريال على الاقل. فحالة السوق طبيعية ناتجة عن زيادة المطلوب وقلَّة المحصول والمضاربات ترفع الاسعار وتخفضها ولكن لاترفعها كثيراً ولا تخفضها كثيراً

[المقتطف] وقد كتب المستر صلي ذلك قبل ان خسر خسائر فاحشة وهبطت الاسعار كثيراً عن الحد الذي بلغتهُ حينما كتب فتبين انهُ كان للمضاربات يد كبيرة في ارتفاعها ولا يبعد ان يكون لها الآن يد كبيرة في هبوطها. لكن في مقالته فوائد كثيرة ولذلك حرصنا على ترجمتها ونشرها. ولا يزال سعر القطن غالياً فاذا بقي عليهِ بيع القطن المصري من المحصول التالي بثلاثة جنيهات ونصف الى اربعة جنيهات

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الروايات

مصر عبد الحميد افندي فهيم قالت جورج سند

Le premier devoir d'un roman, c'est d'être romanesque

فكيف تترجمون ذلك الى العربية وهل توافقونها على قولها

ج يترجم هكذا "لا تكون الرواية رواية مالم تكن نوادرها غريبة" او "اول شرط من شروط الرواية ان تكون وقائعها غريبة مدهشة" هذا هو المعنى المراد ويسهل سبكهُ على صور شتى والظاهر ان كبار مؤلفي الروايات كدوماس الاكبر والاصغر جروا على هذه الخطة في تأليف رواياتهم فافلحوا

(٢) صرف عمر

ومنهُ . دار البحث منذ مدة بين بعض العلماء على مسألة صرف عمر فما الذي انتهت اليهِ هذهِ الابحاث

ج اطلعنا على مقالة في هذا الموضوع لحضرة الشيخ احمد بن الامين الشنقيطي اقام فيها الادلة على منع عمر وخالف حضرة الشيخ محمد محمود الشنقيطي الذي قال بصرفهِ ومن ادلتهِ على منعهِ انهُ جاء في كلام العرب ممنوعاً لا مصروفاً ومن الشواهد على ذلك قول الفرزدق

ان الارامل والايتام اذ هلكوا
والخيل اذ هزمت تبكي على عمرا

وقول الكميت

اهوى عليًّا امير المؤمنين ولا
ارضى بشتم ابي بكر ولا عمرا

وقول غيرهِ

اشبهت من عمر الفاروق سيرتهُ
سن الفرائض وأْتمَّت بهِ الامم

وقول عمر بن ابي ربيعة

كيف لي اليوم ان ارى عمر المر
سل بالهجر قبل ان يلقاني

ثم ان اللغة نقلية لا قياسيَّة قال ابن هشام اللغة لا تثبت بالقياس وقد جاء السماع بالمنع فلم يبقَ للقياس مجال وقد اجمع اهل الحديث على منع عمر في روايتهم واسانيدهم ولو صحَّ هذا الاجماع على باطل لضاعت الثقة باصول الدين . انتهى كلام الشيخ احمد

الشنقيطي بايجاز كثير. والمسألة لا تستحق ان يعنى بها اكثر من واحد او اثنين

(٣) فوائد فلسفة سبنسر

ومنهُ . ما هي الفوائد التي عادت على العالم الى الآن من فلسفة سبنسر

ج ان الارتقاء العقلي والمادي اللذين احرزتهما اوربا واميركا منذ خمسين سنة الى الآن مؤلفان من امور عديدة بعضها تسهل نسبتهُ الى الذين اكتشفوهُ او اوجدهُ كالتلغراف وسكك الحديد والتطعيم الواقي من الامراض. واكثرها يتعذَّر ردهُ الى الذين اوجدوهُ ومن هذا القبيل اكثر القضايا التي تنير العقل وترشد الى طرق البحث المنتجة. ويظهر لنا ان مقالات سبنسر وكتبهُ كان لها الشأن الاكبر في انارة عقول الامم التي قرأتها والعقل المستنير يكون اقدر من غيرهِ على جلب المغانم ودفع المغارم. راجعوا خطبة الاستاذ رمسي رئيس مجمع ترقية العلوم الاميركي التي نشرت في الجزء الماضي وخطبة السر نورمن لكير رئيس مجمع ترقية العلوم البريطاني المدرجة في جزء اكتوبر الماضي تحت عنوان العقل والعمران

(٤) اصل الكلب

بيروت . المدرسة الكلية . ايليا افندي بارودي . اصحيح ما يقال من ان الكلب يكلب اذا اكل لحم انسان

ج كلاَّ

ومنهُ . ورد في الحكم والامثال التي نشرت في المقتطف بقلم جناب الدكتور ورتبات قوله "ليس من الحق ان يعلن الحق دائماً" افيجوز الكذب اذاً وكيف تعللون ذلك

ج كلاَّ لا يجوز الكذب ولكن بين الكذب وعدم اعلان الحق في بعض الاحوال فرقاً كبيرًا مثال ذلك ان تعلم ان بنكاً من البنوك خسر في بعض اشغالهِ فاذا اعلنت ذلك تهافت الناس الذين لهم اموال في ذلك البنك على استلام اموالهم منهُ دفعةً واحدة فيضطر ان يوقف الدفع ويفلس فتضر اصحابهُ ضررًا كبيرًا. واذا لم يعلن ذلك فالغالب انهُ يصلح امورهُ ويسدد ما خسرهُ من مكاسبهِ فلا يقع ضرر على احد. كذلك اذا كنت قائدًا لجيش مملكة ولك اطّلاع على مواقع حصونها ورسوم تحصينها فاذا اعلنت ذلك للاعداء حتى ولو سألوك عنهُ فانك قد تخرب بلادك باعلانهِ والواجب عليك في هذه الحال ان تكتم ما تعلمهُ تمام الكتمان ولا تبوح بهِ لعدو. ولا يكلَّف الانسان باعلان كل ما يعلمهُ سواء كان من اعلانهِ نفع او ضرر

(٥) التعليم

هل المقدرة على التعليم طبيعية او اكتسابية

ج طبيعية ولكنها تقوى وتتدرب بتعلم اساليبهِ والتمرن عليها

(٦) تعريب كلمة

ومنهُ ما احسن كلمة لتعريب الكلمة الانكليزية Cooperation

ج يختلف معناها حسب موقعها فتأتي بمعنى جمعية او شركة او اشتراك او تعاون وتطلق على الجماعات الذين اتفقوا على ان يعاون بعضهم بعضاً في الاعمال سواء كانت صناعية او تجارية ويقتسمون ربحها . ويحسن في هذه الحال ان تطلق عليهم كلمة شركة

(٧) كتب سبنسر

باكوس . محمود افندي توفيق . هل نقل شيء من كتب سبنسر الى العربية

ج اعلنا قبلاً ان حضرة نجيب بك شقرا ترجم كتاب سبنسر في التعليم وشرع في طبعهِ وكتب الينا الآن حضرة فارس افندي الخوري من دمشق انهُ شرع في ترجمة كتاب سبنسر في مبادئ السيسولوجيا وهو في ثلاثة مجلدات كبيرة تملأ نحو الفي صفحة بقطع المقتطف. ولا نعلم ان احداً ترجم كتاباً آخر من كتبهِ الى العربية . اما سؤالكم عن ثمن بعض الكتب فنجيب عنهُ انهُ يصعب علينا ان نجيب كل من يسألنا عن اثمان الكتب ونفضل ان لا نفتح علينا هذا الباب لاسيما وان باعة الكتب مستعدون للاجابة عن كل سؤال من هذا القبيل

(٧) افيد كتاب

ومنهُ . ما هو افيد كتاب لمن يريد ترقية عقلهِ وتوسيع دائرة تصوُّرهِ

ج لقد اتسع نطاق المعارف جداً حتى يتعذَّر علينا ان نشير عليهِ بكتاب واحد فان كان يحسن الانكليزية او الفرنسوية ففي كل لغة منهما سكلوبيذيات مختصرة كسكلوبيذيا تشمبرس في الانكليزية وبوليه في الفرنسوية وكلٌّ منهما يفي بالغرض

(٩) اصل الموز

مصر . الشيخ عزب التفهني . قرأت في كتاب الرحَّالة عبد اللطيف البغدادي ان شجر الموز مركب من القلقاس ونوى النخل تجعل النواة في جوف القلقاسة وتغرس فهل هذا صحيح

ج كلاَّ . وهذه النباتات الثلاثة من فصائل مختلفة يستحيل ان يتولد بعضها من بعض بيد الانسان

(١٠) ابواب المقتطف

بيروت المدرسة الكلية . اندراوس افندي الشختانيري . في المقتطف سبعة ابواب باب المراسلة والمناظرة وباب الصناعة الخ . وهذه الابواب على اختلاف مواضيعها تأتي في كل جزء متسلسلة الارقام كأنها كتاب واحد أفلا يوافق جعل كل باب منها مستقلاً بارقامهِ كالرواية التي تنشر في اواخر كل عدد حتى اذا انتهت السنة ورام المشترك تجليد الاعداد فصل الابواب كل باب على حدة كما يفعل الآن بالرواية

ج لو فعلنا ذلك لاضطررنا ان نجعل كل باب ثماني صفحات تماماً او ست عشرة صفحة . والتقيُّد بجعل الكلام يملأ صفحات محدودة لا يزيد عليها ولا ينقص عنها صعب جداً ولا يحسن ختم الكلام في آخر الصفحة قبل ان ينتهي المعنى



اتفاق انكلترا وفرنسا على مصر

من اكبر مضار الحكم الاستبدادي ومنافعهِ ان خطأ الحاكم يضرُّ بالرعية كلها كما ان اعتداله وحسن سياستهِ يفيدانها كلها. ومن حسنات الزمان ان يتحوّل الضرر العاجل الى نفع آجل كما حدث في هذا القطر فان اسراف الخديوي الاسبق حمَّل هذا القطر حملاً ثقيلاً من الدين تنوءُ تحتهُ مملكة كبيرة لكن هذا الدين دعا الى الاحتلال والى ما نراهُ الآن من حسناتهِ . وقد بقيت ايدي المحتلين مغلولة بالقيود المالية لا تستطيع ان تنفق ما يزيد من دخل الحكومة على ما يرقي شؤُون الاهالي الى ان تمَّ الاتفاق اخيرًا بين انكلترا وفرنسا على كسر القيود القديمة واطلاق ايدي الحكومة المصرية حتى تنفق فضلة دخلها على ما ترى فيهِ مصلحة لبلادها وتستلم ايضًا الاموال المجموعة الآن في صندوق الدين ولا تبقي فيهِ الاَّ نحو مليوني جنيه مالاً احتياطيًا . ولا بدَّ من ان تستخدم هذهِ الاموال كلها مع ما يزيد من دخلها سنويًّا لعمل الاعمال النافعة التي يزيد بها تقدم البلاد ماديًّا وادبيًّا

واتفق ان السر الدن غورست مستشار المالية السابق الذي كان لهُ يد في هذا الاتفاق بين انكلترا وفرنسا حضر الى مصر مودِّعًا فاولم لهُ اصدقاؤُهُ وليمة فاخرة حضرها جمهور كبير منهم ووقف فيها اللورد كرومر خطيبًا فقاه بالخطبة التالية معربًا فيها عن خطة المحتلين التي اتبعوها في مصر وعن فائدة هذا الاتفاق الاخير بينهم و بين فرنسا لهذا القطر قال ما تعريبهُ

اذن لي عطوفة رئيس النظار في مخاطبتكم بكلمات قليلة . وقد بنيت حقي في هذا الخطاب على كوني قد وجدت ما لم يجدهُ غيري من الفرص السانحة لقدر خدمة السر الدن غورست لهذا القطر حق القدر . فانهُ من الفئة الصغرى من اولئك الاوربيين الذين قضوا الاعوام والسنين وهم ينفذون السياسة التي شعار اهلها « مصر للمصريين » لا بالمعنى الذي قد يتبادر الى بعض الاوهام بل بالمعنى الذي تكون بهِ الآن وايضًا في مستقبل الزمان سياسة يمكن العمل بها ونفع كل من في مصر بفوائدها على اختلاف شؤُونهم وتعدد مصالحهم . وهذه السياسة ليس مضمونها ان حكام مصر كلهم لا يكونون الاَّ من المصريين الوطنيين بل مضمونها ان المحك الذي تحك

بهِ كل مسأَلة مصرية لكشف جوهرها ومعرفة كنهها هو البحث والاستعلام لمعرفة قدر ما فيها من الموافقة لمصالح السكان في بر مصر على اختلاف اجناسهم واديانهم ونحلهم ومللهم

سادتي — قال رجل من اعقل ارباب السياسة الذين نبغوا في انكلترا ان اعظم امر يجب على رجال الاصلاح توجيه انتباههم اليهِ هو تعيين الامور التي لا يصلحونها [1] . ورأيي من قديم الزمان الى الآن هو انهُ يجب على كل اوربي تقلَّد منصباً اداريًّا سامياً في الشرق ان يجعل قول ادمند برك هذا نصب عينيهِ دائمًا . فان الشواهد عديدة في تاريخ انكلترا بل في تاريخ غيرها من البلدان الاوربية التي لها املاك شرقية على ان اغفال ذلك الحكم الصحيح افضى الى عواقب وخيمة مع ان اغفالهُ كان مقترنًا باحسن نية واخلص طوية . وعندي ان احق دعوى تقام على عد السر الدن غورست من المصلحين المفلحين هي كونهُ قد ادرك حق الادراك "ان الشرق شرق والغرب غرب" وهذا الحكم وان كان كل احد يسلم بصحتهِ نظرًا لكني وجدت انهُ قد ينسى عملاً اما لفقد قوة الخيال السياسي او لاسباب اخرى

على اني لا اطيل الكلام في هذا الموضوع الكثير المادة الجليل الفائدة لعلي انكم ترومون ان يكون كلامي على العمل العظيم الاهمية الذي كان السر الدن غورست يعملهُ اخيرًا فاقول بالايجاز

سادتي — ان الحاضرين من ابناء وطني بينكم قد يتذكرون قول ولكس الخطيب وزعيم العامة المشهور للملك جورج الثالث . قال «تعلمون جلالتكم اني لم اكن قط في عمري من اتباع ولكس» . فهذا القول يصح لي انا ايضاً ان اقول مثلهُ مهما كان في قولي من الغرابة لاني وان اكن اعدُّ بمثابة شخص الاحتلال البريطاني لمصر منذ زمان طويل فالحق اني لم اكن قط في عمري احتلاليًّا ذا حمس وشغف بالاحتلال ولكني رأيت اننا بعد ما وضعنا يدنا على المحراث لم يبقَ لنا سبيل الى النظر الى الوراء [1] . وقد أُدركت الفوائد التي استفادها المصريون انفسهم وكل الذين لهم علاقة بمصر من هذا الاحتلال اذ لا يجهل احد تلك الفوائد الاَّ من اغمض عينيهِ عن رؤيتها عمدًا

اما الفوائد التي استفادتها الامة البريطانية من هذا الاحتلال ففيها نظر لانها ليست واضحة كالفوائد التي استفادها المصريون منهُ وهي في نظري اثنتان الاولى اننا ربحنا ربحاً ادبيًّا لا اقصد الحط من قيمتهِ باصلاحنا بلادًا لها في التاريخ شأن عظيم بعد ان كانت

(١) (المترجم) لان الذي يعين ما لا يجب اصلاحهُ يعين حتماً ما يجب اصلاحهُ ويصلحهُ

(١) (المترجم) اشارة الى آية الانجيل الواردة في لوقا ٩ : ٦٢

على شفا الخراب · والثانية اننا منعنا شؤون مصر المحلية من ان تكون مصدرهم وقلق ومشاغل ومحن لنا ولسائر اوربا · ولكنا خسرنا على ربح هاتين الفائدتين العظيمتي القيمة فائدة اخرى تساويهما في القيمة فان احتلالنا لمصر افضى بحكم الضرورة الى وقوع الجفاء والبعاد بيننا وبين الامة العظيمة التي هي اقرب جاراتنا والتي يتمنى كل عاقل من رعايا ادورد السابع ان يكون على حب ووئام معها ويهم كل عاقل منهم دوام الصداقة والمودة بيننا وبينها

سادتي — اني قضيت في مصر واختبار اهلها ما ينيف على ربع قرن وشهدت الزمن الذي كانت انكلترا وفرنسا تسيران فيه هنا يدًا بيد · وقد طالما تذكرت تلك الايام والاسف ملء الفؤاد ولكني لم اقطع الامل من ان تسنح الفرصة يومًا لا لاعادة النظام الذي كان متبعًا في هاتيك الايام اذ قد اصبح غير قابل للاعادة الآن بل لاعادة الصداقة والوئام اللذين كانا اساس ذلك النظام

وقد اجهدت نفسي لبلوغ هذه الغاية في العشرين سنة الماضية · اننا نحن الفرنسويين والانكليز قد تخاصمنا وتنازعنا وربما كان لكل امة من الامتين حق في الشكوى من الأخرى ولكني لا اتعرض لذلك وانما اقول بضمير خالص واؤكد بذمة طاهرة اني كنت دائمًا افرغ وسعي في فض كل مشكل محلي يقع بيننا ويكون فضهُ في طاقة يدي على وجه لايكدر صفو العلائق بين الامتين ولا يوسع الخرق الذي كان لسوء الحظ بينهما · وما دام كلامنا في المصالحة اقول اني وجدت في هذه الاعوام الاخيرة مصالحًا وافاني الى منتصف الطريق وهو ذلك الرجل النبيل الذي شق علينا موتهُ اخيرًا اعني بهِ صديقي الفاضل المرحوم ورصيفي المسيو كوجردان الذي يسرنا ان نرى خلفهُ حاضرًا بيننا الآن · فالمسيو كوجردان اذا اجيز لي ذكر خدمهِ — ايها السادة — اقول انهُ ادى الخدم الجليلة ليس لبلادهِ فقط بل لمصر ايضًا وللعلائق الدولية كذلك · فانهُ اعان احسن اعانة في تحويل تلك العلائق الدولية عن "الخطوط الضيقة الى الخطوط الواسعة"

ان رجال السياسة وارباب المناصب في الدولة يتمنون كثيرًا ان تصح احلامهم السياسية ولكن قلما يتيسر لهم ذلك في هذه الايام التي اصبح زمام الامور فيها بيد الجمهور ما لم تكن تلك الاحلام مطابقة لمجرى الرأي العام كما جرى في السنة الماضية · فان زيارة الملك ادورد السابع لباريس وزيارة رئيس الجمهورية الفرنسوية للندن فتحتا عيون الامتين فجأة على ما يظهر حتى رأتا الحقيقة الاولية البادية للعيان وهو ان الأولى بهما ان تنظرا معًا وتبحثا بحث الاحبة في حل كل

مشكلة تختلفان عليها لان ذلك خير لهما من ان توسع كل منهما اختها تعنيفاً ولوماً وتنديداً وذماً فحينئذٍ قام الذين يدبرون الامور وراء الستور وتولوا ذلك الامر مستبشرين بالنجاح وقد تم لهم هذا النجاح الان. واقول ان الفضل في كثير من ذلك كان للسر الدن غورست على ما ابدى من الحذق والحصافة في ما يختص بشؤُون وظيفتهِ من فروع ذلك الموضوع واخص اسماً آخر بالذكر مع ذكر اسمهِ وهو المستر برانيت فانهُ اقدم على الدكريتات الخديوية التي كان القانون المالي المصري منها حينئذٍ والتي كانت تشبهُ في اختلاطها الاجمة الملتفة الاشجار المشتبكة الاغصان فتجشم المشاق وقاسى الأتعاب حتى استخرج منها قانوناً بسيطاً مفهوماً

ولست اقصد ايها السادة ان اقدم على عمل يعد من قبيل العبث في ذاتهِ ولا يكسب عاملهُ شكر غيرهِ وهو تعيين المزايا التي امتاز بها نصيب كل امة من الامتين في الاتفاق الذي عقدتاهُ حديثاً وانما اقول انني ارجو ان هذا الاتفاق يكون اساساً لصداقة دائمة بين فرنسا وانكلترا صداقة تنفعهما وتنفع العالم بأسرهِ معهما. واقول وأؤكد بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن جميع ابناء وطني في مصر اننا لا ندخر وسعاً في اجتناب كل الاسباب الجزئية المؤدية الى سوء التفاهم والاختلاف مما يمكن ان يكون قد وجد هنا قبلاً.

ولا ريب عندي ان تقدُّم مصر يسهل كثيراً في المستقبل بهذا الاتفاق الذي امضي الان تخلد للمسيو دلكاسي واللورد لنسدون صيتاً لا يزول على مرّ الزمان. لانهُ يكسب الحالة المصرية من الثبات والمتانة ما لا يتيسر لها من دونهِ. ويتوقف تقدُّم مصر ايضاً على امور أُخرى اخصها ما يأتي

اولاً سمو الامير ونظارهِ وحسن ميلهم. فقد سمعتم ما القاهُ رئيس نظار سموهِ على مسامعكم وكلنا يعلم انهُ اذا قال عطوفة مصطفى باشا فهمي قولاً فهو يعني ما يقول. واني واثق من ان عطوفتهُ قام بالواجب فعبر عن عواطف الجناب العالي نفسهِ

ثانياً الحصول على خدمة عدد قليل من الموظفين الاكفاء السامي المدارك كالسر الدن غورست والمستر فنسنت كوربت الذي هو خير خلف لهُ وحفظ التقاليد التي آلت اليهِ

ثالثاً واخاف ان هذا الامر الثالث الذي يتوقف عليهِ تقدم مصر يخيب آمال البعض منكم — الاستمرار على الاقتصاد الشديد في ادارة مالية الحكومة — فاني ارى الناس عموماً يتصورون انهُ اذا وافقت سائر الدول على الاتفاق المعقود بين فرنسا وانكلترا تيسر للخزينة المصرية ان تتصرف باموال طائلة من الايراد السنوي ومن الاموال التي تصرف وتحسب من رأس المال. وهذا صحيح ولكني ارجو ان رؤَساء المصالح الاميرية وغيرهم من

الذين تهمهم الامور المصرية لا يتوهمون من ذلك ان مصر بلغت ابان نعيمها واوج سعادتها المالية اذ هي لا تزال بعيدة عن ذلك بمراحل كثيرة . والمأمول ان التقاليد التي اثبتها السر الدن غورست والسر ادجر فنسنت والسر الون بالمرقبله تدوم بعد ذهابهِ . على اني ارجو ان يبسط الكف بعض البسط حيث تمس الحاجة الى بسطها جدًّا ولكن الحذر من الاسراف والتبذير والسهر على الحرص وحسن التدبير يدومان على ما كانا من الشدة . وانما اعلق الامل بامر واحد وهو ان احدى العبارات القليلة التي اعلمها من العبارات المصرية العامية وهي قولهم (مافيش فلوس) لا تبقى من الان فصاعدًا تحطُّ كلام الخزينة المصرية

لم يبقَ عندي ما يقال سوى انا نحن الذين تقادم عهد معرفتنا للسير الدن غورست في مصر نتمنى لهُ كل نجاح في المستقبل العظيم المفتوح امامهُ . وان كان مسير ذلك المستقبل على منهج مالي فنحن ندعو لهُ ان يكون مستقبلهُ دائمًا في بلاد يزيد ايرادها على نفقاتها كالزيادة المصرية التي هي من مستنبطاتهِ . على انهُ مهما كان من امرهِ في المستقبل فانهُ يحق لهُ ان يلتفت دائمًا الى ما عملهُ في هذا القطر ويتذكرهُ جذلاً مسرورًا

كلنا ايها السادة المتعاونون على العمل معًا قد ضربنا قوات التأخر والتقهقر في هذا القطر ضربة لا قيام لها منها وان كانت انكلترا تقوم بالواجب عليها لنفسها ولمصر وللعالم المتمدن — وانا واثق بقيامها بذلك الواجب — فقوات التأخر لن تجد الى القيام من تلك الضربة سبيلاً . انتهى

الظواهر الفلكية في شهر مايو

اوجه القمر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاخير	٧	١	٥٠	بعد الظهر
الهلال	١٥	٠	٥٨	" "
الربع الاول	٢٢	٩	١٩	" "
البدر	٢٩	١٠	٥٥	قبل الظهر

السيارات

عطارد — نجم المساء في اوائل الشهر ثم يدنو من الشمس ويصير نجم الصباح في اواخر الشهر

الزهرة — تشرق الساعة ٤ ونصف صباحًا

المريخ — لا يرى بسهولة لقربهِ من الشمس

المشتري — يشرق قبل الشمس بنحو ساعة ونصف

زحل — يشرق بُعيْد نصف الليل

الثوابت

الصور الجنوبية . تشرق السنبلة الساعة التاسعة مساء واكبر نجومها السماك الاعزل وتحتها الغراب وفيهِ منقار الغراب والكوكبان المسميان بالحبا . ويكون قنطورس قرب الافق .

ومن لقصرفا فوق جنوباً يرى الصليب الجنوبي على الهاجرة

تلغراف بجوت

جورج بجوت Piggott شاب اميركي اكتشف طريقة لتوليد امواج كهربائية تنتقل من مكان الى آخر من غير اسلاك معدنية ومن غير اعمدة تنصب في الجو كالاعمدة التي تستعمل في تلغراف مركوني . وقد ارسل الاشارات التلغرافية بها مسافة ٣٠٠ ميل من غير اسلاك . وعندهُ ان الاثير صلب كالمعدن فاذا تغيَّر وضع دقيقة منهُ في جهة من الجهات تغير وضع كل دقيقة اخرى منهُ فيشعر بتغيرها في كل مكان اذا وجدت آلة شديدة الشعور تشعر بذلك . وقد استنبط آلة شديدة الشعور لذلك

اسرع البنادق

استنبط رجل اميركي اسمهُ مكليان بندقية تطلق ١٥٠٠ طلق في الدقيقة الواحدة ومدفعاً يفعل هذا الفعل ويصيب الغرض على ثلاثة اميال . فاذا تسلح الف جندي بهذه البنادق اوالمدافع حصدوا الجيوش بها حصداً

العنبر الشمالي

يندر وجود العنبر في الحيتان الشمالية لكن قُتل حوت في الصيف الماضي بين اسلندا ونروج وجد فيهِ قطعة من العنبر زنتها اربعة ارطال ونصف اي نحو ٦٥٠ درهماً وثمن الدرهم من العنبر الجيد نحو ثلاثين غرشاً

انحلال عنصر

من العناصر المعدودة بسيطة عنصر الثوريوم وقد مرَّ الكلام عليهِ في اوائل هذا الجزء لكن ظهر للاستاذ برونر المجري منذ سبع سنوات انهُ غير بسيط بل يمكن حلهُ الى عنصرين مختلفين وقد تبين الآن انهُ مركب من عنصرين الكارولينيوم والبرزليوم

عيون اجراء الحيوان

انتبه بعض الباحثين في طبائع الحيوان الى ان اجراءهُ تفتح العين اليمنى قبل اليسرى وذلك مطرد في كل الحيوانات التي تولد صغارها مغمضة العينين . والغالب ان العين اليمنى تفتح قبل اليسرى بست وثلاثين ساعة الى اربعين ساعةً

سكان اميركا

احصي سكان الولايات المتحدة الاميركية في آخر العام الماضي فبلغ عددهم ٧٩٩٠٠٠٠٠ اي نحو ثمانين مليون نفس فزاد اربعة ملايين عما كان عليهِ سنة ١٩٠٠ . وكان عددهم سنة ١٨٠٠ نحو خمسة ملايين نفس لاغير وسنة ١٨٥٠ نحو ٢٣ مليوناً وسنة ١٨٨٠ نحو خمسين مليوناً فزادوا في مئة سنة نحو ١٥ ضعفاً واذا استمرت زيادتهم على هذا النسق مئة سنة اخرى بلغوا في آخر القرن العشرين الفاً ومئتي مليون من النفوس وذلك ضرب من المحال لان

المقتطف

الجزء السادس من المجلد التاسع والعشرين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٦ ربيع الاول سنة ١٣٢٢

هذه الحرب ورجالها

قضى الماليون في اوروبا واميركا لبانتهم من اليابان فدانوها المال بزباً فاحشاً وارتهنوا جمارکها بخالفت وصية سبنسر ونسيت ما تعلمته من مصر وستجني من ذلك العلقم ولو كان رجالها احكم من النمل واشد بأساً من الحديد . ولقد قصَّ علينا الخيال الرواية التالية قال :

دخلت غرفة فاخرة الاثاث والرياش في قصر من قصور لندن ام المدائن فرأيت فيها ثلاثة رجال جلوساً حول مائدة وامام احدهم آلة التلغراف يخاطب بها الماليين في اميركا وامام آخر آلة التلفون يخاطب الماليين في باريس وفينا وبرلين ودار بين الثلاثة الحديث التالي

الاول — ان دخل الجمارك في اليابان مليون وستمئة الف جنيه حسب تقدير الميزانية هذه السنة وهو ليس مرهوناً فيصلح ان يكون رهناً لعشرة ملايين جنيه بل لعشرين مليوناً ولذلك لا ارى بأساً في اقراضها المبلغ المطلوب

الثاني — وهل قبلت ان تدفع ستة في المئة

الاول — المرجح انها تقبل اذا اصررنا على ذلك وقد بذل سفيرها جهده ليجعل الربا خمسة فقط فابنت له ان ذلك ضرب من المحال في الاحوال الحاضرة

الثاني — وبكم يصدر القرض

الاول — اراد السفير ان نصدره بسبعة وتسعين ونزل الى خمسة وتسعين فابيت وعرضت اصداره بتسعين واخيراً اتفقنا على اصداره بثلاثة وتسعين اذا وافقتموني على ذلك فيصير الربا نحو ستة ونصف في المئة

فضحك الثاني وقال بارك الله في الحروب لولاها ما كان يمكن ان تصح النبوءة القائلة اننا نرجع بثروة الامم

الثالث — ولكن كتب اليَّ عميلي من بطرس برج ان الروس لا يمكن ان يرجعوا بالفشل ولا بدَّ لهم من قهر اليابان واذلالها مهما اقتضت هذه الحرب من الرجال والمال

الاول - قد يكون ذلك وقد لا يكون ولكن هَبْ ان روسيا امتلكت اليابان وهو امر بعيد الوقوع جدًّا فان حقوقنا على الجمارك تبقى محفوظة لا تمس

الثالث — الى كم تحتاج اليابان بعد ذلك يا ترى

الاول — اليابانيون على غاية الاقتصاد في ما ينفقونهُ من بلادهم . ولا يضطرون ان ينفقوا كثيرًا الأ على ما يبتاعونهُ من اوربا واميركا كالبوارج والمدافع ولكن لا يبعد ان يحتاجوا الى عشرين مليونًا اخرى قبل انتهاء الحرب وهب انهم احتاجوا اليها فعندهم مكوس الاشربة الروحية تبلغ في السنة ستة ملايين وستمئة الف جنيه وقد تقلُّ كثيرًا بعد الحرب ولكن يبقى منها ما يزيد على ربا الدين ولو بلغ اربعين مليونًا من الجنيهات وليس عليهم الآن دين اجنبي سوى عشرة ملايين من الجنيهات ورباها اربعة في المئة فقط

الثالث -- وقعت في ما كانت تحذر الوقوع فيهِ ولا ادري لمن الفضل الاكبر في ذلك

الاول — الارتهان يجرُّ الى المراقبة والمراقبة لا تضرُّها وقد تنفعها كما نفعت غيرها . هذه مصر نجحت تحت المراقبة نجاحًا لم يحلم بهِ اهلها ولا حلمنا بهِ نحن

الثاني — ولكن شتان بين مصر واليابان ومع ذلك فنحن لا يهمنا من امر الامم الأ ان تكون اموالنا مضمونة وان يُدفَع رباها في مواعيدهِ فان صحَّ ما قلتَ عن دخل جماركها فلا ارى مانعًا من اقراضها عشرة ملايين من الجنيهات بستة في المئة

واتفق الثلاثة على رأي واحد وخاطب صاحب التلغراف شركاءهم في نيويورك وصاحب التلفون شركاءهم في باريس وڤينا وبرلين . وفي اقل من ساعة جاء منهم الجواب بالايجاب وأُمضي الامر وكتب الكاتب قرارهم وسار بهِ الى سفير اليابان

على هذه الصورة او ما يماثلها اقرض الماليون ممالك الارض خمسة آلاف وخمس مئة مليون من الجنيهات وجلسوا في بيوتهم يتقاضون رباها مئتين وعشرين مليونًا كل سنة يبنون بها القصور الباذخة واليخوت الفاخرة ويتنعمون باطايب الحياة والف مليون من بني آدم يكدحون نهارًا وليلاً لكي يوفوا ربا هذا الدين هذه هي السياسة المالية التي خضعت لها الممالك في هذا العصر. يقيم المرابي في هذه العاصمة ويرسل عملاءهُ الى بلد من بلدان الفلاحين يحسّن لاهلها الدين منهُ ويغريهم بهِ بكل واسطة ثم يرتهن املاكهم ضمانًا لربا دينهِ فيشاطرهم جنى يدهم وارضهم ويعيش متنعماً كذلك يفعل ارباب الاموال بالممالك. وسيفعلون بالروس كما فعلوا باليابان

فيدينونهم كلّ ما يستطيعون ان يوفوا رباهُ فان الرومي يدفع الان من ربا دين حكومتهِ ٢٢ غرشاً في السنة والايطالي يدفع نحو ٧٠ غرشاً والمصري نحو اربعين غرشاً والسربي نحو ثلاثين غرشاً فيحتمل ان يزيد دين روسيا مئتي مليون جنيه او ثلثمئة مليون ولا يكون اثقل من دين حكومة مصر على اهاليها فان لم تستدن منهم المال لما يُزيّن لها من انشاء سكك الحديد استدانتهُ لهذه الحرب وامثالها

وقد بسم الدهر في الشهر الماضي للروس كما بسم في الذي قبلهُ لليابان لكي تكون الحرب سجالاً كأنهُ طوع امر الماليين فبسم لليابان حتى يسر لهم اصدار القرض الياباني . وهو يبسم الآن للروس حتى يتيسر لهم اصدار القرض الرومي . اصدروا القرض الياباني المئة الجنيه بثلاثة وتسعين جنيهاً اي اخذوا منها سنداً بمئة جنيه عن كل ثلاثة وتسعين جنيهاً دفعوها اليها ثم باعوهُ للجمهور بستة وتسعين جنيهاً او نحوها فربحوا ثلاثة جنيهات . وبعد مدة يوقعون المشاكل ويخلقون العراقيل فتهبط قيمة هذه السندات وتبلغ ثمانين او سبعين او اقل فيبتاعونها ثانية ويحفظونها في خزائنهم ويأخذون رباها المقرر ستة في المئة فيكون ثمانية او تسعة في المئة بالنسبة الى الثمن الذي دفعوهُ . وهذا شأنهم في كل معاملاتهم المالية يوجدون السبب الموجب لاستدانة المال اذا لم يوجد من نفسهِ ويبيعون سنداتهِ باغلى ثمن ثم يوجدون سبباً لرخصها فيبتاعونها ثانية ويبذلون جهدهم في منع المستدين من ايفائها

***

اطلعنا على مقالة مسهبة لكاتب ضلعهُ مع الروس وهو المستر هنري نورمن احد اعضاء مجلس النواب الانكليزي اورد فيها اموراً لا تبعد ان تكون حقائق مقررة فاقتطفنا منها ما يلي كما اقتطفنا قبلاً اموراً اخرى من كتاب ضلعهم مع اليابان

قال انهُ لما حلّ ما حل بالاميرال ماكاروف اضطربت روسيا كلها واخذتها الرعدة كما اضطربت انكلترا في بداءة حربها مع البوير ولكنها نهضت حالاً كما نهضت انكلترا وصممت على متابعة الحرب الى نهايتها مهما بذلت من الرجال والمال

وهذا امر لا بدّ منهُ ولا غنى عنهُ وهو لا يخفى على اهالي انكلترا واميركا . ولقد اخطأت اليابان لانها لم تقدرهُ من اول الامر . اما روسيا فخطأها الاكبر انها انفقت اموالها على اصلاح منشوريا بدلاً من ان تنفقها على تعزيز ثغورها وانشاء الحصون المنيعة فيها فلو انفقت الاموال التي انفقتها على بناء دلني وخربين في انشاء الحصون والبوارج لما تجاسرت اليابان على منازلتها . فقد اخطأت روسيا كما اخطأت اليابان ولكنهما اخطأتا في جهتين مختلفين الاولى لم تتأهب

لهذه الحرب والثانية لم تحسب ان خصيمتها لا يمكن ان ترجع عنها مقهورة وتبقى في مصاف الدول
ولا بد لروسيا من ان تبذل كل مرتخص وغالٍ لكي لا تخرج من هذهِ الحرب بالفشل ولو اضطرت ان تسفك كل نقطة من دمها وتنفق كل درهم في خزائنها وخزائن شعبها وتضرم نيران الفتنة في اوربا كلها ولذلك فغرق ماكاروف وسقوط بورت ارثر واندحار الجنود الروسية على نهر يالو وفي نيوشوانغ لا يعدُّ شيئاً بالنسبة الى روسيا لانها تجمع جنودها في مكدن ثم في خربين ثم في بيكال وتحارب اليابان سنة وسنتين وثلاث سنوات وخمس سنوات اذا دعت الحال الى ذلك وتضرم نار الحرب في بلاد فارس وافغانستان والبلقان وتخرج من هذهِ المعارك اما ظافرة واما خائرة القوى غير مثلومة العرض ولكن رضاها بالهزيمة من وجه اليابان موت ادبي لها

وقد يقال ان اليابانيين لم يدخلوا غمار هذه الحرب على غرَّة لان رجالهم من احكم رجال السياسة بل قد قدَّروا من اول الامر انهم سيقهرون الروس في بورت ارثر ومنشوريا فيستخلصون منشوريا من يدهم ويردونها الى الصين ويكتفون بابقاء سيطرتهم على كوريا ويفتحون ابواب التجارة فيها وفي منشوريا للدول الاوربية اجمع وللولايات المتحدة معها فتجتمع الدول كما اجتمعت في مؤتمر برلين وتقوم كلها في وجه روسيا وتضمن سلامة الصين كما ضمنت سلامة تركيا فتضطر روسيا الى الرضوخ لحكمها وتعود اليابان فتستعمر كوريا وتصير في مصاف الدول الاوربية

لكن اذا كانت اليابان قدَّرت هذا التقدير قبل الحرب فيكون خطأُها فيهِ اشد من خطإِها الاول لان روسيا جاهرت في اول هذه الحرب انها لا تقبل وساطة الدول ولا تعرضهنَّ لها كما تعرَّضن لها في حربها مع تركيا. ثم ان اتفاق الدول على مثل ذلك ضرب من المحال لان الدول التي تستطيع التعرض هي انكلترا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة اما فرنسا فيستحيل ان تتعرض لروسيا بسوءٍ وهي حليفة لها واما المانيا فيبعد عن الظن جدًّا ان تفعل ذلك بل هي باذلة جهدها في التقرُّب من روسيا وابداء المودة لها ولا يبعد ان تنصرها في اول فرصة تعرض لها لان روسيا قادرة ان توفيها وتكيل لها الصاع صاعين عن كل معروف تفعلهُ معها

ويبقى انكلترا والولايات المتحدة فاذا اظهرتا العداء لروسيا فان روسيا تشهر الحرب حالاً على انكلترا في جهات الهند واسطول انكلترا واسطول اميركا لا يجديان نفعاً لانهُ لا يبقى لروسيا اسطول في بحار المشرق حتى ينازلاهُ واسطولها في اوربا يتحصن في كرنستت فلا يمكن الوصول اليهِ وتزحف روسيا بنصف مليون من جنودها على بلاد فارس وافغانستان ولا يطول المطال على الاميركيين حتى يتضح لهم ان فوز اليابان مضرٌّ بهم لانها اكبر مناظر لهم في

الصناعة والتجارة فيتنحّوا عنها

هذا اذا فازت اليابان فوزًا تامًّا وانتصرت نصرًا مبينًا ولكن هب انها لم تفز كما تنتظر وافرغت ما في وطابها من الجنود والنقود فان روسيا تعود فتزحف على منشوريا وكوريا وعلى جزائر اليابان نفسها ويكون اسطولها في البلطيك قد تم وتجهّز فيمضي الى بحار المشرق وهو اقوى من اسطول اليابان من بعض الوجوه . واذا حدث ذلك تشرع الجرائد تطلب توسّط الدول ولكن اي دولة تجيب هذا الطلب فان فرنسا لا تجيبهُ والمانيا احبّ ما عليها ان ترى دولة اخرى يحملها الغرور على التعرض لما لا يعنيها . والولايات المتحدة تطلب التوسط كتابة ولكنها لا تقدم عليهِ فعلاً وتبقى انكلترا فاما ان تخوض غمار الحرب مع الروس في كل اسيا او تحجم عن اليابان في موقف الشدة

وافاض الكاتب في هذا الموضوع وخطّأ حكومة بلادهِ في اتفاقها مع اليابان ثم قال ان الرأي العام في انكلترا متجه الآن الى مجاملة روسيا

واتبع ذلك بمقالة اخرى وصف فيها ما شاهدهُ في خزائن روسيا من الاموال الوفيرة فانهُ زار خزائن بنك روسيا ورآها ملأى بسبائك الذهب وفي ارضها اكياس مملوءة بالنقود الذهبية في كل كيس منها ستة آلاف قطعة من الذهب قيمة القطعة منها خمسة روبلات . ويظهر من حساب البنك في اواخر شهر مارس الماضي انهُ كان فيهِ حينئذٍ ما يساوي ٦٢ مليونًا و٧٦٦ الف جنيه وذلك من المال الاحتياطي وفيهِ وفي فروعهِ عدا ذلك ما يساوي ٣٤ مليون جنيه نقودًا وللحكومة في بنوك اوربا نحو ١٤ مليون جنيه فجملة الذهب ١١٠ ملايين جنيه تستطيع الحكومة الروسية ان تنفق منها ٥١ مليون جنيه من غير حرج اي من غير ان تأخذ دينارًا من الذهب الاحتياطي الذي يحفظ في البنك ضمانًا لنقود الورق

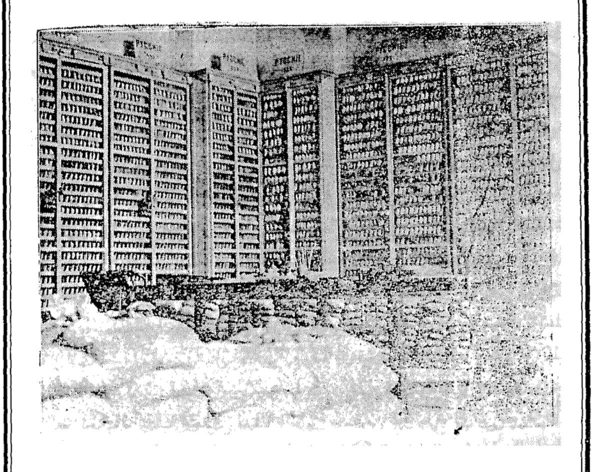
وصوّر بعض خزائن البنك صورًا فوتوغرافية فنقلنا صورةً منها كما ترى في الصفحة التالية

وكتب كاتب انكليزي آخر في مجلّة جديدة انهُ لا بدَّ لانكلترا من ان تشتبك في هذه الحرب لانهُ ان كان الفوز لروسيا صار لها النفوذ الاول واليد العليا في اسيا كلها وهذا لا ترضى بهِ انكلترا . وان كان الفوز لليابان فلا بدَّ لفرنسا او لالمانيا او لكلتيهما من الدخول في الحرب وجر انكلترا اليها . والخوف الاكبر من المانيا لانهُ لا بدَّ لها من ان تبذل جهدها لتشبك الانكليز في هذه الحرب

وسئل ثلاثة من نخبة القواد الاميركيين عمّا يكون من امر هذه الحرب فقال احدهم وهو الجنرال سيكلس المرجح عندي ان هذه الحرب لا تطول لان روسيا ستجد من المصاعب ما

لاتقوى عليهِ فتجنح الى الصلح اذا عُرض عليها واليابان لا تكون اقل رغبةً منها فيهِ اذا تيسَّر لها اخراج روسيا من منشوريا كما اخرجتها من كوريا

وقال الجنرال ميلس يظهر لي ان هذه الحرب ستطول جدًّا وتكثر نفقاتها و تشتبك فيها بعض الدول الاوربية

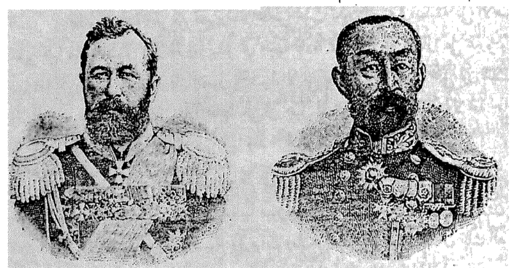


وقال الجنرال هويلر يظهر الآن ان اختيار دار الحرب وقع لروسيا لاَ لليابان وعندي ان هذه الحرب لاتطول الاَّ الى وسط الخريف المقبل حينما تزيد جنود الروس على جنود اليابان زيادة بالغة فتدحرها دحرًا

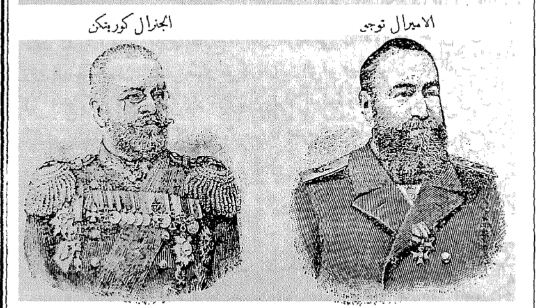
وقال الكاتب السياسي المشهور السر تشارلس دلك انهُ يحتمل ان المانيا تطلب من فرنسا ان تنضم اليها لتساعدا روسيا على اليابان كما ساعدتاها عليها بعد حرب الصين فتحجم فرنسا عن ذلك مخافة من انكلترا فتقوم المانيا وتنضم الى روسيا توًّا فتضطر انكلترا ان تنضم الى اليابان بحكم محالفتها معها وتضطر فرنسا حينئذٍ ان تنضم الى روسيا فتخرج اليابان من منشوريا لانها تجد لها لقمة ادسم في التنكين وتنشب الحرب في اوربا بين الاسطول الانكليزي من جهة

والاسطول الفرنسوي والالماني من جهة اخرى

والظاهر ان هذا رأي كثيرين من نخبة الكتّاب لكن رجال السياسة غير غافلين عن هذه الحوادث ورجال المال الذين في يدهم مقاليد الامور يصرفونها كيف شاءوا فلا يحتمل ان تضام دولة ضيماً يعود عليهم بالخسران



الاميرال توجو — الجنرال كوروبتكن



الاميرال الكسيف — الاميرال سكريدلوف

هذا من حيث الحرب اما رجالها المشهورون الآن فاشهرهم اربعة الاميرال توجو امير الاسطول الياباني امام بورت آرثر والجنرال كروبتكن قائد الجيوش الروسية العام والاميرال الكسيف حاكم منشوريا والاميرال سكريدلوف الذي خلف الاميرال ماكاروف في امارة اسطول الروس في بحار المشرق وقد نشرنا صورهم هنا

التصوير والجمال

ندع الحرب واوزارها ونلتفت الى موضوع آخر نبهنا اليهِ قدوم مصور ماهر في حفر الصور الى هذه العاصمة وهو فن تصوير الاشخاص بحيث تكون الصورة منطبقة على الاصل تظهر فيها هيئة المصوَّر وملامحهُ وما يبدو في وجهه عادةً مما يعرف بهِ ويمتاز على غيرهِ ولا سيما اذا كان جميل الطلعة . فان الصور الشمسية لا تفي بذلك غالباً لانها تخفي لون البشرة وتستر بعض الملامح التي يمتاز بها اصحابها حتى ان جميل المنظر يظهر فيها احياناً ولا لمحة جمال على وجههِ والذي لا يُعدُّ جميلاً يظهر فيها وقد استجمع لهُ الجمال كلهُ

لا يعلم بالتحقيق اي امةٍ سبقت غيرها الى فن التصوير لكن وُجد في المدافن المصرية صور كثيرة من عهد اليونان والرومان بعضها صور رجال وبعضها صور نساء والمصوَّرون في اعمار مختلفة اولاد وشبان وكهول وشيوخ ولهم هيآت وملامح مختلفة فلا يعقل الاَّ ان تلك الصور كانت تمثلهم حقيقةً . هذهِ هي اقدم صور الاشخاص الباقية الى الآن اما تماثيلهم فاقدم من ذلك كثيرًا . ولكن جاء في التاريخ ما يدلُّ صريحاً على ان تصوير الاشخاص كان اقدم من ذلك فقد جاء فيهِ ان بانينوس صوَّر معركة ماراثون التي قهر فيها اليونان جنود الفرس سنة ٤٩٠ قبل المسيح وكان فيها رسوم قواد الاثينيين وقواد البرابرة ولكن لا دليل على ان رسومها كانت منطبقة على الاصل لان المصوّر صورها بعد موت اصحابها ولعلهُ اكتفى برسم ملابسهم واسلحتهم كما كانت او كما يعهد فيها ورسم الوجوه كما يتصوَّرها اهل زمانهِ . ويقال ان المصور ميكون ساعدهُ في تصوير هذه الصورة وجعل قوَّاد البرابرة اكبر قامة من قوَّاد اليونان فغرّم ثلاثين مِنًى اي نحو مئة جنيه فلو كانت الصور حقيقية ما حدث ذلك

واشهر مصوري القدماء ابلّس مصور الاسكندر المكدوني ويقال انهُ صور الاسكندر مرة صورة اعطاهُ عليها ما يزيد على خمسين الف جنيه . ويحكى عن هذا المصور انهُ كان يعرض صورهُ ويقف وراءها مختفياً ليسمع ما يقولهُ الناس في انتقادها فيصلحها واتفق انهُ عرض مرة صورة فمرَّ بها اسكاف وانتقد شكل الحذاء ولما ذهب خرج ابلّس من مخباءهِ واصلح الحذاء كما اشار الاسكاف . ثم مرَّ الاسكاف في اليوم التالي ورأى الحذاء مصلحاً فحملهُ الغرور على انتقاد شكل الساق فخرج اليهِ ابلس وقال لهُ "ابقَ في الحذاء" فذهبت مثلاً

ويقال ايضاً ان الاسكندر زارهُ مرةً في بيتهِ واخذ يتكلم عن التصوير كلاماً يدل على

جهله لهذا الفن فانتهره ابلس وقال اصمت لاني اسمع الاولاد الذين يزجون الادهان يضحكون عليك

وشاع تصوير الناس في زمن الجمهورية الرومانية حتى كان ابناء الاشراف يثبتون نسبهم بمشابهتهم لصور اسلافهم المحفوظة عندهم ولم يكن يسمح لاحد ان يتصور ما لم يكن من الاشراف او من الذين لهم شأن كبير بين قومهم كالمؤلفين ونحوهم. وكان المؤلفون يضعون صورهم في صدر كتبهم كما يفعل بعضهم الآن

ولقد كثر مصورو الاشخاص في هذا العصر ولكن المفلحين منهم قلائل جدًّا . قال بعضهم ان اظهار معاني الوجه اهم ما في فن التصوير فان المعاني تدلُّ على اخلاق الانسان . فيجب ان يصوَّر او يمثَّل وهو في حالة السكينة غير منفعل بانفعال نفساني لان احسن صورة يتلفها اظهار امارة من الامارات التي تعرض للانسان في بعض الاحيان ولا تكون في وجههِ دوامًا ولاسيما اذا ادخلها المصور من تلقاء نفسهِ كأن يصور الفم باسمًا والعينان لا تدلاَّن على التبسم او يصور العينين في هيئة القلق او التفكير والجبين لا يدلُّ على ذلك . ثم ان ملامح الوجه تتوقف على لونهِ كما تتوقف على شكلهِ فاذا لم يحسن المصور وضعها ومحاكاة الطبيعة بها افسد الصورة وهو يحاول اصلاحها

وقال آخر ان حسن الصور يتوقَّف على المصوَّر كما يتوقف على المصوّر فيجب على المصوَّر ان يجلس في حالتهِ الطبيعية غير متصنّع ولا متكلّف شيئًا

ويجب على من تصنع صورتهُ ان لا يلبس ثيابًا يتغيَّر زيها من وقت الى آخر لئلاَّ تستقبحها العين وتستقبح الصورة معها كالعمَّة والطربوش واشكال البرانيط والازياء الغريبة كالاكمام الواسعة التي كان النساء يلبسنها منذ عهد قريب والطراطير التي كنَّ يضعنها على رؤُوسهنَّ في اوائل القرن الماضي وبعض الازياء التي تتغير من عام الى آخر سواء كانت في لبس النساء او في لبس الرجال ولهذا يختار تصوير الرأس والعنق وشيء من الصدر مكشوفة كلها لان الوجه وحدهُ يكفي للدلالة على المرء ولا يزيد تعرفًا بالملابس والحلى . وكل ما يضاف الى الصورة مما يتجه النظر اليهِ يحطُّ من قيمتها كصورة شخص اذ يصير المراد توجيه النظر الى ما فيها من شكل الملابس وانواع الحلى والنياشين . على هذا الاسلوب جرى المصور رنلط الانكليزي الذي كان من ابرع مصوري القرن الثامن عشر في تصوير الاشخاص كما ترى في الصورة المقابلة وهي صورة اختين صورهما على اسلوب بسيط جدًّا اكسبهما جمالاً فوق جمالهما الفطري حتى يضرب المثل بجمال صورتهما

وقد اشتهر في هذا العصر مصور آخر للاشخاص وهو المستر الس روبرتس فلما تجد جميلة من جميلات الانكليز الاَّ وجلست لهُ فصورها صورة او اكثر على غاية البساطة والغالب انهُ يكتفي بتصوير الراس والعنق والنحر وشيء من الصدر واذا صوَّر الجسم كلهُ صوَّر وراءهُ اشجاراً وتلالاً كأَن الشخص المصوَّر واقف في غاب او بستان والبس البدن لباساً رومانياً بسيطاً ولا يضع شيئاً على الراس الاَّ في الصور الخيالية فيختارهُ حينئذٍ مما يزيد بهِ جمال الوجه ظهوراً

ومما يمتاز بهِ هذا المصور انهُ يحدِّث من يجلس لهُ للتصوير حديثاً فكاهياً دائماً ما دام جالساً امامهُ حتى يصورهُ وهو على تمام الرضا والسرور. ولا يكون جمال الوجه على اتمهِ الاَّ حينما يشمل السرور النفس

وما يقال عن مهارة الذين يصورون الاشخاص بالزيت يقال عن مهارة الذين يصورونهم تصويراً شمسياً فان آلة التصوير كالمرآة ترسم المرئيات كما هي تماماً من غير زيادة ولا نقصان الاَّ في اخفائها الالوان وجعلها كلها سوداء او بيضاء . لكن هيئة المصوَّر تختلف كثيراً حسب بشاشة وجههِ او عبوستهِ حالما تؤْخذ صورتهُ وحسب الوضع الذي يجلس فيهِ امام آلة التصوير. والبراعة في ذلك ليست بالامر السهل فلا يشتهر المصوّر ما لم يعرف كيف يجلس زبائنهُ امامهُ وكيف يحكم النور والظل عليهم وكيف يلتفت اليهم ويحادثهم حتى يكون في وجوههم من البشاشة والطلاقة او من العبوسة والصرامة ما هو غالب عليهم

ولبعض النساء جمال رائع برع مصورو الشمس في تصويرهِ حتى صار الناس يتهافتون على ابتياع صورهنَّ. وهنَّ يربحن من ذلك ربحاً طائلاً فمنهنَّ سيدة اسمها مسز لنجتري بيع ثمانمئة الف صورة فوتوغرافية من صورها باعها المصورون وباعة الصور واعطوها جانباً من الربح فبلغ نصيبها منهُ عشرة آلاف جنيه. وسيدة اخرى اسمها ماري اندرصن يباع من صورها مئة الف صورة كل سنة. وفتاة اميركية بيع من صورها في ساعتين من الزمان ما بلغ ربحها منهُ الفي جنيه. وفي بلاد الانكليز الآن ست سيدات تربح كلٌّ منهنَّ من الف جنيه الى خمسين جنيهاً في السنة من بيع صورها . ولا تباع صورة في اوربا كما تباع صورة ملكة الانكليز ولو لاق ان تتقاضى ربحاً من بيع صورها لبلغ ربحها من ذلك الوفاً كثيرة من الجنيهات

ويدخل في هذا الباب حفر الصور باليد او بالوسائل الميكانيكية او الكيماوية حتى تأْتي منطبقة على الصور الزيتية او الشمسية وسنعود الى هذا الموضوع في جزء تالٍ

مدرسة محمد علي الصناعية

لا بدَّ من الصناعة لكل بلاد تريد مجاراة غيرها من البلدان الراقية مراقي الفلاح ولو كانت زراعية محضة كالقطر المصري . لكن ارتقاء الصناعة في البلاد حتى تصير صناعية تكسب من تصدير مصنوعاتها يقتضي ان تكون فيها مواد الصناعة الاصلية كالحديد والنحاس ومحركاتها كالفحم الحجري والمياه المنحدرة من اماكن عالية . فان لم تكن فيها تلك المواد والقوى لم تصر صناعية مهما اهتمت بتعليم الصناعة . وهذا لا يفيد نفي الصناعة منها بتاتاً لانها لا تستغني عنها مهما كان حالها ولذلك فقولنا ان القطر المصري قطر زراعي لا قطر صناعي يفيد انهُ يكتسب من اصدار حاصلاتهِ الزراعية كالقطن والفول والحنطة ولا يكتسب من اصدار الحديد المسبوك والآلات والادوات وسائر المصنوعات التي تناظره فيها البلدان الصناعية . غير ان ذلك لا يعفيهِ من عمل بعض ما يحتاج اليهِ من المصنوعات التي يسهل عملها فيهِ واصلاح ما يؤْتى بهِ اليهِ مما يصنع في البلدان الصناعية . ومجال العمل في ذلك واسع جدًّا والربح منهُ وافر يكفي الالوف من ابناء هذا القطر ويغنيهِ عن كثير مما يؤْتي بهِ من البلدان الاخرى

ولسنا ممَّن يبالغ في فائدة الصناعة لبلاد مجال الكسب فيها من الزراعة اضعاف ما هو من الصناعة ولكننا لا نبخس الصناعة حقها ولا نستحسن اهمال البلاد لها لاسيما وانها مكملة للزراعة ولا غنى للبلاد عنها . وقد مضى الزمن الذي كان الشرقي يعدُّ الصناعة فيهِ عارًا وصغارًا ويترفع عن مخالطة صنّاع بلادهِ ازدراء واحتقارًا واصبح عقلاء الشرقيين يقدرون الصناعة قدرها علمًا منهم بفعلها في ترقية شؤُون الاوربيين وبفضلها في رفاهة عيش المتمدنين فلا يفرقون اليوم بين ابن الحائك وابن المالك . ولارتفاع قدر الصناعة عندهم ومطابقتها لمقتضى احوال هذا الزمان الذي حلَّت فيهِ الآلات الكهربائية والعدد البخارية ونحوها من الآلات المتقنة التي سخرت بها القوى الطبيعية محلَّ الآلات والادوات الساذجة القديمة واسست الصنائع المختلفة على المبادئ العلمية من طبيعية وكياوية وميكانيكية لا على مجرَّد التجربة والاستقراء — اقبل كثيرون من ابناء المصريين على التعلم الصناعي في مدارس القطر الصناعية واولها واقدمها عهدًا مدرسة بولاق الصناعية التي اسسها محمد علي باشا كبير العائلة الخديوية لتعليم احداث المصريين الصنائع المختلفة مدة خمس سنوات متوالية فتخرَّج منها الف وتسعة وستون صانعًا في الخمس عشرة سنة الماضية وفيها الآن ٣٧١ طالبًا

ولا يكاد الانسان يذكر هذه المدرسة حتى يتذكر مدرسة المنصورة الصناعية لانهما

كلتاهما من انشاء الحكومة وكذا المدرسة الصناعية التي انشأتها الحكومة منذ عامين برئاسة جنسن باشا لتعليم الحدادة وخراطة المعادن والنجارة ولا سيما عمل المركبات وصناعة الصفيح وصناعة السروج والاصفان ونحوها مما يصنع من الجلد والدهن بالوان . وعن قريب تفرغ الحكومة من انشاء مدرسة صناعية مثل هذه في مدينة اسيوط ايضاً

فهذه المدارس الاميرية الاربع تدلُّ على رغبة الاهالي في تعلُّم الصناعة وهذه الرغبة تسرُّ محبي الوطن ولكنها لا تشفي غليلاً لانها موقوفة على عناية الحكومة لا على ميل حي نام متأصل في قلوب الامة . ولا مشاحة في ان الحكومة المصرية من ارقى الهيئات لا في الشرق وحده بل في الغرب ايضاً فلا يستعظم منها انشاء المدارس الصناعية ولا يستلزم اتقانها لها ان تكون الرعية نفسها قد تقدمت وارتقت الى درجة تناسب ذلك الاتقان بل لا بد للدلالة القطعية على تقدم التعليم الصناعي في هذا القطر ورغبة الاهالي في تعلم الصنائع ان يكون للامة نفسها يد في انشاء المدارس الصناعية مستقلة عن يد الحكومة فعلاً ولو كانت تستمدُّ منها الارشاد وتكتسب ثمار الاختبار في تنظيمها وادارتها وما شاكل ذلك

وهذا ما قد حصل فان الامة نفسها اظهرت ميلها الحي النامي الى تعلم الصنائع وترقية التعليم الصناعي بسعيها في انشاء المدارس الصناعية مستقلة عما كان من بابها من مدارس الحكومة ومدارس الاجانب المحبين الخير لهذه الامة . وهذه المدارس الصناعية الوطنية منها ما فتح كالمدرسة الصناعية التي انشأها محمود بلشا سليمان في ابي تيج ومنها ما جمع المال له ولم يفتح بعدُ وهو المدرسة الصناعية القبطية والمدرسة المقصودة بالكلام في هذه المقالة وهي مدرسة محمد علي الصناعية اهم مدارس الامة الصناعية شأناً واسماها مكاناً لانها غير قائمة على مال الحكومة ولا على مال فرد من افراد المحسنين المعدودين بل على مال مجموع من جماهير المتبرعين من اهل القطر بحسن مساعي جمعية العروة الوثقى البهية لتعليم الصناعة لاكبر عنصر من العناصر التي تتركب منها الهيئة المصرية . فان المال الذي جاد به المتبرعون لانشاء هذه المدرسة بلغ ١٢ الف جنيه ثم وقف لها المحسن الكبير منشاوي باشا مئة فدان يبلغ ريعها السنوي ما يقوم بجانب كبير من نفقاتها ولولا الصعوبة في وجود المحل الموافق لبنائها لبنيت وفتحت منذ زمان اما الآن فان الافاضل الذين عنوا بجمع الاموال لها وسعوا في تدبير امرها وتعجيل زمان انشائها احتفلوا بوضع الحجر الاول من اساسها في الاسكندرية في ٢٣ مايو احتفالاً عظيماً حضره الجناب الخديوي وجمهور كبير من الكبراء والعظماء ولما انتظم الاحتفال تلا بعض من تلامذة المدارس التي انشأتها جمعية العروة الوثقى خطباً وجيزة تناسب المقام

من ذلك خطبة لتلميذ قال فيها

مولاي — ان معشر الاطفال من ابناء رعاياكم المخلصين تخفق قلوبهم في هذا اليوم فرحاً بانعطافكم السامي وانّا وان كنا صغاراً لنعي ما في هذا الانعطاف من معانٍ كبار نعم انتم تودون لنا الرقي بالمعارف النافعة في الدين والدنيا وتسرون بنا ما كنا حيث تودون . ولسروركم بنا اكبر يوم تروننا رجالاً شغالين نرمي بانفسنا في مفاوز الحياة قائدنا العلم ورائدنا طلب الكسب الحلال يوم لا يكون تفاوت الدرجات بيننا بغنى الآباء وطنطنة الانساب والالقاب بل بالعلم والعمل يوم يفتخر مثلي بصنعة يحكمها فيقال هذا من عمل فلان لله دره لقد احسن واجاد هنالك يا مولاي تباهون بنا الامم وهنالك الفوز الصحيح لوطننا المحبوب وما هذا اليوم عنا ببعيد فها هي تباشيره بدت تختال بين بهاء المظاهر وهتاف الرعية بالدعاء لكم وفي هذه الساعة السعيدة تضعون بيدكم الكريمة اول حجر لاساس اول مدرسة صناعية بمدينة الاسكندرية فبوركت الساعة وبورك الحجر سيذكر التاريخ هذا اليوم وهذه المدرسة كما ذكر عصر جدكم الاكبر وما شيد من دور للصناعة والعلم يقول لنا اجدادنا كان لنا من المآثر والمفاخر كيت وكيت فسنقول لاولادنا نحن احيينا منها ما اندثر . يقول اجدادنا كان من عصرنا محمد علي الكبير فسنقول لاولادنا ان لنا من عترته عباس حلمي الثاني

وخطبة لتلميذة من تلامذة مدرسة الحمالين قالت فيها

مولاي — ان قيل ما لابنة حمال صعلوك ومخاطبة الملوك قلت هكذا اقتضت شيم مولاي الشماء اذ يبسط جناح الرحمة للمساكين والضعفاء ونحن معشر البنات اكثر فرحاً في هذا اليوم بعمل من شأنهِ تخفيف ويلات البطالة والكسل وهما شقاء العائلات وسبب كرب الامهات فبهذا الاحساس ننظر الى هذا الاساس وقد اودعناه الآمال سائلين الله حسن المآل ان يحفظ مولانا لامتهِ ويبقيهُ لرعيتهِ

ثم تقدم دولتلو رياض باشا رئيس الاحتفال وقال مخاطباً الجناب الخديوي

مولاي — اتشرف بان اقدم لمقامكم السامي ما انتم اهل لهُ من واجب الشكر ومزيد الامتنان على ما تفضلتم بهِ من تشريفكم هذا الاحتفال تنشيطاً وتشجيعاً للعلوم والمعارف وعلى ما تكرمتم بهِ من المنح الجليلة وما بذلتموهُ من العناية والمساعدة الجزيلة في اظهار هذا المشروع من حيز الفكر والتصور الى عالم الوجود والعمل وهذا هو من مقتضى سجاياكم الكريمة التي جبلت على حب فعل الخير لاهالي البلاد التي قلدكم الحق سبحانهُ وتعالى مقاليدها .

مولاي — هذا اليوم يوم عظيم يوم مبارك نحتفل فيهِ تحت حمايتكم ورعايتكم العلية بوضع

اول حجر لاساس مدرسة صناعية اهلية البلاد في اشد الاحتياج اليها وقد اطلق على هذه المدرسة تيمناً اسم ذاك الرجل العظيم الذي لهُ المآثر الجليلة على هذه البلاد ألاَ وهو جدكم الاكبر محمد علي . هذا الاثر الذي هو من جلائل الاعمال التي ستعود بالمنافع العظيمة والفوائد العميمة على هذة البلاد مما تنشرح لهُ الصدور وترتاح اليهِ النفوس ويسر لهُ ويهتم بهِ كل غيور محب للخير والعلوم سيبقى ان شاء الله تعالى تمثالاً وتذكاراً حيًّا لاسمكم الشريف ومحاسن عهدكم المنيف على مدى الازمان والاحقاب

حق علينا ان نعرف ونعترف بقدر هؤلاء الرجال الكرماء الذين تبرعوا وجادوا بالاموال وبالمثل هؤلاء الرجال الفضلاء اعضاء جمعية العروة الوثقى ورئيسها المقدام الذين قاموا بهذه الاعمال المهمة في خدمة الامة وبانجاز هذا المشروع الجليل . نخص بالذكر ايضاً ما اتاهُ اعضاء هذهِ الجمعية من لاعمال المبرورة والمساعي المشكورة من نشر العلوم والتربية بين مواطنيهم وما احدثوهُ وشادوهُ في الثغر من المدارس والمكاتب العديدة المعدة لتربية الصبيان والبنات التي نراها قد نمت وزهت ونجحت نجاحاً تاماً في زمن وجيز

هذا شاهد عدل بفضل كل من تكرم بالمال وكل من جاد بالاعمال فجزاهم الله عنا خيراً واخص بالذكر ايضاً على الانفراد احد اعضاء هذه الجمعية وهو خليل بك حماده رجل الجد والنشاط بما هو قائم بهِ من اعباء جمعية الحمالين وما ادراك ما هي . جمعية صغيرة الاسم كبيرة المنافع بما احتوت عليهِ من المبرات والحسنات وما آوت من اولاد الفقراء والمساكين الذين التزمت تربيتهم واعانتهم وانتشالهم من وهدة الفقر وظلمة الجهل والشقاء الى طريق السعادة والهناء فحق لهُ على ذلك منا خالص الشكر . وفي هذا المقام ايضاً يجب علينا التشكر الى جناب شيتي بك مدير عموم الجمارك والثناء عليهِ بما شمل هذهِ الجمعية الخيرية من العناية والمساعدة حبًّا بالانسانية والمروءة والامل وطيد بان لا ينقطع عن هذا العمل المبرور

ولا يفوتنا ذكر الجميل الذي صدر من كرماء الاوروبيين المستوطنين بيننا وما تبرعوا بهِ من المال بسخاء وكرم وجادوا بهِ من الخدم مساعدة لجمعية العروة الوثقى ولانجاز هذا المشروع فنذكر لهم ذلك بلسان الشكر والامتنان ولا ننسى لهم هذه المنة على ممر الايام

ولا ننسى ايضاً ما كلف نفسهُ بهِ سعادة جونسون باشا من الاتعاب ابتغاء خدمة الانسانية والمدنية باشتراكهِ في الاعمال مع اعضاء الجمعية وارشادهِ لهم بما لهُ من سعة الاطلاع والاختبار حتى تقررت رسوم بناء هذا المحل وتقرر كل ما يلزم لهذا المشروع الذي كان لهُ فيهِ الحظ الاوفر فلهُ منا خالص الشكر على هذا الجميل

جناب اللورد كرومر اعتذر اليوم عن الحضور في هذا المحفل لتغيبهِ عن مصر . كلٌ يعلم ما لهُ من المقام الارفع والنفوذ الشامل في هذه البلاد وبالاخص ما لهُ من اليد الطولى في كل ما لهُ مساس بالمصالح والمنافع العمومية فهذه اليد الفعالة قد شملتنا وهي التي كانت لنا معواناً بل متمماً ومكملاً لهذا المشروع فحق علينا ان نعرف لهُ هذه المبرة ونقدم لجنابهِ واجب الشكر ونثني عليهِ اطيب الثناء ولا نبرح نترجاهُ بان لا يترك هذا المولود في مهدهِ صبيًّا بل يراعيهِ بعين عنايتهِ ويؤاسيهِ ويواليهِ الى ان يتربى ويبلغ اشدهُ ويصير رجلاً قويًّا يقوم باود نفسهِ

مولاي : اسمح لي بان اتكلم بما يخالج ضميري . اذا نظرنا وتاملنا الان الى ما جريات الاحوال وطبقنا ماضيها على حاضرها نجد ان الاحوال والافكار قد تغيرت تغيراً كليًّا واتخذت لها مجرًى جديدًا نحو التقدم والترقي وبث العلوم والمعارف وانتشارها في كل بقعة من بقاع البلاد وكل ما نراهُ امام اعيننا من هذه المشروعات العلمية الادبية والمؤسسات الخيرية الاهلية يتلو بعضها بعضاً لا نشك ولا نرتاب بانها أثر من آثار هذا الانقلاب فلا حاجة بنا الآن ان ندخل في موضوع الشرح والتأويل ولا في البحث والتدقيق في علل الامور ومسبباتها بل نكتفي الآن بان ننظر بعين البصيرة والاعتبار الى ما كنا عليهِ بالامس وما نحن فيهِ اليوم ونهنيء انفسنا ونتهلل بشرًا ونسجد لله شكرًا على ما وصلنا اليهِ من التقدم الباهر مستبشرين بما تدلنا عليهِ قرائن الاحوال بمستقبل زاهر

ولا مشاحة ولا جدال ان الفضل في هذا كلهِ راجع الى كبار الامة وعظمائها وعلمائها وعقلائها الذين هم قادة افكارها فنرجو لهم من الله التوفيق وزيادة الالتئام والوفاق فيما بينهم حتى يثابروا ويستمروا على السير في هذا المجرى الجديد ويصرفوا كل قواهم في ازالة كل ما يحدث امامهُ ويعقبهُ من العقبات والموانع وبهذه الواسطة لا غير يمكننا ان نحفظ قوامنا في وسط معترك هذه الحياة الدنيا ونعيش بهناء وسلام . وفي الختام نبتهل الى الحق سبحانهُ وتعالى ان يؤيد عرشكم السامي ويزيد في نفوذهِ ليكون لنا ظلاً ظليلاً انهُ سميع مجيب

فشكرهُ الجناب العالي وقال لهُ ما معناهُ انك لقد اعربت عمَّا في فوآدي من السرور لهذا العمل الجيد ونطقت بلساني فيما سردتهُ من عبارات الشكر لمؤسسي جمعية العروة الوثقى ولحضرات رئيسها واعضائها ولحضرات الذين ساعدوا باموالهم وحسن مساعيهم لاحياء هذا العمل الجيد وقد زاد سروري ما رأيتهُ من جد الاسكندريين وسعيهم في تشييد الاعمال النافعة وسبقهم في ذلك جميع مدن بلادي لان في الاسكندرية قد كان مولدي ويسرني

ان يكون السبق لسكانها في كل عمل خيري وكل مشروع مفيد كما انهُ يسرني ان اضع اول حجر في اساس اول مدرسة صناعية تشاد في الاسكندرية وتحيي اجمل اثر من آثار جد العائلة الخديوية فلنتقدم بسرور وافتخار لنضع هذا الحجر

ثم تقدم الى حيث يوضع الحجر في الاساس وتبعهُ البرنس عمر باشا طوسن ورياض باشا وفخري باشا ناظر الاشغال العمومية وصدقي باشا محافظ الاسكندرية ومحمد بك سعيد رئيس جمعية العروة الوثقى ووقعوا محضر الاحتفال ووضعت اشكال النقود المصرية والجرائد اليومية في صندوق صغير وضع في الاساس ووضع الجناب الخديوي الطين للحجر وأُنزل الى مكانهِ بآلة كانت ترفعهُ وتم الاحتفال

ولا شبهة في ان انشاء هذه المدرسة من فوائح التعاون على انشاء المدارس الصناعية فلهُ شان كبير من هذا القبيل لكن انشاءها لم يقترن باظهار الهمة العالية والغيرة القومية التي يبديها بعض ابناء هذا القطر في ما يحسبونهُ من وجوه البر كأيقافهم العقارات الواسعة الريع على الجوامع والتكايا. فلا يندر ان تسمع بواحد يوقف الف فدان ريعها في السنة بضعة آلاف من الجنيهات على اعمال قد لا تفيد احدًا او قد تعلّم بعض الكسالى الغلو في الكسل والتوكُّل. فاذا كان في البلاد حمية قومية فمجال اظهارها واسع جدًّا والمباراة فيهِ من خير الاعمال التي تكسب الذكر وتنفع الوطن . فان البلاد تحتاج الى مدرسة جامعة تبلغ نفقاتها في السنة عشرين او ثلاثين الف جنيه تعلّم تلامذتها العلوم الطبيعيَّة والفلسفية والادارية والتجارية ونحو ذلك من ما تتعلمهُ قادة الامم. وهي في اشد الحاجة الى مئات من المدارس الابتدائية والمدارس الزراعية . فاذا تعلَّم جمهور المزارعين مبادئ العلوم الطبيعية واصول العلوم الزراعية فلا يبعد ان تزيد حاصلات الارض عشرة في المئة او عشرين في المئة وما ادراك ما ذلك فان قيمة الحاصلات الآن نحو خمسين مليونًا من الجنيهات فاذا زادت عشرة في المئة فقط باتقان الاساليب الزراعية بلغت الزيادة في السنة خمسة ملايين من الجنيهات وهي تعادل اكثر من مئة مليون من راس المال

وعندنا ان ما نذكرهُ دوامًا من امثلة المحسنين الاوروبيين والاميركيين لا بدَّ وان يحرك غيرة بعض الاغنياء الواسعي الثروة حتى يجودوا بجانب كبير من اموالهم على انشاء هذه المدارس فتنتفع بها البلاد اضعاف ما انتفعت من الاوقاف الخيرية

هستيريا البصر

تابع ما قبلهُ

ومن العلامات البصريَّة الهستيرية كلال النظر الهستيري وهو ناتج عن خلل التطبيق وحدهُ أو التطبيق والتقارب وعن كره الضوء الذي سيأتي الكلام عليهِ . فإذا كان ناتجاً عن تشنج التطبيق فقط شعر المريض بألم في الرأس والعينين وظلمة في النظر وقد يرى الاشياء اصغر مما هي. وهو يشابه احياناً الكلال المرافق لطول البصر فانَّ الاولاد الذين يصابون بهِ يحسبونَ إبعاد الكتاب عن اعينهم لازماً لسهولة القراءة لكنهُ يختلف عنهُ بشعور المريض بانزعاج شديد بعد دقائق قليلة من المطالعة . ولا يظهر هذا الانزعاج في المصابين بالكلال البصري الناتج عن طول البصر الحقيقي الاَّ بعد استعمال العينين ساعات متوالية وبوجود العينين صحيحة من فحص قوتها الانكسارية

إما اذا كان الكلال ناتجاً عن خلل التطبيق والتقارب معاً فلا يقتصر الأمر على ما ذكر بل يرى المصاب احرف الكتابة مضاعفة وفي غير محلها الحقيقي ويشعر بشدّ خاص في رأسهِ وقد تشتدّ الحالة فيصاب بغثيان ويتعذر عليهِ النظر الى الاشياء البعيدة أيضاً

وقد يكون ألم الرأس أهم علامات الكلال البصري الهستيري واكثرها وضوحاً . ومركزهُ الأصلي فوق الحجاج فإذا استمرَّ المريض على العمل زاد ذلك الألم زيادة شديدة وانتشر فوق الرأس والعنق والكتفين. ومما يزيدهُ ايضاً الكدر والانفعالات النفسانية والارق . وقد يعتري المصاب فزع من النور فيضطرهُ الى البقاء في الظلام . واشد انواع الضوء تأثيراً وألماً ما كان شديداً او منتشراً كنور النهار والنور الكهربائي الساطع وهذهِ الحالة ترافق غالباً تشنج التطبيق ويتأتى عنها احياناً انقباض العضلة الحجاجية انقباضاً شديداً

وقد يشكو بعض المرضى من كرهٍ خاصّ لأحد الألوان كالأحمر مثلاً لكنَّ هذا غير خاصّ بالهستيريا

وقد يصاب الهستيريون بخلل في حركة العينين عند النظر الى الجهات المختلفة. فمن المعلوم ان المقلتين تتحركان معاً حركة واحدة في وقت واحد وهذه الحركة اما ان يكون المقصود منها رؤية الاشياء على ابعاد مختلفة وهو التقارب وقد اشرنا الى حدوثهِ في الهستيريا واما ان يكون المراد بها توجيه النظر الى الجهات المختلفة وهو ما نشير اليهِ الآن. والخلل الذي يطرأ عليها لا يتأتى عن شلل في الاعصاب ولا عن مرض في العضلات بل عن إصابة في المركز الاعلى لهذه

الحركات وهو انقباضي محض كاغلب الاصابات المستيرية. وقد يقتصر على حركة واحدة او يتخطاها الى حركات كثيرة فتشابه الحالة حينئذ شلل العين. واغرب ما يحدث اذ ذاك ان تصاب الحركات الارادية بدون ادنى تأثير في الحركات الاضطرارية كالتي تنتج عن ردّ الفعل . مثال ذلك مريض طُلب منهُ ان يوجه نظرهُ الى ما فوقهُ فعجز عن ذلك لكن الطبيب لمس جفنهُ العلوي فجأة برأس ريشةٍ فتحركت عينهُ تلك الحركة التي لم تتمكن منها بمجرد ارادتهِ وقد ابان منك Mink وشافر Schaefer وغيرهما التعليل التشريحي لهذا الأمر باكتشافهما مركزين مختلفين في قشرة الدماغ لحركات المقلة أحدهما في الفص المؤخري فوق مركز البصر وهو انعكاسي غير ارادي والآخر في الفص المقدَّمي وهو اختياري محض. ولا يسبب خلل حركات العين المستيري اقلّ انزعاج للمريض ولا يأتي عنهُ النظر المزدوج ولا يصيب جميع حركات المقلة الاَّ نادرًا جدًّا

ويُصاب المستيريون احيانًا بانحراف المقلتين انحرافًا تشنجيًا مزدوجًا اثناء النوب التقلصية ويكون الانحراف غالبًا في الجهات السفلى المائلة وقد يستمرّ زمنًا طويلا ويزول باستنشاق الكلوروفرم

وتتحرك العينان في بعض الاحوال الانقباضية الاخرى حركات مستمرّة عوضًا من الانحراف المذكور آنفًا وهذهِ العلة تصيبهما في آنٍ واحد فتفقدان قوة التثبيت وتبصران الشيء مزدوجًا ويصاحب ذلك غالبًا بفزع من الضوء وتشنج في الأجفان . وقد يتأتى من تهيج العين او من فروع العصب الخامس انقباضات هستيرية شديدة في المعرَّضين لذلك ومن هذا القبيل حوادث كثيرة حدث فيها الانقباض من وجود سن منخورة وزال عقب نزعها

ومما يصيب المستيريين تشنج الاجفان وهو على نوعين الاول انكماشي مستمر تنقبض بهِ العضلة المحيطة ويمتد الانقباض احيانًا الى عضلات الوجه والرقبة ويختص بعين واحدة غالبًا وقد يرافق بفزع من الضوء وضعف في البصر والثاني ارتجاجي يصيب العينين فتطرفان طرفًا متواليًا ولا تمتاز بهِ المستيريا بل يشاهد في احوال أُخرى وهو دليل على عدم سلامة العقل.

ويتسبب تشنج الاجفان عن مؤثرات عديدة ومختلفة منها الانفعالات النفسانية ومنها تهيج العين والجلد والاغشية المخاطية ويرافق غالبًا بضعف في حس الاجفان وسيلان الدموع وظهور آلام في محيط المقلة بلا سبب او عقب اللمس الخفيف

وقد تصاب حركات الجفون في المستيريا باعراض أُخرى كثيرة فمن ذلك ارتخاء الجفن العلوي المستيري ويفرق عن الارتخاء الشللي باربع علامات اولاً اذا رفع الجفن المرتخي

بالاصبع ثم ترك سقط بسرعة بالنسبة الى ما يحدث في الارتخاء الشللي وثانياً يصاحب غالباً بفزع من النور تختلف درجتهُ باختلاف الحالة وثالثاً ان الجفن المرتخي الذي لا يتأتى للمريض تحريكهُ بارادتهِ يرتفع ثم يهبط عندما يوجه الالتفات فجأة لامر غير منتظر . ورابعاً علامة شاركو وهي ان حاجب العين المصابة اوطأ من حاجب العين السليمة والعكس في الشلل

ومما يساعد ايضاً على التمييز بين هاتين العلتين ما يرافق الارتخاء المستيري من الارتباكات البصرية غالباً

ومما تصاب بهِ حركة الاجفان عدم امكان تطبيقها تماماً ومن الغريب ان ترافق هذه الحالة ارتخاء الجفن العلوي المذكور آنفاً أحياناً فلا يتاتى للمريض فتح عينيهِ او تطبيقهما الاَّ قليلا

...

ويختص بعض العلامات المذكورة آنفاً بالهستيريا ولا يظهر في غيرها والبعض الآخر يشترك بينها وبين ما سواها من الامراض . اما العلامات المختصة بالمستيريا فهي اولاً انقباض الحقل البصري في اللون الابيض اكثر مما في الاحمر وغيرهِ من الالوان . ثانياً تشنج القوة المكيفة وقوة تقارب المقلتين وهو وقتي في الاطفال . ثالثاً انقباضات مختلفة في حركات توجيه المقلتين المشتركة . رابعاً تشنج الأجفان الانكماشي حتى في الاحوال التي يكون فيها مسبباً عن فعل منعكس من الجلد والاغشية المخاطية كما ذكر سابقاً . خامساً ارتخاء الجفن العلوي . سادساً انفصال الحركات الارادية وغير الارادية في شلل المقلة . سابعاً خلل او نقص في اشتراك الحركات الضرورية لتوجيه النظر الى الجهات المختلفة

اما انقباض الحقل البصري بلا آفة ظاهرة في قاع العين او خارجها فليس من العلامات الخاصة بالهستيريا لكنهُ يساعد جدًّا على تشخيص هذا الداء . والاحوال الاخرى التي يشاهد فيها ثلاثة اولها اشتداد الضغط داخل الجمجمة عقب التهاب شديد في سحايا الدماغ وثانيها آفات المحفظة الداخلة وثالثها الصرع . ويتبع في هذه الحالة الاخيرة النوب الانقباضية ويزول سريعاً بعد زوالها الاَّ انهُ قد يستمر في بعض الحوادث النادرة التي يبلغ نسبتها الى مجموع المصابين بالصرع نحو اربعة الى المئة

وقد يتأتى عن الصرع ضعف بصري وقتي او مستمر يشابه الضعف البصري المستيري لكنهُ يمتاز عنهُ بنقص في جميع قوى البصر كالحدة البصرية وادراك الالوان وخلاف ذلك مما لا يتأثر مطلقاً في ضعف البصر الهستيري

ويظهر انقباض الحقل البصري المركزي واختلال حركات العين في بعض حوادث

الاضطراب العصبي التابعة خصوصاً لكلوم مرافقة بتهيج عقليٍ شديد وهزة عصبية وقد سمى شاركو هذهِ العلامات باسم الهيستيريا الكلومية

وقد يظنُّ التخيُّل في بعض المصابين بضعف البصر الهيستيري كما لو أراد أحدهم إحالتهُ على المعاش لكن التدقيق في البحث وملاحظة اتساع حقل اللون الاحمر اكثر من سائر الالوان الاخرى وغير ذلك من العلامات المذكورة آنفاً مع ما هنالك غالباً من تخدرِ الجلد وعدم حساسية البلعوم ولسان المزمار وإمكان لمسهما بالاصبع أو ايّ شيء آخر بدون مضايقة المريض كل هذهِ العلامات تثبت حقيقة الداء

وقد يُصاحب الهستيريا بعض الامراض العضوية فيمكن حينئذٍ للخبير المدقق تمييز العلامات البصريّة المختصة بكلٍ من المرضين. وقد وجد موركس Morex إصابات بصرية ناتجة عن امراض عمومية في ٩ من ٧٩ مصاباً بضعف البصر الهستيري ولهذا فاذا ظهر للطبيب علامة من العلامات البصرية الهستيرية في مصابٍ بمرض عضوي وجب عليهِ ان لا ينسبها الى هذا المرض الاّ متى امكن نفي مرافقة الهستيريا

المعالجة

تُعالج الادواء المذكورة آنفاً بالمواد التي تُعالج بها اعراض الهستيريا العمومية فالحلتيت والڤاليريانا والبروم تفيد فائدة كبيرة في كثيرٍ من الحوادث وللوهم تأثير شديد حتى في بعض الاحوال التي لا يفطن لها الطبيب فمن ذلك ما قرأتهُ في عدد يناير الماضي من مجلة طب العيون ذكر احدُ الاطباء ان عليلاً شكا لهُ من ضعف في بصرهِ وألمٍ شديد في رأسهِ وكانت حدقتهُ اليسرى اوسع مما هي عادة فظنهُ مصاباً بالجلوكوما واجرى لهُ عملية القشط القزحي فتحسنت حالتهُ بعض التحسن لكنهُ عاد بعد اربع سنوات وأُصيب بنوب اغماء وظهرت فيه علامات التهيج العصبي الشديد كآلام مستمرّة في الجزء المؤخري من الرأس وازدياد في الانعكاس الرضفي وارق واضطراب فشخّص اصابتهُ حينئذٍ بانها هستيرية وبعد ذلك بسنتين اعترتهُ نوبة شديدة اضعفت بصرهُ جدًّا بعد ان اصيب بتشنج مؤلم في مؤخر رأسهِ وأُحضِرَ حينئذٍ الى عيادة رمدية وكان في حالة سيئة جدًّا يبكي ويشكو من شدة الالم والحاجة الى النوم وينوح على بصرهِ الذي لم يبقَ منهُ سوى مجرَّد ادراك الضوء وكان حجم الحدقتين اعتيادياً وقاع العينين سليماً . ولما لم تُجدِ معالجتهُ وضعهُ ذووهُ في احد المستشفيات الخاصة بالمصابين بداء الصرع لانهم حسبوا النوب التي كانت تصيبهُ من نوع هذا المرض فتحسنت حالتهُ هناك قليلاً لكنهُ عاد فأُصيب بنوبة شديدة قال بعدها ان نظرهُ فُقدَ تماماً واشتدت آلام

رأسهِ فكان يلقي نفسهُ في سريرهِ صارخاً باكياً فأعطاهُ الطبيب جرعة من الانتيبيرين وأكَّد لهُ انهُ سينام في الحال وهكذا كان. فلما استيقظ قال انهُ احسن مما كان عليهِ قبل الرقاد ونظر اليد على بعد متر ثم أخذ الطبيب بعالجهُ بالايهام والتأثير على الافكار فظل نظرهُ يتحسن يوميًّا الى ان شفي تماماً ولم يعد يشكو من شيء مطلقاً . ويقول الطبيب انهُ لمن المرجح ان هذا المريض لم يصب قط بالجلوكوما وان الفائدة الوقتية التي نتجت عن العملية كانت وهمية . اما العلل التي تأتي بالمستيريين الى الطبيب الرمدي فقلما تخرج عن الامور التالية وهي كلال البصر وكره الضوء وآلام المقلة وتشنج الاجفان

اما الكلال البصري فينتج غالباً عن ارتباك القوَّة المكيفة او المطبقة للعين ويعالج باستعمال العدسات المحدَّبة حتى في الاحوال التي يشاهد فيها درجة شديدة من قصر البصر التشنجي ولا يمكن معرفة قوة العدسة اللازمة بقياس الظل الشبكي بل ينبغي الابتداء بعدسة ضعيفة وزيادة قوتها تدريجاً بحسب اللزوم . واذا اشتد التشنج افاد الاتروبين فائدة كبيرة بازالتهِ لكن العلة تعود فتظهر بعد ما يزول تأثير الدواء الاَّ انها تكون اضعف مما كانت خصوصاً اذا استعملت الطرق الاخرى الواقية كالعدسات المحدبة والمنشورية والزجاجات المدخنة

اما اذا كان ضعف التقارب هو العلامة الرئيسية فمن المفيد استعمال عدسات منشورية قوتها درجتان او ثلاث درجات وقاعدتها الى الجهة الانسية وبما ان اختلال التقارب قلما يصيب المستيريين وحدهُ بل يصاحب دائماً تقريباً بتشنج التطبيق فكثيراً ما يكون من الضروري والنافع جدًّا مزج العدسات المحدَّبة بالمنشورية . وفي هذه الحالة لا يمكننا ايضاً معرفة قوَّة المنشور الواجب استعمالهُ من مجرَّد فحص كمية التقارب بل الواجب الابتداء بالعدسات الضعيفة لانها قد تفيد في الاحوال الشديدة جدًّا . اما اذا كان اختلال التقارب مرافقاً بدوار فمن الضروري الالتجاء الى العدسات المنشورية فقط واستعمالها مدى اليقظة

ويعالج الفزع من الضوء باستعمال العدسات المدخنة والملوَّنة وهي تريح المريض وتنقص تشنج التطبيق وانقباض ميدان البصر

والآلام التي تصيب المقلة ولا تكون مسببة عن اختلال التطبيق والتقارب نفسانية الاصل ولهذا فقلما تنجح فيها المعالجة الاَّ اذا كانت من قبيل الايهام . وتشنج الاجفان المستيري مثل سائر اعراض هذا الداء مركزي الاصل ويعالج بالمواد المحسنة للحالة العامة وبتقطير الكوكايين وبالدلك وبالمجرى الكهربائي المستمر . وقد وصف لهُ كثيرون من اطباء العيون عمليات مختلفة كقطع العصب الواقع فوق الحجاج ومدّهِ . واستنبط علوي

باشا طريقة جديدة ذكرها في كتابهِ المعروف بالنخبة العباسية في الامراض العينية وقال انهُ بعد ازالة الحساسية الموضعية بالكوكايين يضع في احدى عيني المريض الآلة المبعدة الانسية للأجفان وفي الاخرى الآلة المبعدة الوحشية ثم بعد مضي نحو عشر دقائق يعكس وضع هاتين الآلتين قاصداً بذلك ايقاع كمية واحدة من القوة الممدّدة على كلٍّ من زاويتي العينين ثم بعد مضي عشر دقائق اخرى يرفع الآلتين ويأمر المريض بالاستراحة في غرفة مظلمة مدة ساعة ونصف. لكن الراي الغالب الان ان كل العمليات المذكورة آنفًا لا تفيد المريض المستيري الاَّ بايهامهِ فهو يعتقد بقدرة الطبيب وينتظر من عمليتهِ نتيجة حسنة فلا يلبث ان ينالها لان العلة الاصلية وهمية

ويفيد التنويم المغناطيسي فائدة كبيرة في اكثر الحوادث وقلة استعمالهِ ناتجة في الغالب عن امرين الاول قدرة الاطباء القادرين على العمل بهِ والثاني احجام العدد الكبير من المرضى عنهُ. انتهى

الياس ابرهيم الصليبي
طبيب العيون

قوانين يوستنيانوس

تابع الفصل السادس عشر

(٤) ليس العبد المعتق بعرضة لتغير الحالة

(٥) ان الذين يتغير مقامهم لا يطرأُ عليهم لاجل ذلك تغيُّر الحالة

(٦) القرابة العصبية لا يفسدها تغيُّر الحالة الصغيرة لكنها تبطل بالتغير الكبير

(٧) الوصاية هي لاقرب الاوصياء درجة وان تعددوا وكانوا في درجة من القرب كانت لجميعهم

الفصل السابع عشر في وصاية الموالي الشرعية

وصاية المعتقين والمعتقات هي للموالي ولاولادهم وانما قيل لها شرعية لان الشرع يجعل ميراث المعتقين المتوفَّين بلا وصيَّة لمواليهم او لأولاد مواليهم . وبما ان فوائد التركة لهم وجب ان يكون عبء الوصاية عليهم (جريًا على المشهور بين الفقهاء من قولهم من لهُ الغنم فعليهِ الغرم)

الفصل الثامن عشر في وصاية الآباء والاجداد الشرعية

كما ان للموالي وصاية شرعية على المعتقين كذلك المعتق متى كان لهُ صغار تكون لهُ الوصاية

عليهم فهو وصيٌّ شرعيٌّ على ابنهِ او ابنتهِ وابن ابنهِ او ابن بنتهِ وغيرهم من الفروع

الفصل التاسع عشر في الوصاية الايداعية

توجد ايضاً وصاية اخرى يقال لها ايداعية وهي متى اذن ابٌ لابن او لابنة او لآخر من النازلين منهُ وهم غير بالغين كانت للاذن على هؤلاء الاولاد او النازلين منهم وصاية شرعية . اما عند موتهِ فان كان في اولادهِ ذكور كانوا هم اوصياء على البقية . على ان ذلك مشروط بان تتوفر فيهم كل شروط العمر التي توجب شريعتنا رعايتها في كل وصاية ونظارة

الفصل العشرون في الوصي بحسب شريعة إبتليا وفي الوصي بحسب شريعة جوليا وتيتيا

يقام وصيٌّ لمن ليس عليهِ وصيٌّ

(١) كان الامر كذلك عند ما كان يقام وصيٌّ بكتاب الوصاية تحت شروطٍ او الى اجلٍ مسمى حتى اذا تمَّ الشرط وحلَّ الاجل تنتهي الوصاية وقد كان ايضاً يعين وصيٌّ بلا شرط ان لم يكن احد يدَّعي انهُ وارث بحكم كتاب الوصاية

(٢) يقام وصيٌّ اذا وقع وصيهُ اسيراً في يد العدوّ

(٣.٤) انهُ تبعاً للشريعة الجارية يقيم الاوصياء في رومة حاكم المدينة او القاضي واما في الاقاليم فيقيمهم الولاة ولكن بعد التحقيق او يقيمهم القضاة بامر الولاة . وذلك متى كانت تركة القاصرين زهيدة

(٥) اما نحن فنحكم من دون انتظار اوامر الولاة متى كانت املاك القاصر او البالغ تبلغ خمسمائة صوليد بان يجتمع محامو المدن مع الاسقف او اشخاص آخرين عموميين او قاضي مدينة الاسكندرية ويقيمون الاوصياء او النظار ويأخذون عليهم كفالة شرعية

(٦ ٧) يجب على الاوصياء عند بلوغ القاصر ان يقدموا حساباً عمَّا اجروا في مدة الوصاية

الفصل الحادي والعشرون في إجازة الوصاية

اذا اشترط الصغار ان يُعطى لهم شيء معين فلا يكون بهم حاجة الى اجازة اوصيائهم والاَّ كانت هذه الاجازة ضرورية على انهم مباح لهم ان يجلبوا المنافع من دون اذن الوصي ومحظور عليهم ان يتصرفوا بما يؤدي الى الخسارة بدون اذنهِ . يؤخذ من ذلك انهُ في العقود التي يترتب عليها التزمات متبادلة والتي من اجلها لا يعطى هذا الاذن ممن يعقدونها مع القاصر تلزمهم واما القاصر فلا تلزمهُ

(١) لا يجوز للقاصر ان يأخذ ميراثاً ولا ان يطلب وضع اليد على الملك ولا ان ينتفع بالميراث الصادر عن الايداع الاَّ باذن الوصي

(٢) يجب على الوصيّ للحال ان يجيز ذلك للقاصر بصك يوقع عليهِ بخطهِ

(٣) اذا قامت دعوى بين القاصر والوصيّ يقام وكيل للقاصر

الفصل الثاني والعشرون باية وجه ترتفع الوصاية

متى ادرك الصغار من الذكور والاناث سن البلوغ ارتفعت عنهم الوصاية . وبلوغ الذكور عندنا عند انتهاء السنة الرابعة عشرة وبلوغ الاناث عند تمام السنة الثانية عشرة

(١) ترتفع الوصاية متى تبني الصغار بطريقة التبني الاستدعائي او متى غربوا (اي نفوا) ومتى استعبدوا

(٢) الوصي المعلقة وصايتهُ على شرط ينعزل عن الوصاية متى تمّ الشرط

(٣) ترتفع الوصاية بالموت سواءٌ مات الصغير او الوصي

(٤) ترتفع الوصاية ايضاً بتغير حالة الوصي اذا حرم حريتهُ او حقوق وطنيتهِ اما الوصاية الشرعية وحدها فترتفع بتغير حالة الصغير

(٥) الاوصياءُ المقامون الى اجل محدود اذا حلّ الاجل عزلوا عن الوصاية

الفصل الثالث والعشرون في نظار من دخلوا في سن البلوغ

من بلغ من الذكور والاناث يقام لهُ ناظر حتى تتم لهُ خمس وعشرون سنة

(١) ان هذا الناظر يقيمهُ القاضي كما يقيم الوصي

(٢) لا يكره الشاب على قبول الناظر ان لم يكن هناك دعوى

(٣) المجانين والمبذرون هم تحت نظارة عصباتهم وقد جرت العادة في رومة ان والي المدينة او قضاتها يقيمون النظار للمجانين والمبذرين وذلك بعد التحقيق (اي بعد ثبوت الجنون والتبذير) وعلى هذا يجري معهم الولاة في الاقاليم

(٤) كما يقام نظار للمجانين والمبذرين كذلك يقام نظار للبله والصم والبكم والمصابين بداء عياء

(٥) يقام للقاصر وكيل حين يعجز وصيهُ الشرعي عن احكام الادارة ولو لم يخشَ منهُ الغش وكذلك يقام عادةً وكيل ليغني غناء الوصي المعفى موقتاً من القيام باعباء الوصاية

(٦) متى تعذر على الوصي القيام بادارة اشغال القاصر ومتى كان هذا القاصر بعيداً عن املاكهِ او حدثاً جداً فحينئذٍ يقيم القاضي او والي الاقاليم من يريدهُ الوصي وكيلاً ويجعل العهدة في ذلك على الوصي

الفصل الرابع والعشرون في كفالة النظار والاوصياء

انهُ محافظة على املاك القاصر ذكراً كان او انثى واملاك من عليهِ قيم او وكيل حرصاً

عليها ان تهلك او تفسد باستعمال الوصي او القيم يستوثق القاضي من الوصي والقيم بكفيل على ان الوصي المقام بكتابة الوصاية لا يؤخذ عليهِ كفيل وكذلك الوصي المقام بعد السوال عن احوالهِ

(١) اذا تعدد الاوصياء بان كانوا اثنين او اكثر وكانت وصايتهما مثبتة في كتاب الوصاية او كانت من قبل من لهُ حق باقامة الوصي بعد استطلاع حالهِ والعلم بانهُ ثقة امين فليس لواحد منهما او منهم ان يطلب كفالة من الآخر لكن عليهِ ان يعرضها حتى يتهيأ لشريكه في النظارة او في الوصاية لاجل الانتخاب الخيار في قبول الكفالة او اعطائها. فان لم يعرض احدهما او احدهم الكفالة وكان الموصي قد خص التصرف في الوصاية بواحد منهما او منهم فالذي اختصه بذلك هو الذي يتصرف. وان لم يكن الموصي قد عين واحدًا منهما او منهم للقيام باعمال الوصاية فانما يتصرف فيها من اختير لذلك بالاكثرية واذا وقع الخلاف بين هؤلاء الاوصياء كلهم يعين القاضي واحدًا منهم للتصرف

(٢) اعلم ان ليس الاوصياء والنظار هم المسؤولين وحدهم عن ادارة املاك القاصرين او البالغين بل ان الذين يقبلون الكفالات هم مسؤولون ايضًا لكن بصورة ثانوية. وهذه المسؤلية تسري الى ورثتهم

اذا لم يستوثق بكفالة فالاوصياء والنظار يلزمون باعطاء رهن

الفصل الخامس والعشرون في اعذار الوصي او الناظر

ان الوصي او الناظر يعذر عن القيام باعباء الوصاية او النظارة لاسباب مختلفة واكثرها عادة تعدد الاولاد. ففي رومة ثلاثة اولاد احياء وفي ايطالية اربعة وفي الاقاليم خمسة يوجدون عذرًا

اما الاولاد المتبنون فلا يعدُّون. والاولاد المسلَّمون للتبني يعدون للاب الطبيعي. واما الاحفاد والنازلون من الابن فلا يعدون الا مكان ابيهم والاولاد المتوفون لا يعدون واما القتلى في المعركة فيعدون في حكم الاحياء

(١) ان منشور العاهل مارك أورال يقضي بأن من يدير اشغال بيت المال قد يعذَر عن القيام بالوصاية او النظارة ما بقيت هذه الادارة بيدهِ

(٢) من يتغيب في خدمة عمومية يُعذَر ما بقيت غيبتهُ

(٣) من يتقلد ولاية عامة يجوز ان يعذر ولا يجوز ان يترك وصاية بدأ بها

(٤) ان الوصيّ او الناظر اذا كان لهُ دعوى على الصغير الذي هو وصيهُ او البالغ الذي هو ناظرهُ لا يجوز ان يُعذر الا متى عمت المحاكمة كلها

(٥) ان التكليف بثلاث وصايات او ثلاث نظارات غير مطلوبة يقتضي الاعفاء من القيام باعمال الوصاية ما بقي هذا التكليف

(٦) الاعتذار بعلة الفقر كان مقبولاً بحسب شريعة العاهل مارك أورال

(٧) كذلك يعذر المرء بعدم اعتدال مزاجهِ

(٨) في منشور العاهل انطونان السعيد ان الامي يجب ان يعذَر

(٩) اذا اوصى الى من يكرههُ وعينهُ في كتاب الوصاية فهذا السبب عذرٌ للوصي كافٍ

(١٠) ان العداوات الظاهرة لأبي اليتامى او البالغين عذرٌ

(١١) من كان ينازعهُ في وظيفتهِ ابو اليتامى فهو معذورٌ

(١٢) كذلك من فات السبعين من عمرهِ . ليس لليتامى ولا للبالغين ان يدعوا بالوصاية ولا بالنظارة

(١٣) هذا الحكم نفسهُ جارٍ على العساكر

(١٤) النحاة في رومة والبيانيون والاطباء يتمتعون بالاعفاء من الوصاية والنظارة وكذلك القائمون على تعليم النحو والبيان والتطبيب والمنتظمون في عدد معين

(١٥) لا يقبل العذر من الوصيّ او الناظر ما لم يقدَّم في اثناء خمسين يوماً اعتباراً من علمهِ باقامتهِ وصيًّا او ناظرًا كائنًا ما كان نوع الوصاية او النظارة

هذا اذا كان الوصي او الناظر على بعد مائة حجر من المكان الذي عين فيهِ . وان كان أبعد من ذلك فيحسب يوم لكل عشرين ميلاً ويضاف الى ذلك ثلاثين يوماً . ويجب في كل الاحوال ان لا يكون عدد الايام اقلّ من خمسين يوماً

(١٦) الوصيّ يعتبر مقاماً على التركة كلها

(١٧) من ينفذ وصاية شخص لا يكره على ان يكون ناظرهُ او قيمهُ

(١٨) قد اباح العاهلان سيفيد وأنطونان بمنشورهما للزوج المقام ناظرًا على زوجتهِ ان يعتذر عن النظارة ولو بعد الشروع في مباشرة اعمالها

(١٩) من يعتذر عن الوصاية بحجة كاذبة فلا يعفى من التكاليف التي تفرضها

الفصل السادس والعشرون في الاوصياء والنظار المرتاب في أمانتهم

(١) حقُّ عزل من يرتاب في امانتهِ من الاوصياء في رومة للقاضي وفي الاقاليم للولاة ومن يقومون مقامهم

(٢) من الجائز ان يرتاب في امانة الاصياء طرًّا مع ذلك لا يجوز ان تغفل رعاية شرف الموالي (اي متى كانوا احياء)

(٣) اعلم ان لكل احد ان يشكو الوصيَّ ويتهمهُ بالخيانة . وزد على ذلك ان النساء انفسهن تقتبل منهنَّ اقامة هذه الشكوى اذا كان الباعث لها الشفقة على من هم تحت ولاية الوصيّ او نظارة الناظر

(٤) ليس لليتامى ان يشكوا اوصياءهم بالخيانة اما البالغون فلهم ان يشكوا نظارهم ويتهموهم

(٥) المرتاب فيهِ من الاوصياء هو الذي يخون في اعمال الوصاية . فهذا وان كان موسرًا تكف يدهُ بموجب القانون الاسلامي كمتهم بالخيانة حتى ولو كان ذلك قبل مباشرة الوصاية

(٦) المكفوف اليد لخيانة والمرتاب فيهِ هو المفسّق واما المكفوف اليد لذنب واحد فليس هو بمفسّق

(٧) تكف يد الوصي المشكو بالخيانة الى ما بعد انتهاء الدعوى

(٨) اذا توفي الوصي او الناظر المتهم بالخيانة انتهت متابعة الدعوى المقامة عليهِ

(٩) اذا لم يحضر الوصي لدى القاضي لتعيين نفقة القاصر فيعد ذلك بمنزلة اطلاق الاذن للقاصر ان يستولي على أملاكهِ والاشياء القابلة للتلف تباع بعد إقامة الناظر

(١٠) اذا ادعى الوصي باطلاً لدى القاضي ان فقر اليتيم يمنع من تعيين نفقة لهُ فيعاقب

(١١) اذا ثبت أن المعتق قد تصرّف بخيانة وغش في وصاية على ابن او أحفادِ مولاهُ وجب ان يُعاقَب ايضاً

(١٢) اعلم ان من يتصرف بخيانة في الوصايات يجب ان تكف يدهُ بل وان يستوثق منهُ بكفالة

سعيد الخوري الشرتوني

الوصاية عند اليهود

(١) يجب على كل اسرائيلي ان يختار قبل موتهِ وصيًّا على اولادهِ القصر ليقوم بحفظ اموالهم وتدبير شؤونهم حتى يصلوا درجة البلوغ المقدرة بثماني عشرة سنة للذكر واثنتي عشرة سنة للانثى (مثيرت عينايم وسنتي كوهين على حوشن مشباط بناء على مذهب الطور)

(٢) يجوز للاب ان يختار للوصاية على اولادهِ اي انسان كان يعهد فيهِ الاهلية لتدبير شؤونهم وحفظ اموالهم فيصح اختيار المرأة والعبد ويجوز اختيار القاصر الذي ظهرت خبرتهُ وحسن تصرفهِ (اوريم وتميم على حوشن مشباط)

(٣) ان لم يعين الميت وصيًّا على اولادهِ ينتخب لهم القضاة وصيًّا ممن لا يشك في استقامتهم وذمتهم من المعروفين بالاستقامة والخبرة وحسن التصرف ولا يجوز انتخابهُ من النساء ولا العبيد ولا القصر لان جواز اختيار هؤلاء خاص بالاب (مسجيريت هسولحان جزء ثالث عبارة ١٠٩.)

من كتاب المقارنات والمقابلات

اسير يطلب الحرية (١)

حيَّا التقدمُ مربعَ الفيحاء مجلي الصفاء ومرتعَ النعماء
ورعى اكارمها العليُّ فانهم نخب الكرام وخيرة الفضلاء
وهمُ همُ والحق اعظم شاهد روح العلوم وغرة العلماء
قوم لهم خُلُق ارق من النسـ ـيم اذا سرى في روضة غنَّاء
غرٌّ الفضائل مازجت اخلاقهم مثل امتزاج الماء بالصهباء

سادتي انني اقف وقفة المعجب لدى هذه المدينة العظيمة بقدميتها . العظيمة باهميتها التاريخية . العظيمة بكونها ام المدن السورية . العظيمة بمشاهيرها واعاظم رجالها . اقف لديها وانا اراها وارى الاصابة مني معقدة الازار — أراها عاصمة الآداب الاخلاقية . اراها خير حلبة لسباق اولي النهضة العلمية . اراها ارضاً طيبةً وسماء نقية صالحة لحياة روح الحرية الادبية روح العلم الصحيح . روح الفضائل النفسية في هوائها النسيم ونسيمها العليل

واراني بازاء هذه العظمة الخالدة كعصفور يرفع نظرهُ الى قمة جبل عظيم وهو واقف عند حضيضهِ فيرى ما يبهر نظارهُ ويشدهُ فكرهُ فيغرق في لجج التصور والخيال

وقد اقترح عليَّ بعض اعضاء هذهِ الجمعية الزهراء ان اقف لديكم خطيباً مع انني اولاكم بالسمع والاصغاء فشكرت واعتذرت فلم يقبل لي عذر فلبيت الطلب وبعد ان قلَّبت المواضيع التي يحلو البحث فيها مليًّا وجدت مراعاة للنظير — بعد ما تأكدتهُ من لطفكم وشرف اخلاقكم — ان اجعل موضوع خطابي الكلام عن مخلوق لطيف شريف لا يخلو الكلام عنهُ من طلاوة الجديد وافادة المفيد . ولست في هذا المقام متكلفاً الاعتذار عن قصر باعي لتأكدي ان لطفكم عذيري وضمين الرضاء لي والعذر شيمة الكرام

موضوع خطابي ايها السادة الكلام عن اسير يطلب الحرية . اسير لا اعلم ان كنتم لا تعجبون ان قلت لكم انهُ اسير مكبَّل بالقيود ملقى في اعماق سجن مظلم زمناً يربو عن سبعة آلاف عام وهو كل هذهِ المدة يستغيث ويستجير ولا مغيث ولا مجير . مرت عليهِ اعاظم رجال العلم والفلاسفة وسمعوا بكاهُ ودروا بلواهُ ولم يبلغوا الى اطلاقهِ سبيلاً ومن حاول منهم تفريج كربتهِ واطلاق سراحهِ جوزي بنفس جزائهِ ومات باعراض دائهِ

هؤلاء العرب الجيل الناشئ بين معترك البيض والسمر القوم الذين هم ارق معاصريهم

(١) خطاب تلي في احدى الجمعيات العلمية في دمشق الشام

شعوراً وابعدهم عن اهتضام حقوق الخلق نفوراً قام ابن رشد فيلسوفهم الكبير لتخفيف بعض اثقال هذا الاسير فزلزلت الارض في وجههِ زلزالها واخرجت اثقالها والمّ بهِ من كوارث الزمن وبواعث الفتن ما شغلهُ بهمهِ عن سواهُ وغادرهُ يكرر: لا حول ولا قوة الاَّ بالله

وهذا الغزاليُّ الفيلسوف الشهير وهو كما يرى من وراء مؤلفاتهِ رجل صلاح وعدل وتقى سمع شكواهُ ودرى حقيقة بلواهُ ولم يستنسب التعرض لامرهِ خشية ان يلمَّ بهِ ما الم بسلفهِ مع ضعف الامل بالنجاح. في وقت لم تنضج فيهِ داعيات الاصلاح

وكأني بكم يا سادتي قد زدتم تشوقاً الى معرفة هذا الاسير الغريب الحال واستطلاع طلع امرهِ ولذلك ها انا اسأَلهُ على مسمعٍ منكم عن حالهِ ومآلهِ ومطمح آمالهِ واجيبكم بلسانهِ عن عجيب امرهِ وغريب شأنهِ وهذا مستهل المحادثة

— ما ذنبك ايها المسكين حتى قضي عليك بالاسر الابدي ؟

— تعـدُّ ذنوبي عند قوم كثيرة ولا ذنبَ لي الاَّ العلى والفضائلُ

— وما هي تلك الفضائل ؟

— من تلك الفضائل انني عامل نشيط لا اتوقف عن العمل ثانية واحدة فاشتغل في الليل والنهار واتهجَّد عند ما يكون الناس نياماً ولا اتعهد البطالة ولو اشتغلت باضغاث الاحلام

ومن تلك الفضائل انني سريع النهضة سريع العمل اجوب العالم الارضي من كرة الهواء الى اللجة الدأماء فالسيارات فالثوابت فعالم السر والخفاء واعود القهقرى فانشر مطوي الماضي واسرع الكرة فانشر مطويَّ المستقبل وكل ذلك في اقل من لمحة طرف او وميض برق. ومن تلك الفضائل انني مصدر كل عمل نافع ومشروع مفيد ورأي صائب وفن جميل

— مسكين. امثل حاوي هذه الفضائل يؤسر ويعاني حمل القيود ولكن ألا يمكنك ان تخبرنا عمن وشى بك حتى وقعت في هذه المغبَّة الفاجعة ؟

— لا اعلم عن ذلك غير اني من ساعة ولدت أُمسكت يداي ورجلاي وشددت بالاغلال وزجَّت في مطابق الاسر بالحال

— ان هذا اغرب وأعجب ولكن هل من مانعٍ يمنعُ التصريح باسمك بعد ما عرفناهُ من غامض سرك وغريب امرك

— لا بأس في ذلك فانا الاسير بلا اثم ولا حرج انا الفكر البشري الذي يبكي الحرية من قرون طويلة وكلما دنت الحرية مني حتى اكاد ان المسها بيدي نفرت نفور الغادة الحسناء من شيخ رأسهُ كالثغامة اشيب ولم ابرح اودِع املاً واستقبل آخر كسابح في اليم تتوالى عليهِ

الامواج فلا يودّع الماضية حتى يستقبل القادمة

— وممن تطلب الحرية ؟

— اطلبها من كل امة من الامم فالامة في كل بلاد هي العنصر الحي هي القوة الفعالة هي الاساس الثابت هي العامل المطلق منها اطلب الحرية التي لو خولتنيها كل القوانين والحكومات والتعاليم ولم تمد كل امة على حدة يدها لمناولتي اياها فمن العبث كل ذلك

— وبما ذا تعد الامة مقابل نصبها وجدها لاعطائك حريتك ؟

— اعطيها عندئذٍ كل خير كل نجاح كل مفيد كل نافع . اريحها من داء المخاتلة اريحها من تبكيت الضمير اريحها من خديعة الغاش انشر علمَ الفضيلة على رؤوس الملا انقي العلم الصحيح مما غشى وجههُ الجميل من ادناس المراءاة والمخاتلة وهل على هذا من مزيد ؟

— ولكن هل من لديك شواهد من سالف مآثرك تؤكد انجاز وعودك ووفاء عهدك ؟

— هذا من اسهل الامور . تذكر ولا اخالك ناسياً انني مرة دنوت من خرستفوروس كولومبوس وهو متكئ على وسادة رقادهِ ولست جبهتهُ العالية وقلت ما قولك ايها المفضال ؟ : ان الله العليم الحكيم يخلق هذه الكرة الارضية ويملأُ جانباً من قسمها الشرقي باليابسة ويترك القسم الآخر مجالاً لتعارك الامواج ومضرباً لنوافح الرياح ان هذا مضاد لحكمتهِ ولا بدَّ ان وراء هذا البحر العظيم الذي يعانق شواطئ اوربا وافريقية طريقاً موصلاً الى الهند على اقرب وانسب حال وبرًّا عظيماً في اكتشافهِ للخلق نفع عظيم وخير عميم وكان من ذلك ما كان من سعي ذلك المكتشف وفوزهِ باكتشاف اميركا الذي در على الهيئة الاجتماعية فيوض الثروة وفتح في وجه النشيطين باب الارتزاق باستثمار ارض عذراء يؤمها المهاجرون من اقصى الاصقاع سعياً وراء الثروة او جرياً امام حادي الحاجة

كان احد رجالي مرة يتأمل فتك الجدري الذريع ببني الانسان وقصفهُ اغراساً غضة لو نمت وجازت زمن الطفولية لكان ما فيها رجال تخدم الانسانية والعلم خدمات صادقة وبينما كان يتامل هذا الامر ادنيت شفتي من اذنيهِ وامررت اليهِ سر اكتشافهِ العجيب النافع فامتحن فاصاب وكان ما كان من جزيل النفع للانسان فكم رد اكتشافهُ اولاداً لوالديهم ووالدين لاولادهم كم برّد حسرات وزدَّ لهفات وانتشل مريضاً عزيزاً من قبضة الممات . وماذا اعدُّ من امثال ذلك فمثل هذه الاعمال المفيدة لا تخلو منها ساعة من ساعاتي ولو قلبت يوميتي صفحة صفحة وتلوتها سطرًا سطرًا لوجدتها مجموع اعمال جلى قد عادت على الجنس البشري سلطان الوجود الارضي المتملك مملكتي الحي والجماد باوفر نفع لا ينكر وجزيل افادات لا تحصر . وهذا هو العلم

الذي لاينكر فضلهُ عاقل من يعيهِ غيري ومن ينقلهُ من ذهن الى ذهن سواي وهذه البلاغة أليستُ اول شروطها الثلاثة وهي قلب مفكر . وبيان مصور . ولسان معبر . وهذا الشعر سيد الفنون الجميلة أليس هو مجموع افكار دقيقة رقيقة سامية مفرغة في قالب مخصوص

— ولكن بعض الباحثين يقولون ان باطلاق سراحك اندفاع الانسان في ميادين المنكرات وتجرؤهُ على التعاليم الدينية المقدسة وتطاولهُ على الرئاسات المدنية السامية التي بها انتظام الامور ونفوذ عدل الدستور

— يشهد الله انني بريء من هذه التهم والفظائع التي ليست الاَّ من تغريرات الخناس الذي يوسوس في صدور الناس اما انا الفكر البشري الشريف اللطيف السامي لا ينتج مني الاَّ كل ما هو سام كل ما هو نافع للانسانية وبنيها

— لااظن ايها الفكر البشري ان عاقلاً لايشعر بوجوب اطلاق سراحك وكسر قيود اسرك ولكن كثيرين من الكتبة والمؤرخين يقولون انك قد اطلقت من اعتقالك عند اول طلق أُطلق من المدافع على الباستيل اكبر سجون اعوانك وانصارك في مطلع الثورة الفرنسوية الشهيرة

— لا لا فالامر مبالغ فيهِ كثيراً ولا تصدق كل ما يقولهُ المؤرخون والكتاب فالكثيرون منهم يتمسكون بتلك الآية التي اوحاها الى الخلق شيطان جبن النفس وهي — ان ليس كل ما يعلم يقال — اتظن انني مطلق الحرية ؟ وهذه الدول تقوم القوية منها لتسحق الضعيفة باقدام اطماعها الثقيلة وجانب من الدول الباقية تحرق الارم غيظاً من عملها وسفراؤها في عاصمة تلك الدولة المحتجة بالقوة لا العدل تجاملها كل المجاملة وتؤكد لها وثوق عرى التحاب بين دولهم وبينها . اهذه هي حريتي ؟ اواه من هذه الحرية اتظن ان حريتي بانطلاق بعض الجرائد في غيها تسبُّ زيداً وتشتم عمراً لقاء انتقام نفس دنيئة او لشراء ذاك المشتوم شرف عرضهِ بمال يدفعهُ لمحررها الذي يسمي نفسهُ خادم الانسانية وناشر لواء الحق . . . ام من حريتي انطلاق جرائد اخرى شوطاً قصياً في حلبة المجاملة لاكتساب رضى القراء وارباب الاموال واذا كتب كاتب كتيباً في كل قنطار من ابحاثهِ درهم من الفائدة واهداهُ الى ادارتها جعلتهُ في تقريظها منتهى الحكمة وآية البلاغة

اه منك ايتها العدوَّة الزرقاء المسماة في اللغات الاجنبية (بالبلوتيكه) طوبى لمن يمسك اولادك ويضرب بهم الصخرة فهم مضيعو الحقوق وتاركو الاحمق غارقاً في لجة جهلهِ والعاقل آسفاً على اضاعة اتعابهِ وعدهِ في عداد من لا يراهم اهلاً للانتظام في سلكهِ من كرام الرجال

خدمة الانسانية والوطنية نعم ان الحقيقة تكون في بعض الاحيان مرة موجعة ولكن السكوت عنها يكون اوانئذٍ امرٌ واوجع

— اسأل الله لك ايها الفكر البشري نيل مرامك والتخلص من ربقة اسرك وقبل الختام ارجو ان تخبرني عن رأيك في الدمشقيين فاني اراك صائب الرأي اصيله

— لست جحوداً لانكر فضل بعض ادبائهم الذين يميلون اشد الميل الى اطلاقي من اسري ولكن بمتقضي مبدإي الذي اجاهر بهِ وهو حرية الفكر اقول انهم في المرحلة الاولى من الطريق وان التمام لا يتم لهم الاَّ بتمسك الامة باسرها بمبدإي القويم . وقد اطلنا الحديث وربما يكونون قد ملوا من هذه الاطالة فأرى بما تقدم الكفاية

سادتي : انني حضرت الاحد الماضي خطبة الخطيب الذكي في تلك الحفلة وقد اخذ موضوعاً له وجوه متضاربة فحللهُ تحليلاً كيماوياً وتناول لبابهُ واوضح الحقيقة بلا احتراس او تستر فشعرت عندئذٍ ان قوة داخلية تقبض على فؤادي وترقصهُ سروراً وارتياحاً وهذا الارتياح دفعني لاشكر لكم انتشار مبدإ حرية الفكر بين ظهرانيكم ولم ارَ موصلاً الى شكر يدخل النفس من باب الصدق والصواب الاَّ بتمهيد هذه المقدمات الشعرية ولا اراني في حاجة الى حث حضرتكم على التمسك بهذا المبدإ الشريف مبدإ حرية الفكر فانتم ادرى مني واخبر بفضلهِ ونفعهِ وانما ارجو كلما عنَّ مبدأ حرية الفكر لكم ان تذكروا بالخير هذا الغريب العازم على الرحيل الذي

يودعكم ويودعكم فؤاداً ... بقربكم لقد عشق الاقامه
سيترك عندكم قلباً شكوراً ... يكرر شكركم حتى القيامه

(حامد)

وصف دمشق للشيخ عبد الغني النابلسي

إن سامك الخطب المهول فأقلقا ... فانزل بأرض الشام واسكن جلَّقا
بلدٌ سمت بين البلاد محاسناً ... ونمت بهاءً واستزادت رونقا
زاد السرور بها لكل معرّجٍ ... لا سيما ان كان من اهل التقى
ان تعشقوا وطناً فذي اولى لكم ... دون البلاد بأن تحب وتعشقا
خير الاناس أناسها يرعون أنـ ... ـواع الوداد ويحفظون الموثقا
هي جنة للطائعين معدَّة ... يتمتعون ولا يرون بها شقا
طابت هواءً للنفوس وماؤُها ... عذبٌ زلال سائغ لمن استقى

الياذة هوميروس

هذا هو النشيد الذي كان ادباء اليونان والرومان يستظهرونهُ من اولهِ الى آخرهِ ثم عنيت الامم الاوربية الحديثة بترجمتهِ ونظمهِ حتى لقد تجد لهُ في الانكليزية وحدها تسع ترجمات مختلفة وكلها منظومة عدا الترجمات النثرية . وقد اقدم على ترجمتهِ ونظمهِ حضرة العالم الفاضل سليمان افندي البستاني منذ سبع عشرة سنة فسبكهُ في قالب عربي وعلَّق عليهِ شروحاً مستفيضة وقدَّم لهُ مقدمة مسهبة فصار ثلاثة اقسام الشعر والشرح والمقدمة نبحث في كل منها على حدتهِ

الشعر

اشعار هوميروس واخصها الالياذة دائرة معارف جمع فيها الناظم معارف الاقدمين لعهدهِ وهو بعيد عنا لا يقلُّ بُعْدهُ عن ثلاثة آلاف سنة . واعرب فيها عن المنافسة القديمة بين اسيا واوربا التي لم يتقلص ظلها حتى الآن . ووصف اخلاق الناس واميالهم وكل ما يخامر النفس وما تظنهُ من عون الالهة لها او خذلانها اياها . ومعاني هوميروس ليست شعرية في الغالب لانها ليست صوراً خيالية ولا تصوُّرات فلسفية وانما هي حوادث واخبار وقعت حقيقةً او حكماً تتمثَّل لذهن من يسمعها او يقرأها كأنهُ يراها عياناً . ولا ندري هل عبَّر عنها على اسلوب شعري بالاستعارات والكنايات او اقتصر على ايراد المعاني بالالفاظ الموضوعة لها . فان كان الثاني فالمعرّب قد حذا حذوهُ غالباً وان كان الاول فقد جاء التعريب احياناً دون الاصل من هذا القبيل . وعذر المعرّب حينئذٍ واضح وهو صعوبة ترجمة الشعر بالشعر والاحتفاظ بالمعنى كلهِ من غير زيادة ولا نقصان . ومع ذلك فقد ابدع احياناً كثيرة في الترجمة ولاسيما حيث تُحرّك عواطف النفس فتحرك الاشجان كقول هكطور بطل طروادة مودعاً زوجتهُ

سوف تدكُّ باليون [1] القلاعْ وتوافينا الملمات الفظاعْ كل هذا منهُ قلبي لا يراعْ
لا اذا امي في الترب ثوتْ او ابي من دمهِ السمر ارتوت او رميم الاخوة الارض احتوت
لا اذا الطرواد بادوا واذا خرق الزرقاء لجوّ العويل
غير ان الخطب كل الخطب آه ان تكوني في سبيات العداه تذرفين الدمع عن مر الحياه
تستقين الماء كالعبد الاسير من مسيس او ينابيع هفير تنسجين القطن والقلب كسيرْ
كل بؤس كل رزء وعنا كلهُ ان حلَّ ذا الرزء قليلْ

(١) اليون بلد هكطور وعاصمة بلاد طرواده

كلهُ لا شيء ان صحَّ الصحيح ولديهم كبتٍ والدمع يسيح والذي يلقاك بي هزءًا يصيح
تلكَ زوجة هكطور الشديد خيرما في القوم ما قرم عنيد كم لهُ قرع بدرَّاع الحديد
تلَّ صدر الجيش تلاً وهنا سبيت زوجتهُ وهو تليل
فتصيحين وتصلين السعير تستجيرين ولكن من يجير ان يكن هكطور في الترب قرير
فلكِ الرقُّ وانواع العذاب يا لحود الارض واريني التراب قبل ان يدهمني هذا المصاب
وانلني ايها الخطب البلى قبلما زوجي للسبي تنيل

وكقول اخيل بطل اليونان في رثاء صديقهِ فطرقل وقد مهَّد الشاعر لذلك تمهيدًا فقال

واما بنو الاغريق آناء ليلهم فقد لبثوا في مأتم هدَّهم هدا
وبينهمُ آخيل في زفراتهِ يحنُّ لفُطرُقل وقد اكبر الفقدا
على صدر ذاك الالف التي اكفهُ يحا كي اذا ما احدق الاسد الوردا
كأن يبطن الغاب اشبالهُ بها خلا قانصٌ فاربدَّ واشتدَّ واحتدَّا
وهبَّ على آثارهِ بجزازة تجدّرهُ وهدًّا وتصعدهُ نجدا
فصاح ألا ربّاهُ واعظم موعدٍ وعدتُ منتيوسًا ولن اصدُقَ الوعدا
بمنزلهِ عاهدتهُ لافنطس اعيد ابنهُ من بعد ان يقهر الضدَّا
ويهدم اليونا ويرجع غانمًا وهيهات زفس كل آمالنا اسدى
باليون قد خطَّ القضاء بان من دماء كلينا الارض محمَّرةً تندى
افطرقلُ مذ سيقت لذا الترب اعظمي وبعدك لي قد خطَّ ان انزل اللحدا
فلستُ متمًّا مأتمًا لك قبل ان اذيق الردى هكطور قاتلك الجلدا
وشكّتهُ تلقى لديك ورأسهُ فاذكي لك النيران مدَّخرًا حمدا
ومن حولها اثني عشرَ رأسًا بصارمي اقضب من طروادة فتيةً مُردا
فظلَّ اذًا ملقى لدى الفلك ريثما ابرُّ فذا عهدي ولن أُخلف العهدا
فحكم ثمَّ طروادية دردنيَّة سبينا بدار بأسنا فوقها امتدَّا
بحنَّ عليك اليوم والليل كلهُ ويلطمنَ بضًّا الصدر والنحر والخدَّا

وكقول اندردماخ زوجة هكطور في رثائهِ لما قتلهُ اخيل

متَّ بعلاهُ بالشباب النضير وانا ايمٌ بهذي القصور
وهنا الطفل طفلنا ونتاج الـ ـحزن لن يدركنَّ آه الشبابا
قبل ذاك الزمان خلت الديارا اصبحت نضرةً وباتت دمارا ان تمت لاسواك يحمي الذمارا

وجميع البنينَ والاطفالِ والعذارى والمحصنات الحوالي
سوف يمسين في الخلايا سبايا وانا بينهنَّ وا اوصابا
وكذا انت يابنيَّ ستمسي حيث امسي تعنو بذلٍ وبؤسٍ لفتى ظالم عتا ذي بأسٍ
او عدوٍّ سيم الوبالا الثقيلا يتوخى لك الحمام الوبيلا
بك يلقي من فوق برج فيشفي غلةً كادت النفوس الغضابا

او حيث يدعو المقام الى اظهار الفصاحة كما في خطب نسطور . من ذلك قوله

سموتَ ذيوميذُ بيأسكَ مثلما برأيك في الاتراب قد كنتَ ساميا
فما لكَ في الاغريق لومة لائم ولكن فصل القول ما زال خافيا
فانت فتىً لو قيس عمرك لم يكن لاحدث ابنائي الصغار مساويا
على انك اخترت الحصافة منهجا وصيدَ السرى خاطبت بالحق عانيا
واني وحسبي الشيب دونك مفخرًا سيجمع اطراف الحديث كلاميا

او حسن البيان كما في وصف ما حلَّ باخيل من الجزع على موت صديقهِ فطرقل كقوله

وظلَّ اخيلُ والكرى قاتلُ الاسى بذكراهُ فطرقلاً يؤرقهُ السهدُ
ينوح على إقدامـهِ وزعامهِ وكلُّ سجاياهُ لخاطرهِ تبدو
يكبُّ فيستلقي يسيرًا فينثني على صفحتيهِ والهواجس تشتدُّ

او الشجاعة وشدة الباس كقولهِ في وصف معركة

تدفقتِ الاجناد اي تدفقِ الى الحرب تجري فيلقًا اثر فيلقِ
بهم اولياء الامر يُسمَعُ امرهم وهم لا هوى نفس ولا صوت منطقِ
وفوق الصدور الطامحات تألقت صوارمهم والسمر ايَّ تألقِ
ولكنما الاعداء قام ضجيجهم كسرب شياهٍ في الحظائر قلَّقِ
اذا ما استُدرَّت والسخال ثغت لها لهنَّ رنت تثغو بانةِ مشفقِ
فاوزاعهم من كل فج تألفوا بعدة لسنٍ واختلاف تخلُّقِ
ولما تدانوا والنفوس سواخط تخرقت الاجناد ايَّ تخرقِ
نصول تلاقت في صدور تدججت وكرٌّ يواري فيلقًا فوق فيلقِ

وبلغ الشعر غاية من السهولة والانسجام في النشيد الثاني والعشرين الذي وصف فيهِ الناظم مقتل هكطور فمن ذلك قول فريام يحذر ابنهُ من لقاء اخيل

فلذ بالسورِ لذ عجلا خبيبي واتقِ الفشلا

وذُدْ عن جندِ طُروادٍ ونسوةِ جندها النبلا
ولا تُعرضنَّ إلى الحمام بوجه آخيلٍ
فتلبسهُ حلى المجد الأثيلِ ويُبلغُ الأملا
ورقَّ لوالدٍ هِمٍّ نصوح زفس قدَّر أن
يبيد بعيد أن يدهاهُ كلُّ بلا وايٍ بلا
ابادة ولدهِ طراً وذُلُّ بناتهِ أسرا
ونهبُ منازلٍ فيها العدوُّ يعيثُ منتشرا

وتوسل هكطور لاخيل لكي لا يمثّل القاتل منهما بالمقتول

ونستشهد بني الخلدِ على الايمان والعهدِ
فهم خيرُ الشهودِ على الورى في القرب والبعدِ
لئن اوتيتُ نصراً من لدى زَفس فحسبي ان
تموت وان تجرد من زهيِّ سلاحك الصلدِ
ولكني ارُدُّك للاخاءة لاَ هوانٍ ولا
أذىً عدني إذا في مثل هذا صادق الوَعدِ »
فأحدق فيهِ شزْراً يلتظي آخيل قال « صه
ولا تذكر وفاقاً لا وفاق بيننا ذُكراً

وقول هكطور لما يئس من عون الاله وايقن بالهلكة

فلا نجوى وزفس قضى وآفلون ما اعترضا
وكم قد اوليانيَ قبلُ ظل حماية ورضا
ولكن القضاء اتى فاهلاً بالقضاء فلا
مردَّ وخلتهُ ما حطَّ من هممي ولا خفضا
اموتُ بعزةٍ تترى لاجيالٍ فأجيالِ
ومجد باذخ بي فوق ابراج العلى نهضا
وسلَّ حسامهُ من غمدهِ بلباقة ومضي
بقلب لا تغيرهُ الخطوب ولا يرى الغيرا

والشعر مشكول كلهُ شكلاً كاملاً لكي لا يقع فيهِ اقلُّ التباس
الاَّ ان هوميروس ذكر مئات من الاعلام المنقولة والمرتجلة وهي مألوفة عند اليونان او

صارت مالوفة بشعره وكذلك صارت عند الاوربيين فلا يثقل عليهم سمعها والنطق بها وهي على الضد من ذلك عند ابناء العربية غريبة ثقيلة وتكثر هذه الاعلام في البيت الواحد احياناً حتى يعسر على القارئ العربي النطق به كقوله

او إِكسذِ اوثيسسَ بن أَغيس من قد كان مثل الخالدين رزينا

وكقوله صفحة ٦٧١

كذا ابن هِرطاقسٍ آسيُسُ البطلُ من ثقّف الجرد للهيجاء يشتعلُ
وآكماسُ ابن انطينور يصحبهُ اخوهُ ارخيلخٌ كانا بصحبتهِ

فان قيل هل من سبيل آخر لذكر هذه الاعلام على غير هذه الصورة قلنا اننا لو حاولنا ترجمة شيء فيه كثير مثلها لتجنبنا ذكرها على قدر الامكان اما باقامة المضمر مقام المظهر حيث يغني عنهُ او باغفالها مطلقاً حيث لا تدعو الحال الى ذكرها ولعل المترجم فعل ذلك ولكن بقي منها شيء كثير في بعض الاماكن يملهُ القارئ

ثم ان المترجم عبَّر بالفاء عن الباء اليونانية غالباً فقال افلون بدل ابلون وفاريس بدل باريس وفرغموس بدل برغموس وحبذا لو جارى الذين عرَّبوا هذه الكلمات قبلهُ بالباء لان الاسماع الفتها كذلك . واكثر من الكلمات اللغوية واختارها احياناً حيث لا يدعو الوزن ولا القافية اليها كقوله في الصفحة ٣١٥ " او مت وبضمك لم يعقد " فانهُ كان يحسن ان يقال وعرسك . وكقوله في الصفحة ٣٣٣ "مع نجي مدام ملآن" فان كلمة زق تقوم مقام نجي وهي اشهر منها واصلح في هذا المكان . لكنهُ فسَّر في الحواشي اكثر ما اوردهُ من الغريب فلا يتعذَّر فهم المراد على طالب الفائدة ثم فسر الغريب كلهُ في معجم الحقهُ بالكتاب

وقد جاءت الالياذة في نحو احد عشر الف بيت ولذلك رأى المترجم ان لا يقتصر على انواع النظم المشهورة مثل القصائد والمخاميس والاراجيز بل سلك مسالك اخرى كما رأيت في الامثلة المتقدمة دعاها باسماء رآها تنطبق عليها كالمثنَّى والمربَّع والمثمَّن والموشح المسبَّع والموشح المثمن والموشح المردف وهلمَّ جرًّا فجاءت بهذا التنويع اكثر طلاوة واوقع في نفوس القراء

وجملة القول ان العربية التي عجز ادباؤُها قبلاً عن مجاراة اكثر اللغات الاوربية بل عن مجاراة السريانية في نقل اشعار هوميروس اليها قد غنيت الآن بهذه الترجمة . وزد على ذلك ان هذه الترجمة تفوق كل ترجمة شعرية تقدمتها في انطباقها على الاصل وفي ما تضمنتهُ حواشيها من الشروح والشواهد العربية كما سيجيء في الجزء التالي وفي ان فصولاً كثيرة منها جاءت من ابلغ ما نظم في العربيَّة كما رأيت في الامثلة المتقدمة

ما احب وما اكره

وهو مثلث انتقادي حكمي

تكشَّفَ سرُّ اخلاق البريَّه لفكري بعد اعنات الرويَّة
فلا نفسٌ من السوأى بريَّة ولا قلب على عهدٍ مقيمُ
وحيث مطامع الدنيا دنيه سئمتك ايها العيش الذميمُ

احبُّ من المعاشر كل خالِ من التدليس محمود الخصالِ
يدومُ على ودادك غير سالِ ولو أودى بك الدهر الظلومُ
وحيث رأيت ذاك من المحالِ سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكرهُ كل محتال يعيدُ ثناك وبين اضلعهِ الحقودُ
فان هو نال يوماً ما يريدُ تغير ذلك الوجه الوسيمُ
وفيما انهُ أمرٌ يكيد سئمتك ايها العيش الذميمُ

أحبُّ المجرمين اذا اقرُّوا بفعل السيئات ولو اضرّوا
وأُوقن انهم لم يستمرُّوا عليها دون اسباب تضيمُ
واذ لابدَّ من سببٍ يجرُّ سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكره من رفاقي المدَّعينا ويحثهمُ بما لا يعلمونا
فان ساءلتهم لا يعرفونا سماك البحر تغرق أو تعومُ
ولما شاع هذا العيث فينا سئمتك ايها العيش الذميمُ

احبُّ الراغبين عن الجدالِ بأمر الدين فهو من المحالِ
وقد يزدادُ من قيلٍ وقالِ الى هيجاء مرتعها وخيمُ
وحيث رأيتهُ صعب الزوالِ سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكرهُ كل من صلَّى وصاما وزار القبرَ والبيتَ الحراما
ولم يلبثْ ان ارتكب الحراما بفعل المنكرات كما يرومُ
وحيث رأيتهُ داءً عقاما سئمتك ايها العيش الذميم

احبُّ من الجماعة من اراهُ يعيش بقدر ما رزق الالهُ
فينفق دخلهُ في مشتهاهُ غنيًّا ان يساعدهُ لئيمُ
ولما ضلَّ فتيتنا وتاهوا سئمتك ايها العيش الذميم

واكرهُ من يفتّلُ شاربيهِ ويفرق شعرهُ عن جانبيهِ
ويسرف فوق طاقة والديهِ على ما ليس يجهلهُ العمومُ
واذ لا وادع من اصغريهِ سئمتك ايها العيش الذميمُ

احبُّ من الملا من لا ينمُّ ولا يفشي الحديثَ ولا يذمُّ
ولا يلقي الشقاق ولا يهمُّ أزيدٌ ماكرٌ او مستقيمُ
ولما كان ذلك لا يتمُّ سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكرهُ من يقول انا فلانُ فلا اعبا اذا جار الزمانُ
رجال ابي اسودٌ لا تهانُ وربع محلنا وافٍ عظيمُ
ومن حيث التكبر مستهانُ سئمتك ايها العيش الذميمُ

احبُّ الشعرَ مدعاة المسرهْ ومن يروي على أذنيَّ شعره
واني وان أخذت عليهِ اجره فارسلهُ كما مرَّ النسيمُ
ولما كان جلّ النظم سخره سئمتك ايها العيش الذميم

واكرهُ زمرة المتشاعرينا بسرقتهم لشعر الاقدمينا
يشدُّون الرحال ليسبقونا فبعضهم يزلُّ ولا يقومُ
واذ لا مخلص مما بلينا سئمتك ايها العيش الذميمُ

احبُّ الحبَّ ان هو كان عذري فتقبل عاذلاتي فيهِ عذري
ولا ريب بان الحبّ فطري ولا قلب امرىءٍ منهُ عديمُ
ولكن من هوى ابناء عصري سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكرهُ في الديانات الرئاسهْ فاكثرها لاغراض السياسهْ
كفى كهنوتنا لقب القداسهْ وليس يهمهُ الحق المضيمُ
واذ كتب القضاء لنا التعاسهْ سئمتك ايها العيش الذميمُ

احبُّ العدل ينشأُ في البلادِ فنأمن شرَّ اصحاب الفسادِ
وتنكفُّ الطغاة عن التمادي وتصطلح الشؤُون وتستقيمُ
ومذ رضيتْ جفوني بالسهاد سئمتك ايها العيش الذميم

واكره كل مثرٍ لا يجودُ وقد سئمت خزائنهُ النقودُ
وخطَّ عليَّ محياهُ الجحودُ الاهي المالُ لا المولى الرحيمُ
وإذ هو مع سفالتهِ يزيد سئمتك ايها العيش الذميمُ

احبُّ من الجرائد ما تضحي صحائفها على الخبر الاصحِّ
ولا تلوي على مدحٍ وقدحٍ يبرهنُ ان مبدأَها عقيمُ
وإذ لم القَ من يصغي لنصحي سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكره من صفات مراسليها اطالتهم مجال القول فيها
وجل شروحهم لو لخصوها عُبيدٌ مات او زيد سقيمُ
ولما كنت بين مطالعيها سئمتك ايها العيش الذميمُ

احب من الرجال الساهرينا على اصلاح تربية البنينا
فلا يدعونهم يتطوحونا لان الخيل تمسكها الشكيمُ
ومن جرَّاء ما يتكبدونا سئمتك ايها العيش الذميمُ

احب البحث عن سلمى وميا فتضطرب اليراعة في يديا
واسمع حسَّ صوتٍ داخليا يقول اخرس فشخصهما كريمُ
ولما لم يكن حكمي عليا سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكره ان أجيلَ الفكر اكثرْ مخافة ان يقولوا قد تهورْ
وفي ما قد ذكرتُ لمن تذكرْ فوائد دونها الدرُّ النظيمُ
فان لم تُعتبرْ فالله اكبرْ سئمتك ايها العيش الذميمُ

بيروت في ١٦ ايار سنة ١٩٠٤ جرجي نخله سعد

الراديوم وتوابعهُ

اشعة أُخرى من الاجسام المشعة

وجد الاستاذ رذرفرد سنة ١٨٩٩ انهُ ينبعث من الاورانيوم والثوريوم والراديوم اشعة أُخرى تختلف عن الاشعة الاولى بانها اقل منها نفوذاً وبان المغنطيس لا يحرفها عن سيرها فسماها اشعة الفا من حرف الالف اليونانية وسمي الاشعة الاولى بيتا وهي الباء اليونانية. واذا وضع على الجسم المشع ورقة رقيقة من معدن الاليومنوم حجب اشعة الالفا ولم يحجب اشعة البيتا واشعة البيتا اضعف من اشعة الالفا في جعل الغاز موصلاً للكهربائية

وكُشف نوع ثالث من الاشعة سمي باسم الجما نسبة الى الجيم اليونانية ولذلك سنطلق على هذه الاشعة اسم ا وب وج فنقول اشعة ا واشعة ب واشعة ج. واشعة ج اشد نفوذاً من اشعة ب ولكن لا يعلم من امرها الأ القليل حتى الآن

ماهية اشعة ا

ظُن في اول الامر ان اشعة ا هي نفس اشعة رنتجن لان المغنطيس لا يحرفها كما لا يحرف اشعة رنتجن ولأنها مثلها في جعل الغازات موصلة للكهربائية. لكن الاستاذ رذرفرد ابان في العام الماضي انهُ اذا كان المغنطيس قويًا جدًا حرفها قليلاً وكذلك تنحرف بالمجرى لكهربائي اذا كان شديداً جدًا لكن انحرافها في الحالتين مخالف في جهتهِ لانحراف اشعة ب ولا يفسر ذلك الأ بان اشعة ا مؤلفة من دقائق تخرج من المواد المشعة ولكنها تكون حاملة الكهربائية الايجابية كما ان اشعة ب تكون حاملة الكهربائية السلبية

ثم حسب جرم الدقائق المؤلفة منها اشعة ا وحسب سرعتها وذلك من مقدار حرفها للمغنطيس فظهر ان جرم الدقيقة منها يساوي جرم جوهرين من جواهر الهيدروجين الفردية بخلاف الاشعة السلبية التي الدقيقة منها اصغر من دقيقة الهدروجين الف مرة فالدقيقة من دقائق اشعة ا اثقل من الدقيقة من دقائق اشعة ب الفا مرة ولذلك لا تنفذ الاجسام بسهولة كاشعة ب ولكن سرعتها ليست قليلة فانها ٢٠٠٠٠ ميل في الثانية من الزمان اي اكثر من عشر سرعة دقائق ب ولذلك فقوة صدمها للاجسام التي تقع عليها اعظم من القوة التي تصدم بها اشعة ب الاجسام التي تقع عليها وهي اذا وقعت على غاز مزقتهُ تمزيقاً

ما يرى من الراديوم

كل الادلة العلمية التي تقام على فعل الراديوم لا تؤثر في النفس تأثير ما يرى من فعلهِ.

فاذا وضعت قطعة منهُ في مكان مظلم اضاءت من نفسها كالحباحب (سراج الليل) واذا ادنيت منها بعض المواد مثل سلكات الزنك وكبريتيدهِ اضاءت تلك المواد ايضاً . واذا نظر اليها بالميكرسكوب حينئذٍ ظهرت فيها نقط صغيرة منيرة تتألق كالكواكب او كالنيازك المتساقطة من السماء او كالشرر المتطاير من الحديد المحمى اذا طرقتهُ بمطرقة

حرارة الاجسام المشعة

اذا كانت اشعة النور تنبعث من الاجسام المشعة على الدوام فلا يستغرب ان تتولد منها اشعة الحرارة ايضاً او ان تكون حرارتها اشد من حرارة الاجسام المحيطة بها وقد ثبت ذلك في الراديوم وظهر ان حرارتهُ تكون دائماً اشد من حرارة الاجسام المحيطة بهِ درجة او درجتين بميزان سنتغراد ولا يبعد ان تكون قوة اشعاع الحرارة موجودة ايضاً في سائر العناصر المشعة كما هي موجودة في الراديوم ولو كانت فيها اقل مما هي فيهِ

سبب هذا الاشعاع

لم يعلم سبب هذا الاشعاع حتى الآن ولكن يظهر من بعض الدلائل ان السبب سيعلم قريباً . ومهما يكن نوعهُ فهو ليس فعلاً كيماويًّا من الافعال المعروفة لان مقدار الاشعاع متوقف على مقدار العنصر المشع من غير نظر الى المواد المتحدة بهِ مهما كان نوعها ومقدارها . فالقمحة من الثوريوم تكون على صورة نيترات او كلوريد او كبريتيد ومع ذلك يبقى مقدار اشعاعها على حالهِ . وكذلك لا يتوقف مقدار الاشعاع على حالة الجسم الطبيعية فقد يوضع في مكان حار او بارد ومع ذلك يبقى اشعاعهُ واحداً فهو خاصة من خواص الجواهر كالثقل لا يتغير بتغير احوالها الكيماوية والطبيعية . كان الفعل الذي يجعل الاجسام المشعة تشع اشعة ا او اشعة ب يتعلق بطبيعة الجواهر نفسها او بالقوة المدخرة فيها وهذه اول مرة وصل العلم فيها الى هذه القوة

مجهول الاورانيوم

وقد ثبت ما تقدَّم من حدوث تغير في جواهر المادة نفسها باكتشافات ابتدأ بها السر وليم كروكس منذ سنة ١٩٠٠ وذلك لانهُ اذا رُسّبَ نيترات الاورانيوم بكربونات الامونيوم ثم زيد كربونات الامونيوم حتى انحل نيترات الامونيوم بقي في السائل راسب فيهِ مقدار كبير من فعل الاشعاع الذي في الاورانيوم فسماهُ مجهول الاورانيوم لانهُ لم يعلم حقيقتهُ بالبحث الكيماوي . ثم وجد ان نيترات الاورانيوم الذي فقد جانباً من قوتهِ يسترد قوتهُ كلها بعد زمن غير طويل والمجهول المشار اليهِ يفقد قوتهُ

وامتحن الاستاذ رذرفرد الثوريوم فوجدهُ مثل الاورانيوم من هذا القبيل ووجد ايضاً ان الجسم المجهول يفقد قوة الاشعاع في نفس الوقت الذي يستردها فيهِ الجسم الاصلي فاذا رُسب كل ما يمكن ترسيبهُ من مجهول الاورانيوم وترك الاورانيوم الاصلي حتى يسترد نصف قوتهِ التي خسرها اولاً فمجهول الاورانيوم يفقد نصف القوة التي كانت فيهِ حينما رسب او يصير نصف ما كان اولاً . ووجد اختلافاً بين الثوريوم والاورانيوم في الزمن الذي يفقد فيهِ مجهولها قوتهُ فان مجهول الاورانيوم يفقد نصف قوتهِ في نحو ٢٢ يوماً واما مجهول الثوريوم فيفقد نصف قوتهِ في اربعة ايام

مجهول الراديوم

ثم اتضح انهُ يخرج من الراديوم جسم فيهِ قوة الاشعاع وينفقد قوتهُ هذه رويداً رويداً ووجد الاستاذ رذرفرد ان هذا الجسم غاز ويمكن فصلهُ عن الراديوم باحمائهِ او باذابتهِ في الماء فيخسر الراديوم ثلاثة ارباع قوة الاشعاع التي كانت فيهِ ولا يبقى فيهِ منها الاَّ الربع . والثلاثة الارباع تظهر في الغاز الذي انفصل عنهُ . واذا جرى هذا الغاز في انبوب زجاجي طويل اكسبهُ قوة الانارة فصار كأن فصفوراً جرى فيهِ . ويمكن وضعهُ في القناني ومراقبة قوتهِ من يوم الى يوم . وقد ظهر انهُ يفقد نحو نصف قوتهِ في اربعة ايام وفي هذه الاربعة الايام يستردُّ الراديوم نصف القوة التي خسرها واذا وضع في انبوب وغمس في الهواء السائل تكاثف عند الدرجة ١٥٠ تحت الصفر بميزان سنتغراد . ولهُ طيف خاص بهِ فهو يتولد من انحلال جواهر الراديوم كما يتولد مجهول الثوريوم من انحلال جواهر الثوريوم ومجهول الاورانيوم من انحلال جواهر الاورانيوم لكنهُ مثل ذينك المجهولين في عدم الثبات لانهُ يخسر قوتهُ كلها بعد زمن غير طويل ويستحيل الى شيءٍ آخر

انحلال الجواهر

اتضح مما تقدَّم ومن امور اخرى لانطيل الكلام ببسطها ان جواهر الاجسام المشعة آخذة في الانحلال كما يظهر من خروج اشعة ا واشعة ب منها دواماً ومن خروج جسم مشع منها . وهنا مجال واسع للنظر والتعليل . ويظهر لاول وهلة ان العناصر الثلاثة المشعة وهي الاورانيوم والثوريوم والراديوم جواهرها اثقل الجواهر المعروفة فان ثقل جوهر الاورانيوم ٢٤٠ وثقل جوهر الثوريوم ٢٣٢ وثقل جوهر الراديوم ٢٢٥ او ٢٥٦ ولا تشابه بين هذه العناصر الثلاثة في غير ذلك . ومعلوم ان جواهر الاجسام تدور على نفسها دوراناً سريعاً مستمرًّا . والظاهر ان جواهر هذه العناصر الثلاثة يتزق بعضها بسرعة دورانها فتنفصل عنها اولاً الدقائق المؤلفة

منها اشعة ا ثم ينفصل غيرها وغيرها الى اربعة انواع او خمسة انواع من الدقائق حتى اذا تمَّ انفصال الدقائق الموجودة في الجواهر المتجزئة بطل الاشعاع من الجسم الى ان تتعرض جواهر اخرى منهُ للتجزوء وتشرع تتجزأ فتعود قوة الاشعاع تظهر منهُ وهلمَّ جرًّا

تولُّد الهاليوم

لما رأى الاستاذ رذرفرد ذلك انبأ منذ اكثر من سنتين بتولد الهاليوم من العناصر المشعَّة ولم تمضِ سنة على هذا القول حتى وجد ان اشعة ا تشبه الهاليوم . ثم ان بعض الاشعة التي تتولد من الراديوم هي نفس غنصر الهاليوم

حياة الراديوم

ظهر مما تقدَّم ان هذه العناصر الثلاثة وهي الاورانيوم والثوريوم والراديوم آخذة في الانحلال و يتولَّد منها عنصر واحد وهو عنصر الهاليوم كأن جواهرها مؤلفة منهُ لكن لم يظهر بادق الموازين انها تخسر شيئاً من وزنها لا لانها لا تخسر شيئاً بل لأن خسارتها طفيفة جدًّا لا تؤَثر في ادق الموازين ولكن ما لا يعلم مقدارهُ بالوزن يعلم بوسائط اخرى اخصها اشعاع الحرارة منهُ ومن دقائقهِ وقد علم من ذلك ان حياة الراديوم لا تطول اكثر من مليون سنة اي انهُ يخسر كل قوتهِ في هذه المدة اما حياة الاورانيوم والثوريوم فاطول من حياة الراديوم جدًّا لان الاشعاع منهما اقل من الاشعاع منهُ مليون مرة

تحوُّل العناصر

اذا صح ما تقدَّم فتحوُّل العناصر امر محقق ولكنهُ يقضي بتحول العناصر الثقيلة الجواهر الى عناصر خفيفة الجواهر فيجري على ضد ما ظن اهل الكيمياء فاذا امكن التحول بين النحاس والذهب فالذهب يصير نحاساً ولا يصير النحاس ذهباً . ولكن لايبعد ان تكشف قوة طبيعية تركّب البسائط بعد انحلالها وتؤلف منها اجساماً ثقيلة كما تتركب الاجسام الحية من البسائط فان وجود الراديوم بجواهرهِ الثقيلة وما تقدم من انهُ لا يقيم اكثر من مليون سنة يدلان على انهُ تألف منذ عهد بعيد من جواهر اخف منهُ ان ثبت ذلك وعرف السبيل اليهِ فلا يبعد ان تتحقق احلام القدماء اصحاب الكيمياء

تحقُّق ذلك

رأينا بعد كتابة ما تقدَّم وتقديمهِ للطبع ان بعض الباحثين في طبائع الراديوم رأَوا ما يدلُّ على انهُ يتولَّد من الاورانيوم ولكنَّ تولُّدهُ منهُ بطيء جدًّا وسنزيد ذلك بيانًا في جزء تالٍ

مقتطفات من تقرير اللورد كرومر

ميزانية ١٩٠٤

اطلت الكلام في تقريري الماضي على السياسة المالية التي لم تحد الحكومة عنها في العشرين سنة الماضية . وابنت هناك ان الحكومة احلَّت الاصلاح المالي المقرون بتخفيف الاثقال عن كاهل المولين المحل الاوَّل في سياستها هذه فخصت كل ما يتوفر عندها من الاموال الطائلة بالاعمال العمومية ذات الريع والربح وخصوصاً اعمال الصرف والري واما الاصلاح الاداري فلما كان اجراؤُه لا يأتي الاَّ بانفاق المال الكثير عليهِ بلا تأخير احلتهُ المحل الثالث . وانا ازيد الكلام الآن على الاسباب التي اقتضت اتباع الحكومة لهذه الاسباب والنتائج التي نتجت عن اجرائها لها فاقول

كانت المسائل التي يطلب حلها سنة ١٨٨٣ كثيرة لا يحصى عددها على اختلاف اهميتها وكانت البلاد في غاية من الفوضى والارتباك بسبب طول ما قاست من فساد الاحكام وبسبب الحالة الخصوصية التي كانت فيها حينئذ . فكان المجال لاختيار المسائل التي تقتضي عناية المصلحين فسيحاً يتيهون فيهِ . ولم يكن غنيٌّ والحالة هذه عن معرفة ما اشبههُ بمركز ثقل حالة البلاد في ذلك الحين . لانهُ ان لم يكن الغرض المقصود بلوغهُ واضحاً جليًّا وان لم يكن السعي الى ذلك الغرض دائماً متواصلاً مدة اعوام طويلة فالحكومة تصير في افعالها كمن يتلمس طريقهُ تلمساً ويبني عملهُ على التجربة والامتحان دائماً فتعبث بها رياح الاحوال الطارئة وتميل بها تغيرات الرأي العام من جهة الى جهة . واما معرفة ما سميتهُ "بمركز ثقل الحالة" فكانت سهلة جدًّا اذ قضايا المملكة او الامارة ولا سيما القضايا المالية منها سهلة الادراك جدًّا مهما كان اجراؤُها عسرًا . لان الرابطة الوحيدة التي كانت لذلك العهد بين الحاكم والمحكوم في بر مصر كانت من جهة الحاكم الاتكال على القوة الفائقة الساحقة ومن جهة المحكوم الخوف الناشيء عن العسف في استعمال تلك القوة وعليهِ يقال بالاجمال ان الغرض الذي كان يقصد السعي اليهِ هو وجود رابطة جديدة بدلاً من الرابطة القديمة التي زادت في الشدة حتى انتجت العصيان والثورة اذ من يظن ان الحركة العرابية لم تكن سوى تمرد عسكري يخطىء في ظنهِ . وكان يشترط في هذهِ الرابطة الجديدة ان تقوم بثلثة امور : رضى جمهور الاهالي . وازدياد ثقتهم تدريجاً بحسن مقاصد حكومتهم . وتمكين الاقتناع في نفوسهم بان حكومتهم حكومة قوية ولكنها تستعمل قوتها على وجه مخالف لما كانت تستعملهُ سابقتها . وظاهر ان الاصلاح المالي كان

احسن واسطة لاستيفاء هذه الامور كلها لا سيما وان الحكومة كانت مصرية اسماً باعتبار الكل وفعلاً باعتبار الجزء ولكنها كانت تسير بارشاد النفوذ البريطاني ضرورة فبالنظر الى العناصر الاجنبية التي فيها لم يكن بينها وبين الهيئة المحكومة جوامع كالجنس والدين واللسان والعادات مما يجمع بين الهيئات الاجتماعية عادة

غير انها وان تكن قد عدمت هذه الصلات والجوامع فقد بقي المجال فسيحاً امامها لوجود ما يسدُّ مسدَّ ذلك اولاً بترقية احوال جمهور الاهالي المادية واخيراً بترقية احوالهم الادبية . واقول بلا ادنى تردُّد ان ما فعلتهُ الحكومة في العشرين سنة الماضية من هذا القبيل قد انتج النتيجة المطلوبة فان اهل مصر اصبحوا الآن في حال من الرضا واليسر والرخاء والهناء لم يروا مثلها قط في ماضي تاريخهم وقد دارت الدائرة على قوات المعارضة والتأخير فانخذل المعارضون انخذالاً عظيماً في كل جهة تقريباً وولى نظام الحكم الشخصي (الاستبدادي) الذي كان متبعاً في هذه البلاد وكان يجد من حزب المعارضة والتأخير اعظم نصير واقوى ظهير وضُرب ضربة قاضية لا قوة لهُ على القيام منها وارجو واظن انهُ لن يجد طول دهرهِ الى القيام منها سبيلاً

ولا يزال هناك مسائل عظيمة عمومية محتاجة الى الحل ومستقلة عن المسائل الصغيرة الخلافية . ولا بد من ان تجدَّ مسائل اخرى ايضاً كلما مرَّت الايام وازداد المصريون حبًّا للتقدم العصري فانهم لا يزالون في حاجة الى تعلم حقيقة لا غنى عن علمها وهي انهُ يمكن للقانون ان يكون عظيم القدرة والقوة من غير ان يكون مستبدًّا او منقلباً مع الاهواء وكذلك لا غنى لمعشر الموظفين في الحكومة عن تعوُّد استعمال السلاح الذي يقلدهم اياهُ نظام الحكومة المطابق لروح التمدن لانهم لم يألفوهُ الاَّ قليلاً حتى الآن . ولا غنى لهم ايضاً عن تعلم هذا الامر وهو ان هناك حدًّا متوسطاً بين السلطة المطلقة من كل قيد وعنان وبين الضعف الذي يحمل صاحبهُ على اجتناب كل مسؤولية . وايضاً ان روح الحرية الذي دب في الصدور منذ عهد قريب وجعل يخترق القلوب والعقول قد يؤدي الى العسف وركوب متن الشطط في السلوك من جهات شتَّى . فلا بد من الصبر والتأني ومر الزمان والجري على مبادىء الحرية والعدل والاعتدال في حل المسائل التي يمكن ان تنشأ عن هذه الاسباب ونظائرها بلا التجاء الى الوسائط المزعجة والعلاجات المجهضة . وعلى كل حال قد مهد السبيل لحلها بازالة الاسباب التي كانت تترك كل طبقة من طبقات الهيئة الاجتماعية المصرية في حال القلق وعدم الرضى واستبدالها بحال الرضى العام فعلى هذا الاساس الوطيد يقام البناء ويصلح ويحسن ويكمل ويتقن بحسب مقتضى الزمان والاختبار

وانتقل الآن من هذه الملاحظات العمومية الى النظر في ميزانية السنة الجارية فاقول ان الغالب على الاذهان هو ان التفاصيل المالية خالية من كل لذة وطلاوة وارى ان ذلك مسبب عن عدم الانتباه الى الحقائق المنتشرة وراء تلك الارقام المجردة وعدم قدرها حق قدرها. والآن فكل غرش يضاف في مصر الى مصروفات الحكومة ويصرف بالحكمة على المعارف او القضاء او اصلاح السجون وما شاكل يفيد ان مصر خطت خطوة صغيرة في سبيل الارتقاء المادي والادبي وانها تقدمت في تنفيذ السياسة العمومية التي وصفتها بوجه الاجمال في ما مرّ. فالمجال واسع لاعمال قوة الخيال والتصور حتى في الميزانية المحتوية على ارقام لا تؤثر في النفس تأثيراً شديداً على شرط فهم معناها ومغزاها حق الفهم

اما ميزانية ١٩٠٤ فليست مما يستوقف البصر او يهيج الخاطر ولكنها موجبة لمزيد الرضى والاستحسان من الوجه التالي. فقد قلت في تقرير السنة الماضية " والمؤمل انهُ من سنة ١٩٠٥ وما بعدها يكون للاصلاح الاداري من حيث توقفهُ على السياسة المالية محل في بيان الحكومة اظهر مما كان لهُ فيما مضى " فجاءت الحالة المالية لحسن الحظ مسوغة للتعجيل في اتمام ما سبق التلميح اليهِ في ذلك القول فان ميزانية السنة الجارية تزيد مصروفات دواوين الحكومة ومصالحها المختلفة زيادة جوهرية لان مجموع ارقام تلك الميزانية كما يأتي

الايرادات	١١٥٠٠٠٠٠ ج م
المصروفات	١١٤١٠٠٠٠ ج م
فالزيادة	٩٠٠٠٠ ج م

وقد كانت العادة في الاعوام الماضية ان تقدر ايرادات الحكومة في ميزانياتها بمزيد الاحتراس والحذر ولكننا رأينا في اواخر سنة ١٩٠١ انهُ قد قام من الادلة في السنين التي قبلها ما يكفي للبرهان على ان ازدياد الايراد فيها لم يكن ناتجاً عن اسباب عرضية او وقتية وانهُ ينتظر ان يزداد اكثر من ذلك في المستقبل ايضاً. فلذلك زاد الاعتماد على التفاؤل بالخير وحسن الظن بالمستقبل في ميزانية هذه السنة عمَّا كان معتاداً في السنين الماضية

ولا خوف من ذلك اذ ما ثبت بالاختبار في السنتين الماضيتين ودلائل اليسر والرخاء في البلاد تؤيد الرأي بازدياد الايراد وعليهِ لا ارى باساً بتقدير السر الدن غورست للايراد بمبلغ ١١٥٠٠٠٠٠ ج م اي بزيادة ٥٠٠٠٠٠ ج م عما قدرهُ بهِ في سنة ١٩٠٣ فان بعض هذه الزيادة مسبب عن شراقي سنة ١٩٠٣ لانهُ لما جاء فيضان النيل ناقصاً سنة ١٩٠٢ ترك ١٧٥٠٠٠ فدان من اطيان الوجه القبلي شراقي فتجاوزت الحكومة عن مالها وقدرهُ ١٤٠٠٠٠ ج م

واما في هذه السنة فساحة الشراقي تكون صغيرة لا تذكر فيكون الباقي من الزيادة ٣٦٠٠٠٠ ج م وهذه تنتج عن ازدياد الايراد الطبيعي

واما المصروفات المقدرة في ميزانية هذه السنة (وهي ١٠٠٠٠ ١٤١ ج م) فتزيد ٢٢٧٠٠٠ ج م عن المصروفات التي قدرت سنة ١٩٠٣ ومن هذه الزيادة ٧٧٠٠٠ ج م من قسط الخزان السنوي وقيمة هذا القسط كله ١٥٤٠٠٠ ج م تدفع سنوياً من الآن فصاعداً حتى يستهلك دين الخزان كله ومنها ٥٠٠٠٠ ج م زيدت بها مصروفات مصلحة السكة الحديد والباقي يضاف اليه ١٠٠٠٠ ج م توفرت من مصروفات الجيش فيصير ١٠٠٠٠٠ ج م وبه تزاد مصروفات دواوين ومصالح مختلفة ذكرت بالتفصيل في مذكرة السر الدن غورست وسأذكر كيفية توزيعه على تلك الدواوين والمصالح في سياق الكلام على كل ديوان ومصلحة منها

واما مصروفات السودان فقدرت بمبلغ ٣٨٠٠٠٠ ج م اي اقل مما قدرت سنة ١٩٠٢ بمبلغ ١٠٠٠٠ ج م لان مصروفات الجيش خفضت واما المصروفات الملكية التي يأخذها السودان من مصر فباقية على ما كانت اي ١٩٦٠٠٠ ج م ثم انهُ يدخل على مصر نحو ٦٠٠٠٠ ج م من جمرك الاسكندرية وسواكن على البضاعة الصادرة من السودان والواردة عليهِ . فيكون صافي ما تدفعهُ خزينة مصر الى السودان ٣٢٠٠٠٠ ج م

مجلس شورى القوانين

انشيء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية منذ عشرين عاماً ولكننا لم نعلم مع ذلك من اختبار اشغالهما ما يكفي لتقدير الخدمة التي يمكن ان يخدما القطر المصري بها في المستقبل تقديراً يعول عليهِ لان ما عبر عنهُ منشئهما الشهير المرحوم اللورد دفرن بقولهِ "روح العصر الاستخالي" يفعل فعلهُ رويداً رويداً فيهما

غير ان ما يكون منهما في المستقبل يتوقف كثيراً على الجهة التي تتجه اليها عقول ابناء هذا الجيل بالقوات الادبية والعقلية التي وجهت اليها في هذه المدة الاخيرة . ويتوقف كثيراً ايضاً على مقدار نيابتهما في المستقبل عن عناصر الطبقة التي تستحق آراؤها الاعتبار والاهتمام من طبقات الهيئة الاجتماعية المصرية . ويتوقف قليلاً على خطة الحكومة بالنسبة اليهما اما خطة الحكومة بالنسبة اليهما فقد كانت لهذا العهد بحيث يجوز للتطرفين من المحامين عن المجالس النيابية ان يقولوا في انتقادها انها تجاوزت الحد في الرعاية الابوية . فكانت بلا ريب خطة وداد ومجاملة وان تكن الاحوال قد اقتضت في بعض الاحيان ان الحكومة تبدي عدم الاستحسان لها وقد جعلت الحكومة دأبها قبول آراء المجلس حيثما تيسر لها ذلك ولو افضى الى

اغفال رأي الاكفاء من رجالها . واما حيثما لم يكن يتيسر لها ذلك فانها كانت توضح للمجلس سبب رفضها لآرائهِ او مطالبهِ بكلام لطيف وعبارة رقيقة

الاَّ اننا قد علمنا من امر هذين المجلسين ما يكفي لاثبات قولنا ان اللورد دفرين اصاب في غرضهِ الاوَّل من انشائهما وهو ان يكونا "مجلسين استشاريين لا تشريعيين" فانهُ وان يكن قد سمي احدهما مجلس شورى القوانين فليس الغرض الحقيقي منهُ التشريع (سن القوانين) بل اعطاء المشورة في التشريع. قال اللورد دفرين والحاجة هي الى انشاء هيئة تكون قريبة من النظار دائماً لتساعدهم على اتقان التدابير التي يتخذونها وترشدهم الى حاجات البلاد ورغائبها اجمالاً

هذا و يصح ان يقال ان مجلس شورى القوانين قضى بعض الامور النافعة التي قصدها اللورد دفرين من انشائهِ وخصوصاً في هذه السنين الاخيرة. فاذا ابديت الان بعض الملاحظات عن خطتهِ في بعض الامور فلست بفاعل ذلك عن قصد الجفاء او العداء وانما قصدي تحويل انتباه اعضائهِ الى امور يمكن انهم لم ينتبهوا اليها

ان الموضوع الذي يهم المجلس خصوصاً هو الميزانية السنوية فقد ارسل تقريرًا مطولاً الى الحكومة عن ميزانية السنة الجارية اشار فيهِ بالغاء ضريبة النخيل وعوائد الملاحة في النيل وبزيادة المصروف وخصوصاً مصروف الحقانية والمعارف العمومية واقام اعضاؤُه الادلة على صحة ما اشاروا بهِ بعبارة معتدلة ثم تبين ان بعض ما بلغهم من التفاصيل التي ذكروها في تقريرهم خطاء

ولكنا اذا اعتبرنا كل مسأَلة من المسائل التي عرضوها في حد ذاتها وجدنا ان آراءهم تستحق المدح من وجوه كثيرة . على انهُ لو تيسر تدبير المال لتخفيف الضرائب فوق ما خففت فان الاختلاف يبقى في ما اذا كان تخفيف الضرائب عما طلبوا تخفيفها عنهُ اولى بالتقديم على غيرهِ . الاَّ اني لم اقصد التعرض لذلك الآن وانما قصدت ان احوّل الانظار الى ان المجلس طلب في هذا التقرير وفي سواهُ مما سبقهُ ان الحكومة تنقص ايرادها وتزيد مصروفها في آن واحد . ولا غرابة في ذلك فان بعض الهيئات النيابية قد يُنتقد عليها بمثل هذا الانتقاد في بلدان ارقى من البلاد المصرية

ومن حسن الحظ ان المالية المصرية بلغت من اليسر وحسن الحال في السنين الاخيرة ما يمكن الحكومة من الجري على الخطة التي يشير المجلس بها اعني الغاء ضرائب كان ايراد الحكومة منها عظيماً او انقاصها وزيادة المصروفات . ولكن ذلك يقتضي غاية الحذر والاَّ خيف من تجدد الارتباك المالي الذي الحق بالمصالح المصرية العطل والضرر في الماضي . وعليهِ نقبل المبادئ العمومية التي يطلب المجلس قبولها ولكن لا نقبل العمل بها حالاً . ولا خلاف في ان زيادة

تخفيف الضرائب امر محبوب ومطلوب وزيادة المصروفات على امور كثيرة امر ضروري ولكن ليس من الصواب تقليل الايراد ولا زيادة المصروف الاّ بعد ما يتأكد وجود المال لذينك الغرضين اذ اول امر جوهري تقتضيهِ الديار المصرية هو تأكد دوام الموازنة المالية .

ثم ان المجلس قد اكثر من حض الحكومة على زيادة المال الذي تصرفهُ على المعارف . فاعدت نظارة المعارف العمومية مذكرة وارسلتها الى رئيس مجلس شورى القوانين وابانت فيها بعض الامور التي وهم المجلس فيها . وليس غرضي التعرض لهذه التفاصيل الآن وانما اذكر الامر الحقيق بالاعتبار فيها وهو ان المجلس قد اظهر في هذه الحال واحوال اخرى عديدة شدَّة اهتمامهِ بامر المعارف وقد اصاب في ذلك ولكن الزمان هو الذي يمكن ان يظهر لاعضاء المجلس ان كانت المعارف تنتج كل النتائج التي ينتظرها بعضهم منها على ما يظهر او لا. اذ العبرة هي في كيفية استعمال الجيل المقبل من المصريين لمارفهم بعد تحصيلهم اياها . فاذا كان السابقون منهم يحوّلون عقولهم الى معالجة الاسباب التي افضت الى تأخر كثير من بلدان الشرق وانحطاطها لم تكن النتيجة الاّ خيرًا . واما اذا فتحوا آذانهم لاقوال المتملقين ولسماع السفسطات التي يلقيها عليهم كثيرون من ابناء وطنهم الذين هم في الحقيقة الد الاعداء واشد الكارهين لتقدم المصريين كانت نتيجة تحصيل المعارف شرًّا لا خيرًا

وظني ان الباعث للمجلس على الاهتمام بهذه المسألة هو رغبتهُ في تربية جماعة من المصريين حتى يحلوا محل بعض الاوربيين في خدمة الحكومة المصرية . فهذه الرغبة تستحق المدح ولا يصح اضعافها وهي مطابقة لمقاصد السياسة البريطانية في مصر . ومن يراجع تقاريري السابقة حيث اطلت الكلام على المعارف يظهر لهُ كيف كان السعي متجهًا دائمًا الى بلوغ هذه المقاصد مدة اعوام كثيرة . ولكن يخطىء من يتوهم ان التقدم من هذا القبيل يمكن ان يتم سريعًا اذ هو غير متوقف على تعلُّم ما تعلّمهُ المدارس . ثم ان التقدم في المعارف والتعليم لا يقوم بمجرد بذل المال بل يتوقف على مقدار المال الذي ينفق جيدًا عليهِ وايضاً على كون نظام التعليم وافيًا بحاجات الامة على اختلاف طبقاتها

واقول قبل ختام هذا الفصل بيانًا لصفاء طوية المجلس ان رئيسهُ ارسل منذ مدة قصيرة كتابًا الى الحكومة المصرية يطلب منها محاكمة كاتب كراس طبع تحت رعاية جمعية المرسلين البريطانية لورود كلمات فيهِ تهين دين الاسلام فنظرت في الشكوى واقتنعت بصحتها وقبلت ان افعل ما طلب مني وهو ان اقابل وفدًا من اعضاء المجلس اكثرهم من اصدقائي فبسطوا شكواهم بتمام التعقل والاعتدال فخاطبت رئيس جمعية المرسلين في ذلك فتأسف على ما حدث

وأكد لي ان ما حدث لايعاد في المستقبل . فعدلوا اذ ذاك عن طلب المحاكمة من تلقاء انفسهم وانقضت المسألة باعتدال الفريقين من غير ان يختل الاتفاق والوئام الواجب ان يكون بل الكائن فعلاً بين المسلمين والمسيحيين المقيمين في القطر المصري

الدكتور صموئيل صميلس

كل من قرأ كتاب سر النجاح الذي عرّبناهُ منذ عشرين سنة ونيف يشاركنا في الاسف على وفاة هذا الفاضل الذي لهُ على ابناء هذا العصر فضل لا ينكر

توفي في السادس عشر من شهر مارس الماضي وهو في الثانية والتسعين من عمرهِ بعد ان قضى سبعين سنة يعاني التأليف والتصنيف ويفيد نوع الانسان

ولد في ٢٣ دسمبر سنة ١٨١٢ وطلب الطب في مدرسة ادنبرج الجامعة وكان بليغ الانشاء فجعل يكاتب جريدة اسبوعية في ادنبرج ثم تولى تحرير جريدة يومية لانهُ لم يكن يكتسب من صناعة الطب مايقوم بمعيشتهِ . وتزوّج سنة ١٨٤٥ ورأى ان اجرة التحرير لاتقوم بهِ وبزوجتهِ لانها كانت مئتي جنيه في السنة فتركهُ وجُعل سكرتيراً لشركة من شركات سكك الحديد فتعرّف بكثيرين من المهندسين . وكان مغرماً بالتصوير والموسيقى فاتسعت معارفهُ جدًّا واتصل باناس من كل الطبقات اطباء ومحررين ومصورين ومغنين ومهندسين وما اشبه وكان عملهُ في سكة الحديد يستغرق وقتهُ كلهُ في النهار فجعل يصنف الكتب في الليل فكتب ترجمة ستفنصن مخترع سكة الحديد ونشرها سنة ١٨٥٧ فراجت رواجاً عظيماً حتى اضطرَّ ان يعيد طبعها خمس مرات في السنة الاولى التي نشرها فيها وكان قد ألف كتاب سر النجاح (واسمهُ بالانكليزية Self-Help اي الاعتماد على النفس) وعرضهُ على ناشري الكتب مرارًا فرفضوا ان يطبعوهُ وينشروهُ فلما راج كتابهُ الثاني ترجمة ستفنصن نشروا لهُ كتابهُ الاول سر النجاح فراج رواجاً عظيماً وبيع منهُ عشرون الف نسخة في السنة الاولى وبلغ ما بيع منهُ ١٥٠٠٠٠ نسخة في عشرين سنة وترجم الى سبع عشرة لغة

وتلا ذلك كتب كثيرة خرجت من قلمهِ تباعاً الى ان كانت سنة ١٨٧١ فاصيب بالفالج واضطرَّ ان ينقطع عن الاشغال العقلية تماماً ثلاث سنوات متوالية فشفي وذلك من النوادر وعاد الى التحبير والتحرير فألف كتابهُ في الاقتصاد وهو الذي لخصناهُ وجعلناهُ الجزء الثاني من سر النجاح نشرناهُ اولاً فصولاً في مجلة اللطائف ثم نشرناهُ على حدة فابتاع المرحوم علي باشا

مبارك نسخهُ كلها وكان ناظرًا للمعارف . واتبع ذلك بكتب اخرى اكثرها ترجمات لاناس نبغوا في العلوم والفنون والصنائع ولكنهم لم يشتهروا لفقرهم فاشتهروا بنشره ترجماتهم حتى ان واحدًا منهم ربطت لهُ الحكومة الانكليزية معاشًا لما ظهرت ترجمتهُ

وكل الترجمات التي ألفها توخّى فيها ذكر الاساليب التي اتّبعها ارباب الاعمال على نحو ما يرى في سر النجاح لكنهُ توسع فيها جدًّا فما ادمجهُ في صفحات قليلة في سر النجاح بسطهُ في كتب كبيرة حتى تكون مرشدًا للذين يقتفون خطوات اولئك العظام . ولم يقتصر على تأليف الكتب بل كان يكاتب بعض المجلات العلمية والادبية ولهُ فيها المقالات الحسان . واسلوبهُ في الانشاء بسيط لكنهُ مكين فيعدُّ من الطبقة الاولى بين المنشئين . وكل ما كتبهُ صحيح في مبدإِه مفيد في غايته وسيبقى في المقام الاول بين الكتب التي افادت نوع الانسان

السر هنري ستنلي

اذا ذُكر العصاميون الذين ارتقوا بجدهم من ادنى المراتب الى اعلاها واستحقوا ان تُنشر اسماؤُهم في كتاب سر النجاح ليكونوا مثالاً لطلاَّب المعالي فالسر هنري ستنلي الرحّالة الشهير في مقدمتهم . واذا ذكر روَّاد افريقية الذين اغروا ممالك اوربا بتدويخها واقتسامها وامتلاكها فلهُ الشأن الاكبر بينهم . غير ان فعلهُ هذا تختلف قيمتهُ من حيث سكان افريقية لانهُ ان آل امتلاك الاوربيين لها الى نفع سكانها الاصليين كما نرجو فيكون لهُ اكبر فضل عليهم وان آل الى ضرّهم كما نخاف فيكون من اكبر المسهلين لانقراضهم

ولد ببلاد الانكليز نحو سنة ١٨٤٠ من اصل وضيع جدًّا فلا يعرف شيءٌ بالتحقيق عن سنة ميلاده ولا عن والديه وكان اسمهُ جون رولندس . ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره هاجر الى اميركا ويقال انهُ ذهب اليها خادمًا في احدى السفن وخدم هناك تاجرًا اسمهُ ستنلي واجتهد في خدمته فأحبهُ ووعد ان يتبناهُ فغير اسمهُ وتسمى هنري ستنلي لكن التاجر مات قبل ان يكتب وصيتهُ وتركهُ صفر اليدين لا يملك شيئًا فاقام سنتين او ثلاثًا الى ان نشبت الحرب الاهلية فانتظم في سلك الجنود وأُخذ اسيرًا ولما انتهت الحرب جاء الى تركيا مكاتبًا لاحدى الجرائد ثم لما ارسل الانكليز حملتهم على بلاد الحبشة سنة ١٨٦٧ بعثتهُ جريدة النيويورك هرلد مكاتبًا لها فبعث اليها بخبر فتح مجدلة قبلما وصل الخبر الى الحكومة الانكليزية . وابدى في كل ما كتبهُ حينئذٍ وما كتبهُ قبل ذلك الحين وبعدهُ من المهارة في الوصف والمقدرة على تمثيل

ما يريد ذكره ما احلهُ محلاً رفيعاً بين كتّاب العصر كما ترى في الخطبة التالية

ولما عاد من بلاد الحبشة ارسلتهُ جريدة الهرلد الى اسبانيا ليرقب الحوادث فيها وبعث اليهِ المستر غوردن بنت صاحبها وهو هناك يستدعيهِ الى باريس فلما حضر طلب منهُ ان يعود الى افريقية ليفتش عن لفنستون المرسل الانكليزي الذي مهد السبيل لرواد افريقية وللشركات التجارية وكانت اخبارهُ قد انقطعت من زمن طويل وظن اصدقاؤهُ انهُ قضى نحبهُ . فقام ستنلي للحال واتى القطر المصري حينما فتحت ترعة السويس ثم سار الى زنجبار وضرب في افريقية فوجد لفنستون في اواخر سنة ١٨٧١ وبقي معهُ اربعة اشهر يجوبان البلاد . ماو كان المرض قد انهك لفنستون فانتعشت قواهُ برؤية ستنلي وبما جلبهُ لهُ من الزاد

وعاد ستنلي الى اوربا فوصل انكلترا في اواسط سنة ١٨٨٢ فقوبل بالترحاب ونشر فيها كتابهُ المشهور وجعل موضوعهُ "كيف وجدت لفنستون" فراج رواجاً عظيماً جداً ولا يزال الناس يتفكهون بقراءتهِ حتى الآن وقابلتهُ ملكة الانكليز واهدت اليهِ علبة سعوط مرصعة بالماس واهدت اليهِ الجمعية الجغرافية نشانها الذهبي

وعادت جريدة الهرلد فارسلتهُ الى افريقية مع حملة الاشنتي ونشر بعد ذلك كتاباً جمع فيهِ رسائلهُ من مجدلة عاصمة الحبشة ومن كومامي عاصمة الاشنتي . وسمع بموت لفنستون وهو راجع مع حملة الاشنتي فود ان يتمم ما لم يتممهُ لفنستون من اكتشاف مجاهل افريقية فتمت بغيتهُ وارسلتهُ جريدة الدايلي تلغراف الانكليزية وجريدة الهرلد الاميركية على نفقتهما لكشف تلك المجاهل ففعل ما لم يفعلهُ رائد آخر من الروَّاد دار حول بحيرة فكتوريا نينزا وحول بحيرة طنجنيكا واصلح خريطتيهما وكشف اكثر ما يعرف الآن مما كان مجهولاً حينئذٍ من قلب افريقية . والمرجح انهُ لم يكتشف احد اكتشافات جغرافية تماثل ما اكتشف ستنلي في تلك السفرة . وعاد الى اوربا سنة ١٨٧٨ لكنهُ ذهب الى افريقية اسود الشعر فرجع منها شائبهُ لكثرة ما عاناهُ من المشاق وما اقتحمهُ من المخاطر .

وذكر في احدى رسائلهِ وهو في هذه السفرة ان نهر الكنغو يصلح لسفر السفن وان هناك باباً واسعاً للتجارة فلم يكد يصل الى اوربا حتى استدعاهُ ملك بلجكا اليهِ واستعان بهِ على تعمير تلك البلاد وفتحها للتجارة وردهُ الى افريقية لهذه الغاية ومن ثم انشئ ما يسمى بولاية الكنغو الحرة وافلحت تلك الولاية مدة اقامة ستنلي فيها الى اواسط سنة ١٨٨٤ ثم حلت بها العبر بعد تركه اياها .

وذهب الى اميركا يخطب فيها عما لقيهُ في رحلاتهِ فاستدعتهُ الحكومة الانكليزية

وطلبت منهُ ان يذهب الى اعالي السودان لانقاذ امين باشا وكان امين باشا مديرًا على مديرية خط الاستواء من قبل الحكومة المصرية وقد قاوم الدراويش جهدهُ وكادوا يتغلبون عليهِ فوعدت الحكومة المصرية بعشرة الآف جنيه لهذه الغاية واكتتب الانكليز بعشرة الآف جنيه اخرى . ولما اتم ستنلي عملهُ وانقذ امين باشا وعاد الى القطر المصري رحبت بهِ الحكومة المصرية واولمت لهُ وليمة فاخرة في ٢٠ يناير سنة ١٨٩٠ رأسها دولتلو رياض باشا الذي كان رئيساً للنظار حينئذٍ . وبعد الطعام خطب ستنلي خطبة مسهبة وصف فيها رحلتهُ لانقاذ امين باشا قال فيها ما ترجمتهُ

الخطبة

قد حق عليَّ وعلى رفاقي مزيد الشكر لما لقينا في هذه الديار من مظاهر الاجلال والاكرام منذ دخلنا هذا القطر الى الآن فاليكم نُسدي الثناء ومنكم نبغي التكرم بالقبول

ان الحملة التي اسعدنا الحظ باتمامها على ما يرام كان السبب فيها اعتقاد الانكليز بانهم مسأولون عمَّا بانت فيهِ حامية مديرية خط الاستواء من الضنك والمركز الحرج وكذلك مديرها وكيل غوردون الذي امسى وحيدًا فريدًا في ديار مهجورة . فان المسيو ينكر لما عاد من افريقية افرغ وطاب الاخبار والانباء على اهالي الديار المتمدنة فقال ان في قلب افريقة رجلاً لم ينفرد هناك بارادتهِ بل طوعاً لاوامر غوردون رئيسهِ وانهُ محفوف بالاعداء من كل جانب وان الدراويش السائرين في جهات السودان عازمون على ان يمحوا آثار سطوة مصر عن تلك الديار وهم يتأهبون لغزو المديرية واعمال السيف في حاميتها واهلها وان الرجل الذي بات وحيدًا في تلك الاقطار عدم وسائط الدفاع وقاربت ذخائرهُ النفاد . وكنت حينئذٍ عازماً على السفر الى اميركا فقابلني صديقٌ قديم وجعل يكلمني عن احوال المديرية الاستوائية وما ألمَّ بها وبمديرها من النوازل ثم قال لي أتقدم على انقاذها اذا مددناك بالمال فقلت لهُ انكم انتم الانكليز بارعون في الاقوال بطيئون في الافعال . دبروا الاموال ثم اسألوني وعلى الله الاتكال . وسافرت بعد ذلك الى اميركا حيث كنت اخطب على اهلها وما اتممت الخطبة الرابعة عشرة حتى اتتني رسالة برقية ان ارجع حالاً الى انكلترا في اول باخرة فسافرت على الفور واتيت انكلترا وقلت اني مستعد للمسير فقالوا سر بعون الله وأعن امين باشا

وكان لنا اربع طرق للمسير الى المديرية الاستوائية وسأبوح لكم الآن بامر اظنهُ لا يزال مستورًا وهو اني كنت من بادىء الامر مستخيرًا في نفسي طريق نهر الكنغو عالماً انهُ افضل الطرق ولو كان اطولها اذ احسن الطرق لا يلزم ان يكون اقصرها فلما كاشفت اعضاء اللجنة

بهِ اعترض بعضهم عليهِ فقلت لا بأس فاني وعدتكم ببذل الجهد ولا فرق عندي سرتُ في هذه الطريق او في غيرها وعليهِ جزمت على المسير في طريق شرقية لاغربية

وارسلت رسالة برقية الى زنجبار بان يحملوا ٢٠٠ رجل مئتي حمل ارزّ و يرسلوهم الى امبوبوي في اطراف اراضي الالمان . وبعد مضي بضعة ايام اوعزتْ اليَّ نظارة الخارجية الانكليزية بان المسير في تلك الطريق الشرقية يوجب الارتباك والقلاقل السياسية فالعدول عنها اسلم عاقبة من المسير فيها فاضطررت حينئذٍ ان اعدل عنها وعن سواها من الطرق الشرقية لان طريق كرغوى كانت مسدودة باعتراض قوم اوغندا فيها وطريق روندا الواقعة الى الغرب من طريق كرغوى لم تكن طريقاً تسلك لمن كان مثلنا حاملاً الذخائر والمؤن الكثيرة لاغاثة امين باشا وطريق نيساً و بحيرة طنجنيكا وهي الرابعة لم تكن موافقةً لنا لان احوال الشركة الانكليزية هناك لم تكن يومئذٍ على ما هي اليوم او على ما آمل ان تكون بعد بضع سنين بل لم يكن عندها الاَّ سفينة واحدة وهي لا تستطيع نقل ٨٠٠ او الف انسان فلم يبقَ لنا الاَّ طريق الكنغو ولما اخبرت اللجنة بذلك قالت افعل ما بدا لك فارسلت تلغرافاً ثانياً الى زنجبار ان استرجعوا مئتي حمل الارز التي ارسلتموها. فكلفنا ارسالها وارجاعها خمسة آلاف ريَّة ثم الحقت التلغراف بالتلغراف حتى دبَّروا لنا ٦٠٠ حمَّال لحمل المهمات والذخائر وسائر ما يلزم لاغاثة امين باشا

وربَّ قائل يقول وما هذه الاغاثة وكيف تكون . اقول ان اصدقائي الانكليز اخبروني صريحاً بانهم يودون بقاء امين باشا في افريقية ومحافظتهُ على مديريتهِ وهذا ما كان يقولهُ لي كل انكليزي ولكني اوجه انظاركم ايها السادة الكرام الى مايلزم لامين باشا لو شاء البقاء فأولاً يلزم ان ترسل اليهِ ذخائر ومهمات كل سنة والاَّ فلا يستطيع المحافظة على مركزهِ ثم ان عدد البنادق التي عند جنودهِ ١٧٥٠ او نحوها واذا اردنا ان نرسل لكل بندقية ٢٠٠ طلق فقط بلغ ما نرسلهُ ٨٠٠ حمل يلزم لها ٨٠٠ حمال عدا ٤٠٠ حمل من البارود للجنود المطرية وعدا الخرز والقماش وغيرهما مما يبتاع بهِ الطعام للحمالين . وعليهِ يلزم الفا رجل كل سنة لنقل ٢٠٠ طلق لكل بندقية وهؤُلاءِ الالفان يقضون سنة في الذهاب والاياب . ناهيك عن نفقاتهم ونفقات الهدايا والزاد والادوية والوف الاشياء التي تلزم لذلك بحيث تبلغ نفقات القافلة كل سنة لا اقل من ٢٠ الف جنيه . ومعلوم ان الحكومة المصرية وهبت ١٠ آلاف جنيه لانقاذ امين باشا وقالت انها لا تعطي مالاً بعد ذلك لانها بعد ما تخلت عن شمالي السودان واواسطها لم تعد تعبأُ بالمحافظة على جنوبيها اذ لاحيلة لها في صيانتها ولذلك رأت الاكثر مناسبةً ان يعود امين باشا منها و يتركها كما تركت سواها . على ان الحكومة المصرية

والانكليز معاً تركوا الحكم في هذه المسألة لامين باشا اذا شاء البقاء بقي واذا شاء المجيء جاء

والآن اشرع في وصف رحلتنا بوجه الاختصار بعد قيامنا من زنجبار ومرورنا براس الرجاء الصالح ووصولنا الى مصب نهر الكنغو في غربي افريقية

لما اتينا مصبَّ نهر الكنغو قيل لي اني لا استطيع القيام من نقطة بنانا قبل ستة اسابيع ولكننا قمنا منها في اليوم التالي . ولما وصلنا الى بركة ستنلي اروني سفينةً من احسن السفن التي تسافر في الكنغو الاعلى وكانت باليةً من طول الزمان وقد مضى عليها اشهر وهي ترم فقال لي الناس جميعاً انكم لا تستطيعون المسير من هنا قبل اواسط مايو فطلبت سفينةً من سفن المرسلين الذين هناك فاجابوني انهم لا يقدرون ان يجيبوا طلبي . فلما اتينا شلالات ستنلي عرض عليَّ كل ماهناك من السفن فسافرنا في الحال خوفاً من ضياع الزمان وكنت قد استصحبت شيخاً نخاساً سلاَّباً نهاباً يقال لهُ تبوتيب ولما كان لابدَّ لي من المرور في جانب من البلاد الخاضعة لهُ ولم يكن مأذوناً لي بمقاتلة احد أولمت لهُ الولائم واحسنت لهُ المعاملة وعرَّفتهُ بالقوم كأنهُ ليس من ذوي البغي والفساد فرأى في البيض ما اقنعهُ بانهم يعاملونهُ احسن معاملة اذا وفى عهودهُ بالصدق والاستقامة . ولما كنا في رأس الرجاء الصالح قال على مسمعٍ مني ان البيض اناس صغار العقول فلما رأى عظم افعالهم قال لي كنت اظن ان البيض قوم مجانين فعلمت اليوم انهم ليسوا بلا عقول فقلت لهُ وستعلم بعد ما لا تعلمهُ الآن وتحكم ان الانكليز لا يقصرون عن العرب حذقاً وادراكاً . وذهب تبوتيب معنا الى شلال ستنلي ونزل هناك بناءً على وعده بان يقدّم لنا ٦٠٠ حمّال لحمل المهمات والذخائر فاني كنت قد احضرت معي ما يلزم لتجهيز امين باشا اذا شاء البقاء في مديرية خط الاستواء ودبرت للحالين قبل المسير حتى اذا بقي جهزتهُ بما يلزمهُ واذا لم يبقَ ارجعت المهمات معي ولذلك أخذت معي شيئاً كثيراً لم تكن حملتنا تحتاج الى عشره فعشرون صندوقاً من الذخائر تزيد عما يلزم لحملتنا حال كون ٢٠٠ صندوق لا تكفي حاجة امين باشا وقومهِ

ولما سافرت من انكلترا كنت اظن انهُ في معظم الشدة واشدّ الضنك وذلك كان ظن الناس جميعاً حتى اجمعت الجرائد على وجوب المبادرة لاغاثتهِ لئلاَّ يصيبهُ ما اصاب غوردون. ولما كانت السفن على الكنغو الاعلى غير كافية لنقل رجال الحملة كلهم بما معنا من الذخائر والمهمات اضطررت ان اترك جماعة من قومنا تحت قيادة برتلوت وغيرهِ من الضباط في محلةٍ هناك لينتظروا وصول اللوازم التي تخلفت عنَّا في الكنغو الاسفل . وكانت تلك المحطة منيعة حصينة وبجانبها حقول فسيحة مزروعة ذرة تقوتهم سنين عديدة واوصيتهم انهُ متى وصلت

اللوازم والمهمات يقتفون آثارنا مع تبوتيب او بدونهِ في الادغال الممتدة امامنا فاعربوا جميعاً عن رغبتهم في اتباعنا ولذلك اصدرت لهم الاوامر اللازمة وقت عاجلاً خوفاً على امين باشا. فسرت مع ٣٨٩ رجلاً والضباط الذين ترونهم بيننا الآن قاصدين بحيرة البرت بلا ابطاء اما الادغال التي كانت تسدّ الفضاء امامنا فقد ادهشني كبرها وازهبني التفاف شجرها فجعلت اسأل الناس عنها وعمّا اذا كانت مأهولة او لا وعن مسافة امتدادها شرقاً فيجيبونني جميعاً الله اعلم فاننا لم نسمع من عهد ابائنا واجدادنا ان لهذا الغاب نهاية فاذعنت انا وقومي لحكم الضرورة ودخلنا تلك الادغال وظللنا شهراً كاملاً نسير فيها بلا انقطاع ونحن لا نرى شمساً ولا سماء لشدة التفاف الاشجار وتكاثف اظلالها ولا نرى هنا وهناك الا اشعة من النور او ضوءًا ضعيفاً مستطيراً حتى مللنا المسير وسلمنا جميعاً بان المسير في تلك الحرجات اصعب ما قاسيناه من مشاق افريقية كلها

وبعد مسيرة ١٦٠ يوماً خرجنا منها الى العراء فانتعشت انفسنا بضوء الشمس ورؤية السماء واستنشاق لذيذ الهواء وجعلنا نعدو في المروج الخضراء كصبية بعثهم الصغر على البطر فمرحوا وفرحوا من تلاعب النسيم في اطراف العشب الاخضر . وما انشرحت منا الصدور حتى اطبقت علينا قبائل قوية تتكلم لغةً غريبة وهاجمتنا مهاجمةً عنيفةً حتى خلنا انها تريد صدنا عن كنز من اثمن الكنوز او انها اتخاذ من تلك القبائل التي تتهدد امين باشا . ولكننا فزنا بعد كل مقاومة بالوصول الى اطراف تلك الاراضي المرتفعة في ١٣ دسمبر ورأينا بحيرة البرت تحتنا بالفين وتسعمئة قدم . فانحدرنا الفين وخمس مئة قدم مساء ذلك اليوم وسرنا في صباح اليوم التالي الى قرية في الزاوية الجنوبية الغربية من البحيرة وكنا لسبب ما المّ بنا من الضعف والهزال قد تركنا زورقنا الفولاذي وراءنا ولم نجد في البحيرة قارباً يسع اكثر من اثنين معاً وسألنا اهل القرية فوجدنا انهم لا يعرفون امين باشا ولا سمعوا باسمهِ وانهُ لا يوجد في البحيرة قارب يصلح لنقلنا فرجعنا مسافة ١٩٠ ميلاً واحضرنا زورقنا ثم عدنا الى البحيرة بعد مضي اربعة اشهر

ولما انزلنا الزورق في البحيرة ركبهُ جفسن وبعض البحرية وسافروا حذاء ساحلها الغربي ليبحثوا عن مكان امين باشا ولم يمض الا ايام يسيرة حتى انشرحت منا الصدور برؤية الباخرة الخديوية قادمة تمخر الماء قاصدةً محلتنا . وبات امين باشا والمسيو كاساتي تلك الليلة عندنا ولم يطل علينا الاجتماع حتى اصلحنا ما كنا نتصورهُ عنهُ وعن مديريتهِ فعوضاً عن ان نرى رجلاً طويل القامة عسكري الهيئة كما كنا نتصور رأينا رجلاً قصير القامة قوي البنية — فصدق فينا قول من قال " ان الطيور على اشكالها تقع " وعلمنا ان اورطتهُ الاولى قد تمردت وعصت

بمنذ اشهر كثيرة وان كثيرًا من محطاتهِ واقع في قبضة العصاة وان بقية الاورط من الجنود القانونية المنظمة تلتمس عذرًا لشق عصا الطاعة وغير القانونية تنتظرها لتحذو حذوها . فبقينا ستة وعشرين يومًا معًا وكنت في اثنائها احاول الوقوف على افكار امين باشا لأعلم ما اذا كنا نحظى بمسيرهِ معنا الى البحر او يبقى مع قومهِ في افريقية فكان يجيبني على الدوام حيث يذهب قومي اذهب وحيث يبقون ابقى فسألت كاساتي عما اذا كان يشرّفنا برفقتهِ فاجاب اذا ذهب سعادة المدير ذهبت واذا بقي بقيت وسألت الضباط فاجابوا عين ذلك الجواب وبقوا عليهِ مدة الستة والعشرين يومًا ولم يشأ احدٌ ان يجاوبني صريحًا عن بقائهِ او مجيئهِ معنا لان امين باشا كان يريد ان يشاور قومهُ في ذلك ويعلم ما يقولون قبل ان يجاوبني قطعيًا ولحظت على توالي الايام انهُ راغب في العمل ميال الى البحث والاكتشاف لانهُ من المجتهدين طبعًا فكانت مراقبة الطبيعة ودراسة اسرارها تلهيهِ عن مصابهِ وتكسبهُ السعادة في قلب افريقية ولو كلف ان يقضي ساعاتهِ في قهوة من قهاوي العاصمة لكان اشقى الناس حالاً واكثرهم زهدًا في الحياة واما في افريقية فكان سعيدًا لاعتقادهِ انهُ يصنع خيرًا

فلما لحظت ان امين باشا يبغي البقاء في افريقية وكنت راغبًا في الوقوف على جوابهِ القطعي قلت لهُ اني اعرض عليك ثلثة امور اولاً ان تكون مديرًا على هذه الديار كما انت الآن براتب الف وخمس مئة جنيه في السنة ومال قدرهُ اثنا عشر الف جنيه سنويًا لادارة مهامها . هذه فرصة لك فاجبني الجواب الصريح عنها . وثانيًا ان آخذك الى بلاد في هذه القارة من اجمل ما اكتحلت برؤْيتهِ عينك فتسكنها مطمئنًا آمنًا من غزوات الدراويش وهجمات الثائرين واجعلك حيث يكون لك اتصال دائم بالبحر وحيث تأتيك الذخائر والمهمات على الدوام فتنال فيها مني نفسك ويدفع لك فيها راتب يوافق مقامك ودراهم تكفي لجنودك . نعم اني غير مفوَّض بان اعرض عليك هذا الامر ولكني اتكفل لك بهِ واكون مسؤُولاً لديك عنهُ . ولا انكر ان اول واجب عليَّ هو لسمو الخديوي المعظم ولكنهُ قد امر بقيامك من هنا ومرافقتك لنا الاَّ اذا ابيت انت ذلك وبما انك لا تريد مرافقتنا اعتقادًا منك بان قومك لا يرافقونك وانا قد اتيت هذه الديار لاخلص لك الخدمة فها انا قد عرضت عليك هذين الامرين عدا الامر الثالث وهو مرافقتنا لاقضي ما يجب علي من خدمتك . فصمت ولم يجاوبني جوابًا قاطعًا لسبب سري خفي لا اعلمهُ وكان القلق قد اشتد بي لطول انقطاع اخبار برتلوت ورفاقهِ عني وصرت ارى من الضرورة التفتيش عنهم فقلت لهُ اذا كنت لا تستطيع ان تجيبني في الحال فاني امهلك مدة غيبتي عنك لتفكر في الجواب وتجزم الامر الذي يقرُّ عليهِ رأيك

فسرنا حتى اتينا قومنا المتأخرين فوجدنا النوازل قد ألمّت بهم وضعفت احوالهم ثم عدنا الى نيانزا رابع مرّة واول خبر قرع مسامعي فيها بعد وصولي اليها ان امين باشا مسجون في مديريتهِ ولم يبقَ عندهُ خدام ولا جنود وانهُ مقيَّد اليدين والرجلين فتصوروا انفسكم مكاني تعلموا ما خامرني بعد ما اتيت قلب افريقية لانقاذهِ ولقيت هذهِ النوازل مجتمعة امامي فكانت غاية سعينا واجتهادنا ان نسمع بسقوط المديرية وسجن امين باشا وخسارة ضابطي بعد ما خسرت اثنين قبلهُ ومئات آخرين من رجالي وامسيت في خطر من ان افقد كثيرين غيرهم ايضاً . فرأيت بادىء الامر ان استعلم عن احوال سجنهِ واسبابهِ ثم انظر في طريقة انقاذهِ . فقيل لي ان الذين سجنوهُ هم جنودهُ وذلك لانهُ وضع نفوذهُ عندهم في غير موضعهِ وانهم عن قريب يطلقونهُ لكن ضابطي اخبرني ان ذلك غير صحيح وان المديرية قد سقطت سقوطاً لا تقوم لها قائمة بعدهُ فقلت اني انتظر كل هذه الايام لاقف على جواب الاوربيين الذين هنا واعلم ما اذا كانوا يرجعون معي او يبقون في هذه الديار فان كان امين باشا قد بات اسيراً ولا يقدر ان يخبرني مَنْ يستلم المهمات التي جئتهُ بها او هل يقبل دعوة سمو الخديوي بالرجوع معنا فما لي الاَّ ان اتلف هذه المهمات وآمر بالرجوع . فكتبت الى امين باشا بذلك فكان جوابهُ حضورهُ بنفسهِ في احوال غير منتظرة وذلك انهُ بعد ما تمرَّد الجنود عليهِ غزاهم الدراويش واستولوا على اربع محطات من محطاتهم وعلى كثير من ذخائرهم ومهماتهم والقوا الرعب في قلوبهم فقالوا في انفسهم خيرٌ لنا ان نسترضي الخليفة في الخرطوم بالقاء القبض على هذهِ الحملة التي اتت وتسليمها كلها ليدهِ والحصول على الكرامة والشرف عندهُ من ان نتبع مديرنا ونلقى نصيبنا من نصيبهِ فما قولكم لو كنا الآن عبيدًا وسيَّاساً للمهدي بعدما اوغلنا في قلب افريقية واعدين النفس بتحصيل المنى وتحقيق الاماني

ولا يخفى ان اولئك الجنود كانوا منغمسين في المكايد غمساً وروح العصيان يسري في عروقهم وان كثيرين منهم كانوا من قوم عرابي فاتفق رأيهم على ان يأتوا محلّتنا ولكنهم علموا انهم اذا اتوا اليَّ وحدهم يكون اول سؤالي لهم اين مديركم واين ضابطي فلذلك رأوا انهم لا يتمكنون من مقابلتي الاَّ اذا اطلقوا سراحهما واعتذروا لمديرهم عما فرط منهم . ثم اعترفوا باني مرسل لاغاثة مديرهم من قبل سمو الخديوي المعظم وان الاوامر التي معي رسمية صحيحة فوعدهم امين باشا بالعفو عنهم وتعريفهم بي واتوا محلتنا معهُ ليستعلموا بانفسهم عن قوتنا و يعرفوا سداجتنا من براعتنا

فلما وصلوا مدحهم امين باشا لسوء الحظ واطنب ولكني كنت مرتاباً فيهم لكثرة ما بلغني

عنهم وروَّية كثير مما لا يرضي منهم ولم اصدّق دعاويهم واقوالهم لاسباب كثيرة . غير انهم قالوا اننا اذا امهلتنا جمعوا العيال والجنود وجاءوا معنا الى مصر ليرفعوا شكرهم لسمو الخديوي على ما انعم بهِ عليهم . وكانت ظواهر الصدق والاخلاص بادية على كلامهم وهيئتهم تدل على ندامتهم وتوبتهم بحيث لا يسع الساذج الاَّ تصديقهم فامهلتهم بطلب امين الباشا مدة ٢٠ يوماً كما اشار فرجعوا على البواخر الى وادلاي وسرقوا معهم بندقية من صنع رمنتن وهم راجعون

وصبرنا حتى مرَّ ثلاثون يوماً ولم يأْتِ احد ولكن اتتنا كتابات كثيرة من وادلاي بحدوث الفتن والمكايد وان الناس انقسموا حزبين احدهما ناصر لفضل ملى بك والآخر لسليم بك والحرب بينهما سجال . وكان امين باشا لا يزال مقتنعاً بصدق قومهِ فلما مرَّ الثلاثون يوماً طلب اليَّ ان اطيل المهلة فامهلتهم ١٤ يوماً ايضاً واجلّت المسير الى ١٠ ابريل . وفي ٥ ابريل وجدنا ان الذين لجأُوا الى محلتنا من اهل المديرية يحاولون سرقة بنادق أُخرى في الليل ثم تبينَّا في اليوم التالي انهُ لا يوجد الاَّ رجلٌ واحد يقصد مرافقة امين باشا من ست مئة نسمة لاذوا بحمانا وكان امين باشا معتقداً بامانتهم واثقاً بوفائهم

فحينئذٍ جمعت القوم واخبرتهم اني استلمت زمام الامور منذ ذلك اليوم فالذي لا يطيع اوامري يقتل بالرصاص فكفوا عن الدسائس ومحاولة سرقة البنادق مدَّة من الزمان . وفي ١٠ ابريل قمنا من جوار بحيرة البرت بالف وخمسمئة رجل وبعد مسيرة عشرة ايام اضطررنا الى الوقوف لمرض شديد اعتراني على مسيرة ثلثة ايام من نينزا فاصبحت محلتنا محطّاً للدسائس والمكايد وسرقة البنادق وكان النساء يهربن ويوافين الرجال في محطة قديمة لنا على نينزا ولثقل المرض عليَّ لم استطع الاَّ على وسوسة بعض الاوامر ولكن الضباط الذين كانوا معي كانوا من ذوي الهمة والمقدرة فسار الملازم ستيرس منهم الى نينزا وامسك كل الذين كانوا قد فروا اليها ومن جملتهم رجل يقال لهُ ريحان وكان اصل تلك الدسائس كلها فشكل مجلساً وحاكمهُ محاكمة طويلة ثم حكم بوجوب قتلهِ واصرَّ على تنفيذ الحكم فوقَّعت على الحكم وقتل ريحان وكان ذلك آخر الاتعاب التي تحملناها من سكان المديرية الاستوائية

وفي ٨ ماي ١٨٨٩ سرنا قاصدين الاوطان فلما اخترقنا الهضاب الواقعة غربي بحيرة البرت اكتشفت اكتشافاً عظيماً في وادي سمليك وهو نهر يجري فيهِ ويستمدُّ ماءهُ من اثنين وستين جدولاً تنحدر عن سلسلة جبال علوها بين سبعة عشر وتسعة عشر الف قدم . واتضح لي لدى مراجعتي ما كتب عن تلك البلاد ان جغرافيًّا عربيًّا اسمهُ شياد الدين (كذا) وعصرهُ القرن الرابع عشر للميلاد وصف هذا النهر وصفاً بديعاً ودقق فيهِ بما لم يبعد عن الحقيقة . قال ان

خط الاستواء يقطع جبال القمر وتنحدر عن هذه الجبال سيول وجداول كثيرة غربي نهر يصب في بحيرة عظيمة ينشأ النيل الابيض منها ويجري الى بلاد مصر اه . وهذا وصف صحيح لم يزد الخطأ فيهِ عن اميال يسيرة . والغريب اننا نكتشف الآن ما كان معلوماً عند الخلفاء والبطالسة والفراعنة قبلهم وحفظ في آثارهم التي توارثها الخلف عن السلف حتى اتصلت بجغرافيي العرب في زمانهم ثم عفت آثارها وطمست اخبارها حتى عدنا فكشفناها في زماننا. وقد اسعدنا الحظ في مسيرنا اننا رددنا بعض الرواسب الملحية الى اصحابها وقد اجرنا المدالة في عملنا هذا لاعتراض تلك الرواسب في طريقنا فبلغنا عليهِ ما لا يوصف من الاكرام والضيافة على الرحب والسعة

نعم ان ولائم المتمدنين فاخرة وشاهدنا هذه الوليمة التي هي من افخر ما رأيت ولكن ما قولكم في اهل افريقية المتوحشين الذين ضافونا مجاناً ضيافة لا مثيل لها فاطعموا ثمانمئة نسمة منا افخر اطايب ارضهم من لحم البقر ولحم الضان والخضر والاثمار مدة ثمانية اسابيع متوالية ولم يقبلوا منا عوضاً عنها ولا ثمناً بها وكانوا يحسبون قبولنا لها منهم منةً عليهم وفخراً لهم . وبينما نحن نستشرف بحيرة فكتوريا رأينا صليباً فعلمنا اننا وطئنا اراضي المتمدنين ثم خرج المستر مكي المبشر الانكليزي لمقابلتنا وكان اول كلمة انكليزية سمعناها ان الانكليز يفتخرون بفعالنا . ولم يحدث ما يستحق الذكر مدة سفرنا من بحيرة نينزا الى سواحل البحر سوى انَّا التقينا بالالمان في اطراف بلادهم الجديدة في شرقي افريقية فاكرم ضباط الماجور ومن ملقانا ثم متعنا ومن باطايبهِ فتغيرت بملذاتها مناظرنا حتى زعم الذين رأونا على الساحل ان هيئتنا لا تدل على صدق رحلتنا . ولما وصلنا بغمويو وشاهدنا البحر حييناهُ تحية مشتاق اشتد بهِ الوجد من طول الفراق وادب لنا هناك مأدبة من افخر ما أُدب في تلك الاقطار وحضر المأدبة ستون او سبعون مدعوًّا وكانت خمورها طيبة وخطبها رنانة فلما فرغت من خطبتي قام امين باشا وشرب على صحة امبراطور المانيا ثم وقف المدعوون جميعاً وغنوا . وبينما انا احادث ومن بعد ذلك اتانا خبر مشوم وهو ان امين باشا سقط عن ممشى القاعة على علو عشرين قدماً الى الشارع فوثبنا من مجالسنا وكثر الاختلاط ونسينا الوليمة وهرعنا الى محل الحادثة المكربة فوجدنا امين باشا محمولاً الى المستشفى فتبعناهُ واذا هو ملقى على سرير ومنظرهُ يفتت الاكباد ومن بعد ما كان فرحاً مفتخراً واصوات الترحيب ترن في اذنيهِ أمسى محطماً على آخر رمق . فقلت لا حول ولا ان الانسان في تفكير والله في تدبير . ولطالما اتاني في حياتي ما اراني ان قوة خفية تدير احوال البشر وهذا من اعظم الشواهد عليها . فقد انقذنا امين باشا من مخالب المهدويين واتينا بهِ سالماً مسافة ١٤٠٠ ميل حتى وقف بين بني وطنهِ مكرماً مبجلاً تولم لهُ الولائم بعد خدمة ثلث عشرة سنة في قلب افريقية . وكانت

هذه هي العاقبة انهُ يمسي في لحظة مجاور الاموات لعارض عرض لهُ. نعم ان شفاءهُ لا يزال محتملاً ولكن اناساً من الذين هم كفوء للحكم يرتابون في امكان شفائهِ

هذه هي قصة رحلتي ايها السادة واخاف ان اكون قد اطلت عليكم الكلام وان اكن لم اقل الاَّ اليسير فعندنا مالا يحصى من الحوادث والنكت التي تضحك وتبكي وتسرُّ وتحزن ولكني لا اتعرض لها لان الزمان قد فات وغيري يرغب في الكلام ثم شكر الحكومة المصرية على ايلامها تلك الوليمة لهُ وشكر الحضور على ترحيبهم بهِ. وبقي في القاهرة حتى كتب رحلتهُ ونشرها في انكلترا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة في وقت واحد وذلك في شهر يونيو سنة ١٨٩٠ وهي في مجلدين وجعل اسمها "في اظلم افريقية" كأن الغرض الاكبر من رحلتهِ نشر هذا الكتاب والاكتساب بهِ

ولما عاد الى بلاد الانكليز قوبل بما لا مزيد عليهِ من الاكرام ومُنح رتبة دكتور في الشرائع المدنية من مدرسة اكسفرد ومدرسة كمبردج ومدرسة درهم. واقترن بالسيدة دوروثي تننت في كنيسة وستمنستر كأنهُ ملك من ملوك الزمان

ومنح حرية مدن انكلترا واعطي الرعوية الانكليزية بعد ان فقدها باقامتهِ في اميركا وتجنسهِ بالجنسية الاميركية. وانتخب عضواً في مجلس النواب وفرَّستهُ (١) الملكة فكتوريا سنة ١٨٩٩ فصار يلقب بالسر هنري ستنلي وابتاع ارضاً زراعية اقام فيها وجعل دأبهُ الاعتناء بالزراعة والاحتفاء بالذين يزورونهُ فيها من جلة القوم. وسيبقى اسمهُ مقروناً باكتشاف مجاهل افريقية وترغيب الدول الاوربية في اقتسامها وامتلاكها. وكان قصير القامة اسمر اللون برَّاق العينين فصيح المنطق شديد العزيمة

وكانت وفاتهُ في العاشر من شهر مايو من غير عقب ووردت رسائل التعزية على زوجتهِ لادي ستنلي من الملوك والعظماء والعلماء ومنها رسالة من ملك الانكليز بخطهِ قال فيها لقد كان من نصيبي ان تعرَّفت بزوجكِ الذي امتاز على الاقران وكثيراً ما سمعتهُ يقصُّ اخبار رحلاتهِ الكبيرة واكتشافاتهِ العظيمة والخدم الجليلة التي خدم بها العالم التمدن. وان الشهرة الفائقة التي حازها ستحيا بعدهُ دواماً

وصلي عليهِ في كنيسة وستمنستر في السابع عشر من الشهر وحضر الجنازة الشريف سدني غرفل نائباً عن ملك الانكليز والكونت ده لا لنغ نائباً عن ملك بلجكا وكثيرون من اشراف الانكليز وعظمائهم من مثل لورد ربرتس ولود نيو بورت ودوق ابركرن ولورد لنداف ولورد راي ولورد غراي ورؤساء الجمعيات ونوَّابها. وخلاصة القول انهُ لقي من اكرام قومهِ في حياتهِ ومماتهِ ما هو حقيق بهِ وما يهوّن اقتحام المخاطر على طلاَّب المعالي

(١) استعمل كتاب العرب هذا الفعل في زمن الفروسية كما يستعمل الانكليز فعل Knight



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

تسهيل صعاب لغة الاعراب

مسألة هامة في بابها ومشروع مفيد لنحو خمسين مليوناً من الناطقين بهذه اللغة وسواهم من المستشرقين الراغبين في درسها يقتصد في اوقات دروسهم ويدفع ما يعتريهم في اكثر الاحيان من تثبيط عزائمهم وتحريج صدورهم وازهاق نفوسهم ان صح

مسألة طالما صبت النفس وحنّ الخاطر الى النظر فيها ومباحثة رجال الادب واستطلاع آرائهم بشأنها وطالما سمعنا الكثيرين من دارسين ومدرسين يتأففون من عدم الالتفات اليها والاضراب عن خوض عبابها

وما تناولنا كتاباً لمؤلف عصري في قواعد اللغة على اختلافها الاَّ انتظرنا قولاً لهُ في هذا الباب يروي الغلة ويشفي العلة ولم نزل نودع املاً ونستقبل آخر والايام تمر مر السحاب ولا تعلة لنا في انتظارنا الطويل الاَّ الامل ولا بدع " فما اضيق العيش لولا فسحة الامل "

وآخر ما انعش الامل المعلق على هذه المسألة عجالة نشرت في الجزء الرابع من المقتطف الاغر لهذا العام تحت عنوان «العربية وتسهيل قواعدها» استلفت نظرنا اليها بالاكثر انها من قلم صديق لنا عرفناهُ مكبًّا على تدريس اللغة العربية منذ اعوام طوال في مدرسة من خيرة مدارس البنات الداخلية في بر الشام فقلنا الصديق يتكلم عن طول افتكار واختبار لهذا الموضوع فكررنا تلاوتها بما تستحقهُ من التروي والامعان مراراً فوجدنا حضرتهُ قد استهلها باهمية الحركات في اللغة العربية لانها " تجعل للالفاظ رنة وفخامة " ولذلك يعد الغاؤُها مما " يحط من رونق العربية ويقلل تأثير عباراتها " ثم قال ان " استخدام الحركات في اماكنها " هم يلازم الكاتب والقارىء والخطيب مدى الحياة " فللتخلص من هذا الهم ابدى حضرتهُ

رأيين قال في اولها "ان تحسب الكلمات العربية كلها مبنية الاواخر فيقتصر في ضبط الالفاظ على السماع".

ولكن بذلك فتح خرقاً جديداً اذ نقع في اللبس الذي يدفعهُ الاعراب فلا نعود مثلاً نميز الفاعل من المفعول بهِ في قولنا "كلم رشيد فريد او رشيد فريد او غير ذلك" فان قال حضرتهُ بوجوب الترتيب عندئذ كما اوجبهُ النحاة عندما لا تظهر علامات الاعراب كما في مثل "كلم موسى يحيى ونادى ابي اخي" قلنا لم نتخلص من عقبة الا لنقع في غيرها. وكأني اسمع معاشر الشعراء يقولون على الشعر ونظمهِ السلام بعد قاعدتكم الجديدة "وجوب الترتيب" ناهيك عما بذلك من اضاعة بقية ذاك الفضل الموروث عن اجدادنا السالفين مما ابقى عليهِ الدهر من آثار ومصنفات اذ نحرم اولادنا من فهم ما فيها بعد ان يألفوا تعرف حالة الكلمة من فاعلية او مفعولية او غير ذلك من موقعها في الجملة لعدم مراعاة الترتيب في اقوال السالفين لاعتمادهم للتفرقة بين احوال الكلمات على الاعراب

اما رأيهُ الثاني فاقرب الى الاصابة لولا استحالة العمل بهِ لاسباب شتى يضيق دون استيعابها مؤلف ضخم ولا اظن ان احداً يجهل اكثر وجوهها واهمها ثلاثة اسباب:

اولها: تفرق كلمة الشرقيين وعدم اتفاقهم على شيء سوى "ابقاء القديم على قدمهِ"

وثانيها: وهو من الاهمية بمكان لا ينكر ان القرآن أُنزل — عربياً — واكثر الناطقين بالعربية من المسلمين وهم يفاخرون ببلاغتهِ ويعتزون فلا يرضون بتغيير شيء من قواعد اللغة التي انزل فيها لئلاً تستغلق معانيهِ على ابنائهم اذا فقدت منهم ملكة اللغة العربية على النمط الذي نزل بهِ القرآن

ومن وجه آخر ارى العمل برأيهِ الثاني من باب — الطفرة — نعم ان "سير اللغة مع الزمان سنة الله في الموجودات" ولكن الطفرة ايضاً من المحال بحسب سنة الله في خلقهِ. ايضاً وغاية ما نرجو الآن من علمائنا والمنقطعين منهم لتدريس اللغة على الخصوص تجريد العربية من التعليلات الباردة والاراء المتضاربة وتلك اللغات المهملة ووجوه التركيب الضعيفة ثم النظر في القواعد نفسها وجمعها في حدود جامعة مانعة سهلة الفهم تستوفي قواعد الاعلال مثلاً التي تستغرق في المختصرات اكثر من عشر صفحات بعشر قواعد لا تزيد الواحدة منها على السطرين والقاء مسألة التعليق في باب "افعال القلوب" التي يستغنى عنها دون ان "تمس قواعد اللغة بالمبرد" وطرح "افعال المضاربة" من باب النواسخ لان نصبها لخبرها امر وهمي ما دام لا يقع خبرها الا جملة. واما ما جاء مخالفاً لذلك في مثل "عساهُ صائماً" فهو مع

شذوذهِ كما هو منصوص عليهِ في كتب النحاة تقدر ان تخرّجهُ بجعل المنصوب خبرًا لكان الناقصة المحذوفة فيكون اصل الجملة "عساهُ يكون صائمًا" والنظر في قاعدة الاشتغال الطويلة القريبة من النسيان وتطبيقها على ما تقدم الى غير ذلك مما يفتقهُ البحث والتنقيب ولكل مجتهد نصيب

ومما يستملح ذكرهُ هنا دفعًا لملل القارىء والقول على سبيل المزل ان حضرتهُ اقترح جعل ضميري الجمع المذكر والمؤنث واحدًا وبيّن اسبابًا للزوم ذلك وبينها "ان اللغات الحديثة تجعل الضميرين واحدًا" وحضرتهُ يعلم ان اللغة العربية هي لغة شرقية فمتى رأى المرأة في الشرق تباري الرجل وتشاركهُ في مواقفهِ كلها كما تفعل في الغرب لينتظر منها مشاركتها لهُ في ضميرهِ

وهنا ابسط رجائي والتامي من اهل النظر والتحقيق ان يوافونا على صفحات المقتطف الاغر بارائهم الصائبة في هذا الشأن فالمسألة هامة في بابها ومحل النظر فيها رحب وحضراتهم يعلمون ان الحقيقة بنت البحث ولولا السعي وراء ذلك لما اقدمت على معارضة الصديق في رأيهِ وهو من التحقيق والضلاعة بمكانة لا تنكر

حمص سوريا "ش"

حبذا لو صحت الاحلام

شاقتني نفثات الكاتب المجيد جرجس افندي الخوري تحت عنوان "العربية وتسهيل قواعدها" وراقتني نظرياتهُ فيها ورأياهُ اللذان بسطهما في مقتطفكم الاغر لدى اعلام لغتنا العربية واساتيذها الذين بيدهم زمام الحل والعقد الاباءة والاجازة . فحبذا لو ازاح هؤلاء عن محيًا مطلبنا العصري ولو طرَف النقاب . وخففوا من العراقيل الحائلة دون البلوغ اليهِ احمالاً طالما رزحت ظهورنا تحتها او كادت . فيولون بذلك ابناء نطقة الضاد فضلاً لباباً

اني لمتيقن" ان جلة من ابناء عصرنا الذهبي ينحون نحو الكاتب في تمهيد العقبات في درس العربية بل ازالتها ليسهلوا للطلبة سبيلاً طالما دهم سيرهم فيهِ العثار . وللخطباء سرد بنات افكارهم التي كثيرًا ما ندّ بعضها عن فكرتهم عند صرفها لقواعد اللغة وضبط حركات مفرداتها . وللكتّاب اسلوبًا تسيل معهُ اقلامهم دون اجهاد او تردد

ولما كنت برأيي قضيباً من حزمتهم أُثني على الكاتب لتساهلهِ وأُثني على ما ذهب اليهِ لاسيما في رأيهِ الثاني . وأُقدم رأيي فيما اراهُ حسناً فيهِ . واضم لرأييهِ نظرية لا تقل عنهما عند الكرام اهمية

ان توحيد ضمير الجمع في المؤنث والمذكر لحسنٌ وتوحيدهُ في مثناها لأَحسن فبدلاً من القول الرجال ذهبوا والنساء ذهبن والرجلان ذهبا والمرأَتان ذهبتا نقول الرجال والنساء والرجلان والمرأَتان ذهبوا . وبدلاً من القول كتبهم وكتبهنَّ وكتبهما نقول كتبهم للجميع

ولا ارى صرف الممنوعات نثرًا وشعرًا ثقيلاً في اللفظ قط لا سيما اذا كانت من الاوضاع العربية غير اني ارى حسنًا منع الكلمات الاعجمية لا لأَنهُ يستثقل لفظها او يكره سماعها بل لأَن عدم تنوينها وجرّها دليل غرابتها عن اللغة . فالانكليز مثلاً يصدرون اسماء الاعلام بحروف كبيرة تمييزًا لها عن مفردات اللغة . كذا ليكن في العربية اصطلاح تمييزي يفرق بين اعلامها وكلامها

ان لم يكن ممكنًا جعل المنادى منصوبًا مطلقًا ففي بنائهِ على الضم لمعيَّن واعرابهِ على النصب لغيرهِ بعض الاستحسان من وجهين

(١) ان في ذلك اختصارًا وهذا لهُ في اللغات الحديثة شأنٌ كبير

(٢) ان في الوضع المُضمر لذة وارتياحًا يخففان مضض صعوبة التمييز

ثم ما ضركم يا ائمة العربية لو أَبحتم اجازة فوق ما بسط لديكم وضع ضميرٍ واحد لما نحسبهُ مذكرًا ومؤَنثًا مجازيين من الجمادات كالبيت والخيمة . او ليس الاسهل ان يجعل لمفرد الاشياء ومثناها وجمعها ضمير واحد يجعل الكاتب في مأمنٍ من تردده لدى اضمارهِ ما لا ينطبق على معناهُ الحسي كالكاس والفرس ونحوهما . فتأَملوا رعاكم الله

طرابلس الشام عيسى الحلو

قول الحق

كتب في المقتطف الاخير (ايار ١٩٠٤) سؤَال عما اذا كان المثل الانكليزي "ليس من الحق ان يُعلَن الحق دائمًا" يجوّز الكذب والجواب كلا وانَّ كتمَ الحق احيانًا لاشيء فيهِ من الكذب بل ربما كان الصمت عنهُ واجبًا حتمًا والاباحة بهِ حرامًا كبيرًا . فانك اذا شعرت مثلاً بخطاء خفي في احد فهل لك ان تشهرهُ في كل حال او ليس من الاولى والاوجب الكتم والستر . وفي الحقيقة ما معنى القول الانكليزي الاَّ ما يسلم بهِ كل احد مما ارادهُ حكماء العرب في قولهم "ما كل ما يُعلم يقال" وبمثل ذلك قد اجاب منشئ المقتطف الفاضل

ي . و

بيروت ١٤ ايار ١٩٠٤

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

نحن وهن (١)

ايها السادة والسيدات

كلامي عن الفتيان والفتيات . نحن وهن من خلائق الله العليا في ربيع الحياة وغضاضة العمر تملأ صدورنا آمال الشباب فنبني قصور المستقبل تحت جو السعادة ونرى ما لا يرى فيدفعنا ذلك الى الدرس ومتابعة العلوم لتهذيب النفوس واعدادها لمعترك الحياة

ندخل المدرسة ولا هم لنا سوى تحصيل المعرفة والاكتساب فنطوي من اجلها الايام والليالي وتمر سنو المدرسة مر النسيم على المرج الاخضر . فلا نشعر الا ومدرسة العالم تستدعينا وتلامذة تلك المدرسة يتهيأون لاستقبالنا والاساتذة فيها يسعون لاستخدامنا والانتفاع بنا . ندخل المدرسة بهمٍ فنخرج منها بهمين . هم الانتظام في سلك الاعمال المفيدة وهم الاشتراك في سلسلة الوجود . همان يكبران بكبر الانسان ويصغران بصغره . ندخل المدرسة وننشأ في احضانها الناعمة . ننشق هواءها البليل ونمشي في طرقها الممهدة ونتظلل ظل اشجارها الغبياء فنتعود الرفاه ونخبر العيشة الهادئة ثم نخرج منها الى العالم فتتناولنا ايديهِ القاسية وتدفعنا اكفهُ الخشنة وننشق هواءهُ القذر ونمشي على طرقهِ الوحلة وعقباتهِ الوعرة فنتعثر ويصيبنا من وحولهِ ومتاعبهِ ما يصيبنا

على ان هذا المعترك لابد منهُ واختبارهُ خير الاختبارات واثبتها . فكم تلميذ دخل المدرسة فدرس ووعى ثم خرج منها ظانًّا ان ما تلقنهُ من الكتب وما سمعهُ من معلميهِ وما استفادهُ ضمن دائرة المدرسة كافٍ لرفعهِ الى المنزلة التي يستحقها متكفلٌ باذاعة فضلهِ وبيان مقدرتهِ فكان اول ما خبر ان المنازل الرفيعة لاترتقى بالمعارف الوجدانية بل بالانتظام في سلك الاعمال مهما كانت وتطبيق المعارف العلمية على المطالب العملية

(١) خطابة تليت في جمعية الاجتهاد في بيروت

فنحن فتيان الحاضر وشيوخ المستقبل علينا ان ندرك ان النجاح في الوجود يتطلب اول كل شيء معرفة النفس وفهم طبيعتها واميالها وقواها . لان من عرف نفسهُ فقد صاحبها ومن صاحب نفسهُ فقد ملكها ومن ملك نفسهُ فقد ادارها وتسلط على حركاتها وسكناتها . واذا كان الانسان مجموع افكارهِ واقوالهِ واعمالهِ فما اخلق الواحد منا بالتسلط على افكارهِ واقوالهِ واعمالهِ بحيث يؤَثر في من حولهُ تاثيرًا صالحًا ويسير في الوجود كما يشاء الحق والاستقامة وكمال الاعمال لا كما تدفع العواطف الحمقاء والطيش الاعمى

فيا ايها الشاب الحدث يا من تشعر بقوة الشباب ونشاط الحداثة وتحلم احلام الشباب وترى رؤَى الحداثة . يا من تخفض المرتفعات وتمهد العقبات وانت على كرسي الراحة او مقعد القيلولة ما احلى احلامك وما ابهى رؤَاك ولكن ما اشد زوالها ساعة تجيء الى نفسك وتسترد انتباهك وتنظر في ما حولك نظر العاقل الذي ينتفع باختبار غيرهِ ويتدبر الامور بحيث يقع منها على جانب الصواب . كثيرون يضربون في الارض من مكان الى مكان لا يحسنون عملاً ولا يعرفون كيف يحسنون والسبب في ذلك انهم لم يفهموا نفوسهم ولا وقفوا على قواها واميالها الطبيعية فهم

"كريشة في مهب الريح ساقطة لا تستقرُّ على حال من القلق"

وهذا هو السبب الاول في سقوط الفتيان وعدم نجاحهم . لك ايها الشاب ان تقطع البحار وتحلق الجبال وتضرب في الارض شرقًا وغربًا فتبني القصور في جنائن السعادة وترى ما سترى وما لن ترى وانت في ساعة الانفراد على متكإٍ التصور والآمال ان كان يدفعك ذلك الى السعي وابراز هذه الصور الفكرية الى الحقائق العملية . لك ان تلبس الثياب الفاخرة وتتزرر بالذهب وتتختم بالماس وتحتذي اللميع وتركب اجمل العربات واجراها ان كان عندك سعة في الوقت والمال وكنت لا ترى في الوجود اسعد من هذه الحالة واحبها عند الخالق والمخلوق — ولكن ليس لك ان تفعل شيئًا من هذه ان كنت تستدين ولا توفي وتقترض ولا ترد وتعد ولا تنجز

لك ان تتشبه بالكرام وتحذو حذوهم في مكارمهم ولكن ليس لك ان تتشبه بالاغنياء وفراشك قصير ورجلاك على الحصير . لك ان تسر بكل ما تراهُ عيناك ولا تبصر من الحياة الاَّ بياضها اذا شئت ولكن ليس لك ان تذهب في الارض كأَنك لم تخلق الاَّ لتتمتع بملاذك الجسدية وغيرك خاقٍ ادوات تستخدمها للحصول على رغائبك

لك ان تميل الى كل مخلوق لطيف وشكل حسن وتزور وتعاشر من اردت ومن ارادوك

انما ليس لك ان تلعب بكلامك فتدهن بعضهُ بالزيت ليقل احتكاكهُ في الآذان وتلت بعضهُ بالسكر ليحلو طعمهُ ولا تنظر في عواقبهِ — تلعب بالعواطف الرقيقة لمجرد التسلية وآداب الزيارة كما تدعي وتنفخ نيران الالفة فاذا التهبت وحسست بوهجها قلت هي حامية والقش حولها يابس اخشى لهيبهُ فالهرب اولى والترك احق

هذه هي حال البعض منا ومنهنَّ يتقلبون فيها عن رغبة ورضى ولا ينتبهون الى وخيم عواقبها — على ان الحكيم من حزم امورهُ وتدبر اقوالهُ واعمالهُ كما تقتضيهِ الانسانية وتدعو اليهِ الفضيلة

اما هنَّ فاني ارهب الكلام عنهنَّ وفيهنَّ من الحاسات ما تجرحهُ خطرات النسيم فكيف اذا هبت عليهِ لفحة من خطرات الافكار والكلام الحق . الاَّ انهُ مهما يكن من هذه اللفحة فان محركها الاخلاص وحب الفائدة لا التنكيت والتشفي واذ ذاك فرجائي ان تقع في موقعها المقصود وتترك الاثر المطلوب

هن خلائق الله الحسنى معينات الرجال ومربيات الجنس خصهنَّ الله باللطف والدعة والرقة والحنان وحب النظام والترتيب وانكار الذات قياماً بوظيفتهن السامية في الوجود . هن مبعث كل حركة لطيفة ومظهر جميل وزي حسن وكلام حلو وسلوك ممدوح وعمل كبير . هن نصف الكون الافضل اذاً حافظن على مقامهن واقمنَ بواجبات وظيفتهن

مقامهن واي مقام هو ! مقام تحج اليهِ قلوب الفتيان وعقولهم . مقام رهيب تخفق عنده القلوب وتحمر لديهِ الوجوه وتتلعثم امامهُ الالسن ويحقق المرء ان في الوجود من يؤثر فيهِ تأثيراً لا يدري لهُ كنهاً . فما اقدس مقامكِ ايتها الفتاة ذات النفس الطاهرة وما اقواك على ادارة الفتيان وبث روح السعي والتقدم فيهم

تدخلين المدرسة فتنفتح لديكِ ابواب المعرفة والتهذيب وكنوز العلوم والآداب وتقفين على اخبار الناس ومآتيهم فترين نفوذك فيها وشدة سيطرتك عليها فتنقشع عنك غمامة البساطة وتعرفين المقام الذي يستحقهُ جنسك الجميل فتعجبين بهِ وتأخذين بالصعود اليهِ اما متمهلة على درج الاستعداد لاستلام مهامهِ والدربة على القيام بخدماتهِ واما مسرعة في رائع التأنق في الملبس وغيرهِ من مقتضيات الزي والرشاقة

وقد تزعمين ان تهذيبك ينتهي بخروجك من المدرسة او نيالك شهادتها فتحصلين على كل ذلك ثم تنضمين الى البيت على امل الخروج منهُ عاجلاً او آجلاً لانشاء بيت مستقل بشركة آخر ممن ترغبين في شركتهم والسعي معهم . امل حق لا نزاع فيهِ انما قد تخطئين باستعمال

الوسائط للوصول اليهِ والذنب في ذلك معظمهُ على الرجال لا عليك . فهم يتقاضونك المحافظة على رونق الجمال الظاهر بما يبدون من الميل اليهِ ولو عقلوا لاستحسنوا منك الجمال الباطن جمال النفس قبل جمال الوجه ذلك الجمال الذي يتجلى في العينين ويقرأ على صفحات الوجه ويتركب من الكلام والسكوت والقيام والقعود ويحمل الرجل على الحشمة والرزانة في حضرتك بحيث يزن الكلام قبل التلفظ بهِ ويروز المعاني قبل ابرازها ويتحقق ان لديهِ شخصاً أقرب منهُ الى كمالات النفس ومظاهر الانسانية

تسمعين البعض يبحثون في حقوق الرجل وحقوق المرأة وكيفية التوفيق بينهما فما اجهل هؤلاء يشتغلون في العرض ويلهون عن الجوهر فالرجل والمرأة كل منهما يكمل الآخر ولا يقوم بدونهِ . للرجال اعمال لا تستطيع المرأة ان تتعاطاها ولا هي خلقت لتتعاطاها وللمرأة اعمال لا يمكن للرجل ان يعملها

المرأة ملكة مملكتها البيت المقدس وحماهُ الطاهر . رعاياها اهل البيت من كبيرهم الى صغيرهم وقوانينها قليلة تجمعها المحبة ويجريها الصبر ويقودها الحزم وتكللها الحكمة . وحيث يسود السلام لا تكثر القوانين . نعم هي العائلة وانت ربتها هناك تملكين وتظهر سياستك في ادارة البيت ونظامهِ وترتيبهِ هذا هو مقامك السني مقر السلام والسعادة الدنيوية . فما اجدرك وهذا مقامك ان تتأهبي لاستلامهِ . تشتركين في مجلات تنقل اليك الازياء الاخيرة أفلا تشتركين في المجلات التهذيبية مجلات التربية البيتية والعائلية ? تقرئين الروايات افلا تقرائين الكتب الاخلاقية ? ألا تدرسين شيئاً عن الفلسفة العقلية وكيفية نمو القوى العاقلة في الصغار وتطالعين شيئاً عن الاقتصاد السياسي وعلاقتهِ بمملكة البيت اذا كنت تفعلين هذا او شيئاً منهُ فنعمَّا انت وهنيئاً للمملكة التي ستملكين عليها فانها سعيدة مفلحة

والكلمة الخاتمة اننا نحن وهن كثيراً ما نغفل عن مقامنا الحقيقي في هذا الوجود القصير ونسعى في طرق معوجة للوصول اليهِ . وعندي ان من واجبات المدارس ان تغرس في عقول الطلبة وبالاخص الطالبات ان الغاية العظمى من الوجود النفع على اطلاقهِ واخصهُ ما ابتدأ بالعائلة وانتشأ للهيئة البشرية افراداً ينفعونها ويعملون على ترقية الانسانية المتجسدة في بنيها والسلام

المدرسة الكلية في بيروت بولس خولي

نعيم الحياة وجحيمها

اخبرنا احد الفضلاء قبل كتابة هذه السطور ان رجلاً من اكبر اغنياء هذا القطر انتقل من مدينة الى اخرى واقام بضعة ايام يقابل المحامين ويحضر جلسات القضاة دفاعاً عن قيراطين من فدان . نغص عيشهُ وعيش ذويهِ لاجل امر لا ان ربحهُ زادت بهِ ثروتهُ ولا ان خسره نقصت . وهذا شأن كثيرين يقلقون ويمررون كاس الحياة لاجل امور طفيفة حقيقية كانت او وهمية وكانهم يضعون عوينات سوداء الزجاج على عيونهم فيرون كل شيء بها مظلماً حتى النور. هذه هي السوداء الحاصلة من فساد الهضم وضعف الصحة وقلة الرياضة . خير دواء لها الانقطاع عن الاشغال والمعيشة الخلوية في الهواء النقي حيث يكثر تجدد الدم فيجلو صدأ الهموم والغموم حقيقة لا مجازاً لان الدم المتجدد ينزع الفضول من البدن ويزيل الدقائق المتعبة من الدماغ ويضع بدلاً منها دقائق جديدة غير متأثرة بالمؤثرات السابقة فهو مثل من يدخل بيتاً لبس ذووهُ الحداد على فقد حبيب لهم فينزع عنهم ثيابهم ويلبسهم ثياباً بيضاء ويملا بيتهم بالخبز والعازفين

واكثر ما يرى من ضيق الخلق وسوء الظن والشكوى من الدهر ناتج من كثرة الشغل وسوء الهضم وتجمع الفضول في البدن والدماغ ولذلك يضيق خلق الاولاد في اواخر النهار ويكثر قلقهم وتذمرهم وعلاجه الراحة والرياضة في الهواء النقي ليعود النشاط الى الدم وتزال الفضول من الجسم

زبدة اللوز

خذ ٢٢٠ درهماً من الشحم الجديد النقي و١٢٠ درهماً من مذوب البوتاسا (فيهِ ٢٦ في المئة من الباتاسا الكاوي) و١٠ دراهم من الالكحول (الذي الكحولهُ ٦٠ في المئة) وكمية كافية من زيت اللوز المر وامرث الشحم ومذوب البوتاسا في ماعون من الزجاج او الصيني واتركهما بضع ساعات ثم اضف اليهما الالكحول وما يكفي من زيت اللوز المر وامرث الجميع معاً حتى يصير كالعصيدة في قوامهِ وكعرق اللؤلؤ في لونهِ

زبدة الكافور

خذ ست اواقي من زيت الزيتون وثلاث اواقي من الشمع الابيض النقي ونصف اوقية من الكافور . سخن هذه المواد معاً في حمام مائي وامزجها جيداً وهي تستعمل للقشب وتشقق الاصابع ولدهن الشفاه ولتقوية الشعر

الزبدة الشركسية

خذ اربع اواقي من شحم الغنم الجديد وثلاث اواقي من زيت الزيتون واوقتين من مسحوق البخور الجاوي ونصف اوقية من جذر الشنجار . ضع هذه الاجزاء في اناء وسدَّهُ وضعهُ في قدر فيهِ ماء غالٍ قرب النار واتركهُ اربعاً وعشرين ساعة ثم صفهِ بخرقة ناعمة واتركهُ حتى يبرد وعطرهُ بقليل من عطر الورد او زيت اللوز او اي عطر آخر

الزبدة الباردة (كلد كريم)

خذ ٣٠ جزءا من السبرمشيتي و٢٤ جزءا من منّ السمك و١٦٨ جزءا من زيت اللوز الحلو واذب الجميع معاً على نار خفيفة وضعهُ في مرطبان وامزجهُ جيدًا حتى يشتد قوامهُ ثم عطرهُ بماء الورد وزيت اللوز

الزبدة الباردة والبورق

خذ اوقية من الشمع الابيض واربع اواقي من زيت اللوز واوقيتين من ماء الورد ونصف درهم من البورق و٥ نقط من عطر الورد اذب البورق في ماء الورد بقليل من الحرارة واذب الشمع في الزيت وامزج هذه الاجزاء كلها معاً في هاون وهي سخنة واضف اليها عطر الورد وانت تمزجها

نصائح لوقاية العين

(١) لا تقرأ ولا تكتب على نور ضعيف

(٢) يجب ان يقع النور على الكتاب او الورق من عن يمينك او من عن يسارك لا من امامك ولا من ورائك

(٣) لا تقرأ وانت متعب ولا انت ناقه من مرض

(٤) لا تقرأ وانت مستلقٍ

(٥) لا تستعمل عينيك مدة طويلة في وقت واحد بل ارحهما كلما استعملتهما مدة قصيرة

(٦) لا تنحنِ كثيرًا وانت تقرأ او تدرس

(٧) اختر الكتب الواضحة الحروف التي ورقها غير صقيل

(٨) شرب المسكرات وتدخين التبغ يضران العينين

(٩) اكثر من الرياضة في الهواء النقي

(١٠) اذا كتبت او درست على مائدة فليكن غطاؤها اخضر

(١١) غطِّ القنديل بزجاج ملون بلون اخضر او ازرق او ابيض

المحراث البخاري

باب الزراعة

المحاريث الزراعية

يحدث مراراً كثيرة ان تقع البلايا والمحن ببلاد فتجر اليها المنافع لا لان النفع يلزم عن الضرر بل لان العقول تتنبه وتحتال الى دفع الضرر فتهتدي الى طرق النفع . ويظهر لنا انهُ سيحدث شيء من ذلك في هذا القطر على اثر الطاعون الذي فتك بالمواشي فقد نبه الناس الى جلب المحاريث البخارية والاعتماد عليها في حرث الارض

وقد كانت المحاريث البخارية معروفة في هذا القطر لكن كان استعمالها خاصاً بارباب الزراعات الكبيرة وكانوا يقتصرون على استعمال محراث فَوْلر وهو آلتان بخاريتان كبيرتان تسيران على سكتين ممهدتين مرصوصتين على جانبي الحوض يصل بينهما حبل متين من الاسلاك المعدنية وتكون المحاريث متصلة بعضها ببعض بهذا الحبل فتجرها احدى الآلتين الى هذه الجهة ثم تجرها الاخرى الى الجهة الثانية . وتتقدم الآلتان رويداً رويداً كلما جرَّتا المحاريث ذهاباً واياباً

ويعترض على هذا المحراث بغلاء آلتيهِ فان ثمنهما يبلغ ثلاثة الآف جنيه الى خمسة الآف جنيه وبأن حبالها سريعة العطب ولا بد لها من سكك ممهدة ولذلك قال اللورد كرومر في تقريرهِ الاخير " ان موت المواشي بسبب الوباء المنتشر الآن في القطر وجه الانظار الى استعمال المحاريث البخارية وفي البلاد كثير من تلك المحاريث ولكن نفقاتها كبيرة حتى لا يستطيع اقتناءها الأكبار المتمولين فلو امكن اختراع محراث رخيص الثمن ملائم لحاجات الفلاح المصري لحسنت بذلك حالهُ كثيراً اذ يستطيع جماعة من صغار المتمولين ان يتحدوا معاً ويشتروا محراثاً واحداً " (تقرير اللورد كرومر عن سنة ١٩٠٣ صفحة ٢٧ من الترجمة العربية)

ويظهر لنا ان امنيَّة اللورد كرومر قد تمَّت الآن بالمحراث البخاري الذي جلبهُ الخواجه نجيب صروف وشركاؤهُ من اميركا فانهُ آلة بخارية رخيصة الثمن متقنة الصنع خفيفة الوزن جداً بالنسبة الى قوتها تسير على عجل عريض عرضهُ ستون سنتمتراً وتجرُّ وراءها محاريث من الصلب (الفولاذ) الشديد الصلابة والمرونة وهذه المحاريث او الاسلحة (كما تسمى في القطر المصري) قائمة على عجل ولها آلة ترفعها وتخفضها وتحرفها بمخل يمسكهُ رجل في يدهِ وهو جالس على مقعد فوقها فيستطيع الحرَّاث ان يعمق الحرث او يقلل عمقهُ كما يشاء . وقد جرّب هذا المحراث البخاري

امامنا في شبرا على مقربة من القاهرة ورآهُ جمهور غفير من ارباب الزراعة فشهدوا انهُ احسن محراث بخاري شاهدوهُ حتى الان

وقد وقف هذا المحراث دقيقة وهو يحرث وصُوّر صورة فوتوغرافية حفرت منها الصورة المقابلة بالحفر الكيماوي فهي كالاصل تماماً ولا يحتاج المحراث الاَّ الى مهندس عادي ورجلين يجلسان على المحاريث وقد يكتفى برجل واحد يدير المحراثين

ومما ثبت بالامتحان ان هذا المحراث يدور على نفسهِ بسهولة وسرعة وانهُ يسير على الارض المحروثة كما يسير على الارض المستوية ويحرث الارض الصلبة كما يحرث الارض اللينة وقد حرث امامنا فداناً وربع فدان في نصف ساعة من الزمان وكانت الارض صلبة جداً لانها كانت مزروعة قطناً في العام الماضي وزرعت فولاً تحت القطن من غير ان تحرث فبقيت خطوط القطن على حالها ثم جمع الفول منها فصلبت جداً قبلما جُرّب فيها المحراث البخاري. واجمع الذين شاهدوهُ يحرث فيها على ان المواشي لاتستطيع ان تجرَّ فيها محراثاً وان الحرثة الواحدة بهذا المحراث في مقام حرثتين او ثلاث بالمواشي

وقد اشترى هذا المحراث الخواجات اسكندر ومهنا خوري حداد وهما من ارباب الزراعات الواسعة في هذا القطر واشتريا محراثاً آخر قبلهُ من نوعهِ وكتبا الى المقتطف بالرسالة التالية قالا بعد الديباجة

"لقد مني القطر منذ نحو سنة بمرض المواشي الفتاك ولا يزال هذا المرض منتشرًا فيهِ وهو اكثر فتكا مما يذكر في نشرات مصلحة الصحة ولعل عدد المواشي النافقة مضاعف ما يذكر في النشرات الصحية ولذلك اخذ كثيرون من ارباب الزراعة يبحثون عن آلات حرث تقوم مقام المواشي خوفاً من بوار الارض لان المواشي هي الركن الاساسي للزراعة في الحرث والتصليح . ولو اتت هذه الآفة قبل ايجاد آلات بخارية للحرث لاستولى اليأس على الجميع ولكن الآلات البخارية تقوم مقام المواشي في كل ما يلزم لخدمة الارض وهي اوفى من المواشي واقل منها كلفة

وفي اول خدمة ارض القطن هذه السنة في شهر يناير وقبلهُ وبعدهُ كنا نسمع انين المزارعين وكانت المواشي تموت في اثناء الحرث وتعوَّض بغيرها فتموت هذه ايضاً ولذلك اخذ كثيرون من صغار المزارعين يخدمون ارض القطن بطريق العزاق وهذا موجب لضعف النبات وقلة الجني وانما الضرورة ألجأتهم اليها . وهكذا حاصل الآن في الدراس لاسيا في الوجه القبلي فقد رأينا بأعيننا كثيرين من رجال ونساء الفلاحين يساعدون بعض الماشية الباقية عندهم بنوارج الدراس

وحيث ان عملنا الزراعة وكان من نصيبنا فقد المواشي كثيرنا مع استعمالنا اللقاح لها والكورنتينا عليها والتشديد على خدمة الزراعة لكي لا يدعوها تختلط بمواشي الغير وما أفاد ذلك شيئاً ولا أغنى فتيلاً فاخذنا نبحث في شهر يناير الماضي عن آلات حرث بخارية حتى اهتدينا إلى محل الخواجا نجيب صروف وشركاه واطلعنا على ما عندهم من رسوم المحاريث وكثير من الآلات الزراعية المستعملة في اميركا ففضلنا المشتري منها لان اميركا بلاد زراعية وصناعية فتتقن الآلات وتطبقها على احتياجات الارض اي تقرن العلم بالعمل وفيها زراعات تشبه زراعات القطر المصري • وعليهِ اشترينا من هذا المحل محراثين بخاريين من ورشة جارسكوت لانهُ بلغنا ان هذه الورشة أرسلت محاريث بخارية وآلات زراعية أخرى الى برّ الاناضول وسورية فنجحت فيها تمام النجاح • والمحاريث التي اخترناها عبارة عن وابور يسير على الارض ويجر السكك وراءهُ وهو خفيف جدًّا حتى لا يغرز في الارض وقوي بالنسبة الى ثقلهِ حتى يسهل عليهِ السير وجرّ المحاريث وراءهُ ويمكن استخدامهُ للتقصيب والتزحيف ولادارة آلة دراسة • فوصل المحراث الاول في اوائل شهر ابريل الماضي قوتهُ ٢٢ حصان بخاري ووزنهُ ٨ طن وحالاً شغلناهُ في حرث ارض القطن ووجدناهُ في غاية الموافقة . ولزيادة تثبتنا من نتيجة حرثهِ وافضليتهِ على المواشي انزلناهُ في قطعة ارض مساحتها خمسون فدانًا لزرعها قطنًا فحرث اربعين فدانًا منها وجهين بعمق ٢٥ الى ٣٠ سنتي والعشرة افدنة الباقية حرثتها المواشي . والآن يرى نبات الاربعين فدانًا أكثر نموًّا ونشاطًا عن نبات العشرة افدنة ومن يشاهدهما يظن ان بين الاول والثاني شهرًا من الزمان مع انهما زُرعا في وقت واحد والاربعون فدانًا حرثها المحراث البخاري وهي شراقي صلبة جدًّا والعشرة افدنة التي حرثتها المواشي التزمنا ان نرويها قبل حرثها لان المواشي لا تقدر على الحرث فيها

وبعد حرث الاربعين فدانًا نقلنا الوابور الى ارض اخراس لم يسبق زرعها لصعوبة كسرها فانها صلبة متماسكة بالحشائش التي فيها فحرثها وجهين واعدّت لزراعة النيلي الآتي وهي ١٠ فدن كانت تعطى مراعي للمواشي بثلاثة جنيهات جميعها • وبعد كسرها حضر من يريد استئجارها بستة اضعاف ما كانت تؤجر بهِ

وقد صادفنا بعض الصعوبات عند اول حضور هذا الوابور من عدم وجود عملة يجيدون العمل بهِ ومن تكرار وقوفهِ لاخذ المياه ومن عدم وجود كباري نقالة توضع فوق المصارف والترع الصغيرة حينما يراد نقل الوابور من زراعة الى اخرى . لكن العمال تمرّنوا حالاً وصاروا يجيدون العمل . وعملنا كوبري نقال من الخشب يفكك ويركب في بضع دقائق . ومسألة المياه

التي هي اهم امر حللناها هكذا : احضرنا برميل ماء على عربة يسع نصف متر مكعب وركبنا عليه طلمبا اميركانية ماصة كابسة قطرها بوصة ونصف وثمنها جنيهان ولها خرطوم استك يمتص من الترعة. فبعد ملء البرميل يجره البهيم الى قرب الوابور ويدفع الماء منهُ بخرطوم من قماش الى صهريج الوابور وهكذا صار الوابور يشتغل بالاستمرار

اما مقطوعية هذا الوابور من الفحم فتختلف حسب سهولة الارض وصعوبتها من قنطار واحد في الساعة الى قنطار وربع. ويمكن حرث الارض بهِ بعد ريها بخمسة عشر يوماً الى عشرين يوماً في الصيف ونحو ضعف ذلك في الشتاء . ومتى زاد تمرن العمال فيمكن ايضاً استعمال حطب القطن وبوص الذرة بدل الفحم وانما يلزم حينئذٍ زيادة بعض انفار

وفي الارض الصلبة يجر هذا الوابور محراثاً واحداً فيهِ اربعة اسلحة عرضها معاً متر و٢٠ سنتي وفي الارض اللينة يجر محراثين فيهما ثمانية اسلحة عرضها متران و٤٠ سنتي

اما الوابور الكبير الذي جرب في ارض سعادة بوغوص باشا نوبار في شبرا فوزنهُ ٩ طن وقوتهُ ٣٠ حصان بخاري كونبوند وقد أُرسل الان الى الفيوم الى زراعتنا في شدموه وسيحرث قريباً في ارض اخراس لم تسبق زراعتها وبعد ذلك نشغل الوابورين في الارض المعدة لزراعتي الذرة والرز وهي شراقي جميعها لانهُ مؤكد ان حرث الارض الشراقي يزيد خصبها

ومقدار حرث الوابور الصغير من نصف فدان الى فدان في الساعة حسب صعوبة الارض وسهولتها والوابور الكبير ربما يزيد على ذلك ٣٥ في المئة لكن الحرثة الواحدة مثل حرثتين بالمواشي واننا ننصح لكل المزارعين الاقبال على مشترى المحاريث البخارية . والامل ادراج رسالتنا هذه افادة للعموم ولكم الفضل "

وكتب غيرهما من الذين شاهدوا هذا المحراث من ارباب الزراعة كتابة تنطبق على ما كتبا واتفق الجميع على انهُ احسن محراث بخاري شاهدوهُ حتى الآن . وقد ارسل الخواجه نجيب صرزوف وشركاؤُهُ يطلبون آلات للدراسة يديرها هذا الوابور حينما يفرغ من الحرث وهي تقطع التبن وتدعكهُ جيدًا حتى تأكلهُ المواشي بشهية . ويطلبون ايضاً قصاصيب كبيرة يجرها الوابور بدل المحاريث اذا اريد تقصيب الارض وسنصفها بعد وصولها وامتحانها

ويظهر بالحساب ان المحراث البخاري الذي يحرث عشرة افدنة فقط في النهار لا تزيد نفقاتهُ عن ١٦٠ غرشاً ثمن فحم وزيت وشحم واجرة مهندس ووقاد وحارث ورجل وبغل لجلب الماء. والحرثة الواحدة بهِ مثل حرثتين بالمواشي فكأ نهُ حرث عشرين فداناً ولذلك لا يزيد حرث الفدان الواحد بهِ على ثمانية غروش اذا كان الحرث مثل حرث المواشي. اما المواشي فلا يحرث

الزوج منها اكثر من نصف فدان في اليوم واذا حسب ثمن علفها واجرة الانفار اللازمين للحرث والعناية بالمواشي بلغت نفقة حرث الفدان الواحد اربعين قرشاً على الاقل وهب انها لم تبلغ الاّ ثلاثين غرشاً يبقى الحرث بالمحاريث البخارية ارخص جدّاً من الحرث بالمواشي ومن المحاريث الاخرى لان حرث الفدان بها يكلف ١٢٠ غرشاً . ثم ان آلة المحراث البخاري تصلح لادارة آلة الدراسة ولا ينفق عليها شيءٌ الاّ وقتما تشتغل واما المواشي فلا بدّ لها من العلف والخدمة وقتما تشتغل ووقتما لا تشتغل

ويمتاز هذا المحراث على غيرهِ من المحاريث البخارية بخفَّة وزنهِ وقوّة فعلهِ وسهولة ادارتهِ ورخص ثمنهِ وقلة نفقتهِ وبانهُ ليس فيهِ ادوات معرضة للتلف السريع

حشيشة الدينار

حشيشة الدينار نبات تستعمل ازهارهُ في عمل البيرة فتجعل لها الطعم الخاص بها حتى ان من يضع قليلاً من زهرها في فمهِ يشعر كأنهُ يشرب البيرة

والمستعمل من حشيشة الدينار في عمل البيرة الازهار الانثوية وهي تجفَّف في افران خاصة بها قبل بيعها . ومن رأي الاستاذ مكنزي رئيس مدرسة الزراعة الخديوية ان جفاف الهواء في القطر المصري كافٍ لتجفيف هذه الازهار من غير فرن . فان كان الامر كذلك سهل زرع هذا في القطر المصري وقلّت نفقاتهُ

ولا بدّ لهُ من ارض جيدة التربة حسنة الصرف كثيرة السماد . وهو يزرع من فسائل او عقل تقطع من القرامي القديمة . ولا يحمل حملاً كافياً قبل السنة الثالثة من زرعهِ . فهو من المزروعات الكثيرة النفقة جدّاً ولكنهُ اذا جاد بلغ محصول الفدان منهُ عشرين قنطاراً وقد يبلغ ثمن القنطار عشرين جنيهاً او ثلاثين ولكنهُ قد لا يجود فيبلغ حاصل الفدان قنطارين او ثلاثة وقد يكثر موسمهُ حيث يزرع بكثرة فيهبط ثمن القنطار منهُ الى جنيهين او ثلاثة

وقد جرب زرع هذا النبات في الجيزة من تقاوي انكليزية فلم تكن النتيجة حسنة ثم جُرّب من تقاوي اتي بها من كاليفورنيا باميركا فكانت النتيجة حسنة جدّاً

وبلغ محصول حشيشة الدينار في الدنيا كلها ٢٩٠٠٠٠ قنطار سنة ١٩٠١ و ١٥٣٣٤٠٠ سنة ١٩٠٢ وكان ثمن القنطار ٣٠٠ الى ٤٠٠ غرش سنة ١٩٠٢ و ٦٨٠ الى ٧١٠ غرش سنة ١٩٠٣ و ٦٦٠ الى ٧٣٠ سنة ١٩٠٤

الصرف بالمواسير

جرَّبت مصلحة الدومين التجربة التالية نيلت خمسة افدنة تنييلاً عاديًا وزرعتها قطنًا فلم يحصل منها شيء

وحلَّت ٢١،٥ فدانًا بالمصارف العادية وزرعتها قطنًا فبلغ متوسط محصول الفدان منها ١١٩ رطلاً من القطن الشعر اي نحو قنطار وخُمس

ووضعت في ٢٦ فدانًا مواسير فخار للصرف تحت الارض وزرعتها فبلغ متوسط محصول الفدان منها ٣٨٤ رطلاً من القطن الشعر اي نحو اربعة قناطير

وزُرع البرسيم في القطعة الثانية والثالثة بعد القطن فجاد فيهما

وجُرّب السماد الكيماوي في هذه القطع فزاد بهِ محصول الفدان ١٣٠ رطلاً في القطعة الثانية و ٢١٤ رطلاً في الثالثة وكان السماد اربعة قناطير من الفصفات الاعلى وقنطارين وربع من نيترات الصودا وكبريتات الامونيا لكل فدان

القطن المصري

هبطت اسعار القطن المصري هبوطًا فاحشًا في شهر مايو فبلغ سعر الكنتراتات ليوليو ٣٢/٤ ٢١ ولنوفمبر من الجديد و٣٢/ ١٣ ٣٠ اي نحو ١٥ ريالاً و١٤ ريالاً وذلك في الثلاثين من الشهر وبلغت الواردات الى ٢٧ مايو ٦٤٥١٠٧٤ يقابل ذلك في العام الماضي ٥٦٩٥٤٥٣ وبلغت المتاخرات ١١٧٤٢١٣ يقابل ذلك في العام الماضي ٤٧٥٧٣٨ فسبب الهبوط كثرة المتأخرات او قلة المقطوعية بالنسبة الى المحصول٠ وقد نقص الوارد من القطن الاميركاني الى انكلترا نصف مليون بالة ونقصت المقطوعية نصف مليون بالة ايضاً٠ ونمو القطن الجديد جيد ولعلَّ مساحتهُ اوسع مما كانت في العام الماضي فاذا ناسبتهُ الاحوال الجوية الى آخر الفصل فالمرجح ان المحصول المقبل يكون اكبر من المحصول الماضي فاذا لم تزد المغازل التي تغزل القطن المصري فيبعد عن الظن ان يزيد ثمنهُ عمَّا هو عليهِ الآن ولكن المرجح ان مغازل القطن المصري وانوالهُ لابدَّ من ان تزيد كثيرًا عامًا بعد عام

ملجأ الزراعة المصرية

ان طاعون المواشي الضارب اطنابهُ الآن في القطر المصري فتح امام ارباب الزراعة ملجأً واسعاً يلجأون اليهِ وهو تقليل نفقات الزراعة مئة في المئة او اكثر وذلك باستخدام الآلات البخارية للحرث والتقصيب والتزحيف والدراسة كما يستعملونها الآن لرفع المياه وري الاطيان٠ فقد اجمع

الخبيرون بالزراعة ان حرث الفدان حرثة واحدة بالمواشي تكلف لا اقل من اربعين غرشاً اذا حسب ثمن المواشي وثمن علفها واجرة الحراثين والكلافين واما الحرث بالمحاريث البخارية المتقنة فلا يكلف ربع ذلك فضلاً عن ان المحراث البخاري يحرث بسرعة فائقة ويغني عن عدد كبير من الانفار وتحضَّر بهِ الارض سريعاً فلا تدعو الحال الى اخلائها من الزراعة زمناً طويلاً . وآلتهُ تستعمل لادارة آلة دراسة في الوقت الذي تستعمل فيهِ للحرث او لجر القصاصيب والزحافات لتقصيب الارض وتزحيفها . ويظهر باقل نظر ان هذا الملجأ يقلل نفقات الزراعة فيزيد ربحها رغماً عن هبوط الاسعار ولذلك لا نعجب اذا شاعت وابورات الحرث في هذا القطر شيوع وابورات الري فيهِ او اكثر

باب التقريظ والانتقاد

دلائل الاعجاز للجرجاني

الامام عبد القاهر الجرجاني من كبار ائمة العربية وكتابهُ دلائل الاعجاز من خيرة كتبهِ وضع فيهِ كثيراً من قواعد علم البيان قبل ان جمعها السكاكي . قال ابن خلدون "ان جعفر بن يحيى والجاحظ وقدامة وامثالهم كتبوا فيهِ املاءات غير وافية ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئاً فشيئاً الى ان محض السكاكي زبدتهُ وهذب مسائلهُ ورتب ابوابهُ" . وحبذا لو بحث احد عن كيف انتبه كتَّاب العربية الى الكتابة في هذا الفن وهل جاروا فيهِ غيرهم من السريان والفرس والروم او استنبطوهُ استنباطاً

وانشاء الدلائل مستحب عند بعض الكتَّاب لكنهُ لا يخلو من التطويل والتكرير كقولهِ "ان ههنا دقائق واسراراً طريق العلم بها الروية والفكر . ولطائف مستقاها العقل . وخصائص معان ينفرد بها قوم قد هدوا اليها . ودلوا عليها . وكُشف لهم عنها . ورفعت الحجب بينهم وبينها . وان يبعد الشأو في ذلك وتمتد الغاية ويعلو المرتقى ويعز الطلب . " وكثير من الكتاب على هذا النحو وهو اسلوب جرى عليهِ الكتَّاب حينما صارت الكتابة صناعة وصار اربابها يستوزرون لتفوُّقهم بها على غيرهم . واسلوبهُ في شرح مسائل العلم على غاية البسط كقولهِ في معنى الفصاحة " ان سبيل المعاني سبيل اشكال الحلي كالخاتم والشنف والسوار فكما ان من شأن

هذه الأشكال ان يكون الواحد منها غفلاً ساذجاً لم يعمل صانعهُ فيهِ شيئاً اكثر من ان يأتي بما يقع عليهِ اسم الخاتم ان كان خاتماً والشنف ان كان شنفاً او ان يكون مصنوعاً بديعاً قد اغرب صانعهُ فيهِ . كذلك سبيل المعاني ان ترى الواحد منها غفلاً ساذجاً عامياً موجوداً في كلام الناس كلهم ثم تراهُ نفسهُ وقد عمد اليهِ البصير بشأن البلاغة وإحداث الصوَر في المعاني فيصنع فيهِ ما يصنع الصانع الحاذق حتى يغرب في الصنعة ويدق في العمل ويبدع الصياغة وشواهد ذلك حاضرة لك كيف شئت وامثلتهُ نصب عينيك من اين نظرت. تنظر الى قول الناس " الطبع لا يتغير ولست تستطيع أن تخرج الانسان عمَّا جبل عليهِ " فترى معنى غفلاً عامياً معروفاً في كل جيل وامة ثم تنظر اليهِ في قول المتنبي

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقلِ

فتجدهُ قد خرج في احسن صورة وتراهُ قد تحول جوهرة بعد ان كان خرزة وصار اعجب شيء بعد ان لم يكن شيئاً

وكل ذلك حسن في بابهِ ولكن ما قول الجرجاني لو اريد صوغ المعدن سيفاً او مدفعاً او بارجة او قاطرة او شيئاً آخر مما منهُ فائدة لا مما يقصد بهِ التزين والتحلي فان السيوف والمدافع اوالبوارج والقواطر تصير في ايدي الصاغة العاباً يتلهَّى بها الاطفال ويضحك منها الرجال

والكتاب كبير في اكثر من اربع مئة صفحة وقد وقف على تصحيح طبعهِ وعلَّق حواشيهُ حضرة العالم الفاضل والمنشيء البليغ السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار الاسلامي وقال في خاتمة الحقها بهِ ما نصهُ

"ولما هاجرت الى مصر لانشاء مجلة المنار الاسلامي في سنة ١٣١٥ وجدت الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رئيس جمعية احياء العلوم العربية ومفتي الديار المصرية مشتغلاً بتصحيح كتاب دلائل الاعجاز وقد استحضر نسخةً من المدينة المنورة ومن بغداد ليقابلها على النسخة التي عندهُ وقد عني بتصحيحهِ اتم عناية واشرك معهُ فيها امام اللغة وآدابها في هذا العصر الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي وناهيك بكتاب اجتمع على تصحيح اصلهِ علاَّمتا المعقول والمنقول. وبعد ان اتمَّ الاستاذ الامام تدريس كتاب اسرار البلاغة في الجامع الازهر عهد اليَّ بان اطبع كتاب دلائل الاعجاز بعدهُ فشرعت في الطبع وشرع هو في التدريس . وبذلت الجهد في تصحيحهِ وفسرت بعض الكلمات الغريبة فيهِ وفي شواهدهِ بالاختصار واشرت الى اختلاف النسخ اخذاً مما كتبهُ الاستاذ على هامش النسخة التي طبعنا عنها". والكتاب مطبوع طبعاً حسناً على ورق جيد جداً

الجزء الثاني من ديوان الرافعي

بشرنا الشاعر المطبوع مصطفى افندي صادق الرافعي انهُ شرع في طبع الجزء الثاني من ديوانهِ مشروحاً بقلم اخيهِ المنشيء البليغ محمد افندي كامل الرافعي . وقد قدم لهُ مقدمة مسهبة آخذ فيها شعراء العصر فقال ان مثل شعر اليوم والشاعر مثل السفينة يطوف بها المحيط من لا يحسن السباحة في لجهِ فاذا انقلب عنها لا يرجع حتى تكون لجسمهِ تابوتاً . ولم تكن هذه السماء التي فوقنا اليوم تحت غيرنا من قبل ولا كانت البلاغة شيئاً يباع ويشترى ولكنهُ الضلال في النشأة والقصور في اسباب الصنعة والجهل بالمقاصد وضعف اللغة الى حد النزع بحيث لم يبقَ الا نفسها الذي ينطق بروحها

ونقل عن عمرو بن العلاء قولهُ عن شعر المولدين " ما كان من حسن فقد سُبقوا اليهِ وما كان من قبيح فمن عندهم . . . ليس النمط واحداً ترى قطعة ديباج وقطعة مسح وقطعة نطع " ثم قال " ذلك والشعراء متوافرون على انهُ رحمهُ الله لو سمع اكثر شعر اليوم لزاد وقطعة نعل " . وآخذ المترجمين فقال انك لا تعرف في منظومهم روح التأثير التي هي حياة الشعر بل تجد عليهِ من فساد التكلف ومغالبة الطبع واثر الاستكراه وفيهِ من المعاني المدخولة ما لا تشك معهُ انهُ من مضاغة قائلهِ الاول

ولا ندري ما يقول الشعراء متى اطَّلعوا على هذا القول . ولو كان الكاتب شيخاً هماً لقلنا انها شنشنة الطاعنين في السن لا يرون حسنة الا للاقدمين ولكن الشعر من اول عهد الناس بهِ الى الآن كما قال فيهِ ابو الطيب

ان بعضاً من القريض هذاء ليس شيئاً وبعضهُ احكامُ
منهُ ما يجلب البراعة والفضـل ومنهُ ما يجلب البرسام

وسيكون الديوان حسن الطبع مسهب الشرح كما رأينا من الكراس الذي ورد علينا منهُ

اشهر مشاهير الاسلام

الجزء الثالث

هو كالجزئين السابقين جامع لزبدة ما في تواريخ العرب وفصولاً اقتضاها البحث استطراداً اغرب فيها المؤلف المحقق رفيق بك العظم عن فكر ثاقب ورأي صائب وغيرة متقدة على صلاح امتهِ وملتهِ . والكلام فيهِ عن القواد الثلاثة العظام ابي عبيدة بن الجراح وسعد بن

ابي وقاص وعمرو بن العاص الذين رفعوا راية الاسلام في مصر والشام والعراق · والمواضيع التي طرقها المؤلف في عرض الكلام عنهم كثيرة وقد عقد لبعضها فصولاً خاصة من ذلك فصل في العمال رأينا ان ننقلهُ عنهُ برمتهِ دلالة على اسلوب المؤلف في بحثهِ قال

" اعلم ان عمران الممالك وترقي الدول يتوقف على امرين عظيمين هما صبغة الحكومة وامانة الرجال فالحكومة اذا كانت ذات صبغة دستورية اي حكومة مقيدة برأي الامة خاضعة لسلطة الشورى سعدت بها المملكة لغلبة الامانة في رجالها على الخيانة والعدل على الظلم · وانما تغلب الامانةُ الخيانة في رجال هذه الحكومة لما هناك من الهيمنة الشرعية على الحاكم من المحكوم إذ الظلم كمين في النفس القوة تظهرهُ والعجز يخفيهِ وانما يمنع النفوس ان تنزع منازع الظلم مانع القوة وهو هيبة الشعب القانونية · هذا في الحكومات الشورية واما في الحكومات المطلقة فمانع تلك النفوس عن الظلم احد امرين · اما الزاجر النفسي وهو الشعور الديني الناشيء عن الورع والتقوى الباعثين على الخوف من بارىء النفوس : واما سيطرة السلطان وهذه لا تكون في الحكومات المطلقة الا من امير مستبد عادل اذ المستبد الظالم شأنهُ مع عمالهِ شأنهم مع الرعية فلا سيطرة لهُ على العمال ولا يرجى منهُ الخير

" ومما لا مشاحة فيهِ ان الحكومة الاسلامية في مبدإ ظهورها كانت كما رأيت فيما مرَّ من هذا الكتاب تشبه من بعض الوجوه الحكومة الشورية كما انها لم تخلُ من صبغة استبدادية وكيف ما كان حالها فقد علمنا ان العمال احوج ما يكونون الى المراقبة ليقوم بهم عمران البلاد وتنتظم شؤُون المملكة · وسواء قدّرنا ان هيبة عمر بن الخطاب الشديدة على عمالهِ كانت مستمدة من قوة السلطة المطلقة او من قوة السلطة القانونية او مشتركة بينهما فقد ساعدهُ مانع القوة اي قوة الهيمنة الشرعية ومانع الدين على ان ينزع من نفوس العمال آثار الظلم ويبسط بواسطتهم للرعية الطمأنينة والعدل لتمهد للمسلمين سبل الفتح ويرتاح الشعوب المغلوبون لحكم الاسلام ويتفيئوا ظلال السكون ويتبسطوا في مناحي العمران فما كان يختار للحكم والامارة الا احد رجلين رجل لهُ دين يردعهُ او رجل عندهُ خوف يمنعهُ · وكلا الرجلين بالاضافة الى غرض الرعية والامام واحد "

" فمن عمالهِ الذين كان لهم دين يردعهم ابو عبيدة بن الجراح وكثيرون غيرهُ ومع ما عرف عن هذا الصحابي الجليل والعامل الامين والقائد العظيم من الاناة والرفق ولين الجانب والورع والزهد فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ لا يتساهل معهُ بحق من حقوق الهيمنة عليهِ والنظر في سيرتهِ كما لم يتساهل مع غيرهِ ايضاً ممن هو في طبقتهِ في الورع او ممن هو دونهُ فيهِ وذلك

قياماً على اوامر الشريعة واداء لحق الهيمنة على تمشية قوانين الشرع على نهج السداد وحرصاً على رضى الله والرعية"

" روى ابن عساكر ان عمر بن الخطاب ارسل الى ابي عبيدة باربعة آلاف درهم أو أربعمائة دينار وقال للرسول انظر ما يصنع فقسمها ابو عبيدة. ثم ارسل بمثلها الى معاذ فقسمها معاذ الا شيئاً قالت له امرأته نحتاج اليه. فلما اخبر الرسول عمر قال الحمد لله الذي جعل في الاسلام من يصنع هذا "

" هكذا كان عمر يحنن حتى اتقى عماله وأرفقهم بالرعية وآمنهم على امور الناس واحكام الشرع لهذا بلغ العدل في عصره غاية ليس وراءها زيادة لمستزيد وامتدّ سلطان المسلمين على قسم عظيم من الارض لم يسمع لسكانه شكوى من خيانة عامل في عمله وظلم في حكمه بل كانت الرعية قاطبة راضية عن حكم الاسلام متمتعة بالراحة آخذة في طريق الصعود الى قمم السعادة الاجتماعية والحياة المدنية · آمنة من شرور الفتن التي يضطرب لاجلها حبل الدولة ويختل نظام الاجتماع. ومن تصفح تاريخ الاسلام ووقف على أخبار دوله لا يرى سبباً لاختلال امر دولة قط الا خيانة العمال وجورهم وتساهل الملوك في الاخذ على ايديهم اما بحكم الضرورة او بحكم الضعف وسوء السياسة شأن كل الدول ايضاً لا دول الاسلام وحدها"

"وانا لنعجب من غلو بعض المؤرخين في ذم الحجاج بن يوسف الثقفي عامل دولة بني مروان على العراق وانما يحوج الى الحجاج من هو مثل الحجاج اذ العامل الخائن اذا افسد قلوب الرعية بجوره وقبح سيرته يثير في نفوسها ثائر البغضاء على الدولة ويحفظ عليها قلوب الامة فتستعصي على الحاكم ويخرج امتلاك ازمتها عن طوق الدولة الا باستعمال مثل الحجاج قوي الشكيمة قليل الرأفة · هذا في الدول المطلقة كدولة الامويين واما في الدول المقيدة فقلّ ان يكون شيء من هذا وذاك وعلى تقدير حصوله فالرأفة تقوم مقام العنف والعدل يغني عن استعمال القوة والانسان اسير الاحسان وغاية ما يرمي اليه الطمأنينة والامان. وحسبك شاهداً على هذا ان الخليفة عمر بن عبد العزيز الاموي لما نحا في الحكم والامارة منحى عمر ابن الخطاب من حيث العدل وتتبع سيرة العمال وانتقاء اخيار الناس للولايات تألف قلوب الامة واستلم قياد الرعية بعد ان انفضوا من حول بني مروان ثم لم يلبث ان عاد المروانيون بعده الى سيرتهم حتى ضعف امرهم وغلبوا على ملكهم لتفرق القلوب وانفضاض الناس من حولهم وما كان ذلك الا من اطلاق يد العمال وامعان هؤلاء في الجور. هذا بقطع النظر عن بعض الخلفاء الامويين الذين كانوا من حسن السيرة والقيام على العدل بحيث لا يخرج عليهم خارج اباء لحكمهم

او تظلماً منهم وانما ذكرنا بني مروان مثالاً في الدول التي اصابها الضعف وقضى عليها سوء الادارة وجور العمال بالانحلال كما اننا كتبنا هذا الفصل ليكون مقدمة لما عساهُ يرد معنا من أخبار الدول في الغابر . وعظة يتعظ بها الحاضر . واننا والله اصبحنا في عصر احوج ما نحتاج اليهِ فيهِ معرفة العلل التي تمكنت من جسم الدول الاسلامية فأودت بحياتها الاستقلالية الى ما يعلم ويشاهد ورحم الله امرءًا اتعظ واعتبر . وقوماً اثر في نفوسهم توالي العبر"

والكلام عن فتح مصر مسهب بالنسبة الى ما في كتب العرب ولكنهُ موجز بالنسبة الى ما كتبهُ المحققون من الاوربيين في هذا الموضوع فان كتاب بطلر الذي اشار اليهِ المؤلف يملأ نحو ثلثمئة صفحة من صفحات المقتطف لو ترجم الى العربية وسنلخص بعض فصولهِ كما لخصنا ما كتبهُ عن المقوقس

وقد طلبنا من المؤلف الفاضل لما قرظنا الجزء الثاني من تاريخهِ ان يزيدنا تحقيقاً في الخبر الذي ذكرهُ الواقدي وتداولتهُ تواريخ الافرنج عن اتباع خالد بن الوليد بعض الذين اجلوا عن دمشق وقتلهم. فاجابنا في هذا الجزء" ان تاريخ الواقدي من كتب المغازي والقصاصين التي لم يعرّف واضعوها الى الآن وانما نُسب هذا الكتاب الى الواقدي لكثرة ما عُرف عن الرجل من رواية الاخبار . هذا من وجه ومن آخر فان الثقات من اهل الاخبار والمحدثين يوهنون رواية الواقدي فلو فرض صحة نسبة الكتاب اليهِ فانهُ عندنا غير موثوق "

فن الولادة

يندر ان يطبع كتاب علمي في العربية وتنفد نسخهُ كلها ولو مرّت عليهِ السنون الطوال لكن هذا الكتاب كان من نصيبهِ سرعة الانتشار حتى نفدت نسخهُ لشدَّة الحاجة اليهِ فرأَى مؤلفهُ الفاضل صاحب السعادة الدكتور عيسى باشا حمدي الذي كان رئيساً للمدرسة الطبيَّة المصرية وطبيباً للعائلة الخديوية ان يعيد طبعهُ بعد ان يضيف اليهِ فصولاً وتحقيقات شتَّى مما اقتضاهُ تقدم العلوم الطبية والجراحية . ويظهر مقدار الزيادة فيهِ من ان اشكالهُ كانت في الطبعة الاولى ١٦٦ شكلاً فبلغت في هذه الطبعة الثانية ١٩٩ شكلاً . واكثر الزيادة فيهِ الوقاية من التعفن النفاسي وعلاجهُ والرضاعة على انواعها وتعقيم اللبن وكشف ما فيهِ من المواد والفطام وزمنهُ وكيفيتهُ والضعف الخلقي الذي يولد فيهِ الاطفال وما يناسبهُ من التحفظات الى غير ذلك مما زادت بهِ فائدة الكتاب فنشكر لحضرة مؤلفهِ ونتمنى ان يقتدي بهِ غيرهُ من الذين الفوا كتباً علمية باللغة العربية ثم جدَّت في موضوعها مباحث كثيرة لا يصح ان تبقى غفلاً منها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الحركة الدائمة

مصر . س . ك ما قولكم في الحركة الدائمة هل هي معقولة يمكن الوصول اليها فقد عرفت رجلاً ساعاتيًا في بيروت قضى خمسة عشر عامًا يشتغل في هذا السبيل حتى نفد عمرهُ ومالهُ فهجر وطنهُ الى اميركا وكان بحثهُ في هذا الشأن وبالاً عليهِ . وعرفت مهندسًا في لبنان يبحث عن الحركة الدائمة وتوفرت لديهِ الدراهم فعمد الى استخدام البحر واضطرابهِ واعدَّ لذلك المباني والآلات فثار البحر وهدم المباني ولم يهدم آمال المهندس فهل لكم قول في هذا المعنى يكشف الحقيقة فيكون فصل الخطاب وعسى ان لا تحيلونا على ما كتبتموهُ في السنين الماضية لانهُ لا يسهل علينا الوصول اليها

ج لقد كتبنا فصولاً مسهبة في هذا الموضوع ابنا فيها بالدليل انهُ يستحيل ان توجد حركة دائمة . ونقول الآن بالاختصار ان ما كان يتوخاهُ المهندس اللبناني ليس ايجاد حركة دائمة بل استخدام حركة الامواج كما تستخدم حركة الرياح في مطاحن الهواء وتعذَّر عليهِ ان يتحكم في حركة ماء البحر كما انذرناهُ حينئذٍ وهذا لا ينفي التحكم فيها اذا خالطها المدُّ لانهُ يسهل حينئذٍ استخدامها لرفع ماء البحر الى حوض عالٍ ثم ينصبُّ الماء رويداً رويداً من ذلك الحوض فتكون منهُ قوة متصلة

اما طلَّاب الحركة الدائمة فيريدون ان يكتشفوا حركة مستمرَّة اي حركة تتوالى ولا تنقص ابدًا من غير ان يزاد عليها شيءٌ لانها اذا نقصت ولو قليلاً تلاشت بعد حين . ولا بدَّ من هذا النقص لان الجسم المتحرك يقاوم قوات تعيقهُ عن الحركة كجاذبية الارض وسكون الهواء والاحتكاك بالمحور الذي يدور عليهِ وقد يمكن تقليل هذه المقاومات جدًّا ولكن لا يمكن ازالتها كلها فتزيل جزءًا صغيرًا من حركة الجسم كل لحظة من الزمان الى ان تتلاشى حركتهُ كلها اذا لم تضف اليهِ قوة جديدة تردهُ الى الحركة فهو مثل صندوق فيهِ نقود تنفق منهُ فلا بد ان يفرغ اذا لم تضف اليهِ نقود أُخرى

والذين يحاولون عمل آلة تتحرك من نفسها حركة دائمة يلجأون احياناً الى بعض القوى الطبيعية كرونة الاجسام وزيادة الثقل بالبعد عن المركز ولكنهم يغفلون عن ان القوة الطبيعية لا تتكرر الاَّ اذا عاد الجسم الى المكان الذي كان فيهِ حينما فعلت بهِ اولاً ويستحيل ان يعود الى وضعهِ الاول تماماً لانهُ يخسر جانباً من القوة بالاحتكاك ومقاومة الهواء كما تقدم فيقل فعل القوة الطبيعية رويداً رويداً. وذلك واضح في حركة رقاص الساعة وحركة الاجسام المرنة التي ترمى على سطح صلب صقيل وهلمَّ جرًّا

(٢) نمو الشعر

المنتزه بدران افندي احمد. ان شعر الرأس والبدن لا ينمو على مقدار واحد فشعر الرأس واللحية اكثر نموًّا من شعر الشاربين والابطين وهذا اكثر نموًّا من شعر البدن مع ان الجسم واحد والغذاء واحد فما سبب هذا الاختلاف

ج نمو الشعر الآن جارٍ على ناموس الوراثة اي انهُ سائر بالاستمرار على ما استقرَّ عليهِ في الوالدين ولكن السبب الاصلي الذي جعل شعر الرأس واللحية ينمو اكثر من شعر الشاربين والابطين والبدن لا يعلم تماماً. وقد ذهب دارون الى انهُ من قبيل الانتخاب الجنسي اي ان النساء والرجال استحسنوا طول الشعر في رأس الرجل والمرأة وطولهُ في لحية الرجل لمجرَّد الزينة فصار طوال الشعر يُرغَب في زواجهم وزواجهنَّ اكثر من قصار الشعر وكثر نسلهم فتغلَّب على نسل قصار الشعر. وهذا المذهب لا يفسر كل ما يتعلَّق بطول الشعر وقصرهِ ولكنهُ اقوى المذاهب المعروفة حتى الآن

(٣) تاثير نور القمر

ومنهُ. اصحيح ما يقال من ان لنور القمر تأثيرًا في جسم الانسان وفي الاشجار ايضاً

ج ان كان لهُ شيء من التأثير فلا يكون تأثيرهُ كما يزعم العامَّة. لكن الناس اعتادوا من قديم عهدهم ان يجعلوا بعض احتفالاتهم الدينية في ضوء القمر ولا يبعد انهم كانوا يرقصون فيها ويوغلون في التهيج العصبي حتى صار ذلك ينتابهم كلما هلَّ القمر او اكتمل فنسب هذا التأثير الى القمر مع ان القمر علَّة معية لا علة سببية. ولا يعلم للقمر تأثير في النبات الاَّ اذا كان النور والظلام يؤثران فيهِ

(٤) قوس قزح

ومنهُ. من اي شيء يتكون قوس قزح وما علاقتهُ بالمطر

يتكون من مرور النور في نقط المطر وانحلالهِ الى الوانهِ السبعة فان اشعة النور على درجات مختلفة من سرعة التموج واتساع الامواج وهي مختلفة الالوان كما ترى في قوس

قزح ولكنها متى اجتمعت معاً يظهر لها لون واحد فاذا مرّت في جسم شفاف غير متوازي السطحين انكسر بعضها اكثر من بعض لاختلافها في السرعة فافترقت بعضها عن بعض ورأتها العين بالوانها المختلفة كما يتضح لك من وضع قطعة من الزجاج موشورية الشكل في طريق النور فان النور النافذ منها ينحل الى الوانهِ السبعة وهي مثل الوان قوس قزح . ونقط المطر كروية الشكل اي غير متوازية السطوح فتدخلها اشعة نور الشمس وتنعكس فيها ثم تنعكس عن سطحها الباطن وتنفذها ثانية محاولة الى الوانها ولا ترى العين من الاشعة كلها الداخلة الى نقط المطر والراجعة منها سوى ما كان منها على زاوية معلومة لاسباب طبيعية شرحناها في المقتطف غير مرة فيتكون من مجموع الاشعة التي تراها العين قوس كبيرة هي قوس قزح .ولا يخفى ان موقع هذه القوس يجب ان يكون مخالفاً لموقع الشمس فاذا كانت الشمس في الشرق فالقوس تكون في الغرب واذا كانت الشمس في الجنوب فالقوس تكون في الشمال فاذا وقفتَ في مكان وكانت الشمس الى الشرق منك وكانت نقط المطر الى الغرب فان اشعة نور الشمس تقع على نقط المطر ثم ترتد من باطنها الى عينيك محاولةً فتراها آتية من جهة غربية

اما علاقة القوس بالمطر فلانها لا تتكون الاّ بواسطة نقط المطر كما تقدَّم

(٥) مستعمرات الانكليز

دسوق . عبد الرحمن جميعي . كيف تمكن الانكليز من تأسيس مستعمراتهم وكيف يحكمونها الآن

ج بلاد الانكليز جزائر يسهل ارتقاء الصناعة والتجارة فيها لانها كثيرة الحديد والفحم الحجري والبحر يحيط بها من كل ناحية وهو كثير الخلجان وليس فيها من الحاصلات الزراعية ما يكفي اهلها فلما كثروا اضطروا ان يركبوا البحار ويتجروا بمصنوعاتهم فاوصلتهم التجارة الى اميركا والهند وافريقية وجزائر البحر مقتفين خطوات اهالي البرتوغال واتفق ان بعض البلاد التي دخلوها كانت احكامها مختلّة معتلّة او كانت خالية من الاحكام فكانوا يضطرون ان يلجأوا الى القوة دفاعاً عن انفسهم . والقوة تدعو الى الغلب والتملك والاستيطان . ولو كانت بلاد الانكليز زراعية واسعة التخوم تسع اهاليها مهما كثروا لاكتفوا بها على الغالب ولم يهاجروا الى بلاد اخرى

ويظهر من ارتقاء الشعوب الذين تملكهم الامة الانكليزية انها تعدل فيهم وبعضهم يكاد يكون مستقلاً عنها استقلالاً تاماً كاهالي كندا واستراليا وزيلندا الجديدة

(٦) تكوُّن الامم

ومنهُ . ما معنى قول بسمارك

Ce n'est pas les discours que font les nations, c'est par le fer et le sang.

ج ان ترجمة عبارتهِ واضحة وقد كني بالحديد عن السلاح وبالدم عن الحرب فكأنهُ قال ما قالهُ الشاعر العربي

السيف اصدق انباء من الكتب
في حدهِ الحد بين الجد واللعب

(٧) سبب الانتفاض

البحرين . احد المشتركين . ما سبب الانتفاضة الاضطرارية التي تعتري الانسان في بعض الاحيان فان البدن ينتفض منها كلهُ اضطرارًا بعض ثوانٍ . وهل ما يدعيهِ الشعراء من الانتفاض في حالة التذكر صحيح

ج الانتفاض فعل عصبي من نوع الافعال الواردة الى الدماغ يحدث من تأثير شيء مكروه يفاجيء الانسان كالبرد الشديد والمناظر القبيحة والاصوات المنكرة والعطوم الكريهة والاخبار المقلقة وقد يحدث عن تذكر هذه المؤثرات . وهو في الاصل فعل حيوي يقصد بهِ دفعها عن الجسم . وترى شيئًا من ذلك في الحيوان فاذا وقعت ذبابة على ظهر فرس وهو يأكل ارتجفت عضلات جلدهِ حيث تقع الذبابة زجرًا لها . اما عضلات جلد الانسان فضعفت لقلة استعمالها بعد ان صار يقي بدنهُ بالثياب ويحرك يديهِ كيف شاء ولكن المؤثرات الفجائية تنبه القوى الخاملة فتهيج عضلات الجلد وما تحتها الى الحركة دفعًا للمؤثرات وذلك مثل من ربي في صغرهِ على الحلف والبذيء من الكلام ثم تهذب وعاشر اقوامًا يكره ذلك في مجتمعاتهم فانهُ يعود الى الحلف والنطق بالكلام البذيء اذا تهيج بغتةً فافلت منهُ قياد طبعهِ

(٨) تاثير الحرب في الشرق

دمشق . م . خالد . ذكرتم ما للشرق الاقصى من الفائدة العظيمة اذا كان هو الغالب وقد بقي امر آخر فنرجو ان تبينوا لنا هل للشرق الادنى فائدة من ذلك او مضرَّة فان هذا اعظم ما تتشوَّف اليهِ نفوسنا

ج . يرجح كثيرون من رجال السياسة ان فوز اليابان على روسيا يحمل روسيا على مهاجمة الدولة العلية وبلاد ايران حتى تجد لها منفذًا الى بحر من البحور وحتى تشغل شعبها بما يردُّ لهم كرامتهم واذا عارضتها انكلترا في ذلك تصدَّت لها المانيا وفرنسا فتستعر نار الحرب في اوربا.

(٩) التعريب

ومنهُ . نرجو ان تذكروا لنا رأيكم في التعريب واية طريقة تختارون التعريب بالمعنى او المحافظة على الالفاظ . والظاهر مما تعربونهُ في المقتطف انكم تلخصون ما تقرأونهُ وقلما تعربون بالحرف الواحد

ج . اننا نلخص غالبًا ولا نترجم ترجمة الاَّ اذا اردنا الاحتفاظ بمعاني الكاتب كلها وحينئذٍ نعمد الى المعنى ونحسب انهُ خطر لنا ونريد التعبير عنهُ بالعربية فاذا كان من المعاني المألوفة التي اعتاد كتابنا التعبير عنها جرينا

على اسلوبهم واذا كان غير مألوف او لم يخطر على بالنا تعبير عربي يقوم مقامهُ ترجمناهُ باقرب ما يدلُّ عليهِ مما يخطر على بالنا . واذا راقنا اسلوبهُ ولم نجد لهُ مقابلاً في العربية ابقيناهُ على حالهِ حاسبين ان العربية تكتسب باضافة التعبيرات الحسنة اليها ولو كانت غير عربية وقد جرى على ذلك المترجمون المتقدمون الذين ترجموا عن اليونانيـة والفارسية والسريانية وسنزيد ذلك تفصيلاً



تمثال الدكتور بلس

احتفلت المدرسة الكلية السورية مساء السادس من شهر مايو بكشف الحجاب عن التمثال الذي صنعهُ متخرجو المدرسة الكلية المقيمون في القطر المصري والسودان لرئيسها الاول الاستاذ اللاهوتي الفاضل الدكتور دانيال بلس وكانت اللجنة التنفيذية المقامة لعمل هذا التمثال قد اوفدت سكرتيرها نسيم افندي برباري الى بيروت لهذه الغاية ففي الساعة الرابعة من مساء ذلك اليوم دخل الدكتور بلس بجفل من اساتذة المدرسة الذين فيها الآن والذين كانوا فيها وخرجوا منها ومعهم قنصل دولة اميركا الجنرال في بيروت ورأس الاحتفال حضرة الفاضل الدكتور هورد بلس الرئيس الحالي وتلا حضرة نسيم افندي برباري كتاباً عربياً من رئيس لجنة التمثال ثم ارتجل خطبة باللغة الانكليزية قالت النشرة الاسبوعية "انهُ احسن فيها ما شاء بمديح الرئيس الاول على استفراغهِ المجهود في نفع شباننا بمساعيهِ واتعابهِ كما احسن الثناء الطيب على حضرة قرينتهِ الفاضلة التي بذلت ما في الطاقة في مساعدتهِ على مقاصدهِ الخيرية وكانت بمنزلة ام للمهذبين في تلك المدرسة كما ان حضرة الرئيس بمنزلة اب لهم وقال واجاد واحكم الحجة والبرهان ان من بعض الادلة الساطعة على فضلها تربيتها مثل ذلك العلم الشهير والعلاَّمة النحرير ابنها الدكتور هورد بلس. وبعد ان فرغ من هذه الخطبة النفيسة عمد الى ستر التمثال وكشفهُ فاذا تمثال من نقي الرخام على قدر جسم الدكتور دانيال بلس وبمثال هيئتهِ على التمـام فهتف الجمهور العظيم مسرَّة بذلك التذكار ووقف الرئيس الحالي نائباً عن

المدرسة في قبول ذلك التمثال وحسن الثناء على من اهدوهُ لها ومسك بيد نائبهم الذي ازاح الحجاب عنهُ واعترف لهُ ولهم بالفضل وسموّ العواطف الانسانية . ثم وقف حضرة من هو اشهر من نار على علم في الطب والجراحة والفلسفة والخطابة وحسن البيان الدكتور جورج بوست نائباً عن عمدة المدرسة وهنأ الرئيس الاول وخاطب التمثال بكلام يسيل رقةً ومعانٍ تسحر العقول . وبعض ذلك ما خلاصتهُ انك ايها التمثال لست سوى قطعة من الرخام لا معنى لك لولا تمثيل ذلك الشيخ الفاضل المحبوب ولكن مع كل ذلك لا تستطيعين ايتها القطعة الرخامية تمثيلهُ الواجب فاين لك حسن ابتسامهِ وحلاوة لسانهِ وقوة جنانهِ وحسن بيانهِ وخالص مودتهِ ووافر حكمتهِ وامثال ذلك . ثم وقف حضرة العلاَّمة الفاضل الواعظ الشهير الدكتور هنري جسب نائباً عن المرسلين في سورية وتلا خطبة انكليزية ابتهج بها الانشدة . ثم قام جناب الطبيب الحاذق الدكتور اسكندر بك البارودي نائباً عن متخرجي الكلية السورية الانجيلية السوريين وتلا قصيدة دالية طويلة من نظمهِ المحكم ضمنها تاريخ المدرسة منذ تأسيسها الى ذلك اليوم ومدح الرئيس ومشاهير المدرسين الاولين فيها باسمائهم واحسن البيان نائباً واصيلاً . ثم وقف الرئيس الحالي وقال ما معناهُ ان يقف الحيُّ ويخاطبنا في تمثالهِ الذي لا حياة لهُ . فوقف الدكتور دانيال بلس وهتف لهُ رجال العلم وابناؤُهُ فتكلم بما اخذ بمجامع القلوب

"ومن جملة قولهِ ان هذا التمثال لم يكن سوى صخرة قطعت من جبل ولكن المحبة هندستها وجعلت لها مثالي وعني بتلك المحبة محبة تلاميذهِ في مصر والسودان لان التمثال هديتهم. ثم ترنم الجميع بترنيمة المدرسة الكلية فاطربوا الاسماع وختم الرئيس الاول الاحتفال بالبركة واخذ ذلك الجمهور العظيم يهنئ حضرتهُ"

وسننشر في الجزء التالي رسم التمثال وبعض ما يتصل بنا من الخطب التي تليت حينئذٍ ومتى وردت صورهُ من بيروت نقدم صورة منها الى كل احد من المكتتبين مع خلاصة اعمال اللجنة

صورة مس اڤرت

لما اهتمَّ متخرجو المدرسة الكلية باقامة تمثال لرئيسهم على اثر استعفائهِ من رئاسة المدرسة اهتم المتخرجات من مدرسة البنات الاميركية المقيمات في مصر بعمل صورة زيتية للمرحومة اليزا اڤرت رئيسة تلك المدرسة فصنعها لهنَّ المصور البارع سليم افندي حداد وبعثنها مع حضرة نسيم افندي برباري واحتفل برفع الحجاب عنها في ٤ مايو فتكلم نسيم افندي اولاً بالنيابة عن تلميذاتها وذكر ما للمتوفاة من طيب الذكر وحسن الصفات

والفضل في خدمة العلم والدين والآداب ثم رفع الحجاب عن الصورة وتلاه حضرة العالم العامل ابرهيم افندي الحوراني فنشر على المجلس عطر صفات الفقيدة العزيزة وابان ان الانسان الفاضل يحيا على الارض بعد موتهِ بما يتركهُ من حسن الاثر اكثر مما حيي عليها قبلهُ وان تلك الفاضلة المأسوف عليها رُسمت على صفحات الخيال قبل ان رسمتها يد المصور على النسيج وصوّرت على عيون تلميذاتها وقلوبهنَّ قبل ان صورتها الشمس على القرطاس وفي هذا المعنى خاطب الرسم بقولهِ

يا ايها الرسم ما جدَّدت ذكراها
فانها منذ غابت ما نسيناها
تذكار ذات التقى عمرٌ يطول فلا
تنسى ونحيا كأَنا ما فقدناها

معرض سنت لويس

انشأَت ولاية لويزيانا احدى ولايات اميركا هذا المعرض تذكارًا لابتياع الحكومة الاميركية لتلك الولاية من فرنسا وهو اكبر معرض اقيم حتى الآن من كل وجه فان مساحة الاماكن المسقوفة في معرض الانكليز الذي اقيم سنة ١٨٥١ كانت ٢١ فدانًا وفي معرض باريس الذي اقيم سنة ١٨٦٧ كانت ٢٧ فدانًا وفي معرض فيلادفيا الذي اقيم سنة ١٨٧٦ كانت ٦٥ فدنًا وفي معرض باريس الذي اقيم سنة ١٨٩٩ كانت ٧٥ فدانًا وفي معرض شيكاغو الذي اقيم سنة ١٨٩٣ كانت ٢٠٠ فدان وفي معرض باريس الاخير الذي اقيم سنة ١٩٠٠ كانت ١٢٥ فدانًا . وفي معرض سنت لويس هذا ٢٥٠ فدانًا . ومساحة كل الاراضي التي شغلها معرض باريس الاخير ٣٣٦ فدانًا ومعرض شيكاغو ٦٣٣ فدانًا ومعرض سنت لويس هذا ١٢٤٠ فدانًا . ولا مشاحة في ان الاميركيين افرغوا جهدهم بما وصل اليهِ ارتقاؤُهم العلمي والصناعي في جعل هذا المعرض اعظم من كل المعارض التي تقدمتهُ من كل وجه وقد انفقت عليهِ ولاية لويزيانا عشرة ملايين من الريالات والولايات المتحدة نحو عشرة ملايين اخرى فجملة النفقات العمومية نحو عشرين مليونًا من الريالات او اربعة ملايين من الجنيهات وانفقت الولايات المختلفة على مبانيها الخاصة سبعة ملايين ريال والحكومات الاجنبية سبعة ملايين ونصف والحكومة الاميركية مليونًا وستمئة الف ريال ويقدر كل المال الذي انفق على انشائهِ بعشرة ملايين من الجنيهات .

وفي الثلاثين من شهر مايو اقترب رئيس المعرض من آلة كهربائية وبيدهِ مفتاح فضة صغير وضغط بهِ عليها ليخبر رئيس الولايات المتحدة وهو في وشنطون على ٣٠ ساعة بالاكسبرس من سنت لويس ان كل شيء قد أُعد لفتح المعرض ثم رفع يدهُ نحو السماء وقال بصوت جهوري افتح ايها الرئيس ابواب

المعرض واسمع لبني البشر ان يشاهدوا تقدمنا وترقينا ليفتخر كلٌ منا بما وصلت اليهِ قدرة الانسان . ولم ينطق بهذه الكلمات حتى تدفَّق الماء من قصر الشلالات وفتحت الابواب وانتشرت الرايات الكبيرة فوق قصور المعرض وهي ٢٥٠٠ راية ودوت المدافع وعزفت الموسيقى وتمَّ فتح المعرض رسميًّا وكان ذلك الساعة ١ والدقيقة ٥ بعد الظهر . وبلغ عدد الذين دخلوا ابواب المعرض يوم فتحهِ ١٨٧٧٩٣ نفساً

تاتا محسن الهند

فقدت بلاد الهند المحسن الشهير جمستجي نصرونجي تاتا امير تجار الهند واكبر المحسنين فيها مؤسس البيت التجاري المعروف بتاتا وشركائهِ في بمباي واليابان وهنغ كنغ وشنغاي ولندن وباريس ونيويورك . وهو الذي ادخل معامل القطن الى بلاد الهند وتربية دود الحرير حسب طريقة اليابانيين واستخراج معادن الحديد من الولايات المتوسطة . قضى السنين ينفق على ادخال زراعة القطن المصري الى الهند وتبريد الاطعمة واوقف مالاً يبلغ ريعهُ السنوي نحو ٨٣٣٣ جنيهاً لينفق على تخريج الطلبة الهنود في مدارس اوروبا ثم انشأ مدرسة المباحث العلمية ووهبها مئتي الف جنيه

ميكروب الدوسنطاريا

قال مكاتب التيمس في كولمبو ان الدكتور كاستلاني اكتشف ميكروب الدوسنطاريا وسيتلو مقالة في هذا الموضوع في المجمع الطبي

المظهر المثبت

في التصوير الشمسي عمليتان مستقلتان الواحدة لاظهار الصورة والثانية لتثبيتها ولا تظهر الصور الاَّ في غرفة مظلمة وهذا يمنع اظهارها اذا صورت خارج البيت او يؤَخرهُ اذا لم يكن مع المصور غرفة مظلمة . وقد استنبط رجل اسمهُ مكردي طريقة لاظهارها وتثبيتها في وقت واحد فلا تحتاج الى غرفة مظلمة وذلك بمزج البيروغولول بكربونات الصودا واستعمالها معاً فالاول يظهر الصورة والثاني يثبتها في وقت واحد

الظواهر الفلكية في يونيو

اوجه القمر

	يوم	ساعة	دقيقه	
الرابع الاخير	٦	٧	٥٣	صباحاً
الهلال	١٣	١١	١١	مساء
الربع الاول	٢٠	٥	١١	"
البدر	٢٧	١٠	٢٣	"

السيارات

يكون عطارد نجم الصباح الشهر كلهُ
والزهرة والمريخ لا يسهل رصدهما
والمشتري يشرق الساعة ١ والدقيقه ٣٠ صباحاً
وزحل يشرق الساعة ١٠ والدقيقه ٣٠ مساء

الكهربائية وحلب البقر

على مقربة من باريس حقل يسمى حقل الكهربائية لان كل اعمال الزراعة فيهِ تديرها الكهربائية فهي ترفع الماء بالطلمبات وتروي الارض وتنير المنازل وتحضر العلف وتنظف القناني وتحلب البقر. وآلة حلب البقر انكليزية تحلبها بافراغ الهواء وهي تحلب خمسين بقرة دفعةً واحدةً ويقال ان مقدار اللبن يكون اغزر اذا حلبت بهذه الآلة

دكلو وماراي

كان الشهر الماضي شهر شؤم على العلم في فرنسا ففقد فيهِ الاستاذ دكلو والاستاذ ماراي وهما من اكبر علمائها . اما الاستاذ دكلو فخليفة باستور واكبر مساعديهِ ولد سنة ١٨٤٠ وتفرَّغ لدرس الطبيعيات والكيمياء وانضمَّ الى باستور لما كان باستور يبحث عن اسباب الامراض التي تصيب الكرم ودود الحرير واعطي لقب دكتور في العلوم سنة ١٨٦٥ وجعل استاذاً في مدرسة تورنْ ثم في مدرسة كلرمون واقام هناك مع باستور مدة الحرب وهو الذي علَّم الاستاذ رو وعرَّفهُ بباستور . وانتقل الى مدرسة ليون استاذاً للطبيعيات واقام فيها الى ان نقل الى باريس سنة ١٨٧٨ وجعل استاذاً للكيمياء البيولوجية في مدرسة السربون سنة ١٨٨٦ ولما توفي باستور عين دكلو خلفاً لهُ لكنهُ اقتصر على البحث الميكروبي من حيث علاقتهُ بالصناعة وعلم الحياة ولم يهتم بهِ من حيث علاقتهُ بشفاء الامراض واصيب بالفالج وهو يدافع عن دريفوس ثم عاودتهُ النوبة الآن وقضت عليهِ

اما الاستاذ ماراي فلهُ مكتشفات فسيولوجية كثيرة وقد خلف الاستاذ برنار في مدرسة باريس وهو مستنبط الآلة المعروفة باسم سفيموغراف التي يقاس بها النبض وتعرف بها قوتهُ وسرعتهُ وتغيراتهُ المختلفة . وكانت وفاتهُ في الخامس عشر من مايو

طعام الكهول والشيوخ

كتب الدكتور تيلر مقالة مسهبة في جريدة العلم العام الاميركية بيَّن فيها ان الانسان متى اكتهل وجب عليهِ ان يقلل طعامهُ ويكتفي بالطعام البسيط السهل الهضم اذا اراد ان يعمر عمراً طويلاً . وخير طعام للشيوخ الخبز واللبن والاثمار وذهب الى ان وقوع الاسنان من فم الشيخ دليل على انهُ لم يعد محتاجاً اليها ويجب عليهِ حينئذٍ ان يعود الى اللبن والاطعمة السائلة كما كان وهو طفل رضيع

الراديوم في انكلترا

قال الاستاذ جوزف طمسن في مقالة تلاها في جمعية كمبردج الفلسفية ان الراديوم وجد الآن في اماكن مختلفة ببلاد الانكليز حتى قال بعضهم ان ارض الخزف ستعد يربه

اثمن من مناجم الذهب

حقائق الف ليلة وليلة

بين الدكتور الفرد ولص في المجلة المستقلة ان جزاير الواق واق المذكورة في قصة الف ليلة وليلة هي جزائر آرو الى الشمال الغربي من غينيا الجديدة حيث يوجد طائر الفردوس وان بلاد الخيول الطيارة هي بلاد تبت وان كل الغرائب الطبيعية التي ذكرت في القصة بين ملقا وجزائر ارو لها اصل حقيقي بنيت عليهِ

النيل الطبيعي

لما صنع الالمانيون النيل الكيماوي بارت تجارة النيل الهندي الطبيعي ورخص ثمنهُ حتى صار اصحابهُ يخسرون بهِ لبخس ثمنهِ وقد قرأنا الآن في جريدة نانشر ان تجار حلب وجدوا انهم اذا مزجوا النيل الطبيعي بالنيل الصناعي اجزاء متساوية صار لون ما يصبغ بهذا المزيج اجمل وابقى مما يصبغ بالنيل الطبيعي وحدهُ او بالصناعي وحدهُ فعاد الى تجارة النيل الطبيعي بعض رواجها الاول

الكلف والزوابع

قدم الاستاذ اوكو مقالة الى الجمعية السبكتروسكوبية الايطالية بحث فيها عن الزوابع المغنطيسية الكبرى التي حدثت في الثلاثين سنة الاخيرة وبين ان لها كلها علاقة تامة بكلف الشمس وان الزوبعة منها تحدث بعد مرور الكلفة الكبيرة على هاجرة الشمس الوسطى بنحو ٢٦ ساعة ويكون معظم شدتها بعد مرور الكلفة على الهاجرة الوسطى بنحو ٤٥ ساعة ونصف ساعة . ومتوسط الوقت الذي تستمر الزوبعة فيهِ ٣٣ ساعة ثم بحث عن تعليل للزوابع ولعلاقتها بكلف الشمس فوجد ان مذهب ارهنيوس يعللها تماماً . وقد شرحنا هذا المذهب في الصفحة ٣٥٧ من المجلد السابع والعشرين من المقتطف ومفادهُ اندفاع الايون اي الدقائق المكهربة بالكهربائية السلبية وقت ثورانها فتصل الى الارض في ٢٦ ساعة وتحرك الهواء حركة شديدة تسبب الزوبعة

اكبر السكاكين

في معرض سنت لويس سكين طول نصلها ثلاثون قدماً وهو احدٌ من الموسى وقد صنعها الاميركيون ليستدلّ بها على انهم فاقوا غيرهم في عمل السكاكين ونحوها

الفونوغراف في السياحات

كان السيَّاح يعتمدون على ايديهم في تصوير اشكال الناس الذين يشاهدونهم في سياحاتهم وعلى آذانهم في نقل ما يسمعونهُ من لغاتهم ولكن اليد والاذن تخطئان كثيرًا كما لا يخفى فلما اكتشف التصوير الشمسي وصُنع الكودك الذي يحملهُ السائح ويصوّر بهِ كل من شاء في لحظة من الزمان صارت الصور تنقل منطبقة على الحقيقة . وبقيت اصوات

الناس ولغاتهم تنقل بالسماع الى ان استنبط الفونوغراف فحمل احد السياح الفونسويين فونوغرافاً كبيرًا وضرب بهِ في افريقية ونقل اصوات اهاليها وقطعاً كثيرة من كلامهم وعاد بها الى بلادهِ حتى اذا خطب عنهم ارى السامعين صورهم واسمعهم كلامهم كما هو

الوستروميت

الوستروميت مزيج من الزيت والقطران يدَّعي مخترعهُ انهُ اذا مزج بالماء ورشت بهِ الشوارع والسكك منع خروج الغبار منها ٠ وقد جُرِّب بين نيس وموناكو في سكة طولها ثلاثة اميال . كنست السكة في المساء ورشت في الصباح بماء فيهِ عشرة من الوستروميت اي اضيف مئة لترمنهُ الى الف لتر من الماء و بلغت مساحة السكة التي رشت بهِ الف متر مربع . وجفت هذه السكة بعد ساعتين كما تجف لو رشت بالماء وحدهُ . واعيد رشها بهذا المزيج في اليوم التالي ثم تركت عشرة ايام من غير رش مطلقاً وكانت الحرارة شديدة والريح عاصفة والمركبات كثيرة ومع ذلك لم يثر الغبار منها كل هذه المدة فان كان الامر كذلك فشوارع هذه العاصمة احوج الى هذا المزيج من شوارع كل المدن

ويقال ان هذا المزيج لا يضرُّ بالثياب ولا بعجل المركباب وان المطر لا يزيلهُ من الارض ولا تعود الارض توحل اذا وقع عليها المطر. واذا كان مقدار المزيج عشرة في المئة في الرشة الاولى والثانية لم يعد يلزم ان يكون مقدارهُ اكثر من اثنين في المئة في الرشات التالية وترش السكك بهِ حينئذٍ مرة كل اسبوعين ٠ ويكلف رش الكيلو متر من السكة التي عرضها ستة امتار ١٢ جنيهاً في الرشتين الاوليين وثمانية جنيهات في بقية السنة فجملة مايكلفهُ الكيلو متر الواحد في السنة كلها عشرون جنيهاً

الساعة الكبرى

في معرض سنت لويس ساعة لا مثيل لها وما هي الأ حديقة غناء ميناؤُها بساط من الخمائل قطرهُ مئة وعشرون قدماً وعقربها الاطول يدور خمس اقدام كل دقيقة بآلة تحت الارض متعلقة ببناء صغير يمثل سقفهُ السماء بكواكبها وعلى مقربة منهُ بناء آخر فيهِ جرس ثقلهُ سبعون قنطارًا يدق على عدد الساعات فيسمع صوتهُ من كل انحاء المعرض وبناء ثالث فيهِ ساعة رملية كبيرة جدًّا تنقلب من نفسها كل ساعة . والساعة وهذه المباني الثلاثة تنار في الليل بالنور الكهربائي ٠ واعداد الساعات مرسومة على الارض بأنواع مختلفة من الازهار والرياحين المختلفة الاشكال والالوان والنبات مزروع ايضاً على العقربين مع انهما من الحديد وثقل عقرب الدقائق ٢٥ قنطارًا مصريًّا وطولهُ سبعون قدماً

فهرس الجزء السادس من المجلد التاسع والعشرين

الفصل السادس عشر

الهيئة الاجتماعية

ثم اعترض سكوتهما صوت صبيٍّ صارخ من خارج : —

— اهلاً بغودارد ! متى رجعت ؟ سمعتُ رئيسي يقول انك ذاهب الى افغانستان . فهل ذلك صحيح ؟ اودُّ الذهاب معك

وكان هذا الصارخ تشارلس مدلتون شقيق كتي فلما دخل اجابهُ غودارد :

— ارجو ان يكون ما سمعتهُ صحيحاً . هل في عزمك الدخول في الخدمة العسكرية

— كلاَّ فانَّ والدتي تبكي كلما ذُكِرَت هذه الكلمة " العسكرية " على مسمعها ويشقُّ عليَّ ان اسبب لها ما يبكيها . اين شقيقتي الرعناء . لا تحضر الاَّ عندما لا تمسُّ حاجة اليها . كنتُ بالامس اكلم السيدة دشتون وعندي انها جميلة جداً أليس كذلك ؟ اما توقَّفت بعد الى الحصول على زوج ؟

— ارفق بها يا تشارلس ولا تضيق عليها بهذا المقدار

— هكذا ينبغي وارى كثيرين يتحاملون عليها . انها امرأة يصعب إدراك دخيلة امرها اما انا فقد عرفتُ خلها وخمرها

قال هذا بمنتهى السذاجة والبساطة لانهُ كان حدثاً غير متجاوز سبعة عشر ربيعاً. فنادتهُ اختهُ من داخل غرفة البليار دو : —

— هلمَّ يا تشارلس الى مليكة قلبك

ثم نادت السيدة دشتون على مسمع اخيها قائلةً والضحك ملء فيها

— تعالي يا ملكة نيسان الى عزيز امه

فوثب تشارلس بحدة الغيظ وعدا وراء اختهِ وخرجا كلاهما خارج الغرفة فاستأنفت السيدة ارلنفورد كلامها مع غودارد قائلةً : —

— ما أحلى هذه الفتاة على رغم سلاطة لسانها وكثرة عبثها ومزاحها حقًا انهُ يشقُّ عليَّ فراقها

— أصحيح انها ستزَفُّ الى ذلك سافيل

— نعم فأعاني بعدها وحشة لا مزيد عليها لانها موضوع تسليتي في معظم همومي. وستكون حياتي بعدها مرَّةً جداً

— مُرَّةً ؟

— أعني — أعني — انهُ يصعب عليَّ الظفر بصديقة غيرها لاني قليلة المداخلة : —

وكان غودارد يرقبها في اثناء كلامها بعين التأمل والامعان فيرى لون وجهها يروح و يجيء وهي تجهد نفسها في إخفاء امرها وكتم ما تعاني من الألم الشديد فاعترض كلامها وقال : —

— يا الس ما المراد بهذا كلهِ ؟ انكِ لستِ كما كنتِ في سابق عهدكِ · فلقد كنا في زمن الحداثة صبياً وبنتاً وقضينا وقتاً طويلاً في صداقةٍ نقية طاهرة . وتلك الصداقة باقية فلا تستطيع الايام ان تمحو صورتها الجميلة وذكرها الحسن · ومحبتي لك تعلن لي اكثر مما اسمعهُ عنك وقد لزمتُ جانب الصمت وقتاً كافياً — اطول مما استطيع الاحتمال — ولا يخفى عليك انهُ بلغتني اخبار ملتبسة متضاربة ولم أُبالِ بها اعتماداً على انكِ سوف تطلعينني على كل ما يهمني ان اعرفهُ عنكِ . فقولي لي ما هي همومك ؟

— همومي ؟ خلِّ عنك الانذار بالخطر

— هذا ليس بجواب · انظري يا الس اني منطلق الليلة ولعلي ابقى غائباً اشهراً · ومن الضروري ان اعرف كل شيء قبل سفري فليكن الكلام فيما بيننا الآن على ما يمكن من الوضوح والبيان ولا فائدة من تجاهلك وادّعائك عدم الاحاطة بما يقولهُ الناس عن ارلنفورد. نعم ان العالم ليس دائماً — او غالباً — مصيباً ولكن ما الداعي الى وجود السيدة دشتون هنا ؟ ولِمَ تسمحين لها بالمجيء الى بيتكِ ؟ ·

— انك تجهل حال ارلنفورد ولذا تسألني هذا السؤال فهو يدعو اصدقاءهُ والسيدة دشتون واحدة منهم . فلنتكلم في موضع آخر

— لا لا بل انما نتكلم في هذا الشأن لاني اروم ان اسمع منكِ شيئاً عن تاريخ حياتكِ منذ زواجك . ففي كل رسائلك التي كتبتِها اليَّ تجنبتِ الخوض في هذا الموضوع ولم تشيري اليهِ بكلمة وقد بلغني عنهُ شيء كثير من غيركِ واما منكِ فلم اسمع قطُّ شيئاً · وأرى اني الرجل الوحيد الذي تسوّغ لهُ نسبتهُ اليك أن يكلم زوجكِ

— اراك متهيجاً جداً فكيف تكلمهُ وانا لست متشكية من شيء . وما ذا يبعثك على اللجاج في خوض عباب هذا البحث المكدّر · الا تراني راضية مقتنعة ؟

— لما كنتُ في كلكتا سمعتُ باقترانك فتعجبتُ كيف ان والدتك الشديدة التديُّن رضيت بارلنفورد زوجاً لك لأنَّ سيرة ماضيهِ لم تخفَ على احد ووددت لو كنت حينئذٍ في لندن · على اني رجعت بعد ذلك من سفري وزرتك فوجدتك سعيدة · واظنني كنتُ اذ ذاك غبياً جداً حتى قصرت نظري على الظواهر ولم اغص بعين الانتقاد الى اعماق قلب صديقتي القديمة

— هذا اذا كان لي قلبٌ

— حقًا انكِ صبّارة واحرص من أن تعاني شكواكِ . ولكن اعلمي ياعزيزتي اني صديقٌ مخلص لكِ على الدوام . فثقي بي واتكلي عليَّ . اتكلي عليَّ الى النهاية

فعبث الاضطراب بشفتي السيدة ارلنفورد ثم وارت وجهها بين يدها وقالت : —

— حتى مَ هذا العذاب ياربي . فقد ظننت اني اقوى قلباً واشدُّ تجلُّدًا

— اراني سببت لكِ البكاء فهل غظتكِ بشيءٍ ؟

— لا . لا . لستَ انتَ المسبب لست انت . آه لو تعلم كيف كانت حياتي

— اخبريني اذًا أخبريني . لعلكِ تظنين الامر اردأ مما هو في الواقع

— ليس الامر في معرض الظن فلا شيء اردأ من حياتي وامرُّ من عيشتي ولم يقدّر الله لمخلوق شقاء نظير شقائي . ولكن رحماك ياغودارد رحماك ! إنسَ — ارجوك ان تنسى ما قلتهُ لك . لايرعك امري . ولقد كنتُ عازمةً على ان اكتمهُ ولا أُطلع احدًا على مصيبتي . وليس لي صبرٌ كافٍ يمكنني من عرضها على ما نتخلص به غالبًا من كانت نظيري من النساء — محكمة الطلاق — لاني أرى الموت خيرًا من اطلاع الناس على قصتي

— وهل من يلومكِ اذا فعلتِ هذا ؟

— ربما انت لا تلومني لانك تعرفني وقد عرفتني حق المعرفة في ماضي حياتي لكنك لا تقدر ان تقول للعالم " هوذا فتاةٌ ربَّتها والدتها الصالحة على الادب والصلاح ونشَّأتها على نموذج الطهر والعفاف وأشربت قلبها الاخلاص والمحبة والطاعة لزوجها وقد زُفَّت الى رجل خليع فاسد الاخلاق وهي واثقةً كل الثقة بحسن نتيجة هذا الرباط المقدس حتى طفق ظل ثقتها يتقلَّص وأخذت آمالها تخيب واحدًا بعدالآخر اذ لم يكن لهذه الثقة رسم في قلب رجلها" واذا قلتَ هذا سألك العالم " ما هو جرم زوجها ؟ " وطلب اثبات جناية عليهِ تستوجب العقاب الناموسي كأنَّ وجودهُ وحدهُ لم يكن جناية كافيةً . فلعونة انتِ ايتها الهيئة الاجتماعية العالمية الكاذبة التي لا تهتم بسوى المقام فتضحي في سبيلهِ كل غالٍ عزيزٍ وتقبل في عضويتها كل من تشوقها صورتهُ الحاضرة مهما كان تاريخ ماضيهِ . ولا تتعدّى في فحصها حدود الرُّتب والالقاب ! وكفى مثالاً بالسيدة د . وما انطوت عليهِ مما عميت عنهُ عيون اهل العالم المفتونة بالحسن الخارجي وما اقبحهُ من حسنٍ كاذب

— يامسكينة ! يام كينة ! فماذا أقولُ لكِ وبمَ أُشير عليكِ ؟

— ليس من مشورة يمكنني قبولها — لاجل ولدي — ابنتي المسكينة الصغيرة التي اقلُّ

حراكٍ أُبديهِ يعود عليها بوخيم العاقبة . اذ لا استطيع ان اجرح الاب من غير ان اجرح الولد معهُ . فلاجلها احتمل . على انَّ مصيبتي توشك ان تشبَّ عن طوق الاحتمال . واذ قد اطلعتك على كل شيءٍ فلا بأس من أن أُطلعك على الضرب الاخير من ضروب الفجور الضارب في بيتي اطنابهُ والرافع فوق زوجي قبابهُ . فمنذ بضعة ايام طلبت قلادتي الدرية فما وجدتها. وفي مساء ذلك اليوم كانت تلك المرأَة (املي دشتون) التي استعدَّت للذهاب معنا الى الملعب واقفة امام المرآة ولما ابصرتني داخلةً اسرعت الى نزع شيءٍ من عنقها وهو قلادتي المذكورة

— اتظنينها سرقتها ؟ — كلاَّ بل هو اعطاها اياها

— مهما يكن من خلاعتهِ وسقوط شأنهِ فلا اظنهُ يبلغ هذا الحدَّ من امتهانك

وقد بعثتهما هذه الحادثة على هياج وانفعال وحدة أخذت منهما كلَّ مأخذ فلم يشعرا بالسيدة دشتون التي عند دخولها عليهما حملتها عادة امثالها على نشر اذنيها لاستراق السمع فتقهقرت الى ما وراء الستار وجلست تصغي الى حديثهما فاحاطت علمًا بهِ من أولهِ الى آخرهِ: ثم استطردت السيدة ارلنفورد كلامها فقالت : —

— ان امتهاني منهُ يزداد الف ضعفٍ كلما تكلمتُ عنهُ . ولا اعلم كيف استطعت الصبر على وجود هذه المرأة في بيتي . او تزعم اني لشدة تجلدي لا اشعر بما يبديهِ النساء والرجال حولي من التهكم والازدراء ولو على سبيل التلميح والاشارة من طرفٍ خفيٍ ؟ ذلك كلهُ صبرتُ عليهِ الى الآن . ولكن اتت النهاية واذا صحَّ ظني من جهة القلادة —

— نعم . نعم . فكثيرًا ما يعرض للانسان محركٌ فجائي يخرج جبانهُ الطويل من دائرة القوة الى حيز الفعل . فمتى عرض لك شيءٌ من هذا فلا تتأخري عن أن تخبريني بهِ اذ ليس من شيءٍ يحول دون تضحيتي كل عزيز في سبيل راحتكِ

وفي تلك اللحظة جاءت كتي مدلتن راكضة في وسط غرفة البلياردو واحاطة بنكبي املي دشتون صارخةً "بوه" فأجفلت هذه مرتعدة . وفيما هما داخلتان الى حيث كانت السيدة ارلنفورد وغودارد قالت كتي موردة الجد في معرض المزاح : —

— ان السيدة دشتون كانت تختطف حديثكما من وراء الستار ؟ فاجابتها السيدة ارلنفورد : —

— ما هذا الكلام يا كتي ؟ اليك عن هذا المزاح وارجو ان السيدة دشتون تغتفر لك هذه التهمة الباطلة

— لا بدَّ انها تسامحني وعندي لقاء ذلك قصة شائقة اقصها عليها . فتعالي ايها السيدة املي تعالي هوذا الرجال داخلون

الفصل السابع عشر

لبس القلادة

ثم خرجنا كلتاهما ودخل اللورد ارلنفورد والماجور كرتر اخو املي دشتون والمستر منساتوس بركز وهم بين ضحك ومسامرة فقال اللورد ارلنفورد :—

— اهلاً بغودارد . لقد ساءني طول انتظارك لنا

ثم قضى واجب التعارف بينهُ وبين الماجور كرتر والمستر بركز وعاد الى مخاطبتهِ فقال : —

— يود المستر بركز ان يطارحك عن برلين بعض أسئلةٍ لم اقدر ان اجيبهُ عليها . اما انت فقادر . انهُ مغرم جدًّا بالوقوف على شؤون اوروبا وقد قلتُ لهُ انك الرجل الوحيد الذي يستطيع ان يجيب سؤالهُ من هذا القبيل

— بكل سرور . اظنني اعرف انك اخًا ايها المستر بركز كان مصوّرًا في ليسك واسمهُ هوراس فيما اظن . الست مصيبًا ؟

— بلى . وكثيرًا ما حدثني عنك . وقد أعجبني كتاب تعرفٍ بك . ولكن غيابك عن لندن حال دون انتفاعي بهِ

— لا استطيع الآن ان اعرض نفسي للقيام بخدمتك لاني لسوء الحظ مضطرٌ ان ابرح لندن هذه الليلة لداعٍ مهم جدًّا . وارجو اني اعود بعد اسبوعين . اما الآن فتعالَ اطلعني على ما تروم الوقوف عليهِ

— شكرًا لمعروفك . سافعل هذا

ثم عرض لهُ ما شغلهُ قليـلاً بمحادثة السيدة الس فالتفت زوجها اللورد ارلنفورد الى غودارد وقال : —

— علمت انك مسافر هذه الليلة . فماذا عسى ان تكون نهاية هذه الاحوال الطارئة الشاغلة نظارة الخارجية والمتوجهة اليها افكار الناس عمومًا ؟ اخبرتني السيدة دشتون انك تعرفها منذ ما كانت في الهند

— نعم والسواد الاعظم ممن هم نظيرنا قادرون ان يدعوا هذا الشرف ولم يدر في خلدي اني اجتمع بها هنا — في بيت وجدتها فيهِ بمقام ربتهِ

وقد نطق بهذه الكلمات بمزيد الحنق والشدة. ثم اعرض عنهُ واخذ يحادث تشارلس مدلتون الذي كان قد دخل مع المستر بركز . اما ارلنفورد فتأثرهُ بنظرهِ وقال هامسًا :

— سوف اجزيك على هذا الكلام ايها الجرو

واذ ذاك دخلت السيدة دشتون ومن نظرها في وجه ارلنفورد وملاحظتها حركة شفتيهِ ادركت كنه ما نطق بهِ فدنت منهُ ولوائح النزغ بادية على وجهها وقالت : —

— بخ . بخ ! انتهرك حبيب زوجتك ايها الساقط . حقًا ان حب غودارد لالس يفوق الوصف اليس كذلك ؟

خلي الآن عنك هذا التشفي وقولي لي ماذا اجابك سكولوف ؟ هل يستطيع ان يعطينا المبلغ المطلوب ؟ — نعم

— ما ذا يريد مقابل ذلك ؟ — اكثر مما اقدر ان افعل

— صه ! لابدَّ من ان تفعلي ما يريد . لانَّ حاجتي الى المال تفوق الوصف

— يريد أن يعاق غودارد عن السفر هذه الليلة فما رأيك

— وهل هذا ممكنٌ

— عندي وسيلة لذلك بشرط أن توافقني عليها

— إن ! بشرط ! تقولين هذا وانتِ عالمة بشدة احتياجي الى المال والآ–

— اذًا دعني البس القلادة فانها معي

— القلادة ؟ لماذا ؟ كيف ؟ لا — ليس هذا

— اذا تولَّ انت سدَّ خرقك

— مهلاً يا املي لاتغتاظي

— وانت تعقَّل ولا تكن غبيًا

— سأجيبكِ بعد عشر دقائق

ثم خرج الى غرفة البلياردو . اما هي فقالت في نفسها : —

— لقد حان وقت التشفي والانتقام وانتِ يا ألس ماذا قلتِ ؟ قلت ان صبركِ يفرغ اذا تحقَّق ظنك من جهة القلادة فلسوف نرى . وانت ايها القائد غودارد ستغتنم فرصة القيام بوعدك لها

ثم نهضت من مكانها وجاءت الى حيث كان الباقون جالسين قرب النار وكانت كتي آخذة في سرد ما سمعتهُ من السيدة دشتون عن الشيطانة الجميلة فقالت :

— من يعرف هذه المرأة العجيبة ؟

فاجاب الماجور كرتر : — كلنا نعرفها بالسماع نظرًا لاتساع نطاق شهرتها . فقال المستر

بركز: — كلكم ما عداني

فاجابهُ كرتر: — لم اتوقع اني أجد من لم يسمع بها بعد. وحقًا ان تاريخ اعمالها يؤلف كتاب "الف ليلة وليلة" آخر. ومن العجب انها باقية مجهولة عندك. فليس من امرأة ذائعة الشهرة نظيرها.

— هل نظرتها ؟

— كلاَّ. واظنها لا تقبل من يأتيها لمجرد الزيارة العادية فهي دائمًا مشغولة بالمسائل السياسية وقلما تخطىء حالها

فقالت املي دشتون: — لكن اكثر الاخبار المروية عنها غير صحيحة لاني اعرفها حق المعرفة. فليس لها شبيه في الهشاشة الى اصطناع المعروف وفعل الخير حتى انها اصبحت ملاذ كل من عضهُ الفقر واخنى عليهِ الدهر.

وفيما هي تتكلم دخل ارلنفورد بصحبة البرنس سكولوف فجلسا منفردين في ناحية من تلك الغرفة الفسيحة واستأنف المستر بركز كلامهُ فقال: —

— لا بد ان تكون غنية جدًّا حتى يمكنها ان تعيش على هذا الاسلوب

فقالت السيدة دشتون: — انها لكذلك. لكننا بهذا الحديث نزعج السيدة ارلنفورد. اظنك لا تهتمين بسيرة من تلذ اخبارهم للسمع نظير الشيطانة الجميلة

— نعم ولا سيما اذا كانوا غير مشهودٍ لهم بحسن الصيت

فقالت املي: — ما رأيك ايها القائد غودارد في الشيطانة الجميلة ؟

— ان شعوري نحوها يتنازعهُ الحنو والحزن لانها امرأة والمرأة التي تقدم على مصادمة العالم لا بد ان تكون اخيرًا هي الخاسرة

فقال البرنس سكولوف بعد ما عرفتهُ السيدة ارلنفورد بالقائد غودارد: — وازيد على كلامك ايها القائد ان اشياء كثيرة قيلت عنها وكتبت بشأنها. فهي قاسية جدًّا في بغضها قدر ما هي لينة في حنوها ومحبتها. فحياتها حياة انتقام — انتقام نشأ عن خطإٍ ارتكبتهُ

فسأل بركز: — وما هو اسمها الحقيقي ؟

فاجاب كرتر: — لا احد يعرف

فاعترضت املي قائلة: — او بالحري ليس من يعرف ويقول

فقال سكولوف: — من عادتها ان لا تطلع احدًا على ما تروم اعلانهُ او كتمهُ

ثم التفت الى غودارد وقال: — قد جئت الان من عند الدوك حيث سمعت عن امكان

ترقيتك بواسطة الجنرال سافيل فاقبل تهنئتي مقدماً .
— بمزيد الشكر والثناء
— هل لك ان تزورني غداً ؟ — اني بارح لندن الليلة
— زرني اذا بعد رجوعك هنا او في برلين حيث اكون بعد اسبوع فاعرفك بالشيطانة الجميلة
وعاد غودارد للاشتراك في محادثة الآخرين فاتبعهُ سكولوف نظرهُ وقال في نفسهِ : — اظنك لا تسافر
ثم اخرج رسالة برقية من جيبهِ وقرأ فيها ما يأتي : — 'ان الرسائل التي يحملها غودارد تتضمن القرارات الاخيرة فعاقتها ضرورية جداً . والتفصيل مع رسول خصوصي."
فقال : — حقاً ان الحياة مجهولة فما اصدق القول " ما مضى فات والمؤمل غيب " فهذ... القائد يظن انهُ يسافر هذه الليلة وانا اتوقع عاقتهُ عن السفر . فمن منا يكون مصيباً ؟ لا ا...
ثم جلس بجانب مائدة صغيرة اخذ عنها مجموع صور وشرع يلهي نفسهُ في الاطلاع عليها .
واذا بتشارلس مدلتون نادى املي دشتون التي كانت مشغولة بمحادثة ارلنفورد قائلاً
— وعدتني انك تلعبين امامي لعبة في البلياردو فتعالي الآن بينما الباقون مشغولون ع... وانجزي وعدك لي فتزيل الكدر بضرب الأكر
فنهضت وسألت ارلنفورد : — اتسمح لي بالذهاب مع هذا الصبي ؟
فقال " طوباهُ ياليتني اياهُ طوباهُ " ثم قبض يدها وضغطها . فلم يفت عملهُ هذا نظر امرأتهِ وكانت اذ ذاك ملتفتة نحوهُ . ولاحظ غودارد سرعة تغيُّر لونها فتبع جهة نظرها فادرك السبب . اما ارلنفورد فسار الى حيث كان سكولوف وقال لهُ : —
— هل استهجنت فعلي ايها البرنس — كلاً البتة
وحينئذٍ انقطع ارلنفورد للتأمل في طلب املي من جهة لبس القلادة فقال في نفسهِ : — ماذا عسى ان تريد بلبسها ؟ أمرادها ان غودارد يراها ويضطران يتعرض لمقاومة وقاحتها هذه فيفعل ما يسبب لهُ التأخر عن السفر ؟ اظنها مصيبة في رأيها حسب عادتها . وسوف نرى سوف نرى
فقالت الس لغودارد : — ساتركك بعد سفرك لرحمة هذه الضاربة
— اصبري ولا تقنطي . تظاهري بعدم الاكتراث والاهتمام وهذا اعظم ثأر واشد انتقام
فنهضت كتي مدلتون وقالت : — تعالوا معي وانظروا . اني ذاهبة لأحول دون لعبهما . وسأريكم كيف تعلم السيدة دشتون اخي تشارلس لعب البلياردو . انها لعبة حسنة ؟ ؟اصغوا فما من صوت لضرب الاكر ؟

